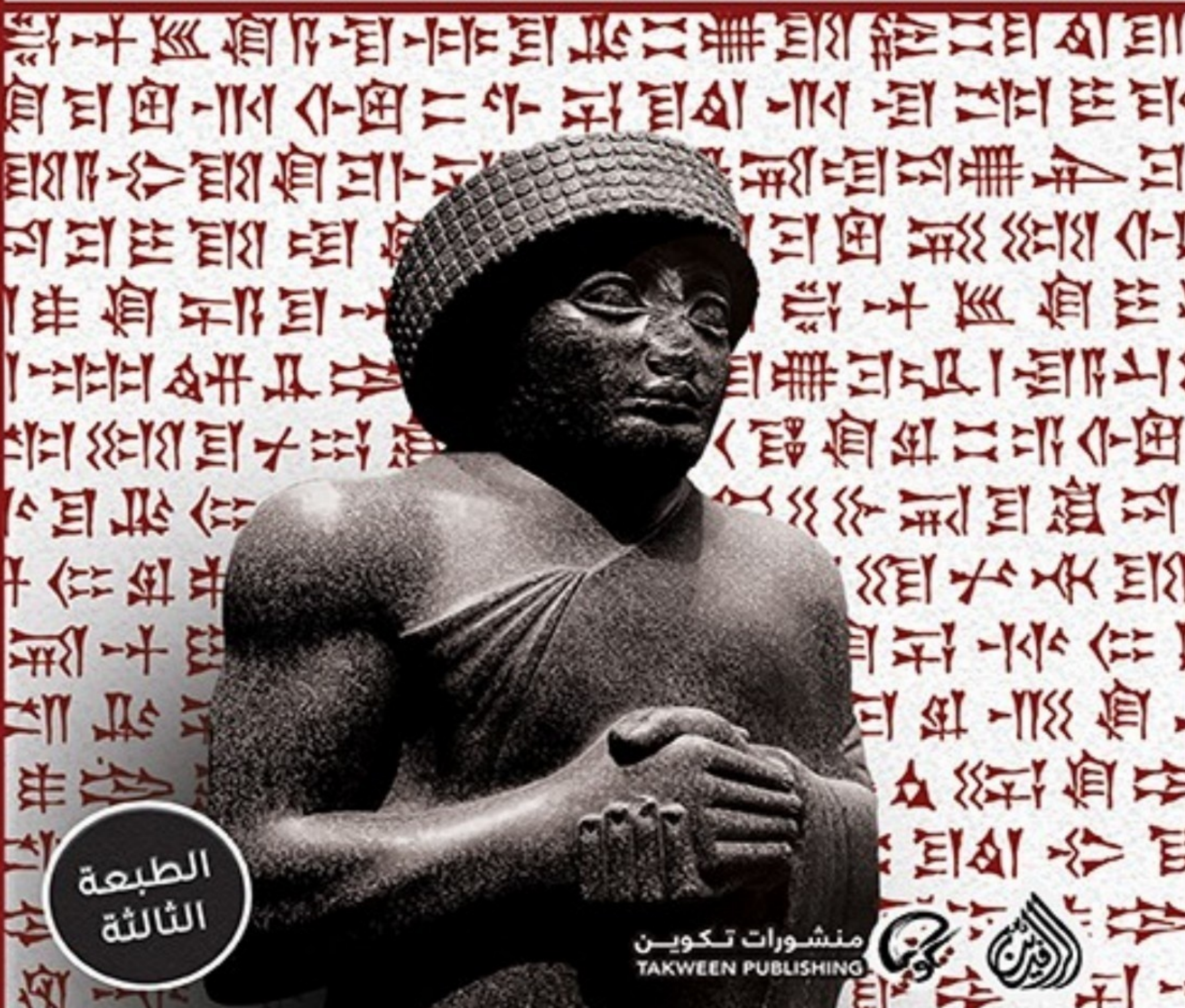
تاريخ

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

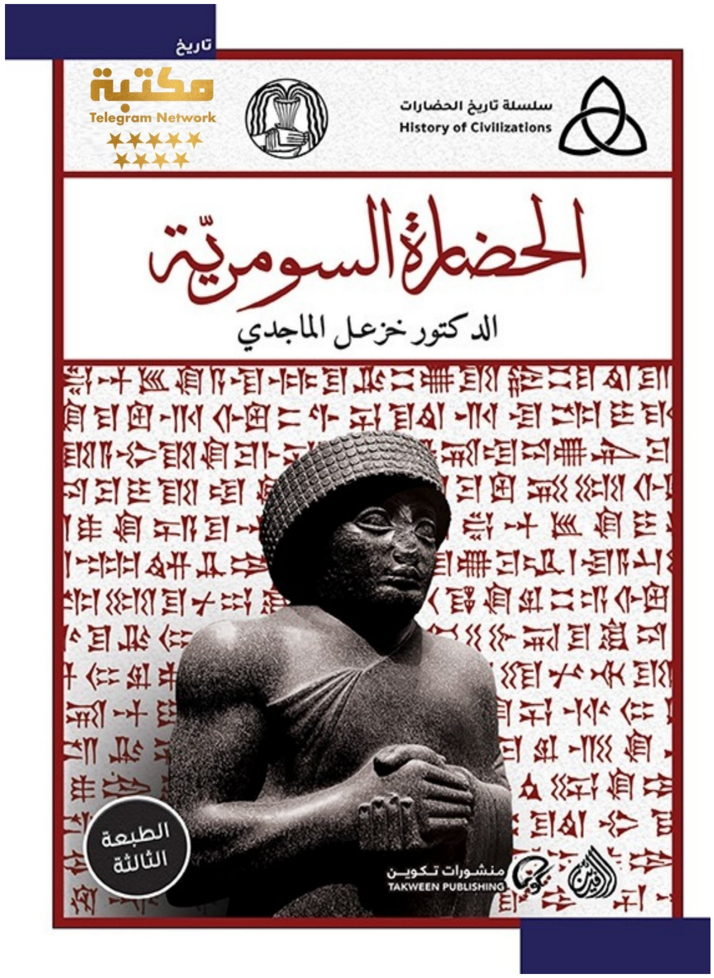
الحضارة السومريّة

الدكتور خزعل الماجدي



الطبعة الثالثة

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



تاريخ
مكتبة
Telegram Network
سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations
الحضارة السومرية
الدكتور خزعل الماجدي
الطبعة الثالثة
منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الحضارة السومرية

الدكتور خزعل الماجدي

Sumerian Civilization

By Khazal Al-Majidi

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقّحة)، أغسطس ـ آب، 2020 (1000نسخة)

بيروت ـ بغداد

أيقونة تاريخ الحضارات: رمز الحضارة



أيقونة كتاب الحضارة السومرية: رمز الحضارة السومرية، الإناء الفوار (رمز الحكمة السومرية) الخالد حيث يظهر نهرا دجلة والفرات يفيضان من الإناء النذري الذي تمسك به يدا العاهل السومري الشهير(جوديا) أمير لجش.

لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 9647714440520+ / 9647811005860+

info@daralrafidain.com

daralrafidain@yahoo.com

www.daralrafidain.com

dar alrafidain

Dar alrafidain

دار الرافدين@daralrafidain

منشورات تكوين للنشر والتوزيع

الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 96598810440 +

بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 9647811005860 +

الموقع الالكتروني:

www.takweeen.com

البريد الالكتروني:

Publishing@takweeen.com

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 623 - 71 - 9

الحضارة السومرية



الدكتور خزعل الماجدي

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

المقدمة

كان جذب الحضارة السومرية، وما زال، إغواءً لا نظير له لازمني منذ بضعة عقود، فقد كانت، دون غيرها، مثار سفر مقصود مني، دائماً، لأسباب يطول شرحها، لكني أودّ أن أشير إلى قوة وخصب هذه الحضارة التي أسميها (حضارة الأصول) بكل ما تعنيه هذه الكلمة، فهي حضارة الاكتشافات والاختراعات الأولى التي نشأت على أساسها حضارات العالم اللاحقة. فضلاً عن كونها أساس حضارات (العراق القديم)، وهي تحديداً في المكان الذي عاش فيه آبائي وأجدادي وما زالوا.

لم تتنزل الحضارة السومرية من السماء (كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين الذين لا يثقون في قدرة الإنسان)، ولم تهاجر من مكان خارج بلاد النهرين، بل هي حضارة تلك البلاد التي اجتمعت شعيراتها وروافدها الأولى في ثقافات ما قبل التاريخ لوادي الرافدين، فمنذ عصر الميزوليت ثم النيوليت ثم الكالكوليت تواترت ثقافات هذه العصور بانتظام دقيق متلازم في وادي الرافدين، ولم يحصل هذا في مكان آخر من الأرض وبهذا الشكل المبكر، وهذا هو السبب الأول الذي يبرر ظهور الحضارة السومرية ليس بشكل مفاجئ، كما يدّعي البعض، بل باضطراد وتواتر وتواشج سابق لتسع ثقافات نوعية، على الأقل، بدأت من العصر الحجريّ الحديث (نيوليت) في شمال وادي الرافدين وانحدرت تدريجيًّا حتى وصلت إلى أوروك، حيث كان السومريون، وفيها تفجّر إبداعهم وأنشؤوا بداية حضارتهم.

صحيح أن السومريين لم يكونوا أقدم أقوام جنوب وادي الرافدين، ولم يكونوا أول من نسج فيه الثقافات النيوليتية والكالكوليتية في نهايات عصور ما قبل التاريخ، لكنهم أول من وضع النسق الحضاريّ لحضارة تاريخية نقلت الإنسان من العصور الحجرية البطيئة التطور إلى العصور التاريخية السريعة التطور، والتي ألهمت شعوب الأرض لكي تؤسس حضاراتها على النسق ذاته تقريباً من خلال خصوصياتها المتنوعة.

تبدأ قصة السومريين من سكنهم في أرض الغرين ودلتا المياه والزرع، فهم من دشّن أخصب بقاع الدنيا، آنذاك، بزرع وفير وهندسة ريّ كان لهما الأثر في ازدهار المدن ونشوء تقاليد الحضارة الجديدة المختلفة عن ثقافة القرى الزراعية.

كتابنا هذا يبدأ في فصله الأول بمقدمة تعريفية، لا بدّ منها، لسومر وشعبها ولعلم السومريات الحديث النشوء وعلماء السومريات الذين أضاؤوا للبشرية أسرار هذه الحضارة باعتكافهم الطويل على حلّ ألغازها وفكّ شفرات كتابتها وربط ما تفكك من تاريخها العريق.

أما الفصل الثاني فيفرش مهاد الجغرافيا السومرية وأرضها وأنهارها ومدنها وعواصمها وتكوينها الإثني ومناخها والتخطيط الحضريّ فيها، لكي نسبر غور المكان وتأثيره على ظهورها واستمرارها ونهايتها.

وفي الفصل الثالث نوضح موجزاً للتاريخ السومري بمراحله الخمس بدءاً من مرحلة الأصول التي تناقشها نظريات كثيرة تدّعي هجرة الشعب السومري من خارج بلاد الرافدين. وسنوضح كيفية حركة هذا الشعب الرافديني من قرى (سومارتو) التي هي ثقافة سامراء النيوليتية إلى جنوب وادي الرافدين بسبب قلة الأمطار هناك والبحث عن مياه وأرضٍ أكثر خصباً.

وفي الفصل الرابع نناقش مفصَّلا المظهر السياسي من حضارته وكيفية الحكم والإدارة وابتكاره لنظام دولة المدينة ثم تطور هذا النظام إلى نظام الدولة الواحدة على يد إياننتم ثم لوكال زاكيزي ثم نشوء الإمبراطورية السومرية مع سلالة أور الثالثة التي ورثت الإمبراطورية الأكدية. وسنناقش أيضاً الهيكل السياسي للحكومة والدولة والعلاقات الخارجية والقوانين السومرية التي أسست لشرائع العالم بعدالتها ونظرتها الإنسانية العميقة التي لا نجد لها مثيلاً في أغلب دول العالم اليوم...

الفصل الخامس يبحث في المظهر العسكريّ والجيش السومري ومكوناته وأسلحته ليناقش، من خلاله، معادلة الحرب والسلام في الحضارة السومرية وكيف بدأت بتعايش سلمي بين جميع المدن السومرية وبين مدن وشعوب الساميين المحيطين بها، ثم بدأت تميل كفة الحروب، تدريجيًّا، حتى تداعت الحضارة السومرية تحت ضربات جيرانها العيلاميين والأموريين، وفي ظل توسعها الجغرافي خارج بلاد النهرين. ثم يضع ترادفاً بين السلام والتربية والتعليم الذي هو علامة التحضر.

الفصل السادس كان للمظهر الاجتماعي حيث التعرف على الميزات الأساسية للمجتمع السومري وسايكولوجيته التي تلعب دوراً مهمًّا في نشأة حضارته، متناولين طبقاته الاجتماعية والفوارق بينها، والبيت والأسرة السومرية ومكانة المرأة والطفل وطرق الزواج، والنشاطات الاجتماعية مثل تبادل الهدايا والألعاب والرياضة والزينة والنظافة والحب والجنس في سومر، والخمر الذي كان يُشرب مع وجبات الطعام وفي الحفلات الخاصة والعامة، والمطبخ والحدائق في سومر، ثم تتبعنا الحياة اليومية للفرد السومري منذ استيقاظه صباحاً حتى نومه ليلاً.

في الفصل السابع تناولنا الاقتصاد السومري الذي كان يغلب عليه الطابع الزراعي وحياة الفلاحين وأنواع الأراضي الزراعية وملكيتها للمعبد والقصر وللفلاحين وأدوات الزراعة والحراثة والحصاد والخزن والمحاصيل والثروة الحيوانية، وأول تقويم زراعي ظهر في مدينة نيبور، ثم تناولنا الريّ وهندسته في سومر. وكان للصناعات والحرف وللتجارة مكانتها الكبيرة في سومر وللواردات والصادرات والتجارة الخارجية، وتعرفنا على العملة السومرية التي أهمل الكثيرون البحث فيها رغم وجودها الساطع فهي أصل الشيقل والمنّ.

في الفصل الثامن تناولنا المتلازمات التي صنعت الحضارة وهي التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل وكيف تضافرت بقيادة نخب وأمراءٍ وملوكٍ لتصنع كل هذا المدى من المنجزات المبكرة للشعب السومري.

وفي الفصل التاسع تناولنا الديانة السومرية بكل مكوناتها الرئيسة والثانوية وتحرينا عن المكونات الأساسية للدين وهي المعتقدات الدينية، ثم الأساطير السومرية التي هي بذرة أساطير العالم القديم ثم الطقوس والشعائر والآخرويات ثم المكونات الثانوية للدين وهي الأخلاق والشرائع والسرديات المقدسة لأعلام سومر والجماعة الدينية والباطنيات والأسرار.

وكان الفصل العاشر ثريًّا حيث ناقشنا المظهر الثقافي عبر اللغة السومرية والكتابة المسمارية التي ابتكروها، ثم تطرقنا إلى الأدب السومري وعملنا على تصنيفه حسب أسماء أنواعه وأجناسه في اللغة السومرية، وتناولنا نماذج منه.

في الفصل الحادي عشر تطرقنا إلى العلوم السومرية بأصنافها الثلاثة، ففي العلوم الصرفة تناولنا (الرياضيات، والمترولوجي أو المقاييس، والتخطيط الحضريّ والهندسة المعمارية، والفلك،

والكيمياء، والأحياء، والطب). أما العلوم الإنسانية فرصدنا (التاريخ، والجغرافيا، والتربية)، وهناك العلوم السريّة التي كانت تعتمد على السحر والغيب وهي: (السحر، والعرافة، والتنجيم، وتفسير الأحلام، وعلوم الأسرار). ولعلّ هذه العلوم تشكل واحدة من أغنى الصفحات الحضارية الإنسانية المبكرة.

وخصصنا الفصل الثاني عشر للفنون السومرية التشكيلية كالعمارة والنحت والرسم والفنون التطبيقية وفنون الموسيقى والغناء والملابس والأزياء والأثاث والحليّ، وناقشنا فرضية المسرح السومري الذي رأيناه جزءاً من الطقوس الدينية وليس مسرحاً بالمعنى المعروف.

وفي الختام أفردنا الفصل الثالث عشر لتفحص المظهر الأخلاقي الذي يعدّ بمثابة ميزان أيّ حضارةٍ، ثم ناقشنا معايير تقييم الحضارة السومرية عبر مظاهرها السابقة وانشدادها بين قطبي النمو والتدمير الذي زحف باتجاه نهايتها لأسباب داخلية وخارجية، ووصفنا دورتها الحضارية وجوهرها وتقييمها وماذا قدمت للبشرية. وفي النهاية وضعنا سرداً موجزاً للمنجزات المتفردة التي صنعتها الحضارة السومرية والتي لم تسبقها أيّ حضارة أو ثقافة بصنعها.

التقسيم الذي قدمناه في هذا الكتاب لعناصر أو مظاهر أو مكونات الحضارة يعتمد على تقسيمنا لها إلى صنفين رئيسين هما المكونات المادية والمكونات الثقافية أو الفكرية، وبينهما المكون الأخلاقي الذي يوازن بينهما، وهو منهج اجتهدنا في نحته وفرز تفاصيله بدقة، وسيكون مرشدنا لتأليف كتب الحضارات الأخرى. وقد كان منهج بحثنا يعتمد على ما يعرف بمنهج (التاريخ الجديد) الذي شكّل انعطافة كبيرة في علمي التاريخ والحضارة حيث مزجا بعضهما مع بعض وركزّ على الجوانب الأنثروبولوجية والأركيولوجية وعلى حياة الناس وعلى مختلف مظاهر وتفاصيل حياتهم.

هذا الكتاب هو السابع، في مؤلفاتنا، عن سومر وحضارتها بعد كتبنا السابقة (حكايات سومرية، وإنجيل سومر، والدين السومري، ومتون سومر، وأصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر، وأنبياء سومريون) والتي نرى أنها تستحق المزيد من الكتب المتخصصة بسبب فرادتها وبكوريتها.

وهو الكتاب السادس في سلسلة كتبنا عن تاريخ الحضارات، وهو اليوم بطبعته الجديدة المنقحة والمزيدة يقدم إضافات كثيرة جديدة، فقد مضت ثلاث سنوات على صدور الطبعة الأولى

وعلى كتابة هذه المقدمة التي أعدنا كتابتها الآن، بسبب ما أضفناه لها وزيادة وإعادة تبويب فصول الكتاب.

د. خزعل الماجدي

باحث في علوم وتأريخ الحضارات والأديان والأساطير

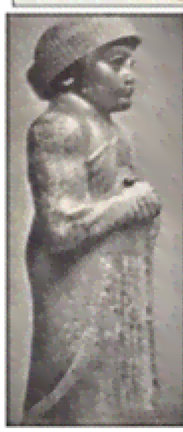
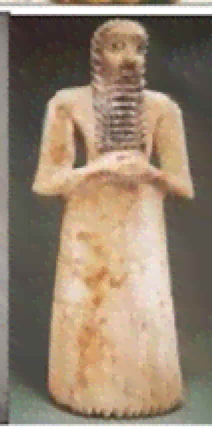
a_khazal@hotmail. com

30/ 8/2019

الفصل الأول

سومر وعلم السومريات



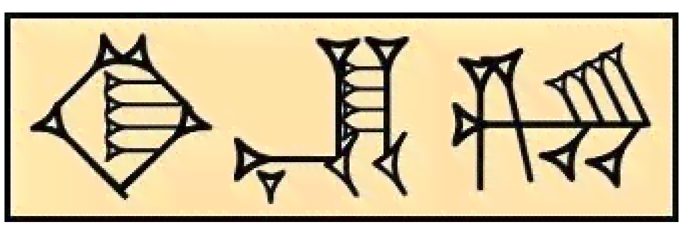



المبحث الأول: ما هي سومر؟

سومر هي البلاد التي نشأت فيها أول حضارة تاريخية فصلت بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية التي بدأت بها، بسبب اختراعها للكتابة أولاً، وبسبب منجزاتها الحضارية في كل مظاهر الحضارة ثانياً، فهي بذرة حضارات العالم القديم وهي حضارة وادي الرافدين الأولى وتقع في جنوب العراق في نشأتها الأولى عبر مدن مستقلة يسودها شعب طموح ومثابر هو الشعب السومري.

أسماء سومر:

الاسم السومري لسومر هو: كي – إن – جي (كيئنجي en- gi -ke) وتعني أرض سيد القصب، وبعضهم يرى أنها تعني (أرض المستوطن). الاسم المصريّ لهم (سنجار Sangar)، والعبريّ (شنعار Shinar) الذي نرى أنه لا يدل على سومر، بل على اسم آخر هو (سونارتو أو سونار) وهي ثقافة رافدينية سبقت سومر.



ki-en-gi (Sumer)

سومر: كلمة مأخوذة من الكلمة الأكدية (شوميرو Sumeru) التي كان الأكديون يطلقونها على بلاد سومر، ولا يعرف معناها بالضبط.

يرى بعض المؤلفين أنه «في اللغة السومرية تعني كلمات سوبر: شمال، عيلام: شرق، أمورو: غرب، سومر: جنوب، ولذلك فإن الناس من الجنوب يسمون بالسومريين) (G-d 2010: 30).

لنا رأي خاص حول معنى اسم سومر يرى أنه مكون من مقطعين (سوم- إر) أي (السماء- الأرض) وهو يعني بدقةٍ المكان الذي يربط السماء بالأرض، وربما يشير هذا إلى (السرّة) حيث ترد هذه الفكرة في الأساطير السومرية عن سومر (وتحديداً عن عاصمتها الدينية نيبور) على أنها سرّة الأرض. ويتطابق هذا الرأي مع المعنى الحرفي لاسمها السومري حيث (كي)هي الأرض، وإين هي السيد أو الإله ويقترب من السماء، وبذلك يكون اسمها الأرض – السماء.

ويمكن أن تكون كلمة سومر قد أتت من مقطعين هما (سو – مار) والتي تعني حرفيًّا (ماء – أم) أي أم الماء، علماً بأن مقطع (مار) كان يستعمل للدلالة أيضاً على الإله الأموريّ (مر) إله الأرض وبذلك يتشكل معنى آخر من اسمها وهو (أرض الماء).

ظهر الاسم (كي أن جي ke- en- gi) على الألواح الطينية، للمرة الأولى، في كتابة تعود إلى ملك أوروك إنساكوزانا (Ensakusanna) بحدود 2450 ق. م وكان هذا الاسم يطلق على المنطقة المحيطة بمدينة نيبور (نفّر العباسية وعفك الحالية - الديوانية) ثم بدأ يطلق على مجمل القسم الجنوبي من وادي الرافدين، أي إن اسم سومر، في البداية، كان هو اسم مدينة نيبور.

وكان أول من تلقّب بـ (ملك سومر وأكد) أحد ملوك الوركاء وهو الملك (إين. شا. كوش. آن. نا) الذي حكم في حدود 2450 ق. م.

السومريون كشعب اسمهم عند السومريين أنفسهم هو: ساج – جج – جا sag-gig-ga، أو أونوج سانجّجا «ung sang gig-ga» أي (ذوي الرؤوس السود)، والمقابل الأكدي لهذا المصطلح هو صلمات ققادي Qaqqadi Salmat والمقصود بها أن أصحاب الشعر الأسود، والحقيقة أن الشعر الأسود ليس من صفة السومريين فقط، فمعظم الشعوب الشرقية شعرها أسود، ولكن المقصود بهذا، كما نرى، الطرّة السوداء من الشعر المقصوص حزناً على الإله السومري دموزي الذي كان يميز السومريين عن غيرهم. وهناك أسماء أخرى يمكننا إجمالها، مع الأسماء السابقة، في هذا الجدول المفصّل:

هوية الاسم	لفظه وكتابته	شرح معناه

الاسم السومري لسومر	كي- إن – جي ke- en- gi	أرض أحراش القصب، أرض الملوك المتحضرين
الاسم السومري للسومريين	ساج – جج - جا sag-gig-ga أونوج سانجّجا sang gig-ga ung	ذوو الرؤوس السود
الاسم الأكدي لسومر	Sumeru شوميرو	غير معروف المعنى، وربما يشير إلى اتجاه الجنوب
الاسم الأكدي للسومريين	صلمات ققِّدم Salmat qaqqdim	ترجمة أكدية لمقطع سود الرؤوس (ساج – جج)
الاسم الآشوري لسومر	كور - إيمي - كو Kur-Eme -Ku	في الألف الأول قبل الميلاد استبدل الآشوريون مقاطع اسم السومريين كي – إن – جي بهذه المقاطع الرمزية.
الاسم المصري	سنجر، سنجار، سنجارا Singara ،Sngr، Sinjar سنخار، سنهار Sankhar ،Sanhar	ذكره تحوتمس الثالث (في القرن الـ15 ق. م) ذكرت في كتابات تل العمارنة (في القرن الـ14 ق. م)
الاسم الحيثي	Šanhar شانهار	إشارة إلى جنوب بلاد النهرين (شا – نهار)
الاسم العبري	Shinar شنعار	أصله حيثي وربما يعود لتصحيف كلمتين عبريتين هما (شين نهروت)، أي (نهرين)، أو (شين أريم) أي (مدينتين)، ونرى أنه قد يشير إلى

		شعب سونارتو الذي سكن في أريدو قبل ظهور سومر وليس لسومر.
الاسم الإغريقي	سنجارا، سنجار Singara, Sinjar	اسم مدينة في شمال العراق قرب نهر الخابور ولا علاقة له بسومر أو بالاسم المصريّ لسومر.

وسومر هي أرضٌ في جنوب العراق تبدأ حدودها الأولى العليا من مناطق بابل (قبل أن تظهر بابل للوجود) وحتى شواطئ الخليج العربي، ومن جبال زاجروس شرقاً حتى الصحراء العراقية غرب الفرات، وتشملُ مناطق الأهوار. وهناك مدن سومرية ظهرت في ديالى وشمال بغداد الحالية.

وقد شغلت سومر هذه المساحة المحدودة من أراضي السهل الرسوبي منذ 4500 ق.م عندما قدم السومريون من مناطق سامراء الحالية وتعايشوا مع ساكني هذه المناطق من أهل ثقافة أريدو والعُبيد الذين بنوا وأسسوا أغلب هذه المدن، فتحولت تدريجيًّا إلى مدنٍ سومرية شغلها الشعب السومري المتحفز باتجاه طاقة حضارية جديدة، سرعان ما ظهرت ثمارها مع اقتراب نهاية العصر الحجريّ النحاسي (الكالكوليت). فهم شعب كالكوليتي في استيطانه لجنوب العراق رغم جذوره الحجرية الحديثة (نيوليت) المنحدرة من ثقافة سامراء بشكل خاص.

تاريخ سومر يبدأ من جذورها العميقة في الألف السادس قبل الميلاد، لكن حضارتها المميزة تبدأ من ثقافة أوروك الأولى والثانية، ثم جمدت نصر وصولاً إلى عصر فجر السلالات.

الدراسات الأنثروبولوجية والعرقية أثبتت أن السومريين يعودون، في أغلبهم، للجنس المتوسطي، فجماجم السومريين التي اكتشفها الأستاذ فؤاد سفر في مقابر أريدو (بحدود 1000 جمجمة) وبعض من جماجم عراقيي الأهوار، الاستنتاج أنّ كلا النوعين من الجمجمتين تنتمي إلى جماجم إنسان شرق المتوسط (برايكسيفالي).

كذلك أظهرت النتائج أنّ قليلاً من الجماجم للمعاصرين من الأهوار (بحدود 5%) تنتمي إلى جماجم إنسان أواسط آسيا (حوض السند) وشرق أفريقيا والتي ربما تثبت أنّ القليل جدًّا من سكان

الأهوار ينتمون إلى بعض أسلافهم الذين تمّ جلبهم إلى العراق بداعي السخرة أيام الدولة العباسية مثل أقوام الزط. ويتطابق هذا مع ما توصلت له الدراسات الجينية لسكان الأهوار في جنوب العراق والذين ظهروا من الجنس المتوسطي في غالبيتهم العظمى.

المبحث الثاني: فرضيات أصل السومريين

The sumerian problem

شغلت قضية أصل السومرين والبحث عن موطنهم الأول بال المؤرخين والمهتمين بأصل الشعوب والإثنيات، وافترض أغلبهم هجرتهم إلى وادي الرافدين من خارجه، ولذلك حاولوا تحديد الجهة التي نزحوا منها بخليط من تفسيرات خاصة لبعض آثارهم ولغاتهم يضاف إليها الاستنتاجات العقلية والذهنية الخاصة بهم، ويعد هذا الموضوع من القضايا المهمة التي يُختلف عليها بشكل واضح جدًّا، حتى باتت تعرف عندهم بـ(القضية السومرية) أو (المشكلة السومرية).

هناك حوالي 22 فرضية، شرحنا عشراً منها في كتابنا (متون سومر) ونضيف مجموعة جديدة لها هنا، تدّعي كلها، باستثناء واحدة نطورها ونتبناها نحن، أنّ السومريين قدموا من خارج وادي الرافدين، وهي فرضيات ضعيفة الحجة والإثباتات الآثارية كما سنرى، وهي كما يلي بإيجاز شديد:

أولاً: فرضيات الأصول الآسيوية

1. الأصل الروسي:

طور عالم اللغة المعاصر الروسي غينادي يغوروف فرضية تقول بأن شعب التشوفاش، الذي يقطن حاليًّا غرب نهر الفولغا، هو من السومريين.

وكانت هناك فرضيات تقوم على اللغة أفادت بأن أصل التشوفاش ينحدر من غرب آسيا. ووضع اللغوي السوفيتي نيقولاي مار، في ثلاثينيات القرن الماضي، فرضية تفيد بأن كلمة «تشفش» أو «سفش» قريبة لغويًّا من أصل كلمة سومر.

ولاحظ يغوروف تشابهاً واضحاً بين لغتي تشوفاش وسومر، وقال إن بعض المجموعات من سومر تسللت في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي مروراً بمنطقة البحر المتوسط والأناضول إلى أراضي رومانيا المعاصرة، حيث ما زالت تكتب بالخط المسماري، ثم هاجرت مجموعة منهم إلى القوقاز. واتجهت مجموعة أخرى نحو الشمال لتستوطن منطقة نهري الفولغا وكاما.

وحاول يغوروف إثبات أنّ لغة تشوفاش هي لغة السومريين نفسها، لم تطرأ عليها تغيرات جذرية ولا علاقة لها باللغة التركية كما يعتقد البعض. وبحسب يغوروف فإن شعب تشوفاش أتوا إلى المنطقة بحضارة راقية وأسسوا هناك دولة البلغار التي ظلت مزدهرة حتى الاحتلال المغولي.

وجاء اهتمام العلماء بالتشوفاش بنتائج ربط بينه وبين البلغار الذين سيقولون بالأصل البلغاري للسومريين فيما بعد، حيث أشاروا إلى أنّ أبناءه هم أوائل الذين استوطنوا منطقة نهري الفولغا وكاما، قبل أن يستوطنها التتر القدامى، وأنشؤوا هناك دولة بلغار الفولغا.

ويعود هذا بنا إلى موضوع كنا قد كتبنا عنه في كتابنا حضارات ما قبل التاريخ حول ثقافة (سامرا) الروسية وما يتعلق بها، والتي ظهرت في بداية الألف الخامس وهي ثقافة نيوليتية – كالكوليتية. Samara culture 5000 - 4000 BC.

ظهرت في أواخر العصر الحجريّ الحديث، كانت هناك ثقافة أورلوفكا في حوض فولغا السهوب، وثقافة دون السفلى في الجنوب الغربي، وثقافة سامارا في شرق حوض الفولغا، وثقافة فورونيج دون بين منطقتي فولغا ودون. كانت هذه الثقافات الأربع مرتبطة بعضها ببعض، والبعض يجمعها في منطقة ماريوبول الثقافية التاريخية، مع أوجه التشابه بين ثقافتهم المادية التي تشير إلى هجرة بشرية. 5200-5150 قبل الميلاد إلى الشمال من منطقة السهوب دون إلى أودية الدون وميدفيديتا وفولغا، ووصلت إلى حوض فورونيج.

وفقاً لفرضية كورغان، تُعتبر ثقافة سامارا ووارثاتها - ثقافات خفالينسك (5000-4000 قبل الميلاد) وثقافات يمنا من أسلاف الهندو الأوروبيين. تحتوي مقابرها على رفات من شخص إلى ثلاثة أشخاص. كانت بعض القبور مغطاة بحجر أو بارو صغير، وهو نموذج أولي من تل الدفن (والذي ربما اشتق منه أحد الأشكال المعمارية الرئيسة - ستوبا ثم الباغودا لاحقاً). بعد ذلك،

كان تل الدفن يمثل تلّاً حقيقيّاً، ويمكن لرئيس المدفون أن يصعد إلى آلهة السماء منه، تمّ العثور على هذه الثقافة في عام 1973 خلال الحفريات بالقرب من قرية ezheye’S. ثم تمّ العثور على العديد من المستوطنات في وقت لاحق. في وقت لاحق تسمى ثقافات متجانسة من نمط الثقافة نفسه سامرا، التي ثقافة العصر الحجريّ النحاسي المبكر في هذه المنطقة.

إن هذا الغنى في الثقافات الروسية الحجرية الحديثة والنحاسية واسم سامرا، يدفع اليوم الكثير من الباحثين لتقصي جذور السومريين فيها، خصوصاً أولئك الذين يعتمدون على علم الآثار الجيني واستخدام الخرائط والتتبعات الجينية لأصول الشعوب.



موقع ثقافة سامرا على نهر الفولغا

2. الأصل القوقازي (القفقاسي):

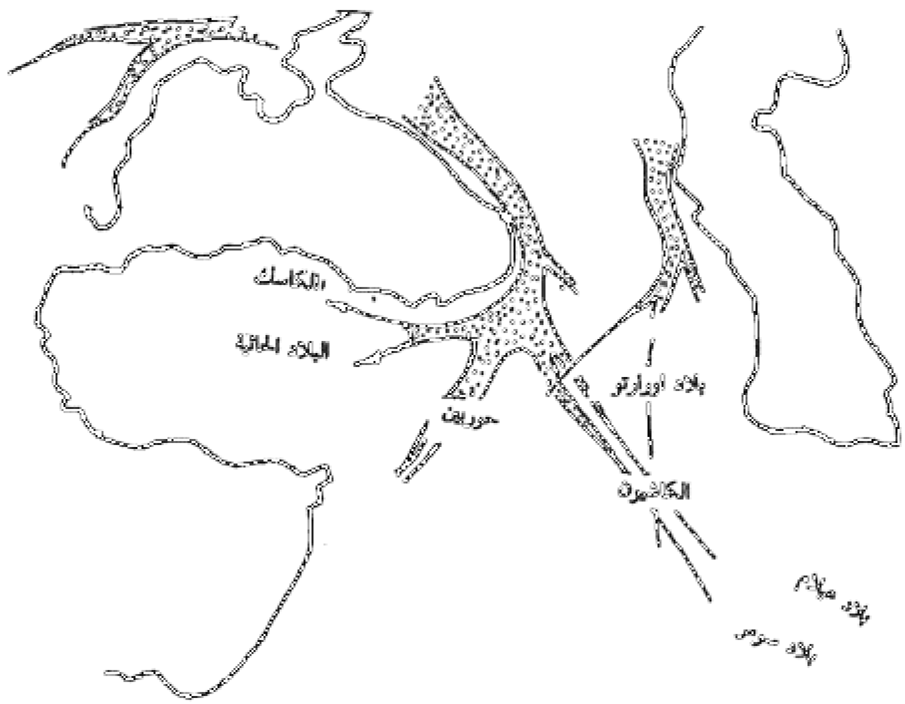
يرى برزج سمكوغ في كتابه (الشركس في فجر التاريخ)، أنّ السومريين كانوا أحد الشعوب القوقازية، وخلاصة نظريته ترى أنّ «أسرة الشعوب القفقاسية التي استوطنت مناطق من جنوب أوروبا وقفقاسيا وبعض أجزاء من آسيا الغربية (آسيا الصغرى – شمال إيران والمنحدرات الزاغروسية حتى الخليج العربي ونقاط التماس الشمالية للقوس الحضاريّ وجنوب العراق وبعض مناطق في بلاد الشام، وأن تحسن المناخ وملاءمته وتوفر التهطال المطريّ المناسب أكثر من 300 ملم مطر، ثم توفر الغطاء النباتي والحيواني المناسب والنجود والأنهار ومصاطبها الحقلية في مواطن هذه الأسرة من الشعوب أمكنها أن تستمر في بناء حضارة الإنسان دون انقطاعٍ، وقامت

ببلوغ ثورتي النيوليت أي الوصول إلى حياة الإنتاج الزراعي الحيواني وبناء المدن المزدهرة ووضع أسس الميتولوجيا الدينية (عبادة آلهة الطبيعة) وسائر العلوم الحقوقية الفلكية والعمارة والري، وبرعت في الصناعة والصياغة المعدنية، وقد توفرت خاماتها في مواطنهم، وأخيراً تمكنت من الوصول إلى فجر التاريخ باختراعها الكتابة الصورية المقطعية (المسمارية في سومر- الميخية في عيلام – القبادوكية الهيروغليفية الحاثية في الأناضول – الآشورية الصورية الكوبانية – الصوتية والكريتيه في كريت» (سمكوغ 1995: 58).

وتبدو الصورة التي يرسمها سمكوغ مقنعة لكنها بحاجة لآثار تدلّ عليها. ولا يكفي القول بمقطعية اللغة القوقازية وجعل السومرية ضمنها، لأن اللغات التركية مقطعية كذلك، ولكنها في وسط آسيا وليس في شمالها. ويرى سمكوغ أنّ الشراكسة الحاليين، وهم من القوقازيين، ينحدرون بأصولهم من السومريين، والشراكسة يتكلمون بلغة مقطعية إلصاقية كما اللغة السومرية في وصفها العام.



القفقاس الشمالي في قمة المنطقة الحضارية لعصور ما قبل التاريخ



اتجاهات الاستيطان المبكر وهجرات الشعوب القفقاسية في النيوليت وما بعده

3. الأصل الأرميني:

يرى بعض العلماء والمختصين الأرمن بأن السومريين هاجروا من مرتفعات أرمينيا، جنوب القوقاز، ويرون أنّ تلميحات النصوص السومرية حول بدايات خلق الإنسان وأصولهم تشير إلى المرتفعات الجبلية، ويفسرون ذلك بأن جبال أرمينية (أراتّا)هي المقصودة، وقد ورد ذكر هذه الجبال في بعض نصوص الملاحم السومرية لأبطال أوروك الذين وصلوا إليها مثل أينمركار ولوكَال بندا وجبل هرّم. وأن أرمينيا كانت موطن الآريين القدماء أيضاً. وأن جبل أرارات كان مرسى سفينة نوح كما تذكر التوراة ذلك... إلخ.

ولكي يعززوا نظريتهم هذه أتوا بشواهد من لغتهم تصل إلى بضع مئات من الكلمات السومرية التي ما زالت موجودة في اللغة الأرمينية.

وتظهر هذه النظرية واضحة بضعفها لأن ما ذكروه ليست دلائل مهمة وقد تصح فرضياتها على شعوب مناطق أخرى دون القطع بها.

4. الأصل الأناضولي:

ترى هذه النظرية أنّ السومريين هاجروا من (كايونو تبيسي Tepesi Çayönü) أو (شايونو) أو (جايونو)، وهي منطقة أثرية قديمة جنوب شرق تركيا على حافة جبال طوروس على الساحل الشمالي لنهر «بوجاشاي» أحد منابع نهر دجلة بالقرب من قرية هيلار.

يرجع تاريخها بين (8500 - 6500) قبل الميلاد، وكانت في منطقة تشيع فيها الغابات وربما كان أهلها قد نزحوا إلى وادي الرافدين بسبب نقص الغذاء أو كثرة السكان حيث حملوا معهم القمح والشعير، الذي دجّنوه من قمح وشعير بريّين، واستنبتوه في وادي الرافدين. ومن آثار تلك المنطقة أدوات حجرية لطحن حبوب الحنطة تتكون من وعاءٍ وأداة للهرس والطحن تشبه القضيب. وعثر فيها على «مبنى الجماجم» الذي يتكون من غرفٍ صغيرة تحت الأرض مغطاة بألواح حجرية، تحتوي على بقايا عظام لعدة مئات من الناس وجماجم مرصوصة على الرفوف. كما وجد في المبنى نفسه قطعة حجرية كبيرة مستوية السطح أفقية كانت موضوعة للتضحية.

وما زال العلماء يعملون على كشف المزيد من الحقائق عن هذا الموقع المهم، ومنهم العالم (كزيو ماكاوا) من جامعه كيوتو وغيره.

القرائن الإثنية والثقافية ما زالت قليلة ولا تسمح بالجزم في موضوع الأصل الأناضولي للسومريين.



الهلال الخصيب في عصر النيوليث (حوالي الألف الثامن ق. م)

المربعات تشير إلى المواقع الأثرية المكتشفة المهمة، ومنها جايونو وكوبكلي تبه

5. الأصل الطوراني من وسط آسيا:

كانت جبال طوران في أواسط آسيا والمناطق المحيطة بها مثار اهتمام عند الباحثين الذين ذهبوا إلى أنها أصل هجرات الكثير من الشعوب التي تتكلم لغة إلصاقية، مثل التركية والهنغارية والفنلندية وسكان سيبيريا وغيرها، ولفت انتباههم أنّ السومريين يهتمون بأصلهم الجبلي ويملكون لغة إلصاقية مثل هذه الأقوام، ولذلك بدؤوا بتشكيل نظريتهم حول أصل السومريين من جبل طوران في وسط آسيا.

قام بعض الباحثين بمقارنة اللغة السومرية بالكثير من اللغات الملصقة الأخرى مثل التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقازية، وركزوا على اللغة الطورانية القديمة، حيث قام رولنسن في وقت مبكر بإثارة مثل هذا الرأي، ثم تبعه المؤرخ يوليوس أوبرت (حوالي 1869)، وكان أمر اكتشاف اللغة السومرية ما زال في بدايته، وهو أول من اكتشف اللغة السومرية وقال بوجود شعب

اسمه الشعب السومري، ثم جاء فرنسوا شارل لونرمان (1837 - 1883م) هو عالم فرنسي في الآشوريات وعلم الآثار، وله حوالي خمسين كتاباً ورسالة، من أهمها «تاريخ أمم الشرق القديمة» في تسعة مجلدات. وأثبت أنّ السومرية هي الأقرب إلى الفنلندية (الأوغرية) والتي هي فرع من المجموعة (الطورانية).

المؤرخ ساندر كيسوين (1887) توصل وبشكل لا لبس فيه إلى صلة السومرية بالهنغارية. وكذلك كيولا فرانجي (1897) الذي أكد بأن السومريين كانوا من الطورانيين القدماء وأن لغتهم كانت قريبة من الهنغاريين. ثم قام أد سوموجي (1903) المتخصص في السومرية بعرض نماذج من القواعد والألفاظ والمفردات اللغوية المشتركة، وبقاموس مفصل أثبت فيه بأن السومرية كانت لغة من مجموعة الأورال- الآلطاي وكانت الأقرب إلى الهنغارية.

أما المؤرخ (أد ماهلر) في حدود 1906 فقد وضع نظرية إثنية تثبت أنّ السومريين، من الناحية العرقية، كانوا الأقرب إلى الطورانيين واعتبرهم من أحد الفروع القديمة للشعوب التركية.

(زيكموند فاركا 1942) أستاذ اللغات الشرقية استند على المقارنات اللغوية وأضاف إليها المقارنات الدينية والمراسيم الجنائزية والمعتقدات الشائعة أيضاً، وأظهر بأن اللغة السومرية قريبة من اللغات الهنغارية والأوكريانية-الفنلندية والتركية-التترية وأن هناك صلات بين السومريين وشعوب الأورال - الآلطاي.

إيدا بوبولا فقد كتبت مقالات عديدة وحددت فيها الكثير من المفردات الهنغارية الأساسية التي اشتقت من السومرية. وكذلك وجدت الكثير من أوجه التشابه بين السومرية والهنغارية. كذلك حددت الكثير من الصلات والقرابة بين الديانات والأساطير والطقوس الجنائزية والمفاهيم الفلكية السومرية والهنغارية، وفي النهاية توصلت إلى النتيجة القائلة بأن الهنغاريين ينحدرون مباشرة من الأصول السومرية.

(ساندر ناكي) حلل الكثير من أسماء المناطق والألقاب الحكومية والوظيفية الهنغارية في وثائق العصور الوسطى والتي تعتبر من أصول سومرية. واللغوي أندرياس زاكار استخدم منهج الكلوتوكرونولوجي وهو منهج يستخدم لدراسة المفردات المشتركة بين لغتين، وتوصل إلى أنّ 55

من 100 كلمة أساسية في الهنغارية، والتي جمعت في قائمة البروفيسور هايمس، كانت سومرية و9 منها كانت مشتقة من الأكدية.

البروفيسور بادين جوست والخبير في السومريات دافع وبقوة عن اقتراحه في بحث «مطابقة العرق واللغة الهنغارية - السومرية» في المؤتمر العالمي التاسع والعشرين للمستشرقين في باريس. وقد أكد كل من الباحثين المتخصصين كيزا ناكي وأد ماهلر وجوناس كالكوجي في مقالاتهم التي نشرت في حوليات الأنثروغرافيا الهنغارية بأن اللغة والثقافة السومرية لها التأثير الكبير على أصول الماكَياريين (المجريين) اعتمدوا على نوع اللغة السومرية الملصقة والمتكونة من مقاطع غير قابلة للتصريف مثل اللغــات الآريــة أو الســامية، ولها جذور لا تتغير ووحدتها القواعدية الأســاسية هي المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة.

صرح (صموليل نوح كريمر) عن احتمال كون اللغة السومرية تنتمي إلى هذا النمط، إلّا أنّ طه باقر، الذي لمّح إلى ذلك أيضاً في مقدمته، حسم هذا الموضوع برأي علمي عندما قال: «ومع أنّ أسلوب الإلصاق مستعمل في جملة لغات بشرية ملصقة قديمة وحديثة مثل اللغة العيلامية ولغات عائلة (الأورال – آلطاي) كالمغولية والتركية والمجرية، ولغات أخرى مثل البولينيزية والباسكية وبعض اللغات القوقاسية مثل الجورجية. بيد أنه يمكن القول إن اللغة السومرية لا تمتّ بصلة قربى إلى أيّ من هذه اللغات الملصقة. ولعل أقرب فرضية لتعليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية انقرضت في أزمان بعيدة عن عصور ما قبل التاريخ ولم يبقَ منها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين، وكانت أقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة. (باقر 2009: 77).

6. الأصل الصيني:

يرى البعض من الباحثين أنّ السومريين قدموا من هضاب ومرتفعات أواسط آسيا، وأنهم سلكوا طريقاً باتجاه ايران جنوباً حتى استقروا في جنوب العراق. ودليلهم على المسلك الإيراني هذا تشابه فخار العبيد الملون في العراق وإيران (وهذا بالطبع لا يدل على ما ذهبوا إليه، بل يدل على انتشار فخار العبيد باتجاه إيران).

وقد ذهب الباحثان (بالي ولت) إلى مذهب أبعد، فقد استدلّا من خلال بحثهما الدقيق في الكتابتين الصينية والسومرية في كتابهما (الصينيون والسومريون) إلى أنّ هناك تشابهاً صارخاً بين المراحل الصورية الأولى من الكتابة الصورية المسماوية (التي اخترعها السومريون) والمراحل الأولى من الكتابة الصينية القديمة (الكو. ون) ووضعا معجماً صينيًّا سومريًّا مقارناً للكثير من الكلمات المشتركة في معانيها وأصواتها، واستنتجوا أنّ أسلاف الصينيين والسومريين جاؤوا من أصول جبلية في وسط آسيا منحدرين باتجاهين، أحدهما ذهب إلى الصين والآخر اخترق إيران واستقر في جنوب العراق. وكان كلّ منهما يحتفظ بأصول الكتابة البدائية لأسلافهما مع تصويتاتها المشتركة (انظر bali, litt 1913:introduction).

7. الأصل الإيراني وجبال زاغروس:

لاحظ بعض الباحثين أنّ السومريين يستعملون في كتابتهم ولغتهم رمزاً واحداً لمدلولين هما الجبل والوطن (البلد)... وهو كور (kur). ورأوا أنّ في ذلك ما يدل على أنهم يعنون بأن وطنهم هو الجبل، ووضعوا احتمالاً لأقرب الجبال المحاذية لجنوب وادي الرافدين وهي جبال زاغروس، وقد عزز هذا الرأي أنّ السومريين لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية مثل البيوت والقصور، بل على أرض مرتفعة ووضعوا مصطبات بنيت عليها هذه المعابد على شكل زقورات تشبة في شكلها الجبال العالية، وجعلهم هذا يربطون بين المعبد كمكان مقدس وبين الوطن كمكان مقدس قدموا منه، وأن هذا المكان هو الجبال الإيرانية شرق سومر. وازداد تعزيز هذا الرأي ما وجد في الأختام السومرية الأسطوانية من رسوم الأشجار وحيوانات جبلية مثل (السرو والأرز والوعل والماعز الجبليين من ذوي القرون الطويلة).

الآثاريّ (هند كوك) يرى أنّ السومريين جاؤوا من بطائح عيلام، وأن السومريين والعيلاميين كانوا يتكلمون لغة غير سامية، وكلاهما ورث عن أجداد العيلاميين ثقافة واحدة مشتركة، وكلاهما استعمل الكتابة المسمارية. ثم ازداد هذا الرأي رسوخاً مع اكتشاف التشابه بين فخار العبيد في سومر مع فخار سوسة، الذي يحتوي على زخارف متشابكة، الذي يؤيده فرانك فورت ويرى أنّ الخزف مصدره من هناك، وأيده أحمد سوسة بسبب تقارب البيئة والحياة بين الشعبين. ولكن ظهور فخار أريدو السابق عليهما والذي شكل مصدرهما خفّف من هذه الحجة، ثم إن الزقورات كانت تنفيذاً لتصوير ميثولوجي لاهوتي عن جبل الكون الأول الذي ظهرت الآلهة على

قمته حسب اللاهوت السومري، وإنه لا يمكن الاعتماد على مفردة أو مفردتين للدلالة على أصل شعب له عشرات الآلاف من المفردات في لغته وكتابته.

8. الأصل السندي (هارابّا وموهنجو دارو):

بعد أن أعطت الاكتشافات المثيرة في حوض نهر السند (مناطق هارابـّا Harappa وموهنجو- دارو Daro – Mehenjo) صورة جديدة لأصول الحضارات القديمة في الهند، وجد بعض العلماء أنّ هناك تشابهاً كبيراً بين الأثار السومرية والهندية الثقافية والمادية والأختام التي تعود إلى حوالي (3000 – 2700 ق. م)، ومما زاد في ذلك، العثور في مدن سومرية مثل (أور، كيش، تل أسمر) على صفات الأختام المعروفة في وادي السند من حيث الشكل والأسلوب وصور المنحوتات المحفورة عليها كالثور ذي السنام فوق الرقبة والفيل والكركدن والتمساح. (انظر علي 1989: 27).

والنظرية التي تقول بوجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين أقوام هارابا ذات جاذبية خاصة لأولئك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية واللغة الدرافيدية، وهناك دلائل قوية على شكل طرز فنية وأشياء مادية خاصة بحضارة وجدت في المواقع الأخرى، ولعلاقات تجارية في الألف الثالث بين السومريين وأقوام وادي الهند أو بلوخستان. (انظر ساكز 1979: 53).

كانت حجة وجود اللازورد في الهند واستعماله في سومر في المصوغات الفنية، وحجة وجود نوع معين من الجاموس في المكانين، وحجة تشابه أشكال بعض الأختام (المثلثة بشكل خاص)، وحجة تشابه شكل وملامح الوجوه هي أهم الحجج التي اعتمدت عليها هذه النظرية.

دكتور هاري ريجونالد هال، أول منقب في مدينة أور السومرية ومسؤول قسم الآثار المصرية والآشورية في المتحف البريطاني، بأن السومريين كانوا «بالتأكيد هنود النوع، فشكل الوجه هو شكل الهنود الحاليين بلا شك، وأسلاف العرق الدرافيدي نفسه منذ آلاف السنين ذوي العرق الهندي عبروا بلاد فارس برًّا، وربما بحراً واستقروا في بلاد النهرين». (Hall 1913).

يرى الدكتور جون ألدر أنّ ملامح السومريين كانت «تشبة إلى حدّ كبير ملامح سكان أفغانستان وبلوشستان ووادي الهندوس، حتى أختامهم المثلثة الشكل كانت الأختام نفسها التي

اكتشفت في حفائر ذلك الوادي. أما حضارتهم وهندسة بناياتهم وفنونهم فكانت تشبه حضارة وفنون سكان شمال غرب الهند، وعلى ذلك نستطيع أن نقول إنه ربما أتى بعض من هؤلاء من جنوب إيران والبعض الآخر من شمال الهند عن طريق البحر واستقر بهم المقام هناك. ولقد عرفت هذة الأرض في ما بعد أرض سومر». (الندوي د. ت: 8).

وهكذا تعتمد هذه النظرية على مجموعة أفكار سنذكرها مع ذكر رأينا بها:

أ. شكل الوجوه والملامح... وهي حجة ضعيفة جدًّا لأن شعوباً كثيرة يتشابه أفرادها رغم عدم وجود صلات إثنية بها.

ب. تشابه الآثار والأختام والرسومات سببه قدم آثار سومر قياساً لآثار السند وهي حقيقة معروفة.

ج. وجود الجاموس غير المنتج للحليب في كل من الهند والعراق لا يعني شيئاً مهمًّا لأن الحركة التجارية بين البلدين ظلّت نشطة على مدى التاريخ، والمهم دائماً هو قدم آثار الجاموس وليس تشابه وجوده هنا وهناك.

د. وجود الأحجار الكريمة واللازورد بشكل خاص في الآثار السومرية لا يعني مطلقاً أنّ أصلها هندي بسبب وجود خامات هذه الأحجار في الهند، فمن المعروف تماماً أنّ حركة نشطة من التجارة كانت بين البلدين وأن الأحجار الكريمة كانت أهم مادة يستوردها وادي الرافدين من الهند والسند.

9. الأصل الخليجي (دلمون):

من أساطير الكاهن البابلي اليوناني (برعوشا) ومن قائمة ملوك ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير إلى أنّ الرجل السمكة أوانيس Oannes الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة. وهذا يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة إنكي (إيا) والذي شكل الإله المحلي لمدينة أريدو، وهي أقدم مدينة في العالم وفي وادي الرافدين، كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الأربع الأخرى بنزوحٍ بشريٍّ متواصلٍ من البحر من الجنوب الشرقي فصاعداً حتى الخليج العربي. (انظر ساكز 1979: 52).

الدكتور جواد علي تبنى الفكرة وقال إنهم «جاؤوا إلى العراق من البحرين في حوالي السنة 2100 ق. م وقد عرفت البحرين باسم دلمون (تلمون) DILMON في نصوص السومريين، وقد كانت البحرين محطة مهمة ينزل فيها الناس في هجراتهم نحو الشمال». (علي 2006: 447).

أما النظرية التي تحمّس لها (جيوفري بيبي) على أساس أنّ ما عثر عليه في دلمون (البحرين) من آثار سومرية ومن آلاف القبور تشير بوضوح إلى أنّ دلمون كانت الموطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مروراً بجزيرة فيلكا ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضاً على أنّ السومريين كانوا يذكرون دلمون في أساطيرهم على أنها الجنة الخالدة وعلى أنّ الخالدين من البشر يسكنون فيها (زيوسدرا أو أوتو نابشتم في ملحمة كلكامش)، وأنها تذكّر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه. (انظر بيبي 1985).

ويتوسع مناصرو هذه النظرية أكثر من ذلك عندما يقررون أنّ حضارة مجان (مكان) في عُمان، وحضارة التاروت في الجزيرة العربية، وحضارات أم النار والباربار في دول الإمارات وقطر تشكل الخلفية الخليجية لحضارة دلمون، وأن هذه الحضارات مجتمعة كانت أصل السومريين وموطنهم الأول قبل أن يظهروا في وادي الرافدين.

ويبني الدكتور بهنام أبو الصوف فرضيته بطريقة أكثر تماسكاً حين يقول بأن مياه الخليج العربي كان مسكوناً في جزئه الأعلى، وحين ازدادت مياهه مع ذوبان الجليد على مدى قرون طويلة بعد نهاية العصر الجليدي الرابع و«مع تدفق المياه إلى سهل الخليج الذي أخذ يغرق تدريجيًّا، لم يكن أمام السكان إلّا النزوح والصعود إلى جنوب العراق. هذه المنطقة كانت مسكونة في ذلك الحين من قبل سكان العراق الأوائل المنحدرين من الشمال (الفراتيين) الذين كانوا قد حملوا معهم أثناء انتقالهم معارفهم العلمية في الزراعة والريّ عبر القنوات، كما نقلوا أفكارهم وأساطيرهم وملاحمهم ومعتقداتهم الدينية، كانت تلك المعارف متداولة شفاهيًّا، ولم يعرف سكان الدلتا في هذه المرحلة الكتابة والتدوين.

الأمر المهم الذي أودّ أن ألفت إليه النظر أنّ الهاربين من الخليج كانوا قد نقلوا معهم أيضاً ذكرياتهم والتي حمّلت داخل قصص مفعمة بالخيال والوجدان عن جنتهم وفردوسهم المفقود، وعن الطوفان الذي أغرق أرضهم، وعن الحكماء السبعة الذين أسسوا المدن، هذا التراث الفلكلوري

الملحمي الأسطوري، كان لا بدّ له أن يندمج ويتداخل مع التراث والمعارف التي كانت سائدة في منطقة الدلتا وبين سكانها الذين عرفوا إنانا وتموز... إلخ. هذا التداخل والاندماج بين التراثين هو الذي أنتج في النهاية ما بات يعرف بالتراث السومري أو الحضارة السومرية في جنوب العراق». (موقع الدكتور أبو الصوف: العراق في التاريخ، الاقتباس في 1/4/ 2019). http://www. iraqinhistory. com

والحقيقة أنّ أقدم آثار دلمون والأماكن التي ذكرت في الخليج العربي لا تسبق الآثار السومرية، بل تأتي بعدها، سواء كانت هذه الآثار تشكيلية أم عمرانية أم كتابية، وهو ما يؤكد أنها امتداد لتأثيرات سومر في محيطها ووصول السومريين إليها عن طريق التجارة والبحث عن المعادن والأحجار الثمينة فيها.

يعتمد رأي بيروسوس ومن معه على أهمية دلمون وقداستها عند السومريين والتي تعززها بعض الأساطير السومرية مثل أسطورة إنكي وننخرساك وملحمة كلكامش. ويرون أنّ أرض البحرين محطة عبر منها السومريون وهم في طريقهم بين موطنهم الأصلي ووادي الرافدين، وهذا ما يضعف النظرية إذ لا توجد مناطق جبلية سوى في سواحل الإمارات وعمان، وهي خالية من أيّ آثار دالة على وجود سومري قديم قبل وادي الرافدين، كذلك لا يمكن اعتبار البحرين موطناً أوليًّا لهم لأنّ أرض البحرين سهلية وهو ما يتعارض مع ما ذكر حول موطن السومريين الأول الجبلي الطابع.

10. الأصل الجزيريّ (عاد):

تعتبر نظرية الأصل الجزيريّ التي جاء بها الدكتور بهاء الدين الوردي (الوردي 1983) من أكثر النظريات إثارة ودهشة، ففي كتابه (حول رموز القرآن الكريم) يذهب الوردي إلى أنّ قوم عاد هم السومريون، وقد سعى باجتهاد واضح لإثبات ذلك ولكيفية نزوحهم من الجزيرة العربية معتمداً على تحليل اللغة والكتابة السومرية. وقد اعتبر الوردي (الذي تأثر إلى حدّ كبير بأستاذه المستشرق رينو) أنّ (عاد) هم موجة سامية كاملة خرجت من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد وتفرقت في الشمال العربي كله، ففي العراق صار العاديون سومريين، وفي الشام صاروا الحيثين وفي مصر صاروا الفراعنة وهكذا، ولا تعتمد هذه النظرية على أدلة أثرية كافية،

بل تحاول من خلال احتمالات تأويلية للغة والكتابة السومرية وربطها بالعربية الوصول إلى حلّ مشكلات كثيرة. ولذلك يبقى التحفظ عليها قائماً وأساسيًّا. (الماجدي 1992 أ : 52) و(الماجدي 1992 ب).

ويرى الباحث عبد المنعم المحجوب، في كتابه ما قبل اللغة، أن السومريين أحد الشعوب الكثيرة التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين لتؤسّس موطناً بديلاً لها بعد انحسار العصر الجليدي الأخير الذي تصحّرت فيه الجزيرة العربية، ثم تبعته الهجرات السامية الأخرى من أموريين وأكديين وآراميين وغيرهم وتزامنت هجرته مع الأقوام التي هاجرت من الصحراء الكبرى إلى وادي النيل.

وقد نفينا وجود هجرات سامية وغير سامية من جزيرة العرب إلى وادي الرافدين، فضلاً عن ذلك فإن السومريين لهم لغة تختلف كلّيّاً عن اللغات السامية وهو ما يُضعف هذه الفكرة.

11. الأصل الشامي (سوريا وفلسطين):

اتخذ مناصرو هذه النظرية من فخار الوركاء السومري دليلاً على أنّ له ما يشبهه في شكله وألوانه الحمراء والرمادية والتي عثر عليها في شمال سوريا وفلسطين، فرسموا طريقاً منحدراً من تلك المناطق اختطه أجداد السومريين ثم استوطنوا منطقة سومر. وتضعف هذه الحجة أمام الأصل العبيدي والوركائي للفخاريات الشامية وليس العكس.

ثانياً: الأصول الأوروبية

1. الأصل المتوسطي (الإيجيون):

ضعفت كثيراً نظرية احتمال كون السومريين من أقوام البحر الأبيض المتوسط والتي اعتمدت بالدرجة الأساس على تحديد صنف الجماجم التي عثر عليها في المقابر السومرية من أنها تمثل جنس البحر المتوسط، الناتئ الفك والغليظ العظام والكبير الأسنان نوعاً ما. وذهب البعض إلى أن أغلب مؤخرة الجماجم السومرية مستقيمة، وهو ما يمثله جنس البحر المتوسط بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية المشتركة المبكرة لبعض الجزر الإيجية. ولكن هذه النظرية لا تصمد أمام حقائق بايولوجية أو آثارية أخرى، أهمها تزايد اكتشاف جماجم سومرية كثيرة مكورة المؤخرة وغيرها.

2. الأصل الأوروبي (الهنغاري):

ويفترض بعض العلماء أنّ أواسط آسيا هي الموطن الأصلي للمجريين (الهنغاريين) وباقي الشعوب الفنو- أوغرية finno-ugric، أي إلى الشعوب التي تنتمي إلى عائلة اللغات الأورالية. بذلك يكون المجريون والفنلنديون والأستونيون شعوباً تتحدث - نظريًّا - بلغات متشابهة، على الرغم من ندرة الكلمات المشتركة التي نجدها في هذه اللغات المعاصرة اليوم.

قام الدكتور فرانسسكو جوس بادني Fransico Jos Badiny من جامعة بونيس أيرس بإصدار كتاب (الأعجوبة السومرية The Sumerian Wonder) عام 1974، حاول أن يثبت فيه أنّ السومريين جاؤوا من هنغاريا، «وأغرب ما في هذا الكتاب قائمة تحتوي على عشرات من المفردات السومرية التي أوجد لها المؤلف، بطريقة أو بأخرى، ما يوازيها في الهنغارية معنًى ولفظاً، وقد خلص المؤلف في نهاية الأمر إلى رسم خريطة توضيحية لهجرة السومريين من الأراضي الهنغارية – الرومانية إلى بلاد الأناضول وصولاً إلى مناطق الفرات ومن ثم النزول باتجاه جنوب وادي الرافدين نحو ما يعرف ببلاد سومر. (علي 1989: 27). وانظر (Badiny, F. J., ed., The Sumerian Wonder, School of Oriental Studies, University of Salvador, Buenos Aires, 1974).

ضمّ الكتاب قائمة بالكلمات الجذرية المتطابقة السومرية؛ وأصل السومريين؛ وكيف تؤكد الأدلة الأنثروبولوجية لعصر النحاس بيانات جوردون تشايلد على ذلك؛ وخطوط جديدة لعلم الصوتيات السومرية الصحيحة للتأكيد مع النصوص المسمارية؛ ونصوص سومرية مكتوبة بعلم الأصوات اللاتينية، موجودة في اللغتين الهنغارية للقرن الحادي عشر - الثالث عشر؛ خصائص اللغة السومرية. تاريخ صوت اللغة السومرية؛ مطابقات اللغة الهنغارية مع النصوص السومرية... وغيرها من المواضيع.

وازداد الغلوّ حين عثر العلماء على نصوص مكتوبة برموز تقرب من الرموز السومرية وعلى خزفيات صنعت بتكنولوجيا سومرية في منطقة ترانسلفانيا في رومانيا اليوم.

وتابع مثل هذه الجهود الدكتور ألفريد توث. ALFRÉD TÓTH الذي وضع كتابه (القاموس السببي للهنغاريين Etymological Dictionary of Hungarian EDH)، وواصل

تتبع الجذور اللغوية المشتركة بين الهنغارية والسومرية.

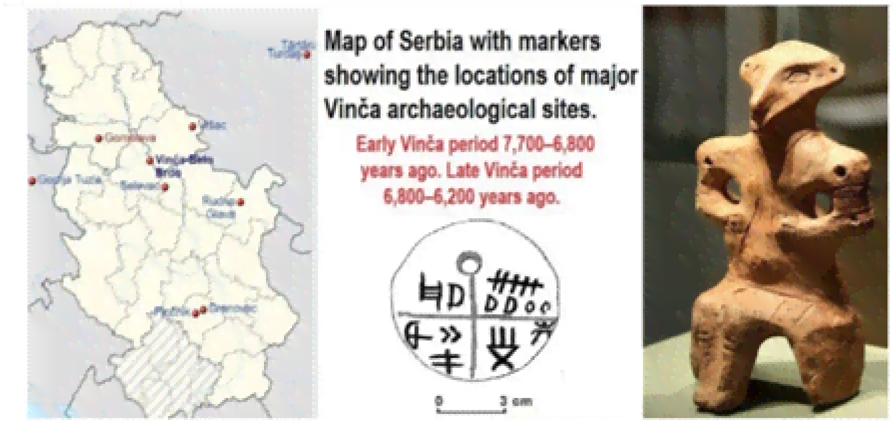
ويبدو تهافت هذه النظرية واضحاً حيث عكس الدكتور بادئ الأمر، فبدلاً من الإشارة إلى انتشار الحضارة والكتابة واللغة السومرية إلى أصقاع بعيدة في أوروبا ودخول مفرداتها إلى اللغات الأوروبية القديمة، عكس الأمر دون مراعاة البعد التاريخي للموضوع.

وحين يحاول البعض إيجاد نقاط التشابه بين اللغتين المجرية والسومرية فإننا لا نعرف بدقة نظام الأصوات في اللغة السومرية، ولذا بنى علماء السومريات قراءتهم للمقاطع المسمارية السومرية على أساس افتراضي، لأنّ القيمة الصوتية للمقاطع غير معروفة. بسبب أنّ تدوين اللغة السومرية جرى عن طريق المقاطع ولم تستعمل فيه حروف ذات قيمة صوتية محددة كما في التدوين الأبجدي. وهذا ما يجعل كل المحاولات التي تقيم صلة بين أية لغة مع اللغة السومرية فاشلة من أساسها.

3. الأصل الصربي (ثقافة فنكا):

تعتبر ثقافة فنكا هي أهم ثقافات النيوليت الأوروبي، وقد انطلقت من جنوب شرق أوروبا في صربيا، وظهرت فيها الزراعة التي يعتقد أنها جاءتها من الأناضول إلى بلاد البلقان، وكذلك ظهرت فيها رموز كتابية مبكرة، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى المقارنة بين هذه الرموز ورموز الكتابة الصورية في سومر معتبراً أنّ البلقان وصربيا وثقافة فنكا، حصراً، ربما كانت تمثل الوطن الأصلي للسومريين.

وهناك أيضاً التعويذة الطينية التي هي جزء من ألواح تارتاريا وهي جزء من ثقافة فنكا التي اكتشفها نيقولا فيازا وتشير إلى زمن يتراوح بين (5500-5300) ق. م. والتي يعتقد أنّ لها علاقة بالرموز الصورية الكتابية في سومر.





التعويذة الطينية من ألواح تارتاريا Tartaria التي هي جزء من ثقافة فنكا (5500-5300) ق. م.

ونرى أنّ لهذه الثقافة صلة وثيقة بثقافة لبنسكي فير الميزوليتية في صربيا أيضاً، وكانت ثقافة فنكا الزراعية قد اهتمت بزراعة القمح والشعير والكتّان والشوفان، وتميزت بصناعة الملابس والحرف الزراعية الأخرى والفخار والحليّ، واستثمرت مواقع خامات النحاس المنتشرة في أراضيها مثل (أروندا جلافا).

الاعتراض عليها هو أنّ لوحاً أو بضعة ألواحٍ محدودة الرموز لا تتطابق مع الرموز السومرية الصورية لا يمكن أن تشكل دليلاً على الأصل الصربي أو الروماني للسومريين.

5. الأصل الفنلندي:

يرى سيمو باربولا Simo Parpola في كتابه قاموس أصول للغة السومرية في جزأين Language Etymological Dictionary of the Sumerian

بأن اللغة السومرية، ليست معزولة أو دون أيّ أقارب لغويين معروفين، بل هي ترتبط باللغات الأورالية، المنتشرة في شمال أوراسيا، ويمكن للمتحدثين الفنلنديين الأوغريين أن يكونوا أحفاداً للسومريين. إن اللغة السومرية ولغات الأوراليك تشتركان في اللغات المشتركة بين اللغات الفنلندية الأوغرية (مجموعة فرعية من عائلة الأوراليك الكبرى) فيما بينها في أصواتها، والمفردات الأساسية، الضمائر، والأرقام. وقد أثار الكتاب ضجة في الأوساط اللغوية الفنلندية الأوغرية، حيث هاجم اللغويون منهجية باربولا ويلخص جانتونين، أستاذ لغات وثقافات شرق آسيا في جامعة هلسنكي، رعب اللغويين عند اكتشافات باربولا حيث الأمر لا يتعدى مقارنة بين لغتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة، وهو ما يمكن أن يحصل بين أيّ لغتين.

6. الأصل الأطلنطي:

ادّعى المهووسون بوجود قارة أطلنطس أنها موجودة وغارقة في البحر الأطلنطي، وأن الشعب الذي سكنها منذ حوالي عشرة آلاف سنة، هاجر بعد أن تعرضت للغرق إلى مختلف القارات، ومنها إلى بلاد الرافدين وسكن في جنوبه وأصبح أصل الشعب السومري، ونقل هذا الشعب علومه ومعارفه وتقنياته هناك وأصبحت أساس الحضارة البشرية.

وهذا الرأي لا يستحق الردّ المطول عليه إذا ما عرفنا أنّ قارة الأطلنطس هي مجرد أسطورة جغرافية لم يثبت العلم وجودها.

ثالثاً: فرضيات الأصل الأفريقي

1. الأصل الأثيوبي:

يرى بلادوين بأن المستوطنات الأولى في بلاد الرافدين سكنها جنس بشريّ ينتمي إلى العرق نفسه الذي استوطن أعالي النيل. (Bladwin1869:92).

وكانت مثل هذه الأفكار قد تصاعدت إبان الحماس الأوروبي الكبير للحضارة المصرية، في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبالطريقة نفسها كان هـ. ج. ويلز يرى بأن السومريين

من أصحاب البشرة البنية والأنوف البارزة. (Wells1922:75).

ويرى آرثر كيث أنّ السومريين من أصحاب الرؤوس الطويلة وهو ما يشتركون فيه مع أصحاب حضارة موهنجو دارو والسند. ويرى دارسون في الاتجاه نفسه بأن السحنة البنيّة وقصر القامة وطول الرأس والشعر المستقيم والوجه البيضوي هي من سمات السود، وكان الدرافيديون يمثلون هؤلاء السود في آسيا. (Cheikh1974: 33).

ويرى رودولف ويندسور بأن هناك علاقة دم بين السومريين والدرافيديين في الهند وأثيوبيا، ويرى هربرت يندت بأن آسيا القديمة كانت حافلة بالسود، وربما كانت هي مهد الجنس الأسود. بينما يرى ألبرت جورجوارد بأن الشعب الأسود في مصر أثر في السومريين وأن بذور سومر مرّت عبر مصر، وأنهم تعلموا هناك، ويمكن تتبع جذور السومريين في أفريقيا والشعب الأسود. (Churchward 1933: 209).

هذه الفرضيات وغيرها لا تصمد أمام البحث العلمي الدقيق، ومن المعروف أن أ. وادل قد كتب كتاباً عام 1940 ترجم إلى العربية اسمه (الأصول السومرية للحضارة المصرية) رأى فيه أنّ الكتابة المصرية الأولى نشأت من الكتابة الصورية السومرية، وأن الأسرتين المصريتين الأولى والثانية هما من أصلٍ سومري. (وادل 1999).

2. الأصل الكوشي:

المستشرق واللغوي الفرنسي البروفيسور دو لا كوبري (1845-1894) يرى أنّ السومريين كانوا ذوي بشرة سوداء وأصولهم أفريقية جاؤوا إلى بلاد الرافدين من كوش، التي تقع حاليًّا في السودان، معتمداً على ذلك بتسمية السومريين أنفسهم (ذوي الرؤوس السود).

رابعاً: الفرضيات الغريبة

1. الأصل السماوي (جينات السومريين جاءت من كوكب نبيرو):

قام زكريا ستشن Zecharia Sitchin بتوليف نظرية تدعو إلى السخرية حقًّا تقضي بأن السومريين ما هم إلّا نتاج تصنيعٍ جيني حدث قبل عشرات الآلاف من السنين بين الآلهة القادمين من كوكب بعيد جدًّا عن الأرض هو الكوب الثاني عشر الذي يدور حول الشمس واسمه نبيرو (وهو

فرض خيالي صنعه ستشن لا صحة له علميًّا)، حيث يرى في روايته الخيالية عبر كتاب أسماه مجازيًّا (كتاب إنكي المفقود) أنه منذ حوالي 445 ألف سنة مضت، هبط رجال فضاء هم (آلهة الأنوناكي السبعة في الأساطير السومرية) من كوكب نبيرو إلى الأرض بحثاً عن الذهب لكي يسدّوا بغباره ثقباً في فضائهم المخترق والذي بدأ يسبب لهم الموت وقلة الخصوبة. هبطوا على بحار الأرض، ونزلوا الشواطئ وأسسوا مدينة أريدو (Eridu) التي يرى أنّ معناها «بيت الغربة». ثم توسعت المستوطنة الأولى وصارت مركزاً لمراقبة البعثة والفضاء، ومركزاً لعمليات البحث عن المعادن. وبسبب قلة العاملين هناك فقد لجأ رجال الفضاء للهندسة الوراثية لتصميم عمال بدائيين من الإنسان البدائي الذي كان يسكن جنوب ما بين النهرين وهو جنس الإنسان المعروف آنذاك في العالم كله، وكونوا، بعد أن خلطوا جيناتهم بجينات ذلك الإنسان البدائي ما يعرف بالإنسان العاقل، ثم جاء الطوفان المدمر الذي اجتاح الأرض على أثر خلافات وحروب بين الأنوناكي؛ وأصبح رجال الفضاء آلهة، ومنحوا الإنسان نواميس حضارة. وبعدها، بحوالي أربعة آلاف سنة مضت، تمّ القضاء على جميع ما تمّ إنجازه في كارثة نووية نشبت بين هؤلاء الأنوناكي.

ونستدل من هذا أنّ السومريين أبناء جنس متفوق قادم من الفضاء، ولا يمكننا هنا عرض تفاصيل نظريته البائسة هذه والتي فبركها من لصق وتأويل خاص به لما يقرب من 800 نص رافديني مسماريّ لكي تتطابق مع أحداث التوراة حول الخليقة، علماً بأن زكريا ستشن يهودي من مواليد الاتحاد السوفيتي، ولد في باكو عاصمة الجمهورية الأذرية، وغير مختص، أكاديميًّا، بالسومريات أو بوادي الرافدين، وقد حشد له مناصروه العنصريون (من اليهود والصهاينة) كل وسائل الإعلام، ومنها الإنترنيت لكي يشيعوا أفكاره وكتبه ومحاضراته لأنها تعيد إثبات صحة ما جاء في التوراة بعد أن فندتها المكتشفات الآثارية ووضعت تاريخاً علميًّا آثاريًّا للعالم القديم وبداية حضارته بعيداً عن المؤثرات التوراتية التي كان يحفل بها التاريخ قبل ظهور علم الآثار.

بعد أن اكتشف العلماء أنّ اليهود بنوا تراثهم الديني والدنيوي على سومر وبابل، وأصبحت لعبة سرقة سومر وثراثها مكشوفة. ويفضح هذا السطو على سومر وتراثها من قبل اليهود كتاب بعنوان: (انتحال سومر: كيف خدع اليهود الجنس البشري) Sumerian Swindle وهو بثلاثة أجزاء والذي يكشف تفاصيل انتحال اليهود لتراث سومر بشكل خاص. (انظر G-d 2010).

جاء ستشن ليعيد الهيبة للتراث اليهودي عبر تأويلات مفبركة، وهو بذلك يبدو كمن يعيد صرخة جوزيف هاليفي الذي جنّ جنونه عندما أعلن اكتشاف الحضارة السومرية لأول مرة، من قبل عالم الآثار أولبرايت، لأنه كان يهوديًّا ولا يرى غير الساميين في وادي الرافدين بناة لحضارة البشرية.

ونرى أنّ وجهة نظر زكريا ستشن تستخف بعقولنا وترمي بعرض الحائط تلك الجهود العلمية الجبارة التي قام بها الآثاريون ومتخصصو اللغات القديمة طيلة أكثر من قرن ونصف، وقد سخر من أفكاره كل هؤلاء العلماء الكبار واعتبروها محض رواية متخيلة.

2. فرضية نفي وجود السومريين:

في أول ردّ فعل على اكتشاف يوليوس أوبرت للغة السومرية والشعب السومري (1869)، قام جوزيف هاليفي بدوافع عنصرية دينية، فقد كان يهوديًّا، برفض وجود الشعب السومري ولغته، ورأى أنّ ما يسمى باللغة السومرية هي مجرد لغة رمزية دينية اخترعها الكهنة البابليون لتأسيس علومهم السرية، وكان يدافع، ضمناً، عن أنّ حضارات وادي الرافدين قد أسسها الساميون فقط والذين يلتقون في أصلهم مع العبريين واليهود. وكان من أيسر الأمور دحض نظريته حين اكتشفت الآلاف من الرقم السومرية وهي تحمل تفاصيل الحياة اليومية والملاحم والأساطير والشؤون الاقتصادية، فرفضها كل علماء الأشوريات.

لكننا فوجئنا أنّ الدكتور نائل حنون، وهو أستاذ التاريخ القديم واللغة الأكدية والباحث والمترجم المعروف في حقله، قد أعاد الحياة لنظرية جوزيف هاليفي في كتابه (حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية) من منطلق آخر ذي طبيعة كتابية لغوية منطلقاً في ذلك من تاريخ الكتابة في وادي الرافدين ومراحلهما.

يرى الدكتور نائل حنون أنّ هناك كتابة سومرية وليس هناك لغة سومرية، وبالتالي ليس هناك شعب سومري، فالكتابة السومرية بدأت بالظهور منذ عصر فجر السلالات حوالي 2800 ق. م كمقاطع صوتية «إن الكتابة المقطعية تعتمد على اختيار علامات مسمارية تكوّن أصوات كلّ مجموعة منها كلمة واحدة دون أن يكون لمعنى كل علامة أو مدلولها صلة بذلك». (حنون2007: 44).

ويرى «أنه لا يمكن أن يعتدّ بأيّ دليل، سبق طرحه، على وجود السومريين وعلى دورهم في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ولاحظنا أنّ هناك بحوثاً سبقت بحثنا هذا في التشكيك بصحة تلك الأدلة. ولم يبقَ من دليلٍ على وجود السومريين سوى وجود اللغة السومرية، وهي العقدة التي كانت البحوث السابقة تقف عندها. فهذه اللغة موجودة وإنكار وجودها أدّى إلى توجهات خطأ ذهبت إليها بحوث القرن التاسع عشر التي بدأت بدايات صحيحة في الشك بوجود السومريين، ولكنها لم تنهج النهج العلمي الصحيح حين عالجت موضوع اللغة السومرية. ولولا ذلك لكانت تلك البحوث قد توصلت في وقت مبكر إلى ما توصل إليه هذا البحث». (حنون2007: 42).

وهكذا يقوم الدكتور حنون بمهمة إلغاء اللغة السومرية واعتبار أنّ ما هو موجود في الألواح السومرية لا يتعدى كونه كتابة وليس لغة، وسيؤدي هذا بطبيعة الحال إلى نفي وجود السومريين، واعتبار كل الشعوب التي بدأت بأول حضارة تاريخية إنما هم الأكديون!!!

والسؤال هو متى نشأت أكد؟ أليس في عصر سرجون الذي بناها وأسماها أكد؟؟؟

ألم تكن هناك أسماء لسومر بصيغة كينجي السومرية؟ ألم يسمِّها الساميون في عصرها سومر؟

ثم يسترسل في تتبع تاريخ تطور الكتابة حيث يرى أنه من خلال هذه الكتابة ولدت اللغة السومرية، ويرى أنّ الأكديين هم الذين ابتكروا لغة الكتابة السومرية، وأنهم واجهوا مشكلات كثيرة في هذا الأمر وعلامات مسمارية كثيرة، ومن هذه الكتابة السومرية تطورت كتابة اللغة الأكدية، أي إن الأكديين ابتكروا، أولاً نظاماً كتابيًّا معقداً أسموه الكتابة ثم اللغة السومرية، ثم استفادوا منه لصنع الكتابة الأكدية.

والحقيقة أنّ في هذا التفسير إرباكاً شديداً يتناقض مع الكثير من البدهيات، فاللغة السومرية حيّة عبر كتابتها لدرجة أنها كونت لهجتين منها، وهي منظمة بدقة ورهافة، والأكديون لم يكتبوا بلغتهم أثناء وجودهم، بل وصلتنا النصوص الأدبية باللغة السومرية!!، البابليون هم من طوروا الكتابة الأكدية البابلية.

الحقيقة أنّ أفضل من يردّ على الدكتور نائل حنون هم أساتذة اللغة السومرية واللغات السامية فهم الأقدر علميًّا على ذلك، ونحن نراها فرضية مربكة لا صحة لها.

خامساً: فرضية الأصل الرافديني المحلي

أرجأنا الحديث عن هذه الفرضية، التي نسعى لتطويرها عبر تفاصيل علمية دقيقة، إلى آخر هذا العرض، وذلك لنبين أولاً، أنّ الباحثين لم يتركوا جهة من جهات الأرض إلّا وجعلوها أصلاً للسومريين، وثانياً لنبين أنّ كل نظرية من النظريات التسع السابقة اعتمدت على عامل واحد أو عاملين كأساس لها مثل اللغة أو الثقافة أو البايولوجيا دون الأخذ بالاعتبار القضية السومرية بأكملها، وكقضية شاملة متصلة بماضٍ متواتر قبلها ومستقبل بعدها حصلا على الأرض نفسها التي هي أرض العراق.

ونحن نرى أنّ فرضية الأصل العراقي للسومريين تحلّ الكثير من المشكلات التي طرحتها النظريات الأخرى، رغم أنّ بعضها ما زال عالقاً.

السؤال الذى نطرحه أولاً هو: أيّ الأماكن أو البلدان كان أكثر تطوراً من بلاد الرافدين في الأرض كلها قبل ظهور السومريين في جنوب وادي الرافدين حتى نقول بأن السومريين قدموا من خارجه وجلبوا معهم نواميس الحضارة ومنها الكتابة؟

والجواب الحتمي هو لم يكن هناك أكثر تطوراً من وادي الرافدين على الإطلاق، لأنّ العراق ومنذ عصر الميزوليت ثم النيوليت والكالكوليت كان يتطور بطريقة متصاعدة متسارعة ويجعل جميع الأماكن التي حوله تلهث وراء تطوره... ولذلك جاء تطور السومريين متمماً للتطورات التي سبقته. فقد تطور وادي الرافدين في التعدين والزراعة والريّ وإنشاء المدن والمعابر وظهور الحرف... فما الذي يمنع أن تنمو هذه النواميس الحضارية وتتطور ويكون ذلك على أيدي الناس الذين أطلق عليهم بعد ذلك اسم: السومريين.

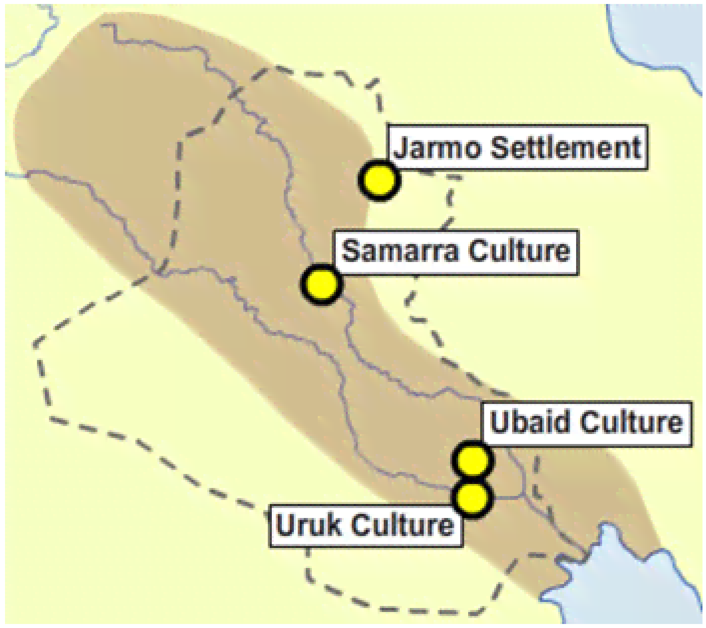
يقول المؤرخ (جورج رو) بأن الأدب السومري يقدم لنا صورة لشعب مثقف جدّاً، ومتدين جدّاً، غير أنه لا يعطينا معلومات عن أصله. وتدور حوادث القصص والأساطير السومرية في وسط غنيّ بالأنهار والبحيرات وبالبردي والنخيل – وهذه خلفية نموذجية لمنطقة جنوب العراق وتعطي انطباعاً قويّاً بأن السومريين قد عاشوا دائماً في ربوع هذه المنطقة. وليس هناك ما يؤكد وجود أيّ موطن سالف للسومريين يختلف عن وادي الرافدين. (رو 1984: 121).

بعد الثورة النيوليتية الهائلة في شمال وادي الرفدين وعلى سفوح جباله وظهور القرى والعبادات المنتظمة وسبل التحضر في جرمو والصوان وحسونة وسامراء، وهي ثقافات وادي الرافدين النيوليتية، وصلت ثورته الحضارية إلى ذروتها في حضارة أو ثقافة سامراء في الألف الخامس قبل الميلاد. وقد كانت هذه الحضارة تعتمد في اقتصادها على الزراعة... والزراعة فيها تعتمد بدورها على الأمطار المتذبذبة السقوط. ولم يكن هناك سبيل أمام السامرائيين إلّا الاعتماد على الأنهار وتنظيم ريّها... وكان لا بدّ أن يرافق ذلك انحدارهم إلى الجنوب مع مسيرة دجلة فبدؤوا بالنزوح تدريجيًّا.

كان الاسم القديم لمنطقة سامراء في الألف الأول قبل الميلاد (سرمراته) وذكر أيضاً (سيمراوم) و(سيمراء)، أما الرأي الذي يقول إنه في العصر العباسي اشتق من عبارة (سر من رأى) فهو خرافة ولا شك. ويدل على أنّ هذه المنطقة وما حولها كان لها علاقة باسم (سومر) بدليل ذكر(سور سومر) عند أحد المؤرخين الرومان ووجود منطقة (سومار) إلى الشرق من سامراء باتجاه إيران.

إن هذا كله يشير إلى أنّ سامراء النيوليتية كانت الموطن الأصلي للسومريين وقد حاول الدكتور فوزي رشيد إثبات ذلك في أكثر من مناسبة.

ولا نستبعد مطلقاً أنّ انتشار السامرائيين النيوليتيين كانوا في الأرض المحصورة بين (سامراء) على دجلة و(حديثة) على الفرات، وربما عند جبال حمرين. وأن انحدارهما، كلّ على نهره، بدأ في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد مع بدء الثورة الكالكوليتية واستخدام المعادن. وقد تكون جبال حمرين مصدراً أساسيًّا في هذه الهجرة وهو ما يفسر ترادف معنى الوطن والجبل في كلمة (كور) السومرية.



العلاقة بين ثقافات شمال وجنوب ميزوبوتاميا النيوليتية والكالكوليتية

http://www. worldology. com/Iraq/ancient_mesopotamia. Htm

ويبدو مع الزمن، وفي حدود الألف الخامس قبل الميلاد، ظهر في المناطق التي حول نهر دجلة في أراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة أقوام أطلق عليهم الباحثون اسم (الدجلويون الأوائل)، وهم أبناء حضارة سامراء. أما الذين تتبعوا نهر الفرات في أراضي جنوب وادي الرافدين الخصيبة فأطلقوا عليهم اسم (الفراتيون الأوائل). وكان لكل من هؤلاء لغة تختلف إلى حدّ ما عن الأخرى وباندماجها في مدن السهل الرسوبي ظهر من نسميهم بـ(العبيديين) الذين يمكن أن نطلق عليهم نزحوا مع السومريين الأوائل، وإن كنّا نرى أنهم يختلفون عنهم في اللغة التي نظنها اللغة السامية الأم وهي اللغة الأمورية. وبذلك نرى أنّ القسم الجنوبي من وادي الرافدين كانت تسكنه ثلاثة أنواع من الأقوام (بين الألف السادس والخامس) ق. م وهي:

-1) وهم الأقوام الذين سكنوا حول النصفproto – Tigridiansالدجلويون الأوائل (الجنوبي من نهر دجلة واستقروا في النصف الأعلى من السهل الرسوبي، وقد بحث الباحثون في ما بقي من أسمائهم ولغتهم فوجدوا أنّ هناك أسماء بعض الآلهة مثل وعشتار وأداد، وبأن المنطقة قد سكنتAMBA«داكان وزابابا ورب الشمس أمبا من قبل العناصر المتكلمة باللغات السامية بأقوام تختلف عن الفراتيين الأوائل، أطلقوا عليهم اسم سكان دجلة الأوائل». (الأحمد 1978: 231).

-2: وهم النازحون الشماليون الذين أسسواProto – Euphraticالفراتيون الأوائل مدنهم على نهر الفرات وشكلوا أغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق في طوري العبيد وأوروك. وقد قام (لاندزبيركر Landsberger) بدراسة بعض مفرادتهم التي شملت أسماء مدن معروفة وأسماء حرف وصناعات ضرورية وأساسية للمجتمع الزراعي السومري فيما بعد. وقد أطلق هو هذه التسمية على هؤلاء الأقوام، وشخص ما يقرب من (35) مفردة لهم مثل (إينجار= فلاح، نيمبار = نخيل، سولومب = تمر، تيبيرا = نحاس، سيموكَـ = حداد، ناكَار = نجار... إلخ)، ثم أضاف لها (غلب) (23) مفردة أخرى. انظر (Landsberger 1944: 33 - 37) و(Gelb1960: 262 - 272.)

-3العبيديون: وهم في رأينا الخليط الحضاري من الدجلويين والفراتيين الأوائل وجميع الفلاحين والحرفيين الذين نزحوا من شمال وادي الرافدين واستوطنوا سهله الجنوبي الرسوبي وأبدعوا في مجالات زراعة الريّ وصناعة الفخار الخاص بهم واستعمال المعادن وبناء المدن ونرى أنّ من أوائل المناطق التي ظهر فيها عبيديون كأصحاب حضارة جديدة هي منطقة أريو ثم تل العبيد ثم الوركاء... إلخ وكان زمن ظهورهم ينحصر بين (4000 – 3500) ق. م. وقد نشر العبيديون ثقافتهم وحضارتهم إلى شمال العراق والأناضول وسوريا والمتوسط وبلاد عيلام والجزيرة العربية والخليج. وكانت إنجازات نوعية هامة على جميع المستويات، وهكذا فعل مثلهم السومريون الذين أكملوا نشر الحضارة الرافدينية وكل ما في الأمر، أنّ بدء ظهور الكتابة جاء بعد أفول العبيديين بقليل. ومع بزوغ السومريين، بسبب الكتابة، أدار هؤلاء القوم التاريخ من مراحل ما قبل التاريخ إلى أول المراحل التاريخية وهنا تكمن أهميتهم وفرادتهم.

-4السومريون: وهم الشعب الذي استوطن جنوب العراق في حدود 3800 ق. م واحتك بحضارة العبيديين ونهل منه، وبدأت بواكير حضارته بالظهور في 3500 من خلال المعابد والمنحوتات وتأسيس المدن وأنظمة الريّ والحم والدين، وظهرت مدينة أوروك كمركز أساسي لوجودهم، وفيها ظهرت الكتابة الصورية، التي أسست للكتابة المسمارية، في 3200 ق. م.

ويقيناً إن السومريين اختلطوا مع أقوام أخرى وهم ينـزحون إلى الأرض الجديدة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق كالفراتيين الأوائل والدجلويين الأوائل والساميين. وكان هناك ما يعرف بالأقوام العبيدية (العبيديين) الذين أحدثوا انعطافاً نوعيًّا في صناعات الفخار والحرف اليدوية وتطوير الطرز المعمارية، وخصوصاً المعابد وإنتاج الأختام المنبسطة (المستديرة والبيضوية) وظهرت الفؤوس النحاسية وتطور فن النحت المجسم للإنسان والحيوان. وقد انتشرت مستوطنات عصر العبيد في مواقع كثيرة شمال ووسط وجنوب السهل الرسوبي، وأشهر مستوطناته تل العبيد الذي يقع على بعد 8 كم غرب أور، وتل العقير الذي يقع إلى الجنوب من بغداد وأور وخفاجة وتل أسمر في منطقة ديالى وتلّو (لكش القديمة) شمال شرق مدينة الشطرة والوركاء، وبسماية (أدب القديمة) شمال غرب تلّو ومطارة ونوزي وبعض مواقع منطقة حمرين وتبه كورا. وقد انتشرت حضارة العبيد خارج العراق بواسطة الطرق التجارية والنهرية والبحرية فوصلت إلى سوريا وآسيا الصغرى وإيران وإلى بعض جهات شبه جزيرة العرب والأجزاء الساحلية من الخليج العربي. (الدباغ 1983: 60 - 61)

كانت الحضارة العبيدية هي أول حضارة، منذ النيوليت، تنتشر إقليميًّا بهذه السعة حاملة معها نظامها الحضاريّ الخاص بها، وكانت الحضارة الممهدة لظهور الحضارة السومرية التي سيبدأ نبضها من نسيج الحضارة العبيدية وسيشتد هذا النبض وتسمع أصواته واضحة بعد أفول العبيديين في حدود 3500 ق. م.

المبحث الثالث: علم السومريات (سومرولوجي) وعلماء السومريات (Sumerology)

وهو العلم الذي يدرس التاريخ والحضارة السومرية واللغة السومرية، وقد ظهر المصطلح لأول مرة عام 1897. وقد انفردت سومر بهذا العلم عن بقية ما يعرف بعلم الآشوريات Assyriology الذي يعتني بالتراث الأكدي والبابلي والآشوري، لأنها تختلف في لغتها وحضارتها غير المسبوقة والتي تكاد تشكل البذرة الأولى لكل الحضارات القديمة. ولا شك أن علم السومريات يتطلب أولاً معرفةً دقيقة باللغة والكتابة السومرية التي قطع علماء السومريات شوطاً طويلاً في فك شفراتها ووضع القواميس والمعاجم المناسبة لها. وتأتي دراسة التاريخ والحضارة السومرية في مقدمة اهتمامات هذا العلم بكل ما فيها من تفاصيل دقيقة.

علماء السومريات (Sumerologists)

يندر أن نجد متخصصاً منصرفاً كلياً لعلم السومريات، فمن بين علماء الآثار والتاريخ القديم واللغات القديمة والأنثروبولوجيا نجد الكثير منهم من يسهم في حقل السومريات، لكن التخصصات الحديثة جعلت حقل علم السومريات منفرداً وخاصاً ومنهجياً.

تاريخ علم وعلماء السومريات

الجذور الأولى لعلمي الأشوريات والسومريات كانت مشتركة، فقد بدأ بول – أميل بوتا (1870 – Emile Botta) (1802 – Paul) وهو القنصل الفرنسي في الموصل بالعراق بول أميل بوتا (1802 - 1870) رحالة مشهور وعالم آثار، كان طبيب محمد علي، وفي عام 1833 عُين قنصلاً لفرنسا بالإسكندرية. ثم بالموصل بالعراق عام 1840، وقام بالتنقيب في تل النبي يونس (تل كوينجق)، ثم في تل حورس أباد واكتشف قلعة ومعبد سرجون الثاني ملك أشور، ثم نُقل بوتا

إلى طرابلس الغرب سنة 1848م. كان قد بدأ في 1843 في النتقيب في "خورسباد" التي ثبت أنها المدينة القديمة "دار شاروكين" (أي "قلعة سرجون")، والتي تقع على بعد اثني عشر ميلاً إلى الشمال الشرقي من الموصل، على الضفة الغربية لنهر دجلة، مقابل أطلال نينوى.وكان بوتا يرى أن هناك أكثر من طريقةٍ لقراءة الكتابة المسمارية للغة البابلية، وهو بذلك كان يشك بوجود لغة واحدة سائدة في وادي الرافدين هي اللغة الأكدية.

ثم جاء دور إدوراد هنكس (1792 – 1866) عالم أثار إيرلندي بريطاني اكتشف في عام 1852 ألواح كتابةٍ في تل كوينجق وبعد تحليل كتاباتها أكتشف أنها كلمات بابلية قديمة جداً أقدم من الحضارتين البابلية والآشورية وتعود للغة أقدم من هاتين اللغتين واعتقد في البداية أنها مجرد أخطاء من الكتاب القدامى من هاتين الحضارتين.وتوصل إلى أن الكتابة المسمارية ابتكرت من قوم من غير البابليين والآشوريين ووجدوها جاهزة فاستعملوها لتدوين لغتهم، ورأى أن أولئك القوم القدماء الذين ابتكروا الخط المنسماري، كانوا هم السابقون في استيطان وادي الرافدين وآشور وبابل، وحين ظهرالبابليون والآشوريون اقتبسوا تلك الكتابة ودونوا بها لغتهم بعد أن كيفوها لتكون قابلة للتدوين بالمسماري.

ومع هنري رولنصن: (1819 - 1895) بدأ عمل نوعيّ حين عثر على قواميس وجداول لغوية في مكتبة آشور بانيبال فيها لغتين هما اللغة البابلية وتلك اللغة الغامضة واقترح أن يكون اسمها (اللغة الإسكيثية)، وكانت في حقيقتها سومرية اللغة والكتابة. ثم جاءت أعمال يوليوس أوبرت التي اكتشفت حقيقتها. ثم جاء السير ليونارد وولي Leonard Woolley Sir وقام بحفرياته الشهيرة بين 1922 - 1934 واكتشف المقبرة الملكية في أور. ثم لنكدون Lengdon 1923 - 1934 في جمدت نصر. ثم أندريه بارو Andre Barrot الذي نقب في مدينة لارسه (السنكرة) بين 1931 - 1934 ثم بين 1967 - 1970 وفي تلّو 1929 - 1930 وهناك هنري فرانكفورت Henry Frankfort الذي نقّب في منطقة ديالى وتل أسمر وخفاجي وأشجالي وتل أجرب، في 1930 - 1937.

وتواصل علماءٌ كثيرون من كل أنحاء العالم لتنقيب ودراسة تراث سومر. لكن العالم الكبير الذي حقق للدراسات السومرية وعلم السومريات القفزة النوعية كان هو صموئيل نوح كريمر (1897 - 1990) Samuel Noah Kramer الروسي الأصل والأميركي الثقافة

والتعليم. والذي أسس معهد الآشوريات ودراسات الشرق الأدنى القديم، ونشر أفضل الكتب والدراسات السومرية.

علماء السومريات

1. كريمر، صاموئيل نوح	27. جاكوبسن، ثوركلد
2.رشيد، فوزي	28. كانز، ديانا
3. علي، فاضل عبد الواحد	29. كلين، جاكوب
4. ألستر، بندت	30.أفناسيفا، فيرونيكا
5. أتنجر، باسكال	31. كراوس، ف. ر
6. بارنيت، ر. د	32. لاميرت، و. ج
7. بارنستون، و	33. لانكدون، ستيفن
8. باوير، ج	34. ميشالوفسكي، بيوتر
9. بهرنز، هيرمان	35. بتناتو، جيوفاني
10. بنيتو، س. أ	36. روبن، إليانور
11. برلن، أديل	37. رومير، وليم
12. بلاك، حيرمي	38. ساورين، هربرت
13. كاستينيلو، ج	39. سيوبيرج، أكي
14. كافا جينوا، أنطوان	40. سولبرج، إدموند
15. سيفل، منجويل	41. ستنكلبر، بيوتر

16كوهين، مارك	42. تني، ستيف
17. كوبر، جيرولد	43. فان دايك، ي. ي. أ
18. إدزارد، ديتز أوتد	44. فانستيفاوت، هيرمان
19. فالكنشتاين، آدم	45. فيدلهاوس، نيك
20. فالكوتيز، روبرت	46. فايك، كلاوس
21. فاربرر، جيرترود	47. وو. يونج
22. فريان، دوجلاس	48. فولكشتاين، د.
23. جيلر، م. ل	49. زغول، أنيتي
24. جرين، مارجريت وتني	50. زميران، هـ
25. هالو، وليم. و	51. زوليومي، جابور
26.وولي، السير ليونارد	52.فرانكفورت، هنري

نبذة عن بعض علماء السومريات

1.هنري رولنصن: (1819 - 1895) Sir Henry Creswicke Rawlinson

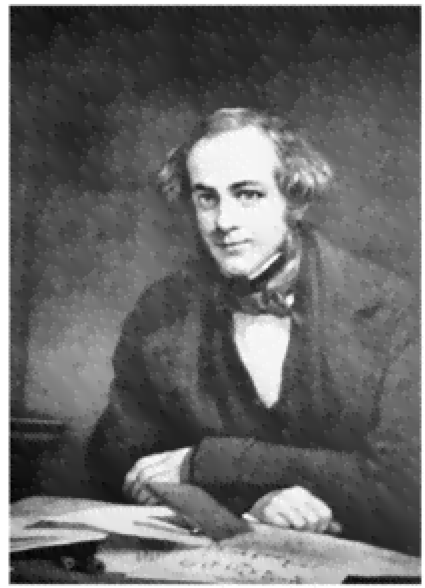
عالم آثار ومستشرق وضابط عسكري، يراه البعض مؤسساً لعلم الآشوريات (آشوريولوجي)، أعمال رولينسون المنشورة تشمل أربعة مجلدات من النقوش المسمارية، التي نشرت تحت إشرافه بين عامي 1870 و1884 من قبل أمناء المتحف البريطاني؛ النقش المسماري الفارسي في بيهستون (1846 - 51) وملخص تاريخ آشور (1852)، وكلاهما أعيد طبعه من دوريات الجمعية الآسيوية؛ تعليق على النقوش المسمارية لبابل وآشور (1850)؛ ملاحظات عن التاريخ المبكر لبيلونيا (1854)؛ وانجلترا وروسيا في الشرق (1875). وقدم أيضا مجموعة متنوعة من المساهمات الطفيفة في منشورات الجمعيات التعليمية. وقد ساهم في مقالات عن بغداد

والفرات والأكراد لصالح الطبعة التاسعة من موسوعة بريتانيكا، إلى جانب العديد من المقالات الأخرى التي تتناول الشرق؛ وساعد في تحرير ترجمة من تاريخ هيرودوت من قبل شقيقه، كانون جورج رولينسون.

كانت مساهمته في علم السومريات عثوره على قواميس وجداول لغوية في مكتبة آشور بانيبال فيها لغتين هما اللغة البابلية وتلك اللغة الغامضة واقترح هو وإدوارد هنكس اسماً لتلك اللغة الغامضة والشعب الغامض الذي أسس حضارة وادي الرافدين وهو (اللغة الأكديّة) و(الشعب الأكدي) ثم اقترح رولنصن اسم (اللغة الإسكيثية) و(الشعب الإسكيثي) وبيّن أن هذه اللغة لاعلاقة لها بأي عائلة لغوية معروفة. لكنه أخطأ هنا للمرة الثانية لأن الإسكيثيين شعب بدوي رعوي من سهوب أوراسيا نزح في القرن 8 ق.م حل محل السيريين المهاجرين من سهوب روسيا قبلهم. واستقر الإسكيثيون عند غرب نهر الفولجا شمال البحر الأسود حيث كانوا علي صلة بالمستعمرات الإغريقية حول البحر الأسود وإزدهرت عندهم الصناعات البرونزية مابين سنتي 1100ق.م. - 700ق.م. وتميزت بتشكيل الحيوانات والإنسان في تزيين الأسلحة وصناعة لقم ألجمة الأحصنة والدبابيس.. ويعتبرون أسلاف الفرس والميديين.وكانت لغتهم الهندو ـ أوربية، وهذا مايتعرض من كون اللغة التي افترضوها لهم (وهي السومرية) لاتصنف ضمن اللغات المعروفة، فضلا عن كون تاريخ هذه اللغة وشعبها أقدم بكثير من الإسكيثيين.

2. يوليوس أوبرت Julius (Jules) Oppert (1825 – 1905)

أول علماء السومريات، بالمعنى الصحيح والعميق، وواضع الأساس لعلم السومريات، وقد كان عالم لغات وآثار رافدينية وهو الذي استطاع اكتشاف وتسمية اللغة السومرية باسمها الصحيح عام 1869 بعد أن أطلق عليها العلماء الكثير من الأسماء مثل الأشكوزية والأشكيزية وغيرها. وهو الذي صرّح بأن هذه اللغة كان يتكلم بها شعب مميز اسمه (السومريون) الذين يختلفون عن الشعوب السامية في وادي الرافدين. واستمر الجدل بينه وبين أحد المستشرقين المسمى جوزيف هاليفي (Joseph Halévy) الذي أنكر وجود السومريين بسبب من خلفيته اليهودية المتعصبة باعتبار أنه لا توجد حضارات غير سامية تؤسس لحضارة وادي الرافدين.



هنري رولنصن أول من اكتشف الكتابة السومرية



يوليوس أوبرت (1825 ـ 1905) مكتشف الحضارة السومرية

3.السير ليونـارد وولي (1880 – 1960) Leonard Woolley

السير تشارليز ليونارد وولي عالم الآثار البريطاني الذي عُرف بحفرياته في مدينة أور السومرية القديمة عام 1922 وقام بتطوير معرفة حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة، واكتشافه للأدلة الجيولوجية عن فيضان كبير يشير إلى وجود علاقة محتملة مع الطوفان الموصوف في سفر التكوين. وهو مكتشف قبر الملكة بوآبي (شبعاد) وقد كشف عن عدد من المباني الدينية بالقرب من الزقورات السومرية والتي لم تكن معروفة حتى ذلك التاريخ وعثر على عدد من المقابر الملكية المشهورة بالجواهر والأشياء البديعة خاصة في عصر بداية الأسرة الثالثة (حوالي 2500 ق.م) وقد نجح وولي في استخلاص هذه الأشياء وترميمها في وقت لم تكن فيه الأساليب الفنية والأجهزة الحديثة ميسرة ونظف حيا سكنيا بالمدينة، تعرّف على الحياة اليومية للسومريين وخلفائهم، بمساعدة الآلف من النقوس المسمارية التي عثر عليها، وقد دفعت الاكتشافات التي قام بها وولي في أور إلى زيادة الاهتمام بآثار بلاد الرافدين وتاريخها، وتتبع تاريخ المدينة من أيامها الأخيرة خلال القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداياتها قبل التاريخ حوالي 4000 ق.م. كشفت نتائج وولي الكثير عن الفن والعمارة والأدب والحكومة والدين فيما أصبح يطلق عليه «مهد الحضارة»..

ولد في لندن و كان أمينا مساعدا لمتحف الأشموليان في أكسفورد (1905 - 1907) واستمد خبرته من عمله في السودان (1907 - 1911)، قام بالاشتراك في تنظيف وفحص مدينة كركميش (1912 - 1914) وسيناء ، عمل في تل العمارنة لحساب جمعية الآثار البريطانية وجامعة بنسلفانيا، ولغرض الكشف عن العلاقة بين جزر إيجة وقبرص وبلاد الإغريق وحضارات بلاد وادي الرافدين عمل في الميناء البحري السوري المينا عام 1936 وتل عطشانة خلال 1937 - 1939 - 1946 - 1949 ورغم أنه لم ينجح إلا نجاحا جزئيا في تتبع التأثيرات التجارية والحضارية إلا أنه كشف عن أدلة عن مملكة صغيرة ازدهرت بالقرب من حلب في القرنين الثامن عشر والخامس عشر قبل الميلاد.

4. هنري فرانكفورت (1897 – 1954) Henri Frankfort

عالم الآثار الأمريكي الذي أنهى عملية إعادة توثيق موثقة جيدًا لثقافة بلاد ما بين النهرين القديمة، أسس العلاقة بين مصر وبلاد ما بين النهرين، واكتشفت الكثير من المعلومات الجديدة عن الحضارتين. ولد في أمستردام، ودرس فيها التاريخ ثم أنتقل إلى لندن ، وحصل على درجة الماجستير بإشراف فلندرز بيتري. في 1927 حصل على درجة الدكتوراة من جامعة لايدن.

كان فرانكفورت بين عامي 1925 و1929 مدير عمليات التنقيب في جمعية استكشاف مصر (EES) في لندن في تل العمارنة و أبيدوس و أرمنت. في عام 1929 تمت دعوته من قبل جيمس هنري برستد ليصبح مديراً ميدانياً للمعهد الشرقي (OI) في شيكاغو في رحلة إلى العراق.

كان كأستاذ في جامعة شيكاغو ورئيس معهد واربورغ في جامعة لندن (1938 - 1954)، قد توصّل لاكتشافات مهمة في الدراسات المقارنة لمصر وبلاد ما بين النهرين. فقد تعامل مع المواد الأثرية مع مراعاة شديدة للمشاكل الأنثروبولوجية والجمالية والفلسفية وفهم نادر للظواهر الدينية.

نشر أهم كتبه «الأختام الأسطوانة الأختام: مقال وثائقي عن الفن والدين في الشرق الأدنى القديم»، نشر «المغامرة الفكرية للرجل القديم» في عام 1946، وهو عمل مؤثر عن طبيعة الأسطورة والواقع. ثم نشرت فرانكفورت (الملوك والآلهة) في عام 1948، و في عام 1948 أصبح مديراً لمعهد واربورغ في لندن. جنباً إلى جنب مع واليس بدج ، كان يرى أن الحضارة المصرية، ثقافياً ودينياً وعرقياً، نشأت من أفريقيا، بدلاً من أصولها الآسيوية. كتب 15 كتاباً ودراسةً

وحوالي 73 مقالةً لمجلاتٍ عن مصر القديمة وعلم الآثار والأنثروبولوجيا لثقافية، خصوصاً في الأنظمة الدينية في الشرق الأدنى القديم.

كان مؤثراً في عصره، وقد اعترف إيريك هورنونغ في أعماله المؤثرة «مفاهيم الله في مصر القديمة، الواحد والمتعددون» بدينه للعمل السابق الذي قام به هنري فرانكفورت. توفي في لندن. أهم أعماله:

اللوحة الجدارية للعمارنة 1929، تابوت سيتي الأول في أبيدوس (مشترك) 1933، مدينة أخناتون (مشترك) 1933، الأختام الأسطوانية: مقال وثائقي عن الفن والدين في الشرق الأدنى القديم 1939، ماقبل الفلسفة (المغامرة الفكرية للإنسان القديم) 1946، الديانة المصرية القديمة 1948، الملوك والآلهة 1948، فن وعمارة الشرق القديم 1954.

	
السير ليونارد وولي	هنري فرانكفورت

5. صموئيل نوح كريمر (1897 - 1990) Samuel Noah Kramer

ولد كريمر في مدينة كييف، وبسبب مذبحة لليهود في ظل حكم القيصر نيقولا الثاني هاجر من روسيا وعائلته إلى فيلادلفيا عام 1905، حيث أنشأ والده المدرسة العبرية. انتقل إلى قسم الدراسات الشرقية التابع لجامعة بنسلفانيا، وعمل مع أفرايم أفيغدور على فك بعض

الكتابات المسمارية؛ وكانت بداية عمل كريمر في فهم نظام الكتابة المسمارية. لعب دورا في نشر وإصلاح، وبعث الأدب السومري، وسعى إلى ترجمة الكثير من النصوص السومرية الموثوق بها إلى المجتمع الأكاديمي، وساعد على انتشار اسم سومر للعالم بأسره، وجعل الناس على بينة من الدور الحاسم الذي لعبه السومريون في الصعود للإنسان المتحضر، أسس معهد الآشوريات ودراسات الشرق الأدنى القديم، ونشر أفضل الكتب والدراسات السومرية، ومن أشهر كتبه هي:

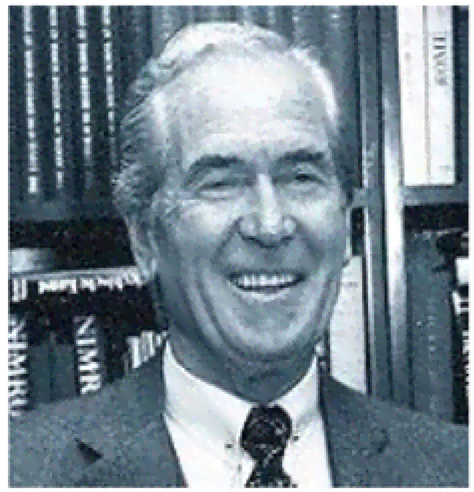
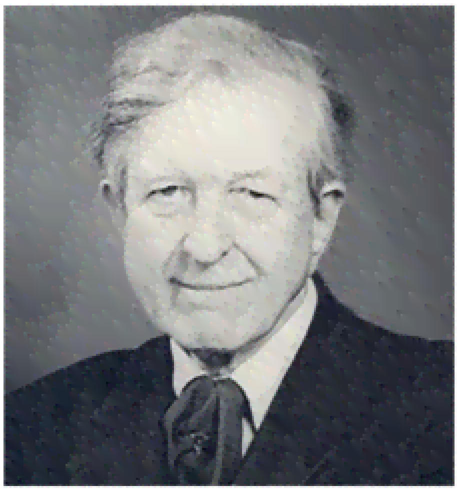
المثولوجيا السومرية 1944 ثم 1961، التاريخ يبدأ من سومر 1956، السومريون (تأريخهم، حضارتهم، وصفاتهم) 1963، إنانا: ملكة السماء والأرض وهو كتاب مشترك مع ديان ولكشتاين 1983، مهد الحضارة، مثولوجيات العالم القديم، أسطورة إنكي، طقس الزواج المقدس (مظاهر الإيمان والأسطورة والطقس في سومر القديمة)، من الشعر السومري (الخلق، التمجيد، العشق) محاضرات، في عالم سومر (سيرة ذاتية) 1988.

6. ثوركليد جاكوبسون (1904 – 1993) Thorkild Jacobsen

كان ثوركيلد بيتر رودولف جاكوبسن (دانمركي الأصل) متخصصًا في الأدب الآشوري والبابلي والسومري. لقد كان أحد أوائل العلماء في الشرق الأدنى القديم.

حصل عام 1927، على درجة الماجستير من جامعة كوبنهاغن، ثم سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو، حيث حصل في عام 1929 على درجة الدكتوراه.كان عالِماً ميدانيًا في بعثة العراق للمعهد الشرقي وفي عام 1946 أصبح مديرًا للمعهد الشرقي. شغل منصب عميد قسم العلوم الإنسانية، ومحرراً في القاموس الآشوري من 1955 إلى 1959، وأستاذاً للمؤسسات الاجتماعية من 1946 - 1962. ثم أستاذاً لعلم الأشوريات بجامعة هارفارد، حيث بقي حتى تقاعده في عام 1974. ثم عمل أستاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس حيث ساعد في تطوير برنامج قوي لآشوريات. عمل الدكتور جاكوبسن عام 1993 كرئيس للجمعية الأمريكية الشرقية، وهي منظمة للعلماء.إلى جانب كونه مترجمًا خبيرًا، كان مترجمًا رائعًا أدت رؤاه الثاقبة إلى فهم أعمق وتقدير للمؤسسات والمراجع المعيارية للسومرية. والثقافة الأكادية.أهم مؤلفاته:

قائمة الملوك السومرية 1939، المعبد البيضاوي في خفاجة (مشاركة) 1940، المغامرة الفكرية للإنسان القديم 1946(مشاركة)، تاريخ وثقافة بلاد ما بين النهرين ـ نحو صورة لتموز 1970، كنوز الظلام (تأريخ وادي الرافدين) 1976، القيثارات ذات مرة... ترجمة في الشعر السومري 1987.

	
صموئيل نوح كريمر (1897 ـ 1990)	ثوركليد جاكوبسون (1904 – 1993)

7. فرانسوا ثورو دانجن (1872 - 1944)

عالم آثار فرنسي، لعب دوراً رئيسياً في فك رموز اللغات السومرية والأكادية، درس تحت إشراف يوليوس أوبيرت في باريس، ومن عام 1895، ارتبط بمتحف اللوفر، وتم تعيينه مساعداً مساعدًا لقسم الآثار الشرقية. نيابة عن المتحف، أجرى حفريات في أرسلان طاش (1927) وتل بارسيب (1929 - 1931).]

كان خبيرًا بارزًا في النصوص المسمارية البابلية، وعمل على نظرية تتعلق بأصول الكتابة المسمارية،

أسس الجمعية العالمية للآشوريات مع جورج دوسين، وأسس جمعية المستشرقين، والتي تستضيف الأحداث الدولية. كان عضوا في أكاديمية النقوش والآداب، من أهم كتبه:

بحث عن أصل الكتابة المسمارية1898، مجموعة من الأقراص الكلدية 1903، نقوش سومر وأكد 1905، النقوس الملكية السومرية والأكدية 1907، رسائل وعقود من عهد الأسرة البابلية الأولى، 1910، الطقوس الأكدية 1921، أسطوانات جوديا 1925، النصوص البابلية الرياضية 1938.

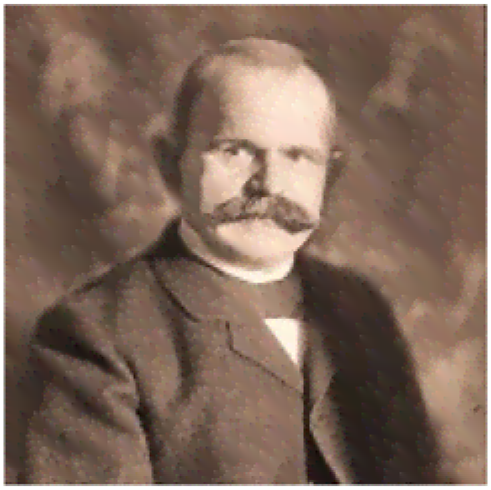
8. آدم فالكينشتاين (1966 - 1906) Adam Falkenstein

ولد في هايدلبرغ في ألمانيا، درس فالكنشتاين علم الآشوريات في ميونيخ ولايبزيغ. كان مهماً، في المقام الأول بالكتابة المسمارية في أوروك بشكل خاص، واهتم بالسومريين ولغتهم. في عام 1930 عمل فالكنشتاين أستاذاً لعلم الأشوريات بجامعة غوتنغن. في عام 1940 قبل مهمة التدريس بجامعة هايدلبرغ كأستاذ للغات السامية. انضم إلى الحزب النازي في عام 1939. وفي عام 1941، سافر إلى بغداد مع فريتز جروبا عندما قام الحاج أمين الحسيني وراشد علي الجيلاني بتنظيم انقلاب قصير مؤيد لألمانيا بدعم من شحنات الأسلحة من الرايخ الألماني. بعد ذلك عمل في الخدمة الخارجية الألمانية في تركيا. من 1939 إلى 1944 كان رئيس تحرير المجلة المهنية الشرقية، ثم قام بتحرير مجلة ألمانية عن الآداب الآشورية، وفي أوائل الخمسينيات استأنف التدريس في جامعة هايدلبرغ.

أهم مؤلفاته: نصوص أوروك المسمارية 1931و 1936، أنواع الإستدعاء السومرية الرئيسية، طوبوغرافيا أوروك 1941، قواعد لغة جوديا من لجش1950 - 1949، ترانيم وصلوات سومرية وأكادية (1953، مع ولفرام فون سودين).



فرانسوا ثورو دانجن



آدم فالكينشتاين

9. ستيفن هربرت لانجدون (1876 - 1937) Stephen Herbert Langdon

عالم أشوريات وسومريات بريطاني المولد، درس في جامعة ميشيغان، اهتم بدراسة اللاهوت قدر اهتمامه بدراسة وادي الرافدين، فدرس في مدرسة الاتحاد اللاهوتية في نيويورك، وتخرج في عام 1903، ثم درس في جامعة كولومبيا للحصول على الدكتوراه. وخلال هذه الفترة تعلّم كشماس في كنيسة إنجلترا (1905) ثم انتقل إلى جامعة أكسفورد في إنجلترا (حيث كان عضوًا في الغرفة المشتركة للكبار في كلية يسوع)، وأصبح قارئ تفسير الأحلام في علم الأشوريات في عام 1908، في عام 1916، عندما قلصت الحرب العالمية الأولى من حجم فصوله في إنجلترا، أمضى بعض الوقت في متحف جامعة بنسلفانيا للآثار والأنثروبولوجيا، وعمل أمينًا للقسم البابلي.
من أهم مؤلفاته:

بناء نقوش الإمبراطورية البابلية الجديدة1905 (رسالة دكتوراه)، محاضرات في بابل وفلسطين 1906

فقه اللغة البابلية الآشورية 1908 (مشارك)، المزامير السومرية والبابلية 1909، قواعد اللغة السومرية 1911، الصلوات البابلية 1913، تموز وعشتار: دراسة عن الدين واللاهوت البابلي تحتويان على مقتطفات واسعة من طقوس تموز وجميع أقوال أربيلا. مطبعة جامعة أكسفورد. 1914.

الملحمة السومرية من الجنة، الطوفان وسقوط الإنسان. منشورات القسم البابلي، المجلد رقم 10. فيلادلفيا: متحف جامعة بنسلفانيا. عام 1915.

النصوص النحوية السومرية. منشورات القسم البابلي، المجلد 12، العدد 1. فيلادلفيا: متحف جامعة بنسلفانيا. 1917.

النصوص السومرية الليتورجية. منشورات القسم البابلي، المجلد 10، رقم 2. فيلادلفيا: متحف جامعة بنسلفانيا. 1917.

ملحمة جلجامش. منشورات القسم البابلي، المجلد 10، رقم 3. فيلادلفيا: متحف جامعة بنسلفانيا. 1917.

الصلوات والمزامير السومرية. منشورات الباب البابلي 10. فيلادلفيا: متحف جامعة بنسلفانيا. 1919

الحكمة البابلية. لندن: لوزاك. 1923

النصوص الدينية والتاريخية السومرية والسامية. من النقوش المسمارية، أكسفورد. 1923 وغيرها... إلخ.

10. ميجويل سيفل (1926 - 2019) Miguel Civil

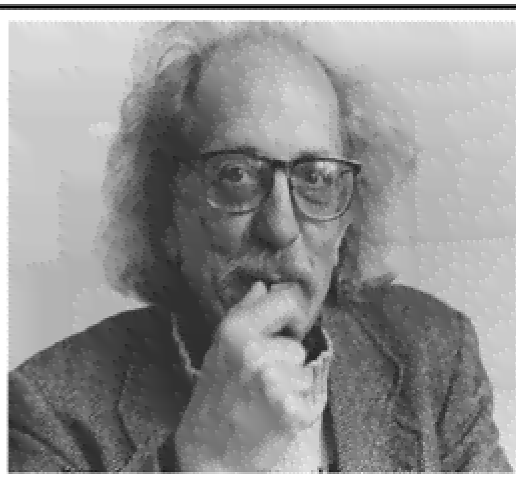
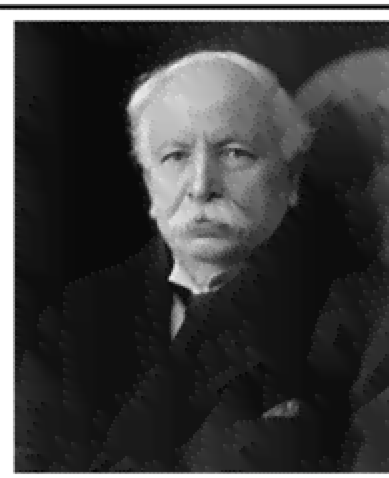
يمكننا القول أن ميجويل سيفل هو أكبر علماء السومريات حتى يومنا هذا، كان خبيرًا في دراسات سومر وبلاد ما بين النهرين القديمة في معهد شيكاغو الشرقي. ووفقًا لحديث زميله، كريستوفر وودز، في وقت وفاته قال: كان سيفيل يعرف السومرية أفضل من أي شخص آخر منذ 4000 عام.

ولد في سابادييل، في برشلونة، إسبانيا. درس علم السومريات في باريس وكان باحثًا مشاركًا في جامعة بنسلفانيا من 1958 إلى 1963. ومن 1964 إلى 2001، وأستاذًا في علم السومريات في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو. وكان أيضًا مديرًا مشاركًا لدراسات كلية الدراسات العليا في باريس، وكاتبًا في رحلة نيبور إلى العراق، وعضوا في هيئة تحرير قاموس شيكاغو

الآشوري، ومحرراً رئيسياً لسلسلة مواد المعجم السومري (في الذي نشر عدة مجلدات). أطلق عليه رايكل بورجر (أفضل خبير في الكتابة السومرية).

كرس دراسته لتحقيق فهم أفضل للغة السومرية ومضمونها النصي، ونشر بشكل مكثف النصوص الأدبية واللغوية السومرية، وكذلك العديد من المساهمات التي تضيء جوانب متنوعة من نظام الكتابة السومرية واللغة والأدب والثقافة، من علم الأصوات إلى الزراعة. كما نشر العديد من المساهمات لنصوص من إيبلا. توفي المدني في شيكاغو، إلينوي عن عمر يناهز 92 عامًا.

له من الكتب والبحوث العلمية: بيت السمكة: تكوين أدبي سومري 1961، عربة إيشمي داجان وإنليل 1968، من صداع إنكي إلى علم الأصوات 1973، دراسات عن معجم الأسرات المبكرة 1982، إنليل ونينليل: زواج سود 1983، تغذية خروف دوموزي: المعجم كمصدر للإلهام الأدبي». في اللغة والأدب والتاريخ 1987، التاريخ المبكر لإبلا 1987، تعليمات الفلاحة: دليل زراعي سومري (1994)؛ المفردات العملية للأسرة (2008)؛ والنصوص المعجمية في مجموعة شوين 2010)... الخ..

	
ميجويل سيفل	ستيفن هربرت لانجدون

11. فوزي رشيد (1931 - 2011) Fawzi Rashed

مؤرخ وأكاديمي وعالم آثار عراقي وعالم السومريات والمسماريات، حصل عل شهادة بكالوريوس في علم الآثار من كلية الاداب جامعة بغداد عام 1957 بتفوق وسافر في بعثة دراسية

إلى ألمانيا لينال شهادة دكتوراه في علم الآثار من جامعة هايدلبرغ في عام 1966. شغل منصب مدير المتحف العراقي ببغداد للفترة من 1969 - 1977. ثم اصبح مديرا للدراسات والبحوث في دائرة الاثار العراقية للفترة من 1977 - 1987 ثم استاذا في كلية الاداب بجامعة بغداد للفترة ن 1987 - 1995 ثم غادر العراق ليدرس في جامعات عربية مختلفة منها جامعة السابع من أبريل في مدينة الزاوية في ليبيا وجامعة تونس المنار حتى 2010.

حصل على وسام المؤرخ العربي عام من اتحاد المؤرخين العرب عام 1986 وحصل على جائزة العلامة طه باقر للابداع الاثاري في دورتها الاولى عام 2012 عن مجمل اعماله كأفضل اثاري رائد وهي ارفع جائزة رسمية للعاملين في حقل العمل الاثري في العراق تمنحها وزارة السياحة والاثار العراقية، الهيئة العامة للاثار والتراث، دائرة الدراسات والبحوث.

من مؤلفاته: قواعد اللغة السومرية 1972 وقواعد اللغة الاكدية 1988، طه باقر حياته وآثاره، ظواهر حضارية وجمالية من التأريخ القديم، الشرائع العراقية القديمة، السياسة والدين في العراق القديم، علم المتاحف، الفكر عبر التأريخ وسلسلة كتبه عن ملوك العراق القدماء (حمورابي، كَوديا، نرام سين، أبي سين، سرجون الأكدي)، آشور أفق السماء.

12. فاضل عبد الواحد علي (1935 - 2018) Fadel Abdul Wahid Ali

ولد في البصرة ثم انتقل إلى بغداد ليكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب والعلوم ـ قسم الآثار والحضارة عام 1953، ودرس علي يد نخبة من رواد علم الآثار العراقي أبرزهم العلامة طه باقر.

تخرج من قسم الآثار 1955، واختير ضمن المتفوقين للانضمام إلى دائرة الآثار العامة، ثم أرسل إلى الخارج لإكمال دراسته العليا في ميادين الآثار والحضارة ولغات العراق القديم، فإنتقل ليكمل دراسته العليا في جامعة بنسلفانيا وعلى يد العالم الكبير الأستاذ صمويل نوح كريمر أستاذ السومريات في جامعة بنسلفانيا وتمكن من الحصول على شهادة الماجستير في مادة السومريين وآدابهم في العام 1960.

حصل على الدكتوراه في فلسفة الآثار عام 1964، ونشرت له جامعة بنسلفانيا في العام 1964 كتاب بعنوان رسائل سومرية: مجموعتين من المدارس البابلية القديمة بحجم 310 صفحة..

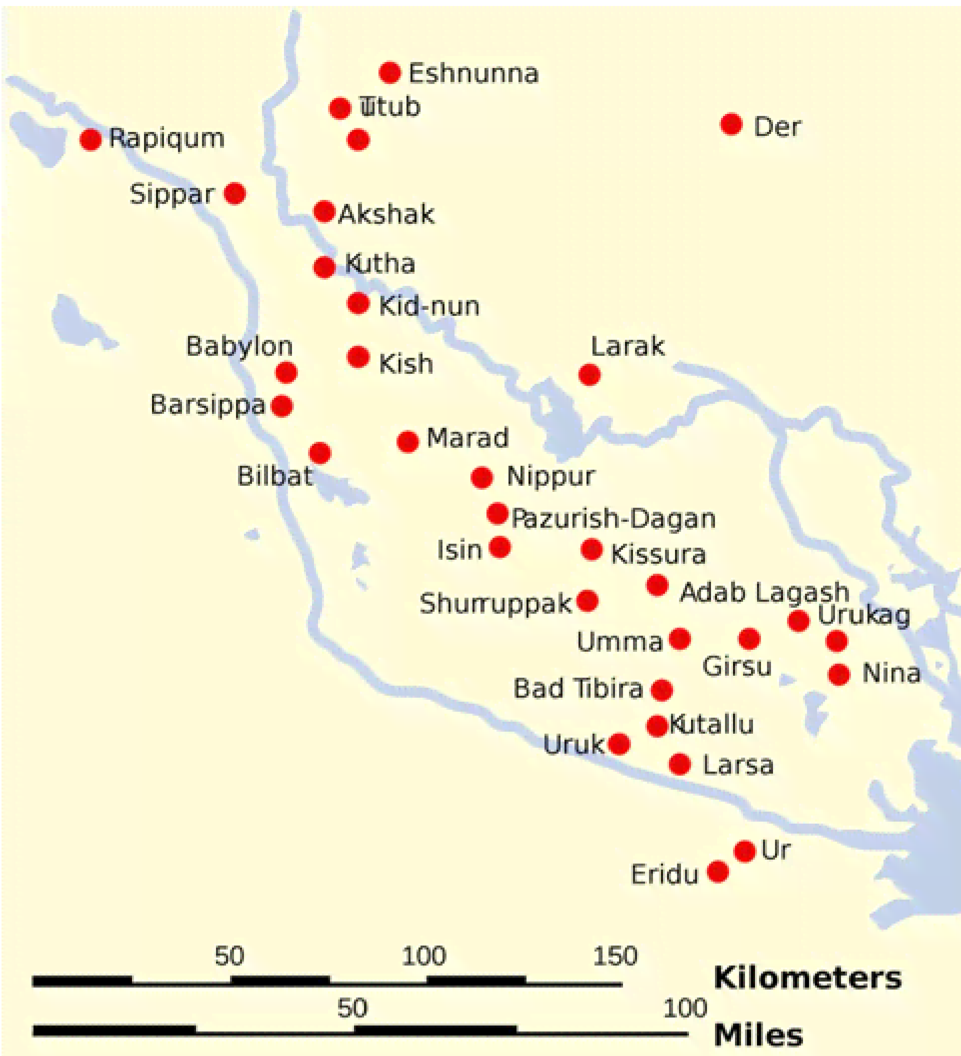
عاد الأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد علي للعراق ليكن استاذا في جامعة بغداد ويبدأ تدريس اجيال جديدة من الآثاريين العراقيين، كان اختصاصه الدقيق هو علم السومريات، وكانت معرفته باللغة السومرية كبيرة بالإضافة إلى اللغات الأخرى كالأكدية والآرامية وقد قام بدراسة النصوص السومرية المحفوظة في المتحف العراقي.

من مؤلفاته: عشتار ومأساة تموز، الطوفان في المراجع السومرية، من ألواح سومر إلى التوراة، سومر أسطورة وملحمة. وساهم في كتابة، «العراق في التاريخ» و«حضارة العراق» بثلاثة عشر جزءاً. عادات وتقاليد الشعوب القديمة، مع د. عامر سليمان، تأريخ العراق القديم، ج1 - ج2، مع ألأستاذ طه باقر ود. عامر سليمان.

	
د.فوزي رشيد	د.فاضل عبد الواحد علي

الفصل الثاني

المظهر الجغرافي



المبحث الأول: جغرافيا سومر

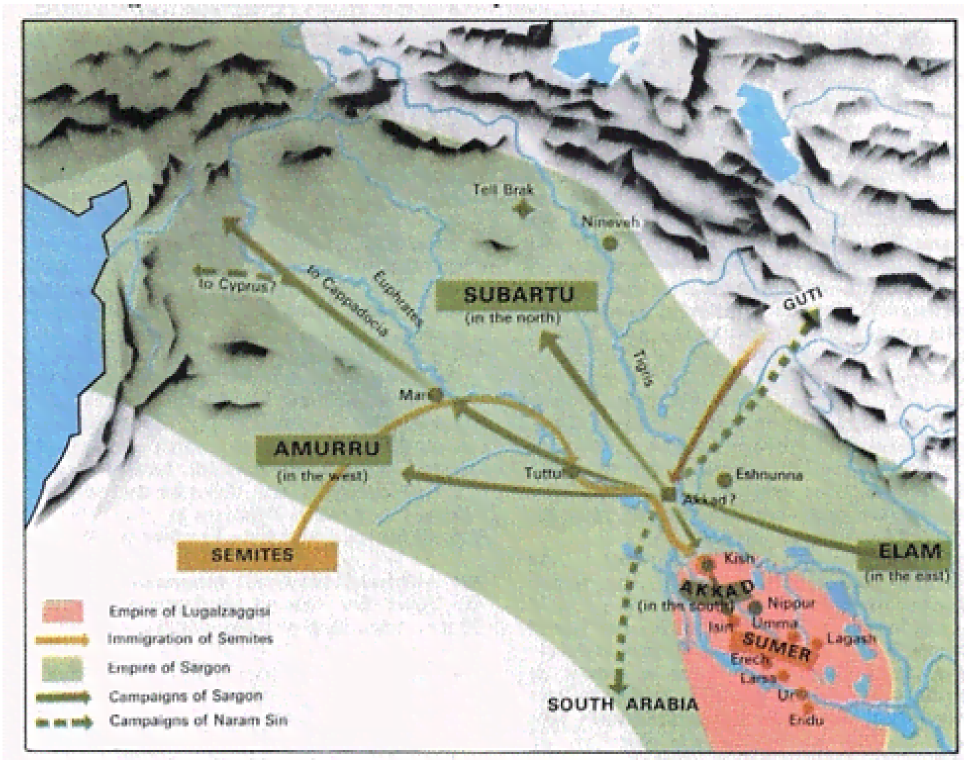
أولاً: طبيعة سومر

ظهرت سومر من دويلات مدن صغيرة جنوب وادي الرافدين التي كانت أرضاً نموذجية للزراعة بوجود الأنهار والروافد، أما الأمطار فكانت متذبذبة وغير ثابتة التوقيت، وكان نهر دجلة، بشكل خاص، شديد الفيضان. أما الفرات فكان أكثر استقراراً، ولذلك كثرت مدن وقرى سومر باتجاه الفرات.

تبدو سومر الأولى وكأنها شبه جزيرة جنوب العراق أو دلتا خصبة يحيطها النهران العظيمان دجلة والفرات من الشرق والغرب، وفي الجنوب هناك الخليج العربي الذي كان يسمى بـ(البحر الأسفل). وشمالاً كانت الدلتا تضيق عند مواقع جنوب بغداد الحالية حيث ظهرت أكد والدولة الأكدية.

كان طمي الأرض السومرية خصباً جدًّا والأنهار بحاجةٍ لهندسة ريّ لتنظيم سقي الزرع منها. ومناخ سومر حارًّا والأنهار وروافدها قابلة للفيضان والمطر قليلاً، والمناخ الجاف يجبر الناس على النزوح باتجاه الأنهار وضفافها، ولذلك كان على السومريين الاستعداد الدائم لمقاومة كل هذه الظروف المناخية والجغرافية. فمعدل درجات الحرارة يصل إلى 34 درجة مئوية وهي درجة حرارة عالية

كانت رواسب النهرين تشكل مادة السهل الرسوبي وظهرت المستنقعات جنوباً، والأهوار ظهرت في حدود القرن السابع للميلاد فهي متأخرة عن حضارات وادي الرافدين التي لم تشهد أهواراً كما هي الآن، ولذلك عثر على الكثير من الآثار السومرية داخل الأهوار الحالية لأنّ أرضها كانت مأهولة بسكان الريف السومري بشكل خاص.



Sargon's Akkadian Empire

سومر وما حولها من الشعوب والبلدان (أكد، سوبارتو، عيلام، أمورو)

كان السهل الغريني القريب من بابل يسمى (سهل عدن) أو (السهل)، وهو على الضفة الغربية للنهر (نهر بابل الذي كان يتدفق جنوب بابل) حيث كان البدو من أسلاف البابليين يحشدون قطعان حيواناتهم على هذه الضفة هي (كيساد) التي كانت مقابل الضفة الغربية لدجلة (الحديث شط العدن). وقد سميت المنطقة بأكملها باسم (كو- أدينا Gu- Edinna) وهو الاسم السومري الذي كان يقابله بالأكدية اسم (كاسد – إيديني Edini – Kasid) أو كاسد تاميتم (Kasid- tamtim) أي ساحل البحر.

اسم سومر القديم في السومرية (كانجي، كنجير) يعطي انطباعين فهو أرض القصب أو الأرض، وكان يقابل كانجي وسومر اسمان آخران هما أورّا، أون Urra, Un وأكد في الشمال وربما يكون معنى أورّا (التربة الطينية)، وكذلك يشير إلى البلد المرتفع أو المرتفعات، وهذا يقابل بلاد سومر كانجي المنخفضة.

وحين وحد سرجون الأكدي الأراضي المنخفضة (سومر) مع الأراضي المرتفعة (أكد)، أسماها بلاد سومر وأكد و(كلام) أي الإقليم.

بعد الغزو الكاشي لبابل التي كانت بمثابة هذا الإقليم عُرف شمال بابل باسم (كار- دونياش)، أي (جدار الإله دونياسك) الذي يشبه خط الحصون التي بناها نبوخذ نصر الثاني (بين سبار وأوبس)، وربما كان الجدار الوسيط لحملة زينوفون في ملحمة أناباز التي تمتد من الفلوجة إلى جبار.

ورد اسم دجلة في اللغة السومرية بهيئة (إد كنا Idigna) وفي الأكدية بهيئة (إد كلات Idiglat) بمعنى الجاري أو الراوي، أما الفرات سومريًّا (بورانه Burana) وفي الأكدية بهيئة (بوراتم Buratum) ومعناه نهر الشمس.

ثانياً: المدن السومرية

هذا جدول بأهم المدن السومرية

الرقم	الاسم السومري للمدينة	الاسم الحالي للمدينة	الإله السومري	دلالته
1.	سبار	أبوحبة	أوتو	الشمس
2.	كيشkesh	أبو صلابيخ	ننتود، نصابا	ننليل كيش
3.	أكشاك	تل عمر، تل مجيلات	إنليل	الهواء
4.	لاراك	أرك	بابيل سانج+ننسينا	العالم الأسفل+الشفاء
5.	شروباك	فارة، أبوصلابيخ	إنكي	الماء
6.	نيبور	نفر	إنليل	الهواء
7.	كوثى	تل إبراهيم (الكوت)	نركال(إيرا، ميسلام)	العالم الأسفل (الطاعون، الموت)
8.	أدب	بسماية	ننخرساج	الأرض

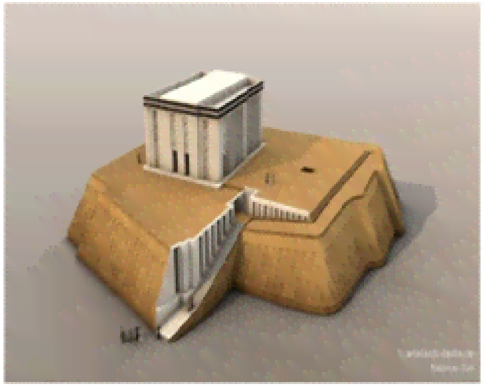
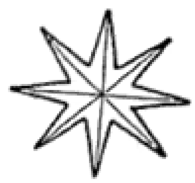
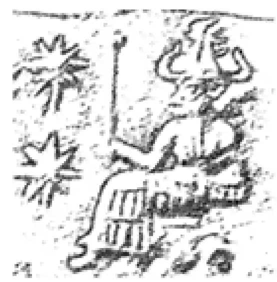
.9	أوما	تل جوخة	شارا	الحرب
.10	لكش	الهبة (تلو)	ننكرسو	العاصفة
.11	بادتبيرا	تل مدينة	دموزي	المراعي والخصب
.12	أوروك	الوركاء	أن، إنانا	السماء، الزُّهرة
.13	لارسا	سنكرة	أوتو	الشمس
.14	أور	المكير	نانا	القمر
.15	أريدو	أبو شهرين	إنكي	الماء (الحكمة)
.16	دلبات	تل دُليم	إنانا	الزُّهرة
.17	إشنونا	تل أسمر	آبو	الخضرة
.18	جرسو	تلّو	ننجرسو (ننورتا)	الريح
.19	إيسن	إيشان بحريات	غولا	الطب
.20	ماري	تل الحريري	نيني زازا	إنانا
.21	دير (دوروم)	تل العفر (العفار) في الكوت	عشتران، نيراه	الأفعى
.22	نربتم	تل أشجالي	أوتو وإنانا	الشمس والزهرة
.23	نينا سيرارا	سرغول	جرسو	العاصفة
.24	نوزو (نوزي)	يورغان تبّه	كوماري، تيشوب	العاصفة
25	مرد	ونه والصدوم	ننورتا	العاصفة
26	إينجي	أم الواوية	؟	؟

جدول بأهم المدن السومرية وأسمائها الحالية وإلهها الخاص ووظيفته. وضع: المؤلف

في الفقرات القادمة سنستعرض أهم المدن السومرية بصيغة موحدة على شكل جداول تحاول أن تضم العناوين ذاتها والتي توفر المعلومات والصور اللازمة لإيضاحها:

1. أوروك

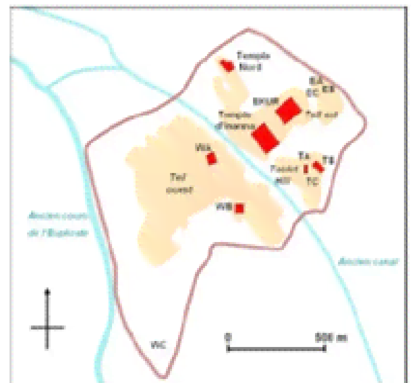
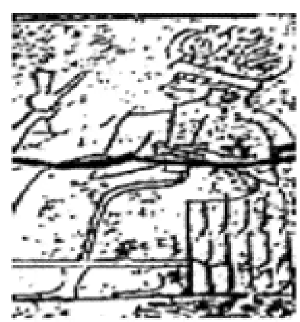
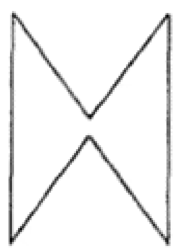
الاسم	السومري: أونوك، أوروك. الأكدي: أوتوغ. العبري: إيريش. اليوناني: أوريتش. العربي: الوركاء
الموقع	على نهر الفرات، تبعد عن مدينة أور 35 ميلاً وتقع حوالي 30 كم شرق السماوة وهي إلى الشمال من أور (تل المُقيَّر) محاطة بسور دائري
التنقيب	اكتشف المدينة الإنكليزي وليام لوفتس سنة 1849 م. وفي 1928 وما بعدها بدأت التنقيبات من قبل الجمعية الشرقية الألمانية ومعهد الآثاريين الألمان
أهم الآثار	محاطة بأسوار من الطابوق طول محيطها حوالي ستة أميال زقورة آن وهي متوجة بـ «المعبد الأبيض» الذي يعود إلى عهد جمدت نصر
التاريخ	5000ق. م-240 م، العصر الذهبي هو عصر أبطال سومر ومنهم كلكامش
المنجزات	الكتابة، عصر البطولة السومري والمعابد والأختام والتمائم حرفية عالية جدًّا في إنتاج الرسوم الدقيقة. كان يصنع بها الفخار غير ملون على الدولاب (عجلة الفخار)
الآلهة	(آن) إله السماء، والإلهة إنّانا («ملكة السماء»)
الملوك	بناها أينمركار وشيد سورها كلكامش وعدد سلالاتها الحاكمة هي خمس.

الخارطة: المدورة	أهم آثارها: زقورة آن متوجة بـالمعبد الأبيض
	
إله المدينة ورمزه: آن	أهم ملوكها: كلكامش
 	

2. نيبور

الاسم	الحالي: نِفَّر أو نُفَّر
الموقع	تقع على مسافة60 ميلاً شرق النجف. وتقع على الضفة اليمنى من مجرى الفرات الأقدم. والضفة الشرقية من شط النيل المندرس
التنقيب	البعثة الأمريكية من 1889 وحتى 1900 ثم في 1948
أهم الآثار	الجزء الشرقي (حي الكتّاب) مصدر الأدبيات السومرية حرم إنليل المقدس، أي – كور، بشكله الحالي. وقد بنيت زقورة، ربما تكون بارتفاع ثلاثة طوابق، ومعبد في فناء محاط بالأسوار
التاريخ	2500-1200 ق. م، العاصمة الدينية للسومريين لأنها مقرّ إنليل، بنيت في 2500ق. م

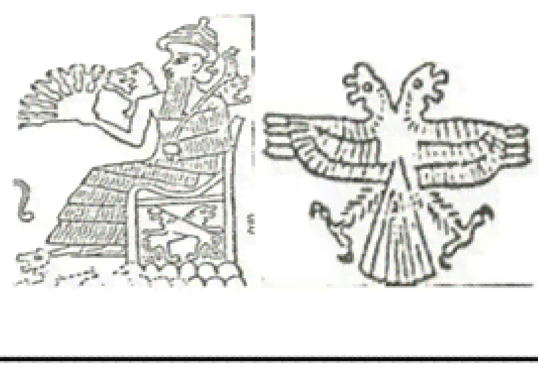
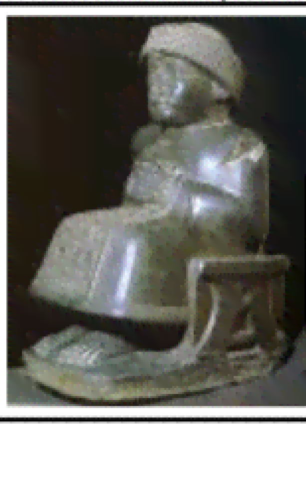
المنجزات	مدينة حج السومريين، فيها خلق إنليل الإنسان، ظهر فيها أقدم تقويم زراعي
الآلهة	إنليل (إله الهواء) والإله القومي لسومر، وننليل زوجته
الملوك	حكمها الكهنة ومنهم الكاهنة العليا (توتا نابشتم)، وحاول السيطرة عليها ملوك المدن السومرية مثل أجا وإنميباراجيزي، ميسانيبادا، كلكامش، أورننجال، أورنمو

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
	
إله المدينة ورمزه:	الكاهنة العليا: توتا- نابشتم Tuta-napshum
 	

3. لجش

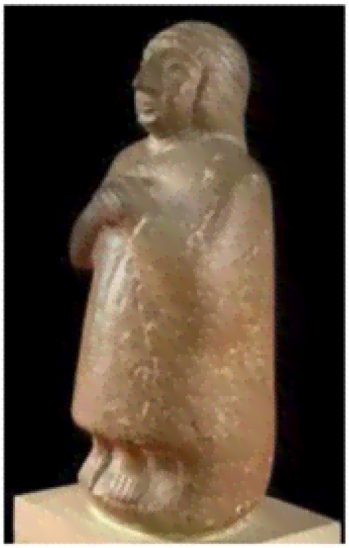
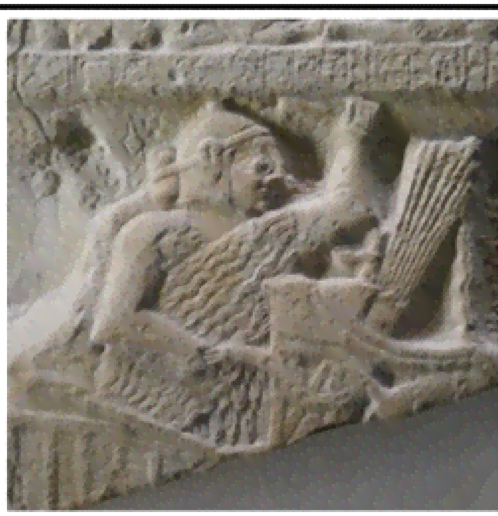
الاسم	السومري: جيرسو، لجش. الحالي: تلّو، تل الهبة
الموقع	غرب منطقة الكرمة القريبة من البصرة وشرق مدينة أورك حاليًّا تقع على بعد 22 كيلومتراً شرق مدينة الشطرة في محافظة ذي قار

التنقيب	الفرنسيون في تِلّو بين 1877 و1933 واكتشفوا على الأقل 50000 نص مسماري
أهم الآثار	مسلة النسور، المنصوبة احتفالاً بانتصار الملك أنـّاتوم على دولة أوما المجاورة إينينـّو «بيت الخمسين»، المقرّ الخاص بالإله الأعلى إنليل. سد وناظم لجش مسلة الموسيقى لجوديا2100 ق. م
التاريخ	5200ق. م - 224م، عصر جوديا الذهبي
المنجزات	المدينة التي مهدت للعهد السومري الحديث
الآلهة	ننجرسو
الملوك	أوركاجينا، أورنانشه، أنتيمينا، جوديا، إينّاتم

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: مسلة الموسيقى لجوديا2100 ق. م
	
إله المدينة ورمزه: ننجرسو(ننورتا)	أهم ملوكها: جوديا
	

4. أكشاك

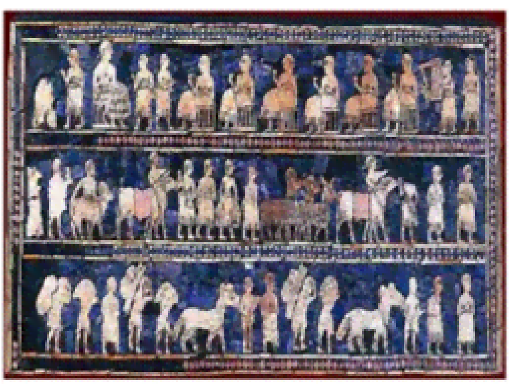
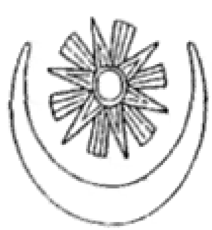
الاسم	السومري: أكشاك. الحالي: تل عمر، تل مجيلات
الموقع	قرب إشنونا في وادي نهر ديالى، ربما هي أوبي (أوبس) البابلية وهناك من يرى أنها تقع في سلوقية (المدائن حاليًّا)
التاريخ	في حوالي 2500 ق. م فتحها إياناّتوم ملكُ لكش. وبعد حوالي قرن تزعمت أكشاك سومر وأكد
الملوك	أونزي وأوندالولو وأورورو وبوزور-نيراه وأشو الثاني وشوسين

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
	
إله المدينة ورمزه: إنليل إله الهواء	أهم ملوكها:2350 ق. م حكمها إيناتم العظيم لوكال زاكيزي. بوزور نيراه هو مؤسس سلالة أكشاك، وهو زوج الملكة كوغ-باو ملكة كيش.
 	

5. أور

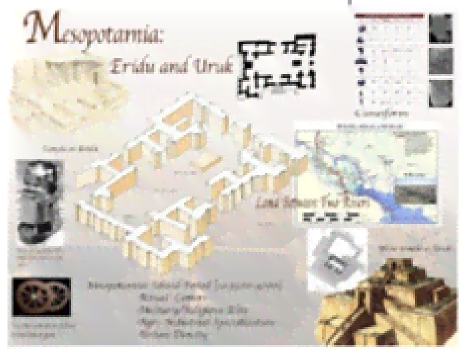
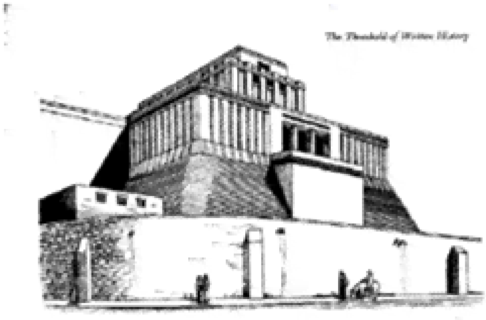
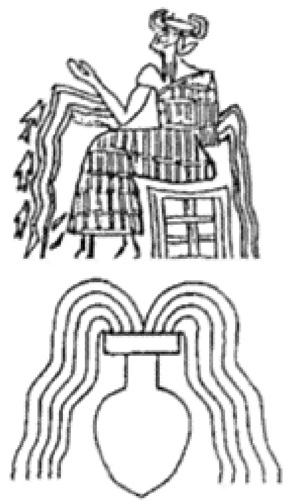
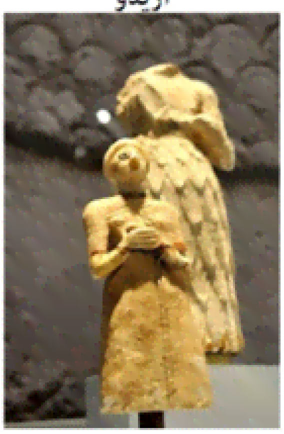
الاسم	الحالي: تل المقيّر، سكنها أولاً الفراتيون الأوائل
الموقع	140 ميلاً (225 كم) جنوب شرق موقع مدينة بابل، وعلى حوالي 10 أميال (16 كم) غرب المجرى الحالي لنهر الفرات

التنقيب	هـ. ر. هول من المتحف البريطاني، ونتيجة لها تشكلت بعثة مشتركة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا نفذت أعمال تنقيب بإدارة ليونارد وولي من 1922 حتى 1934
أهم الآثار	كان فيها 16 مقبرة ملكية شيدت من الطوب اللبن. وكان في كل مقبرة بئر. وكان الملك الميت يدفن معه جواريه بملابسهن وحليهن بعد قتلهن بالسم عند موته. وكان للمقبرة قبة. مقياس (راية) أور. زقورة أور
التاريخ	3500 - 300 ق. م، ثلاث سلالات... الثالثة عاصمة سومر
المنجزات	أنشأت الدولة السومرية الحديثة
الآلهة	نانا (سين) اله القمر
الملوك	أور –نمّو، شولجي، أبي سين

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
	
إله المدينة ورمزه: نانا، سين، ننار	أهم ملوكها: أورنمّو
 	

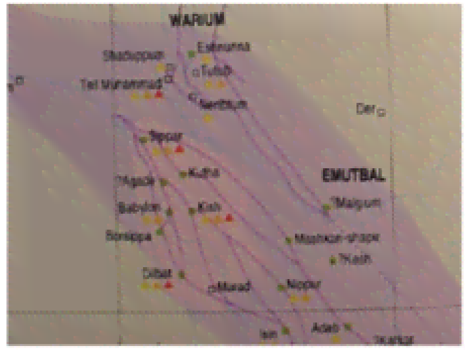
6. أريدو

الاسم	السومري: أريدو (المكان الكبير)، كي – نون (أرض البحر) الحالي: تل أبو شهرين
الموقع	7 أميال عن جنوب غرب مدينة أور الناصرية
التنقيب	دائرة الآثار العراقية بين عامي 1946 و1949
أهم الآثار	أول معبد في التاريخ يعتقد أنه معبد إنكي أو إيا: إله الماء
التاريخ	5000 - 600 ق. م
المنجزات	أول مدينة نزلت الملكية فيها من السماء قبل الطوفان، أسسها شعب غير سومري يحتمل أن يكون شعب سونارتو
الآلهة	إيا (إنكي)
الملوك	ألولم، ألجار

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: معبد أريدو
	
إله المدينة ورمزه:	أهم ملوكها:
	ألولم، ألجار الصورة لعاهل سومري قديم وليس لملك في أريدو 

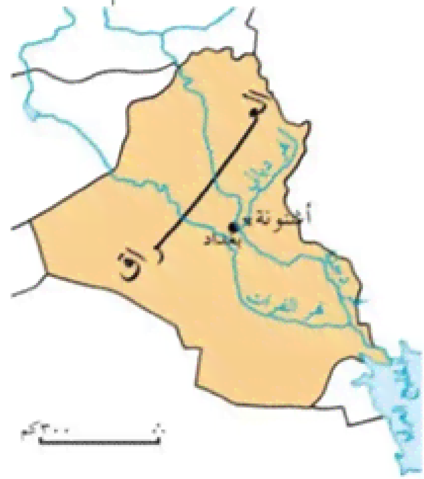
7. أدب

الاسم	القديم جدًّا: أود –نون أي نهر نون، الحالي: بسماية
الموقع	جنوب نيبّور (حاليًّا نِفرّ أو نُفرّ) في محافظة ميسان في العراق
التنقيب	الأميركي أدغار جيمس بانكس 1903
أهم الآثار	النصوص التجارية والمعابد، نص حكاية السائسين الثلاثة من أدب
التاريخ	2000-3000 ق. م إحدى مدن ما قبل الطوفان
المنجزات	مدينة سومر التجارية
الآلهة	ننخرساج، ابنتها لسن إلهة الحرف والتجارة
الملوك	لوكال – أنـّا – موندو

<table>
<tr><th>الخارطة الموقع المدينة</th><th>أهم آثارها:</th></tr>
<tr><td>
</td><td>
رأس من المرمر لرجل يرتدي عمامة، من أدب، من العهد الأكادي، حوالي القرن 24 ق. م، في المعهد الشرقي، جامعة شيكاغو.</td></tr>
<tr><th>إله المدينة ورمزه: ننخرساج وابنتها لسن</th><th>أهم ملوكها: إيماخ، داؤدو</th></tr>
<tr><td></td><td></td></tr>
</table>

8. إشنونّا

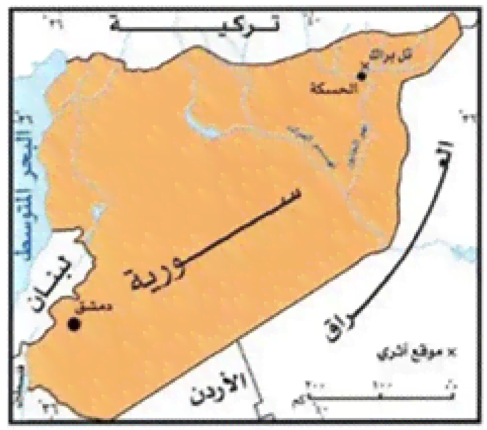
الاسم	الحالي: تل أسمر
الموقع	في وادي نهر ديالى، في محافظة ديالى في العراق.
التنقيب	المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو
أهم الآثار	تماثيل الإله آبو وزوجته وكهنته
التاريخ	3000 ق. م كانت تابعة لأور الثالثة ثم استقلت حتى مجيء حمورابي
المنجزات	شريعة إشنونا
الآلهة	آبو وزوجته
الملوك	أورجودينا، كلامو 2000 ق. م

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
	 تماثيل وجدت في تل الأسمر ، أوائل السلالة الثانية ، (حوالي 2775 ـ حوالي 2650 ق.م) ؛ في المعهد الشرقي ، جامعة شيكاغو .
إله المدينة ورمزه: آبو	أهم ملوكها: أورجودينا، كلامو 2000 ق. م
	

9. تل براك

الاسم	نجار، نوار، تل باريك، الحالي: تل براك
الموقع	حوض نهر الخابور الخصيب في محافظة الحسكة، سوريا
التنقيب	
أهم الآثار	معبد العين وتماثيل العيون
التاريخ	3200-2200 ق. م

	في أيام الملك الأكدي نـَرام – سين حوالي 2218، بُني مقرّ إقامة ملكي في براك
الآلهة	إلهة العين

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: معبد العيون 3500 - 3300 ق. م.
	
إله المدينة ورمزه: إلهة العيون	أهم ملوكها: أور نمّو، تمثال (مانهير) من تل براك
	

8. شروباك

الاسم	الحالي: تل فاره
الموقع	جنوب نيبور
التنقيب	

أهم الآثار	خرائب المنازل المبنية بناءً جيداً، بالإضافة إلى الألواح المسمارية الحاوية على السجلات الإدارية وقوائم الكلمات
التاريخ	3000 - 2004 ق. م. آخر مدن ما قبل الطوفان
المنجزات	أول نصين أدبيين في التاريخ هما (تعاليم شروباك)، ونص آخر هو (قدّاس معبد كيش)
الآلهة	ننخرساج، إنكي
الملوك	أوبارتوتو، شروباك، زيوسيدرا

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: رقيم إنليل
	
إله المدينة ورمزه: ننتود (ننليل شروباك، ننخرساج)	أهم ملوكها: أوبارتوتو، شروباك، زيوسيدرا

9. أوما

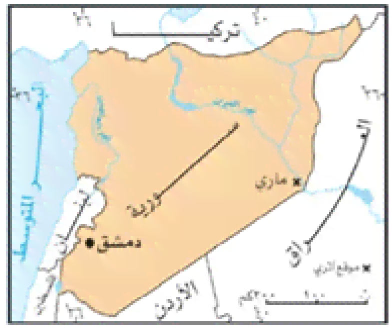
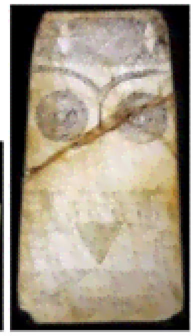
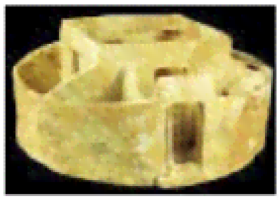
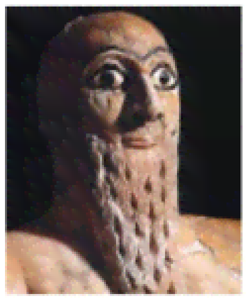
الاسم	السومري: أوما. الحالي: تل جوخه
الموقع	في قضاء قلعة سكر، غربي نهر الغرّاف، الواقعة على نهر (أيدنو) القديم (عدن)
التنقيب	قام عالما الآثار الإنكليزيان ويليام لوفتوس وجون بونيت بيترس التابعان لجامعة بنسلفانيا بالقيام ببعض التنقيبات في عام 1885 فتمّ اكتشاف بعض الآثار لسلالة أوما تعود إلى عصر سلالة أور الثالثة، واكتشف بأنه كانت هناك مدينة على تل

	جوخة وهي مدينة أوما التي كانت مطلة على نهر دجلة في محافظة ذي قار (محافظة).
أهم الآثار	أول عاصمة لأكبر وأقدم إمبراطورية شهدها العراق القديم قبل الأكدية وسرجون
التاريخ	وصلت المدينة إلى أوج عظمتها قبل حوالي 2275 ق م، عندما كانت تحت حكم لوكال زاغي سي، الذي حكم أيضاً أور وأوروك، وثم أصبحت تحت حكم سلالة أور الثالثة.
المنجزات	بعد ضعف لجش، وصعود ملك قوي إلى عرش أومّا وهو لوكال زاكيزي (نحو 2350ق. م) الذي غزا لجش وتابع حملاته، وبزغ نجمها
الآلهة	نانشه، إنانا
الملوك	لوكال زاكيزي: إنسي أوما (2335 - 2360) ق. م



10. ماري

الاسم	تل الحريري
الموقع	تقع ماري على بعد 11 كم إلى الشمال الغربي من البوكمال على الضفة الغربية اليمنى للفرات
التنقيب	بعثة فرنسية من متحف اللو□ر بإدارة أندريه بارو A. Parrot، تابع التنقيب في الموقع بين أعوام 1979 - 2004، جان كلود مارغرون J. C. Margueron، وتتالت في عهده مكتشفات جديدة منها القصر الشمالي الصغير ومشاغل المدينة والسويات الأقدم فيها. ومنذ عام 2005 يدير التنقيب باسكال بترلان P. Butterland.
أهم الآثار	ثلاثة قصور بعضها فوق بعض: القصر الباحث يطلق عليه قصر – المعبد ويرجع تقريباً إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهندسة هذا البناء يشبه هندسة المعبد، وتضيع فيه المعالم ما بين وظيفتها الاعتقادية والوظائف المدنية، ويوجد في القصر بيت للعبادة.
التاريخ	3200 – 2000 ق. م
المنجزات	قصر زمري ليم، الذي تمّ تدشينه في حوالي 1800 ق. م ولكن تاريخ إنشائه يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد واستمر قروناً حتى دشنه الملك زمري ليم
الآلهة	شارا
الملوك	إكو – شاماجان 3000 ق. م Iku-Shamagan

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: مسلة ماري3000 ق. م، نموذج بيت في ماري2400 ق. م
	 
إله المدينة ورمزه: شارا	أهم ملوكها: إكو - شاماجان 3000 ق. م
	



خارطة وادي الرافدين ومواقع أهم المدن السومرية

المبحث الثاني: المناخ والسكان وإثنياتهم

أولاً: مناخ سومر

كان العراق القديم يتكون من ثلاثة أقسام هي (الجبلي، والصحراوي، والرسوبي). وكان القسم الرسوبي من حصة سومر الذي كان يسوده المناخ الصحراوي المعتدل ويبلغ معدل الأمطار في السهل الرسوبي نحو 20 إلى 5 سم.

أما الرياح السائدة فهي الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي تهب في أغلب أيام السنة وتزداد ما بين شهر أيار وشهر تشرين الأول وتكون باردة.

الرياح الثابتة هي الجنوبية الشرقية (التي تسمى الشرجي) وهي سريعة وقوية ودافئة ورطبة لأنها تهب من الخليج والأهوار وترافقها الأمطار والغيوم، وتلتقي بالرياح الشمالية الغربية الباردة فتسقط أمطارها.

ثانياً: سكان سومر (ديموغرافيًّا، إثنوغرافيًّا)

أغلب سكان سومر كانوا من السومريين الذين لهم لغة مقطعية وهبطوا من مناطق سامراء التي استقر فيها أجدادهم (سومارتو)، وهم شعب مسالم ودؤوب ومبتكر، وربما كان ينتمي للعرق القوقازي الذي هو عرق متوسطي، ونحن نرى أنهم أصحاب لغة قديمة تعود لعصر النيوليث وهي لغة مقطعية نشأت في عصر الزراعة عند أغلب الشعوب التي عرفت اكتشاف الزراعة الأول، لكن مجيء عصر النحاس (الكالكوليت) وحصول الانقلاب الذكوري ونشوء الشعوب السامية (السارية)، في شمال وادي الرافدين وسوريا، التي سادت العصر الحجريّ النحاسي والتي كانت تتكلم لغة أبجدية اضطرها للحفاظ على لغتها والتعايش مع الجموع الهائلة الجديدة للساميين (الساريين) الذين وسعوا انتشارهم انطلاقاً من

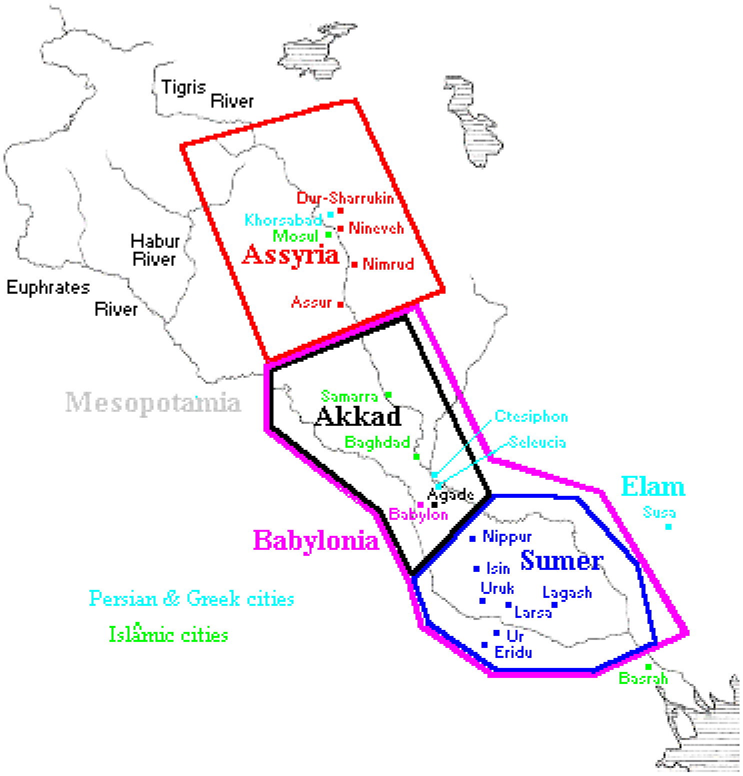
منطقة حلف – الأربجية وغمروا بلاد النهرين. وقد أوضحنا ذلك مفصلاً في فرضيتنا الجديدة عن أصل الساميين.

تعايش السومريون مع الساميين في مدنه وفي المدن التي تحيط به، وكان الساميون عرقاً متوسطيًّا أيضاً لكنهم يمتازون بلغةٍ أبجدية الطابع ولكلماتها جذر ثلاثي، وأغلب الظن أنّ الساميين كانوا قد أنشؤوا ثقافات أريدو والعبيد التي سبقت سومر وساهموا في اختراع الكتابة، لكن الكتابة طوّعت، أولاً، للغة السومرية فكان هذا السبق الحضاريّ مدعاة لتصدر سومر كأول حضارة رافدينية، بل وأول حضارة في العالم القديم.

ينتمي السومريون إلى جنس أبيض اللون وتكون رؤوسهم، في الغالب، مستديرة ووجوههم عريضة وهم لا يفضلون وجود الشعر في رؤوسهم ووجوههم، فكان الرجال يحلقون الشعر.

السومريون بعيدون عن الجنس الآريّ تماماً لغة وتكويناً، وكذلك يختلفون عن الجنس السامي. وهم أقرب إلى ما يمكن أن نسميه بالجنس القوقازي الذي يعتبر الجنس الأقدم والذي ظهر في العصر الحجريّ الحديث واستوطن المناطق الزراعية الأولى في العالم ومنها مناطق شمال العراق من جرمو إلى سامراء. أما الآريون والساميون فهم ينتمون إلى العصر الحجريّ النحاسي (كالكوليت) الذي ظهر بعد العصر الحجريّ الحديث وسيطر على مواطن القوقازيين في العالم كله.

وكان نصيب وادي الرافدين باعتباره أول بلدان الزراعة أن سكن فيه الجنس القوقازي مبكراً ممثلاً بالسومريين والحوريين، والعيلاميين إلى الشرق منه، ثم سكنه الساميون ممثلاً بالسوبريين والأكديين والأموريين وغيرهم. أما الآريون فكانوا غزاة لوادي الرافدين على مدى التأريخ.



سومر وأكد وسوبارتو (آشور) وبابل وعيلام

htm .http://www. transanatolie. com/english/turkey/anatolia/babylonia

المبحث الثالث: التخطيط الحضريّ في سومر

أحدثت سومر أول وأكبر ثورة في التخطيط الحضريّ في مرحلتي أوروك الأولى والثانية وجمدت نصر، ثم تواصلت في كلّ المدن السومرية فقد تنامت تقنيات البناء العمراني والمعماريّ بطريقة نوعية.

ظهر التخطيط الحضريّ مبكراً في وادي الرافدين منذ أريدو 5000 ق. م. وقد كان ظهور المدن الأولى ناتجاً عن الحاجة الاقتصادية لوجود أبنية للتخزين الغذائي الذي جاء كثمرة من ثمرات الثورة الزراعية في النيوليث فضلاً عن ظهور الإله الذكر القوي الذي بنيت له المعابد، وقد أصبحت المعابد تدير بناء الاقتصاد والمرافق الدينية والمدنية الأخرى. وبذلك نشأ أول نظام للتخطيط الحضريّ في التأريخ.

ولكي نكون دقيقين ومنصفين لا بدّ من ذكر التخطيط الحضريّ المذهل الذي ظهر في وادي السند (في هارابا وموهنجو دارو) والذي ظهر بعد فترة أريدو والعبيد وأوروك، ولكنه كان متفوقاً على سومر في جانبه المدني بشكل خاص وخدمات تصريف مياه المنازل وغيرها.

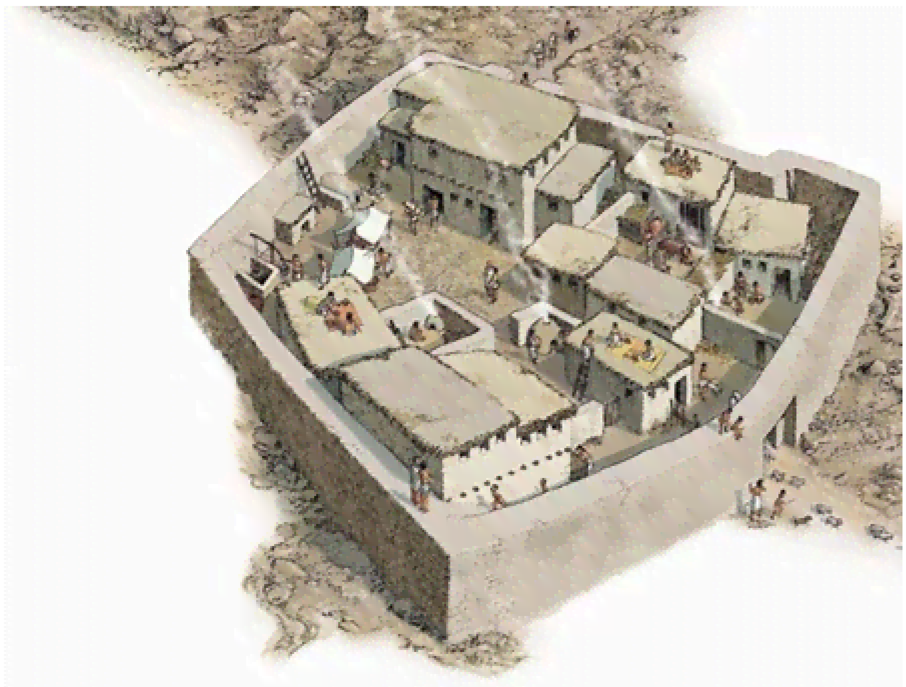
كذلك يجب الإشادة، في هذا المجال، بثقافة لونغشان الصينية حوالي 2500 ق. م وحضارة أولمك في أمريكا الوسطى (حوالي 1100 ق. م) وتشافين من بيرو (حوالي 900 ق. م)... إلخ

القرى السومرية

ظهرت القرى السومرية في أقصى الجنوب عند مناطق الأهوار الحالية وكانت محدودة وبدائية، وكان الريّ فيها يسمى (الريّ الحوضي) الذي تتمّ فيه الاستفادة من رطوبة التربة، ثم

تسورت القرى سدود ترابية وظهرت الجداول الطويلة من الفرات لتسقي الأراضي الزراعية وظهرت السدود والمبازل والخزانات.

زرع السومريون الحنطة العارية والشعير والذرة، ولم تظهر زراعة الرز في العراق القديم إلّا في القرن الخامس قبل الميلاد.



نموذج مصوّر لقرية سومرية صغيرة

/https://nl. pinterest. com/pin/492933121693060592

العواصم السومرية

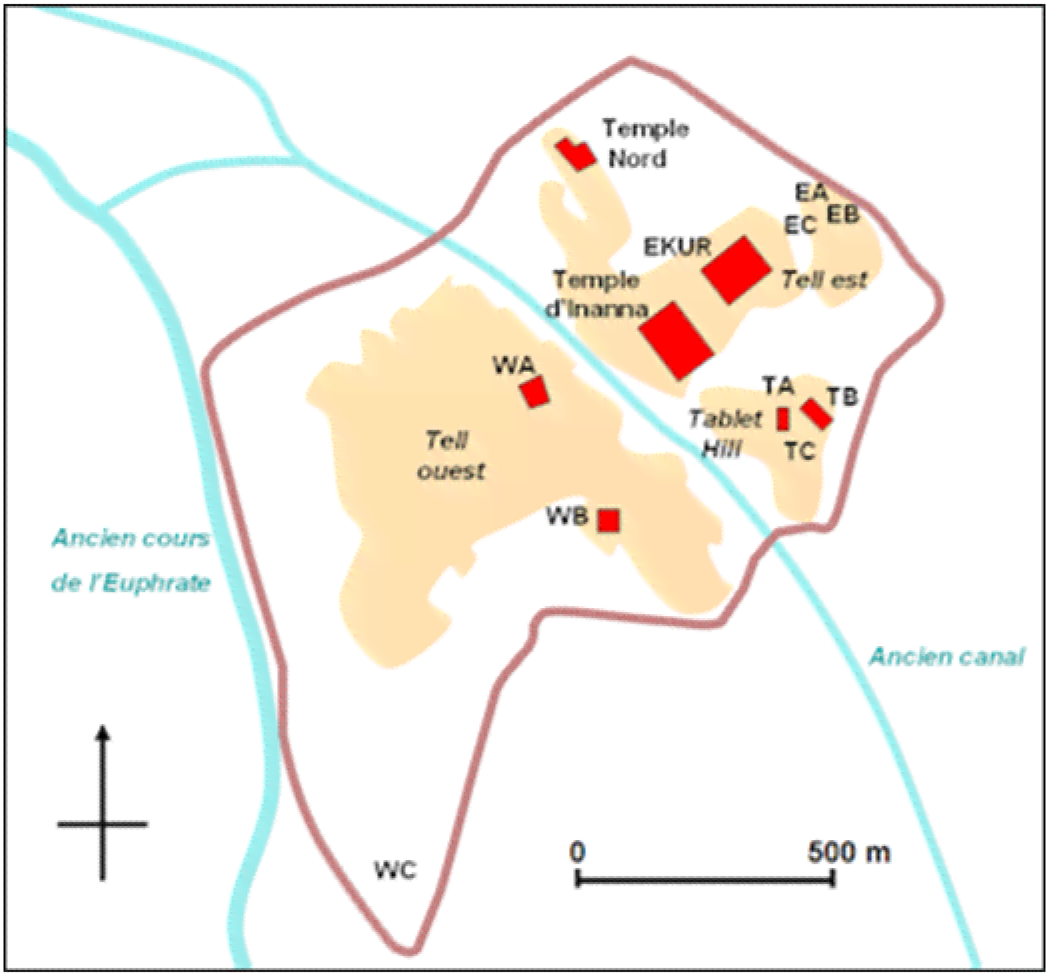
1. أوروك Uruk: كانت أوروك، من وجهة نظرنا، بمثابة عاصمة السومريين في نهايات عصور ما قبل التاريخ وفي مراحل أوروك 1، 2 وجمدت نصر بسبب وجود الإله آن والإله إنليل فيها.

وهي أول عاصمة لدولة سومر التي أنشأها لوكال زاكيزي (2296 - 2271) ق. م وهو من مدينة أوما لكنه قام باحتلال لجش ثم بقية المدن السومرية وجعل نفسه ملكاً على بلاد سومر وأعلن أوروك عاصمة له. وكذلك جعلها أوتو حيكال عاصمة بعد انتصاره على الكوتيين.



أوروك أول المدن والعواصم السومرية قبيل التاريخ(حوالي3500 ق. م)

http://www. mrmarks6. com/lectures/Mesopotamia/



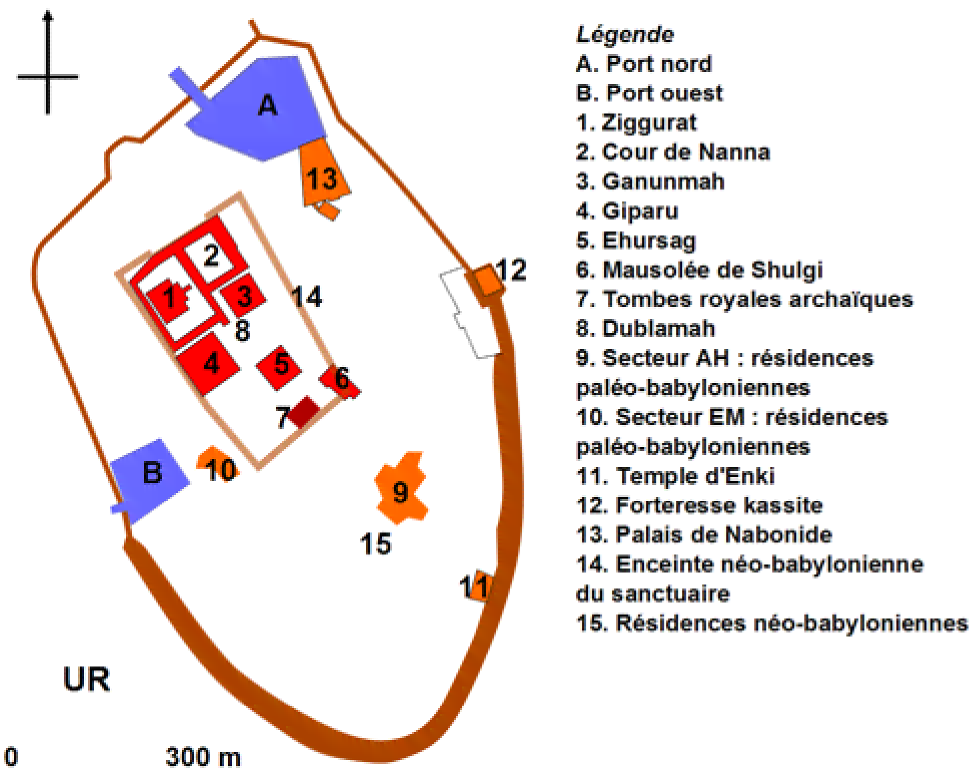
التخطيط الحضريّ لمدينة أوروك

2. أور Ur: عاصمة السومريين في العصر السومري الحديث لسلالة أور الثالثة، كانت مستوطنة زراعية في عصر العبيد، ثم أصبحت مدينة لشعب (الفراتيون الأوائل). وفي عصر أور نمو (2111 - 2094) أصبحت عاصمة للسومريين واحتوت على زقورة القمر (نانا).



أور ثاني عاصمة سومرية حوالي 2000 ق. م

https://www. slideshare. net/lovinitwithhim/unit-3-part-1-the-first-civilization-sumer



3. نيبور Nippur: وهي العاصمة الدينية لدويلات المدن السومرية في العصر السومري القديم، ومكانها الحالي هو نُفّر في عفك، وقد أصبحت العاصمة الدينية بوجود معبد إنليل ومقره فيها، وإنليل (إله الهواء والريح) هو الإله القومي للسومريين. ومقرّ زوجته (ننليل) ثم أصبحت مقرًّا للإله (آنو) إله السماء بعد أن كان مقرّه في أوروك. واشتهرت بزقورتها الشهيرة التي تعلو التل الترابي، واشتهرت بظهور نص سومري قديم هو أقدم تقويم زراعي الذي يتحدث عن طرق الزراعة والريّ ونصائح إلى الفلاحين حول مواسم الزراعة والحصاد والذي يتكون من 108 أسطر بالخط المسماريّ وباللغة السومرية.



خارطة نيبور السومرية على لوح طيني: أول خارطة تخطيط حضريّ في العالم

cities-and-kings/-http://www. mesopotamiangods. com/ancient



حفريات نيبور: العاصمة الدينية لسومر

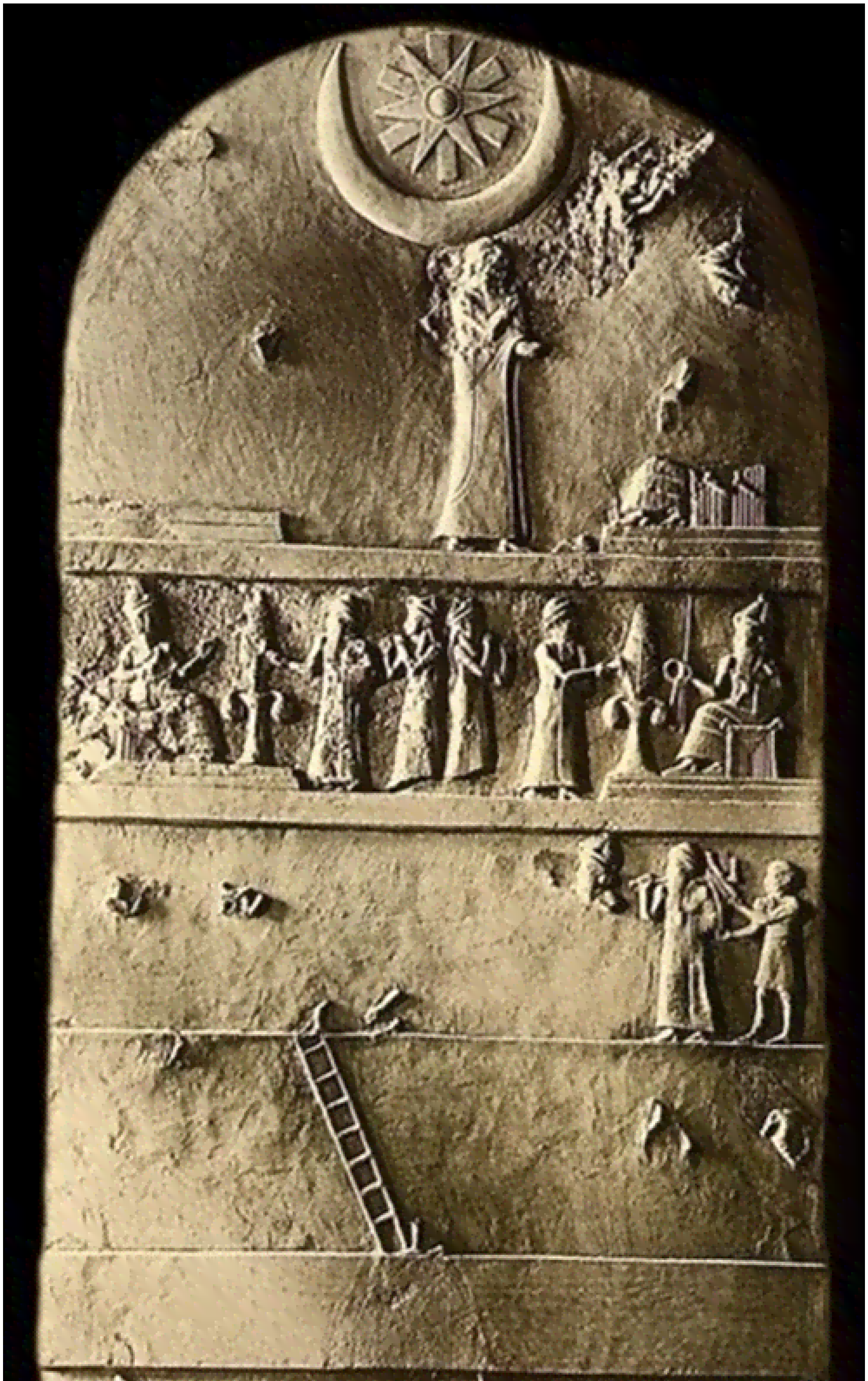
http://archive. archaeology. org/1103/reviews/archaeologists_travelers_ottoman_lands_nippur. html



فلّاحة نيبور

http://www. mesopotamiangods. com/ancient-cities-and-kings/

الفصل الثالث
المظهر التاريخي
(موجز التاريخ السومري)



كان التطور الحثيث الذي جاءت به الزراعة في شمال العراق مفتتحة به عصر النيوليت (العصر الحجريّ الحديث Neolithic) مدعاةً لظهور ثقافات أو حضارات عراقية شمالية أربع، هي (جرمو، والصوان، وحسونه، وسامراء). وقد استغرق ظهور هذه الحضارات حوالي ثلاثة آلاف سنة (8000 - 4900) ق. م وكانت جميعها ذات طبيعة زراعية فلاحية سادت فيها المرأة كزعيمة وعبدت فيها الإلهة الأم. ثم جاءت الانعطافة النوعية الثانية التي جاء بها اكتشاف المعادن وبدء عصر الكالكوليت (العصر الحجريّ النحاسي Calcolithic) الذي انتقل مسرحه إلى جنوب العراق وظهرت خمس ثقافات أو حضارات كالكوليتية هي (حلف، وأريدو، والعبيد، وأوروك، وجمدت نصر). وقد استغرق ظهور هذه الحضارات حوالي ألفي سنة (4900 - 3100) ق. م وكانت جميعها ذات طبيعة مدينية حرفية إضافة لاهتمامها بالزراعة ساد فيها الرجل كزعيم للقوم وظهر الإله الذكر ثم الآلهة المتعددة، وخصوصاً تلك المرتبطة بالطبيعة.

هاجر أجداد السومريين من سامراء وحضارتها بحثاً عن مصادر الماء واستوطنوا في جنوب العراق في حدود 3500 ق. م وحلّت حضارتهم محل الحضارة العبيدية، وسرعان ما اكتشفوا الكتابة في 3200 ق. م فظهرت على يدهم أول حضارة تاريخية، وبدأت نواميسها في مختلف شؤون الحياة بالتشكّل والبناء، وهكذا تكونت الحضارة السومرية. ينقسم تاريخ السومريين إلى المراحل الآتية:

ت	العصر وزمنه	المراحل وزمنها	أهم الملوك والأحداث
1	العصر العتيق(ماقبل التاريخ) (5000 - 2900)ق. م	1. أصل السومريين (عصر الكالكوليت)	أصل وأسلاف السومريين
		2. السومريون في جنوب وادي الرافدين (عصر البروتولتريت)	1. أوروك 2. جمدت نصر
2	العصر القديم (عصر فجر السلالات ودويلات المدن) (2900-2370) ق. م	1. ملوك ما قبل الطوفان	المدن الخمس (أريدو، وبادتبيرا، ولرك، وسبار، وشروباك) حكم فيها ثمانية ملوك

زيوسيدرا: نوح السومري	2. الطوفان		
أبطال سومر ومنهم كلكامش	3. سلالة أوروك الأولى		
مقبرة أور وحاشية الملكة بو آبي	4. سلالة أور الأولى		
سلالة أورنانشه	5. سلالة لجش الأولى		
لوكال زاكيزي: الدولة السومرية	6. سلالة أوما		
هيمنة السوبريين الأكديين على بلاد سومر والرافدين وغرب آسيا	1. الدولة الأكدية وخضوع سومر لها (2370-2160) ق. م	العصر السومري الوسيط (2370 - 2112) ق. م	3
شعب الجبال المتوحش الذي أنهى الحكم الأكدي، وحكم سومر	2. الغزو الكوتي (2160 - 2112) ق. م		
سلالة الأمير جوديا	3. سلالة لجش الثانية		
البطل أتوحيكال وتحرير سومر	4. سلالة أوروك الخامسة		
أور نمّو وشولجي يوصلان سومر إلى قمة مجدها	سلالة أور الثالثة	العصر السومري الحديث (2112 - 2006) ق. م	4
العيلاميون والأموريون يسقطون سومر ويبدأ عصر إيسن ولارسا	نهاية السومريين ومصير لغتهم	العصر السومري المتأخر الألف الثالث ق. م	5

1. العهد العتيق: عصور ما قبل التاريخ (5000-2900) ق. م

أ. هجرة السومريين من شمال وادي الرافدين إلى جنوبه (5000 - 3500) ق. م

اختلط السومريون، أثناء هجرتهم من شمال العراق في سامراء تحديداً إلى جنوبه، مع أقوام أخرى وهم ينـزحون إلى الأرض الجديدة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق كالفراتيين الأوائل والدجلويين الأوائل والساميين. «وكان هناك ما يعرف بالأقوام العبيدية (العبيديين) الذين أحدثوا انعطافاً نوعيًّا في صناعات الفخار والحرف اليدوية وتطوير الطرز المعمارية، وخصوصاً المعابد وإنتاج الأختام المنبسطة (المستديرة والبيضوية)، وظهرت الفؤوس النحاسية، وتطور فنّ النحت المجسم للإنسان والحيوان، وقد انتشرت مستوطنات عصر العبيد في مواقع كثيرة شمال ووسط وجنوب السهل الرسوبي، وأشهر مستوطناته تل العبيد الذي يقع على بعد 8 كم غرب أور، وتل

العقير الذي يقع إلى الجنوب من بغداد وأور وخفاجة وتل أسمر في منطقة ديالى وتلّو (لكش القديمة) شمال شرق مدينة الشطرة والوركاء، وبسماية (أدب القديمة) شمال غرب تلّو ومطارة ونوزي وبعض مواقع منطقة حمرين وتبه كورا. وقد انتشرت حضارة العبيد خارج العراق بواسطة الطرق التجارية والنهرية والبحرية فوصلت إلى سوريا وآسيا الصغرى وإيران وإلى بعض جهات شبه جزيرة العرب والأجزاء الساحلية من الخليج العربي». (الدباغ 1983: 60 - 61)

كانت الثقافة العبيدية هي أول ثقافةٍ، منذ النيوليت، تنتشر إقليميًّا، بهذه السعة، حاملة معها نظامها الثقافي الخاص بها، وكانت الثقافة الممهدة لظهور الحضارة السومرية التي سيبدأ نبضها من نسيج الثقافة العبيدية وسيشتد هذا النبض وتسمع أصواته واضحة بعد أفول العبيديين في حدود 3500 ق. م.

ب. السومريون في جنوب الرافدين (3500-2900) ق. م

رغم أن هناك مايشير إلى وجود ملوك قبل الطوفان، أغلبهم من ذوي الأسماء السومرية، في مدن أريدو ولارسا وبادتبيرا ولاراك وسيبار وشروباك، وهو مايؤشر الوجود السومري المبكر منذ حوالي 4900 ق.م، لكن ملامح الوجود السومري تتضح منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب العراق. وكانت أول ثقافة سومرية هي ثقافة أوروك الأولى التي شكلت آخر حلقة من حلقات الثقافات الكالكوليتية. ويعود تميزها إلى نوع الفخار المصنوع بالدولاب وأشكاله المتميزة وصناعاته الجديدة.

إن الحلقة الفاصلة بين عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) والعصور التاريخية تسمى العصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتاريخي (البروتولتريت protolitrate) وقد استغرق هذا العصر حوالي مئتي عام (3100 - 2900) ق. م وشمل ثقافتين متميزتين هما (ثقافة أوروك الثانية وثقافة جمدت نصر). وهذا العصر هو عصر سومري أيضاً أنجز فيه السومريون أعظم اختراعاتهم الحضارية، وهو اختراع الكتابة التي كانت أثناء هذا العصر في أولى مراحلها الصورية. وكانت أولى الرقم التي تحمل هذا النوع من الكتابة قد جاءت من الوركاء (الطبقة الرابعة). وكانت الكتابة في مرحلتها الصورية.

في حدود 3200 ق. م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك وسميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحلة الصورية (pictographic).

وكانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة. وانتشر فن النحت، ونقشت الألواح من الحجر، وصنعت الأختام الأسطوانية وكان فن العنارة راقياً جدًّا، فقد زينت بالفسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر.

وبعد ثقافة أوروك السومرية بدأت ثقافة جمدت نصر التي تصاعدت فيها الإنجازات السومرية، وتقدمت فنون الحضارة السومرية وأُسست أغلب نواميسها. ويذكر أنه قد عثر فيها على مسلة صيد الأسود والإناء النذريّ ورأس القناة الرخامي وتمثال امرأة عارية، ومجموعة من الأختام المسطحة والأسطوانية والأسلحة والفسيفساء، وتطورت الصناعات المعدنية كثيراً.

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوريّ إلى الطور الرمزي (Ideographic) حيث أصبح يمكن التعبير عن الأشياء والأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن توحي بها، فصور المحراث يمكن أن تعبّر عن الفلاح أيضاً، وصورة الفم ومعه صورة الماء تعبير عن الفعل (شرب) فإذا كان معه قطعة خبز تعبر عن الفعل (أكل)... وهكذا.

وتطورت الكتابة المسمارية بعد ذلك إلى الطور الصوتي (Phonetic) حيث أصبح الاهتمام بالعلامات المسمارية، دون معانيها التي تعبر عنها الصورة في الأصل، لتكتب بواسطة الأصوات، فمثلاً كلمة (السهم) ترسم بعلامة معينة تلفظ بـ(تي)، ولكن لفظ (تي) يعني في الوقت نفسه كلمة (حياة)... لذلك أصبحت كلمة حياة وسهم تكتبان بالعلامة نفسها دون أن يكون بينهما علاقة.

أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة أو الكتابة المقطعية (Agglutinative) التي مهدت لها المرحلة السابقة، حيث أصبح الاعتماد كليًّا على الألفاظ الصوتية دون المعاني. فبدأ دمج العلامات ليدل على كلمات مادية ومعنوية جديدة، وأصبح مع هذه المرحلة كتابة الأسماء سهلاً، فمثلاً إذا كان اسم الشخص (كيتي ti – Ki) فيتمّ رسم علامة Ki التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة Ti التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني بالضرورة معنى اسم الشخص (مكان أو أرض الحياة) مثلاً... وهكذا، وقد انتشر الخط المسماريّ في مرحلته الصورية في جميع بلاد سومر، بل ويظن أنه قد انتشر إلى خارج سومر باتجاه الشرق نحو الصين، ومن الشكل الصوريّ

للكتابة المسمارية السومرية ظهرت الكتابة الصينية القديمة المسماة (كو – ون). (انظر 1913 Bali, Litt).

وكذلك نرى أنه من انتشار الحضارة السومرية والسومريين وكتابتهم في المرحلة الصورية غرباً باتجاه البحر المتوسط ومصر، نشأت الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة وانتشرت معها نواميس حضارية سومرية كثيرة. (انظر Waddell 1930).

وانتشر الخط المسماريّ السومري ومعه اللغة السومرية إلى منطقة (عيلام) جنوب إيران... وبدت منطقة عيلام وكأنها امتداد لأرض سومر، لا يفصل بينهما سوى مياه الأهوار (انظر 1972 Hinz) حيث ظهرت أواخر العصر الشبيه بالتاريخي حوالي 3000 ق. م الكتابة العيلامية الأولى (Elamit – Proto) وفي مثل هذه المرحلة بدأت الحضارة والكتابة السومرية بالانتشار باتجاه الخليج العربي ووصلت إلى دلمون (البحرين)، وقد عثر على آثار تشير إلى ذلك. (بيبي 1985).

إن الانتشار الواسع والكبير للكتابة المسمارية حصل مع ظهور الأكديين واستعمالهم الكتابة المسمارية لتدوين لغتهم التي حملوها معهم مكتوبة بالمسماري إلى أطراف الإمبراطورية الأكدية، وبذلك صار استعمال الخط المسماري عالميًّا منذ ذلك الوقت.

ومع الكتابة ظهرت مظاهر حضارية أخرى مثل ظهور المعابد المشيدة على مصاطب اصطناعية (معبد إنانا ومعبد آن في أوروك، معبد إنانا في نفّر، والمعبد الأبيض في أوروك، ومعبد الإله القمر في خفاجي، ومعبد تبه كورا) ثم ظهرت الزقورات أو المعابد العالية المكونة من طبقات مثل زقورة العقير وزقورة أوروك.

ومن هذا العصر ظهرت لأول مرة الأختام الأسطوانية، واستعمل دولاب الخزف السريع في صنع أوانٍ فخارية لها طلاء إجاصي اللون وأوانٍ فخارية ملونة بعدة ألوان. وتقدم فن التعدين وانتشر استعمال المعادن وظهرت المدن وصنعت قطع فنية رائعة من النحت البارز والمجسّم مثل مسلة صيد الأسود والإناء النذريّ ورأس المرأة المنحوت من المرمر، واستمر استخدام الزخارف الجدارية المؤلفة من المخاريط الطينية الملونة الرؤوس. (الدباغ: 1983: 29).

وقد انتشرت ثقافة البروتولتريت في أنحاء العراق كافة، كما أنها انتشرت كثقافة إقليمية واسعة أيضاً خارج العراق فقد وجدت منجزاتها الحضارية في عيلام وفي سوريا أعالي مناطق

الفرات الأعلى والخابور ووصلت إلى مصر حيث وجدت أختام أسطوانية من طراز هذا العصر إضافة إلى الكتابة والمنحوتات والأدوات والرسوم. ويعتقد أنّ الطوفان حدث في نهاية هذا العصر في حدود (3000 ق. م) بعد أن كانت الملوكية قد نزلت من السماء إلى أريدو السومرية كما تقول الألواح الخاصة بثبت الملوك السومريين. (انظر باقر 1973: 252).



الكاهن الملك، والملك من أوروك 3500 ق. م

htm .http://realhistoryww. com/world_history/ancient/Sumer_Iraq_1

2. العهد السومري القديم (عصر فجر السلالات السومرية2900 - 2370) ق. م

1. ملوك ما قبل الطوفان

حكم في هذه المدن الخمس بعد الطوفان ثمانية ملوك أعطت لهم ألواح ثبت الملوك سنوات حكم خيالية بلغت حوالي (241200) سنة «وأغلب الظن أنّ مثل هذا الرقم الخيالي إنما يعكس فكرة شائعة عند أكثر الأمم القديمة وهي أنّ الإنسان كان – في قديم الزمان- يتمتع بعمر طويل وصفات جسدية خارقة. ومن غير المستبعد أيضاً أنّ جامع الأثبات السومرية لم يكن في حوزته غير أسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان فاضطر إلى تطويل سنوات حكم كل منهم ليغطي الحقبة الزمنية التي تصورها واسعة جدًّا والتي تفصل بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان». (علي 1973: 96 - 70).

شهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى، وظهرت في هذه المدن حكومات وأنظمة سياسية ودينية ومتطورة. وتخبرنا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان، الذي يخمن الباحثون أنه حدث في حدود (2900 ق. م) وربما قبل ذلك بقليل، أنّ ثمانية ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان التي قد تقع ضمن فترة الظهور السومري، حيث نزلت الملوكية من السماء إلى المدينة السومرية (أريدو) التي كانت تسمى (نون كي)، ثم توالى انتقال الملوكية إلى المدن السومرية الخمس حكم فيها ثمانية ملوك لمدة ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الوقت من السنين) ثم حدث الطوفان، وهذه المدن وملوكها كما يلي:

1- أريدو: حكم فيها ألولم، ألاكار.
2- بادتبيرا: حكم فيها أنمنلو أنا، أنمنكال أنا، دموزي الراعي.
3- لاراك: حكم فيها أنسيبازي.
4- سبار: حكم فيها أنميندر أنا.
5- شروباك: حكم فيها أوبارتوتو.

وإذا استثنينا اسم (ألولم) ذات الطبيعة السامية، فإن بقية الملوك ذو طبيعة سومرية، وقد ارتبطت بهؤلاء الملوك أحداث وأفكار أسطورية ونسبت لبعضهم المعجزات والخوارق. ومعروف أنّ الطوفان ربما يكون قد حصل في حدود 2900 ق. م في منطقة محدودة من الجزء الجنوبي لنهر دجلة وأغرق المدن والقرى المحيطة به، وهو ما جعل السومريين يدونون الحادثة كفيضان ساد الأرض كلّها، خصوصاً أنهم يستخدمون كلمة الأرض للدلالة على بلادهم وهي سومر أو جزء منها

وليس لكل الأرض والبشرية، وتكمن أهمية الأمر وانتشاره لا بسبب الطوفان نفسه، بل بسبب انتشار حكاية الطوفان لدى كل الشعوب القديمة واستذكارهم لها على أنها حادثة شملت الأرض كلها. وهذا ما يبدو من الناحية الشكلية، ثم جاءت الرواية التوراتية لتعيد إنتاج حكاية الطوفان السومرية وتعممها في الأديان الشمولية الكبرى (كالمسيحية والإسلام) وتجعل الأمر يبدو راسخاً ومحسوماً.

3. عصر فجر السلالات

عاش السومريون لما يقرب من خمسة قرون في نظام سياسي مبتكر وجديد (ساد بعدهم الشرق الأدنى كله) وهو نظام دولة المدينة City state حيث لكل مدينة استقلال ذاتي وحاكم خاص وإله خاص، لكن هذه المدن يجمعها تفاهم سياسي وحضاريّ وديني واضح. وقد كان ظهور هذا النظام المتحضر سبباً في دفع التطور الإنساني وابتكار المجالس البرلمانية وممارسة نوع من الديمقراطية.

لقد ظهرت المدينة في جنوب العراق مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد، لكن نظام دولة المدينة لم يظهر إلّا في بداية الألف الثالث قبل الميلاد مع السومريين.



أهم المدن السومرية

وقد ظهرت في المدن السومرية سلالات حاكمة كثيرة في هذه الفترة وعلى الشكل الآتي (أوروك: 3 سلالات، أور: سلالتان، وسلالة واحدة لكل من لكش، أوما، إكشاك، أوان، أدب، ماري، حمازي). وهناك مدن سومرية أخرى لم تظهر فيها سلالات حاكمة إلّا أنها كانت تتمتع بمركز ديني هام مثل نفّر المدينة السومرية المقدسة كونها مدينة الإله القومي السومري إنليل. ومدينة أريدو ومدينة الإله إنكي ومدن أشنونا وخفاجي وإيسن ونينا وكرسو... إلخ.

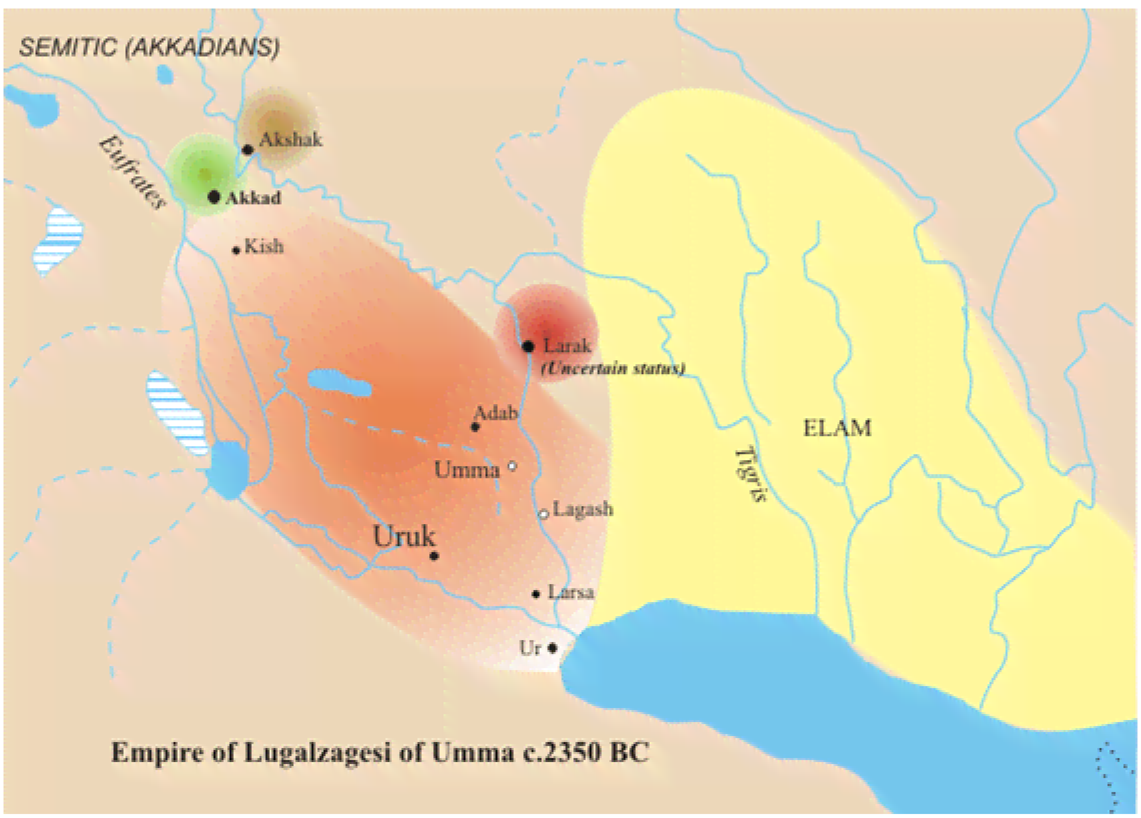
احتضنت مدينة كيش أول السلالات السوبرية بعد الطوفان ويتضح أنّ أسماء ملوك هذه السلالة كانت توحي بأصلهم السامي (مثل إيتانا ومسيلم) وهذه إشارة لبدء ظهور النفوذ السامي في بلاد سومر، الذي نرى أنه يمثل ظهوراً واضحاً للحضارة السوبرية، والذي سيصل إلى ذروته مع المرحلة الأكدية ثم يسود البلاد، ولكن حضارة كيش في هذه المرحلة كانت مترادفة مع الحضارة السومرية. ولعلّ أشهر ملك من هذه السلالة هو الملك (إيتانا) الذي تذكره إثباتات الملوك السومريين على أنه كان راعياً وأنه صعد إلى السماء ووطد جميع البلاد وقد وصلت عنه أسطورة جميلة حول صعوده إلى السماء للحصول على نبات النسل الذي يساعد على الإنجاب لأنه كان عقيماً، وكان صعوده على ظهر نسر.

ومن السلالات السومرية الشهيرة سلالة أوروك (الوركاء) الأولى التي تعتبر بحق سلالة عصر البطولة السومري. فقد ظهر فيها أبطال سومريون نسجت حولهم القصص والملاحم وهم (ميسكي كاشر) الذي ذهب إلى البحر وارتقى الجبال، ثم ابنه (أنمركار) الذي بنى أوروك وخاض صراعاً مع (أرتا)، ثم جاء ابنه (لوكال بندا) الذي تذكر عنه القصص حكايات تشبه حكايات السندباد، ثم جاء ابنه البطل العظيم (كلكامش) وهو خاتمة وقمة عصر البطولة السومري والذي اشتهر بملحمته المعروفة وقصص بطولته النادرة التي صارت بذرة لبطولة الكثيرين من أبطال الزمن القديم.

وفي أور حكمت سلالة سومرية في حدود 2650 ق. م التي وصلت كتابات عن بعض ملوكها إضافة إلى ما كشفت عنه (المقابر الملكية في أور) «والتي تحتوي ضمن أشياء كثيرة أخرى على آثار ذهبية وفضية تتمثل في الأقداح والخناجر والخوذ والقلائد والدبابيس، وتماثيل

بعضها مصنوع من الذهب الخالص وبعضها من الفضة والأحجار الكريمة. كما عثر على قيثارات أشهرها تلك التي كان لها بالأصل أحد عشر وتراً، وعلى رسم مدينة أور الذي يصور مشهداً لمعركة يشترك فيها المشاة والعربات، وآخر يصور الاحتفال بتحقيق النصر على الأعداء من خلال مشاهد توزيع الشراب وعزف الموسيقى». (علي 1983: 71)

وفي نهاية عصر فجر السلالات تفجر صراع اقتصادي سياسي بسبب مياه الريّ والأرض الزراعية والحدود بين سلالتين متنافستين في لكش وأوما وفي نهايته استطاع ملك أوروك الذي كان أصله من أوما، (لوكال زاكيزي) القضاء على سلالة لكش وملكها أورو أنيمكينا (أوروكاجينا) ثم قام لوكال زاكيزي بتوحيد المدن السومرية في دولة سومرية واحدة ومدّ نفوذها من الخليج العربي جنوباً حتى البحر الأبيض المتوسط شمالاً ولقب نفسه (ملك سومر). وكان ذلك بين(2400 - 2371) ق. م.



دولة (إمبراطورية) لوكال زاكيزي حوالي 2350 ق. م إلى اليسار وبلاد عيلام إلى اليمين

www. allempires. com/forum/forum_posts. asp?TID=1529//:http

3. العهد السومري الوسيط (عصر الهيمنة الأكدية والكوتية) (2371 - 2120) ق.م

يمكننا تقسيم التاريخ الوسيط للسومريين إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

أ. الهيمنة الأكدية:

انحسر، مؤقتاً، النفوذ السياسي للسومريين عندما استولى سرجون الأكدي على بلاد سومر مستغلًّا النفور الذي ساد البلاد من حركة لوكال زاكيزي الذي وضعت سومر في دولة مركزية واحدة. لكن سرجون الأكدي حافظ على هذه الدولة وأعطى حكمه الطابع السامي ثم إنه وسّع دولته إلى إمبراطورية كبيرة شملت أجزاء كبيرة من سوريا وآسيا الصغرى وإيران والخليج العربي، وهذا يعني أنها اتسعت في الجهات الأربع... وتعتبر الإمبراطورية الأكدية أول إمبراطورية حقيقية في التاريخ(2371 - 2154) ق. م. وكانت عاصمتها مدينة (أكد). وجاء بعد سرجون ولده نرام سين الذي حكم طويلاً وكان زمانه مليئاً بالفتوحات، وخصوصاً مع الأقوام الجبلية المتوحشة المسماة (لولوبو) والتي كانت تهدد الإمبراطورية. وهو أول ملك يلقب نفسه بـ(ملك العالم) ويضع علامة الألوهية قبل اسمه.

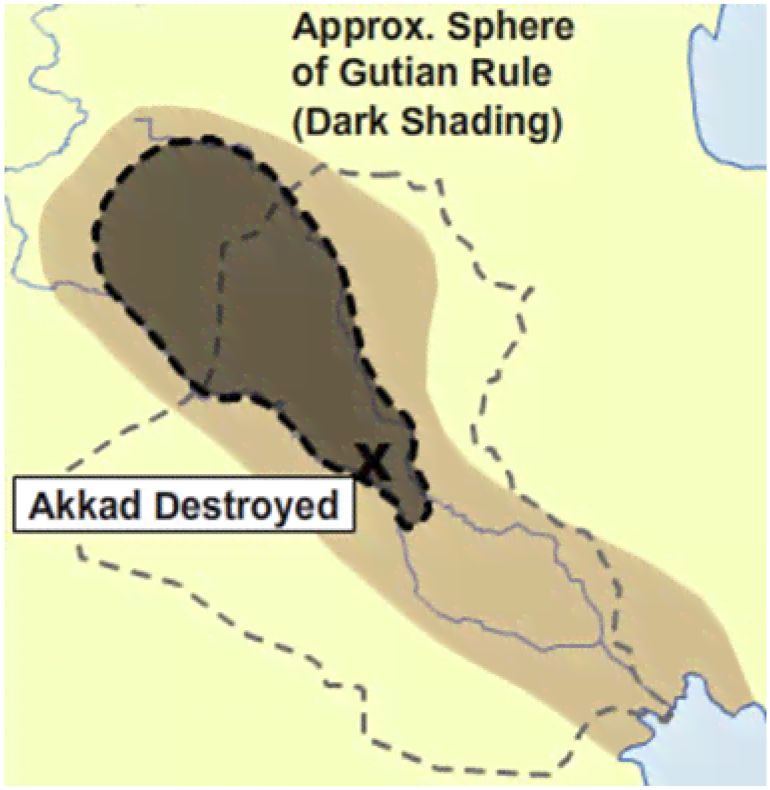


الإمبراطورية الأكدية وسومر في داخلها
com/forum/forum_posts. asp?TID=1529 .http://www. allempires

ب. الغزو الكوتي:

بعد هذا الملك جاء ملوك أكديون ضعفاء استنـزفتهم حركات التمرد في الداخل وفي الأقاليم التابعة، حتى استطاع الكوتيون وهم من القبائل المتوحشة التي كانت تستوطن أواسط زاكروس في منطقة همذان من إسقاط الإمبراطورية الأكدية واحتلال بعض بلاد سومر وأكد لمدة تقرب من قرن (2211 - 2120) ق. م وتعتبر فترتهم أول فترة مظلمة في تاريخ وادي الرافدين.

كان الكوتيون يديرون حكمهم لوادي الرافدين من مدينة أرابخا (كركوك الحالية) وكانوا يركزون على المدن الأكدية، ولذلك ظلت المدن السومرية، وخصوصاً الجنوبية بعيدة عن تأثيرهم المباشر وتتمتع بشيء من الحرية السياسية والتجارية.



الغزو الكوتي وأراضي حكمه

http://www. worldology. com/Iraq/ancient_mesopotamia. Htm

ج. اليقظة السومرية:

1. سلالة لجش الثانية: ظهر فيها الأمير (جوديا) الذي كان عصره مأثرة من مآثر البناء والتحضر السومري.



الأمير كوديا (جوديا) من لجش

2. سلالة أوروك الخامسة: ظهر زعيم سومري هو (أوتو حيكال) الذي نهض بدور بطولي وقام بطرد وهزيمة الكوتيين من كل بلاد الرافدين. ويبدو أنّ انتصار أوتو حيكال على أول غزاة وادي الرافدين تزامن مع كسوف القمر في البلاد، وقد حدث ذلك في الرابع عشر من شهر تموز، وقد اتخذ المنجمون والعرافون هذا الحدث التاريخي فاصلاً ودوّنوه في ألواح العرافة، حيث جاء في أحد ألواح العرافة السومرية: (إذا خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهذا نذير للملك الكوتي: سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البلاد). وتعتبر معركة أوتو حيكال مع الكوتيين ودحرهم أول معركة تحرير في التاريخ. بالإضافة إلى ذلك فقد ترك لنا الملك أوتو حيكال نصًّا تاريخيًّا فريداً على رقيم سومري يشرح فيه قصة انتصاره على الكوتيين وهذه ترجمة لبعض فقراته:

«فوض الإله إنليل ملك البلدان، الرجل العظيم أوتو حيكال ملك أوروك ملك جهات العالم الأربع، الملك الذي لا يخالف أحدٌ أمره أن يحطم اسم (كوتي) أفعى وعقرب الجبال الذي رفع يده ضد الآلهة، والذي نقل ملوكية سومر إلى بلاد أجنبية، وملأ بلاد سومر بالعداوة، والذي أبعد الزوجة عمّن كانت له زوجة، وأبعد الطفل عمّن كان له طفل والذي أقام العداوة والعصيان في البلاد.

آنذاك ذهب أوتو حيكال إلى ملكته الإلهة إنانا ودعاها قائلاً:

يا مليكتي، يا لبوة الحرب التي تهاجم البلدان الأجنبية، لقد فوضني الإله إنليل أن أسترجع ملوكية سومر، فكوني حليفتي في ذلك. ثم سار أوتو حيكال الملك الذي منحه إنليل القوة والذي اختارته الإلهة إنانا إلى قلبها، الرجل العظيم، إلى المعركة من أوروك ضد (تريكان)... وعندئذٍ تملك الفرح أهالي أوروك وأهالي كولاب وتبعه رجال مدينته كأنهم رجل واحد.

وفي اليوم السادس وصل أتوحيكال إلى (كاركار) ووقف أمام الإله أشكور ودعاه قائلاً:

أيها الإله أشكور، لقد أعطاني الإله إنليل السلاح فكن عوني في المهمة.

وكان الكوتيون قد جمعوا قواتهم في ذلك المكان... غير أنّ أوتو حيكال، الرجل العظيم، تمكن من دحرهم وأسر قائدهم. وعندئذٍ فرّ (تريكان) والتجأ إلى مدينة (دبروم)، ولكن رجال (دبروم) ألقوا القبض على تريكان وعائلته ووضعوا القيد في يديه... ولما جُلب تريكان أمام أوتو حيكال ألقى بنفسه عند قدميه... فوضع أوتو حيكال قدمه على رقبته... وهكذا أعاد الملوكية إلى بلاد سومر». (انظر علي 1983: 80)

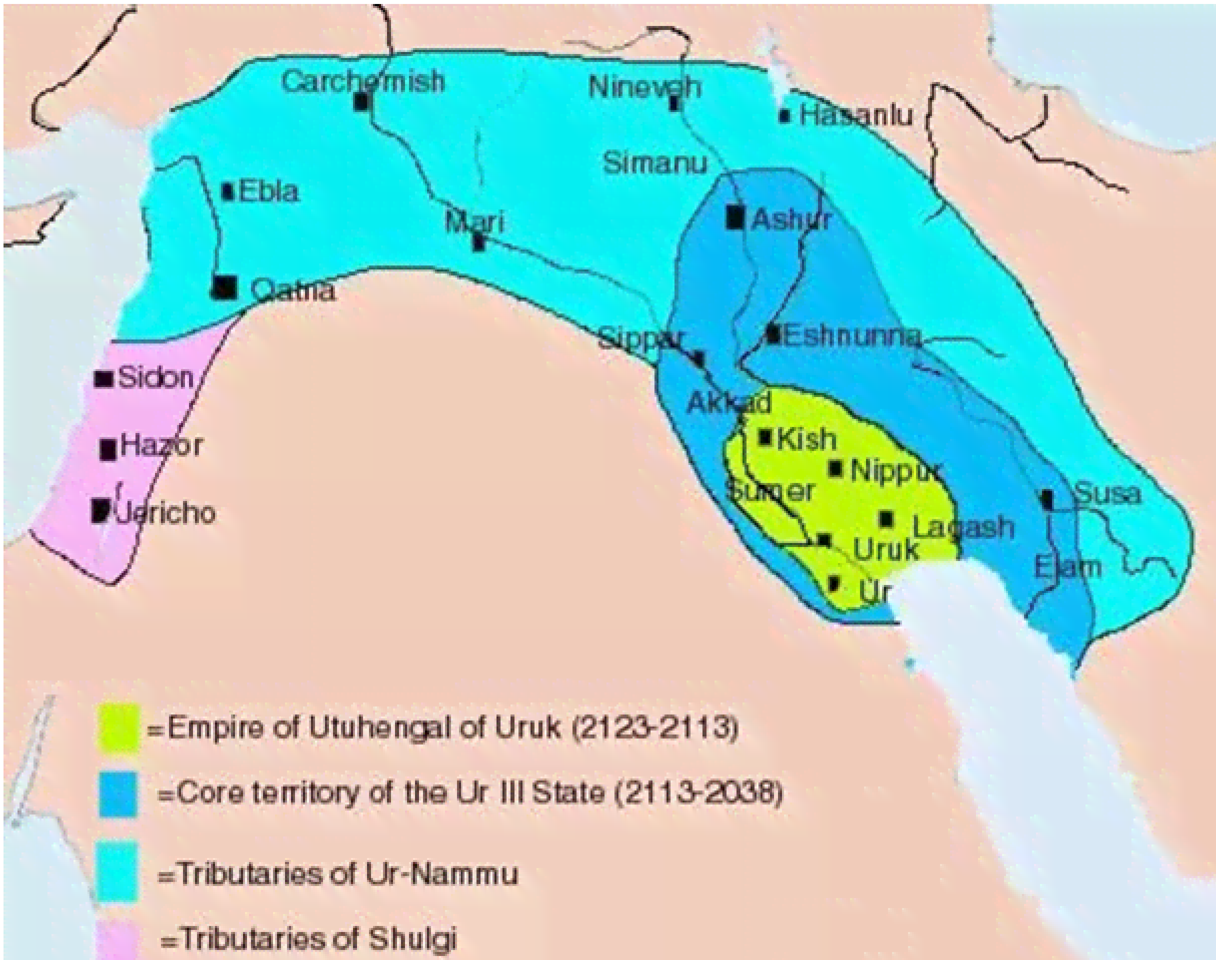
4. العهد السومري الحديث (سلالة أور الثالثة)(2113 - 2006) ق. م

حاول أوتو حيكال بعد انتصاره توحيد المدن السومرية وجمعها تحت حكمه، وكان قد نشب نزاعٌ بين مدينتي لكش وأور التابعتين له فحاول تسوية هذا النزاع، لكن حاكم مدينة أور المسمى (أورنمّو) لم يقبل بهذه التسوية فانفصل عن حكم أوتو حيكال، ثم قامت بينهما حرب انتهت بانتصار (أورنمّو) الذي أسس سلالة سومرية جديدة هي (سلالة أور الثالثة) التي قدر لها أن تبعث المجد السومري وتوحد سومر ثم تحولها إلى إمبراطورية جديدة ورثت أغلب ما كان تحت نفوذ الإمبراطورية الأكدية.

«شكلت سلالة أور الثالثة منذ بدايتها إمبراطورية بكل معنى الكلمة أديرت بإحكام، وأولى الملوك بعض المقاطعات اهتماماً خاصًّا لأهميتها. ومن أجل تنفيذ مشاريع الدولة الكثيرة في التوسع والإعمار طبق شولكي منذ سنة حكمه الواحدة والعشرين سياسة جديدة لزيادة دخل الدولة لتمكينها من المضيّ قدماً في خططها فسيطرت الدولة فيها على موارد الإنتاج وصارت المالكة للأراضي

والمحتكرة لها وللصناعات إلى جانب المعابد». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 22).

حكم في هذه الإمبراطورية خمسة ملوك هم (أورنمّو، شولكي، أمارسين، شوسين، أبي سين).

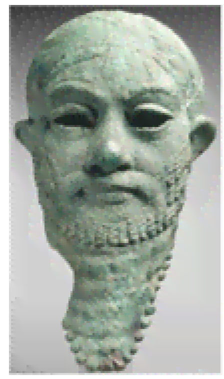
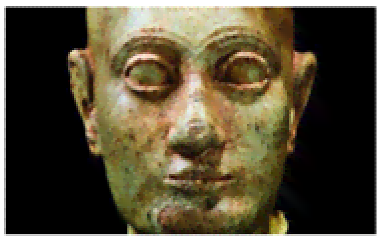


الدولة (الإمبراطورية) السومرية منذ أوتو حيكال إلى شولجي / عهد سلالة أور الثالثة حوالي 2100 ق. م

وخلال القرن الذي حكمت فيه هذه الإمبراطورية أنجز السومريون أعظم نواميسهم الحضارية في جميع المجالات وثبتوا أركان حضارة كبيرة ستكون منطقة إشعاع لكل العالم القديم.

ويعتبر الملك أورنمّو أكثر ملوك سلالة أور الثالثة شهرةً وعظمة، فقد اهتمّ بالبناء والعمران في معظم مدن سومر مثل أور والوركاء ولكش ونفّر وأريدو. ولعل أشهر إنجازاته العمرانية هي

زقورة معبد الإله نانا إله القمر في العاصمة أور. ويعتبر أورنمّو من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل وسنّه لقوانين الغرامات المالية بدلاً من القصاص الجسدي (العين بالعين) الذي سنّته لاحقاً شريعة حمورابي.

	
تمثال من النحاس لرأس أورنمو	وتمثال رأسي لابن أورنمو الملك شولجي

وحكم شولجي بن أورنمّو بعد والده مدة 48 عاماً كانت ذروة إنجازات هذه الفترة، وكان هذا الملك قائداً عظيماً وإداريًّا ناجحاً، كما أنه كان موهوباً وراعياً للثقافة والحضارة والفنون «بل أضاف الكتبة إلى ذلك أنه كان أول موسيقار في المملكة، فكان يحسن العزف على ما لا يقل عن ثماني آلات موسيقية، من بينها قيثارة وصفت بأنها ذات (ثلاثين وتراً)، وآلة موسيقية سميت باسم أحد ملوك كيش القدامى هو أور- زبابا». (باقر 2011: 424).

وقد ظهرت العلامات المبكرة لضعف الدولة السومرية مع بداية حكم آخر ملك من ملوكها (أبي سين) وساعد على سقوطها الوضع الاقتصادي الصعب الذي مرت به بلاد سومر حيث ارتفعت الملوحة إلى الأرض الزراعية وقل إنتاجها الزراعي، وكان لسعة مقاطعات الإمبراطورية السومرية والأصقاع البعيدة الأثر الكبير في عدم القدرة على إدارتها الاقتصادية والسياسية.

وقد جاء ذلك كله ليهيّئ لضربة قاصمة قام بها العيلاميون من الشرق والأموريون من الغرب حيث كانت سومر بمدنها المتحضرة مصدر طمع لهؤلاء. وما إن اغتال العيلاميون والأموريون سومر حتى اختلفا، فقام الأموريون بطرد العيلاميين من وادي الرافدين وأصبحوا هم ملوك السلالات والممالك الجديدة. ولكنهم رغم ذلك كانوا يستعملون اللغة السومرية... وكانت الثقافة

السومرية هي الأساس في الثقافة الأمورية التي يمكن أن نسمي عصرها ذاك بـ(عصر دويلات المدن الأمورية) والذي ضمّ حكم سلالات إيسن ولارسه وأشنونا وماري وبابل.

كانت النهاية السياسية للسومريين في حوالي 2006 ق. م بسقوط الإمبراطورية السومرية. ولكن الثقافة السومرية كانت المعين العظيم لكل ثقافات وادي الرافدين، بل ولكل ثقافات المنطقة والعالم سواء في الكتابة أم العلوم أم الأديان أم الفنون أم الآداب... إلخ

لقد كانت الثقافة السومرية أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة وتراث العصور القديمة في صياغتها... ولذلك كانت هذه الثقافة مصدر ثقافات العالم القديم كله. وكان الدين السومري هو أول دين ذي أنظمة ميثولوجية ولاهوتية وطقسية واضحة ومحددة ومتناسقة ولها أرضيات متصلة تتغذى من بعضها وتفصح عن إيقاع واحدٍ وعميق داخلها.

5. العهد السومري المتأخر: نهاية السومريين ومصير لغتهم

مثلما اختلف الباحثون حول أصول السومريين فإنهم اختلفوا حول مصيرهم ونهايتهم، وسنعرض أهم الآراء في هذا المجال:

1. ذوبانهم في المحيط السامي لوادي الرافدين:

أغلب الباحثين يرون أنّ السومريين ذابوا تدريجيًّا في محيطهم السامي المتناسل بقوة والطامح لامتلاك السلطة، وأنهم قد تلاشوا بعد حروبهم مع العيلاميين والأموريين وأحرقت مدنهم واختفت لغتهم، وبقيت اللغة السومرية لزمن هي لغة الأدب والقوانين والمعاملات. ثم سيطرت اللغة الأكدية على كل بلاد الرافدين والمنطقة وبقيت اللغة السومرية أشبه ما يكون بلغة طقوسٍ، وتلاشت تدريجيًّا، وهو الرأي الأرجح والأقوى.

2. هجرتهم إلى الأهوار:

بعض الباحثين يرى، ومنهم عالم الأنثربولوجيا الأميركي هنري فيلد، أنّ السومريين احتموا أو انطووا في الأهوار الجنوبية الشرقية لوادي الرافدين، وأن سكان الأهوار هم أحفادهم الذين بقوا في العراق قرابة خمسة آلاف وعاشوا فيها خوفاً من انقراضهم. وقد رصد كافين يونغ تاريخهم وحياتهم وأكد على علاقتهم الأنثربولوجية بالسومريين فوجد أنّ «أطفال القصب المغمورين قد

كبروا، فلم يكونوا أساساً غير صيادي سمكٍ مسالمين من سومر، ثم حماة للاجئين من (ملك الكون) الآشوري، وخيالة المغول؟ فيما بعد وجد شاهات وخانات الفرس الغزاة نوعاً آخر من السكان. قرون طويلة من التعامل مع وافدين مكروهين – جنود أجانب، وجباة ضرائب، وسارقي ماشية، ومعاوني حكامٍ قساة – ولّدت لديهم شكوكاً ضد الزوار. وقد أصبحوا، كما اكتشفت ذلك فيما بعد، بارعين في إخفاء مشاعرهم الحقيقية. لقد لاحظتهم يتحدثون مع ممثلي (الحكومة) الرسميين بأدب شديد ووجوه جامدة ويقظة كوجوه لاعبي البوكر». (يونغ 1998: 5).

ونحن نرى أنّ هناك ما يربط بين السومريين وسكان الأهوار الحاليين من خلال الثقافة الراسخة في المكان والمتوارثة جيلاً بعد آخر، وليس بالضرورة من خلال وراثة جينية، ثم إن الأهوار ظهرت في وادي الرافدين في حدود القرن السابع قبل الميلاد، وهو زمن بعيد عن نهاية الكيان السياسي للسومريين وطغيان العنصر السامي.

3. هجرتهم إلى بلاد الشام:

نرى أنّ فكرة هجرة السومريين إلى بلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً موضوعة لغرضين، أولهما لتبرير وتأكيد فكرة خروج إبراهيم الخليل مع عائلته وتارح وأبيه لوط لأجل إثبات الأصل السومري لإبراهيم، والثانية لربط اليهود بشعب عبقريّ ومبتكر في إشارة لتبرير ذكاء اليهود وتفوقهم على غيرهم.

الغرض الأول يتعارض مع رواية التوراة التي تذكر أنّ إبراهيم ينتمي إلى القبائل الآرامية وليس للسومريين، والثانية فيها تفسير عنصري لا وجود له على أرض الواقع حيث لا يوجد شعب نقي العنصر، واليهود هم أفضل مثل لهذا الموضوع وهو ما تثبته البحوث الجينية العلمية لهم.

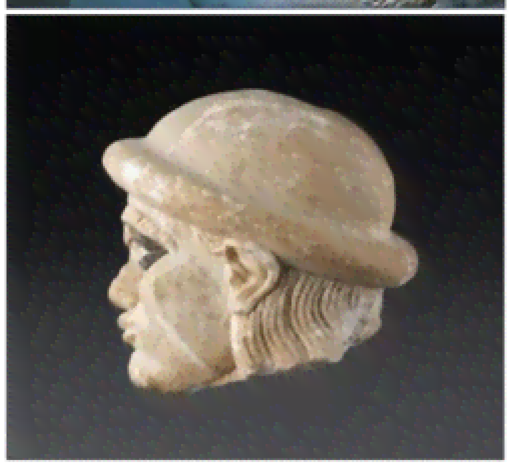
4. هجرتهم إلى مصر:

أغرت فكرة وجود عناصر مشتركة بين السومريين والمصريين القدماء القول بأن قدم السومريين وبعض رسومهم ومبتكراتهم كان سبباً في ظهور الحضارة المصرية، وهو أمر مبالغ فيه قياساً للتفاعل الطبيعي بين الشعوب وعناصر حضارتها، فالمصريون ابتكروا حضارة عظيمة أصيلة لا نظير لها بجهودهم الكاملة، وعلى هذا الأساس لا نرى أنّ هناك هجرة سومرية لاحقة لكي نبرر بها عبقرية الحضارة المصرية.

الفصل الرابع

المظهر السياسي





المبحث الأول: نظام الحكم

تدرّج الحكم في سومر من حكم ثيولوجي (ديني) في بدايات الحضارة السومرية 3500 - 3000 ق. م. إلى حكمٍ مدني مع بداية عصر السلالات، حيث كان رجل الدين هو الزعيم الروحي والدنيوي للمجتمع، ومع ازدياد التخصص في نظام الحكم ظهرت أنظمة حكم دنيوية سرعان ما ظهرت فيها ملامح الديمقراطية البدائية.

كان الكاهن الأعلى (إين En) (السيد، العين) في عصر البروتولتريت (أوروك وجمدت نصر) في سومر أي في حدود 3200 ق. م هو رجل الدين الذي يقوم بمهام الملك والإدارة من خلال المعبد. ثم ظهر الـ(باتيزي) الذي كان الملك الكاهن الذي يدير الدولة من خلال جناح متخصص من الغرف في المعبد، وظهر أيضاً لقب (إين. سي) (إنسي)، وتعني (سيد المدينة)، وفي حدود 2900 ق. م ظهر الـ (لوكال) أي الملك الذي كان يدير شؤون الدولة من خلال القصر. وهذا يعني أنّ الملك ظهر مع بداية العصر البرونزي والعصر التاريخي وهو ما يؤشر إلى تحول مدنيّ واضح في الدولة السومرية.

أول ملك تذكره لائحة الملوك السومرية هو (جاور) في حدود 2800 ق. م ولكنه من كيش، التي نرى أنها كانت مدينة سوبرية، أما أول ملك سومري فهو مسكي كاشر الذي هو رأس سلالة أوروك الأولى، وربما يكون ملك أور ميسانيدا هو أول ملك سومري (ملك دولة مدنية)، لكن الملك الحقيقي الأول لكل سومر هو (لوكال زاكيزي). رغم أنّ أول ملك ظهر اسمه في لائحة الملوك هو ملك كيش (أنميبارايسي).

كان الهيكل السياسي والإداريّ السومري يتكون من:

أولاً: الملك وحاشيته



في بداية عصر السلالات السومرية ومع نشوء نظام (دولة المدينة) كان حاكم المدينة هو الملك ثم أصبح الملك هو الذي يرتبط به حكّام المدن مع نشوء المملكة السومرية الأولى على يد لوكال زاكيزي. وهناك رأيان حول انتخاب أو تعيين الملك، فالأول يرى أنّ الآلهة كانت هي التي تختار، من بين الناس، الرجل الأصلح ليكون ملكاً.

«اعتقد العراقيون القدامى بأن الإلهة هي التي تختار الملك وتقدم له وظائفه ومنذ البداية هو ملك البلاد. وكان الملك (ربما في غالبية المدن السومرية) ينتخب من قبل المجلسين الحاكمين في الدويلة. ونقرأ في نص سومري (اجتمع أهل كيش واختاروا للملكية أبخو كيش من أهالي كيش). وافتخر بعض الملوك باختيار الآلهة لهم من بين رجال مدينتهم، فأنتيمينا وأوروواينمكينا (أوروكاجينا) وجوديا أخبرونا بأن يد الإله قد اختارتهم من 3600، 36 ألف، 226 ألف رجل من رجال مدينتهم لكش على التوالي». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 11).

أما الرأي الثاني فيرى أنّ الكثير من الملوك السومريين ينتخبون من قبل مجلس الشيوخ والشباب. وبين هذين الرأيين يجب أن لا ننسى أنّ وراثة الملكية كانت أمراً بدهيًّا فالأبناء والإخوان يرثون الملك.

كان الملوك السومريون من المحاربين، في الغالب، فهم قادة الجيوش عندما تحين ساعة الحرب، وكان السومريون يجدون فيهم القادة المعوّل عليهم والمسنودين من قبل الآلهة.



الملوك المحاربون

sargon. blogspot. nl/p/history. html2http://sumer

وكان اغتصاب المُلك الناجح من قبل أيّ ثائر مغمور يُبرر بالنسب الشريف أو بتأييد الآلهة. وكان بعض الملوك يدّعون أنهم آلهة. فجوديا يدّعي أنه ابن الإلهة نينا، وأورنمّو ادّعى أنه ابن الإلهة ننسون، وكذلك كلكامش ابن ننسون. والحقيقة أنّ مرجع ذلك يعود إلى الالتباس في قضية الزواج

المقدّس الذي كان لا بدّ من أن يمرّ به كلّ ملك حيث يتلبّس صيغة إله معين وتتلبّس الكاهنة العليا صيغة إلهة معينة.

«اعتبر الكثير من الملوك أنفسهم أبناء الآلهة فذكر جوديا بأنه ابن الإلهة نينا وننسون... إلخ وأكد أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة بأنه ابن الإلهة ننسون التي ولدته بناء على أوامر الإله القمر. وقال لبّت عشتار ملك إيسن بأنه ابن الإله إنليل». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 11).

الملوك لم يعبدوا في سومر لكن أسماء بعضهم جاءت، أحياناً، مسبوقةً بعلامة الألوهية، وكانوا يضعون تاج القرنين الذي يدلّ على علاقة بالآلهة والذي يختلف عن التاج المقرّن (أزواج من القرون الملتحمة ببعضها) الذي كان من اختصاص الآلهة فقط.

كانت إشارات المُلك التي على الملك امتلاكها والتزيّن بها هي (الصولجان، والتاج، وعصا الراعي (من آن)، ولبس بعضهم تاجاً ذا قرنين بينما لبس الآخرون عمامة عادية مثل جوديا (رغم أنه يعتبر أميراً وليس ملكاً).

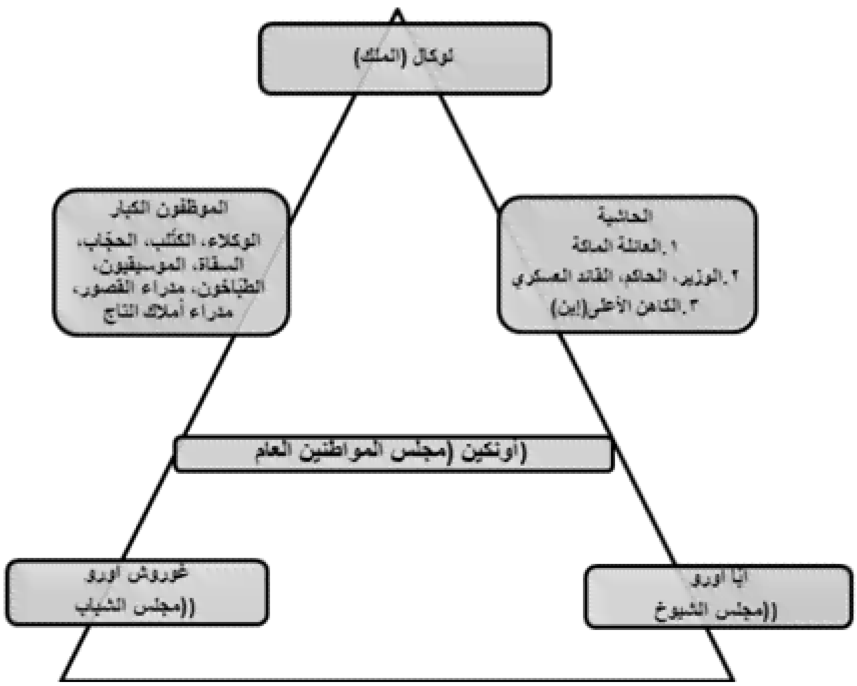
يبدو لنا من خلال القرائن التاريخية أنّ سلالة أور الثالثة وقعت تحت سحر نوعٍ من التأليه الذي منحها قوة كبيرة في السيطرة على دولة/ إمبراطورية مترامية الأطراف، ويبدو لنا أنّ ذلك حصل بعد التأثيرات الأكدية التي أحدثتها سلالة سرجون الأكدي قبلها في هذه الاتجاه. وقد بدأ الأمر مع إمارة لجش وأميرها جوديا.

«وقد يقع اختيار الآلهة على شخص مغمور تتلمس فيه الكفاءة والقدرة برأيهم فتأخذ بيده إلى مقاليد الملك، كما نقرأ في أسطورة سرجون الأكدي التي ادّعى فيها كونه من أصل وضيع نشأ بستانيًّا ورعته عشتار ووعدته بالملك الذي أعطته له بالنهاية. وإن ابتداعه القصة واضح من النصوص التي تذكر صلات قرباه وحياته الأولى. ولكي يسبغ الشرعية على تسلّمه السلطة أطلق على نفسه الاسم شروكين (معناه الملك الشرعي)، وليست هناك أية إشارة الآن إلى اسمه الحقيقي». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 12).

اتخذ الملوك السومريون ألقاباً مختلفة كان بعضها يشير إلى التفاخر وبعضها الآخر يشير إلى التواضع، وعلى سبيل المثال اتخذ جوديا لقب (حمار شعبي) الذي يشير إلى تواضعه الجمّ وهو

يخدم شعب لجش، بينما اتخذ لوكال زاكيزي لقب (ملك البلاد، ملك أوروك وملك أور ووكيل الأقطار). أما أورنمّو فاتخذ لقب (ملك سومر وأكد) وهكذا...

في الشكل الآتي يمكننا معرفة الهرم السياسي للحكم في سومر والذي يتربع على قمته الملك، ويشكل مجلسا الشيوخ والشباب قاعدته الشعبية.



الهيكل السياسي والإداريّ السومري

2. حاشية الملك

تتكون الحاشية من زوجة أو زوجات الملك وأبنائه وعائلته مثل الأم والأب والأقارب، وللحظية نفوذ كبير في الحكم لا يتجلى فقط بالشكل الرسمي، بل بالشكل الخاص الذي يمارسه هؤلاء من خلال امتياز الملك. بل إن بعض الملكات كنّ يقمن بأدوار نوعية في المُلك.

«كانت مدينة «لجش» مثل دول المدن السومرية الأخرى، تحت سيادة ملك بلاد سومر كلها، ولكن الواقع كان حاكمها الزمني الفعلي هو الـ(إيشاكو)، الذي كان يحكم المدينة ممثلاً ونائباً عن الإله الحامي الذي خصصت له المدينة، من بعد الخليفة، بموجب وجهة النظر السومرية، أما كيف حصل مثل هؤلاء الحكام، أي الـ«إيشاكو» على السلطة فأمر غير معروف بوجه التأكيد، فلعلهم انتخبوا من

جانب المواطنين الأحرار في المدينة الذين كانت تقوم فيهم طبقة مديري المعابد (المسمى كل منهم «سَنْجا» بدور سياسي بارز في شؤون المدينة. ولكن مهما كان الأمر فإن وظيفة الـ«إيشاكو» صارت وراثية بمرور الزمن، وكان الحكام الناجحون الطموحون منهم يعملون على مدّ سلطتهم وإنماء ثرواتهم على حساب «المعبد»، فأدّى هذا في بعض الأحايين إلى النزاع من أجل إحراز السلطة بين المعبد وبين القصر». (كريمر 1956: 106).



ملك سومري وزوجته يباركهما رجل الدين ويحيط بهما الجنود والوزير

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

كان الملك، في العادة، يجعل من الابن البكر وليّاً للعهد، لكنه قد يغير رأيه ويجعله لولد آخر أو لأخيه لأسباب سياسية أو اجتماعية. وكان وليّ العهد ينتقل إلى القصر بعد إقرار ولاية عهده.

ومن الحاشية أيضاً كان هناك الوزير (سوكال) الذي هو بمثابة رئيس الوزراء حيث يقوم بالدور التنفيذي ويجمع تحت إمرته كبار الموظفين المختصين. أما الحاكم فهو (إنسي) أي الأمير الذي كان مسؤولاً عن مدينة معينة، وكان يسمى وكيل الإله ويدير بعض الممتلكات الدينية ويكون، عادة، مسؤولاً عن قوات إمارته العسكرية والقاضي والمسؤول عن الأعمال العامة. أما القائد العسكريّ فهو قائد الجيوش الذي كان يتمتع بمركز مقرب من الملك بسبب أهمية مكانته وخطورتها.

وهناك، أيضاً، الكاهن الأعلى أو (الأين) الذي هو جزء من الحاشية بعد أن كان قرين الملك، لكن سلطة الملك الدنيوية جعلت الكاهن الأعلى ومؤسسته الدينية جزءاً من الهيكل السياسي رغم أنّ أغلب الكهنة الكبار كانوا يتحكمون، سرًّا أو علناً، بالملوك لسبب بسيط وهو أنّ المجتمع السومري كان مجتمعاً متديناً وكان الكهنة الكبار ممثلين للآلهة وهم أكبر من الملك ولهذا يحوزون مكانة أكبر في نفوس الناس، فهم يستمدون سلطتهم من مصدر ثيولوجي لاهوتي سماوي من ناحية، ومن إيمان الناس بهذا المصدر من ناحية أخرى، وكان هناك كاهنة عليا تمثل دور الإلهة في أعياد رأس السنة بشكل خاص وقد تكون ضجيعة الملك في هذه المناسبة وتكتسب دورها الكبير إذا أنجبت ولداً (مقدساً) يكون بمثابة هدية من الآلهة للملك.

3. الموظفون الكبار

لعب الموظفون الكبار دوراً هامًّا في الجانب الإداريّ بشكل خاص فكان منهم الوكلاء والكتّاب والحجّاب والسقاة والموسيقيون والطبّاخون ومديرو القصور ومديرو أملاك التاج وغيرهم. وكان هؤلاء يقومون بما تكون عليه واجباتهم فضلاً عن دورهم في تزويد الملك بالتقارير اللازمة وإجراء المراسيم.

4. مجلس المواطنين العام (أونكين)

الديمقراطية السومرية تجلّت في هذا المجلس العام الذي يتكون من مجلسين هما (مجلس الشيوخ - أماشد أورو)، و(مجلس الشباب - كوروش أورو). ولا شك أنّ كلا المجلسين كانا يتمتعان برئيس وطريقة انتخاب وتصويت وبامتيازات معينة.

كان مجلس الشيوخ يضم كبار السن من الحكماء والقادة وكبار رجال الأسر والعشائر وكان رأيهم استشاريًّا ومهمًّا، لكن مجلس الشباب المتكون من الشباب المقاتلين كان الأقوى في الرأي.

ولعلّ أشهر حادثة في هذا المجال هو عندما تسلّم كلكامش إنذاراً من (أجا) ملك كيش فعرضه على مجلس الشيوخ فرفض المجلس الحرب مع كيش، بينما وافق مجلس الشباب عليها فحارب كلكامش كيش.

المبحث الثاني: نظام دولة المدينة

بدأ نظام دولة المدينة City states في سومر مع فجر عصر السلالات عند بداية العصور التاريخية واستمر طيلة العصر السومري القديم حيث اختتمت نهاية هذا العصر بتوحيد المدن السومرية وغيرها وإنشاء الدولة السومرية على يد الملك لوكال زاكيزي.

ويعتبر هذا أقدم نظام سياسي حضاريّ عرفته البشرية وفيه تتمتع كلّ مدينة باستقلال كامل عن المدن الأخرى التي تجتمع معها في الهوية القومية أو الدينية أو الاقتصادية، وربما كان هناك روابط أو اتحادات تجمع هذه المدن، لكن المدن تستقل بنفسها من جميع النواحي. وإذا كان المعبد قد نشأ كنواة للمدينة السومرية إلّا أنّ نموّ المدينة وازدياد المهمات المدنية جعل التنافس حادّاً بين المعبد والقصر، وأصبح كلاهما مركز المدينة السومرية...

«ويوضح نظام الحكم في الدويلات السومرية الأولى خلفية طويلة وتطوراً سياسيًّا غير معروف لدينا الآن، وقد يكون الكهنة في بادئ الأمر هم الحكام الأوائل، خاصة وأن المعتقدات الدينية تؤكد بأن البشر قد خلقوا لخدمة الآلهة وتوفر ما تحتاجه، وأن إله كل مدينة هو ملكها الحقيقي وقد يكون الكهنة في البداية هم الملوك. وشهدت الفترة السومرية الأولى صراعاً بين الملك والكهنة والأمثلة متوفرة عن كهنة كان لهم نفوذ واسع مثل دودو كاهن لكش زمن أنتيمينا، وكان الأخير في البداية كاهناً أعلى لإله المدينة». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 8).



المعبد مركز المدينة السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

«أضاف إيناتارزي حاكم لكش جميع صلاحيات الكاهن الأعلى لوظائفه وقسم رئاسة مختلف معابد المدينة بين أفراد عائلته. ومرّت أزمنة زادت فيها حدة المنافسة بين الملك والكهنة حتى وضع أوروأينمكينا (أوروكاجينا) حدًّا لاستغلالهم. وترينا إصلاحاته بأن سلطة الملك أخذت بالاستقلال التام عن الكهنة ونمت حوله طبقة جديدة من موظفيه. وقد يكون المعبد نفسه (أو جناح خاص في الأغلب) هو المكان الذي كان يسكن فيه الملوك الأوائل ويديرون منه أمور الدولة. وكان لقب كلكامش في البداية السيد (أين) ثم اتخذ لقب الملك. وكان السيد يعيش في معبد إله المدينة وهو كاهنه الأعلى». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 8).

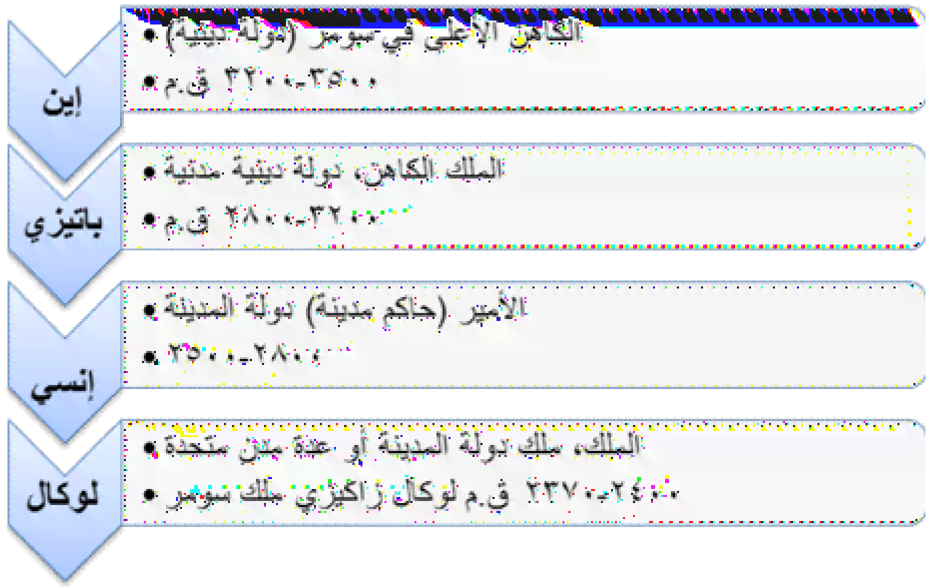


أوروك كنموذج للمدينة السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. Html

تدرج مرتبة الحاكم السومري

حكم المدن السومرية الأولى الأمراء أو الحكّام وهم (إنسي) الذين كانوا بمثابة الملوك (لوكال) في مدنهم المستقلة، وكانت دول المدن السومرية مستقلةً سياسيًّا لكن مدينة (نيبور) كانت بمثابة العاصمة الدينية أو الروحية لهذه المدن، وكان أهل المدن السومرية يحجّون إلى معبد الإله السومري (إنليل) في نيبور باعتباره الإله الجامع لكل السومريين، فقد كان لكل مدينة إله سومري معين، ولأن إنليل هو الإله القومي للسومريين فقد حازت مدينة (نيبور) على هذا المقام. أما أهم المدن السومرية وآلهتها فنجده في هذا الجدول.



كانت المدينة السومرية، بشكل عام، تتكون من معبد المدينة الرئيس المكرّس لإله المدينة عادة ويقع، في الغالب، في وسط المدينة، حيث القصر وأبنية الحكومة أيضاً، وتحيط بالمركز المناطق السكنية التي تهتمّ بالحرف مثل (التعدين، والفخار، ونقش الأختام، والتجارة، وبناء السفن، وصناعة القصب، والأقمشة، والسلال وغيرها). وكانت فيها الأسواق وتحيط بها الأراضي الزراعية وتربية الماشية وصيد الأسماك وغيرها. وكانت هناك شوارع في المدينة وربما وجد لها سور مثل (سور أوروك المدوّر).

وكانت العلاقات بين دول المدن جيدة، في أغلبها، لكننا نلمح بعض النزاعات النادرة مثل نزاع لجش وأوما. كذلك يمكن لدولة مدينة قوية أن تستولي على دولة مدينة أخرى. ونحن نرجح أنّ دولة مدينة كيش السومرية التي كانت تسكنها أغلبية ساميّة فعلت مثل هذا الفعل وتحولت إلى ما يشبه الدولة السوبرية الأولى قبل نشوء الدولة السومرية الأولى على يد لوكال زاكيزي، وهو ما سنبحثه مفصلاً في كتابنا القادم. ولا بدّ أيضاً من الإشارة إلى مدينة (لجش) التي لم تذكرها قوائم الملوك السومرية لسبب نظنه يتعلق باستقلالها الديني وربما أنها كانت تشكل أيضاً دولة أو مقاطعة تضمّ أكثر من مدينة في زمن من الأزمان، فقد ضمّت دولة لجش مدناً مثل (جرسو عاصمتها، لجش، المدينة، نينا زورغول) وأصبحت أقرب ما تكون إلى دولة المقاطعة.

ولا شك أنّ التنظيم الثيولوجي للآلهة في أشكال هرمية وعلى شكل مجالس حكم كان موحياً للسومريين في تنظيم دول المدن سياسيًّا.

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية

كانت دول المدن لا تتمتع بوحدة عامة، فالتنوعات الإثنية والدينية جعلت كيان كلّ دولة مدينة قائماً بذاته، ولذلك كان لا بدّ من تنظيم العلاقات الخارجية بينها، بل وقد تطور الأمر إلى قيام علاقات خارجية بين دول المدن السومرية أو الرافدينية ودول مدن المنطقة التي بدأت بالظهور تدريجيًّا مثل عيلام وإنشان وغيرها.

«إن ما ورد في القصيدة السومرية المعروفة باسم «أينمركار وسيّد أرّاتا» عن المفاوضات التي تمّت بين البطل السومري أينمركار ثاني حكام سلالة الوركاء الأولى حسبما جاء ذلك في جداول الملوك السومريين، وحاكم مدينة أراتا، إحدى المدن الواقعة في المنطقة الجبلية في الأجزاء الغربية من إيران، يمثل الإشارة إلى أقدم علاقات سياسية معروفة حتى الآن. حيث يفترض أنّ حكم أينمركار يرقى إلى عصر فجر السلالات الثاني في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 73).

وازدادت الحاجة للكثير من تفاصيل العلاقات الخارجية مع المدن والدول المحيطة، وكانت هذه العلاقات ضرورية جدًّا في رسم شكل العلاقة بين المدن السومرية ذاتها.

«تلقي النصوص السومرية- الأكدية منذ العصر السومري القديم أضواء على العلاقات الخارجية، فقد توسط ميسليم ملك كيش لحل النزاع بين مدينتي أومّا ولكش ورسم خط الحدود بين الدولتين المتنازعتين. وصوّرت الوساطة إلهية أمر بها الإله إنليل ملك البلدان الذي أوعز إلى إله كيش بالتوسط لعقد الصلح بين إلهي لكش وأومّا. وهذا هو أول اتفاق صلح نعرفه الآن عقد بين دولتين. وقد نستنتج من الملحمة السومرية المعروفة بملحمة أينمركار وسيد أرتّا وجود علاقة بين أينمركار ملك أوروك وحاكم أرتّا في إيران (ربما قرب ديزفول الحالية) ربما نظمتها معاهدة لم

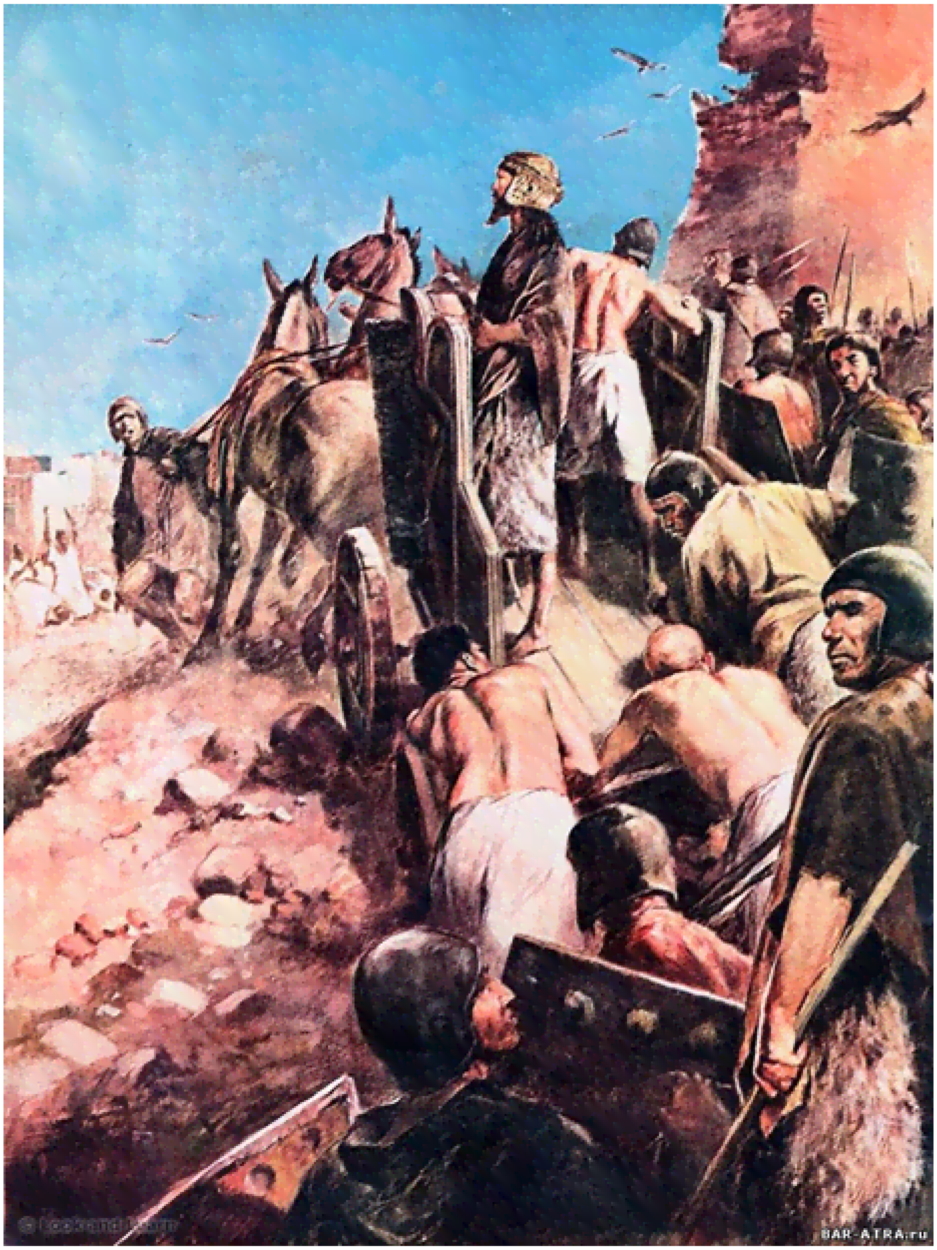
تصل إليها، وكان حاكماً فيها تابعاً لملك أوروك يدفع له بموجبها جزية سنوية. فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً فتكون هذه أول معاهدة نعرفها بين دولتين. (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 الأحمد 1985: 32).

وكان هناك تبادلٌ للسفراء بين الدول والمدن عبرت عنه بعض النصوص السومرية حيث «ترد أول إشارة إلى تبادل السفراء والرسل بين دول المدن من نص تاريخي قصصي عن (أرتّا وأوروك)، فقد قام (أينمركار) حاكم أوروك بإرسال رسول إلى حاكم (أرتّا) وهو يحمل رسالة مدونة على لوحٍ طيني يطلب فيه حاكم أوروك من حاكم أرتّا الخضوع له، وقد عاد الرسول محملاً بردٍّ قاسٍ من حاكم أرتّا وتمّ تبادل رسائل أخرى. ويبدو أنّ أرتّا قامت بإرضاء أوروك، أخيراً، بدفع نوعٍ من الجزية (الذهب والفضة واللازورد) إلى معبد الإلهة إنانا في أوروك ثم عقدت معاهدة ثنائية بين المدينتين/ الدولتين على عدم الاعتداء وعقد السلم بينهما. «أشارت إليه بشكل واضح الملحمة الخاصة بالمعركة التي نشبت في حدود 2600 ق. م بين مدينة الوركاء وبين مدينة أراتا الواقعة ما بين مدينتي الشوش وديزفول الحاليتين حيث ورد فيها ما يلي: في ذلك الوقت تبع سكان سلالة الوركاء، الملك أينمركار مثل رجل واحد، فعبرت جيوشه الجبال المحيطة بمدينة أرتا (زحفاً) كما تزحف الأفعى بين أكوام الحبوب، وعندما وصلت الجيوش إلى منطقة لا تبعد كثيراً عن مدينة أرتا بدأت راجمات الأحجار ترمي أحجارها التي ساوت كميتها كمية الأمطار التي تسقط خلال سنة كاملة، فسقطت لذلك الأحجار بكثافة على أسوار مدينة أرتا». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 فوزي رشيد 1985: 45).

وهذا يعني أنّ تقليد إرسال المبعوثين وعقد المعاهدات كان جارياً في ذلك العصر، وهناك نصوصٌ أخرى تشير إلى مفاوضات أخرى كانت تجري بين هذين الحاكمين كان رسول أحدهما (لوكال بندا) وهو بمثابة أب كلكامش في مدينة أوروك.

أما كلكامش فقد تفاوض طويلاً مع حاكم كيش (أجا) ولم يجد ما يرضيه فاستشار مجلس الشيوخ بشنّ حربٍ على كيش فلم يفلح فاضطر إلى عرض الأمر على مجلس الشباب الذي أيّد كلكامش في إعلان الحرب على كيش... وبذلك تكون المفاوضات قد فشلت.

كلّ هذه الأخبار وردت في نصوص هي عبارة عن ملاحم وقصص صغيرة حول ملوك تلك الدول. لكننا حصلنا على أول معاهدة دولية في التاريخ بين دولتي مدينتين سومريتين هما (لجش وأوما) المتجاورتين والتي تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.



الصراع بين أوما ولجش

html .http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/sumerian-hundred-years-war

في حدود 2600 ق. م كان ملك كيش (ميسيلم) أقوى حكّام المدن في منطقة سومر وهو حاكم سوبري (سامي)، كانت أغلب المدن السومرية تسمع كلمته، حصل في زمنه خلاف حدودي بين مدينتي (لجش وأوما) فثبت الحدود بينهما في نصب حدودي على شكل معاهدة يرعاها الإله (ستران) المختص بتسوية النزاعات. لكن حاكم (أوما) المسمى (أوش) نقض الاتفاق وحطّم النصب وجهّز جيشاً وعبر الحدود واحتل شمال لجش المسمى حدّ السهل (جو أدنّا) وهي أرض زراعية حدودية تابعة إلى (لجش). وبعد مضيّ زمن ظهر حاكم لجش الجديد (إيانتم) فتأثر من هذا النقض وشنّ الحرب على أوما وانتزع ما احتلوه من أرضه وثبّت حدوداً جديدة مع حاكم أوما الجديد (أين أكالي) وحفر خندقاً حدوديًّا وأعاد نصب (ميسيلم) وثبت أنصاباً حدودية أخرى.

وحين حكم ابن (أين أكالي) في أوما والمسمى (أور – لومّا)، قام بنقض الاتفاق وتحطيم نصب ميسيلم وأنصاب إيانتم وتقابل مع ابن أنتيمينا المسمى (إيانتم) وانتصر (إيانتم) على أوما، لكن حليف (أوما) في مدينة زبلام) واسمه (إيل) قام بمجابهة لجش واحتل المنطقة الحدودية. وكادت تنشب حرب كبيرة بين هذه المدن الثلاث، لكن المفاوضات الدبلوماسية من طرف مدينة رابعة هدأت الأمور وأعادت العمل باتفاق ميسيلم مع إنهاء جزية الأموال التي فرضتها (أوما) سابقاً.

«دوّنت أخبار هذه المعاهدة وتفاصيل الصراع الطويل الذي اتسمت به العلاقات العدائية التي كانت تربط الدولتين على مخاريط فخارية من عهد أنتيمينا خامس حكام لجش (حدود 2400 ق. م)، بالخط المسماريّ واللغة السومرية عثر على نسختين منهما حتى الآن. وكان الغرض الأساس من تدوين أخبار الصراع الطويل بين الدولتين والذي انتهى في مرحلته الأولى بعقد تلك المعاهدة، هو تخليد ذكرى إعادة حفر خندق الحدود الذي يفصل أراضي لجش عن أراضي أومّا والذي كان يؤلف جزءاً من بنود المعاهدة القديمة. ولقد حاول مدوّن الوثيقة أن يضع حدث إعادة حفر الخندق في إطار تاريخي جذاب بدأ بذكر بداية الصراع بين الدولتين الذي انتهى بعقد المعاهدة بتحكيم طرف ثالث هو ميسيلم حاكم كيش، إما بصفته الملك الذي كان يتبعه حاكما دولتي لجش وأوما، أو لأنه الملك الذي ارتضى بتحكيمه كلا الحاكمين. وفي كلتا الحالتين، فإن الصيغة التي اتبعت في حسم النزاع بين الدولتين وتثبيت الحدود بينهما هي صيغة متقدمة». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 114).

كانت مسلة أو نصب المعاهدة تكتب وتوضع على الحدود بنسخة واحدة أو أكثر وتخصص لها أرض محايدة تفصل بين حدود الدولتين وتكون، عادة، في أرض الدولة المنتصرة وتسمى في المعاهدة بـ(أرض الحياد) وقد يستغل أهل الدولة المغلوبة هذه الأرض مقابل ضريبة سنوية ثابتة. وكانت مسلات الحدود تحملُ المعاهدات الحدودية عادة، ولكنها قد تكون شاهدةً على الحدود فقط وقد ظهرت مسلات الحدود (كدورو) كثيرة وهي تحمل رموز ورسوم الآلهة مع نصوص تدعو إلى الحفاظ على الحدود وتلعن من يعبث بها.

ومن الأمور الخاصة بالعلاقات السياسية ما عرف بـ(الزواج السياسي) حيث يقرّب هذا النوع من الزواج الأواصر بين دولتين متعاونتين أو متحاربتين، فقد حصل أن احتلت دولة سومر الحديثة (سلالة أور الثالثة) بلاد عيلام وحصل اتفاق على زواج أمير من عيلام بأنشان، وتزوج ابنة الملك السومري شو سين الأولى، وتزوج أمير زابشالي ابنة شو سين الثانية، وتوثق الزواجان كنوعٍ من الاتفاقات والمعاهدات السياسية. لكن حكّام عيلام نقضوا هذه الاتفاقات عندما ضعفت الدولة السومرية في عهد (أبي سين) وأسقطوها.

«في عهد سلالة أور الثالثة التي سيطرت على بلاد عيلام باستثناء بعض المرتفعات الشرقية التي ظلت تحتفظ بشيء من الاستقلال، قد وردت إشارات إلى قيام مصاهرات سياسية بين الأسرة المالكة في أور وحاكم أنشان مثلاً، كما ورد ذكر وصول مندوب عن حاكم سيماش إلى أور، وفي السنة التالية وصل مندوب حاكم أنشان إلى أور في عهد ملكها شو سين كما تزوج حاكم أنشان إحدى بنات ملك أور، وزوج الأخرى حاكم زابشالي. وهكذا كانت العلاقات السياسية بين أور الثالثة وحكام المدن العيلامية توثق بالمعاهدات الثنائية وتقوى بالمصاهرات السياسية». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 119).

وهناك ما يعرف بـ(المساومة السياسية) حيث يتمّ التساوم على شيء مقابل شيء آخر، وهو ما حصل أيضاً مع حاكم سومر الضعيف أبي سين مع حاكم إيسن (أشبي أرا) الذي باع القمح لسومر، وحين شعر بقرب سقوطها أرسل القمح إلى مدن سومرية أخرى غير أور وطلب أن تكون جزءاً من نفوذه. وهكذا كانت السياسة تلعب دوراً مهمًّا في حياة المدن السومرية وكان هناك مؤرخون يوثقون ما كان يحصل فوصلت إلينا أول المعاهدات والوثائق والمساومات والمفاوضات.

«في السنوات الأخيرة من حكم أبي - سين اضطربت الأحوال السياسية والاقتصادية وتقلص نفوذ أور حتى غدا لا يتجاوز حدود مدينة أور نفسها. وكانت بلاد سومر تواجه في هذه الفترة غزو الأقوام العيلامية من الشرق وتدفق القبائل الأمورية من الغرب. وهكذا استغل أشبي – أرا هذه الأوضاع المتردية، وكان أحد حكام أبي- سين التابعين، وبدأ مساوماته السياسية مع أبي - سين الذي قرر أن يشتري منه كمية من القمح لسد حاجة سكان أور وما جاورها من قرى». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 120).

المبحث الرابع: القوانين السومرية

في مجتمع متحضر كالمجتمع السومري ظهرت الحاجة لوجود شرائع وقوانين يلتزم بها الجميع من أجل التعايش الاجتماعي الصحيح الذي ينظم حياتهم ويوازن بين الحقوق والواجبات.

«إن من بين أهم الحقائق التاريخية التي تميز بها العراقيون القدامى أنهم أكدوا تمسكهم بالقواعد القانونية سواء ما كان منها في صيغة القانون المدوّن، أو في صيغة العرف القانوني والقواعد المقررة، فأجروا مثلاً جميع معاملاتهم الاقتصادية من بيع وشراء وقروض وإيجار وائتمان وإيداع وهي حالات في العلاقات المالية بين الناس، وكذلك تنظيم علاقاتهم الاجتماعية في حالات الزواج والطلاق والإرث والتبني، وفق أحكام متعارف عليها ملزمة للجميع بدلالة تسجيلها. لذلك كان إجراء هذه المعاملات والاتفاقيات دون توثيقها بأسلوب شرعي قانوني يعدّ باطلاً وغير ملزم لأحد طرفي الاتفاق، ناهيك أنّ بعض العقوبات كانت توقع بالإجراءات المرفوضة اجتماعيًّا أي غير قانونية. ولذلك فإن ما يقارب من 90% من النصوص المسمارية المكتشفة لحدّ الآن، تعالج موضوعات المعاملات القانونية أو ما يعرف في لغتنا المعاصرة بالعقود». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي 1985: 48).

وظهرت الحاجة واضحةً في الحقل الاقتصادي بشكل خاص، فالبيع والشراء وتبادل السلع كان يحتاج إلى قوانين دقيقة وتفصيلية لتنظيم حركته، ومثلما كان هذا الاقتصاد سبباً في نشوء الحاجة لاختراع الكتابة صار هو السبب المباشر لاختراع القوانين والشرائع، وكانت العقود الاقتصادية هي الوسيلة التي ظهرت منها الشرائع.

«إن هذه العقود تخضع إلى صياغة متميزة وتبويب للمعلومات وتثبيت للحقوق والواجبات المترتبة على التعاقد، كما تنص أحياناً على نوعية العقوبات التي يتحملها ناكل التعاقد. ومما يؤكد خضوع تدوين هذه العقود لإشراف جهة رسمية، أنها كانت تذيل عادة بأسماء الشهود، وتختم أسماء

الشهود غالباً باسم شاهد يصف نفسه بـ«الكاتب» وهي وظيفة رسمية رفيعة المستوى في العراق القديم، تشكل دلالة التأييد الرسمي للعقد أو الاتفاق». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي 1985: 70).

ويمكننا سرد تاريخ ظهور الشرائع والقوانين السومرية كما يلي:

1. إصلاحات وشريعة أوركاجينا (إنمكينا)

ما زالت إصلاحات العاهل السومري إنمكينا حاكم مدينة لجش تتصدر الريادة في التاريخ البشريّ بقدمها وأسبقيتها، وقد جاءت مدونة هذه الإصلاحات والشرائع بعد أن تمادى الحاكم الذي سبقه (لوكالندا) وزوجته في توسيع ثرائهما واضطهادهما للناس في لجش، فقرر مجلس الشعب، على ما يبدو، عزله وتعيين إنمكينا الذي بدأ عهده بهذه الإصلاحات.

«أبرز المبادئ التي تتمحور حولها إصلاحات أوركاجينا هو التأكيد على فكرة «الحرية في حدود القانون» وأن المناصب الوظيفية العالية في الحكومة أو الإدارة لا تعفي صاحبها من الحدود القانونية، لذلك أعلنها أوروكاجينا حرباً ضد الموظفين وجامعي الضرائب ممن خرقوا التقاليد وتجاوزوا حقوق وممتلكات المواطنين». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي 1985: 72).

عثر على الإصلاحات مدونة بالخط المسماريّ وباللغة السومرية على مخروطين:

المخروط الأول: يصف الظروف السائدة في ذلك الوقت والثورة التي قام بها ضد الفساد بعد أن انتخبه مجلس المدينة، على ما يبدو، ليكون ملكاً لمدينة لجش.

المخروط الثاني: نصوص إصلاحات أوركاجينا

وقد قمنا بترجمة هذه النقوش من المخروطين المرقمين بـ (COUP222607)، وسنكتفي هنا بذكر نصوص إصلاحات وشريعة أوركاجينا فقط، وهي مادة المخروط الثاني المنشورة في موقع (شكسبير السومريّ sumerianshakespeare. com):

«لا تجبر الناس على أن تبيع أيّ شيء لمرؤوسيهم

يستطيع الناس وضع سعرهم الخاص

وهم محميون ضد أيّ انتقام

حين يولد حمار جيد عند تابع الملك

وأراد رئيس العمال منه أن يبيعه له (أريد أن أشتري منك)

فيما إذا سمح له بشرائه

قال له: ادفع لي مقابله فضة هي وحدها تقنعني

أو فيما لم يسمح له بشرائه

لا يحق لرئيس العمال أن يحتج

عندما يقع بيد الثري إلى جانب بيت تابع الملك

وقال الثري لتابع الملك أريد أن أشتري منك

فيما إذا سمح له بشرائه ويدفع مقابله فضةً

أو قال له املأ بيتي بالشعير إنه كالمرجل

فيما إذا لم يسمح له بشرائه

لا يحق للثري أن يحتج وهو في قمة غضبه

كل هذه الأمور هي أوامر

لكل مواطني لجش

للشخص المديون

للشخص الذي يغش بالميزان

ويقلل كمية الشعير.

اللص، والشخص الذي قتل

خصص له السجن ليطهره بعد أن يخرج

كل هذه المغفرة (الالتزامات أماجي) قد وضعت

كل هذا الغفران (الالتزامات أماجي) قد وضع

يبدو كأن المغفرة أو العفو قد منحت لكل الناس حتى اللصوص والقتلة.

الأرملة واليتيم لا يتمّ إخضاعهما للأقوياء أو بالقوة.

واعتبر هذا اتفاقاً ملزماً في قانون ننجرسو أوركاجينا

بعد مرور مئتي عام كوديا عمل القوانين نفسها

لحماية اليتيم والأرملة من سلطة الأغنياء المتسلطين

في تلك السنة.

حفرت تلك القناة الصغيرة التي حصل عليها

جرسو من ننجرسو وبقي اسمه السابق عليها

سميت باسمه قناة ننجرسو باسم السلطة التي منحها

أوركاجينا من نيبور

والقناة تلك التي إلى (نجن) هي امتداد لها».

2. شريعة أورنمّو

ربما كان أورنمّو أعظم ملك سومريّ فقد سنَّ أقدم وأهم شريعة قبل شريعة حمورابي بثلاثة قرون، وأنشأ أعظم زقورة سومرية، هي زقورة الإله القمر (ننار)، وأطلق الإبداع الأدبي، واعتبر

أحد أبطال سومر العظام، وأنشأ الدولة الإمبراطورية الحقيقية. عدد قوانين الشريعة هي (31) قانوناً لم يبقَ منها إلّا القليل.





أورنمو أمام إله القمر، وشريعته

«دوّن قانون أورنمو باللغة السومرية، ويتوضح من بقايا المقدمة، كيف فوض الإله ننار (إله القمر) إله مدينة أور، الملك أورنمو، لحكم المدينة، ووصفه بالملك الورع التقي العادل، وأن مجيئه كان إيذاناً بالقضاء على الفساد والفوضى وسوء الإدارة والتجاوز على حقوق الآخرين، وبذلك تمتع الناس بحقوقهم وحريتهم، أما المواد القانونية، فإن الباقي منها والتي أمكن ترجمتها، فإنها تعالج

الأحوال الشخصية من زواج وطلاق، وتتطرق أيضاً إلى بعض المخالفات والإساءات وتحدد العقوبة لكل حالة منها». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي 1985: 73).

تبدأ الشريعة بمقدمة تتحدث عن تقرير مصير (أور) وكيف اختار الإلهان آن وإنليل الملك أورنمّو ليحكمها، وكيف قام بالتصدي لمملكة لجش السومرية وقتل ملكها (نمخاني) بسبب أطماعه في أور.

وكيف أقام العدل في أور وقضى على الغشاشين والمرتشين واللصوص.

وفي قفا اللوح تبدأ الأحكام الخاصة للشريعة التي تخص إلقاء الزوجة الخائنة مع عشيقها في النهر كنوع من البيّنة، والأخرى تتعلق بالعبد المتمرد على سيده. وعقوبة القصاص المادي.

المواد من 4 - 12: عالجت الأحوال الشخصية كالطلاق والخيانة الزوجية والخطوبة ومقدارها وهروب العبد من سيده... ومنها ما يخص حقوق المرأة:

المادة 5: «إذا أزال رجل بكارة أمة رجل آخر بالإكراه، عليه أن يدفع كغرامة خمسة شيقلات من الفضة».

المادة 7: «إذا مات رجل، فبعد موته تنتقل نصف أملاكه إلى زوجته، والنصف الآخر إلى أولاده».

المواد من 13 - 23: عالجت حالات الاعتداء والأذى بين الأحرار أو بين العبيد والأحرار.

المواد من 24 - 26: عالجت شهادات الزور.

المواد من 27 - 31: عالجت الاعتداء على الأراضي الزراعية والاقتصاد الزراعي.

ونقتطف منها هذه المواد:

«المادة 10: (270 - 280) لو اتهم رجل رجلاً آخر بـ.... وجاء به إلى تحكيم النهر وأثبت تحكيم النهر براءته، فعلى المتهم أن يدفع للآخر ثلاثة شيقلات من الفضة.

11: (281 - 290 = B 10) لو قذف رجل زوجة رجل آخر وأثبت امتحان النهر أنها بريئة، يدفع من قذفها ثلث مينا من الفضة.

12: (291 - 301= B 11) لو أنّ صهراً متوقعاً دخل بيت حميه المتوقع، لكن حميه نكص وأعطى ابنته (العروس المتوقعة) لرجل آخر، على الحمي أن يُعيد له (أي للصهر المرفوض) ضعفي هدايا الزفاف التي قدمها.

13: (302 - 312 = B 12) لم يبقَ منها إلّا أثر ضئيل.

14: (313 - 323 محذوفة في B). لو {...} أمة {أو عبد هرب من بيت سيده} وعبر حدود المدينة ثم أعاده رجل آخر فعلى مالك العبد أن يدفع لمن أعاده شيقلين من الفضة.

15: (324 - 330 = B 13 - 21) لو قطع رجل... قدماً (أو عضواً من) رجل آخر بـ... عليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة.

16: (331 - 338 محذوفة في B) لو هشَّم رجلٌ عضواً من أعضاء رجل آخر أثناء عراك يدفع مينا واحدة من الفضة. (مجموعة من المؤلفين 1993: 136 - 137).

3. شريعة أشنونا (بلالاما)

مملكة أشنونا السومرية ظهرت في عصر السلالات الأولى واستمرت بعد سقوط سلالة أور الثالثة حتى السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي، وشريعتها أقدم من شريعة حمورابي بقرنين، وكانت تنسب إلى الملك (بلالاما)، وتقع آثار أشنونا في تل حرمل (2000 ق. م) وهي الشريعة التي أعطت للمرأة حق الحماية ضد الزوجة الثانية، وأعطتها مساحة من الأرض تمارس فيها حريتها ولا تبقى على هامش الحياة الزوجية مع الرجل وزوجته الثانية. ويرد في هذه الشريعة أنّ الرجل يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع من حوله إذا طلق زوجته الأولى واتّخذ زوجة ثانية.

المادة 60: «إذا طلق رجل زوجته بعد أن ولدت منه وأخذ زوجة ثانية فسوف يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع من حوله وليتبعه من يريد».

«وإذا كان قانون أورنمّو وقانون لبت عشتار قد دوّنا باللغة السومرية، فإن ثالث القوانين من حيث التسلسل الزمني، وهو قانون ممكلة أشنونا، يعدّ أول القوانين المدونة باللغة الأكدية، وقد اكتشف هذا القانون خلال حفريات مديرية الآثار العراقية في موقع أثريّ يقع في منطقة بغداد الجديدة الكائنة في ضواحي العاصمة بغداد، اسمه تل حرمل، ومن نتيجة التنقيب عرفنا أنه يمثل مدينة صغيرة اسمها (شادوبوم) من مدن مملكة أشنونا، التي كانت تشرف بهيمنتها السياسية على حوض ديالى بكامله تقريباً، ومملكة أشنونا واحدة من الممالك التي ازدهرت في مطلع العهد البابلي القديم، وبقيت دويلة قوية حتى نجح الملك حمورابي في ضمها مع غيرها من الدويلات إلى مملكة موحدة قوية أقامها في العراق تعرف باسم سلالة بابل الأولى أو مملكة بابل القديمة». (مجموعة من المؤلفين العراقيين: ج3، الهاشمي 1976: 75).

وعدد القوانين التي بقيت سليمة من رقيمها التالف حوالي (59) قانوناً أغلبها في تنظيم الحياة الاقتصادية والأحوال الاجتماعية ومنها:

«المادة 42: لو عض رجل أنف رجل (آخر) فقطعه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن عض عينه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن كسر سنّه يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلى الأذن يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلى صفعة الخد يدفع له عشرة شيقلات من الفضة.

43: لو قطع رجل إصبع رجل آخر يدفع له ثلثي مانة (مينا) من الفضة.

44: لو طرح رجل رجلاً آخر أرضاً أثناء شجار فكسر يده يدفع له نصف مينا من الفضة.

45: ولو كسر قدمه يدفع له نصف مينا من الفضة.

46: لو تعدى رجل على آخر وكسر... يدفع له ثلثي مينا من الفضة.

47: لو ضرب رجلٌ رجلاً آخر عرضاً يدفع له عشرة شيقلات من الفضة». (مجموعة من المؤلفين 1993: 154).

4. شريعة لبت عشتار (شريعة إيسن):

وهي شريعة مدينة إيسن، ففي حدود 1850 ق. م أصبح لبت عشتار ملك المدينة وسنَّ قوانينه، على لوح كبير بعشرين عموداً طويلاً محتويةً على ثلاثة أقسام هي (المقدمة، والنص، والخاتمة)، ولم يبقَ من هذه الشريعة سوى (38) فقرة.

«المادة 25: لو عقد رجل على امرأة وحملت له أطفالاً وهم لا زالوا على قيد الحياة، ثم حملت إحدى إمائه أيضاً أطفالاً منه ثم أعتق الأب الأمة وأولادها، لا يقتسم أولاد الأمة العقار مع أولاد سيدهم (السابق).

26: لو ماتت زوجته الأولى، فاتخذ بعد وفاتها أمةً زوجةً، أولاد الزوجة الأولى هم ورثته، وسيكون الأولاد الذين ولدتهم الأمة لسيدها...، وسوف... بيته.

27: إن لم تلد زوجة رجل له ولداناً وإنما ولدتهم عاهرة (من) الساحة العامة، عليه أن يقدم لتلك العاهرة حبًّا وزيتاً وكساءً، وسيكون الأولاد الذين ولدتهم العاهرة ورثته، ولنْ تسكن المومس في البيت مع زوجته ما دامت زوجته حية.

28. لو مال قلب رجل عن زوجته الأولى وتزوج غيرها لكنها لم تترك البيت، تكون المرأة الجديدة زوجة ثانية له، وعليه أن يستمر في إعالة زوجته الأولى.

المادة 29: لو أنّ صهراً (منتظراً) دخل بيت حميه وخطب، لكنهم أبعدوه وأعطوا زوجته لصاحبه، عليهم أن يعيدوا له هدايا الخطبة التي أحضرها، ولن تتزوج تلك الزوجة صاحبه.

30: لو تزوج رجل شاب مومساً (من) الساحة العامة، وأمره القضاة بأن لا يرتادها، ثم طلق زوجته،... نقوداً». (مجموعة من المؤلفين 1993: 160 - 161).

5. النص السومريّ YBC – 2177

وهو نص سومريّ لشريعة سومرية ما زالت مفقودة، ولكنه هنا لطالب يتمرن على كتابته في إحدى مدارس سومر في حدود 1800 ق. م ومنها:

«(العمود 4) المادة 1: لو ضرب (رجل) امرأة من طبقة المواطن الحرّ (عن غير قصد) وتسبب في إجهاضها عليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة.

2: لو ضرب (رجل عامداً متعمداً) امرأة من طبقة المواطن الحرّ وتسبب في إجهاضها عليه أن يدفع ثلث مينا من الفضة.

3: إن خالف (قبطان سفينة) خط سير الرحلة الموكل إليه وبذلك تسبب في خسارة السفينة، يكيل لمالك السفينة بمقدار ما... السفينة مع رسم استئجارها لمدة...

4: لو قال (ولد) لأبيه وأمه: «أنتما لستما والديَّ»، يُحجَرُ على حقوقه في التركة من بيت وحقل وبستان وعبيد و(أية) أموال أو أملاك أخرى، ويحق لوالديه أن يبيعاه (عبداً) مقابل مال.

5: أما لو (قال) أبوه وأمه له «أنت لست ولدنا» يحجز على عقارهما.

6: وإن قال أبوه وأمه له «أنت لست ولدنا». (مجموعة من المؤلفين 1993: 139 - 140).

الفصل الخامس

المظهر العسكريّ والمدني

(الحرب والسلام)





المبحث الأول: النظام العسكريّ والأسلحة

أولاً: مكونات الجيش السومري

تكوّن الجيش السومريّ من الكتيبة المكوّنة من ستة صفوف في كل صفّ ثمانية أفراد أي (6× 8)، أي إن الكتيبة الواحدة تتكون (48) جنديًّا، ويمكن للصفوف الستة أن تصبح ستين صفًّا في حالة الإعداد لمعارك كبيرة. وكان الجنود من عامة الناس وخصوصاً من الفلاحين، فحين تحين ساعة الحرب يكون على كل من هو قادر على حمل السلاح جنديًّا في هذا الجيش، لكنه يمارس حياته العادية في حالة السلام. ورغم ذلك هناك جنودٌ محترفون يكوّنون عماد الجيش الثابت الذي يحمي الملك والممتلكات العامة والبلاد.

تعني كلمة جيش بالسومرية (خوب) ومعناها (هزَم العدو) وهي تشير إلى حركة اليد أو القدم. ويتكون الجيش السومريّ من:

1. القائد العام (شاكينا) وهو بمثابة رئيس الأركان الذي يقود (25200) جندي
2. القائد الوسط (نوباندا) وهو بمثابة الجنرال الذي يقود (600) جندي
3. القائد الأصغر (أوجلا) وهو بمثابة الضابط الذي يقود (300) جندي
4. صنف العائدين للملك (شوب لوكال)
5. صنف الأتباع (أجا أوش)
6. الجنود الدائميون (إيرن)، وتعني هذه الكلمة (النير، حلقة الرقبة) وهم المتطوعون
7. الجنود المؤقتون (كوروش) وهم المكلفون بالخدمة العسكرية في أوقات الحرب

8. الوحدات الصغيرة (أوجلا نام) وهي وحدات مكونة من عدد محدد من الجنود، فمثلاً هناك وحدات أوجلا نام 10 أي الوحدة المكونة من عشرة جنود يقودها ضابط.

أما أنظمة الدفاع والهجوم فتكون كما يلي:

1. الكتيبة المكونة من 48 جنديًّا وهي على شكل صف أو كردوس من المشاة من حاملي الرماح أو السيوف.

2. العربات الحربية ذات العجلتين أو الأربع التي تجرها الثيران أو الحمير أو البغال، ولم تستخدم الخيول لأنها سريعة ولا تناسب مثل هذه العربات البسيطة، ويقود هذه العربات سائق وتحمل جنوداً.

3. راجمات الأحجار وهي بمثابة مدفعية الجيش السومريّ وتتكون من آلات وعتلات راجمة للأحجار متحركة أو ثابتة.

وكان للعربات والراجمات دور مهمّ في المعركة. وقد استخدمت العربات الحربية على نطاق واسع في بعض المعارك الكبرى منها تلك التي خاضها لوكال زاكيزي الذي استخدم ما يقرب من (600) عربة في معاركه لتوحيد واحتلال المدن السومرية والقريبة منها.



عربة سومرية تحمل الجنود وهي تدخل بوابة المدينة

http://www. daviddarling. info/encyclopedia_of_history/S/Sumerians. html



عربة حربية سومرية

http://www. crystalinks. com/sumermilitary. html



نماذج معادة الرسم لمركبات سومرية حربية

ثانياً: الأسلحة السومرية

يمكن أن نقسمها إلى نوعين هما:

1. الأسلحة الهجومية وهي (الفؤوس، والصولجانات، والخناجر، والسيوف، والأقواس، والسهام، والرماح، والشباك، والمناجل)

2. الأسلحة الدفاعية وهي (الدروع، والخوذ النحاسية الواقية، والملابس المدرعة، والعباءة الواقية).

الفأس لسومر:

اعتبر السومريون الفأس أداة العمل والحضارة ثم أصبحت أداة الحرب أيضاً، ولذلك قدّسوها واعتبروها من صنع الآلهة. ففي نص سومري يعود للألف الثاني قبل الميلاد يقوم الإله إنليل بخلق العالم ويفصل الأرض عن السماء ويخترع الفأس كأداة حضارية تبنى بها حضارة شعبه فيصنعها ثم يحملها إلى قاعة (مصنع الأجساد) في مدينته نيبور عند معبده الذي يعني اسمه (رابط الأرض بالسماء) ويستعملها لاستخراج الصلصال الذي تصنع منه أجساد البشر في قوالب تسمى (قوالب خلق البشر)، فهي إحدى الأدوات التي ساهمت في صنع جسد الإنسان، ثم يسلم هذه الفأس للبشر هدية منه لهم لكي يقيموا حضارتهم، وفيما يلي مقاطع من هذه القصيدة النشكونية:

«لكي يخلق في (مصنع الأجساد)

الأول (من سلالة البشر)

فقد أتى بوتدٍ إلى دور-آن – كي (نفّر)

وصنع منه فأساً

ومنذ اليوم التالي

قرر نظام السخرة معيناً بذلك مصير

(البشر في المستقبل)

وبتعين أدوات هذه السخرة

مجّد إنليل الفأسَ:

الفأس الذهبية، ذات (الرأس) المصنوع

من اللازورد

والمشدود بأربطةٍ من الذهب والفضة النقيين،

شفرتها تشبه محراثاً من لازورد

ورأسها يشبه ثوراً وحيد القرن

منفرداً على كتلة ردمٍ عريضةٍ

بعد أن تأمل بإعجابٍ بهذه الفأس

قرر الإله مصيرها

وبعد تتويجها بإكليل – من- الخضرة (؟)

حملها إلى مصنع الأجساد

واستعملها، ليضع في القالب (المخلوق)

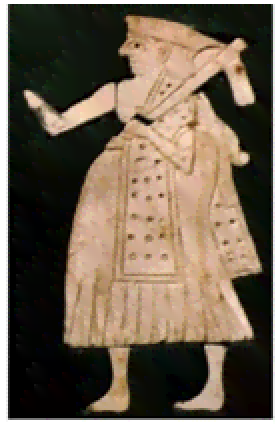
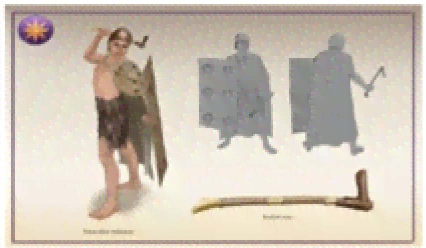
الأول (من سلالة البشر).

منذ ذلك الوقت، وأمام (إنليل)، بدأ

تكاثر البشر على هذه الأرض!

بينما كان إنليل يسهر على ذوي

الرؤوس – السوداء». (الشواف 1997: 97-98).

	
حامل الفأس (parot 1970: 21)	الفأس وعدة المحارب السومري http://robbiemcsweeney. deviantart. com/art/Sumerian-infantry-340649395

لم تستخدم السيوف استخداماً واسعاً في المعارك بسبب ليونتها فهي مصنوعة إما من النحاس أو البرونز، وما زال الحديد، حتى ذلك الوقت، ليس شائعاً في الاستعمال. وكانت الفؤوس هي الأسلحة الأقوى وتليها المناجل ثم الرماح. أما الخوذ الحربية فكانت مدببة وطويلة نسبيًّا لكي تتقي السهام والرماح. وقد بقيت العربة السومرية نموذجاً لجيوش الشرق الأدنى لما يقرب من ألف سنة.

ولعل من أهم الآثار التي وصلتنا من الجيش السومريّ هي مسلة الملك (إي أناتم، إيانتم) من سلالة لجش الأولى حوالي 2475 ق. م التي تتكون من مشهدين العلوي يمثل حالة الدفاع حيث يظهر الجنود في نظام الصف أو الكردوس وهم مزودون بالأسلحة الثقيلة كالدروع والرماح وعلى رؤوسهم الخوذ الواقية وهم يصطفون بتماسك لا فراغ فيه لمنع اختراق جنود العدو لهم. أما المشهد السفلي فيوضح الجنود في حالة الهجوم حيث حركتهم المنفتحة وأسلحتهم الخفيفة تتقدمهم العربات الحربية.

«سماها الباحثون المحدثون بمسلة النسور أو العقبان لأنه صور نسوراً أو عقباناً تنهش جثث القتلى من جيش أوما كما مُثّل إيانتم نفسه على الوجه الآخر من المسلة وهو في عربته الحربية قائداً جيشه المنتصر. وثبت على المسلة أخبار انتصاراته هذه والقسم الذي أقسمه حاكم أوما على التزامه بالمعاهدة الجديدة والحدود التي ثبتها إيانتم بين الدولتين: سوف لا أنتهك إلى أبد الآبدين حرمة حدود «ننجرسو» قط، كما لا أتجاوز على سدوده وقنواته (التي تكون الحدود) كما لن أقتلع مسلاته، (غير

أنه) لو اعتديت (على الحدود) عندئذٍ عسى أن تلقى عليَّ «أوما» من السماء الشبكة «شوشكال» العائدة «لننخرساج». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان1985: 116).

تظهر في هذه المسلة عباءات الجنود حول الرقبة وهي مصنوعة من الصدف أو الجلد وهي عباءات واقية.



جنود سومريون في مسلة العقبان

http://www. crystalinks. com/sumermilitary. html



صف من الجنود المسلحين من لوحة السلام والحرب

http://www. crystalinks. com/sumermilitary. Html

ومن راية أور أو منحوتة (الحرب والسلام)، وهي تحفة أثرية تجمع بين الرسم والنحت، نشاهد مشاهد الحرب والجنود وعرباتهم وتجهيزاتهم.

ولا شك أنّ الجيش السومري في سلالة أور الثالثة أصبح قويًّا جدًّا بسبب ما اكتسبه السومريون من خبرات متطورة من الجيش الأكدي الذي عمل سرجون الأكدي وسلالته على تطويره بما يناسب مهماته الإمبراطورية الكبيرة، حيث ازداد حرفية ومهنية وأصبح جيشاً كبيراً يناسب توسع الدولة الإمبراطورية السومرية الحديثة.

«العراقيون القدماء وخاصة سكان مدينة الوركاء بالذات هم أول من فكر بإحاطة مدينتهم بسور دفاعي، حيث ورد في أحد النصوص المسمارية أنّ كلكامش ملك الوركاء قد بنى في حدود 2750 ق. م سوراً لمدينة الوركاء. وبالفعل فإن تنقيبات البعثة الألمانية في المدينة المذكورة قد أظهرت بقايا السور المذكور وقد بلغ طول محيطه تسعة كيلوات مترات، ومن بعض كتابات مدينة الوركاء تبين لنا بأنه كان يتصيد الأعداء كما تصاد الطيور في الشبكة». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 فوزي رشيد 1985: 48).



صنوف وصفوف الجيش السومري (تمثيل حديث)

http://wabforum. co. uk/viewtopic. php?f=19&t=10469

المبحث الثاني: نظام الحرب

أولاً: سارية الحرب والسلام:

صندوق الحرب والسلام (راية أور، ثابت سومر، سارية الحرب والسلام) في المقبرة الملكية في أور، وجدت كصندوق خشبي مجوف يبلغ عرضه 21. 59 سم (8. 50 بوصة) بعرض 49. 53 سم (19. 50 بوصة)، مطعمة بفسيفساء من الصدف والحجر الجيري الأحمر واللازورد لمناظر من جهتين إحداهما عن الحرب والآخر عن السلام، ويعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات (حوالي 2600) ق. م، عثر عليها عند الكتف العظمي لرجل كان قد ضحى طقوسيًّا والذي ربما كان حامله، تخيل ليونارد وولي، حفار أور، أنه تمّ حمله على عمود كمعيار أور ثابت، ومن هنا جاء اسمه الشائع. وتشير نظرية أخرى إلى أنها شكلت صندوق الصوت لآلة موسيقية. والبعض يميل إلى أنها لوحة تشكيلية، لكن الغرض الأصلي من صنعها لا يزال غامضاً. وهي معروضة الآن، في شكل أعيد بناؤه، في المتحف البريطاني في لندن. وهي تعرض لحالتي الحرب والسلام المتلازمتين.

لوحة الحرب واحدة من أقدم تمثلات الجيش السومري، مع العربات، التي يسحب كل منها بأربعة حمير، وهي تدوس الأعداء؛ أما المشاة فيظهرون مع عباءات يحملون الرماح. ويتمّ قتل جنود العدو بالفؤوس، بينما يُعرض العراة على الملك الذي يحمل رمحاً.

أما لوحة السلام فتعرض الحيوانات والأسماك وغيرها من السلع التي جلبت في موكب إلى مأدبة. وهناك شخصيات جالسة ترتدي الصوف أو تنانير مهدبة، تشرب الأنخاب، وترافقها الموسيقى التي هي عزف على القيثارة.



راية (ثابت) أور لوحة الحرب والسلام، ثابت أور (جانب السلام) 2600-2400 ق.م

Peace side of the Standard of Ur, from tomb 779, Royal Centery, Ur (modern Tell Muqayyar), Iraq, ca. 2600-2400 BCE. Wood, lapis lazuli, shell, and red limstone, 8″ X 1’7″. British Museum, London.

https://klimtlover. wordpress. com/mesopotamia-and-persia/mesopotamia-and-persia-sumerian-art/

تختصر هاتان اللوحتان موضوع الحرب والسلام في أقدم حضارة في التأريخ، وكأن تلازمهما يشكّل أحد مظاهر هذه الحضارة وغيرها من الحضارات.

كان نرجال (إله العالم السفلي) والجحيم السومري، «كور» وهو ابن الإله «إنليل» إله الهواء، هو إله الحرب، وكان يظهر في عنفوانه الحربي على شكل كائن إلهي مخيف هو (إيرّا) الذي هو إله الوباء والحرب ومعبده يعرف باسم «ميسلام» في مدينة كوثا(تل إبراهيم حاليًّا).

أما إله السلام والعدل فهو الإله أوتو (شمش الأكدي) وهو راعي الحياة، ويعتبر الإله إنكي هو صانع الخير والسلام السرمدي في بلاد سومر لأنه إله الخلق والحياة.

لا بدّ لنا أولاً من التفريق بين المعركة والحرب، فالحرب أكبر وأشمل وأعم من المعركة، والحرب لا تنتهي إلّا باتفاق بين المتحاربين أو بالنصر أو الهزيمة، وتتضمن الحرب معارك كثيرة،

وقد تستمر لشهور ولسنوات.

أما المعركة فمحدودة وقصيرة، في الزمان والمكان، فمكانها محدود، وتنتهي بسرعة وأحياناً دون حسم. النزاعات الداخلية في البلد الواحد قد تتحول إلى معارك، ونادراً ما تكون حروباً إلّا في حالات الحرب الأهلية الشاملة. أما الحروب فتكون بين الدول عادة رغم أنّ سومر هي أقل البلدان والحضارات التي خاضت المعارك والحروب، بسبب نزعتها السلمية القوية، لكن معاركَ وحروباً حصلت داخلها ومن قبل من يحيط بها. ويمكننا تصنيف المعارك والحروب التي خاضها السومريون إلى نوعين هما:

ثانياً: المعارك الداخلية

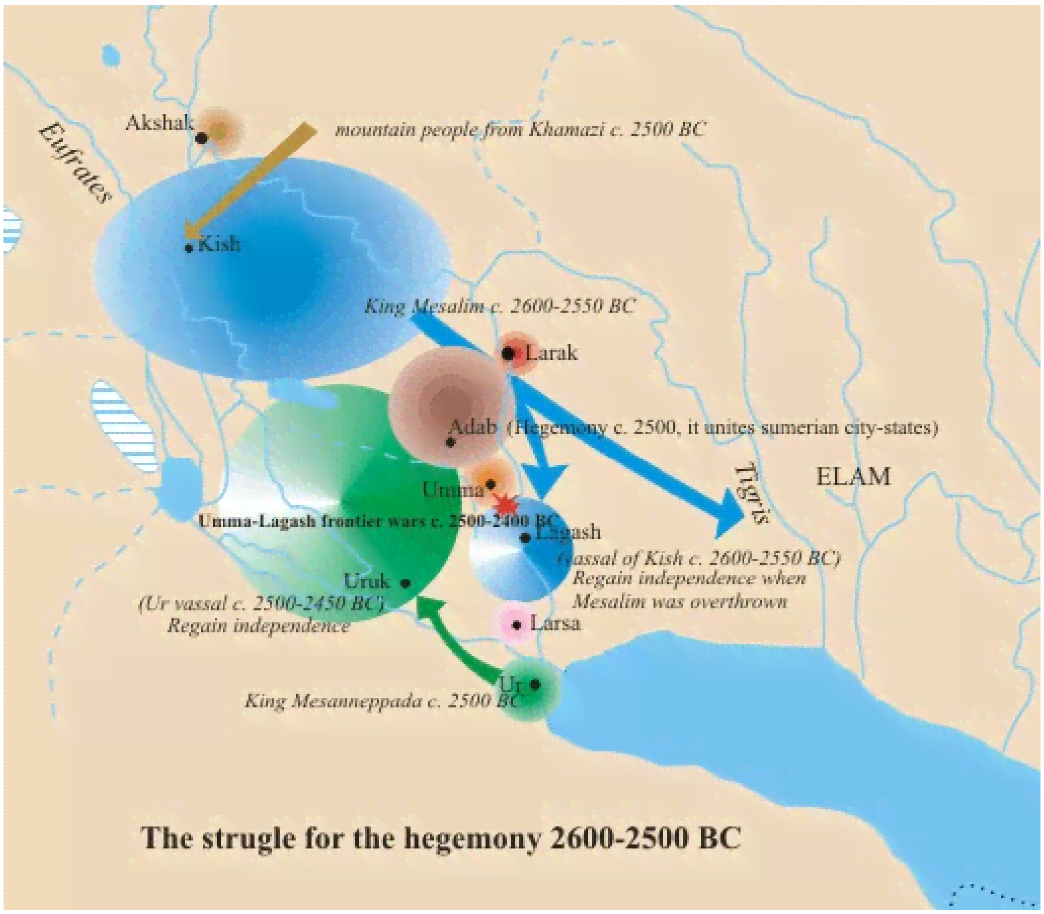
أجبر نظام دولة المدينة في سومر على أن تكون كلّ مدينة سومرية عبارة عن دويلة مستقلة بنفسها عن الأخرى، وهو ما جعل معاركها قليلة نسبيًّا وكلّ مدينة تنعم بالسلام والأمان، ورغم ذلك كان حكامها يغيرون، أحياناً، على بعضهم بسبب نزاعات اقتصادية وسياسية أو بسبب طموحهم في التوسع أو لحيازة زعامة السومريين، كما أنّ المدن التي كانت تتمتع بأكثرية سامية كانت هي الأخرى محط نزاع مع السومريين أو فيما بينهم. وكان هذا هو سبب انتقال مركز القوة من مدينة إلى أخرى. كما أنّ تطور الصناعة العسكرية في العدة والعدد وفنون القتال كانت سبباً في حصول المعارك، ومؤشراً في حسمها.

1. معركة أوما ولجش: أول معركة مسجلة في التأريخ

كانت النزاعات الداخلية تحل بطرق سلمية، لكن النزاع بين (لجش) و(أوما) على الأراضي الزراعية، تطور وتحول إلى صراع مسلح أضرّ بـ (أوما) ونتج عنه عقد أول اتفاقية سلم أهلي في التاريخ بتحديد الأراضي والملكيات، ولكن سرعان ما كانت (أوما) ترفض الاتفاقية حين يظهر حاكم قويّ فيها.

«في مدينة «لجش»، وهي مدينة في جنوبي بلاد «سومر» اشتهرت بأنها قامت بدور سياسي وعسكريّ بارز طوال قرن من الزمان، من حدود 2500 ق. م، وكانت عاصمة سلالة قوية نشيطة من حكام وأمراء، أسسها «أور- نانشه». وتشمل تلك الأسرة أو السلالة حفيد «أور – نانشه» وهو «إيانتم»، الفاتح الذي نجح في زمن قصير في مدّ حكمه وسلطانه على جميع بلاد «سومر» تقريباً،

وكان من مشهوري حكامها أيضاً أخو «إيانتم» المسمى «أناناتم» وابنه «أنتيمينا». ولم يأفل نجم دولة «لجش» إلّا في عهد «أوروكاجينا»، ثامن حاكم من سلالة «أور- نانشه». وقد غلب «أوركاجينا» على أمره «لوكال زاكيزي»، حاكم مدينة «أوما» الذي تغلب عليه أيضاً «سرجون»، الفاتح العظيم، صاحب مدينة «أكد». هذا وإن التأريخ السياسي لهذه الحقبة الممتدة من زمن «أور- نانشه» إلى عهد «أوركاجينا» نعرفه من مجموعات مختلفة من السجلات المعاصرة التي أعدها مؤرخون نجهل أسماءهم، ويرجح أنهم كانوا من الموكلين». (كريمر د. ت: 92).



النزاع من أجل الهيمنة ما بين 2600 – 2500 ق. م

انتصر الملك إيانتم على مدينة أوما وأجبرها على دفع إتاوات من محاصيلها الزراعية سنة 2525 قبل الميلاد، وتؤرخ هذه المعركة على أنها أول معركة في التأريخ. وقد رسم ملامحها لوح مصنوع من حجر الكلس ظهر فيها الملك إيانتم وهو يستخدم تشكيلات من جنود مدرعين يرتدون خوذاً حربية، وبعضهم يحمل رماحاً طويلة، وهناك جنود مجهزون بمركبات حربية تجرها بغال

ويتقدمهم الملك إيانتم، ويبدو أكبر حجماً من جنوده من أجل تضخيم دوره، لكن الإله (ننورتا) كان أضخم وأكبر حجماً وهو يصيد عدداً كبيراً من جنود الأعداء في شبكة ضخمة ويضربهم على رؤوسهم بهراوة، سميت اللوحة (مسلة النسور) بسبب ظهور مشهد لنسور وهي تحمل الرؤوس والأطراف المقطوعة لجنود أوما.

وهناك مشهدان أحدهما لتشكيل دفاعي أثناء المعركة والآخر لمسيرة استعراضية بعد انتهاء المعركة والانتصار على الأعداء، ويُظهر مشهد آخر الجنود القتلى في المعركة.



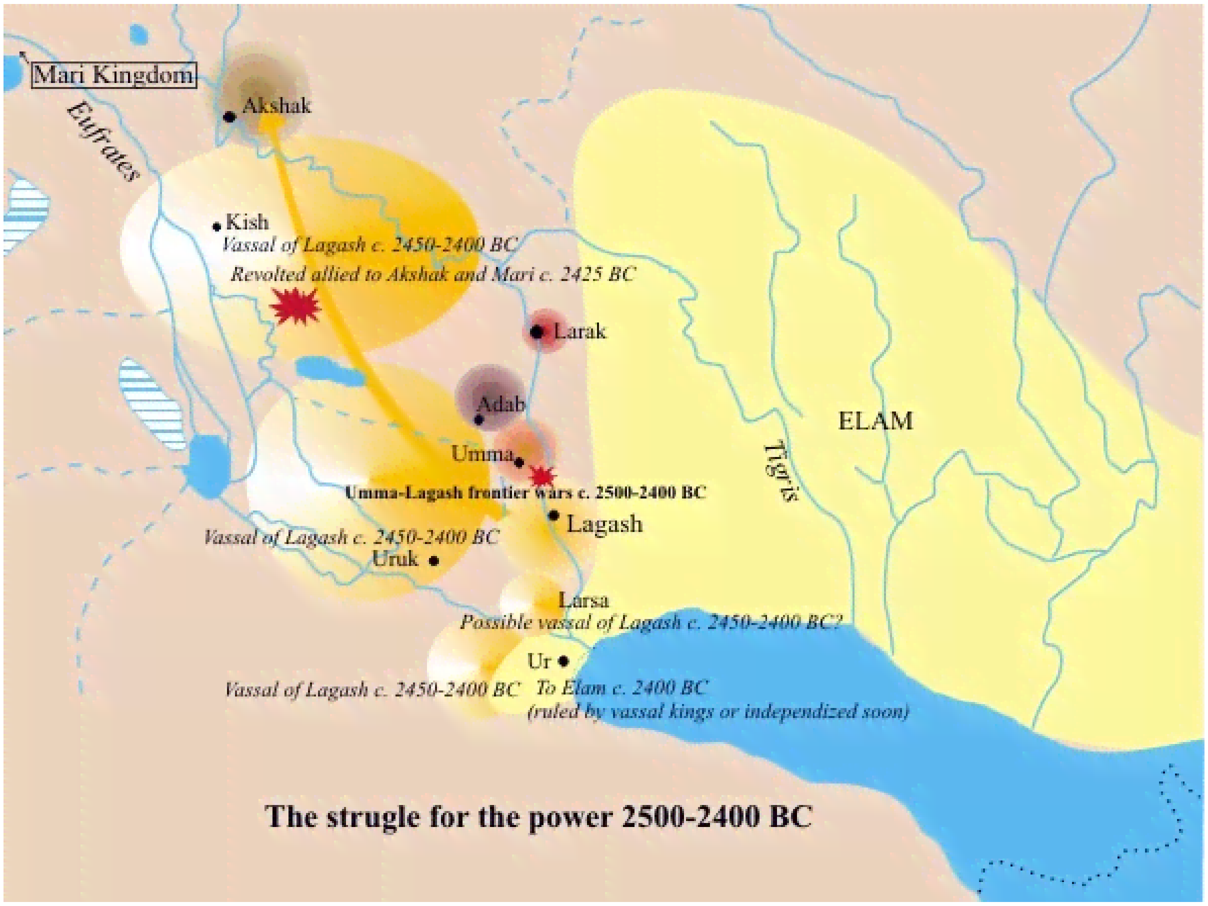






جنود لجش يتقدمهم ملكهم إيانتم ماشياً
النسور تحمل رؤوس وأطراف الجنود القتلى

جنود لجش يتقدمهم ملكهم إيانتم على عربة عسكرية
جثث جنود مدينة أوما بعد نهاية المعركة



نزاع السلطة ما بين 2600 – 2500 ق. م

2. معارك لوكال زاكيزي وظهور الدولة السومرية القديم:

كان مجيء أورونميكينا (أوركاجينا) حاكماً لمدينة لجش عهداً جديداً من البناء، فقد قام بأول إصلاح جذريّ في مدينته، لكنه أغاظ الذين كانوا يهيمنون، قبله، على حياة الناس، وكان هذا يتوافق مع اشتداد الصراع المستمر بين (لجش) و(أوما)، حيث استغل حاكم مدينة (أوما)، وهو(لوكال زاكيزي) انشغاله بالإصلاحات وإهماله لقوات الدفاع عن حدود لجش، فهاجم مدينة لجش واحتلها. وقد رثى كاتب سومريّ مدينته لجش في هذه المقاطع التي تصف ما حلّ بها:

«أحرق رجال أوما معبد (أنتا سورا) وأخذوا معهم الفضة والأحجار الكريمة... وأرهقوا الدماء في معبد (إي إنگور) العائد للإلهة نانشه وحملوا معهم الفضة والأحجار الكريمة... اقترف رجال أوما الإثم ضد الإله ننكرسو بتخريبهم لكش... أما بالنسبة إلى لوگال زاكيزي أمير أوما فلتجعله إلهته (ندابا) يحمل إثمه الكبير في عنقه» (كريمر 1973: 128).

ورأى لوكال زاكيزي أنّ بإمكانه احتلال مدنٍ أخرى وضمها له، وفعل هذا وقام بتدمير المدن والمعابد السومرية الأخرى تباعاً حتى استطاع تكوين دولة سومرية عاصمتها أوروك، دامت 27 عاماً، وكان بذلك مؤسس الدولة السومرية الثانية بعد إيانتم، لكن هذا العمل كانت له نتائج كبيرة، حيث اندفع، بطموحٍ أكبر، قائد ساميّ هو سرجون الأكدي وأسقط الدولة السومرية وأقام بدلاً عنها دولة عاصمته أكد سرعان ما تحولت إلى إمبراطورية أكدية.

إمبراطورية لوكال زاكيزي حاكم أوما حوالي 2350 ق. م

3. حركة سرجون الأكدي وإسقاط الدولة السومرية القديم:

شهدت المدن السومرية دماراً عنيفاً على يد سرجون الأكدي وحاولت الدفاع عن نفسها لكنها لم تنجح، فقد كان استعدادها لمعارك شاملة كبيرة ضعيفاً وتحطم بعضها واستسلم الآخر لسلطة الزعيم الجديد.

يؤشر هذا أمراً هامًّا وهو أنّ السومريين اندفعوا في آخر سني عصرهم القديم في صراعات سرعان ما تفاقمت وأدّت لظهور دولة لم يكونوا قادرين على حمل أعبائها ولا تحمل مسؤوليتها، فقد كانت تغلب عليهم روح السلام بدلاً من الحرب، وهكذا فقدوا زعامتهم السياسية لوادي الرافدين، وسيحصل هذا بعد قرون حين ترث سلالة أور الثالثة ما كان عليه امتداد ونفوذ الإمبراطورية الأكدية، لكنها ستكون ضعيفة الاستعداد للقيام بحمل أعبائه أيضاً.

هكذا يتّضح لنا أنّ النظام الأفضل للسومريين هو نظام دولة المدينة، وأنهم فشلوا في الحفاظ على نظام الدولة السومرية في عهد إيانتم ثم زاكيزي، وفشلت الدولة / الإمبراطورية السومرية في عهد أور الثالثة.



وادي الرافدين ومحيطه الإقليمي حوالي 2300 ق. م

ثالثاً: الحرب النفسية:

من الطريف القول إن سومر خاضت، على حياءٍ، حروبها الأولى بطريقة نفسية وليست عسكرية، وهذا يعكس الطبيعة السلمية للسومريين نحو غيرهم سواء كانوا في خارج أم داخل وادي الرافدين.

1. أوروك تجبر مدينة أرتّا على الخضوع دون خوض معركة

في واحدة من الملاحم المبكرة في سومر تروي الألواح الطينية أنّ أمير أوروك (أينمركار)، وهو الجدّ الأعلى لكلكامش، أراد بناء المعابد في مدينته المزدهرة والقوية، فاحتاج للأحجار والأحجار الكريمة لتزينها، وكان مصدرها موجوداً في مدينة (أرتا) البعيدة والواقعة جنوب شرق أوروك قرب الجبال في أرض إيران الحالية، مما جعله يلجأ إلى الحيلة أو «حرب الأعصاب» حسب تعبير صموئيل كريمر، وذلك بالتعاون مع (إنانا) عشتار التي تخلت عن سيد (أرتا) بعد أن وعدها (أينمركار) ببناء معبدها (الجيبار) ليبسط سيادته على (أرتا) وينجز نواميسه في (كلاب)، وهو حيّ

من أحياء أوروك، وقد شرحنا ما دوّنته ملحمة تاريخية تخص هذا الموضوع في مكان آخر من الكتاب، وقد انتهت هذه الملحمة بأن سلمت (أرتّا) طواعية لأوامر (أوروك).

«تروي لنا هذه القصيدة أنه في قديم الأزمان، قبل أن يولد ذلك الكاتب الذي دوّنها، كان يعيش بطل سومريّ مشهور اسمه «أينمركار» ويحكم في مدينة «أوروك» وهي «دولة – مدينة» (City –State) وتترجم أحياناً دويلة في جنوبي بلاد ما بين النهرين بين نهري دجلة والفرات. وإلى الشرق من «أرك» بمسافات بعيدة، في بلاد فارس، كانت تقع «دولة – مدينة» أخرى هي «أرتا» التي يفصلها عن «أرك» (الوركاء) سبع سلاسل من الجبال، وهي فوق قمة جبل شاهق يصعب إدراكها وبلوغها. زد على ذلك أنّ «أرتّا» كانت مدينة مزدهرة غنية بالمعادن والأحجار، وهي المواد التي تفتقر إليها تمام الافتقار تلك البقاع الواطئة المستوية حيث تقع «أرك» مدينة «أينمركار»، فلا عجب إذا ما وجه «أينمركار» أنظاره الطامعة إلى «أرتا» و«ثرواتها»، مصمماً على جعل أهلها وحاكميها تابعين له. وشرع لتحقيق ذلك بشن «حرب أعصاب» على سيد «أرتّا» وعلى أهلها فأفلح في كسر روحهم المعنوية وتثبيط هممهم حتى وصل بهم الأمر إلى الرضا بأن يتخلّوا عن استقلالهم ويصيروا أتباعاً لمدينة «أرك» (الوركاء)». (كريمر د. ت: 63).

جاءت تفاصيل هذه الملحمة التأريخة على ألواح طينية تعتبر أول الملاحم، وقد جاءت معها ألواح الملاحم التأريخية الأخرى لأجداد كلكامش الذي ظهرت ملحمته كأجمل وأروع ما أنتجته العبقرية الرافدينية. حيث يقول كريمر: «لنعد الآن إلى محتويات ما لدينا من قصائد الملاحم السومرية. ففي وسعنا أن نعين الآن تسع قصص من قصص الملاحم التي تتباين في مقاديرها وأطوالها من مئة سطر إلى أكثر من ست مئة سطر، وهناك اثنتان منها تدوران حول البطل «أينمركار»، واثنتان أخريان تتعلقان بالبطل «لوكال بندا»، (ويقوم «أينمركار» في إحداهما بدور أهم أيضاً). والخمس الباقية تدور حول أشهر الأبطال الثلاثة، ألا وهو «كلكامش». وهؤلاء الأبطال الثلاثة معروفون أيضاً من «ثبت الملوك السومريين». وهذه وثيقة تأريخية وجدت، مثل مادة الملاحم الشعرية، مدونة في نسخ من ألواح الطين ترقى في زمنها إلى النصف الأول من الألف الثاني ق. م. والمحتمل أنّ ذلك الثبت قد تمّ تأليفه في الربع الأخير من الألف الثالث ق. م. وقد ذكر هؤلاء الأبطال الثلاثة في «ثبت» الملوك السالف الذكر بكونهم الملك الثاني والثالث والخامس من حكام سلالة

«أرك» الأولى، تلك السلالة التي أعقبت، بحسب رأي أهل المعرفة السومريين، سلالة مدينة «كيش» الأولى، التي أعقبت بدورها حادثة الطوفان مباشرة». (كريمر د. ت: 337 - 338).

2. أوروك تجبر كيش بالحصار على الخضوع لها:

كيش، حاليًّا تل الأحَيمر، دولة مدينة قديمة في بلاد النهرين، تقع شرق بابل، وكانت مقرًّا للسلالة الأولى بعد الطوفان (حوالي 2750 – 2660 ق. م.) وكانت (كيش) ذات الأغلبية السكانية السامية، وذات العدة العسكرية القوية وإلهها المعني بالحرب (نينورتا) ابن (إنليل) الذي سيكون فيما بعد سيداً لمجمع الآلهة، تتمدد وتسيطر على الأراضي التي حولها. قامت هذه الدولة المدينة في زمن ملكها (أجا) بتهديد أوروك وسيدها كلكامش إن لم تعترف بسيادة كيش عليها، فسارع كلكامش إلى عقد اجتماع طارئ لمجلسي المدينة (مجلس الشيوخ) و(مجلس الشباب)، فكان رأي مجلس الشباب أن يخوضوا الحرب، ولكن مجلس شيوخ قبل بالإذعان لكيش وفضّل السلم، فانتفض كلكامش ووقف مع رأي مجلس الشباب. وهكذا حاصر (أجا) المدينة، وصمد بوجه الحصار، وانتهى الأمر بتفاهم سلمي بين المدينتين.

رابعاً: الحروب الخارجية

1. حرب التحرير السومرية ضد الكَوتيين

كان آخر ملوك الأكديين من الضعف بحيث إنهم تخلّوا عن أصقاع الإمبراطورية التي تركها لهم الملوك الأوائل وتمترسوا في عاصمتهم أكد، بينما كانت المناطق التي تتبع لهم تنفصل عنهم تدريجيًّا، وفي مثل هذا التراجع العسكريّ والسياسي استطاع الكَوتيون إسقاط الأكديين وعاصمتهم أكد.

الكَوتيون أقوام جبلية سكنت المنطقة الشرقية من جبال زاكروس، ظلت تكرر هجومها على مدن وادي الرافدين واشتدت هذه الهجمات خلال زمن الإمبراطورية الأكدية، فأسقطوها وحكموا البلاد حوالي قرن من الزمن (2211 - 2120 ق. م).

كان حكم الكَوتيين متركزاً في المدن الشمالية من وادي الرافدين، وأهملوا، نسبيًّا، حكم المدن الجنوبية، فظهرت سلالات حكم جديدة فيها منها السلالة الرابعة في أوروك، والسلالة الثانية في

لجش، وكان هذا يبشر بعودة سيادة المدن السومرية على البلاد، حتى ظهر في حدود 2125 ق. م زعيم سومري في أوروك هو (أوتو حيكال) الذي حكم المدينة، وقد ذكرت وثيقة مسمارية تفاصيل حرب التحرير التي شنّها هذا القائد.

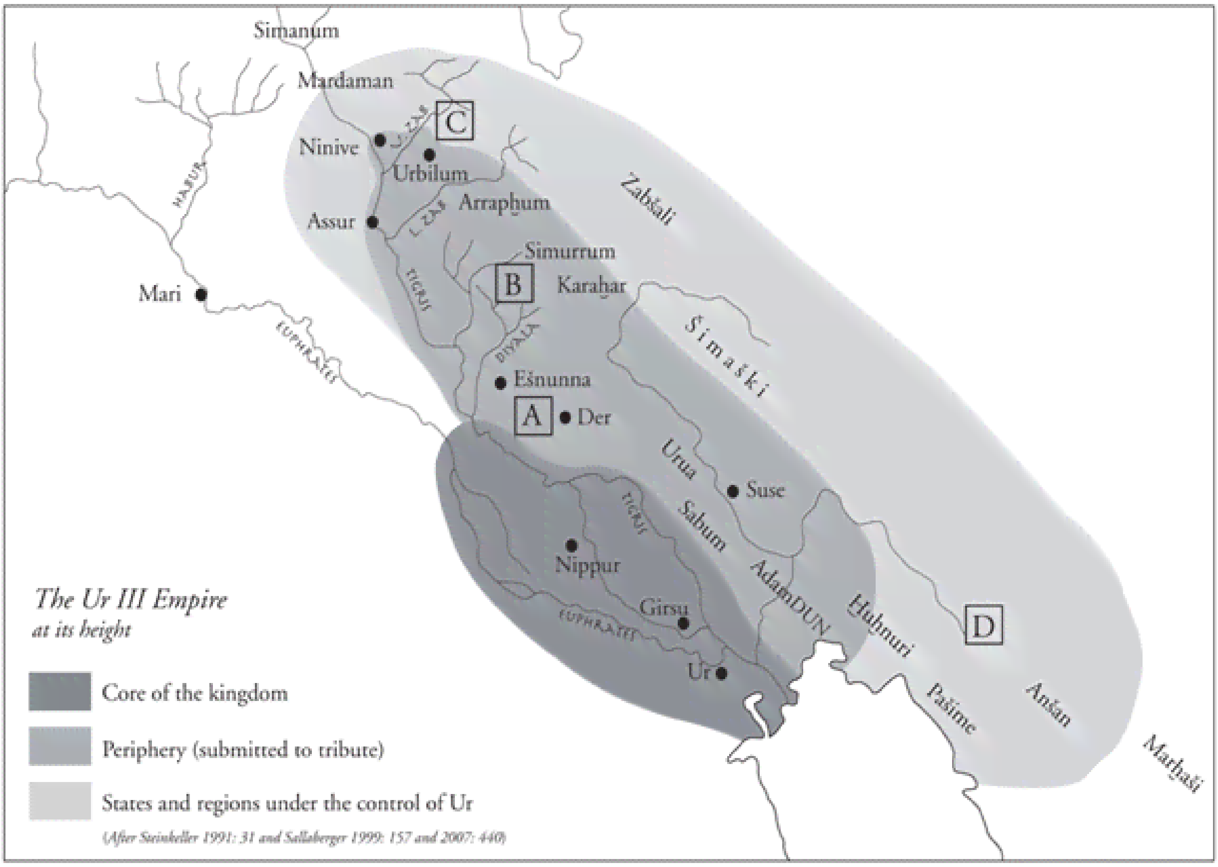
بدأ أوتو حيكَال بالاستعداد للحرب وجمع أكبر عددٍ ممكن من الجنود ثم التوجه نحو المدن التي احتلها الكَوتيون، ومنها مدينة كاركار وهي موقع عسكريّ مهم لهم، والتي تبعد عن مدينة الوركاء أكثر من 100 - 120 كيلومتراً (إذا افترضنا أنّ مسيرة الجيش يوميًّا كانت في حدود 20 كيلومتراً) عند هذه المدينة جرت المعركة الحاسمة بين قوات السومريين بقيادة أوتو حيكال وقوات الكوتيين بقيادة تريكان. ويظهر من الوثيقة موضوعة البحث أنّ السومريين أحرزوا نصراً حاسماً في المعركة مما اضطر الملك الكوتي إلى الفرار والالتجاء إلى مدينة دبروم (Dubrum) التي ربما كانت تل جدر حاليًّا الذي يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أوما (جوخا). ويتضح من وثيقة أوتو حيكال أنّ أهالي هذه المدينة السومرية كانوا على قدر كبير من الروح الوطنية إذ إنهم لم يقدموا أيّ عون إلى الملك الكوتي، كما أنهم سرعان ما ألقوا القبض عليه مع أفراد عائلته وسلموه إلى رسل الملك السومريّ أوتو حيكال. ولقد كان انتصار السومريين على الكَوتيين وتحرير البلاد منهم حدثاً عظيماً بالنسبة للسومريين أنفسهم حتى إنهم أرخوا به الحوادث. إذ نقرأ في أحد كتب التقاويم البابلية ما نصه: «إذا كسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهو نذير للملك الكوتي: سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البلاد». (علي 1974: 56).

«كان الكوتيون قد جمعوا (؟) قواتهم (؟) في ذلك المكان وأرسلوا قوات ضده. غير أنّ أوتو حيكال الرجل العظيم تمكن من دحرهم وأسر قائدهم، وعندئذٍ فرّ تريكان والتجأ (؟) إلى مدينة دبروم. ولكن لما عرف رجال دبروم أنّ أوتو حيكال كان الملك الذي منحه الإله إنليل القوة، فإنهم لم يطلقوا سراح تريكان. (وجاء) مبعوثو أوتو حيكال وألقو القبض على تريكان وعائلته في دبروم ووضعوا يديه في قيد وشدوا (؟) عينيه (؟). و(لما) جلب تريكان أمام أوتو حيكال ألقى بنفسه عند قدميه. فوضع (أوتو حيكال) قدمه على رقبته. ثم... و... الكوتي عقرب وأفعى الجبال، طرد... من أرضها (وبذلك) أعاد الملوكية إلى سومر... (علي 1974: 57).

2. حروب الدولة السومرية الحديثة ضد الكَوتو واللولوبو:

أسس أورنمو أسرة سومرية حديثة هي أسرة أور الثالثة التي يمتاز ملوكها «باهتمامهم بالعمران، إلى جانب نشاطهم العسكري. وقد اتخذوا من مدينة أور مركزاً لنشاطهم، مما أكسبها أهمية خاصة في ذلك العهد. وقد تميز عهدهم بحسن التنظيم والإدارة سواء في مدينتهم، أو في المدن التي أخضعوها. ولقد ترتب على السياسة التي اتبعوها، امتزاج العناصر السومرية والأكدية في مختلف وظائف الدولة. وقد اتبع حكام أسرة أور الثالثة سياسة الحكم الأكدي التي كانت تعتمد على تدعيم السلطة المركزية. هذا بالإضافة إلى توحيد القضاء وتحويل الشرائع إلى قوانين، كما ألغوا نظام الوراثة فيما يتعلق بتعيين حكام الأقاليم. وقد استخدم ملوك هذه الأسرة لقب ملك سومر وأكد. وربما كان في إضافة هذا اللقب الجديد إلى ألقابهم، محاولة للتوفيق بين السومريين والأكديين. ولقد نجح أورنمو في وقف التسللات الجوتية، وتمكن من نشر النفوذ السومري على جنوب العراق القديم. أما في المجال الحربي، فقد امتد نفوذ السومريين إلى الأقاليم المجاورة، وخاصة ماجان وعيلام وشمال العراق، كما أشارت نصوصه (14) (أنه سار في الطريق من أسفل البلاد إلى أعلاها). وهذا التعبير يفهم منه قيام حملة عسكرية في البلاد المتاخمة للبحر العلوي تمشياً مع سياسة أسلافهم الأكديين». (عبد الحليم 1983: 148).

دخلت الدولة السومرية الحديثة، منذ حكم ملكها الأول أورنمّو، في مناوشات وحروب متقطعة مع الشعوب الجبلية التي هي (كَوتو) و(لولوبو)، وقد راح ضحتيها الملك، وظلت هذه الشعوب ومناطقها تشكل خطر الانفصال الدائم عن دولة أور الثالثة، واستمر خطر استنزافها لقوى الدولة واشتد في عصر الملك أمارسين ثم شو سين الذي دحر تحالفاً ضده لمجموعة من المدن الإيرانية. وظهر التحدي الجديد من الأموريين يزداد في عهده.



الإمبراطورية السومرية (أور الثالثة)

3. الحرب الدفاعية الأخيرة ضد غزو العيلاميين والأموريين:

لم تنفع محاولات أبي سين، آخر ملوك سومر، بصد اندفاعات الأموريين نحو المدن السومرية والاستيلاء عليها. وفي عام 2017 ق. م أعلن إيشبي أرا نفسه ملكاً في إيين كذلك أعلن نفسه الشيخ الأموري نبلانوم ملكاً على لارسا. ثم غزا العيلاميون سومر إبان ضعفها. حاول أبي سين أن يحارب حتى النهاية وأن يوحد الصفوف بين الأموريين ومع إيشبي أرا ضد العيلاميين لكن خططه فشلت. وفي 2006 ق. م. حطم العيلاميون أسوار أور التي بناها أورنمو «عالية كجبل مشع» واحتلوا المدينة ونهبوها وأحرقوها وانسحبوا تاركين خلفهم حامية صغيرة». (بشور 1981: 59 - 60).

سقطت الدولة السومرية، نهائيًّا، على يد غزوٍ مزدوجٍ، غير منسّق، من الأموريين والعيلاميين، ورغم أنّ السومريين كانوا قد عقدوا تحالفاً مع العيلاميين فإن هؤلاء العيلاميين لم

يلتزموا بذلك التحالف، بل اغتنموا فرصة تلك الأحداث وشنوا هجوماً على مملكة أور وأسهموا مع الأموريين في تدميرها، والواقع أنّ تدمير مدينة أور تمّ على أيديهم، ويرجّح أنهم أسروا الملك نفسه». (باقر 2011: 430).

المبحث الثالث: نظام السلام

كان السلام هو الأرجح في معادلة الحرب والسلام الحضارية التي تناولناها، فقد كانت سومر منذ بداياتها الأولى في بدايات عصر أريدو مكاناً للسلام وللخير، كان إلهها القديم إنكي رمزاً لهذا السلام، وقد عبرت عنه في أساطيرها المبكرة، وكانت تعني به العصر الذهبي الذي كان فيه الإنسان بصحبة الآلهة، وفي الأدب السومري نرى أول تصور للإنسان عن العصر الذهبي مدوناً في لوح من الطين. فنجد وجهة النظر السومرية عن العصر الذهبي في قصة الملحمة المعنونة (««أينمركار» وأرض «أرتا»)... انظر الفصل الثالث. فإن هذه القصة تتضمن من بين نصوصها فقرات مؤلفة من واحد وعشرين سطراً تصف لنا حالة السلام والطمأنينة في قديم الزمان التي انتهت بسقوط الإنسان من تلك الحالة السعيدة. وإليك ترجمة تلك العبارات:

في سالف العصور، لم يكن في الوجود حية ولم يكن فيه عقرب،

لم يكن الضبع ولا كان السبع،

لم يكن الكلب الوحش، ولم يوجد الذئب،

لم يكن هناك خوف ولا فزع،

ولم يكن للإنسان منافس،

وفي غابر الأزمان كانت بلاد «شوبُر» و««همَازي»»، وبلاد سومر الكثيرة الألسنة (؟)، البلد العظيم ذو النواميس المقدسة الخاصة بالإمارة.

وبلاد ««أورى»»، البلاد التي احتوت كل ما هو لائق، وبلاد ««مارتو»»، كانت آمنة مطمئنة، و««جميع الكون والناس في وحدة وألفة» (؟)،

«حيث كان الجميع يمجدون «إنليل»، بلسان واحد». (كريمر د. ت: 379 - 380).

واستمرت مساهمتها في صنع السلام في بواكير العصور التأريخية حين أقامت دويلات المدن في عصر فجر السلالات، لكن المعادلة بدأت بالاضطراب حين بدأت الخلافات تدبّ بين المدن حول المياه وحول النفوذ، وبدأت المعارك وازدادت من أجل تكوين دولة واحدة، وكانت هناك حروب هنا وهناك.

هكذا اختلّت معادلة الحرب والسلام، ولم تكن سومر مستعدة لتوسع نفوذها والحفاظ على مكتسباتها الحضارية، فهاجمها من تعوزهم سُبل التحضر، وذهبت ضحية للهجمات التي شنّوها عليها، لكن منجزاتها الحضارية كانت معجزة بحق.

أولاً: أنظمة الدولة والسلم الاجتماعي

1. نظام دولة المدينة: كونفيدرالية السلام السومري

رغم أنّ أريدو، هي التي افتتحت عصر المدن في سومر والعالم كله، لكن أوروك كانت أول مدينة سومرية، في العصور التأريخية، جعلت من سومر أول حضارة تأريخية، فقد اكتمل بناؤها السياسي والاجتماعي في حدود 2700 ق. م، وكانت قد جمعت ما يقرب من 76 قرية، وبلغت مساحتها 400 هكتار وعدد نفوسها حوالي 50000 إنسان، وكانت قبل ذلك قد دعّمت أسوارها التي بناها كلكامش بالآجر المشوي، وبلغ محيط سورها حوالي 10 كيلومترات.

«الغالب أنّ المصطلح السومري (أورو Uru) والأكدي (آلو Alu) كان يطلق على المستوطن من حجم المدينة، بيد أنه لا توجد مصطلحات خاصة للتمييز ما بين المدن الكبيرة وبين المدن الصغيرة. أما المستوطنات الريفية من قبيل القرى الفلاحية فيوجد لها بعض التسميات الخاصة، مثل المصطلح السومريّ (إي – أورو شي she– e- uru) و(إي- دورو e- duru) وفي الأكدية السامية (كبرو أو كفرو Kapru) و(خصارو) أو (حضارو) (أي الحضر أو الحضيرة Khusaru)». (باقر 2011: 363 – 364).

كانت المدن السومرية في العصر السومري القديم واحات سلام وأمان، لكن التوتر الذي كان بين مدينتي لجش وأوما صار بؤرة للمعارك المتواصلة حتى انفجر في عصر لوكال زاكيزي والذي

حوله إلى طموحٍ لتأسيس دولةٍ سومرية واحدة، وكان ذلك الإجراء ضد طبيعة السومريين الذين كانوا مهداً لصناعة نواميس الحضارة ولم يكونوا بالطامحين سياسيًّا في التوسع وفي كتم الحريات العامة تحت قيادة شمولية تمنع حرية العبادة والحياة اليومية، ولم يمرّ ربع قرن حتى استطاع سرجون الأكدي خطف هذه الدولة من لوكال زاكيزي وصنع دولة سامية أكدية سرعان ما ارتفع سقف طموحها وتحولت إلى أول إمبراطورية في التأريخ، كان ذلك ضد الطبيعة الرافدينية، لكنه حصل وجرّ معه الويلات لهذا البلد منذ ذلك الزمان.

تتكون دولة المدينة السومرية من:

1. مركز أو قلب المدينة (أورو لبّا): وهو الجزء القديم من المدينة عادة وفيه المعبد الرئيس والقصر.

2. ضواحي المدينة (أورو برّا): وهي الأماكن بين المركز وسور المدينة وتضم معبد الأكيتو المخصص للاحتفالات برأس السنة (بيت أكيتو)، وبساتين الفلاحين ومساكنهم وحظائر الماشية، والميناء (في حالة وقوع المدينة على نهر) ومستودعات البضائع (كار).

3. سور المدينة (داكّي): وهو يحيط بالمدينة ويحصنها، وله بوابات رئيسة.

قام إياناتم بإنشاء أول دولة سومرية، ثم جاء بعده لوكال زاكيزي الذي ظهر في عصره سرجون الأكدي صاحب الطموح الكبير الذي بعد أن «أسقط أورزبابا ملك كيش عن عرشه سار ضد لوكال زاكيزي إمبراطور سومر (2375 - 2350 ق. م) وتغلب عليه بشكل مدهش واعتقله وأحضره إلى كيش مربوطاً «بطوق كلب» إلى بوابة إنليل. فإلى جانب موهبة شروكين القيادية كان التسليح الجديد للجيش الأكادي والتكنيك الحربي الذي اتبعه. فقد أدخل القوس والرمح بدل الفأس والحربة، واستخدم طريقة القتال الفردي «رجل يقابل رجلاً» بدل نظام الكراديس السومري تحميها حملة التروس. وبعد احتلال أوروك هاجم أور ولجش وأوما وكان له النصر حتى احتل كل سومر وهدم أسوار مختلف المدن «وغسل أسلحته في البحر الأسفل» (الخليج)». (بشور 1981: 47).

كانت الملكية تتنقل بين المدن، فقد برزت مدينة لجش ثم ضعفت ثم ظهر فيها ملك قوي هو «إياناتم» وخلف إياناتم ابنه أنتيمينا، ثم حكم الكهنة لكش عشرين عاماً واستغلوا شعبها باسم الدين ودبّت الفوضى واللصوصية في الدولة فقام المصلح أوركا جينا بأول انقلاب اجتماعي في التأريخ

وتسلم الحكم وأصدر مرسوماً بتخفيض الضرائب وإرجاع الأراضي إلى المعبد وتخفيض أجور رجال الدين وحماية الفقراء من الأغنياء واللصوص وقطاع الطرق وأعاد الحرية لسكان لكش، وفي هذه الوثيقة التأريخية لأول انقلاب اجتماعي في التاريخ تمّ في القرن 24 ق. م تذكر كلمة الحرية لأول مرة وباسمها السومري «أمارجي». لكن أوركا جينا لم يحكم سوى ثماني سنوات إذ قام لوكال زاكيزي، أنزي أوما، نحو (2375) واحتل لكش وأوروك وأور وكيش ووحد سومر في أول إمبراطورية في التأريخ وتابع فتوحاته حتى البحر المتوسط، وحكم 25 عاماً وكان تحت إمرته خمسون حاكماً، لذا يسمى عصره «عصر بدء الإمبراطوريات». (بشور 1981: 44).

كان نظام دول المدن السومرية بمثابة كونفدرالية سومرية لا يوجد فيها مركزية سياسية، فقد كانت نيبور أشبه بالعاصمة الدينية التي تحتوي على معبد الإله القومي للسومريين (إنليل)، ولم تكن عاصمة سياسية.

2. أوروانميكَينا (أوركاجينا) وصناعة السلام الاجتماعي:

هو الاسم الحقيقي للمصلح السومري الذي عرف باسم (أوركاجينا) Uru-inim-ginaأورو- إنم –جينا

والذي سنّ القوانين التي منحت لجش وشعبها الحرية والعدالة الاجتماعية في حدود 2500 ق. م، وبذلك تكون قوانينه بمثابة أقدم قوانين بشرية وضعت من أجل صناعة السلم الاجتماعي لمدينة سومرية كانت مركزاً من مراكز التحضر المبكر في تاريخ البشرية.

كانت مدينة لجش تعرف باسم (أورو كوك) أي (المدينة المقدسة)، وتتألف مدينة لجش من مجموعة من المدن الصغيرة والقرى التي تشغل منطقة الشطرة والغراف الحاليين، منها مدن (جرسو – تلّو-، نينا – سرارا -، سرغل) ويقع مركز المدينة في منطقة أثرية تعرف بالـ(الهبة) التي تقع على بعد 45 كم شرق مدينة الشطرة.

كانت المدينة قد تعرضت لتعسف اجتماعي كبير وفرضت على أهلها الضرائب الكثيرة التي ضاعفت ثراء التجار وأفقرت الناس وأرهقتهم، يظهر هذا من خلال ما دونه كاتب سومريّ في وثيقة تاريخية تعود لعام 2500 ق. م يشرح فيها حجم الظلم الذي لحق بهم وكيف تمّت سرقة ممتلكاتهم وكيف أرغموا على دفع كميات كبيرة من الشعير والبضائع والخبز لموظفي البلاط. وهكذا سعى

المواطنون لإزاحة حاكمهم (لوكّالندا) وتنصيب (أوروإنمكَينا) بدلاً عنه، فبدأ الأخير إصلاحاته تجاه المعبد والكهنة حيث أعاد النظر في نظام أجورهم ومستحقاتهم وخفضت الضرائب التي كانت مفروضة على دفن الموتى إلى أقل من النصف، أما بالنسبة للمعبد الذي انتهكت حرمته وفقد هيبته. فقد تطرقنا مفصلاً لإصلاحاته في هذا الكتاب.

3. نشر نواميس الحضارة في العالم القديم بالطرق السلمية:

انتشرت المظاهر والنواميس الحضارية السومرية من مدنها إلى محيطها المشرقي ثم نحو الشرق الأدنى والأقصى، وكانت سبل انتقالها بالطرق السلمية، في أغلب الأحوال، عن طريق التجارة وتبادل البضائع، فقد وصلت إلى بلاد السند وحفزت نشوء الحضارة السندية وقبلها إلى عيلام ومصر وإلى أصقاع بعيدة أخرى من العالم.

ونرى أنّ الإمبراطورية الأكدية التي نشأت بين العصر السومريّ القديم والعصر السومريّ الحديث ساهمت بقوة بنشر النواميس الحضارة السومرية في أطراف العالم المأهول آنذاك، لأنّ الأكديين لم يكونوا يملكون نواميس ناضجة خاصة بهم، ولم يكونوا قد طوّعوا بعد استخدام اللغة والكتابة الأكدية في نصوصهم، ولذلك ظلت السومرية (لغة وكتابة) أحد أهم عناصر حضور الأكديين الحضاري، وهو ما جعل محمولات اللغة والكتابة الحضارية السومرية حاضرة بقوة في انتشارها. وهذا لا يعني عدم حضور العناصر الأكدية التي نشرت مقومات حضارتها أيضاً، خصوصاً باتجاه الشرق السندي والإيراني عموماً، وباتجاه الغرب نحو مصر، وظهور الثقافة الشمسية الطابع التي تميز بها الأكديون.

2. نظام الدولة السومرية

دولة إياناتم (دولة لجش) هي أول أول دولة سومرية، ثم جاء بعده لوكال زاكيزي (دولة أوروك)، كانتا سبباً أساسيًّا لسقوط النظام السومريّ القديم الذي مثله خير تمثيل نظام (دولة المدينة)، وكان من سيئات هذا النظام أنه جعل السومريين يقتتلون بينهم وأنه فرض على السومريين سيادة وعبادة مدينة محددة على بقية المدن.

كان نظام دولة المدينة قد قضى على النزعات العشائرية والقبلية وثبّت الشعور بالمواطنة والحفاظ على المدينة والأرض. أما نظام الدولة فقد أعاد نعرة التعصب والتحزب لمدينة واحدة

على حساب المدن الأخرى، ولم يكن بالإمكان إنشاء نظمٍ مدنية وإدارية كبيرة للدولة كما كانت عليه نظم دولة المدينة في ما يعرف بـ(أوكن) سومريّاً و(بوخرم) أكديّاً، وغيرها من النظم التي يمكن أن تخدم الدولة الواحدة القوية. وهكذا سادت الفوضى في هذه الدولة وفقدت مرونتها الفيدرالية والديموقراطية واتجهت نحو العنف والمركزية.

3. نظام الإمبراطورية السومرية

حين ورثت سومر ما خلفه الأكديون من نفوذٍ واسع وإمبراطورية كبيرة، اضطروا للبقاء عليها من أجل الحصول على المواد الأولية في البناء والأخشاب والمعادن، فضلاً عن كونها الشكل الأنسب لدور سومر الحديثة آنذاك. وقد ورث ملوكها هذا الأمر بكل تفاصيله وبذلوا جهداً في تثبيته، فقد لاحق (أور- نمّو) الكّوتيين وسيطر على كل المدن السومرية من جديد، ومهد الطريق من البحر الأسفل(الخليج) إلى البحر الأعلى (المتوسط). وزاد ابنه الأمور بتألهه واتخاذه الألقاب الإمبراطورية.

«حذا (شولكَي) حذو الملك الأكدي (نرام سين) في استعمال لقب (ملك الجهات الأربع). وتوجد أمارات قوية على أنه بولغ في تقديسه إلى حدّ التأله والعبادة في أثناء حياته ومن بعد مماته. فكانت القرابين تقدم إلى تماثيله في أنحاء الإمبراطورية مرتين في الشهر، وسمّي أحد شهور السنة في التقويم السومري باسم (شولكَي المقدس). ولما مات دُفن في قبر فخمٍ شيّد فوقه معبد لتقديم القرابين إليه وعبادته، ولا تزال بقايا هذا القبر والقبور الفخمة الأخرى العائدة لملوك سلالة (أور) من الآثار البارزة في المدينة، ولكن المنقبين وجدوها خالية معبوثاً بها، وقد انتهكت في أثناء الغزوات المدمرة التي قام بها الأموريون والعيلاميون. وقد وصل إلينا نحو ثلاثين ترتيلة دينية خُصصت لهذا الملك، وقد خوطب فيها بتمجيد كأنه إله من الآلهة، وأنه تحدر من صلب الآلهة مثل (لوكّال بندا) والإلهة (ننسون) اللذين كانا، أيضاً، أبوي كلكامش، ولذلك ادعى (أور – نمو) في إحدى تلك التراتيل بأنه أخو كلكامش، وإلى ذلك ادّعى (شولكَي) بأنه ذو قربى بالإله الشمس (أوتو)». (باقر 2011: 422)

لم تكن سومر قادرة على حمل عبء الإمبراطورية وأعبائها وهي البلاد التي تميل للسلام ولا تميل للحرب، وكان جيشها محدوداً وغير مهنيّ. ولذلك لم تقاوم الغزوين العيلامي والأموري وكان هذا سبباً في سقوطها.

كانت تجربة الإمبراطورية السومرية ذات نزعة بيروقراطية عالية ساهمت في تقييد حركتها ومرونتها كذلك، فقد «سارت بطريقٍ يمجد الدولة أكثر من المملكة السابقة، لأنّ (أور نمّو) وخلفاءه تطرفوا إلى أقصى درجةٍ في مناصرة وتشجيع أدوات الحكم، فكانت النتيجة هي هيمنة البيروقراطية الثقيلة الدفة: يثبت ذلك عشرات الألوف من اللقى ذات المضمون الإداريّ المستخلصة التي تحتوي على الأدلة الواقعية لمستوى هذه الفعاليات في ذلك العصر. لقد قادت هذه البيروقراطية البلاد إلى الشلل وتعطّل آلية الحكم. فهل كانت بدرجة المسؤولية نفسها مع ضربات العموريين، ومجهودات العيلاميين في سقوط واختفاء المملكة؟». (مارغرون 1999: 77).

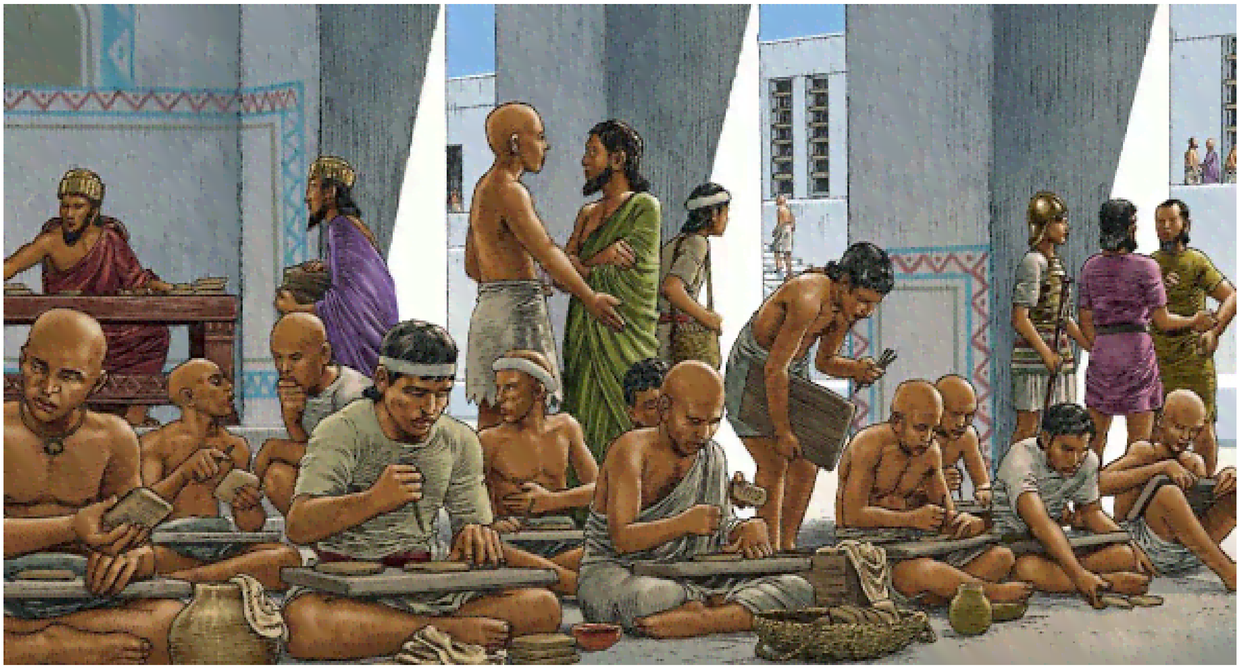
ثانياً: التربية والتعليم: تعزيز السلم الاجتماعي

1. التربية والتعليم في مقابل القتال والحروب:

لم يكن التعليم، في سومر، إلزاميًّا، لكنه كان متاحاً للجميع. ولا شك أنّ رجال المعبد كانوا الأكثر فرصة في نيل التعليم بحكم حاجتهم الكبيرة لتنظيم شؤون المعبد الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك كان رجال البلاط بحاجة ماسة للتعليم والكتابة، وقد تحدثنا مفصلاً عن المدارس السومرية وأنظمتها.

ورغم بدايات الحضارة المبكرة في سومر لكن التربية والتعليم كانا يلازمان حالة السلم التي كانت تعيشها وتشيعها سومر في وادي الرافدين وعموم المشرق القديم. وكان هذا يهذّب النفوس ويجعل فرص الشرّ والحرب تتناقص، لكن الحكام والسياسيين والكهنة كانوا يقيسون مصالحهم بطريقة أخرى عمادها القوة والحرب والاستعداد للتوسع على حساب الأمن والسلام والتربية والتعليم.

ارتباط المدارس السومرية بالمعبد والقصر وعدم استقلاليتها ضيّع فرص نموّها كمؤسسات تربوية فاعلة في الحياة المدنية «إن غياب المدرسة السومرية باعتبارها مؤسسة ملحقة بالمعبد أو بالقصر الملكيّ يصعب تحديد تأريخه على وجه الدقة. لقد تغيّر طابع المدرسة بمرور الزمن، كما أنّ أوضاعها الشكلية الرئيسة ومنافعها ظلّت تقارع تصاريف الدهر لمدة طويلة، بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وعلى العموم، يصح القول: إن الانطباع المستخلص يشير إلى أنّ المدرسة أخذت تنحو نحواً دنيويّاً (بعيداً عن الدين) كما ازداد اعتمادها على التعليم الخاص في الألف الثاني». (لوكاس 1980: 68 - 69).



مدرسة سومرية

2. التعليم كحرفة وأخلاق:

كانت المدارس أماكن لتهيئة الطلاب للعمل والحرف المختلفة فضلاً عن الكتابة ذاتها كحرفة من الحرف المهمة، وكانت أيضاً تحثّ على الأخلاق باعتبارها مسؤولية أخلاقية لا يجوز الإخلال به لأنه سيخلّ بوظائف الآلهة التي تشرف على التعليم.

«نجد في أوروك (الوركاء) حشداً من الألواح بين بقايا القصر الملكي التابع لسنكاسيد، ومن جهة أخرى ففي سادوبوم (تل حرمل) اكتشفت نصوص معجمية وأدبية داخل معبد نيسابا وزوجها هاجا الإلهين السومريين الحاميين لفن النسخ. وفي كيش (الأحيمر) عثر على ألواح تُفصح عن وجود مدرسة في موضع يسكنه الكتبة النسّاخ. وعلى النحو نفسه كشف في نيبور (نفر) عن نصوص مدرسية في مساكن الكتبة على قمة تلٍّ في الجانب الآخر من القناة التي كانت تجري في جنوب معبد إنليل. إن الحفريات هناك كشفت الكثير من الألواح المتروكة والمراجع والنصوص الأدبية. وفي الختام اكتشف المنقبون في أور (المقير) بيتاً يدعى (الشارع العريض رقم 1) يعود إلى شخص مجهول يدعى (أغلميلن) يحتوي على ما يقارب من ألفي نصٍّ مدرسيّ صغير والكثير من الكتابات

الدينية والأدبية. وربما أنّ هذه المدرسة ليست على مقربة مباشرة من المعبد أو القصر الملكي، فيمكن أن تكون من المدارس الخصوصية». (لوكاس 1980: 26 - 27).

ويشير هذا إلى أنّ التربية والتعليم كانت حرفة من الحرف ومصدراً من مصادر الحفاظ على التقاليد الإلهية والأخلاقية.

قد يختلف المؤرخون على قدم المدارس وكثرتها في الحضارات المختلفة لأنها مؤشر تمدن أساسي ظهرت في أوروك السومرية حوالي 3000 ق. م، لكننا نفاجأ أنّ «عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان يبلغ الألوف، وأن أولئك الكتبة على أصناف ودرجات منهم الكتبة الصغار المبتدئون، والكتبة المتقدمون، والكتبة الملكيون، وكتبة المعابد، وكتبة من ذوي التخصص العالي في بعض النواحي الخاصة بالشؤون الإدارية. وكتبة أصبحوا من كبار موظفي الحكومة. وفي حقيقة الأمر هناك من الأسباب المعقولة ما يحمل المرء على الاعتقاد بأن عدداً من المدارس الكبيرة ذات الأهمية التي كانت تعدّ الكتبة، كانت مزدهرة في جميع أرجاء البلاد. (كريمر 1957: 44).

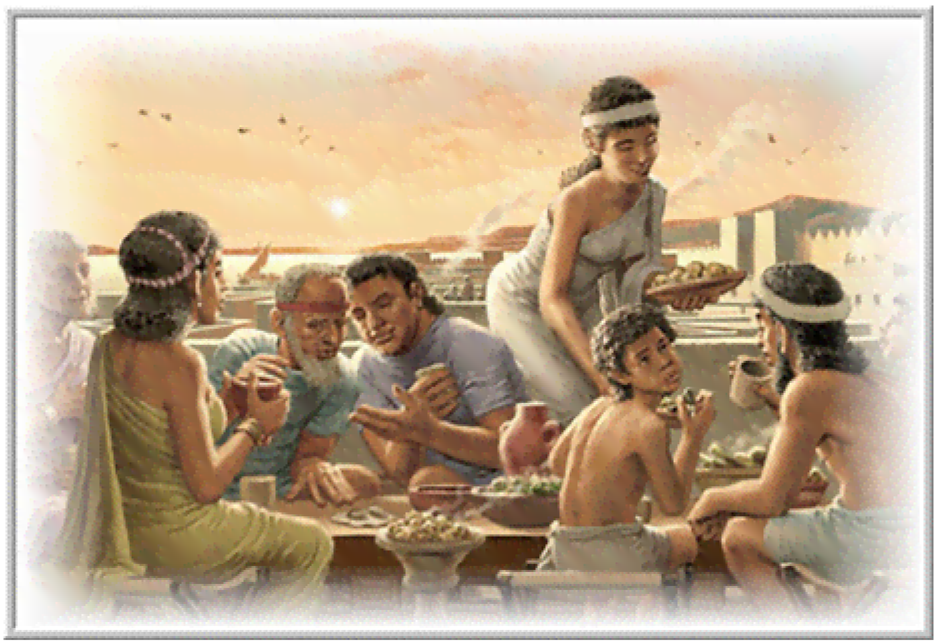
لا شك أنّ العلوم والمعارف التي يتلقاها المتعلم، مهما بلغت درجة تعلّمه، لم تكن واسعة الطيف بحكم بداية التحضر التي كانت تتلمس طريقها بصعوبة وسط ظلام ذلك الزمان، ولا شك أيضاً أنّ هذه العلوم غُلفت بغطاء ديني إلهي لكي يتمّ استيعابها من جهة ولكي تأخذ الطابع القطعي من جهة أخرى، ورغم أنّ هذا الأمر ساعد في ولادة وظهور تلك العلوم لكنه، من جانب آخر، كرّس الأوهام الميتافيزيقية والغيبية وجعل من قابلية هذه العلم للتطور صعبة وبطيئة.

إن «إنسان هذه الحضارة كان يشعر على الدوام أنه يعتمد في وجوده واستمراره كليًّا على إرادة آلهته. بمعنى أنّ عقيدة القوم كانت تنسب ذات الإنسان إلى العالم الخارجي (القوى الخارقة) في غياب إرادته – فكراً وممارسة. بل وحسب Julia M. Asher لا توجد لفظة سومرية محددة بمعنى ذاكرة أو عقل الإنسان، وأن العلاقة بين الفكر والعقل لم تكن قائمة. من هنا غلبت على الحصيلة الدينية للقوم وأساطيرهم الغيبيات والخرافات، وغلفت أفكارهم الخيالات الجامحة بالهرولة وراء الأوهام من قوى خارقة وشياطين وعفاريت غير منظورة، واتخاذ الطقوس الدينية مرجعاً ومصدراً ومنهجاً للكشف عنها وتفسيرها والتعامل معها بما يحقق لهم الحياة الآمنة والسلام الذاتي المنشود. وهذا هو السبب الذي يجعل التقسيم الحديث للفكر والمعرفة إلى فنون وعلوم تطبيقية يبدو غريباً عن

تصورهم، حيث اعتبروا كل علوم المعرفة متماثلة وذات أهمية متساوية، ولم يستطيعوا ملاحظة عملية نشوء وتطور المعرفة كما هو حاصل في العصر الحديث». (رشيد 2004: 218).

الفصل السادس

المظهر الاجتماعي للحضارة السومرية



العشاء مساءً لعائلة سومرية

http://stravaganzastravaganza. blogspot. nl/2011/12/sumerian-family-life. html

المبحث الأول: الميزات الأساسية والسايكولوجيا الاجتماعية

1. الميزات الأساسية للمجتمع السومري

1. مجتمع مثابر دؤوب محبّ للعمل في كافة المجالات الزراعية والريّ بشكل خاص، فقد أوضح الكثير من نصوصه تشجيع العمل وتصنيف الأعمال التي يقوم بها الإنسان السومري، وقد أنتج دأبه المتواصل حضارة دامت ألفاً وخمس مئة عام (3500 - 2006) ق. م، هي أول حضارات العالم والتي أسست لكثير من نواميس الحضارات التي جاءت بعدها.

2. مجتمع منضبط أخلاقيًّا، فقد كانت الأخلاق سمةً أساسية من سماته وارتبطت بعبادته وجعلته مجتمعاً متوازناً ومتواضعاً يسير وفق أعرافٍ اجتماعية يصعب تجاوزها ووفق قوانين التزم بها إلى حدّ كبير.

3. مجتمع مسالم في عموم تاريخه لم يكن معنيًّا باضطهاد شعوب أخرى أو الاعتداء عليها أو سلبها أو نهب أهلها وثرواتها. أما ما يسجله التاريخ عن بعض التوترات والمعارك التي حصلت بين بعض المدن السومرية فهو أمر نادر ولا يجب تعميمه على عشرات المدن الأخرى ولعشرات القرون.

4. مجتمع متدين كان يؤمن بإله واحد عظيم هو إله السماء (آن) ويؤمن أنّ مع آن آلهة تنظم شؤون الكون والأرض، ولم تكن رسالته الدينية هذه رسالة لجعل الميتافيزيك فوضى تعبث به الآلهة، بل هي رسالة تنظيم الميتافيزيك وتبويبه وجعله مقبولاً ومستساغاً على شكل حركة آلهة دؤوبة تعمل على حفظ توازن الكون. وأما الآلهة فهي قوًى أكثر منها كائنات حقيقية، لكن تصورها الشعبي لم يكن ليتمّ لولا تشبيهها بالإنسان وصفاته عموماً وبالحيوان والنبات أحياناً باعتبارها قوًى منبثقة من الطبيعة في شكل حياة حيّة متحركة.

5. الترابط العائلي المتين وحفظ حقوق الزوج والزوجة والأبناء كان من أهم ما رسمه المجتمع السومريّ للمجتمع البشريّ في أول خطواته الحضارية مع بدء التاريخ.

6. كانت روح المغامرة التي سيطرت على هذا الشعب هائلة، فانكبّ السومريون على الأرض التي بين أيديهم وحوّلوها من أرض غفلٍ إلى جنة عدن... وبقيت هذه الجنة في أذهان مدوّني التوراة على أنها الجنة السماوية، وكانت أول شرارات الخلق هي السيطرة على الماء واكتشاف الريّ، لم يكن هناك مطر فاخترعوا الريّ... ولم يكن هناك خشب فاستعملوا البردي والقصب... ولم يكن هناك معادن فصنعوا من الطين المحروق القدور الأواني والجرار والطابوق... وألواح الكتابة.

7. لم يكن شعباً خرافيًّا، ولم يخلط الواقع بالخوف لينتج الخرافة، كان واقعيًّا متزن العقل وئيداً بصيراً ينطق بالحكمة البسيطة (المدينة التي لا يكون لها كلاب يحرسها الثعلب)، (ليس القلب هو الذي يقود إلى العداوة، وإنما هو اللسان)، (تدخل الذبابة في الفم المفتوح)، (إذا بنيت بيتاً كزعيم تعيش كعبد، وإذا بنيت كعبد تعيش كزعيم)، (بيد مع يد يبنى البيت، بمعدة مع معدة، يأتي خرابه).

8. لم يوهم هذا الشعب نفسه أو أفراده بالخلود عبر الجسد أو الروح، الإنسان غير خالد ولا خلود إلّا بالعمل والذكر الطيب... ليست الآلهة كائنات، بل قوى خلف ستار المرئي. (كريمر: د. ت)

9. شعب تقول كلّ ألواحه بالطموح والنجاح والشرف، كانت قيمه الأخلاقية مثل القوانين والأعراف يلتزم بها الجميع بصمت وهدوء، وكان أغلب كهنته وملوكه مثلاً أعلى لهذه القيم... إن من يقرأ سيرة الملك الأمير (جوديا) حاكم لكش يذهل من تقواه وعدالته وحبة للبناء (جوديا معناها النبي) فهل كان نبيًّا بالفعل؟ كان (جوديا) يحب الحمار لأنه يعمل وهو صامت دون كلل، وكان يتشبه به ويقول: (أنا حمار شعبي)... وكان أوركاجينا أول مصلح اجتماعي كبير في هذه الأرض.

10. كانت الأخلاق جزءاً من العبادة، أو فلنقل جزءاً من شروط وجود الإنسان على الأرض حيًّا ومتوازناً، وكانت أرضه أهواراً موحشة تطفو عليها مستوطنات متفرقة ويائسة تمتلئ بالأحراش... لكن عرق السومريين هو الذي ارتفع بها للنجوم، بنى السومريون ما يقرب من ست عشرة مدينة كبيرة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق، سوّروها فيما بعد، وفي وسط كل مدينة بنوا

معبداً ذا مصطبة عالية... تطورت إلى برج مدرج ضخم اسمه الزقورة... وكان هذا أهم إسهام في العمارة الدينية التي تلتها كالأهرامات ثم الكنائس ثم المساجد ثم الملوية (زقورة المسلمين الفريدة).

12. كان برلمانهم مكوناً من مجلس أعلى من الكبار (مجلس الشيوخ)، ومجلس عموم من الرجال هو (مجلس النواب)، وكان الحاكم (الإنسي) يخضع لقراراتهم، وبظهور الحروب أصبح وجود الملك بدلاً عن (الإنسي) ضروريًّا وكان الملك ينتخب، لكنه فيما بعد أصبح يرث الملكية... ومع ذلك ففي كل رأس سنة يرتجف قلب الملك هلعاً من عدم رضا الآلهة والكهنة والشعب عن أعماله... وقد لا تتجدد ملوكيته، بل يخلع ويوضع غيره.

12. كان المجتمع السومريّ مكوناً من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادي الأسماك والتجار والكتاب والأطباء والمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والصاغة والفخارين ورجال الدين والمغنين وأصحاب الحانات وصانعي الخمور... فكيف تسنى لمجتمع في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد أن يتنوع بهذه الطريقة؟ لقد ظهرت كلمة (حرية) لأول مرة في تاريخ البشرية عند السومريين وتحديداً مع إصلاحات أوركاجينا وكان اسمها (أمارجي) التي تعني (العودة إلى الأم أو الرحم)... فما أحلى هذا الفهم الشعريّ للحرية... على أنها في الواقع وعلى الأرض أشد صلابة من تسميتها، فالشرائع والقوانين منذ أوركاجينا ومروراً بأورنمو وبلالاما ولبت عشتار بذرة الشرائع البابلية واليونانية والرومانية، وأول ما يتبادر إلى الذهن لدى درسها وتمحيصها أنها تختلف كليًّا عن شريعة الثأر، شريعة - العين بالعين والسن بالسن – التي سنّها حمورابي واقتبسها عنه العبرانيون. ففي قوانين أورنمو نزعة إنسانية غايتها الإصلاح لا الانتقام. لذلك حلّت فيها الغرامة النقدية محل العقوبات الجسدية. (حتي د. ت:98).

13. هذا الشعب الذي شغل التاريخ لأكثر من (1500) سنة وقدم نواميس الحضارة لمن حوله ومعه من الشعوب، طعنته شعوب معه وحوله كانت تتطلع إلى منجزاته بذهول وعجز، وتكررت الطعنات حتى سقط في بداية الألف الثاني قبل الميلاد وبدأ صوته بالخفوت، كان اسمه (شعب أحراش القصب – كي إن جي – كينجي) ثم أسماه الساميون (سومر). هذا الشعب طوى اسمه النسيان منذ ذلك الوقت ولما يقرب من أربعة آلاف سنة... لكن رهبان المعرفة من الحفارين والآثاريين بعد منتصف القرن التاسع عشر جلوا عن ذهبه الصدأ والغبار وهالهم ما رأوه: لقد رأوا شعباً من ذوي الرؤوس السود المليئة بالحكمة والمعرفة يسد ثغرة مطلع التاريخ، وهو يعمل

بمعاوله، ويرمي بألواح كتابته إلى أطراف الأرض... وبذلك فسر لنا ذلك كيف جرى التاريخ وكيف يكون في أدق وأحرج مراحله.

2. السايكولوجيا الاجتماعية

تلعب السايكولوجيا الاجتماعية للشعب أو للشعوب التي تكوّن حضارة ما، دوراً مهمًّا في إعطاء لمسة الخصوصية لهذه الحضارة، كما أنها تلعب الدور الرئيس في نموّ وتكوين الحضارة ورسم مصيرها أيضاً. كان غوستاف لوبون أول من نبّه لدور سايكولوجيا المجتمع في تكوين الحضارة، وهو المؤسس الفعلي لعلم نفس المجتمع.

يرى في كتابه (سيكولوجيا الجماهير)، أنّ أهم أسباب تغير وتجدد الحضارات هي تلك التي تصيب الآراء العامة والتصورات والعقائد. ويرى أنّ هذا التحول يتمّ عن طريقين، الأول هو تغيير العقائد الدينية والسياسية والاجتماعية التي سبقت ظهور هذه الحضارة، والثاني هو خلق عقائد وأفكار وسلوكيات جديدة بديلة. ويرى أنّ المجتمع وعامة الناس هم من يساهمون بهاتين العمليتين.

علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك المجموعات في المجتمع وليس الأفراد، ويتضمن الدراسة العلمية لكيفية تأثر الناس، بأفكارهم ومشاعرهم وسلوكهم، بواسطة الحضور الفعلي أو المتخيل أو الضمني للآخرين. وهذا يشير إلى أنّ البشر قابلون للتأثيرات الاجتماعية حتى عندما يكونون وحدهم، ويمكن أن يتأثروا باتباع السلوك في المحيط المرئي أو اتباع المعايير الثقافية الداخلية. يفسر علماء النفس الاجتماعيين السلوك البشريّ عادة نتيجة لتفاعل الحالات الذهنية والحالات الاجتماعية. ويرى لوبون أنّ الفرد يتحرك بشكل واعٍ، أما المجتمع فيتحرك بشكل لاواعٍ، وهذا يعني أنّ الوعي فردي وأن اللاوعي جماعي.

يمكننا استنباط مجمل السايكولوجيا المجتمعية الحضارية من العوامل الآتية:

1. الطبائع والميول والأخلاق العامة
2. العقائد الثابتة نسبيًّا (الدين، والمذهب، والأفكار السياسية العامة)
3. الفولكلور والأنثروبولوجيا والعادات الموروثة

4. الاقتصاد الاجتماعي وحركة المال والعمل

5. اللاشعور الجمعي ومخزونه الرمزي والأسطوريّ والحسيّ

ومثل هذه العوامل يمكن تلمّسها في قراءتنا لتراث الشعوب التي أسست الحضارات وكوّنتها.

1. الطبائع والميول والأخلاق العامة عند السومريين

لم يكن الشعب السومريّ طارئاً على الشعوب السامية التي كانت في وادي الرافدين والتي استوطنت معه السهل الرسوبي في جنوب الوادي، كان هو وريث الشعب الزراعي الذي اكتشف الزراعة واستقر في سومارتو، وظلت عقائد الخصب والأمومة أساس سلوكه، لكنه تكيّف مع عصر الكالكوليت الذي حصل انقلابه الذكوريّ في حدود 5000 ق. م واستطاع أن يجمع بين السيادة الذكورية والنشاط الأمومي، واستعمل النحاس مبكراً وحافظ على لغته المقطعية التي كانت في عصور الزراعة، بل وتمكن بسرعة من بناء المدن والمعابد والقصور بسبب ميوله العمرانية، واستفاد من رموز الكالكوليت ليخترع الكتابة الصورية ثم ليستعمل المثلث القصبي ليبتكر الكتابة المسمارية، فهو شعب مبدع لم يفرط بجذوره الزراعية لصالح ثورة التعدين والنحاس، بل حافظ عليها جميعها في توازن فريد من نوعه، وهذا هو سرّ إبداعه المبكر وحيويته.

كانت المثابرة أساس عمله فهو شعب دؤوب لا يكلّ ولا يتعب ويمضي في تنظيم فوضى الحياة والطبيعة من حوله وفوضى الإنسان وتجمعاته ينتج من كل هذا أول حضارة بشرية نوعية.

الإبداع فرض عليه أن يجمع الواقع مع الخيال حين حرث الأرض وصنعها وحين ابتكر عالماً سماويًّا خياليًّا مزدحماً بالآلهة، ولكي يربط الواقع بالخيال قام بربط الأرض بالسماء، وجعل للآلهة مقرات على الأرض بصيغة معابد افترض أنها يجب أن تحتوي على أرقى التصورات والعلوم، فنشأت منها العلوم والمعارف. وكان رجال الدين بمثابة العلماء الروحيين آنذاك رغم حماقات بعضهم التي كانت تميل نحو السلطة والغش والخداع.

كان الشعب كله يميل إلى السلام وكان هذا السلام يوفر قاعدة أساسية للابتكار والتفاعل الإيجابي والانضباط الأخلاقي والتدين، تلك الأمور التي كان لا بدّ من اجتماعها لكي تتفاعل الميول

والأمزجة المختلفة للبشر، وكانت القاعدة الذهبية في هذا هو إرضاء الآلهة التي تمثل النماذج الأخلاقية العليا من جهة والحصول على ما يبقي اسم وذكر الإنسان خالداً عبر العمل.

كانت القوانين تنظم حياة الجماعة والأخلاق تنظم حياة الفرد، وكان مبدأ العقاب والثواب على الأرض وليس في الحياة الآخرة.

2. العقائد الثابتة عند السومريين

عبر السومريون عن أنفسهم وخصوصيتهم القومية عن طريق الدين، ولذلك كانت المعابد، التي هي المساكن الأرضية لآلهتهم، بمثابة المراكز الحضارية الأساسية، وكان الدين عندهم آنذاك طريقة أو سبيلاً للمعرفة، وتتمّ من خلاله معرفة العالم والسيطرة عليه بمعونة الآلهة. هكذا أوهموا أنفسهم، لكن هذا الوهم شكّل ركيزة أساسية في النهوض الحضاري، وهو ما جعلهم يتميزون عن الشعوب التي حولهم والتي ما زالت تجهل كيفية التعامل النوعي مع مجمل قوى الغيب ومنها الآلهة.

شكلت الأساطير وعاء المعتقدات الثابتة، نسبيًّا، عن العالم والعالم الآخر. وشكّلت العلوم العفوية البسيطة وسيلة أخرى للتعامل الواقعي مع العالم، وثمّ دمج العالمين الغيبي والواقعي في سبيكة من المعتقدات الثابتة التي غزت العالم فيما بعد.

النظام الستيني في الأعداد جعلهم يفهمون الدائرة والسماء والأفلاك ووضعوا فيها دائرة للأرقام الإلهية، فكانت الآلهة الكبرى تحمل كل الأرقام بين 5 - 60 بمتوالية عددية تزداد فيها الأعداد الرمزية للآلهة بخمسة أعداد (انظر جدول الأعداد الرمزية للآلهة). وكان عدد الإنسان هو (1) وعدد كبير الآلهة إله السماء آن (60) وللإنسان وآن علامة مسمارية واحدة.

هذه الطريقة جعلت المعتقدات تبدو كما لو أنها معادلات رياضية لا فكاك منها. وينطبق هذا على كلّ طرائق التفكير الأخرى التي تجمع الغيب بالواقع، ومنها تشابه الآلهة مع الإنسان في كلّ شيء تقريباً باستثناء أنّ الآلهة أضخم من الإنسان وتتمتع بالخلود وأنها أقرب إلى الكائنات الضوئية منها إلى المادية.

3. الفولكلور والأنثروبولوجيا والعادات الموروثة

يلعب الفولكلور والتداولات الشعبية الدور الأكبر في تكوين السايكولوجيا الاجتماعية الشعبية وجعلها تتبادل مع مخزوها انعكاسات مركبة فيما يخص مخزونها منه، فبرغم التدوين الرسمي لآلهة السماء السومرية، لكن أساطير وحكايات ديموزي وإنانا شكّلت جزءاً مهمًّا من السرديات الشعبية، بل إن هذه السرديات انتقلت من سومر لما بعدها في وادي الرافدين والشام، وظهر منها سرديات مشابهة. وينطبق هذا المثال على الكثير من التداولات الشعبية في مختلف الحقول.

وتلعب الأنثروبولوجيا المساحة الأوسع في هذا المضمار حيث انتقال عادات الولادة والموت والزواج والطعام والشراب والبطولة وغيرها، فضلاً عن انتقال لقى الأنثروبولوجيا المنوعة وطرق صنعها وتشخيصها، كل هذا الفيض الفولكلوري والأنثروبولوجي يشكّل لون ومذاق وخصوصية السايكولوجيا الاجتماعية.

4. الاقتصاد الاجتماعي وحركة المال والعمل في سومر

رغم الهيمنة الشكلية لرجال الدين على المجتمع السومري لكن هذا المجتمع كان أكثر مدنية واستقلالاً عن المعبد مما يمكن تصوره في تلك العهود القديمة، وكان الاقتصاد الاجتماعي مرهوناً بحركة العناصر الاقتصادية الزراعية والحرفية والتجارية وحركة العمل في المدن السومرية الدؤوبة والنشطة في هذه المجالات، «كان يعتقد حتى وقت قريب أنّ المعبد في أوائل الحقبة السومرية يملك جميع أرض دولة المدينة، ولكن تبين الآن أنّ حصة المعبد ربما بلغت ما لا يزيد عن ثمن المجموع، وكانت بقية الأرض في الأصل ملكاً للعوائل والعشائر مجتمعة ولا يمكن بيعها إلّا بموافقة جميع الأعضاء البارزين في العائلة أو العشيرة، وكان مشترو مثل هذه الأرض من أبناء الطبقة الحاكمة أو فئة النبلاء الذين سيأتون إلى الحكم، ويملكون الأرض ملكاً خاصّاً فضلاً عن أملاكهم العائلية. ويعمل على هذه الأرض الناس الأحرار الفقراء الذين لا يملكون أرضاً. بهذه الوسيلة تطور نظام اجتماعي يتكون من ثلاث طبقات رئيسة، هم النبلاء والأحرار العاديون والأحرار التابعون الذين يطلق عليهم عموماً «الموالي». وثمة طبقة رابعة تتكون من العبيد الذين كانوا بالدرجة الأولى أسرى حرب». (ساكَز 2010: 35 - 36).

5. اللاشعور الجمعي ومخزونه الرمزي والأسطوريّ والحسيّ

لا شك أنّ المخزون الهائل للاشعور الجمعي السومريّ كان قد تكوّن منذ عصور ما قبل التأريخ في مختلف أحقابه الكثيرة وجرف معه الكثير من الآركيتايبات والرموز والأساطير والسرديات المشظاة، والتي نرى أنها تجسدت في قرون الحضارة السومرية في العصور التأريخية والتي دوّن بعضها على الألواح بكتابة مسمارية ولغة سومرية.

وتصوغ مادة هذا المخزون شخصية الجماعة دون إرادة منها وتطبع خصوصيتها حركة المجتمع وسلوكه، وهو ما نراه جديراً بالتقصي والفحص ونحن نبحث في السايكولوجيا الاجتماعية.

المبحث الثاني: الطبقات والمؤسسات الاجتماعية

1. الطبقات الاجتماعية

ينقسم المجتمع السومري إلى خمس طبقات متميزة موضحة في الجدول الآتي:

1. الطبقة المالكة
2. الطبقة الحاكمة
3. الطبقة الوسطى
4. طبقة التابعين
5. طبقة العبيد والإماء(إر وجيمي)

كانت هناك تنسيق وتضافر بين الطبقة المالكة والطبقة الحاكمة، وهما الطبقتان الأعلى في المجتمع. وشملت الطبقة الوسطى التجار الذين يملكون شركاتهم الخاصة، والكتاب، والمعلمين الخاصين، وفي الوقت المناسب، رجال عسكريون رفيعو المستوى. المهن الأخرى للطبقة العليا كانت المحاسبين والمهندسين المعماريين والمنجمين (الذين كانوا عادة من الكهنة)، وراكبي السفن. وكان التاجر الذي يمتلك شركته الخاصة رجلاً مرفهاً. كان الكتاب يحظون باحترام كبير ويخدمون في المحكمة وفي المعبد وفي المدارس. كان كل معلم كاتباً، وكان أحد أهم التخصصات التي يتمّ تدريسها في كل مدرسة من بلاد ما بين النهرين هو الكتابة. التحق الأولاد فقط بالمدرسة. بينما تتمتع النساء بحقوق متساوية تقريباً، إلّا أنهن ما زلن لا يعتبرن أذكياء بما فيه الكفاية ليتمكن من إتقان محو الأمية.

كانت الطبقة الدنيا مكونة من تلك المهن التي أبقت المدينة أو المنطقة تعمل فعليًّا مثل: المزارعين، والحرفيين، والموسيقيين، وعمال البناء، وبناة القناة، والخبازين، وصانعي السلال، والجزارين، والصيادين، وحاملي الكأس، وصانعي الطابوق والطوب، وعمال مصانع الجعة، وأصحاب الحانات، والبغايا، وخبراء المعادن، والنجارين، وصناع العطور، والخزافين، وصناع المجوهرات والمشغولات الذهبية، والعربة، وفي وقت لاحق، سائقي العربات، والجنود، والبحارة، والتجار الذين عملوا لصالح شركة رجل آخر. وفي ظل الظروف المناسبة (مثل مهارة استثنائية أو العثور على رعاية في ظل راعٍ ثري أو ملك) يمكن لأيّ عضو في الطبقة الدنيا تسلق السلم الاجتماعي.



السلّم الطبقي لشعب سومر

الفرد والنخبة

اعتاد مؤرخو الحضارة على إهمال دور الفرد في دراساتهم الثقافية والحضارية على أساس أنه من الصعب تلمس شخصية الفرد الموجودة في تلك الحضارات البعيدة الزمن، فضلاً عن تنوع الأفراد طبقةً وجنساً ومكانة وتكويناً، ولكن هذا لا يمكن أن يجعلنا نهمل البحث في شخصية الفرد السومري الحضارية مثلاً أو غيرها من الحضارات القديمة والوسيطة.

نزعم أنّ الفرد في تلك الأزمان لم يكن يلعب دوراً فاعلاً بقدر المجتمعات أو الملوك أو رجال الدين أو الجيوش، ولكننا يمكن أن نقرر حرية الفرد من عدمها، ويمكننا تقصّي قدرته على التعبير ومستوى حقوقه الشخصية، خصوصاً أنّ المجتمعات ما زالت في بداية تكونها وما زال هناك متسع للفرد أن يلعب دوراً ما في حياة تلك الشعوب.

نرى أنّ النُّخب النوعية هي التي تساهم في نشوء الحضارة في مختلف قطاعتها، فما بين الكتلة الاجتماعية الكبيرة والأفراد هناك نُخب تتشكل في المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية وهي التي تبتكر وتنتج أكثر من غيرها وتكون بمثابة الشواهد على رقيّ الحضارة في مختلف جوانبها، وبرغم أنّ وضوح دور هذه النخب لم يكن قويًّا في بدايات الحضارة، لكن هذا الدور يتنامى مع تطور الحضارات القديمة ونلتقط منه أسماءً كثيرة وجماعات معينة.

العنوان الساطع في هذا المجال هو الحكماء السومريون الذين كان يطلق عليهم اسم (أبكالو) والذين كانوا يقدمون حكمتهم للمجتمع والملوك قبل وبعد الطوفان، ولا شك أنّ هناك معماريين مهندسين وأطباء وفنانين وفلكيين... إلخ كانوا قد دفعوا عجلات الحضارة السومرية إلى الأمام، لكن الزمن غيّب أسماءهم. ويشبه هذا ما نعرفه عن نخبة الأبطال السومريين الذين صنعوا عصر البطولة الأول مثل (إينمركار ولوكال بندا وكلكامش... إلخ) في أوروك وهناك مثلهم في المدن الأخرى.

إن أسماءً، مثل آدابا وزيوسيدرا وإيتانا... إلخ، لا يمكن أن تكون مقطوعة عن سياقها النخبوي المزدهر لكن الآثار ما زالت لم تعطهم حقهم، وينطبق هذا على حضارات أخرى.

2. البيت والأسرة السومرية

بيوت السكن:

بيوت القرية مبنية بالطوب والخشب والقصب في أغلب المدن السومرية ويصلح أن تكون بيوت ومضايف القصب في الأهوار وريف العمارة والناصرية مثلاً حيًّا لبيوت الريف، بل إن عقدة القصب ما زالت تحمل شكل رمز إنانا (إلهة الحب) حتى هذا اليوم.



/www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia//:http

	
السومريون قرب بيوتهم يعملون	البيت الحالي في أهوار سومر للفلاحين

http://saturniancosmology. org/narmer. php

http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia/



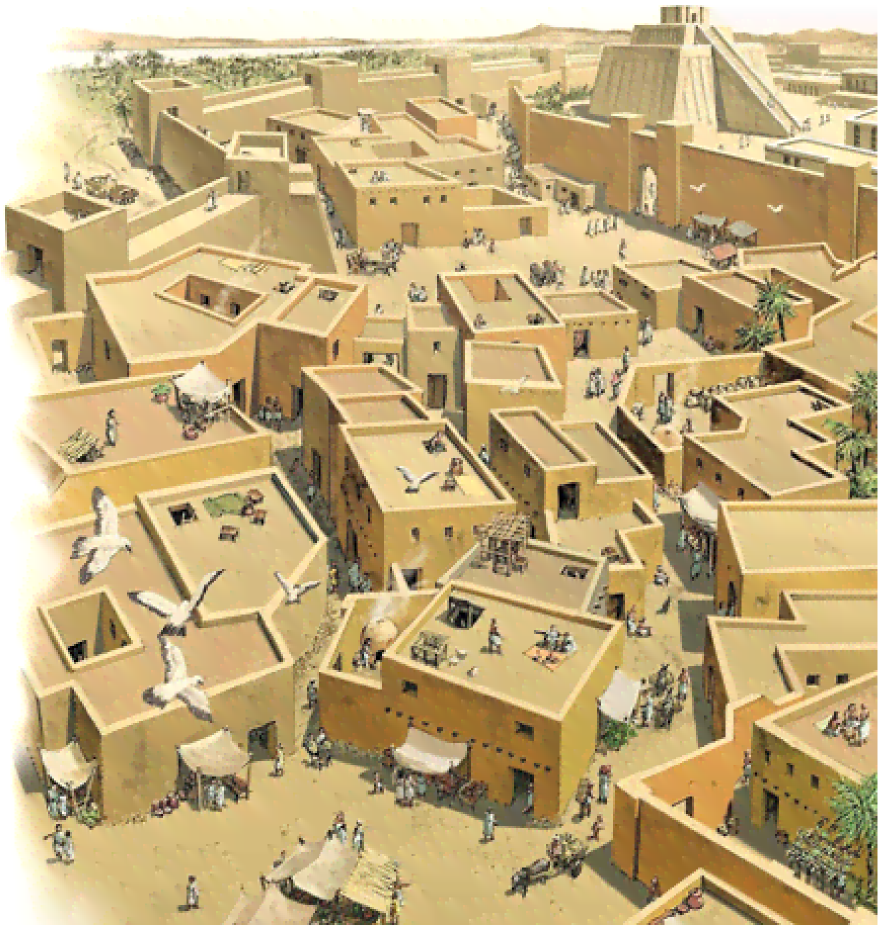
القرية السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

بيوت المدينة

أما بيوت المدينة فكانت تتكون من فناءٍ داخلي (حوش) تحيط به الغرف والتي يتراوح عددها 2 - 3 عادة وربما تصل إلى عشر في بعض بيوت الأسر الكبيرة، وقد تكون البيوت مكونة من طابقين مع بقاء الفناء مفتوحاً من الأعلى تحيط به الغرف.

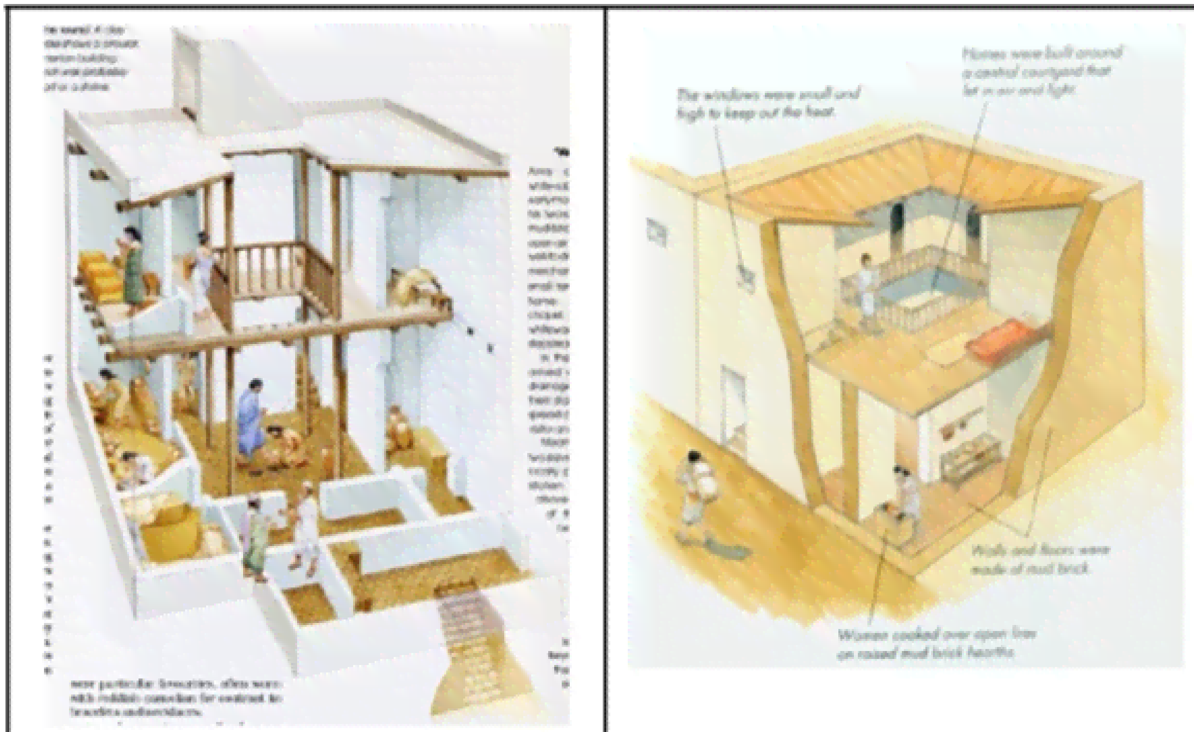
تمّ توفير الإضاءة في المنزل بواسطة مصابيح صغيرة يغذيها زيت بذور السمسم، وأحياناً بواسطة نوافذ (في المنازل الأكثر تكلفة). شيدت النوافذ من الخشب، وبما أنّ الخشب كان سلعة نادرة، فإن المنازل التي شباكها غير شائعة تمّ تبييض الجزء الخارجي من المنازل المبنية من الآجر، وهو دفاع إضافي ضد الحرارة المشعة، ولن يكون هناك سوى باب خارجي واحد، إطاره مطلي باللون الأحمر الساطع لمنع الأرواح الشريرة. وبعد شهر سبتمبر حيث موسم الأمطار يتقي الناس البرد عندما يتمّ تسخين المنازل بحرق سعف النخيل أو خشب النخيل.



شكل ونظام البيوت في المدينة السومرية

p/sumerian-hundred-years-war. html/http://sumer2sargon. blogspot. nl

وهناك قصور سومرية للملوك وحكام المدن والأثرياء. وتمتاز البيوت بوجود موقد فيها وقد يكون داخل مطبخ محدد. وكانت البيوت تبنى من الطين وحزم القصب، وفي المدن كانت تبنى من الطابوق الطيني المشوي (الآجر)، وكانت الجدران مشتركة مع الجيران، وكانت سعة الغرفة تتراوح بين (10 21-) قدماً. وكانت هناك حمامات في بعض البيوت الثرية مجهزة بالماء والزيت.



البيت السومري من الداخل

http://www. pinterest. com/pin/92112754848051944/

http://alternativearchaeology. jigsy. com/sumerian-social-life

عاش الملوك في القصور ومجمعاتها في المدن، وبنى الأغنياء بيوتهم قرب المركز، حيث تمّ بناء منازلهم من الطوب المجفف بالشمس، بينما كانت منازل الأشخاص الأقل حظًّا قد تمّ بناؤها من القصب. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه المباني كانت لا تزال تعتبر منازل وليست «الأكواخ» التي يتمّ تخيلها في كثير من الأحيان. ولبناء منزل بسيط، سيتمّ اقتلاع النباتات في المستنقعات الطويلة، ويتمّ جمعها معاً، وتربط في حزم ضيقة. بعد حفر الثقوب في الأرض، سيتمّ إدراج حزم القصب، حزمة واحدة لكل حفرة. بعد ملء الثقوب وتعبئتها بحزم، يتمّ ثني أزواج الحزم التي تواجه بعضها بعضاً وتربطها معاً في الأعلى، وتشكل قوساً. سيتمّ ضم الحزم المتبقية معاً بطريقة متشابهة... ثم يتمّ لفّ حصير القصب من الأعلى لتغطية السقف، أو تعليقه من فتحة الجدار لإنشاء باب.

الأسرة السومرية

شكلت الأسرة السومرية النواة الصلبة للمجتمع السومري الذي لم يكن قبليّاً، بل كان مجتمعاً مدينيّاً زراعيّاً يعلن بتواضع أنّ حضارته هي حضارة الطين، لكنها كانت أكثر الحضارات إشعاعاً وقوة، إذ إن مئات الآلاف من الرقم الطينية تدل على حسن التنظيم في كلّ شيء، وهو ما أبهر به العالم القديم مجتمع صغير كالمجتمع السومري، ولعل الأسرة السومرية كانت أعظم ما حافظ عليه هذا المجتمع بسنّ القوانين والشرائع التي تحفظ تماسكها وحقوقها ورعى، بشكل خاص، حقوق المرأة والطفل رغم أنه لم يستطع أن يلجم كليّاً غلواء الرجل وتهوره.

تتكون الأسرة السومرية، أولاً، من الرجل والمرأة، وتعدّ العائلة السومرية عائلة أبوية تكون فيها حقوق الأب أكثر من حقوق الأم أو المرأة، ولكن المرأة لا تُستَعبد مثل ما هو موجود في الحضارات الأخرى اللاحقة في العالم. وللمرأة السومرية عدة أسماء منذ طفولتها حتى كبرها موضحة في هذا الجدول:

الاسم السومري بالحروف اللاتينية	الاسم السومري	الاسم العربي
Dumu دومو		طفل
Maru-Dumu	مارو- دومو	ولد
Dumu- Sal	دومو سال	بنت
Munus -tur	مونوس تور	صبية
Ki-Sikil-Tur	كي سيكل تور	بنت بعمر 11-14 سنة
Ki-Sikil	كي سكل	شابة
Wardatu Sinnis	سنّس ورداتو	شابة
Assat	أسّات	زوجة
Beleti,Nin	بليتي، نن	سيدة
Ma	ما	امرأة
Dam	دام	سيدة متزوجة
Ma-Dam	ما دام (مدام)	السيدة المتزوجة الأم
Numasu	نوماسو	الأرملة
Sag-eme ,Sag-nunus	ساج إيمي، ساج نونوس	الأمة (العبدة)

أسماء المرأة في مراحلها المختلفة

لا بدّ من ملاحظة مصطلحين حديثين لهما جذران سومريان واضحان، الأول (دومو سال) الذي يعني البنت، فإذا ما أضفنا له مقطع (ما) معناه بالسومرية (امرأة) فيتكون لدينا كلمة (ما دومو سال)، وهي ذاتها كلمة مادموزيل التي تستخدمها اللغة الفرنسية وتعني بها المعنى نفسه، أي المرأة البنت أو المرأة الشابة غير المتزوجة.

أما المقطع المصطلح الثاني فهو (ما دام) الذي يعني بالسومرية المرأة المتزوجة الأم والذي تستخدمه أكثر من لغة أوروبية معاصرة بصيغة (مدام) لتعني به المرأة المتزوجة.

الكاهنات كنَّ يتزوجن، في المجتمع السومري، لأغراض اقتصادية واجتماعية وكنَّ يمنحن حقّ التبني أو حيازة الإماء للرجل من أجل الإنجاب، فهنَّ، في الغالب، كنَّ ممنوعات من الإنجاب، وبعضهن كنَّ ينجبن سرًّا.

وكانت حقوق الزوجة محفوظة إلى حدّ كبير في كل الشرائع السومرية (راجع فقرة الشرائع السومرية). وكان التماسك العائلي غاية عظيمة في مجتمع بدأ ينمو ويتخصص وتغلب فيه الأهواء الخاصة أحياناً.

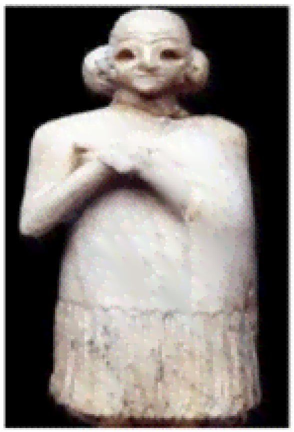
عقد الزواج محفوظ كلوحٍ من الطين عند الرجل والمرأة وهو مدوّن في محكمة وبحضور شهود، وبإشهار علني ذي حفلةٍ وبمعرفة الجميع وترعاه الآلهة والدولة.

كان الزواج بامرأة واحدة هو السائد، وكان الطلاق وارداً بشروط، وكان الإرث منضبطاً بقوانين، وكانت هناك محرمات مثل وجوب عدم الاتصال جنسيًّا بالزوجة قبل الزواج، وعدم المساس جنسيًّا لأيّ امرأة متزوجة وعدم الاتصال بالابنة وزوجة الابن وبالأم بعد وفاة الأب وبالأخت وحتى بابنة العم والخال. ولا يجوز للرجل حجب الإرث، ويجوز التبني وغيرها من القوانين تصون العائلة وتحميها.

3. المرأة السومرية

حظيت المرأة السومرية بمقام رفيع في مجتمعها وقد كفلت لها القوانين السومرية حقوقها في كل المجالات الاجتماعية. وحفظت شريعة أوركاجينا حقوق النساء المتزوجات والأرامل والأيتام،

وحمت النساء من جشع الطامعين بهن من أسرهنّ أو مجتمعاتهنَّ. ولعل أبرز ما احتوته، أيضاً، هو منع النساء من التزوج بأكثر من رجل واحد وسنّت عقوبة الرجم بالحجارة لكل امرأة تخالف ذلك.

		
سيدة سومرية في حدود 2400-2300 ق. م	امرأة سومرية من حوالي 2500 ق. م	سيدة أوروك حوالي 3500 ق. م، قناع مرمري

http://abitseries2bronzeage. wordpress. com/mesopotamian-women-labans-ladie
http://www. pinterest. com/tibettenzin/iraqmesopotamiababylonassyrian-and-the-sumerian

وكفلت الشريعة حقوق المرأة في العمل وساوت أجورها بأجور الرجل، ومن أهم الأعمال التي مارستها المرأة في ذلك الوقت هي الزراعة وغسل الصوف وصنع الأنسجة والأقمشة، أما أجورها فكانت مقادير محسوبة من الحبوب والزيوت والأغذية الأخرى.

وكذلك فعلت شريعة أورنمّو في موضوعات الحقوق والزواج والمهن الخاصة بالنساء. فالسومريات لهنّ الحق بامتلاك الإماء والبساتين والأرض والماشية والأملاك الأخرى، ولها حقوق الشراء والبيع وامتلاك وإعتاق الخدم والعبيد، ولها حق إبرام العقود. وللمرأة الحق برفض من يتقدم لها ولها الحق بالحصول على مؤخر الطلاق إذا انفصلت عن زوجها وهو منٌّ من الفضة (حوالي نصف كيلو غرام من الفضة). ولها الحق بعدم العودة إليه إذا طلب استعادتها بعد هجرها.

المرأة السومرية ظهرت بمهن كثيرة كالفلاحة والعمل داخل الحقول وغزل الصوف وبيع الخمور وتزيين الشعر وطحن الحبوب، وكان لبعضهن أختام خاصة في المعاملات. ومارست المرأة مهنة الكتابة. ومارست مهنة العزف على القيثارة.

سيدات المجتمع السومري:

هناك أمثلة واضحة تدلّ على المكانة الرفيعة لنساء سومريات حظين بمكانةٍ رفيعة في المجتمع السومري، فنال بعضهن لقب (باب. باب) الخاص بإنانا ويعني (نساء الخصوبة) وهنَّ:

1. دِم باندا: وهي زوجة الحاكم (إينيتارزي) حاكم لجش في حدود 2384 ق. م التي كانت تترأس الاجتماعات الدينية.

2. بارنماتارا: وهي زوجة الحاكم (لوكالندا) حاكم لجش الذي أزيح عن العرش بسبب جشعه في 2238 ق. م، والتي احتفظت بمقامٍ رفيع حتى بعد إزاحة زوجها وأقيمت لها مراسيم دفنٍ رفيعة بعد وفاتها من قبل شاشا زوجة أوركاجينا.

3. شاشا: وهي زوجة الحاكم (أوركاجينا) حاكم لجش الذي أزاح لوكالندا في أوركاجينا وهي كاهنة الإلهة باو في لجش.

4. بو آبي: وهي (شبعاد) زوجة ملك أور حوالي 2500 ق. م وقد عثر على تاجها في مقبرة أور ولا يعرف عنها الشيء الكثير ولكنها «تمتعت بمركز رفيع، إذ دفن معها تسعة وخمسون شخصاً وكميات كبيرة من الحاجيات الثمينة والعربات والأدوات، ولكن عدم وجود اسم هذه الملكة والملك زوجها في جدول سلالات الملوك دفع بعض المنقبين إلى اعتبارها من ضحايا الزواج المقدس أحد الطقوس السومرية التي كانت تقام لضمان الخصب والرخاء في البلاد. ففي هذه المراسيم كان الكاهن الأعلى أو الملك أو من ينوب عنه يقوم بدور الإله ويتزوج إحدى الكاهنات التي تمثل بدورها إلهة الخصب وذلك وسط ترانيم وصلوات وطقوس دينية معينة. وكان الملك يدفن مع حاشيته بعد قيامه بطقوس الزواج المقدس وذلك تشبهاً بإله الخصب تموز عند نزوله إلى العالم السفلي». (عقراوي 1976: 220).



بو آبي (شبعاد) ملكة أور

archive. html_http://womenofhistory. blogspot. nl/2013_11_01

5. سيمات أشتران: وهي ملكة مدينة جرشانا السومرية التي حكمت بعد وفاة زوجها في حدود القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد.

كانت بو آبي مدفونةً بكامل زينتها وممددة على سرير خشبي مع وصيفتين لها الأولى قرب رأسها والثانية قرب قدميها، ومعها ثلاثة أختام أسطوانية لازوردية تحمل اسمها ولقبها.

6. بارا – إينون: وهي ابنة أورلما في حدود 2470 ق. م حاكم مدينة (أومّا) (وهي تل جوخة الآن)، وهي زوجة كيشاكيدو ابن الحاكم إيل.

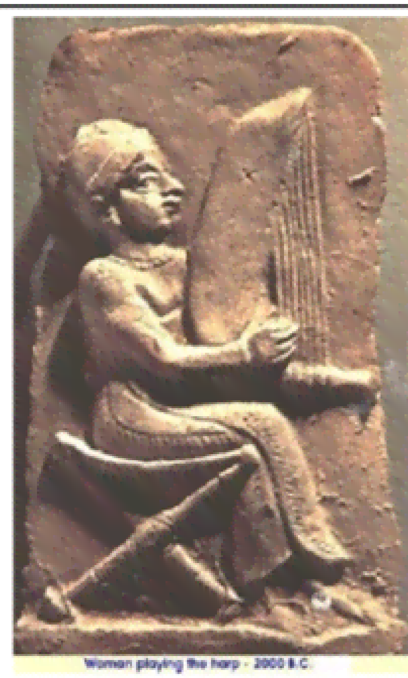
7. أبي سمتي: وهي ملكة من ملكات سلالة أور الثالثة ذكرت في مدونات حكم الملك أمارسين في حدود 3038 ق. م وقد حصلت على ألقاب دينية خاصة بتقديم الماشية أثناء المراسيم الدينية وساعدتها أختها (بيزوا).

8. كيمي أنيلا: وهي زوجة الملك أبي سين (3029 - 3006) ق. م

9. توكن – خاتا- ميكريشا: وهي أميرة من عصر أبي سين تزوجت حاكم مدينة ريشالي.

المغنيات والموسيقيات السومريات:

تظهر لنا، من خلال رسومات ألواح الطين والحجر والأختام الأسطوانية، صور كثيرة لنساء سومريات مغنيات وموسيقيات، فقد احترفت المرأة السومرية هذه الحرفة وجعلتها مصدراً من مصادر عيشها، وكانت مهنة العزف الموسيقي تحظى باهتمام بنات الملوك والأميرات السومريات. ولعل أشهر موسيقية ومغنية سومرية جاءت من ماري وهي (أورنانشه) وتسمى أيضاً (أورنينا).

	
امرأة سومرية تعزف على القيثارة في حدود 2000 ق. م	الم3غنية السومرية أورنينا



تمثيل حديث ورسم للمغنية السومرية أور نانشه (أو أورنينا)وهي تعزف وتغني في بلاط الملك السومري (إبلول – إل) من ماري حيث وجد اسمها في الكثير من المعابد واصفين إياها (المغنية العظيمة أور نانشه).

http://sumerianshakespeare. com/117701/117901. html

الزواج:

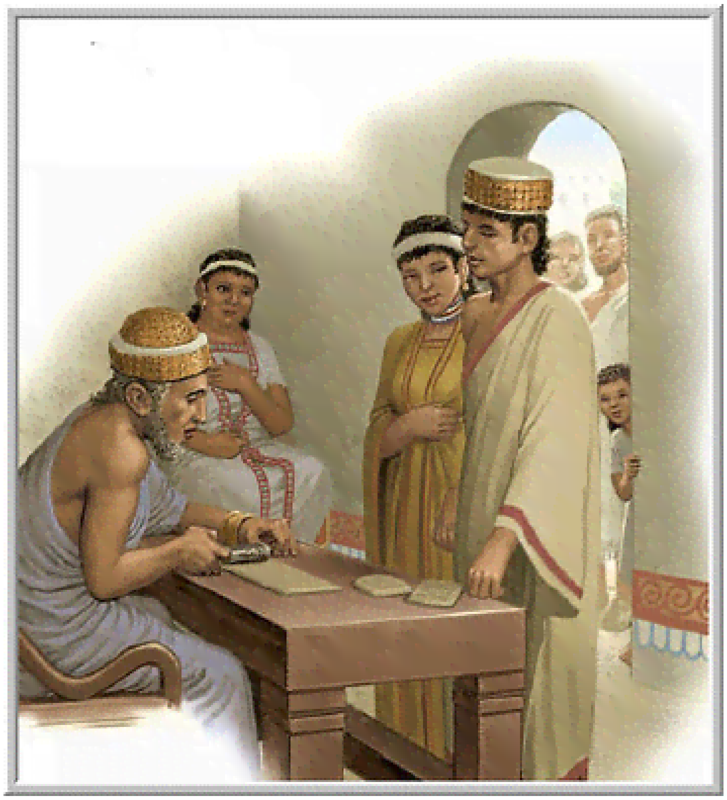
كان الزواج في المجتمع السومريّ قائماً على أساس الزوجة الواحدة Monogamy، لكنه كان يميل إلى التساهل مع الزوج والتشدد مع الزوجة، ويبدأ الزواج بعقد بين أولياء أمور الزوج والزوجة أمام عدد من الشهود.

يسمى الزواج (نام دام شي) و(بان توكو) أي (أخذها) وتعني أخذها كزوجةٍ، وتسمى الزوجة الشرعية أسّات أي (الست) بمصطلحنا الحالي.

ويبدأ بتقديم الهدية أو المهر للزوجة ويسمى في السومرية بـ (نج – ديّا) وهي عبارة عن حبوب ولحوم وزبد وتمر يرسلها الزوج إلى بيت العروس. ويقدّم لها مجموعة من الحلي من الذهب والفضة المرصعة بالذهب.

تقام طقوس الزواج بمباركة آلهة الزواج وأهمها (إشخارا)، ويبدأ بنزع قلنسوة العروس من قبل العريس ووضعها على رأسه، وذكرت بعض النصوص السومرية أنّ العريس بقوم بسكب زيت العطر على رأس عروسه. ثم تقام الوليمة.

كان الزواج يقوم بعقد عرفي أو عقد مكتوب، وكان هناك ما يسمى الزواج بالمعاشرة وهو زواج أيّ من الزوجين عندما يتركه الآخر لأسباب مختلفة، ومنها أيضاً زواج الأرامل.



عقد الزواج على لوح طينيّ

الطلاق:

الطلاق كان يسمى بالسومرية (تاك Tag) معناه تركَ أو افترق، وهناك أنواع عديدة من الطلاق، منها ترك الزوجة بلا سبب ويسمى (نيدام تاك) أي ترك الزوجة بهدية، وهو إعطاء الزوج ما يرضيها كهدية أو كثمن لتركها، وهناك طلاق لأسباب موجبة مثل ترك البيت وعدم معاشرة الزوج، وقد أعطت الشرائع السومرية الحق للزوجة أن تطلق الرجل في حالات خاصة مثل سوء

التصرف، وقد يطرد الرجل من بيت المرأة في بعض القوانين إذا ثبت سلوكه الشائن وكان عنده أطفال وتتكفل الزوجة بهم.

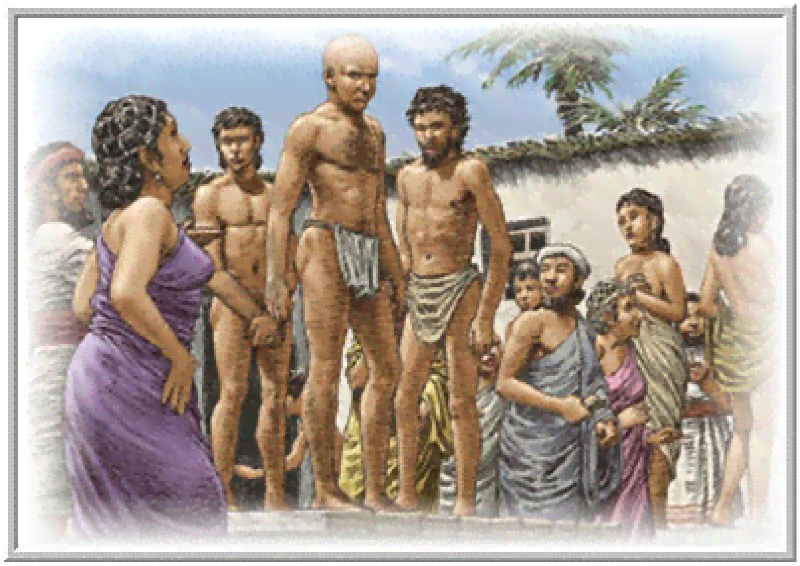
كان الإرث (نج- إي- أبّا) يذهب بالتساوي بين الأبناء إلّا إذا كان الأب قد نصَّ في حياته على هبة بعض أملاكه إلى ابن دون آخر. وكانت المرأة المتزوجة تأخذ حصتها من أملاك أبيها عندما تتزوج وهو ما يسمى بـ(البائنة) (سيركتو).

الإماء والعبيد في سومر

كانت العبودية أمراً مألوفاً في المجتمع السومري، فالعبيد والإماء هم من أسرى الحروب من غير السومريين أو من مدن سومرية أخرى، وكانوا أيضاً من السومريين الفقراء والمعدمين أو الذين وضعتهم القوانين في حالة اقتصادية مدقعة دفعتهم لأن يكونوا عبيداً «لقد اعتبرت الأمة والعبد في حضارة وادي الرافدين، سلعة تجارية يمكن بيعها وشراؤها، إيجارها واستئجارها، مقايضتها ورهنها وحتى وراثتها وإهداؤها. ولم يكن للعبد هوية شخصية يعرف بها، بل كان يشار إليه باسمه الأول فقط. كما استخدم مصطلح (ساج: رأس) عند ذكر عددهم، كما لو كانوا من الماشية والأغنام، فيقال مثلاً: يملك فلان عشرين (رأس) عبد، أو باع فلان ثلاثين (رأس) أمة». (عقراوي 1976: 133)

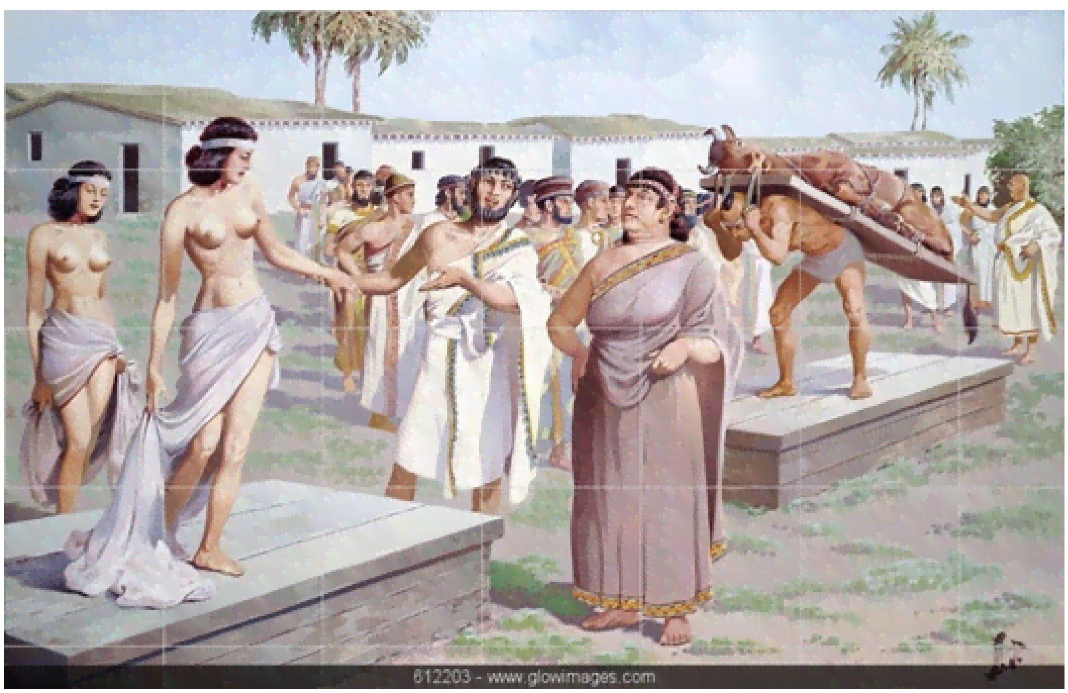
كان أدنى نظام اجتماعي هو العبيد، يسمى العبد الذكر: ساج نيتا والعبدة الأنثى: ساج إيمي، ساج مونوس (الفتاة). يمكن للمرء أن يصبح عبداً بعدة طرق: القبض عليه في الحرب، بيع نفسه في العبودية لسداد الدين، أو بيعه كعقوبة على جريمة، أو خطفه وبيعه كرق في منطقة أخرى، أو بيعه من قبل عائلة عضو لتخفيف الديون. وكانوا يعملون في المنازل، وفي إدارة العقارات الكبيرة، وتعليم الأطفال الصغار، ورعاية الخيول، وعملوا كمحاسبين وصناع ماهرين للمجوهرات، وكان العبد الذي يعمل بجد لسيده يمكن في النهاية شراء حريتهم ويطلق سراحهم.

وكان يتمّ شراء العبيد والإماء من الأسواق حين عرضهم فيها من قبل مالكيهم. وقد ورد أول عقد بيع لعبد من قبل زوجة حاكم مدينة لجش إينترزي واسمها لوكال بندا فقد اشترت ابن الموظف جانكيكو وهو مغني المعبد ودفعت له مبلغ 1/3 منّ من الفضة وكوراً كبيراً من الحبوب ومقداراً من الجعة وعشرين رغيفاً من خبز شوكو وعشرين رغيفاً من خبز فا وذكر أسماء الشهود في العقد. (انظر عقراوي 1978: 134).



شراء العبيد

sumerian-family-/2011/12/http://stravaganzastravaganza. blogspot. nl life. html



شراء الجواري

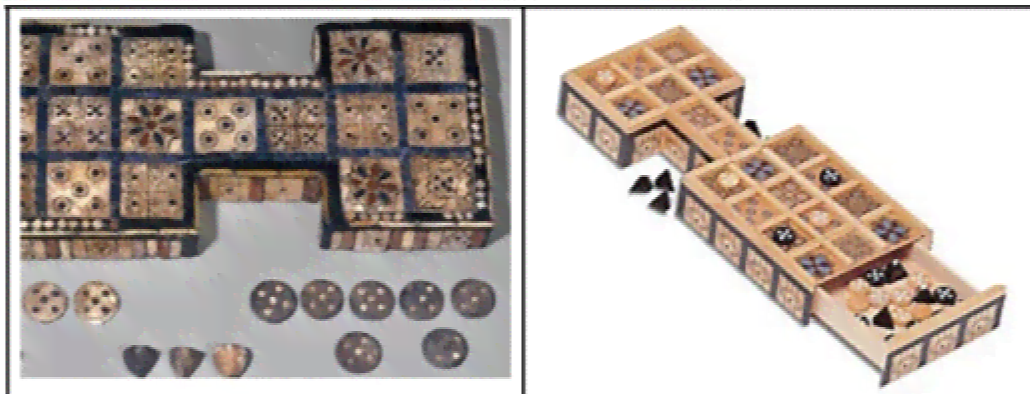
/pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia .http://www

المبحث الثالث: النشاطات الاجتماعية

1. الهدايا والألعاب الاجتماعية

ظهرت الهدايا ومختلف أنواع الألعاب في سومر مبكراً وظهرت آثار دالة عليها، ولعلّ من أهمها هي لعبة العشرين مربعاً، وهي عبارة عن قطعة مصنوعة من الخشب مع أغشية من العظام، واللازورد، والحجر الجيري الأحمر. عثر عليها في المقبرة الملكية في أور وتعود إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وأبعادها حوالي 10. 5 بوصة طويلة و4. 5 بوصة.

القواعد الأصلية غير معروفة، تضم اللعبة سبع علامات وتتألف من مجموعتين، واحدة بيضاء والأخرى سوداء. وتضمّ عشرين مربعاً منقوشاً بنقوش مختلفة (5 نقوش لزهرة ثمانية الوريقات وذات مركز، وخمسة نقوش لنقش خماسي النقاط، وخمسة نقوش لنقش رباعي النقاط داخل علامة +، نقشان لنقش يضم 4 مربعات صغيرة ذات مركز، نقشان لمربعات متداخلة ذات مركز خماسي النقاط، شكل رباعي يضم أربعة مربعات خماسية النقاط).



لعبة سومرية خشبية من أور بثماني قطع هرمية صغيرة و14 قطعة لعب

وتظهر اللعبة الشهيرة التي اكتشفت في المقبرة الملكية في أور (القرن 26 قبل الميلاد) غامقة مثل طاولة الزهر الحديثة، التي تضمنت علامات ومساحات. جاءت علامات مستديرة في لونين - واحدة لكل لاعب. وقد وضعت أحجار بألوان مختلفة في جرة.

2. الرياضة

كانت الرياضة مرتبطة بالكامل بالطقوس الدينية قبل سومر، فقد كانت المصارعة، مثلاً، طريقة من طرق اختيار الرجل المناسب لكاهنة وزعيمة الأقوام الزراعية في عصر النيوليت في شمال وادي الرافدين، لكنها تحولت إلى ممارسة دنيوية، وربما صارت جزءاً من احتفالات أعياد رأس السنة في الحضارات اللاحقة. وفي سومر نجد الكثير من شواهد الرياضية مرسومة ومنحوتة، ففي أشنونا هناك منحوتة للملاكمة في حدود 3000 ق. م، وهناك أيضاً منحوتات نحاسية للمصارعة.



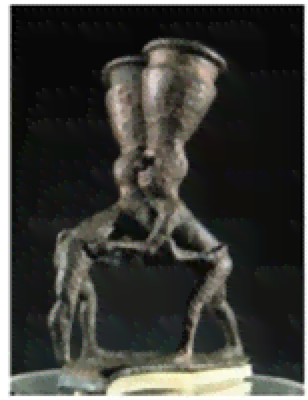
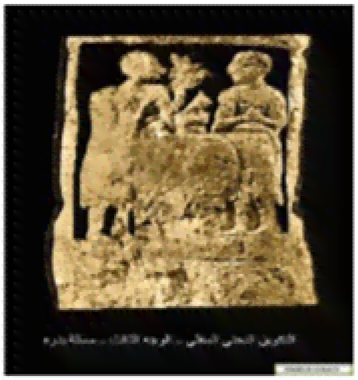
مشهد للملاكمة في سومر 3000 ق. م / حجر مشوي من أشنونا



مشهد مصارعة في سومر 2900 ق. م / نحت حجري

http://www. pinterest. com/pin/302444931197221053/

http://web-facstaff. sas. upenn. edu/~dromano//classes/ancient_athletics/200702/a. html

		
مشهد للمصارعة في سومر / نحت نحاسي 1900 ق. م متحف بغداد		مسلة بدرة

http://www. pinterest. com/uskumantur/etruscan-olympics/

ومن بدرة وفي عصر فجر السلالات الأول (3000-2600) ق. م في (تل بيرم) عثر الآثاريّ العراقي فؤاد سفر على مسلة رياضية وهي منشورية الشكل وذات نحت بارز ظهر في أوجهها الأربعة ذات الحقول الأربعة لكل وجه، وتحتوي مشاهد المصارعة بلباس مصارعة خاص يشبه الملابس الدينية للكهنة، ويأتي تحتها مشهد لشخصين متقابلين بينهما منضدة عليها إناء ماء ويمسك أحد الشخصين مرشةً من الأغصان يرش بها وجه الشخص الآخر وكأنه الشخص المسؤول عنه في لعبة المصارعة ويظهر كما لو أنه يباركه أو يعيد النشاط له. (انظر سفر1971: 16).

مسلة بدرة الرياضية

كانت هناك أنواع كثيرة من الرياضة في سومر منها الركض الذي اشتهر به الملك شولجي، ومنها تجديف الزوارق، ومنها المصارعة والملاكمة... إلخ

3. الزينة والنظافة

كانت عامة الناس تستحم بالأنهار أو القنوات، لكن القصور والبيوت المرفهة كانت تحتوي على حمامات داخلية. ولا نعرف ما إذا كانوا يستعملون مادة لتنظيف أجسادهم، أما الشعور فتدهن بالزيت (زيت الزيتون) وكذلك البشرة والجسد وهي زيوت عطرية أيضاً.

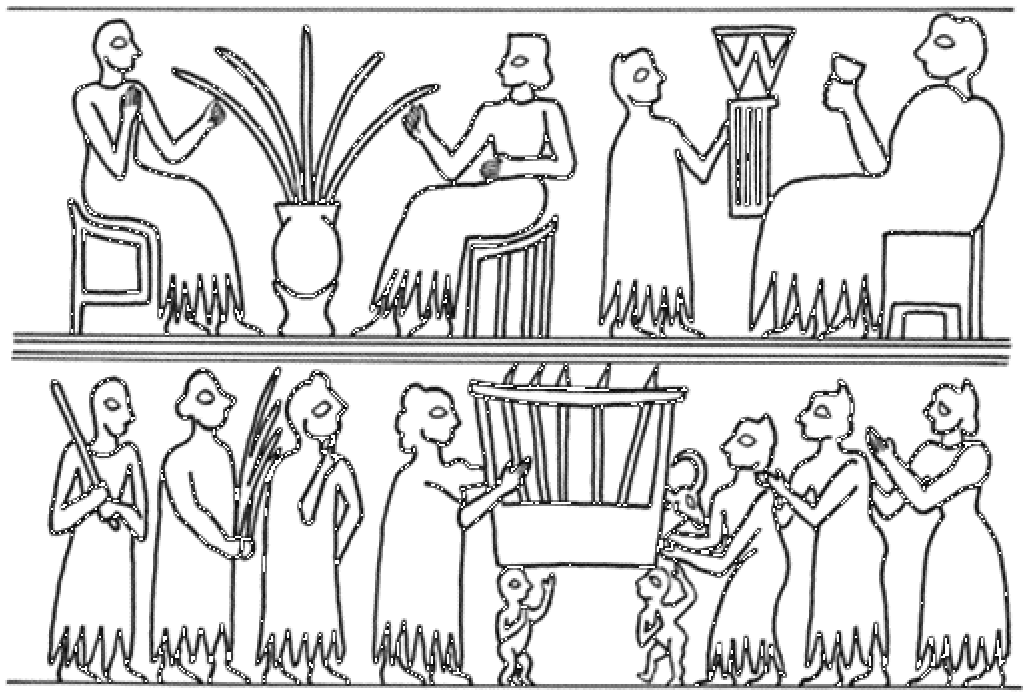
كانت حلاقة الشعر وترتيبه من الأمور الطبيعية، وكان السومريون يحلقون الشعر، في شهر أيلول، على شكل طرّة علوية ويزيلون الشعر من جوانب الرأس حزناً على ديموزي، وهو الإله الذي يموت مع بدايات الخريف، وكان ينوح الناس على موته ويرون أنه سبب حلول الخريف. وكان هذا هو السبب الذي يجعل السومريين يسمون أنفسهم (ذوي الرؤوس السود) ويقصدون أنّ الشعر الأسود يتضح أكثر بجعله على شكل طرّة محددة. وكان الكهنة أكثر من يستخدم العطور الزيتية.

4. الخمر واللهو الاجتماعي

كان اسم البيرة بالسومرية (كاو) وبالأكدية (أويكارو) وكانت جلسات الشراب الحميمة تقضي بوضع البيرة في جرة واحدة (كاو دو) وتوضع فيها قصبات طويلة ويشرب منها بالقصبة، وفي المراسيم والاحتفالات تشرب بالكؤوس.



الشراب بالكؤوس



ختم أسطواني من أور يمثل رجلاً وامرأة وهما يشربان البيرة بالقصبة / حوالي 2600 ق. م

http://www. matrifocus. com/SAM06/spotlight. htm

riversfromeden. wordpress. com/2012/03/30/a-gallery-of-//:http /inventions

وهو مشهد احتفالي من اليمين امرأة تحمل كأساً، ومشهد لامرأة مع رجل يشربان البيرة من جرة عن طريق قصبة، والمشهد السفلي عبارة عن مجموعة من النساء اللائي يصفقن ويرقصن فيما تتوسط القيثارة ذات رأس الثور وتمسكها امرأة خلفها ثلاثة رجال. رسم على اللازورد من مقبرة أور حوالي 2550 - 2400 ق. م.

كُتب أول دليل وثائقي مصور عن المشروبات الكحولية باللغة السومرية في حوالي عام 3200 قبل الميلاد، وكان يتعلق بالبيرة بدلاً من إنتاج النبيذ ويستخدم رسماً مصوراً محدداً للبيرة نفسها - مخطط لسفينة طينية عليها خطوط قصيرة مائلة. إن وضوح هذه الصور البيانية تشير إلى أنّ البيرة كانت، في هذا الوقت، شائعة وأن عملية التخمير قد تطورت في فترة سابقة إلى حدّ كبير في بلاد ما بين النهرين. (أختام ذات رسم تخطيطي مشابه تعود إلى عام 4000 قبل الميلاد). وتمّ

العثور على أول دليل على إنتاج النبيذ في هذه المنطقة في جمدت نصر، التي يعود تاريخها إلى حوالي 3000 قبل الميلاد. ومع ذلك، يبدو من الواضح أنه على الرغم من أنّ النبيذ كان متاحاً للسومريين، إلّا أنّ البيرة ظلّت المشروب الأكثر شيوعاً وتميزت في طقوس المعبد منذ ما يقرب من ألفي عام.

انظر: (Mandelbaum 1965: 281- 293)

5. الحب والجنس

تحولت قصة العلاقة بين إنانا ودموزي إلى محور فريد لأسطورة وأناشيد الحب والجنس في العالم القديم بأكمله، فقد تفرعت منها قصص وأساطير مشابهة في مختلف الأرجاء لكن نواة إنانا ودموزي بقيت ماثلة للعيان.



إنانا ودموزي

gif .http://www. reweaving. org/images/marriage4

لا بدّ لنا، أول الأمر، من تصنيف هذه الأناشيد الغزيرة إلى قسمين أساسيين هما: قصائد الحب والجنس والزواج المقدس، ثم قصائد الحزن ورثاء دموزي بعد نزوله إلى العالم الأسفل.

تبدأ قصائد الحب بين إنانا ودموزي بقصيدة حوارية شهيرة هي الحوار بين دموزي (الإله الراعي) وإنكمدو (الإله الفلاح) لخطب ودّ إنانا. وتبدأ قطعة الحوار هذه بمحاورة بين إله الشمس (أوتو) أخ إنانا مع أخته حول الكتّان الذي بذر بذوره في الأرض وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي، بعد أن تجلب لي الكتان من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأسئلة والأجوبة بينهما حتى يقول لها أوتو بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله (من سينام معي بعد ذلك) فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن إنكمدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان لكنهما يتصالحان في النهاية ويدعو دموزي الفلاح إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لهما هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها إله القمر (نانا) فبعد أن تتزين بكامل زينتها وتضع عليها الحليّ والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على باب حجر اللازورد فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج بدموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أما أشموكال أنّا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد – ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب – لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112).

وهناك قصائد وأناشيد كثيرة تُفصح عن قصة الحب بين إنانا ودموزي وتكشف عن عمق علاقتهما، ففي واحدة من القصائد تتغنى إنانا بشعر دموزي وتصفه بأنه كثيف مثل النخلة (يا كثيف الشعر مثل النخلة أنت لي)، وتطلب منه أن يشد شعره على فخذيها ست مرات (ستة أضعاف شدّه على فخذيّ يا حبيبي يا أسدي يا كثيف اللّبدة) وتتغزل إنانا بوجه دموزي فتصفه بأنه تحفة الصائغ وأنه تمثال ذهب.

وفي قصيدة أخرى تصفه بأنه كالأسد وبأنه حلو كالشهد (حلو كالشهد أيها الأسد العزيز على قلبي ما ألذ وصالك) وتطلب منه دائماً أن يأخذها إلى غرفة النوم وأن يبقى معها هناك. وتصفه بالعريس (أيها العريس دعني أقبلك فقبلتي العزيزة أحلى من الشهد).

وكذلك تتغزل بلحيته اللازوردية (كم هي فاتنة لحيته اللازوردية الراعي الذي خلقه آن من أجلي).

وتقدم نفسها على أنها لباسه وملابسه بمختلف ألوانها (إنانا الحلوة، إنانا الباسلة، إنانا لباسك، ثوبك الأسود وثوبك الأبيض).

وفي صورة نادرة تقوم إنانا بإطفاء القمر ليعمّ الظلام وتستطيع أن تُدخل دموزي إلى بيتها لتمارس معه الحب (في الأعالي عندما أطفئ القمر، عند ذلك سأجلب المزلاج من أجلك) وتسمّي إنانا دموزي تسمية محببة وهي (الرجل العسل) وتصفه بأنه صاحب القدمين الملساوين الشائقتين وتصف شعره المجعد بأنه يشبه الخس النامي قرب ينابيع الماء، وتصف إنانا مداعبات دموزي لها وتقول بأن دموزي أخذها إلى حديقته وطرحها تحت شجرة التفاح في عزّ الظهيرة وبأنها رمت الخضار من حضنها فوضع يده على يدها ورجله على رجلها، وعلى فمها وضع فمه (وسكب حبًّا وسكب بحضني حبًّا) وتصف إنانا ثدييها المنتصبين وفرجها المكسو بالفروة وتطلب من خادماتها أن يرقصن لأجل فرجها.



مشهد جنسي من وادي الرافدين

/mythology-http://oldnewt1. wordpress. com/category/mesopotamian

ثم تتحدث عن حبيبها كيف تمدد على الفراش الناعم، وكيف تمدد فوق قلبها وكان لسانه في فمها ويداه على خصرها وتصيح إنانا:

«فرجي... فرجي... التلة المنتفخة من سيحرثه لي؟

أنا البنت، من سيحرثه لي

فرجي الأرض الرطبة من سيحرثه لي

أنا الملكة، فرجي

فرجي من سيضع ثوره فيه... من؟

فيجيبها دموزي: أنا دموزي سأحرثه

فتطلب منه إنانا: احرثه يا رجل قلبي

احرث

احرث... احرثه إذن

احرث فرجي يا رجل قلبي». (كريمر 1986: 113)

وينتهي المشهد بتدفق (ماء القلب)، كما تصفه النصوص السومرية، من حضن دموزي، وتخلط هذه النصوص تدفق ماء القلب مع الزرع والقصر والحقول... (تدفق وسكب، في الحقل تدفق، قرب حفيف الزرع، قرب منابت البذور وبجانب هذا الحقل تدفق حقل البلد، تدفق بيت الحياة، تدفق القصر الملكي وملأت البهجة قلب حبيبته، في بيت الحياة، في القصر الملكي إنانا بقيت كاملة البهجة).

هذه النصوص وغيرها تصف ذلك الفضاء العاطفي والجنس الذي كان بين الإلهين إنانا ودموزي، وأغلب هذه القصائد تأتي على لسان إنانا.

ولا نريد أن نفصل أكثر في ذكر هذه القصائد أو مضامينها فقد اكتفينا بما رويناه عنها، كذلك لا نريد أن نفصل في ذكر قصائد الرثاء والحزن بعد أن يغيب دموزي في العالم الأسفل لكننا نشير إلى أن غياب دموزي يسبب الجدب والبوار للطبيعة كلها... النبات والحيوان والإنسان.

وقد قمنا في أكثر من كتاب بشرح مفصل للأسباب التي دعت دموزي إلى مواجهة هذا المصير، ولعل أهمها هو الأصل المائي المنحدر من إنكي لدموزي والذي هو أدنى من الأصل الهوائي المنحدر من إنليل لإنانا، وأن بنات إنكي دائماً يكنَّ زوجات لأبناء إنليل إلّا هذه الحالة الاستثنائية التي كان لا بدّ لدموزي من دفع ثمنها. (الماجدي 1998: 224).

ولا يختلف سلوك عشتار وتموز الأكديين والبابليين عن نظيريهما السومريين وتحفل قصائد الحب والجنس البابلية بما يشبه ما ورد عند السومريين.

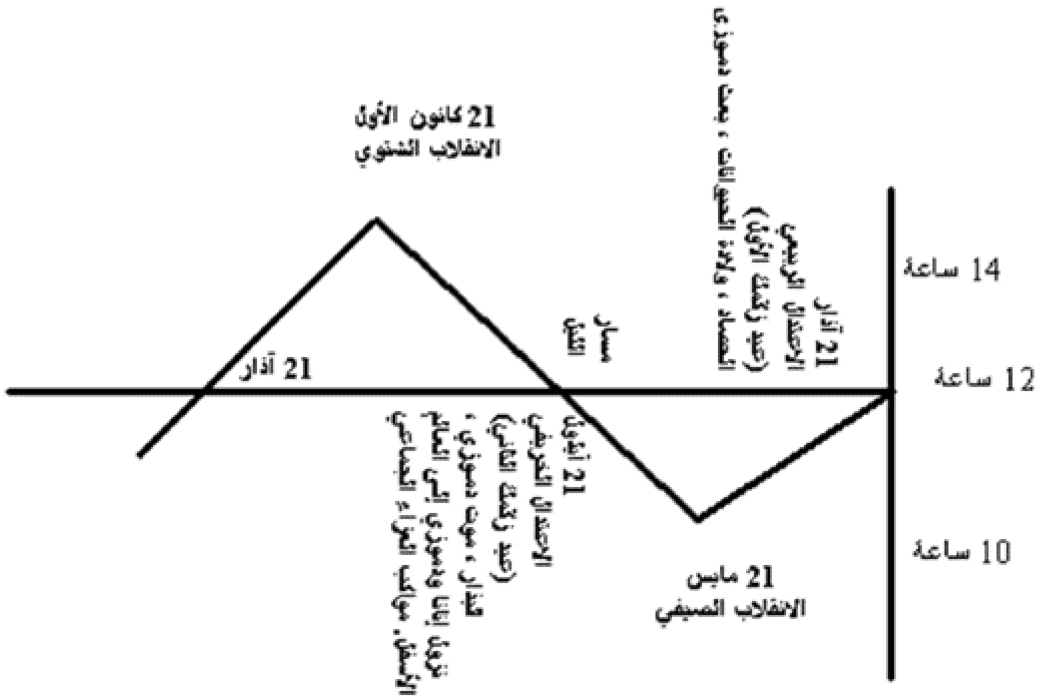
طقوس الخصب والجنس

1. طقوس الفصول والأعياد الزراعية:

عندما أصبحت الزراعة أمراً أساسيًّا في حياة الإنسان القديم وعندما بدأ هذا الإنسان يحصل على نتائجها بالعمل والكدح احتفى بها وتألم عند تعثرها ولذلك لازمتها، بالتالي، مجموعة من الطقوس السحرية والأسطورية التي كانت غايتها التمسك بهذه الوسيلة الصحيحة لعيش الإنسان الكريم ومصدر طعامه وأفكاره من نتائجها الطيبة، ولذلك لا بدّ لنا قبل معرفة هذه الطقوس والأعياد من معرفة مواسم الزراعة وفصولها في سومر، ولكي نفعل ذلك سنستعير مخططاً فلكيًّا توصل إليه العراقيون القدماء (السومريون) بحسهم الطبيعي الفطريّ ورؤيتهم الثاقبة لتتابع الفصول وساعات الليل والنهار، ويأتي تنظيمنا لهذا المخطط الفلكي من المعلومات الدقيقة عندهم حول ظواهر الطبيعة تلك عندما رأوا أنّ ساعات النهار تتساوى مع ساعات الليل (حيث يبلغ كل منهما 12 ساعة تماماً) في يوم 21 آذار (بتوقيتنا الحالي)، ولذلك اعتبروا هذا اليوم بداية للسنة السومرية وهو اليوم الذي يمثل الاعتدال الربيعي، وكان اسم هذا العيد (زكمك الأول) وهو عيد الحصاد وولادة الحيوانات وتقام فيه طقوس بعث دموزي وزواجه بإنانا وأعياد الزواج المقدس. بعد هذا التاريخ تبدأ ساعات الليل بالنقصان ويصل النقصان إلى ذروته في 21 مايس حيث يكون 10 ساعات بينما يطول النهار إلى 14 ساعة، في هذا الوقت يكون الانقلاب الصيفي. وبعد هذا التاريخ يعود الليل بالارتفاع فيزداد زمنه حتى يساوي الليل النهار (12 ساعة لكل منهما) في 21 أيلول فيكون الاعتدال الخريفي. وهنا يبدأ الاحتفال الثاني ويسمى (عيد زكمك الثاني)، وهو عيد البذار حيث تبذر البذور في الأرض ويحتفل في هذا التاريخ بنزول إنانا ثم دموزي إلى العالم السفلي وتبدأ مواكب العزاء الجماعي وتقلّ الغلة ويحل الجدب والصيف.

بعدها يبدأ الليل بالزيادة فيصل في ذروته إلى 14 ساعة في 21 كانون الأول حيث الانقلاب الشتوي والبرد القارس. ثم يبدأ بعدها بالانخفاض ويصل إلى مساواة النهار في 21 آذار، وهكذا يعاد موسم الزرع والاحتفالات.

إن مثل هذا المخطط الفلكي التقويمي يوضح لنا العلاقة بين الزراعة والجنس وتتويج الملك ويشمل ذلك حركة الكواكب مثل الزهرة (التي هي كوكب إنانا).



مخطط فلكي تقويمي سنوي يوضح علاقة

فصول السنة وطول الليل والنهار بالزراعة وأعيادها والطقوس المرافقة لها عند السومريين

2. طقس الزواج المقدس:

تمتد فكرة الزواج المقدس عميقاً في طيات التراث الزراعي لأقوام العراق الشمالية القديمة التي اكتشفت الزراعة وعهدت للمرأة دور زعامة المجتمع وقيادة شؤون الزراعة بسبب قابليتها على الإخصاب والتكاثر، ولذلك كان بإمكانها انتخاب من تحب أو من يليق بها بعد نزال بالمصارعة أو القتال المباشر ليكون حاكماً إلى جانبها أو إلهاً إلى جانبها. ولكن الفكرة على جانب فلسفي أعمق بكثير من هذا، فالطبيعة التي خلقتها الآلهة بحاجة إلى الإدامة والتواصل والتكاثر وأكثر «ما يحتاج إليه الإنسان والحيوان أكثر من كل شيء آخر ضماناً لتناسلهما وانتشارهما وتكاثرهما هو الحب العاطفي والشهوة التي تؤول إلى الاتحاد الجنسي وتولد المني المخصب في الرحم، وهو (ماء القلب) وقد وضعت هذه العواطف الرقيقة واللذيذة في عهدة إلهة الحب ذات الجاذبية والإغواء والنزعة الحسيّة الشهوانية، هي الإلهة إنانا، التي كانت عبادتها في إحدى كبريات المدائن السومرية هي مدينة إيريك منذ حوالي 3000 ق. م أو منذ أقدم هذا التاريخ حتى». (بوتيرو 1970: 89).

ولا شك أنّ أقدم صورة للزواج المقدس كانت حصراً على الآلهة ثم أصبحت على من يمثل هذه الآلهة، ولأن المرأة كانت تعبد كإلهة أم... لذلك بدأ يتدرج هذا الطقس في نزوله من الآلهة إلى الملوك والكاهنات المقدسات، ولم يلامس البشر العاديين إلّا في صورة البغاء المقدس الذي شاع في أواخر الدولة البابلية وكانت بعض المعابد أماكن لممارسته كما يشاع.

الزواج المقدس عند الآلهة: نرجّح أنّ البدايات الأول العملية له كانت على شكل طقوس جنسية غامضة يشوبها السحر في المراحل التي تلت اكتشاف الزراعة وربما بشكل أكيد في مناطق سامراء وتل الصوان عندما استوطنها الإنسان العراقي القديم. ولكن أول أدلة كتابية ترجع إلى زمن الأمير (جوديا) من سلالة لجش الثانية من حدود 2150 ق. م حيث يتحدث في أحد نصوصه عن «زواج الإله ننكرسو، إله مدينة لجش، بالإلهة باو Bau، وهناك إشارات إلى زيجات إلهية أخرى نذكر منها زواج الإله نانا (إله القمر) بالإلهة ننكال في أور، والإله أوتو بالإلهة أنتو في الورقاء، الإله شمش بالإلهة آيا Aia في سبار، الإله مردوخ بالإلهة صربانتيم Sarpanitum في بابل، الإله نابو بالإلهة تشميتم Teshmitum في بورسبا». (علي1973: 140).

وبذلك يكون الزواج الإلهي المقدس قد تطور من ذلك الطقس الزراعي القديم فأصبح إله المدينة يتزوج إلهة المدينة. لكن الزواج الإلهي المقدس لم يأخذ صورته الواسعة والشاملة والكبيرة إلّا في زواج إنانا من دموزي. وقد وضع العالم الكبير صموئيل نوح كريمر كتاباً كاملاً في طقوس الجنس المقدس وجمع فيه صورة الزواج الإلهي المقدس السومريّ بين إنانا ودموزي يمكن تلخيص مراحلها أو خطوطها بالنقاط المتتابعة التالية:

1. اختيار إنانا لدموزي من بين الآخرين ويتضمن ذلك دعوته وتفضيله على الفلاح إنكمدو والفخر بنسبها من أبيها وأمها.
2. استحمامها بالماء والصابون
3. التودد والخلوة
4. إقامة السرير المثمر في حرم الآلهة وتطهيره وإعداده.

5. قيامة ننشوبر (وزيرة إنانا) لدموزي إلى حضن عروسه.

6. المضاجعة وإخصاب الكون كله.

ومن أجل معرفة العلاقة بين الإخصاب الإلهي الجنسي الطابع والإخصاب الطبيعي الزراعي الطابع نختار هذا المقطع من قصيدة سومرية تصف هذا المشهد:

«لعلّ الرب الذي دعوته إلى قلبك

الملك، زوجك الحبيب يتمتع بأيام مديدةٍ على حضنك الحلو، المقدس

امنحيهِ حكماً عظيماً ومجيداً

امنحيهِ عرش الملك على أساس مكين

امنحيهِ القدرة على تدبير شؤون الناس، الصولجان والمحجن

امنحيهِ تاجاً لا يبلى وإكليل نور على رأسه

من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب الشمس

...

كالفلاح، لعله يكثر أعداد حظائر الغنم

لعلّ في حكمه يكثر الزرع ويتوفر الحب

لعلّ النهر يفيض

وفي الحقل يكثر الحَبّ

وفي السبخة يزقزق العصفور ويصوّت السمك

وفي الدغل ينمو عالياً القصب المسنّ والقصب الفتي

وفي السهب تنمو عالياً شجرة (مشجور)

وفي الغابات يكثر الأيل والماعز البري

لعل الغياض تنتجُ عسلاً ونبيذاً

ومساكب البستان تنبتُ خسًّا ورشاداً عالياً

وفي القصر تكون حياةً مديدة

وفي دجلة والفرات يكون فيض الماء

وعلى الضفاف ينبتُ العشب عالياً، ويملأ المروج

وملكة الخضرة المقدسة تجمعُ الحبّ أكواماً وتلالاً

أي مليكتي، ملكة الأرض والسماء،

الملكة التي تحيط بالسماء والأرض

لعلّه يستمتع بأيامٍ مديدة على حضنك المقدس». (كريمر 1986: 121-122).



صورة من رقيم طيني للإلهة إنانا ولإله (ربما كان دموزي) وهما تحت شجرة الحياة

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

الزواج المقدس عند الملوك

يشير ثبت الملوك السومريين إلى أنّ الملوكية بعد أن هبطت ثانية من السماء، بعد الطوفان، حطت في كيش أولاً ثم الوركاء. وفي الوركاء حكم اثنا عشر ملكاً. كان الملك الرابع فيهم هو (دموزي Dimuzi)، صائد السمك، الذي كان أصله من مدينة كوا وحكم 100 عام». (باقر2009: 292).



إنانا تسلم دموزي رموز السلطة وهو يسقي شجرة الأرز

bibleorigins. net/InannaCedarDatePalmNibruKing. jpg .http://www

ويبدو أنّ ظهور دموزي كملك مرتبط إلى حدّ بعيد بتحول نوعي في طقس الزواج الإلهي المقدس، فقد أصبح الزواج ملوكيّاً ممثلاً للإله وفقدت الإلهة مركزيتها وأصبحت تمثلها الكاهنة العليا المقدسة في طقس الزواج المقدس، وهذا يعني أنّ الرجل عندما أصبح هو الحاكم والملك احتفظت المرأة بمكانتها المقدسة المنحدرة من (إنانا) في شخصية الكاهنة العليا وهكذا أصبح الملك أيضاً يمثل دموزي أو يُخلع عليه هذا اللقب. ويبدو أنّ طقوس الزواج الملكي المقدس في مراحله الأولى كان طقساً من طقوس التضحية إلّا أنه فيما بعد أصبح طقساً دراميّاً، ونلاحظ أنه استقر كثيراً في عصر فجر السلالات «ومن ذلك ما يذكره إيانتم 2550 ق. م أحد أمراء سلالة لكش الأولى أنه (الزواج المحبوب للإلهة إنانا) وما يذكره إنتميمينا Entemena 2500 ق. م أنّ الإلهة إنانا أحبته وأنها لذلك أعطته ملوكية كيش بالإضافة إلى إمارة لكش. ويجد الباحث في نصوص جوديا 2150 ق. م أمير سلالة لكش الثانية إشارات صريحة إلى قيام هذا الأمير بدور الزوج الأول للإلهة (باو) في لكش وإلى تأدية الطقوس والمراسيم الخاصة بهذا الزواج كالاغتسال الطقسي وتقديم هدايا الزواج والقرابين». (علي 1973: 12).

	
مشهد للملاكمة في سومر 3000 ق. م / حجر مشوي من أشنونا	مشهد مصارعة في سومر 2900 ق. م / نحت حجري

http://www. pinterest. com/pin/302444931197221053/

http://web-facstaff. sas. upenn. edu/~dromano//classes/ancient_athletics/200702/a. html

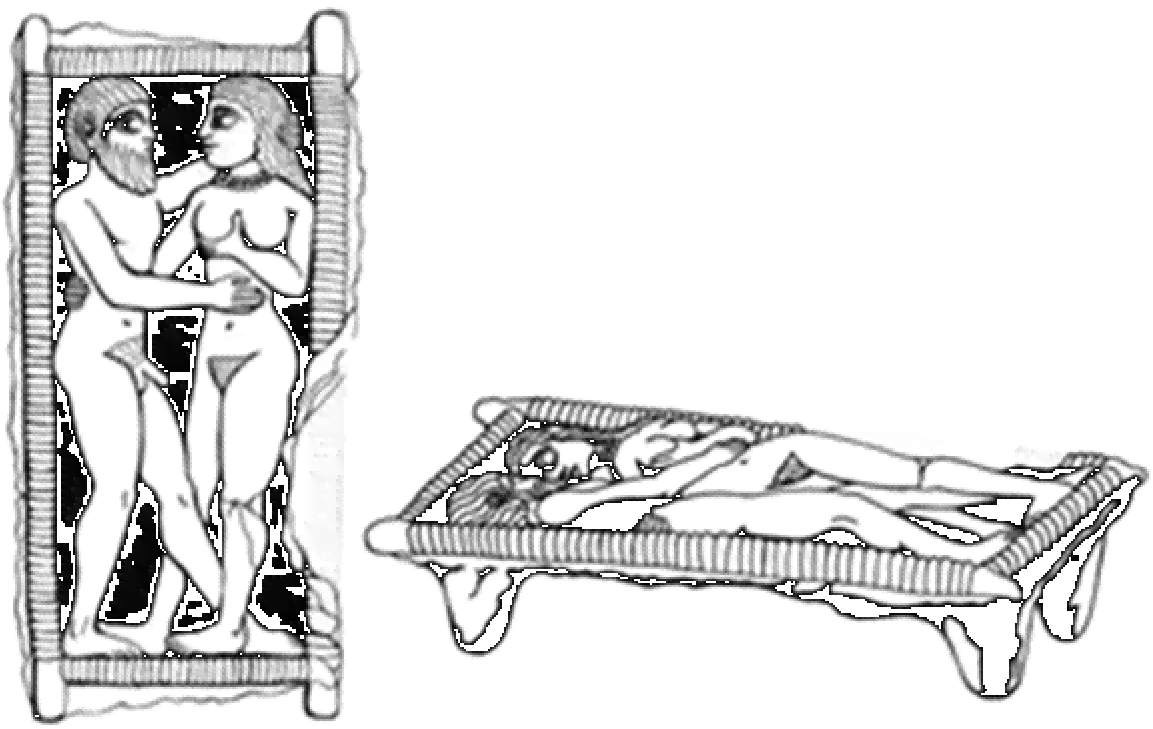
وكانت طقوس الزواج الملكي المقدس في هذه المدن تتضمن مجموعة من الطقوس المتشابهة التي يمكن إجمالها بالخطوات التالية:

1. وصول موكب الملك إلى معبد الإلهة إنانا
2. تقديم الملك إلى عروسه الكاهنة (الكاهنة العليا للإلهة إنانا).
3. المضاجعة
4. تقرير المصير
5. إقامة احتفال ووليمة كبرى

وتكاد هذه الطقوس تشبه طقوس الزواج الإلهي المقدس، والمهم أنّ الجوهر الإخصابي في كليهما هو الأساس. وقد عكست قصائد الحب التي وصلت من العصر السومري الحديث وعصر إيسن وجود هذا الطقس مع ملوك سومريين آخرين هم:

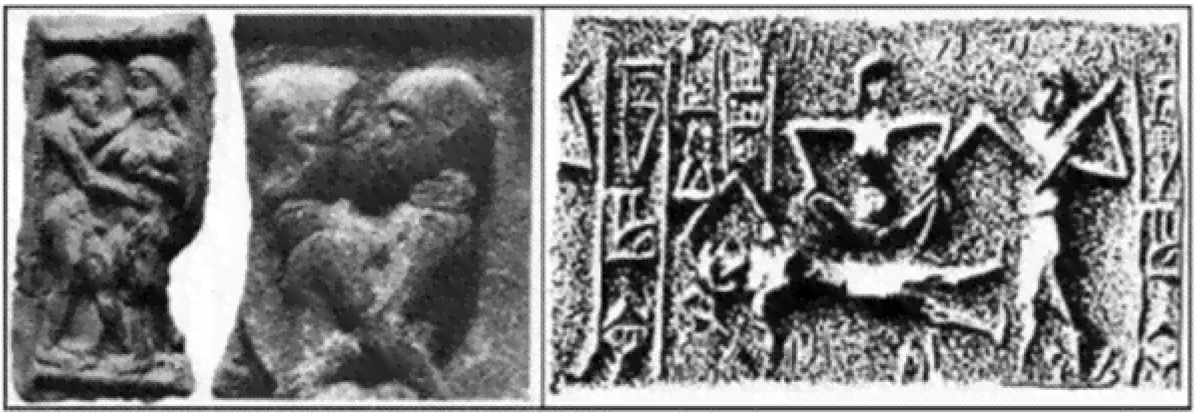
1. شولجي: الملك الثاني لأور (2093 - 2046) ق. م
2. شوسين: الملك الرابع لأور (2036 - 2028) ق. م
3. إيدين- داجان: ملك مدينة إيسن (1974 - 1954) ق. م
4. إيشمي- داجان: ملك مدينة إيسن (1953 - 1935) ق. م

وتكاد معظم هذه النصوص تشبه النصوص الأصلية بين الإلهين دموزي وإنانا.



الدراما الدينية السومرية والزواج المقدس

widdershins. org/vol2iss1/b9607. htm .http://www



المشهد الأول يساراً يمثل اللقاء الجنسي بين إنانا وديموزي، أما المشهد الثاني فيمثل التضحية بديموزي(المطروح أرضاً) بعد ممارسة الحب والجنس، وربما كان الشخص الواقف هو الملك الجديد، بحضور إنانا، والذي ربما كان هو من يقوم بقتله.
http://www. dhushara. com/paradoxhtm/fall. htm

6. المطبخ السومريّ

الطعام وأدواته

يأكل بالسومرية هي أكالو أو أكل AKALU or IKUL الرمز المسماريّ للأكل هو علامة الفم وفي داخلها علامة الخبز، في اللغة الأكدية كانت كلمة يأكل هي أكالو التي تعني الخبز، والطعام السومريّ بالسومري هو أكلوم أو بوبوسّنو AKALUM or BUBUSSUNU، والذي يعتمد على الخبز أساساً له، كما هو الطعام العراقي المعاصر الذي أضاف الرز له.

كان الطعام يطبخ في البيوت على المواقد، في مطابخ البيت عادة، وقد يكون هناك تنورٌ (الذي كان يسمى بالأكدية تنّورو) خارج البيت لخبز الطعام، وهناك مواد وأوعية الطبخ وأغلبها مصنوع من الفخار وبعضها مصنوع من المعادن كالنحاس والفضة، والذهب نادراً. وهناك المجارش والمدقات والهاونات وهناك شوكات من العظام وسكاكين من النحاس ومغارف من الطين. ربما كان هناك أدوات من الخشب لكن الزمن أتلفها.

كان طعام البيت يتكون من وجبتين رئيستين في الصباح وفي المساء، وكانت الوجبة تحتوي على الحليب واللبن والجبن والسمك ولحوم الغنم والبقر والسمك والخضروات والخبز والنبيذ

والخمر.

وكان طعام الفقراء يقتصر على الخضروات والفاكهة والخبز أحياناً. أما الجيش فكان له طعامه الخاص وحصته من الطحين والخمر.

المطبخ السومري:

كان عموم السومريين يتناولون وجبتين من الطعام في اليوم، أما الأثرياء فكانوا يتناولون ثلاث وجبات. وكانت موائد الفقراء والأغنياء لا تخلو من البيرة عادةً فهي لازمة مهمة من لوازم المائدة السومرية، كان اللحم غالياً ولذلك كان أغلب السومريين يعتمدون على النباتات والخضار.

كان فقراء السومريين يتناولون الطعام الطازج من الفاكهة والخضر ونادراً ما يطبخون، وحتى الخبز كان يصعب عليهم بسبب الحاجة إلى الحبوب والخميرة والفرن. أما متوسطو الحال والأغنياء فكانوا يأكلون الخبز والحبوب وبعض اللحوم والفاكهة والخضر. وكانوا يستعملون التوابل. وكانت المائدة السومرية تستعمل البيرة المخففة الكحول، والبيرة تسمى عند السومريين سكارو SIKARU، وهي تُشير في لغتنا العربية إلى السُّكر. وتقترب من لفظ النبيذ بالسومرية وهو إسكرانو ISKARANU والذي كان من مكونات المائدة السومرية أيضاً.

كانت الحبوب (الشعير والقمح والدخن)، والبقوليات (الحمص، والعدس، والفاصوليا) وغيرها من البصل والثوم والكرّاث والخيار والجرجير والخردل والخسّ، والبطيخ، وكان السمك سيد المائدة السومرية ولحم الأغنام والمواشي والخنازير والطيور. وكانت البيرة مرافقة للطعام، أو النبيذ في بعض الأحيان.

الخبز السومري كان يسمى (نندا) ويسمى بالأكدية (أكلو) ويخبز في الفرن الذي يسمى (أورن) واسمه بالأكدية (تنّور) وهو اسمه بالعربية واللغة المحكية اليوم نفسه، وشكله هو الشكل ذاته الذي يستعمله العراقيون في الأرياف اليوم.

كان يتمّ تجفيف اللحوم والأسماك وحفظها بالملح. وكان لحم الخنزير طعاماً عاديًّا عند السومريين لكنه أصبح نادراً بعد الألف الأول ق. م، وكانت الزيوت المستخدمة من الحيوانات هي من شحم الخنزير والشحوم الأخرى. أما الزيوت النباتية فكانت من السمسم والذرة.

كان الإله إنكي هو إله المطبخ السومري، وقد ذكرت مدونة للملك أولجي وهو يصف مائدته بأنها مكونة من الزبيب وزبدة الأغنام المقدسة ومعها العسل وحلويات مخلوطة من الدقيق الفاخر وفقاً لتعليمات الإله إنكي. وهناك وصفة لمكونات الكعكة السومرية (ننِدا إديا) التي تتكون من:

الدقيق الفاخر: ثلاثة أكواب

الزبدة النقية: ربع كوب

التمور: كوب واحد

وتضاف كميات صغيرة من الجبن أو الزبيب أحياناً.

7. الحدائق السومرية

كانت سومر مصدر فكرة جنة عدن التي حفلت بها الكتب المقدسة على أنها جنة إلهية، ولذلك فقد اعتنى السومريون بفن الحدائق أيما اعتناء وكانت بيئتهم الزراعية ومناخهم المعتدل يسمح بهذا، وقد ظهرت الحدائق في قصور الملوك، وفي بساتين المعابد وكانت مزينة بالزهور والأشجار.

قد يكون مفهوم حديقة الآلهة أو الجنة الإلهية من أصل سومري، هكذا يصرح صموئيل نوح كرامر، ثم تطور هذا المفهوم عند البابليين والعبريين.

كان في بعض المنازل فناءات تضم حديقة صغيرة أو أشجار فواكه. وكان تأثيث المنازل، سواء كانت من القصب أو الطوب، بالطاولات والكراسي والصناديق للملابس وأدوات المطبخ. ينام الناس على الحصير القصب وضعت على الأرض سواء في البيت أو في الحديقة.

وكان هناك حدائق في المعابد للترويح أو للزراعة، وحول كل مدينة كانت هناك حقول للحبوب وبساتين نخيل التمر وأرض للرعي.

المبحث الرابع: الحياة اليومية وأسلوبها

لا تختلف الحياة اليومية للناس في سومر عن التكرار الطبيعي لمتطلبات الحياة العامة، فهي بالنسبة لعائلة تقليدية يمكن أن تكون على شكل المخطط اللاحق بعد أن قرأنا مجموعة من النصوص الخاصة باليوميات والمذكرات.

كان السومريون يعيشون بسلام دائم تقريباً باستثناء ما حصل في بعض المدن المتحاربة فالحرب نادرة الوقوع، وعندما تحلّ يعزونها إلى غضب الآلهة عليهم، وكذلك الكوارث الطبيعية.

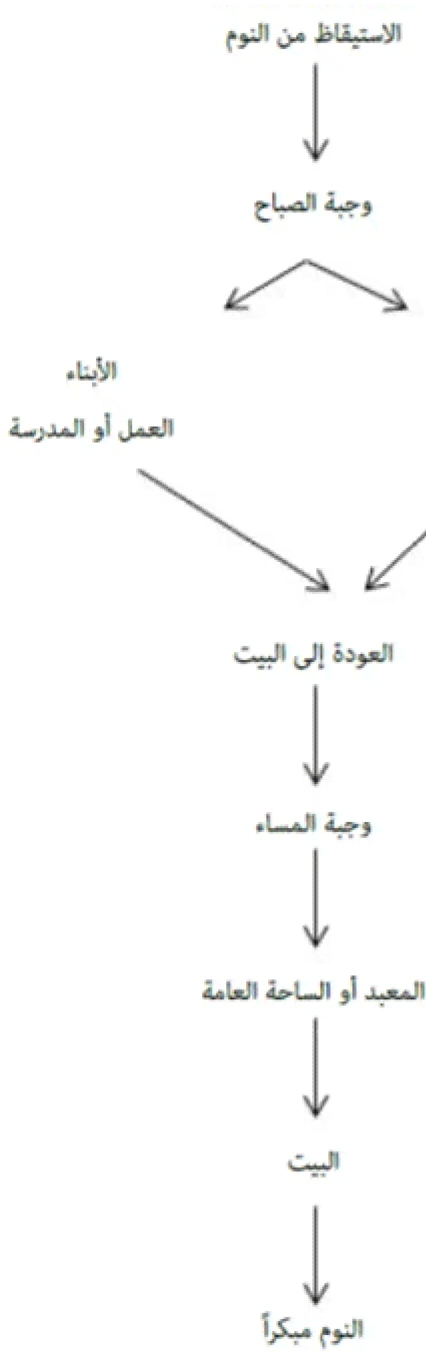
أشرف رجال الدين على الجوانب المقدسة للحياة اليومية وكانوا يؤدون الخدمة الدينية. كانوا يعرفون القراءة والكتابة ويعتبرون بارعين في تفسير العلامات والكلمات. كما أنها بمثابة المعالجين. كان أول الأطباء وأطباء الأسنان في بلاد ما بين النهرين كهنة وكاهنات يُحضرون أشخاصاً في الفناء الخارجي للمعبد من أجل العلاج.

كانت المدرسة معلماً بارزاً في حياتهم اليومية وكل مدرس كان خبيراً بالكتابة، أما بقية التخصصات فلم تكن عامة.

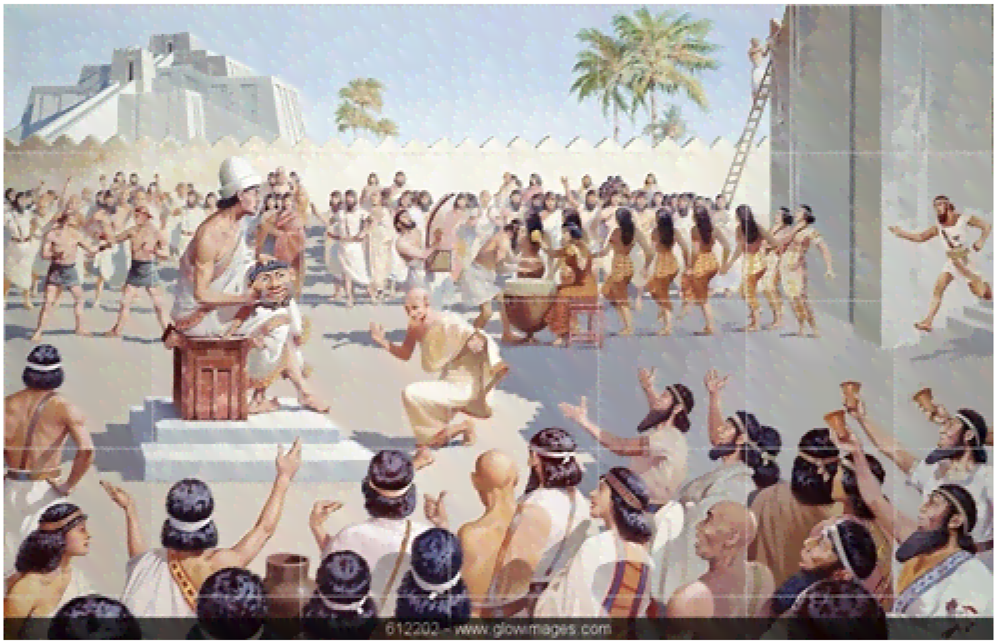
كان الكتاب يحظون باحترام كبير ويخدمون في المحكمة وفي المعبد وفي المدارس. كان كل معلم كاتباً، وكان أحد أهم التخصصات التي يتمّ تدريسها في كل مدرسة من بلاد ما بين النهرين هو الكتابة. التحق الأولاد فقط بالمدرسة. بينما الفتيات من الطبقات العامة فقد حرمن من ذلك وكانت فتيات ونساء الطبقات العالية تتمتع بحق التعليم.

تمّ تعيين معلمين خاصين، خارج التعليم في المدرسة، من قبل العائلات الثرية في المدن لمساعدة أبنائها على التفوق في العمل المدرسي. وكان المعلمون الخاصون الذين لا يعملون في

مدرسة (والتي كانت تديرها المعابد في كثير من الأحيان) رجالاً يتمتعون بذكاء استثنائي وفضيلة وشخصية.



كانت العملة بين الناس بالمقايضة بشكل عام، ولكن هناك عملة بوزن معين من الفضة، فكان الشيقل عبارة عن قرص من الفضة يزن 180 قمحة ويسمى (سيغل) وكان المينا (Mina) عبارة عن 60 شيقلاً. فالفضة كانت هي عملتهم ولكنها غير مسكوكة وغير مكتوب عليها، بل تخضع للوزن الدائم.



يوم من أيام السومريين، حفل في الساحة العامة

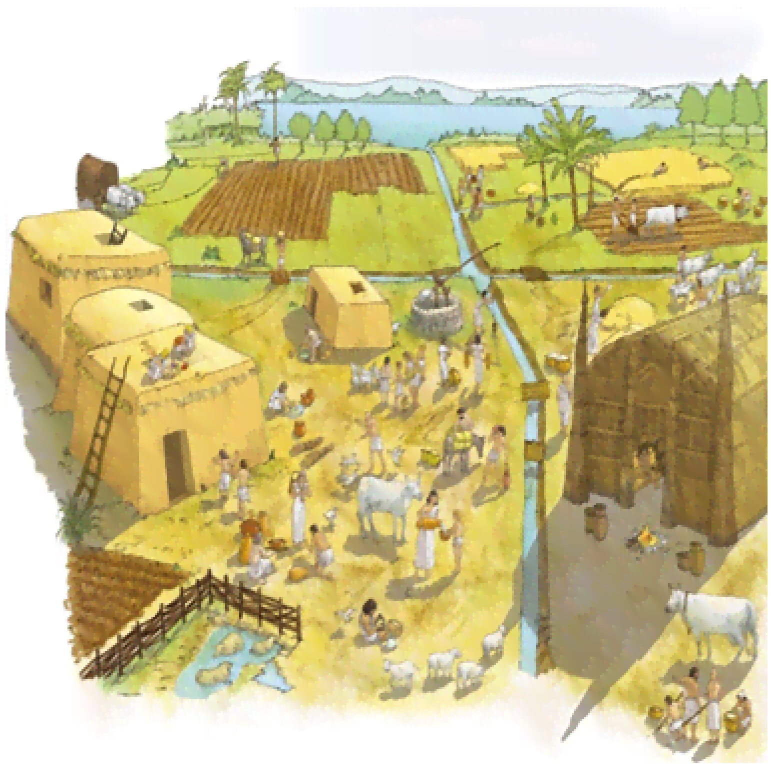
/mesopotamia-http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer



بعض مظاهر الحياة اليومية للسومريين

nl/2013_01_01_archive. .http://zinnfiguren-victorwong. blogspot
html

الفصل السابع
المظهر الاقتصادي



الفلاحون في سومر

http://www. ivanstalio. com/educational. htm

بدأ النظام الاقتصادي السومري المنظم من المعبد وكان اختراع الكتابة إحدى ضرورات هذا النظام، فقد ظهرت الحاجة ماسة لتسجيل أملاك المعابد السومرية التي بدأت بالظهور واسعة، مع زيادة نفوذ السيد (إين EN) وهو الكاهن الأعلى الذي تحول إلى باتيزي (الملك الكاهن).

ومع ازدياد الأتباع والعاملين والخدم في المعابد زادت الحاجة إلى الكتابة وإلى ظهور نظام اقتصادي مميز يمكن، من خلاله، رصد واردات وصادرات ونفقات المعبد.

في دولة مدينة لجش، مثلاً، كان هناك ما لا يقل عن 20 معبداً مخصصاً لعبادة آلهة الدولة (ننجرسو، بابا، نانشه، نازي، كامدك، دموزي، إيجالم، إنانا، لوكال أورو، ننمار، شمش، نندار، إنكي). «وكان يتبع الإله ننجرسو ما بين 6000 و5000 من العمال والخدم، وخصص لمعبد الإلهة نانشه في مدينة (يدنا) (سرغل) زهاء ألف تابع، وقدر عدد الخدم والعبيد التابعين لمعابد دولة لجش بنحو (10000) شخص مضافاً إليهم نحو 20000 شخص من الأحرار. وقدرت أملاك هذه المعابد من الأراضي الزراعية في حدود 500 إلى 600 كيلو متر مربع، وتكوّن هذه المساحة نسبة تربو على ربع مساحة تلك الدولة». (باقر 2007: 373).

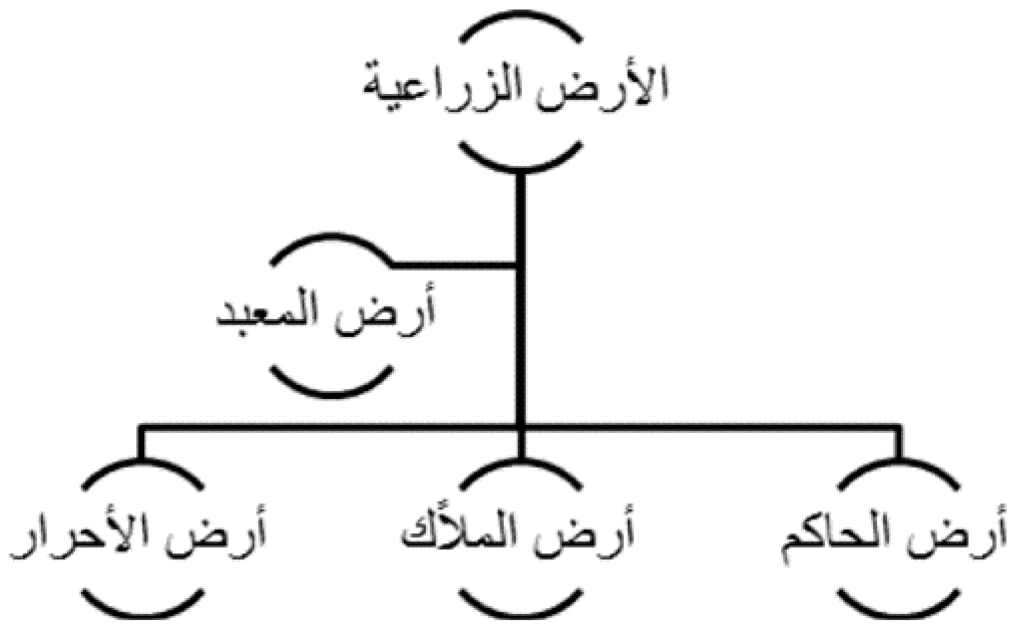
ومع ازدياد تخصصات العمل في المدينة تنوعت الحرف والصناعات وازداد عدد العاملين في هذه الحقول. وكذلك توسعت النشاطات التجارية بين المدن السومرية وبين سومر وما حولها من مدن الشعوب الأخرى، وكانت فترة عصر فجر السلالات عنواناً لحياة اقتصادية جديدة اجتمعت فيها أركان الاقتصاد الثلاثة في سومر (الزراعة، والصناعة، والتجارة) لتشكل أول نظامٍ اقتصادي حضاريّ جديد.

المبحث الأول: الزراعة والريّ

1:الزراعة

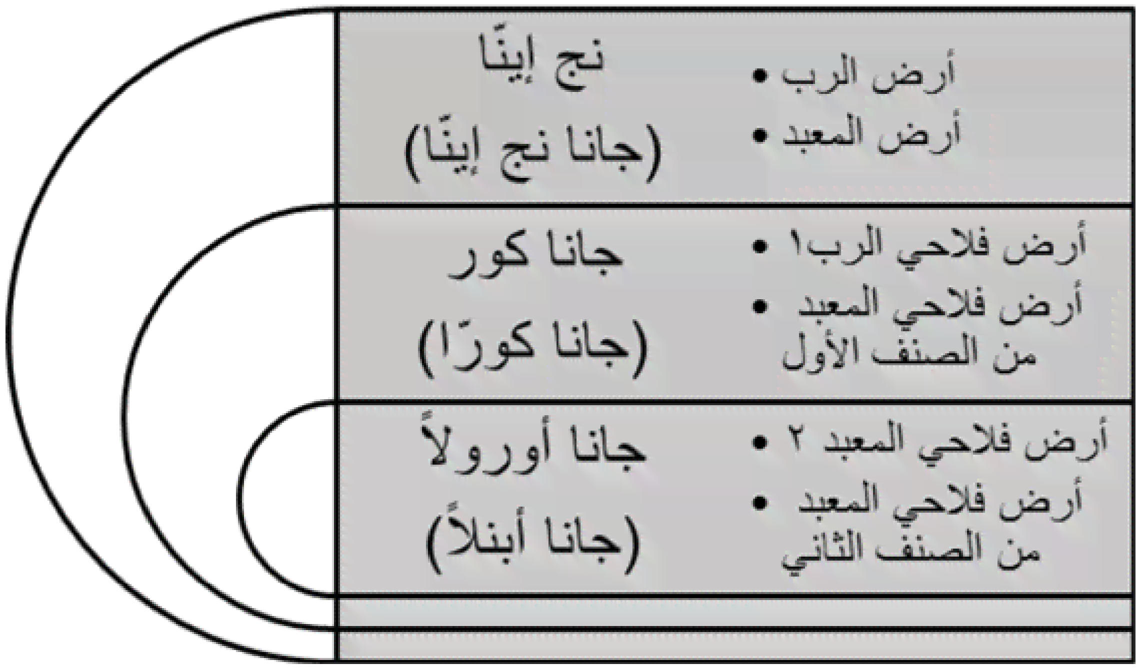
الأراضي الزراعية:

كانت الأراضي الزراعية في كل دولة مدينة مقسمة بين (المعبد، والحاكم، والملاك، والمواطنون الأحرار)، وكانت حصة المعبد هي الأكبر.



أنواع الأراضي الزراعية في سومر

أراضي المعبد الزراعية كانت تمثل السلطة الاقتصادية الأكبر للكهنة باسم الآلهة، فهي لا تتبدل مع تبدل الحكّام وأملاكهم أو مع تبدل الحاكم والملاك وأراضي المواطنين، لأنها أشبه بالوقف الثابت لهم وكانت على أنواع كما في هذا الشكل:



أنواع الأراضي الزراعية الخاصة بالمعبد

أرض الرب (نج إينا) (إله تلك المدينة) كانت مخصصة بالكامل للمعبد، وكان الشعب يعمل فيها لخدمة المعبد وحاجاته، بينما يقوم المعبد بتجهيز أدوات الزراعة والبذور وغيرها. أما أرض فلاحي الرب الأولى (جانا كور) فكانت تمنح، مؤقتاً، الأرض الزراعية لفلاحين ثابتين من الصنف الأول بحيث يعيشون هم من عائدات الأرض الزراعية ويعيلون الكهنة ورجال الدين معهم من هذه العائدات.

النوع الثالث هو أرض فلاحي الرب الثانية (جانا أورولا) كانت لفلاحين أقل مهارة (من الصنف الثاني) يعودون بعائداتها إلى المعبد والكهنة مقابل حصة لهم تقدر بسبع أو ثمن العائدات. وكانت مزارع وحقول وأراضي المعابد تدار من قبل كهنةٍ متخصصين يشرف عليهم الكاهن الأكبر للمعبد (سانغا).

العجلة السومرية نموذج طيني سومري لعربة زراعية
http://www. ancient-wisdom. co. uk/sumeria. htm
http://www. pinterest. com/rhurst1945/sumerian-wheels-and-chariots/

الاقتصاد الزراعي السومري تطور في طريقين أساسيين «من ناحية تطورت مزرعة المعبد فتحولت إلى ملكية للدولة كان الحاكم يمثلها أول الأمر، ثم الملك فيما بعد. ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ داخل المجتمعات تطويراً اقتصاديًّا لم يتأثر باقتصاد المعبد أو اقتصاد الدولة مباشرة، ذلك لأن اقتصاد الدولة لم يتطور عن طريق استغلال أتعاب الأرقاء بالمعنى الضيّق لهذه الكلمة، أي أسرى الحرب فحسب، وإنما تطور بدرجة أوسع عن طريق تجنيد جزء من أفراد المجتمع للعمل في مشاريع الدولة». (جماعة من علماء الآثار السوفييت، تيومينيف 1976: 101).

تحول فلاحو الرب وبعد أن اعتمدوا على أرض المعبد كليةً، إلى رقيق وعبيد وتحولت أراضي المعبد، تدريجيًّا، إلى أملاك الملك، خصوصاً مع ظهور الدول والإمبراطوريات التي وحّدت المدن (الدولة السومرية، والإمبراطورية السومرية، والإمبراطورية الأكدية).

ومع ذلك فقد انهار النظام الشمولي للأرض في النهاية، فقد فشلت خطة دمج الأراضي الزراعية واستحواذ الملوك عليها، إذ «لم يعد هذا النظام قادراً على أداء وظيفته إلّا عن طريق الضغط على المصادر إلى أقصى حدّ، واستغلال العمل بطريقة أكثر وحشية، ومثل هذا النظام لا يمكن أن يدوم طويلاً ذلك لأنه بعد أن سقطت السلالة الثالثة في (أور) وانقسمت سومر الجنوبية إلى

ثلاث ممالك، حافظ هذا النظام على زخمه لفترة من الوقت في إيسن ولارسا، ولكن حين ظهرت الدولة الموحّدة في عهد السلالة البابلية الأولى، لم يعد لذلك النظام من وجود، بل لم يظهر على الأقل في شكله الأول القوي المركز، وبالعدد الواسع من الأشخاص الإداريين والعاملين في نطاقه». (جماعة من علماء الآثار السوفييت 1976: 126).

* * *

كانت التخصصات الزراعية في سومر قد ظهرت مبكرة داخل المزرعة الواحدة أو في عموم سومر، وظهرت تربية الدواجن في لجش إضافة إلى حقول تربية العشرات من النعاج والماعز.

العمّال الزراعيون:

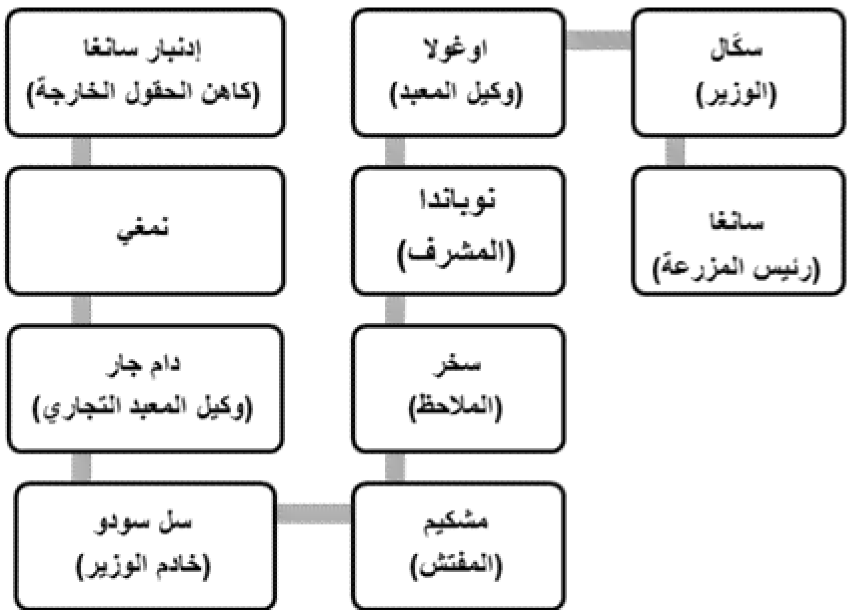
ظهر العمال الشباب (كوروش) والعمال الرجال (نينا)، ومنحت للمنتجين من الفلاحين قطع أراضٍ صغيرة (بور) بمساحة ثلث بور (هكتارين) أو ثلثي بور (أربعة هكتارات) ونادراً ما كان هناك بور واحد (6. 35 هكتاراً).

كان الأمراء، في كثير من الأحيان، يتحولون إلى مستبدين في القطاع الزراعي أي إلى نوع من الإقطاع فيستولون على أراضي الفلاحين بطرق غير شرعية مثل ما حصل مع لوكالندا (آخر حاكم من سلالة أورنانشه في لجش) الذي كان معفيًّا من الضرائب المفروضة على الكهنة والذي كان يتدخل مباشرة في شؤون المعبد الزراعية وتخبرنا وثائق لجش أنه استولى على أملاك معابد (ننجرسو، باو- أوو، شولشاجان) وأصبحت ملكاً له ولزوجته (برنامترا) وأفراد عائلته. وقد تحولت إدارة مزارع هذه المعابد من الكاهن (سانجا) إلى (نو - باندا) وهو مدير خاص عيّنه لوكالندا لهذا الأمر.

ومعروف أنّ أوركاجينا ثار على هذا الأمير، في نهاية الأمر، واستولى على حكم لجش وأعلن إصلاحاته الشهيرة التي تعتبر أول قوانين العالم. ولم تكن ثورة أوركاجينا بوسائل عنيفة، بل بوسائل سلمية، فقد كان أوركاجينا أحد أفراد الطبقة الحاكمة، ونعرف من الوثائق أنّ زوجة لوكالندا عاشت عدة سنين بعد استيلاء أوركاجينا على الحكم وكانت تتمتع بمركز ومقامٍ رفيع.

قام أوركاجينا باتخاذ لقب أمير (إنسي) في بادئ الأمر لكنه استبدله بعد سنة بلقب ملك (لوكال)، وقد أعفى الكهنة من الضرائب وعوّض المتضررين.

ما يبهرنا هو هذه السجلات الاقتصادية والزراعية الكبيرة عن واردات وصادرات المعبد وعدد العمال والعاملات وتخصصاتهم، بل إن هناك قوائم تذكر الحرف والمراتب الاجتماعية المختلفة وتسجل حركات السكان من وفيات وولادات وعمل وتأجير وغيرها. ومن هذه الوثائق نتعرف على أسماء الطبقات العليا والدنيا من المزارعين العاملين في الحقل وهم:



الهيكل الإداريّ للمزرعة

أما الفلاحون والعمال الزراعيون فهم:

1. الأرقاء: وهم على عدة أنواع منهم (العمال: إيكي نودو كشمي، الحرفيون إيكي نودو كشكين تي مي) وكلمة إيكي نودو تعني الذي لا يرفع بصره، وهم أسرى الحرب.

2. عمال الحدائق (دو أتار) والبستانيون (نوكيري)

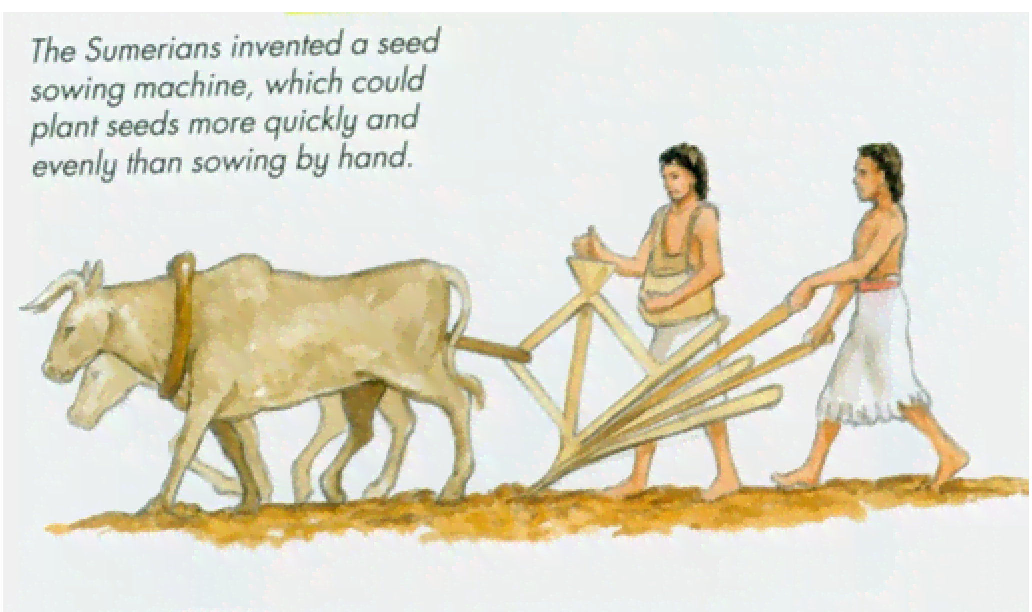
3. المؤجرون (شادوب ددلي).

الفلاحون المحليون	الفلاحون الأجانب	العمال الزراعيون	الخدم والعبيد

أنجار (الفلاح) نيتا كور إيريه، أراد (الفلاحون الأجانب:السبايا)		جال أودو (كبيرمربي الماشية)	دومو-دومو (الابن الابن)
جوروش(العمال الشباب)	غم كور (الفلاحات الأجنبيات)	جال سيمغ (كبير الحدادين)	لو آد (الخدم)
ساغ دومو (الابن الرأس)			أرو (العبيد)

كادر المزرعة السومرية من الفلاحين والعمال والعبيد والخدم

كانت الأدوات الزراعية من الخشب، بل ومن القصب أحياناً، واستخدمت السلال والحصر، واستخدم المحراث على نطاق واسع وهو «آلة غير غالية الثمن ويمكن تعويضها بسهولة لسد حاجة مواسم الزراعة الغنية التي كانت نتاج إرواء أكثر سعة وكفاية، وكان ذا حافة حادة وقد أحرق بالنار طويلاً فصار صلباً للغاية. وبسبب عدم صلاحية مادة الطين لأن تكون آلة قاطعة عالجوها بالحرق الشديد. وتستعمل حافة الشفرة الخفيفة لقطع المحصول. ومثل هذا المنجل يكون هشًّا سهل الكسر مما يفسر في الأغلب كثرة ما وجد منه، وكان كل واحد من المناجل المكتشفة تقريباً مكسوراً. ويمكن القول إن سكنة عصر الوركاء قد جلبوا معهم المنجل النحاسي رغم أنّ أول المناجل المعدنية قد وصل من العصر السومريّ القديم». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 160).



المحراث والمبذار في سومر (تمثيل حديث)

/http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia

وهناك أيضاً الجرجر وهي آلة لدراسة الحبوب وقطع المحصولات «وقد عثر في قبر بو – آبي بمقبرة أور الملكية على واسطة تجرها الحمير الوحشية خالية من العجلات ظهر عندما أعاد المنقبون تركيبها كونها زلاقة تتألف من كرسي خشبي طويل يقف على قطع خشبية منزلقة قصيرة مع حافة أمامية مرتفعة تماثل الجرجر. وتستعمل هذه الآلة في دراسة المحصول وهي مصنوعة من الخشب وتجرها الحيوانات التي تسير عليها مرات عدة فتتكسر السنابل وتقطع السيقان إلى قطع قصيرة لاستعمالها كعلف. كما مارسوا طريقة دراسة المحصول بربط عدد من الحيوانات وتسيرها مرات عدة فوقه. وعرفوا أيضاً المذراة لفصل البذور عن التبن». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 162).

المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

كانت النباتات التي تزرع عادة من الحبوب وهي: الحنطة والشعير والحبوب الحاوية على نسبة عالية من البروتين مثل البقول - العدس، والفاصوليا، والبازلاء - وهناك نباتات العلف، وكان يزرع الكتان والسمسم، وهناك الخضار مثل البصل والخيار، وكانت تزرع أيضاً بعض أشجار الفاكهة، بما في ذلك الكروم والتين وربما التفاح.

الأغنام والماعز هي قطعان المعابد عادة والماشية بصورة عامة استخدمت لعدد من الأغراض، كمشروع الألبان؛ وهناك إفريز من معبد سومري يوضح قطعان المعبد تمشي وتحلب. وتفيد جلود الحيوانات مختلف الصناعات.

«الجاموس موجود منذ العصر السومري القديم وشكل عنصراً مهمًّا في الحياة الاقتصادية لاعتماد سكان الأهوار عليه. وصوّره الكثير من الأختام، وقد دجن هذا الحيوان الضخم في منتصف الألف الرابع ق. م مع الثور الأحدب. وإن الآثار التي اكتشفت في أوروك تدل على أنّ الأغنام والماعز والأبقار والكلاب كانت مدجنة في الجنوب حوالي 4000 ق. م. ونعرف أنّ الماعز قد دجن منذ بداية الاستيطان في المواقع الشمالية وممارسة الزراعة. وكانت الأبقار والأغنام والماعز والحمير تشكل عنصراً مهمًّا في الاقتصاد السومريّ سواء للحمها أم حليبها ومشتقاته أم لاستعمالها

في النقل وأعمال الحقل. وفي نقش بواجهة معبد في موقع العبيد يصور حظيرة أبقار ومصنعاً». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 191).



حظيرة أبقار ومصنع حليب في موقع العبيد /ديكور فريز نحاسي من معبد الإلهة ننخرساج 2600 ق. م موجود حاليًّا في المتحف البريطاني

http://www. historyandcivilization. com/Picture-Gallery---Early-from-Sumer-to-Assyria---Artifacts--Objects---Sculpture.-Mesopotamia html

وكان من الضروريّ توفير الحيوانات للتضحية في المعابد وللعرافة، وهذه هي مسؤولية رعاة المعبد حيث كانت الحيوانات لهذه الأغراض عالية الجودة، وكانت هناك ثروة حيوانية من الخنازير والبط والإوز وكلاب الحراسة، وكانت الحمير من الحيوانات الرئيسة، جنباً إلى جنب مع الثيران، أما الخيول والإبل فلم تظهر إلّا في العصور التي جاءت بعد سومر.



الحمير في رقيم سومري

wisdom. co. uk/sumeria. htm-http://www. ancient

أول تقويم زراعي:

قطعت الزراعة شوطاً متقدماً على يد السومريين، فقد كان تاريخها العريق في وادٍ خصيب كوادي الرافدين كفيلاً بأن يجعلها في مثل هذا الشوط، ففضلاً عن تقنيات الزراعة والريّ ظهرت التقاويم الزراعية التي تعدّ خطوة متقدمة آنذاك.



رقيم سومري لعمليات زراعية مختلفة

stravaganzastravaganza. blogspot. nl/2012/10/agriculture-in-//:http ancient-sumer. html

عثرت بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا في مدينة (نيبور) على لوح صغير يتكون من (108) أسطر تتضمن نصائح وتوجيهات فلاح متمرسٍ لولده حول أمور الزراعة وماذا يجب أن يفعله طيلة شهور السنة. ويذكرنا هذا بعمل هسيود الإغريقي (العمل والأيام)، وعمل فرجيل الروماني (فلاحة الأرض) لكن هذا النص السومري يجيء قبل عمل هسيود بحوالي ألف سنة.

في قديم الزمان زود فلاح ابنه بهذه الإرشادات: «إذا قارب الوقت الذي تبتدئ فيه بزرع حقلك فاحذر إذا فتحت أنهر السقي ألّا تجعل مياهها ترتفع عالياً فيه (في الحقل). وحين «تبزل» (أي تصفيه) الماء من الحقل فلاحظ أن تبقى أرضه مستوية ولا تدع ثوراً شارداً يطؤه. اطرد المتجولين والحيوانات السائبة واجعله كالأرض المأهولة. نظفه بعشر فؤوس حادة (بحيث لا تزن) إحداها أكثر من 2/ 3 الرطل. ويتحتم عليك أن تقلع أعقاب النباتات القديمة فيه باليد، واحزمها حزماً. كما ينبغي إزالة الحفر والثقوب الضيقة بالمسلفة، على أن تسيج جوانب الحقل الأربعة. ولما يكون الحقل مشتعلاً (بحرارة شمس الصيف) فاعمل على تقسيمه إلى أجزاء متساوية، ودع آلاتك مشغولة بالعمل (؟) وعليك أن تثبت عارضة النير، وتثبت المسامير في سوطك الجديد، أما مقبض سوطك القديم فعلى أبناء الأجراء أن يصلحوه». (كريمر 1956: 142).

يعتبر هذا التقويم السومريّ من الأعمال السومرية المتأخرة فقد تمّ تأليفه باللغة السومرية في حدود 1700 ق. م، وقد قمنا بتلخيص مضمون هذا التقويم الذي يحتوي على الأمور الآتية: (انظر نص التقويم عند كريمر 1956: 139 - 142)

1. النصائح المتعلقة بالريّ والتحذير من ارتفاع الماء فوق مستوى الحقل
2. تطهير الحقل من الحشائش وجذور النباتات المتروكة من الموسم السابق
3. تهيئة أدوات الزراعة والسلال

4. تهيئة ثور إضافي للمحراث

5. عزق الأرض وكسرها بالفأس والرفش والمدق

6. الإشراف على عمّال الزراعة مباشرة

7. الحراثة والبذر في آنٍ واحد بوضع آلة على شكل قمع تنثر البذور إلى شقوق الحراثة

8. حرث ثمانية خطوط (أخاديد) في كل شقة بمساحة 20 قدماً مربعاً (بمقياس الآن)

9. نزول البذور في خطوط الحرث إلى أعماق متساوية (بعمق إصبعين)، وإذا لم يحصل ذلك فيجب إبدال سكة المحراث (لسان المحراث)

10. حراثة خطوط مائلة ثم خطوط مستقيمة أخرى

11. الصلاة للإلهة (نن – كلم) الخاصة بجرذان وحشرات وديدان الحقل يوم البذر

12. يجب إخافة الطيور وعندما ينمو الشعير يجب أن يروى.

13. عندما يصبح الزرع مثل (الحصير في وسط السفينة) فيجب أن يسقى مرة أخرى

14. إذا لوحظ احمرار في الزرع المسقي فهذا يعني وجود آفة زراعية مثل (سمّاما)

15. إذا تحسن الزرع فيسقى للمرة الرابعة ليزداد الحاصل

16. يحين الحصاد عندما يكون الزرع في قوته قبل أن ينحني بالحبوب

17. الحصاد يتمّ من قبل ثلاثة (الحاصد، الحزّام، العامل)

18. تتمّ دراسة (سحق) المحصول مباشرة بعد الحصاد بواسطة مزلج أو زحافة تتحرك إلى الأمام والخلف ولمدة خمسة أيام.

19. يتمّ فتح الغلة بمفتاح تجره الثيران

20. إزالة التراب من الغلة بواسطة التذرية بالمذراة بعد نوع معين من الصلاة

21. يختتم التقويم بالتصريح بأن هذه هي تعاليم الإله (ننورتا) الذي هو فلاح الآلهة وابن كبيرها (إنليل)

22. هناك إشارة إلى أنّ السقي بالماء يتمّ في (نيسان- حزيران)، والحصاد والتذرية في (نيسان – حزيران) القادمين. أي إنها تستغرق سنة كاملة.

2. الريّ

الرافدان وفروعهما جعلوا وادي الرافدين مكاناً ملائماً لنشوء هندسة الريّ المبكرة، فبعد أن أدرك السومريون وغيرهم من أقوام الرافدين أنّ الفلاحة لا يمكن لها أن تعتمد على الأمطار فقط، ظهرت هندسة الريّ كواحدة من أعظم إنجازات العراق القديم. وهكذا ازدادت السيطرة على مياه الأنهار عن طريق إقامة القنوات والجداول والسدود، وحصلت النزاعات بين المدن السومرية بسبب الريّ والأنهار كما حصل بين (لجش) و(أوما).

صار ثابتاً اليوم أنّ اسمي دجلة والفرات جاءا من لغة غير سومرية وغير سامية، بل ربما تكون لغة ثالثة لشعب استوطن السهل الرسوبي مبكراً، لكن الاسمين يكتبان بالمسمارية:

1. دجلة: يلفظ دجلة بالكتابة المسمارية (أدجنا Idgina) الذي ربما تكوّن من مقطعين هما (إد- جنا) ومقطع (إد) يدل على النهر. أما مقطع (جنا) فلا نعرف معناه ولا نريد أن نجازف بتفسيره.

وقد لاكت الألسن المختلفة هذا الاسم القديم وتحوّل في البابلية (أدجلات) وفي الفارسية (تيركاه) التي ربما كان معناها (السهم)، وفي العبرية (حداقل) وفي الحورية (أرنزح) وفي اليونانية (تجريس) وفي العربية (دجلة).

وينبع هذا النهر من هضاب أرمينيا جنوب بحيرة وان ويبلغ طوله الكلّي حوالي (1718) كم (في تركيا 380 كم، وفي سوريا 30 كم، وفي العراق 1408 كم) وله خمسة روافد كبيرة هي (الخابور، والزاب الكبير، والزاب الصغير، والعظيم، وديالى). وتجلب هذه الروافد ثلثي ماء دجلة. أما الثلث الأول فيأتي من تركيا، والروافد كلها تنبع من خارج العراق. تكثر فيضاناته، وخصوصاً بين سامراء وبغداد، وتكثر تعرجاته بين بغداد والكوت. استعمله السومريون للريّ وأجروا قناةً من

شط الغراف لسحب المياه إلى لجش في حدود 2200 ق. م وفي حدود 1850 ق. م فتحت قناة إلى لارسا على الفرات. ولأن الفرات أعلى من دجلة في مستوى الأرض التي يجري فيها فقد مدّت أكثر القنوات من الفرات إلى دجلة. وبسبب فيضاناته يتجنبه الفلاحون ولذلك لا نعثر على الكثير من الآثار عند ضفتيه أو قربهما.

2. الفرات: يلفظ الفرات بالكتابة المسمارية (بورانُن، بورونونا) وفي الأكدية البابلية (بوراتي، بوراتم) ونرى أنّ وجود علامة الشمس في مقطع (بورا) يدل على أنه نهر الشمس، ودليلنا على هذا أنّ كتابة اسم الفرات يكتب بالعلامات المسمارية نفسها لمدينة (سبّار) (أبو حبة الآن) دون ذكر العلامة الدالة على النهر، ومعروف أنّ سبّار هي مدينة الشمس وهي، من وجهة نظرنا، أهم مدن السومريين.

أشهر كتابة لاسم الفرات هي (أد- كب- نُن كي) وأد تعني النهر، واسم الفرات باللغة العربية يعني (العذب)، وأسماه الفرس (أفرات) والإغريق (أفراتيس). يتكون الفرات من منبعه في آسيا الصغرى من نهرين هما (مراد صو وقرصو)، أي (ماء المراد والماء الأسود) ويلتقيان مخترقين جبال طوروس، ويجري في الأراضي التركية بطول (1176 كم) ويلتقي مع دجلة ليكونا شط العرب الذي يصبّ في الخليج العربي، يبلغ طوله كاملاً (2940 كم).

يتصل بالفرات في سوريا رافدان هما الباليخ والخابور، وترقد على نهر الفرات أهم المدن السومرية، وكان هذا النهر أكثر قدسية عندهم وأقل اضطراباً وفيضاناً، وكان له مجرى آخر غير مجراه الحالي عند الكثير من المدن المندرسة، وأهم المدن القديمة عليه هي سبّار، وكوثى، وبابل، وكيش، وشروباك، وأوروك، وأور، وأريدو ثم يصب وحده في الخليج العربي.

«استوطن العراقيون القدامى على ضفاف الفرات ودجلة. فجميع مدن سومر وأكد كانت مشيدة على ضفاف الفرات الأسفل والأنهر المتشعبة منه باستثناء بلاد آشور ومنطقة ديالى. وقدم الدكتور سوسة جملة أسباب لذلك، فالأراضي الزراعية المنحصرة بين دجلة والفرات جنوباً تنحدر من الفرات باتجاه دجلة، ولذا صار من الطبيعي برأيه أن تكون اتجاهات القنوات بالاتجاهات نفسها وانحصرت مياه الإرواء بالفرات الذي تستمد منه ماءها، إضافة إلى كون الفرات يجري بين ضفاف منخفضة بانحدار قليل عكس دجلة مما يسهل على الإنسان التحكم به واستثمار مائه بسهولة. كما

يتوفر في مناطق الفرات طوال السنة الماء حيث تتجمع المياه من كل جهة وتنتشر على طول الدلتا بأعماق ضئيلة مما يسهل الريّ». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 179).

3. شط العرب: تكوّن شط العرب من التقاء دجلة بالفرات في منطقة كرمة علي، ولم يعرف بالضبط زمن تكوّن هذا الشط رغم أنه كان متأخراً ويبلغ طوله 190 كم، ويصب شط العرب، عند مدينة الفاو، في الخليج العربي الذي أسماه البابليون (نار مراتو) أي (النهر المرّ) أو البحر الأسفل.

كانت مشاريع الريّ السومرية كثيرة منها ما أقيم على دجلة أو على الفرات أو روافدهما وربما كانت هندسة الريّ هي واحدة من أكبر مظاهر الحضارة السومرية. وكانت هندسة الريّ قد بدأت مبكراً بشق القنوات والترع في ثقافة سامراء وجوخه مامي والعبيد وتل الصوان، ثم في أريدو عند نهر الفرات.



الريّ وشق القنوات والترع في سومر

/92112754848051919/http://www. pinterest. com/pin

وهناك قنوات لاحقة ظهرت شمال سبّار مثل قناة زوبي (جمدت نصر)، وقناة الأرنينا (في اللطيفية) التي تصب في الفرات شمال كيش، وقناة الأوتورونجال التي تنقل ماء الفرات جنوب نفّر

وتمضي نحو أدب وأوما وبادتبيرا وزبالوم وتصل إلى قناة لجش. وأخرى تمرّ بلارسا وتصب في الفرات جنوب أوروك. وكان هذه القناة (الأوتورونجال) طويلة (130 كم) وعليها سدود ونواظم ومبازل كثيرة.

عرف السومريون أيضاً الجداول السيحية ونقل الماء إلى الأراضي الزراعية النائية وعرفوا رفع المياه من المناطق المنخفضة إلى العالية. كما عرفوا كري الأنهار وتنظيفها من الغرين، وهو ما فعله أورنمّو مع الكثير من الجداول وحفر أخرى جديدة.

«من مشاريع الإرواء مشروع السد الذي أنشأه إياناتوم ملك لجش على أحد الجداول، ثم السد الذي بناه خليفته أنتيمينا، وتظهر عظمة هذين المشروعين من كمية القار التي استخدمت فيهما، فقد استعملت في الأول 25. 200 لتراً وفي الثاني 269960 لتراً كما يذكر النص. وبلغ عدد الآجر الذي استخدم في بناء الثاني حوالي ثمانية ملايين طابوقة، وأنشأ إياناتوم قناةً ثانية ألحق بها خزاناً يستوعب كميات من الماء يتصرف بواسطة جدولٍ إلى المزارع وسّعه خليفته من بعده، وكان مشروع أنتيمينا ضخماً حيث حفر قناة جلب بها الماء من دجلة إلى لجش (الغرّاف) لمسافة حوالي 140 كم، وكانت هذه الأراضي تسقى من الفرات قبلاً مما يدل على الحاجة الماسة إلى الماء في الجنوب». (مجموعة من المؤلفين العراقيين، الأحمد 1976: 177 - 178).

وبسبب كثرة الفيضانات كان السومريون يعملون السدود ويسدّون الثغرات بالقصب والتراب وبنوا المسنيات بالطوب والقار، وبلّطوا بها ضفاف الأنهار واستعملوا البطخات لسد الثغور، والبطخات هي لفّات كبيرة محشوة بالقصب والشوك وملفوفة بالحبال والقصب والسعف والحصران.

كان السومريون يهتمون بالقوارب كوسيلة نقل وكوسيلة تساعدهم في أعمال الزراعة وصيد الأسماك والكائنات البحرية، وقد ظهرت القوارب أولاً في أريدو في الألف الرابع ق.م قبل مجيء السومريين، وفي آثار مقبرة أور حوالي 2700 ق. م زورق سومري. ولا شك أنّ الزوارق مختلفة الأشكال حسب اختصاصاتها وأغراضها.

المبحث الثاني: الصناعات والحرف

1. الصناعات السومرية

شكلت الصناعات والحرف السومرية المتن الثالث المهم في الاقتصاد السومري، فقد ظهرت صناعات الفخار مبكرة ثم صناعة الثياب والألبان وصناعة المعادن والحرف المركبة.

لعبت المعادن دوراً مهمّاً في الصناعات السومرية من رماحٍ ودروعٍ وخوذٍ ومعدات عسكرية، كانت صناعة النحاس هي الغالبة وتليها صناعة البرونز، وكان السومريون ماهرون في صناعة الذهب والفضة واللازورد وفي صناعات مواد الزينة وأدواتها. وقد عكسوا فيها مهاراتهم الفنية الكبيرة رسماً ونحتاً وتصميماً، وظهرت الزخارف عليها بشكل نقوش أو رسوم دقيقة الصنع.

كان التعدين يشمل معادن النحاس والبرونز والذهب والفضة والحديد في وقت متأخر. وقد عرفت عمليات صهر النحاس وطرقه بعد أن اكتشف في العصر الحجريّ النحاسي، وخصوصاً في عصر جمدت نصر، وتوسعت عمليات الصهر في العصر السومريّ القديم، واستعملت عمليات السباكة بالشمع المذاب كقوالب.

كان مصطلح معدن النحاس في اللغة السومرية هو (تبيرا) واشتهرت مدينة (باد تبيرا) به، أما البرونز فاسمه أورود وفي الأكدية سبارو وإيرو، وتشير كلمة سبارو إلى معدن النحاس أيضاً وهي أصل كلمة (صفر) المستخدمة في العربية للنحاس. وكلمة زابارا السومرية تدل على النحاس والبرونز.

ومن أسماء المعادن هذه ظهرت أسماء المدن مثل (سبار: البرونز)، (أريدو: أو رود) (تبيرا: باد تبيرا).

بل إنه نهر الفرات الذي يسمى (براتم، أوردتم، أوروتم) كان يرتبط بمنابعه التي كان عندها مناجم النحاس في تركيا. وكان السومريون يجلبون المعادن من (دلمون) مثل النحاس والفضة والذهب، وكانوا يطلقون اسم مجان ومكان على عُمان ويسمونها (جبل النحاس) لأنه فيها جبل معدني.

2. المهن والحرف السومرية

صناعة المعجنات (فران)

مهنة تحضير اللحوم (لحام/قصاب)

مهنة تحضير الطعام (طباخ)

صناعة القصب كالسلال والبسط

صناعة الفخار (فاخوري)

مهنة قطع وإعداد الحجر (حجار)

صناعة التماثيل (نحات)

صناعة الخشب (نجار)

صناعة أدوات الوزن

صناعة القوارب

صناعة الملابس (خياط)

مهنة التزيين (حلاق)

مهنة الطب (طبيب)

مهنة التعليم (مدرس)

مهنة الكتابة (كاتب)

مهنة البناء (معمار)

مهن إدارية وقيادية

رئيس بلدية

ضابط

سفير

مدير معبد

كاهن

مدير مكتبة

مدير أشغال

المبحث الثالث: التجارة والعملة السومرية

1. التجارة

افتقرت أرض الرافدين لعناصر الطبيعة المهمة كالمعادن والأحجار والأخشاب، ولكنها ازدادت غنى بالمحاصيل الزراعية، فنشأت حركة التبادل التجاريّ بين هذه وتلك.

كان هذا أحد عوامل ظهور التجارة في بلاد الرافدين، وربما كان سبب نشوء الإمبراطوريات الرافدينية هو ضمان الحصول على طرق تجارية مضمونة ومصادر معادن وأخشاب ثابتة.

وكان ملوك سومر يستخدمون الأنهار في نقل بعض المواد مثل الأخشاب والأحجار والمسلات، فقد كان أورنينا ينقل الأخشاب عن طريق الأنهار لبناء المعابد، وفعل مثله جوديا حيث كانت الآثار تحملُ نقوشاً لقوارب تحمل كميات كبيرة من الحبوب والحيوانات والزيت، وبعض السفرات من لجش إلى سوسة كانت تستغرق شهرين.

كانت التجارة النهرية (في الفرات بشكل خاص) والبحرية (عند سواحل الخليج العربي وشواطئ الهند الغربية، هي الأكثر أهمية. ولذلك تطورت صناعة السفن ووسائط النقل النهرية والبحرية. والحقيقة أنّ بلاداً مثل دلمون (البحرين) ومجان (عُمان) كانت تبدو كما لو أنها امتدادٌ لحضارة وادي الرافدين وسومر بشكل خاص ولعبت التجارة دوراً هامًّا في جعلها كذلك.

التجارة الخارجية (الاستيراد والتصدير):

كانت لسومر تجارة خارجية واسعة مع محيطها من المدن والبلدان والأراضي التي تتوفر فيها المعادن والأخشاب والأحجار الكريمة التي كانت بحاجة إليها، وكان التاجر الذي يسافر دائماً إلى دلمون، مثلاً، يسمى (دلمونجي) وهو ما حفّز هذا المحيط على الشروع بدخول الحضارة مبكراً.

الصادرات السومرية كانت تتضمن المنتوجات الزراعية والمنسوجات وزيوت السمسم والسمن الحيواني والجلود والمنحوتات.



طرق التجارة الخارجية الخاصة بالمعادن والخشب والحبوب والعاج كما هو مؤشر عليها

(G -d 2010: 305)

أما الواردات التجارية فكانت كما يلي:

1. من دلمون: النحاس، والأحجار، والعاج، والذهب والفضة، وعيون السمك (اللؤلؤ).
2. من مجان (عُمان): النحاس
3. من ملوخا (الهند): العاج والأحجار الكريمة
4. وادي بدخشان (أفغانستان): اللازورد
5. من أراتّا (في عيلام): اللازورد، والعقيق، والذهب والفضة
6. من الشام: خشب الأرز وخشب السرو، والأثاث الخشبي المطعّم بالعاج، والسفن، والقوارب.

7. الأناضول: النحاس

كان لنشاط التجارة بين سومر والهند والخليج العربي أثره الكبير في التبادل الحضاري، فقد تنوعت الصادرات والواردات، وإن من الصادرات السومرية إلى مدن وادي السند، مثلاً، الشعير والمنسوجات والصوف والزيوت والتمور. وكانت واردات سومر هي العاج وأصداف المحار وخشب السيسو والطاووس والحجر الصابوني وغيرها.

وهناك ما يشير في الألواح الطينية السومرية إلى وجود تجار من السند والهند واستقروا في بلاد سومر ومارسوا عاداتهم وطقوسهم الخاصة بهم.

وكانت التجارة مع الهند تنقل ثقافة سومر والهند بين الاثنين، فقد عثر في سومر على الأواني الفخارية والمنحوتات التي تشير إلى ثقافة (موهنجو دارو) مثل ختم مدينة كيش الذي تظهر فيه الثعابين برأسين وهو رمز هندي قديم. وعثر في فترة الملك السومريّ (أمار سين) على ختم منقوش بصورة نخلة مع ثور ذي حدبة (وهو ثور هندي)، وهناك نصوص تتحدث عن تصدير سومر للصوف وزيت السمسم إلى ملوخا ومجان.

واستطاعت التجارة مع دلمون أن تكوّن تجارة دلمونية رفيعة المستوى حتى بعد أفول سومر، حيث استفادت دلمون من التجارة مع سومر ومع ملوخا وهرّابا وموهنجو دارو بدليل ظهور الأوزان الهندية في نصوصها.

التجارة الداخلية:

كانت الأملاك الخاصة للسومريين مثبتةً في وثائق قانونية مدونة على ألواح الطين، وكانت المعاملات التجارية تجري على وفق هذه الوثائق وتدوّن في وثائق تجارية خاصة جديدة، مثل صيغ عقود البيع والشراء والقرض والإيداع والإيجار والمنح والرواتب والمشاركة وغيرها. وكانت هناك عقود شراكة كثيرة بين التجار وسجلات للتجارة الداخلية.

وكانت هناك أسواقٌ بسيطة بعضها عام لا يكون له مكان متخصص، بل يكون التسوق في الساحات العامة وعند بوابات المدن في أيام معينة حيث يجري تبادل السلع عن طريق المقايضة. أما الأسواق الخاصة، فكانت هناك أسواق للنسيج وللماشية وللفخار. وكانت هناك أسواق لبيع وشراء

العبيد والرقيق والإماء، وكانت مواد التجارة الداخلية هي التمور والأسماك والدهون العطرية والأنسجة وزيوت السمسم وخشب الحور والملابس والأصباغ والقصب والبواري والآجر ومنتجات الحليب ومحصولات الزراعة والسفن والحيوانات مثل الماشية والطيور والحمير... وغيرها.

وتخصصت بعض المدن بتصديرها الداخلي لبعض المواد إلى مدن سومرية أخرى مثل:

لجش: الأسماك (الطرية والجافة المملحة)

أوما: زيوت العطر، والأغنام، والماعز

سبار: الأنسجة.

ولعلّ أهم وسائل النقل التجاريّ الداخلية هي السفينة (الكلك، والعوامة، والقفّة) في الأنهار، وهناك النقل البريّ المعتمد على قوافل من الحيوانات كالحمير والعربات. وكان النقل في الأهوار يجري، كما هو اليوم، من خلال المشحوف أو البلم الذي تستخدم معه عصا المردي لدفعه بعد غرزها في أرض الهور.

وقد نُظّمت أمور التجارة الداخلية من خلال القوانين والشرائع السومرية منذ أوركاجينا وحتى قانون أورنمّو.

كان التاجر بالسومرية يسمى (دمقار) أو الملاح فاسمه (ملاح) أي ناقل القارب.



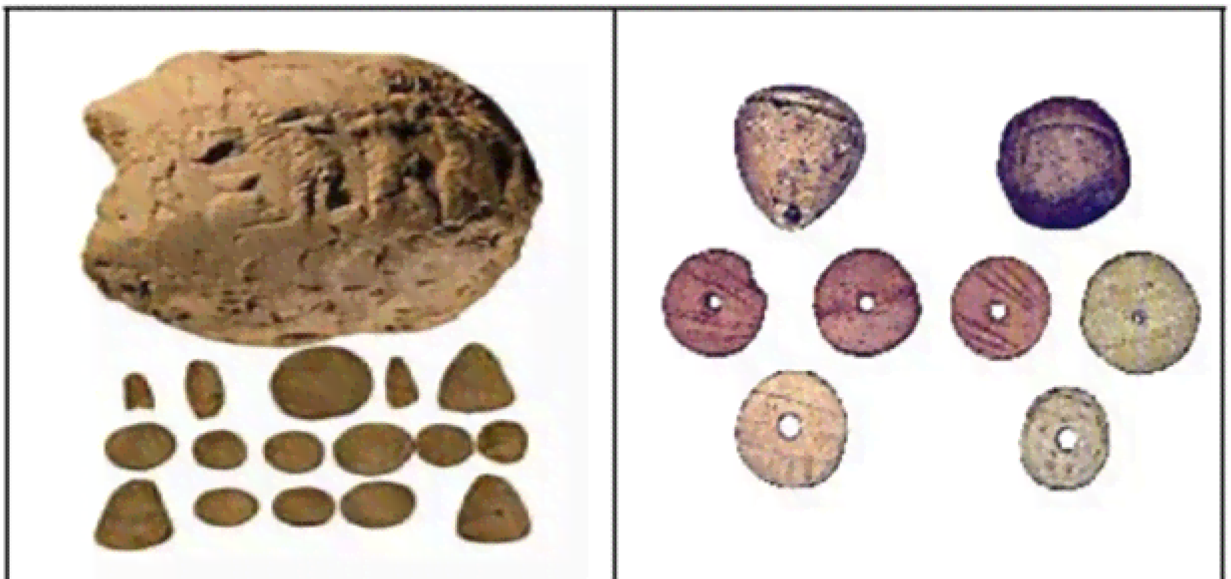
ممارسة التجارة قرب المعابد

http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia

2. العملة السومرية

1. كان السومريون في حدود 3300 ق. م يتعاملون بينهم بعملة رمزية طينية clay tokens، وكانت تحمل رموزاً مرسومة للأشياء التي يتمّ التعامل بها كنوع من سندات المقايضة بينهم، وفي عصر فجر السلالات بدؤوا باستعمال العملة الرمزية الفضية clay tokens بالطريقة نفسها، وحددوا وزن هذه العملة التي تساوي 60 حبة قمح وأسموها سيكل(شيقل)، وكل 60 شيقلاً يساوي مينا.

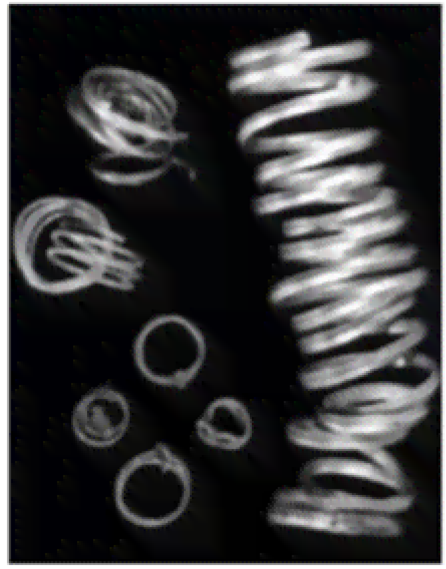
تتكون كلمة شيقل السومرية من مقطعين هما (شي) التي تعني قمح و(قل) التي تعني قياس، وربما هي أصل كلمة (كيل) العربية، ويكون معناها الكلي هو كيل القمح، وقد أخذها العبريون المعاصرون في إسرائيل واستعملوها بعد أكثر من أربعة آلاف سنة كعملة لهم. والحقيقة أنّ ظهور العملات السومرية بهذا الشكل يوجب إعادة النظر في الفكرة السائدة عن الليديين واختراعهم الأول للنقود.



العملة الرمزية الطينية في سومر 4000 - 3200 ق. م

http://www. schoyencollection. com/math. html

2. استعمل السومريون الحلقات المعدنية كنوع من العملات، واستعمل السومريون أيضاً العملات الحلقية المصنوعة من الفضة كما في الشكل.





النقود الحلزونية أو الحلقية من الفضة

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

http://moriancumr2. blogspot. nl/201204//sumerian-money. html

3. الشيقل البرونزي السومري 3000ق. م: استعمل السومريون الشيقل البرونزي الذي يظهر في الشكل القادم حيث يكون الوجه الأول عبارة عن الإلهة إنانا إلهة الخصوبة وهي على عربة، والوجه الثاني حزمة من القمح، ويبدو أنّ استعمال هذه العملة كان من أجل أغراض مقدسة مثل دفع الأجر عن عمليات الزواج المقدس في العبد أو جلب مساهمات الناس للمعبد على شكل نذور. (انظر http://www. stim. com/Stim-x/10. html/1 origins/origins)

	
الشيقل السومري: الوجه الأول عشتار، الوجه الثاني حزمة القمح http://www. stim. com/Stim-x/10. 1/ origins/origins. html	مينا (60 شيقل سومري) 1300 ق. م http://rhetoricaldevice. com /articles/BriefHistoryOfMoney1. html

وقد ورد ذكر الشيقل السومري كعملة في الفقرة 19 من قانون أورنمّو وكما يلي:

(إذا كسر شخص سنّ شخص آخر فعليه أن يدفع كتعويض شيقلين من الفضة)

ولنتأمل هذا النص المسماريّ من قانون أشنونا لنرى أنواع البضائع وأثمانها:

«سعر غور واحد من الشعير هو شيقل واحد من الفضة

سعر ثلاث كؤوس من الزيت النقي هو شيقل واحد من الفضة

سعر سوت وخمس كؤوس من زيت السمسم هو شيقل واحد من الفضة

سعر ستة سوت من الصوف هو شيقل واحد من الفضة

سعر 2 جير من الملح هو شيقل واحد من الفضة

سعر البذور نصف الشيقل واحد هو واحد من الفضة

الأجر للعامل هو شيقل واحد من الفضة وحظر له الطعام بان واحد من الشعير وتكون خدمته بهذا الأجر لمدة شهر واحد».

(Baqir 1948)

انظر أكثر في هذا الموقع:

http://www. ishtartv. com/en/viewarticle,35322. html#sthash. iccBCkvZ. dpuf

وقد لاحظ كريمر «إن المنتج من الحرفيين يبيع منتجاته اليدوية في سوق المدينة الحرة، ويتلقى هذه المدفوعات إما عيناً أو من «المال»، الذي كان عادة على شكل قرص أو حلقة من الفضة من الوزن القياسي». وقد استعمل الأكديون والبابليون الشيقل كعملة في التبادل التجاري. أما الأشوريون فقد طوروا استعمالها كعملة ثابتة في التعامل التجاريّ ومن بلاد آشور انتقلت صناعة العملات إلى بلاد الأناضول ومنها إلى ليديا التي سكّت العملات المعروفة على أنها أول أشكال العملات النقدية، ومن الواضح أنّ جذورها تمتد إلى عهد السومريين. (انظر Aziz Emmanuel (viewarticle,35322. html/al-Zebari: http://www. ishtartv. com/en وانظر (money. html-http://moriancumr2. blogspot. nl/2012/04/sumerian). و (origins/origins. html/1 .http://www. stim. com/Stim-x/10

وهناك نصوص آشورية صريحة من عصر الملك الآشوري سنحاريب تشير إلى عمليات تقطيع البرونز إلى قطع بون نصف شيقل تسمى بـ (رؤوس عشتار) كانت تستعمل كعملات نقدية.

الفصل الثامن

التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل



المبحث الأول: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل

القاعدة المادية

كان السهل الرسوبي الذي استوطن فيه السومريون بين 4000-3800 ق.م هو المكان الذي شيدوا فيه حضارتهم، وكانت مســاحة بلاد ســومر تبلغ حوالي عشــرة آلاف ميل مــربع، ويشير خبراء الآثار والزراعة أنّ هذا السهل في تلك العصور كان أخصب نوع من السهول في العالم فقد تشبع بالمياه والمعادن والأملاح التي تزيد من خصوبته، لكن الآفة الكبيرة فيه كانت الأملاح التي كانت تتصاعد فيه كلما مرّ الزمان وتُفقده خصوبته تدريجيًّا.

القاعدة المادية الأخرى، بعد التربة، كانت الأنهار وفروعها وروافدها وجداولها والتي كانت عوناً للمزارعين على الزراعة عن طريق الريّ وهو ما نشّط هندسة وتقنيات الريّ في سومر.

كانت دلتا الرافدين، حيث سومر، فقيرة بالمعادن وخاماتها وهو ما اضطر السومريين لجلبها من خارج البلاد، وفقيرة بالأشجار الكبيرة اللازمة لصناعة الخشب، باستثناء النخيل الذي كان المصدر الرئيس للأخشاب التي تستعمل كسقوفٍ وأعمدة في البيوت فضلاً عن أهميته في الطعام.

كذلك كان هناك فقرٌ في الأحجار والصخور اللازمة للعمارة الكبيرة الخاصة بالمعابد والقصور بشكل خاص.

التكنولوجيا

كان للسومريين نـزعة نوعية في الاختراعات والاكتشافات التقنــية، فقد ابتكروا الآلات والمهارات والأساليب الخاصة بتطوير منتجات كالفخــار وعجلة العربــة والمحراث وصــب النحاس والنقـش بالحفر، وابتكروا تقنيات السقي والريّ، وطوّروا الطب والعلاج والصيدلة والأعشاب وأوجـدوا نظامــاً مبتكراً للكتابة على ألواح الطيــن. وكانوا عمليين في هذا المجال

فاستخدموا الكتابة للأمور الاقتصادية، ثم طوّعوها في مجالات النصوص الدينية والحكمة والأدب، ثم ارتقوا بها في سنّ القوانين والشـــرائع التي دوّنت بالخط المســـماريّ وأصبحت مصدر إلهامٍ للشعوب القديمة.

العمل

كان العمل الرئيس في بلاد سومر هو الزراعة وهي أساس الثروة، ومن مزروعاتهم الأساسية الحنطة والشعير والنخيل والأعناب. واهتموا برعي الحيوانات الأليفة كالأبقار والخنازير والماعز والغنم والحمير، ونعموا بمنتجاتها ومن صوفها لنسج ملابسهم. واكتشفوا المحراث والعربة بأربع عجلات والمراكب والسفن الشراعية.

كانت المباني التي أقامها السومريون مبنية فقط من الطوب الطيني بسبب غياب الأحجار والأشجار، ورغم أنّ ذلك سبب انهيار المباني بسبب هشاشة الطين، لكنهم كانوا يعيدون بناءها باستمرار، ثم أصبحت الأنقاض الناتجة عن الانهيارات الأرضية عاملاً في تكوين قاعدة تسببت في تفاوت ارتفاعات مستوى المباني بعضها عن بعض.

وكان العمل دؤوباً في التجارة والحرف والصناعات الأولية، فضلاً عن الأعمال الأخرى في قصور الأغنياء والبلاطات، تلك التي ساهمت في حفظ ذلك التراث السومري العريق.

الطاقة

ظلت مصادر الطاقة في العصر السومري بسيطة، فقد قام السومري باستغلال طاقة الرياح في المراكب والسفن في الأنهار والبحار، واستخدمها في النواعير حيث قام باستغلال الفرق في منسوب المياه من أجزاء بعض الأنهار في إدارة بعض السواقي، وتشغيل الآلات. وعرف السومريون القار والنفط واستثمروهما في الإنارة والبناء، وكذلك الفحم في المواقد.

وكان تدجين الحيوانات واستخدام طاقتها في الزراعة والريّ، حدثاً نوعيًّا، آنذاك، له أهميته في استثمار الطاقة الطبيعية لصالح الحياة اليومية للسومريين.

أما العمل وطاقة العمل فقد كانت الوسيلة العظيمة لبناء حضارة سومر. فقد قام السومريون ببناء أعظم المعابد والقصور والمنازل والحظائر والورش الصغيرة.

كانت هندسة الريّ التي برع بها السومريون هي الوسيلة الأساسية لاستثمار طاقة المياه وتوزيعها بشكل صحيح في الزراعة، وهناك الكثير من الآثار التي تشير إلى بنائهم السدود والجداول والشرائع والقنوات التي تمكنوا من خلالها السيطرة على المياه وتنظيمها في الزراعة.

استيراد المعادن والأحجار الكريمة

افتقر وادي الرافدين لخامات المعادن الرئيسة، ولذلك قام باستيرادها من خارجه، فالنحاس يستوردونه من دلمون ومجان (البحرين وعمان) وملوخا (السند) عن طريق المقايضة بالقماش والملابس الجاهزة، والبرونز كانوا يصنعونه من النحاس والقصدير، والأخير كانوا يستوردونه أيضاً من عيلام والأناضول وأرمينيا. وكان الذهب يستورد من مجان، والفضة تستورد كذلك.

توسّع المهن والحرف السومرية

تراوحت المهن السومرية التقليدية بين المهن الزراعية والصناعية والتجارية، وكانت الحرف اليدوية نوعاً من الصناعات المبكرة التي كانت الأجيال تتوارثها ويطورها الحرفيون المهرة ويحتفظون بأسرارها، وكانت لها تجمعات مهنية خاصة تسيّر أمورها ومشكلاتها، «وتشير نصوص من عصر فجر السلالات إلى أنه كان في المعابد مشاغل متخصصة يعمل فيها الصناع من الرجال والصبيان والنساء لقاء أجور معينة، وكان لكل مشغل مراقب مشرف. ومن المشاغل التي ذكرتها النصوص مشغل النحات والصائغ والنجار وصانع الجلود والخياط وغيره. وعندما نشط القطاع الخاص في العصر البابلي القديم والعصر السومري، أصبحت الحرف مستقلة عن المعابد. وبذلك أخذت تلك الحرف تتوزع في أرجاء المدينة ولها أسواق متخصصة لكل حرفة من الحرف في كثير من الأحيان». (كجه جي2002: 16-17).

الفخاريات: لم تعد مقتصرة على الجرار والأواني، بل تعدتها إلى أكواب الشرب والصواني وأنابيب المجاري، وكانت هناك مناطق خاصة لصناعة الفخاريات عبارة عن كورات تضم مكان النار وقنوات الهواء والحرق وغيرها، فهي أشبه بالمعامل الخاصة بالأواني الفخارية، ومنها 14 كورة في مجمع واحد في أور في نهايات الألف الرابع ق. م.

الأختام الأسطوانية: ظهرت صناعة الأختام الأسطوانية في ثقافة أوروك الثانية 3500 ق.م أي مع بدايات ظهور الكتابة تقريباً، ولكن هذه الصناعة تطورت بطريقة نوعية مع ازدهار

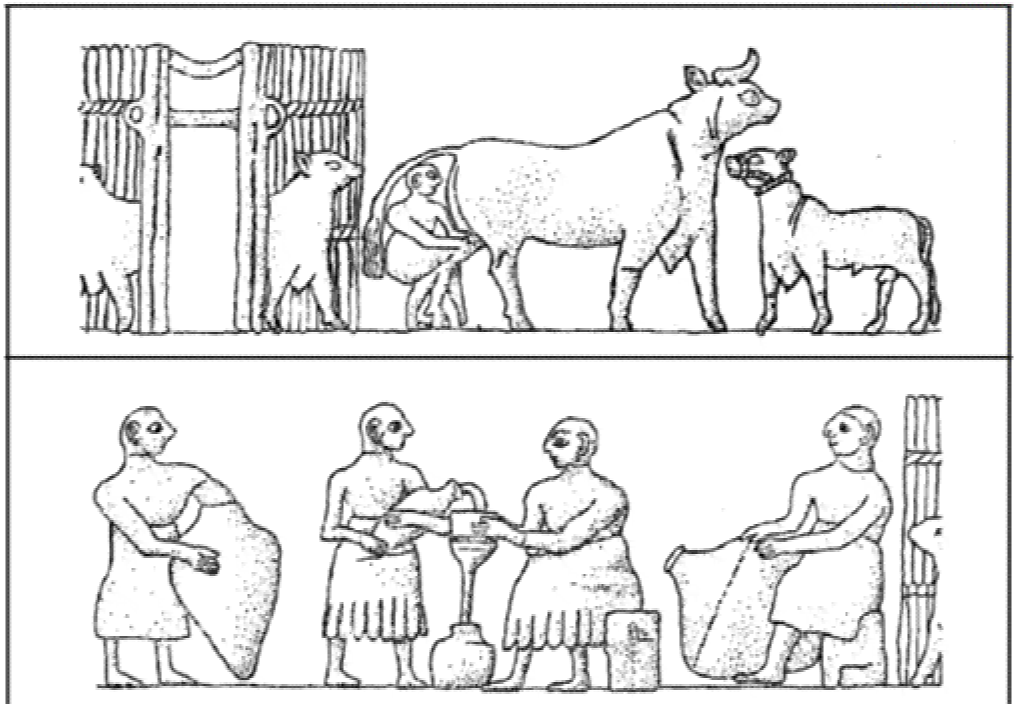
الحضارة السومرية، حيث توسعت أنواع المواد التي كانت تستخدم في صناعته فشملت حجر الستيتات الأسود والأخضر والأبيض والرصاصي والقهوائي وحجر اللازورد والمرمر والمرمر المعرق والحجر البلوريّ والهمتايت وحجر الكلس والعاج والمرمر الوردي والكرانيت والعجينة الطباشيرية والطين. وندر استعمال الذهب والفضة في صناعة الأختام.

الطابوق واللبن: كان اللبن غير المفخور وسيلة شعبية عامة لبناء البيوت وتزايد استعمال الطابوق المفخور مع مواد الخشب والحجر، وكانت صناعتهما تتمّ بقوالب الخشب الخشبية، وكان القار يستعمل كمادة رابطة في البناء في الكثير من الأبنية السومرية.

الصناعات المعدنية: استخدم السومريون النحاس والبرونز والذهب والفضة في صناعة الحلي والتماثيل الصغيرة والأواني والأطباق الفنية، وتوسع استخدامها في الكثير من الأعمال الفنية الجميلة. وكانت صناعة السبائك وصهر المعادن منتشرة في سومر.

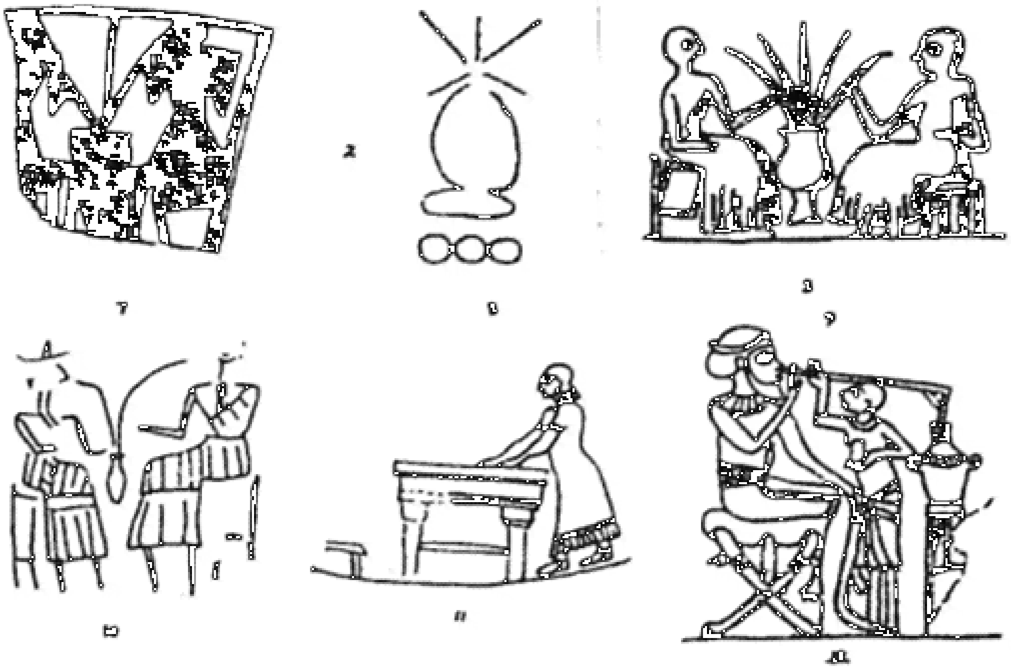
صناعات الغزل والنسيج: كانت الحياكة أساس هذه الصناعة، ولكنها توسعت وازدادت اتقاناً ومهارة عند السومريين، خصوصاً الصناعات الصوفية.

صناعة الألبان والحليب: كانت هذه الحرف منزلية وبقيت هكذا في العصور السومرية، لكن معامل بسيطة لصناعة الألبان ظهرت لصيقة بالمعابد ورصيدها من المواشي التي يرعاها عمال مهرة.

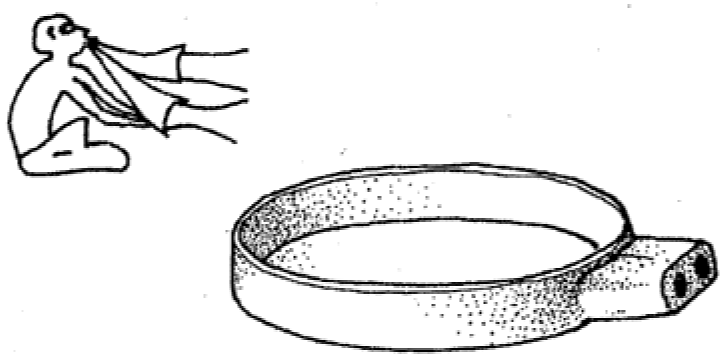


معمل الحليب والألبان في معبد العُبيد يتضمن مشهد حلب الماشية وجمع الحليب (الأعلى)، واستخراج السمن (الأسفل)

الصناعات الكحولية: وهي البيرة والنبيذ بشكل أساسي، وكانت صناعة النبيذ تعتمد على التمر والتين والعنب، ويضاف إليها الزيت والخميرة والتوابل ورحيق العسل، أما البيرة فكانت تعتمد على تخمير منقوع الشعير بالدرجة الأساسية وكانت نسبة الكحول قليلة جدّاً فيها. ولأن النبيذ والبيرة كانت جزءاً مهمّاً من المائدة اليومية للطعام في سومر فلذلك توسع واجتهد السومريون في صناعتها، بمختلف أنواعها كانت تعتبر من المشروبات المنعشة والمفضلة لدى العراقيين القدماء. وكانت الجعة تحضر بتنقيع الشعير في الماء أولاً ثم تسخينه بدرجة معتدلة لتنشيط الإنزيمات الضرورية للتخمير، ثم يجفف الشعير بالفرن ويفصل عن النشاء والقشوة بواسطة الغربال. وتعاد عملية تنقيع الشعير وتنقيته ومن ثم يرفع ويترك ليخمر. وما دام الشعير لا يحتاج إلى الكثير من العناية لحفظه فيمكن أن تجري العملية في أيّ فصل من فصول السنة. ويمكن معرفة عشرات الأنواع من الجعة وأسعارها المختلفة طبقاً إلى طريقة التنقيع والسحن والمزج والتخمير والتحليل والتعطير وغير ذلك من العمليات التي تجرى عليها. وهناك مشاهد فنية جميلة ترينا عملية صنع الجعة وطرق شربها المختلفة وجدت منقوشة على الأختام الأسطوانية». (كجه جي2002: 73)

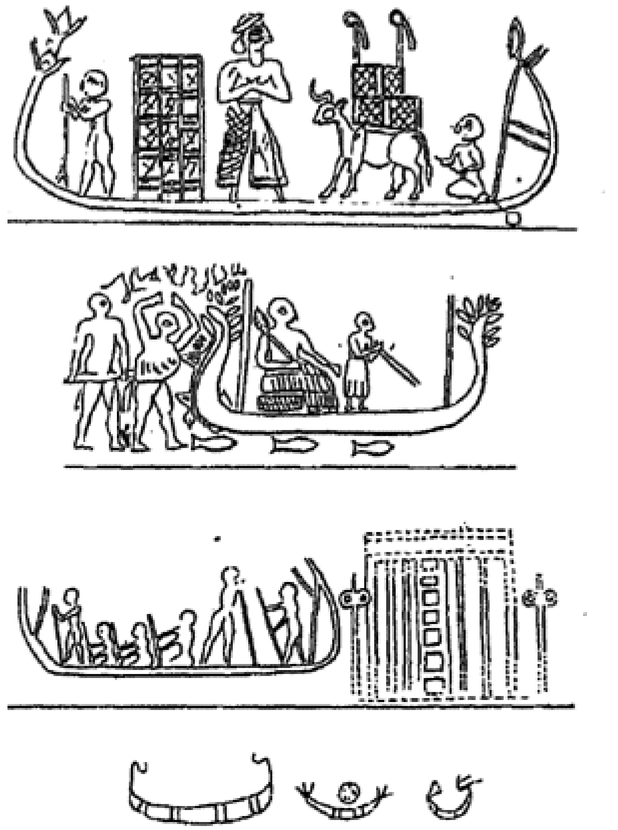


صناعة السيراميك: ابتكر السومريون صناعة السيراميك والفسيفساء وتوسعوا في استعماله وعثر على معامل صغيرة لصناعته في أنحاء كثيرة من سومر.



موقد صغير ومستدير من السيراميك ومصدره تلّو قد أكمل صنعه بالتعدين، له ثقبان متجاوران يسمحان بالتهوية الاضطرارية

صناعة القوارب: طوّر السومريون صناعة القوارب التي ظهرت في عصر العبيد وتوسعوا في استعمالها باعتبارها وسيلة نقل وتجارة.



صور مختلفة لقوارب مرسومة على أختام أسطوانية في حدود 3000 ق. م

المبحث الثاني: أمراء وملوك يعملون

1. جوديا: أنا حمار شعبي

الطاقة الأساسية في سومر هي الإنسان، والتي كان يمثلها أغلب ملوكها وأمرائها كقدوة في العمل والجدّ، كان جوديا أشهر الملوك السومريين لسلالة لجش، فهو الملك الثاني عشر للسلالة، وقد حكم من سنة (2144 - 2124) ق. م أي عشرين عاماً، وكانت زوجته (نينالا) ابنة الملك أوربابا (2164-2144) ق. م ملك لجش، أي أنه أتى بعده.

ويعدّ جوديا نموذجاً للملك الورع المعتدل القويم وكان بنَّاء ومحبًّا للعمران وكان يردد دائماً قوله الشهير (أنا حمار شعبي)، ممجداً العمل من أجل الناس والبلاد، وقد بنى الكثير من المعابد والأبنية الأخرى وجداول الريّ في لجش وفي مدن سومر مثل (أور ونيبور وأوروك وبادتبيرا).

كان الإله الرئيس الذي عبده جوديا هو (ننجرسو) أي (إله مدينة جرسو) وهي مدينة قريبة من لجش تسمى (تلّو) وهذا الإله هو إله حرب رغم جذوره الخصيبة وارتباطه بالطب والشفاء وآلهات العالم الأسفل.

اختار جوديا لقب إنسي (حاكم أو ملك مدينة) ولم يختر لقب ملك (لوكال بالسومرية وشارّوم بالأكدية). ويرجّح أنه وصل بنفوذه السياسي إلى بلاد عيلام وأنشان. وكان يجلب الكثير من مواد البناء مثل خشب الأرز من جبال أمانوس والأحجار من لبنان، والنحاس من شمال شبه الجزيرة العربية والذهب والأحجار من الصحراء بين كنعان ومصر، والديوريت من مجان (عُمان) والأخشاب من دلمون (البحرين).

استعاد جوديا، في فترته الحضارية في لجش، مجد سومر القديم بعد أن عبث الأكديون بهوية سومر ومعابدها ومدنها وبعد الهجوم الكَوتي على الأكديين ومدنهم، ولذلك أعلن جوديا

استقلال لجش عن كلّ من الكَوتيين والأكديين. ومن هذا الاسترخاء الحضاريّ ظهرت الدولة السومرية الحديثة ممثلة بسلالة أور الثالثة.

كان يطلق على جوديا لقب (سيبا زيد Sipa Zid) أي (الراعي الحقيقي) لأنه كان نموذجاً عالياً في التقوى والفضيلة والعمل بلا كلل من أجل شعبه ومن أجل الآلهة، وكان مهتمًّا بالعدالة الاجتماعية ولم يكن مجرد حاكم سلطة، وكان على صلة بالآلهة يتحدث معهم من خلال أحلامه وعن طريق الأحلام أبلغته الآلهة بضرورة بناء معبد ننجرسو العظيم.

ازدهرت في عصره الحكمة والفنون والتعليم وشاعت قيم السلام، ولذلك كان جوديا معلماً عظيماً من معلمي البشرية في تكوين شخصية الحاكم العادل. لفت الانتباه إلى عدالة نانشه وننجرسو وقدّم الحماية لليتيم والفقير ووقف بوجه الأغنياء ووفر الحماية للأرملة ضد الأقوياء.



يظهر جوديا حليق الشعر برفقة إلهة ثانوية هي (لامّا وهي روح من الأرواح الحارسة)

يقوده الإله ننكشزيدا نحو الإله إنكي

2. أورنمّو: ملك العمل

كان الملك أورنمو (2112 - 2095) ق. م مثالاً للملك الذي يحمل أدوات العمل، فقد خلّد إنجازه العظيم في تشييد بناء زقورة أور، على أنقاض زقورة أقدم منها، في «قطعة منحوتة من الحجر، لم يبقَ سالماً منها إلّا مشاهد جزئية، أهمها مشهد صور فيه الملك وهو واقف بهيئة صلاة وتعبد أمام الإله الجالس على عرشه (وهو إله القمر ننا) لتسلم الأوامر منه، ويشاهد في المشهد

الأسفل الملك وقد تسلّم الأوامر المقدسة في تشييد الزقورة ومعها أدوات البناء مثل الخيط وعصا البناء. وبالإضافة إلى هذه القطعة المنحوتة وجد عدد من التماثيل النفيسة بعضها مصنوع من البرونز المسبوك وبعضها من الحجر، وهي تمثل الملك (أور- نمّو) وخلفاءه من أبنائه وهي منقوشة في الغالب بنصوص سومرية قصيرة باسم الملك وألقابه وتسجيل بناء أحد المعابد». (باقر 2011: 420 - 421).

	
أورنمو يتسلم من إله القمر أوامر بناء زقورة أور، وفي الأسفل يحمل عدة العمل خلف إلهه	أورنمّو وهو يحمل وعاء العمل

الفصل التاسع

المظهر الديني للحضارة السومرية



آبو: إله الخضار السومري

http://www. daviddarling. info/encyclopedia_of_history/S/Sumerians.

html

الدين السومريّ أول دين بشريّ ظهر في التاريخ، فهو يحمل أنظمة واضحة ومتجانسة من مكونات الدين الرئيسة من (المعتقدات، والطقوس، والأساطير) والمكونات الثانوية من (الأخلاق والشرائع، وحكايات الأبطال، والجماعة الدينية).

القسم الأول: المكونات الرئيسة للدين السومري

أولاً: المعتقدات الدينية

تشكل المعتقدات رأس الديانة السومرية وفكرها وتضم التصورات اللاهوتية للمقدسات والعالم الراهن والعالم الآخر، وعلاقة الآلهة بالإنسان وتصورات الإنسان عن المصير البشري. وتصاغ هذه المعتقدات ضمن تراتيل وصلوات ونصوصٍ روحية. ويأخذ المعتقد أشكالاً أكثر تعقيداً وترابطاً من تلك الأفكار الأدبية الممزوجة بالعاطفة في الأديان الأكثر تطوراً وشمولاً، ولا شك في أنّ جوهر المعتقد يكمن في الجزم بوجود قوة قدسية نائية منفصلة عن عالم دنيوي. ويجري في تفاصيل المعتقد وصف هذه القوة وعلاقتها بالإنسان. وقد سمّي المعتقد بعد تطوره بالعلم الإلهي أو الثيولوجي Theology، وسماه البعض علم اللاهوت وعلم الكلام، لكن المعتقد بمعناه الدقيق يبقى أوسع من العلم الإلهي.

المعتقدات الدينية السومرية هي الوجه النظريّ للدين السومريّ وإذا كانت الطقوس والشعائر السومرية تشكل الوجه العملي للعقيدة الدينية فإن الأساطير تربط بينهما وتشكل المتن الحكائي لهذه العقيدة الدينية.

وقد تطورت العقائد الدينية السومرية تطوراً بالغاً منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى وصلت إلى شكلها المتماسك الدقيق مع نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. وأكسبها هذا التطور مرونة كبيرة

لاستيعاب التغيرات السياسية والاجتماعية والحضارية التي حصلت خلال ما يقارب الألفي سنة الضاجة بالأحداث.

1. المؤسسة الدينية السومرية

ربما كانت المؤسسة الدينية السومرية أول مؤسسة دينية متكاملة ومنسجمة في تكوينها ووظائفها. وهي إذ تتكون من المؤسسة الإلهية التي تشمل عدداً كبيراً من الآلهة المختلفين في مقاماتهم والمؤسسة الكهنوتية التي تشمل عدداً كبيراً من الكهنة المختلفين في درجاتهم ووظائفهم، فإن المعابد كانت أماكن مشتركة لأعضاء المؤسستين السابقتين يمارسون فيها حضورهم ووظائفهم ويؤسسون فيها لتقاليد وعقائد وطقوس الدين السومريّ وربما كانت مسرحاً لتأليف وقراءة وصياغة الأساطير السومرية أيضاً.

أ – المؤسسة الإلهية:

كانت هذه المؤسسة هي الشكل الأعلى المطلق للدين. فالآلهة هي التي خلقت الكون والإنسان وهي التي جعلت الكون مسرحاً لحركتها والإنسان خادماً لها ليقوم بدلاً عنها بتنظيم الحياة على الأرض والعمل وتهيئة الزرع والطعام وغير ذلك.

إن طبيعة الآلهة تحمل جانبين متلاصقين أولهما حسّي مجسم ينحدر من جذور تصور الإنسان للإله، وثانيهما مجرد ذهني تولد من تأمل الإنسان في الإله وطبيعته. الصورة الحسية للآلهة السومرية نشأت من الطبيعة. فقد أنسن الإنسان السومريّ الطبيعة في جنوب العراق وورث تقاليد عبادة الإلهة الأم وهي إلهة طبيعية من شمال العراق، ولذلك جاءت أول تصوراتهم الحسية عن الآلهة ملتصقة بالطبيعة لأنهم كانوا يرون في ذلك استمرار بقاء زرعهم وقطعانهم ومياههم التي كانت مصدر عيشهم الأول. ولذلك كانت صور الآلهة، وخصوصاً قبل 3000 ق. م لها علاقة بالدرجة الأساس بالطبيعة، حيث كان كبار الآلهة السومريين يمثلون الطبيعة نفسها. فالإله آن هو السماء وإلهها والإله إنليل هو الهواء وإلهه والإله إنكي هو الماء وإلهه والإلهة (كي) هي الأرض وإلهتها.

وتمّ تصور الآلهة أيضاً في ذلك الوقت على شكل حيوانات مثل الإلهة (باو) إلهة الزراعة والشفاء على شكل كلب، والإله (أمدوكد) إله الغيوم الممطرة على شكل طائر أسود برأس أسد يزأر

وصوته الرعد ويطير بأجنحة هائلة في الجوّ. والإله (ننجرسو) إله الحرب وكأنه أيضاً طير برأس أسد... إلخ.

وتطور تصور الآلهة بعد 3000 ق. م وأصبح أقرب إلى الشكل الإنساني. وظهرت مصورات الآلهة بهذا الشكل لكنها كانت دائماً تلبس تاجاً مقرناً يشير إلى الألوهية ويميزها عن الملوك والبشر، لكن الصورة الحيوانية والطبيعية لم تنحسر، بل تحولت إلى رموز لهذه الآلهة فقد كانت رموز الآلهة السومرية تعتمد على أشكال من الطبيعة أو من عالمي النبات والحيوان لتشير إلى طبيعة أو صورة كانت ذات يوم لتلك الآلهة. أما التطور الحاسم في تصور طبيعة وشكل الآلهة (المهمة منها بشكل خاص) فقد حصل عندما أصبحت الآلهة على شكل كائنات بشرية مضيئة، أي إن الضوء كان يشع من أجسادها.

«أما الرموز المجردة أو الذهنية أو التأملية للآلهة فقد أخذت تنمو مع ازدياد مدركات الإنسان العقلية والروحية وصارت فكرة الألوهة حاضرة بشكل دائم في الذهن القديم، فافترض الفكر السومريّ أنّ في كل إنسان روحاً إلهية أو إلهاً شخصيًّا يرعى شؤونه كما في هذه الأقوال: بدون إله لا يستطيع الإنسان أن يكسب عيشه والشاب يستطيع تحريك يده ببطولة في القتال». عندما تخطط للمستقبل يكون إلهك إلهك. ولما لا تخطط للمستقبل لا يكون إلهك إلهك. فللألوهة خلال هذين النصين عناية دائمة وفعل مستمر الوعي. ولكنها ليست إنسانية خاضعة لنزوات الفرد وضعفه، بل هي المثالية التي يحس بها الإنسان». (الحوراني 1978: 154).

وتطورت هذه الصورة المثالية بعد ذلك إلى أنّ الألوهة أصبحت تعني التفوق والحكمة داخل الإنسان، وهذا تطور ملحوظ ودقيق وعقلاني كان بإمكانه أن يؤدي إلى تطورات روحية وعقلية مذهلة لو أنه استمر لكنه اضمحل مع نهاية سومر وصعود الفهم السامي الصحراوي المجرد للإله حيث رمي الإله خارج الإنسان بعيداً عن الأقاصي وتحول الإنسان إلى كائن تافه. لقد كان الفهم السومريّ لإحساس الإنسان بالآلهة والألوهية عميقاً ونادراً. ولننظر كيف يخاطب أحد الطلبة السومريين معلمه معبراً عن فضله عليه: «أنت إله وحيث إن الإله يصنع الإنسان فأنت إلهي لأنك صنعت فيّ الإنسان». (انظر Dijk Van 1953 :24).

أو نتأمل هذه الرقية على لسان أحد الكهنة بعد أن يعدد آلام المريض ومصائبه: «إلهه ترك جسده... إلهته تخلت عنه». (انظر Reiner 1958: 30).

«إن هذا التأمل والغوص داخل الذات الإنسانية لم يمنع السومريّ مطلقاً من تصور مقابل ورفع الآلهة إلى أقصى ما في الكون وقد كانت علامة (دنكر) السومرية الدالة على الإله تشير إلى مثل هذا التصور لأنها كانت تعني أيضاً السماء أو النجوم. وقد اعتبر السومريون أنّ كل خاصية غير جسدية وغير مرئية أو محسوسة هي قوة لاهوتية. ومن علامة (دنكر) هذه نستطيع استشفاف فكرة التجريد اللاهوتي خلف كل تشخيص. إذ إنها عندما كانت تكتب منفردة كانت تعني الإله الأكبر المطلق. وهنا لا بدّ من الملاحظة أنّ اندماج فكرة الألوهية بالعلو والسماء في الفكر القديم – حيث كانت إشارة ألوهية تعني العلو والسماء كذلك – هذا الاندماج ذو دلالة هامة على العلاقة المرهفة التي تربط الإنسان بالوجود الكوني البعيد، هذه العلاقة التي تعبر عن ذاتها بالمشاعر اللاهوتية المشدودة دائماً نحو المطلق الكوني». (انظر الحوراني 1987: 157).

أما القوة الإلهية فكان يعبر عنها بالمخلوقات الإلهية والحية كالطبيعة والكواكب ومظاهر الطبيعة والنباتات والحيوان والإنسان. لكن جوهر القوة الإلهية كان يكمن من وجهة نظر السومريّ في الكلمة، فكان الإله عندما ينطق بالكلمة فإن الأشياء تكون. وكانت هذه الكلمة إما فكرة (نا) أو كلمة (لو) أو اسماً (نام). وتسمى سمة الشيء أو صفاته (نم) التي يقابلها في الأكدية كلمة (شمتو) أي سمة الشيء وطبيعته.

كذلك كان يتمّ التعبير عن القوة الإلهية بالنواميس الإلهية (مي Me) التي كانت تمثل مظاهر الحضارة والتمدن ويقترب عددها من مئة ناموس حضاري، إلّا أنّ أسطورة إنانا وإنكي ونقل نواميس الحضارة من أريدو إلى أوروك أحصت ثمانين منها واشتملت كل الفنون والآداب والحرف ومراتب الكهانة والموسيقى والملابس وأشكال الملوكية والسلطة، كذلك تتجسد القوة الإلهية فيما يسمى بـ (لوح الأقدار أو المصائر) الذي كان يحمله الإله القومي السومريّ (إنليل) والذي كان ضياعه أو اغتصابه يعني فقدان السيطرة على نواميس الطبيعة ودخول العالم في اضطراب شديد.

ب– المؤسسة الكهنوتية

تدرج النظام الديني الكهنوتي السومريّ في تطوره، وكان على رأس هذا النظام في بدايات سومر الملوك الأوائل الذين كانوا الكهنة العالين في الوقت نفسه وكان الملك – الكاهن يسمى (باتيزي) أو (إنسي) ثم انفصلت هذه العلاقة، فأصبح الملك يسمى (لوكال) والكاهن الأعلى يسمى (إين)، أي السيد. وكان هذا الكاهن يقترن بالكاهنة العليا التي تسمى بالسومرية (نندنكر) أي (السيدة الإلهة) وبالأكدية (إينتو) أي (السيدة).

أما بقية المراتب الكهنوتية فكانت تنقسم إلى مرتبتين أساسيتين هما:

1 – المرتبة العليا: وتضم:

أ – الكهنة الأعلون ويسمون (سانكا) أو (ماخ)

ب – الكهنة الحراس ويسمون (أوريكالو)

ج – الكهنة المتخصصون ويضمون كهنة يمارس كل صنف منهم نوعاً معيناً من الأعمال داخل وخارج المعبد ويشتملون على (المنظفين، والمطهرين، والمعمدين، والماسحين بالزيت، والمعزمين، والعرافين، ومفسري الأحلام، وكهنة الأسرار، والمتدربين، والنادبين، والمنشدين).

أما الرجل الذي يلقب بـ (إين) فيكون بمثابة الكاهن الأعلى الذي يتزعم الناس والذي قد يمثل الملك في أعياد رأس السنة.



رجل دين سومريّ من ماري(3000-2500) ق. م

http://artifactsplanet. com/R0637. html

2 – المرتبة العادية: وتشمل أيضاً ثلاثة أصناف من الكهنة والكاهنات:

أ – الكاهنات: حفلت الحياة الدينية السومرية بظهور الكاهنات وكان بعضهن يحتل مرتبة الكاهنة العليا (نندنكر) التي كانت تقترن بالملك في مناسبات الزواج المقدس باعتبارها ممثلة عن الإلهة إنانا.

وهناك أيضاً كاهنات المرتبة العليا مفسرات الأحلام بشكل خاص.

أما رتب الكاهنات فهن كما يلي:

1 – الراهبة وتسمى (لوكور Lukur) وهي المرأة التي نذرت للخدمة في معبد أحد الآلهة. ولم يكن لها الحق في الإنجاب.

2 – القديسة وتسمى (نوكك Nu. gig) وقد ترجمها بعض الباحثين بصورة خطأ بـ (بغي المعبد) وصار المعبد، على ضوء ذلك، مكاناً لممارسة البغاء وسمّوه بالماخور، في حين إن ترجمته الدقيقة هو (الدير) واسم هذه الكاهنة يعني (الخالية من الأمراض)... وهو فهم وقع في خطئه أغلب

المؤرخين القدماء عن طبيعة ومكانة المرأة المتعبدة في سومر ووادي الرافدين عموماً، فالمقصود من ذلك هو أنّ المرأة التي تنذر نفسها لمهمة إخصاب الحياة في طقوس دينية محكمة هي ليست بغيّاً، بل هي تمارس طقساً دينيّاً، وهذا حال شعب كانت جوهر ديانته قائمة على الخصب والنسل وليس على الجدب والقحط.

3 – المنذورة (نوبار Nu. bar) وهي المكرسة لإله معين وتتحدر عادة من أسرة غنية.

4 – المرافقة (سوكي Su. ge) التي لها علاقة بطقوس الزواج المقدس. وكان لها الحق بالإنجاب.

5 – الحاجبة (سال زكوم Sal. Zikkrum) وتترجم أحياناً المرأة الذكر وكانت تقوم بأعمال الخدمة في المعبد.

ونودّ هنا أن ننفي ما شاع ذكره عن (بغايا المعبد) في الحياة الدينية السومرية فلم يكن هناك ما يسمى ببغايا المعبد، بل إن البغايا كن يمارسن البغاء في بيوت خاصة بهن أو في حانات بيع الخمور. أما المعبد فلم يكن يحتوي مطلقاً مثل هؤلاء النساء... وقد أشاع هيرودوتس ذلك عن المعابد العراقية القديمة دون أن يزور بابل، بل كان متأثراً ببيئته اليونانية. وربما يكون مصدر هذا اللبس ما كان يحصل من ممارسة الجنس المقدس بين الكاهنة العليا والملك في طقوس الزواج المقدس التي كانت تجري في مطلع العام الجديد وسط احتفالات دينية مهيبة.

ب – الكهنة الخصيان (المنذورون) وهم الذين لا يحق لهم الزواج مطلقاً وينقسمون إلى نوعين:

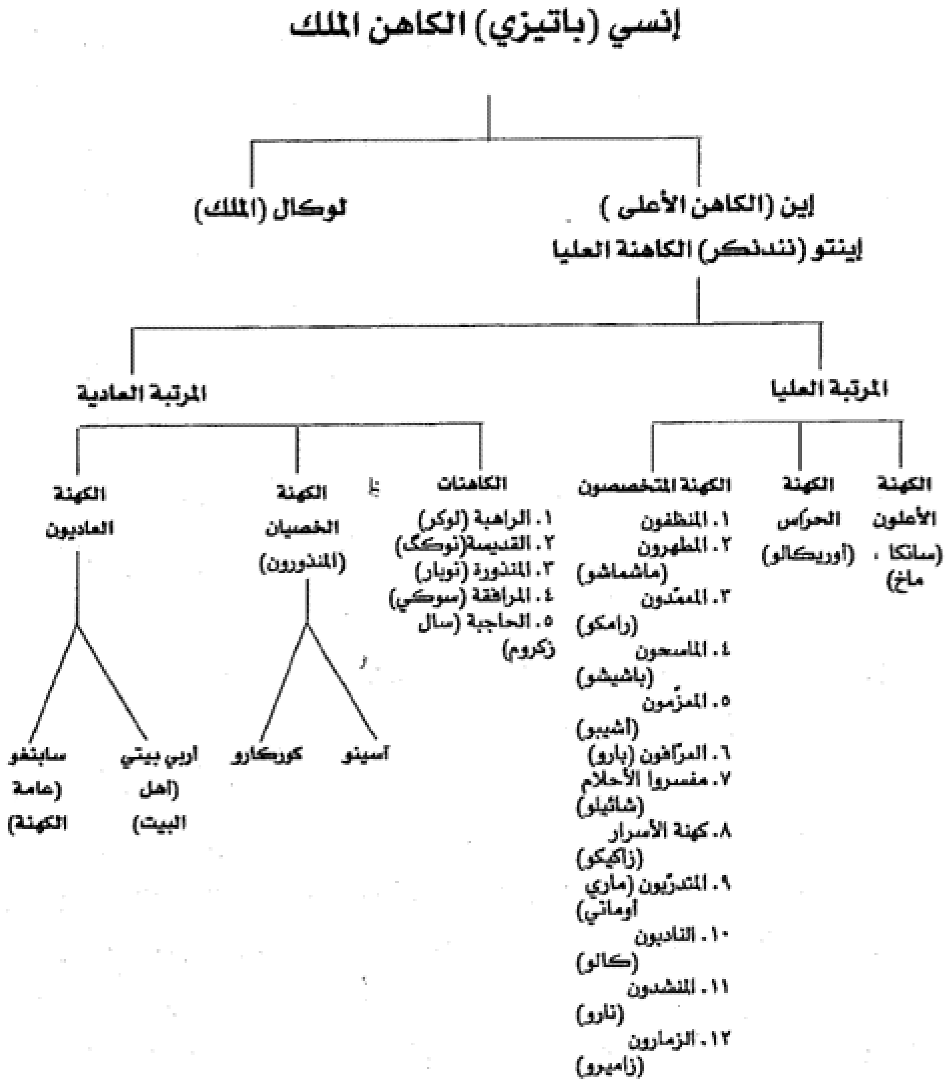
1 – أسينو

2 – كوركارو

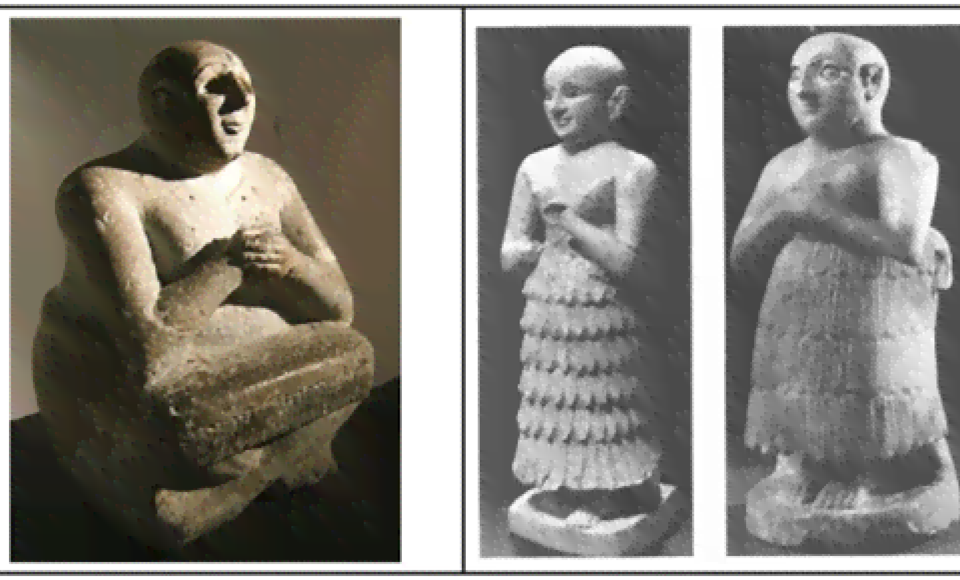
ج – الكهنة العاديون: وهم رجال الدين من المرتبة الأولية البسيطة وينقسمون إلى نوعين:

1 – سابنغو: أي عامة الكهنة

2 – أربى بيتي: أي الداخلون إلى المعبد.



هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين



اليسار – ثمثال رجل دين من ناني من معبد عشتار في ماري. 2900-2460 قبل الميلاد. ارتفاع 46. 4 سم. متحف دمشق، اليمين: تمثال لرجل دين حوالي 2900-2450 قبل الميلاد.

ج– المعابد السومرية

كانت المعابد السومرية أماكن مشتركة للآلهة والكهنة معاً، كانت البيوت الأرضية للآلهة وكان الكهنة في هذه البيوت بمثابة خدام الآلهة يؤدون لهم الطقوس والشعائر ويوفرون لهم ولتماثيلهم جميع المتطلبات التي كانوا يحتاجون إليها. ولا شك أنّ المعابد السومرية تطورت عن معابد العبيد وأريدو التي ظهرت مع بداية الكالكوليت (الحجريّ النحاسي).

ولعل أقدم معبد (في وادي الرافدين، هو المعبد الذي عثر عليه في أريدو (الطبقة السادسة عشرة) في الألف الخامس قبل الميلاد كان مخصصاً لإله الماء والحكمة (إنكي) وكان معبداً بسيطاً يتكون من رواق ومكان مقدس وقدس أقداس. وهذا المعبد لا يعود للسومريين فهو أقدم من تاريخ استيطانهم، بل يعود إلى شعب ثقافة أريدو النحاسية الحجرية (الكالكوليتية).

ثم توسع المعبد وأصبح وسطه محاطاً بالغرف الإضافية، وقد شيد على دكة أو مصطبة يصعد إليها بمجموعة من السلالم المؤدية إلى مدخل المعبد. ويمكننا إجمالاً تقسيم المعابد السومرية إلى الأنواع التالية:

1 – المعابد البسيطة: وهي المعابد التي تؤرخ ما بين (5000-3500) ق. م وكانت تتكون من مرافق بسيطة للغاية هي الرواق والمكان المقدس وقدس الأقداس ونماذجها واضحة في معابد أريدو (الطبقات 18-8) ومعبد تبه كاورا (طبقة 18).

2 – المعابد ذات المصطبة: وأغلبها ينحصر في التاريخ ما بين (3500-3000) ق. م وقد تطورت مرفقاتها وصار بالإمكان معرفة الآلهة المخصصة لها. ومنها معابد (إنانا في الوركاء) و(أريدو) وخفاجي للإله نانا (القمر) ومعبد تل براك لإلهة العين ومعبد تبه كاورا.

3 – المعابد ذات المصطبة والأشكال المختلفة: وقد ظهر أغلبها في مرحلة دول المدن السومرية (3000 – 2470) ق. م وامتازت بظهور أشكال هندسية مختلفة لها كالبيضوي والدائريّ والمربع والمستطيل. ومنها معبد ننخرساج في تل العبيد ومعبد إنليل في نفر والمعبد المربع للإله أبو في تل أسمر ومعابد خفاجي الثلاثة (البيضوي، ننتو، سين) ومعبد شارا في تل أجرب ومعبد عشتار في أشور ومعابد ماري الستة (إنانا، ننخرساج، أوتو، عشتارات، ننى زازا، الزقورة).

4 – الزقورات: وهي المعابد التي شيدت على شكل طبقات بين (3 – 7) طبقات ويربط بين كل طبقتين مدرج، وقد كانت الطبقات تقل سعة كلما ازداد ارتفاع الزقورة حتى إن بعضها كان ينتهي بغرفة واحدة كانت مخصصة لإله ذلك المعبد.

وأهم هذه الزقورات ظهر في مرحلة سلالة أور الثالثة (2124 – 2006) ق. م في مدن أور، أريدو، نفر، أوروك. ولعل زقورة أور المخصصة لعبادة الإله القمر (نانا) كانت الأكثر شهرة بين هذه الزقورات والأكثر مقاومة وصموداً أمام الزمن فأطلالها ما زالت إلى يومنا هذا شامخة.

لقد كانت المعابد تبنى في مركز المدينة وكان هذا يشير إلى أنها كانت أماكن للممارسات الدينية والدنيوية أيضاً فبالإضافة إلى شؤون الطقوس والعبادة كانت المعابد أماكن اقتصادية تمارس فيها عمليات المقايضة والإقراض الخاصة بالحبوب والمعادن الثمينة بالإضافة إلى أنها كانت الأماكن التي ظهرت منها الكتابة كحاجة عملية لتنظيم اقتصاديات المعبد.

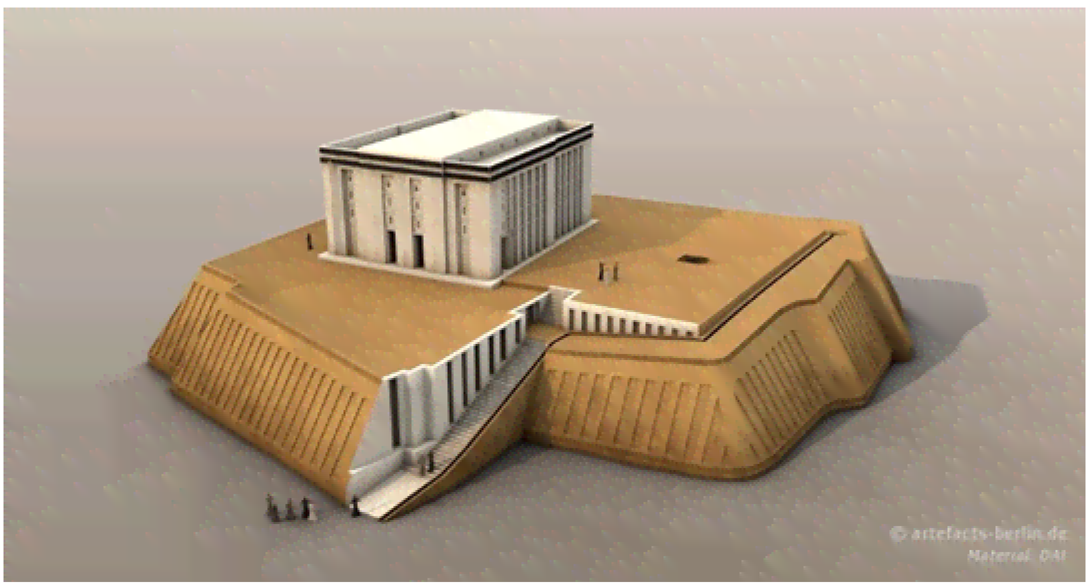
وكذلك لعبت المعابد دوراً رئيساً في كونها أماكن لإجراء المحاكمة وكانت أشبه بالمستشفيات وأماكن الشفاء إضافة إلى دورها الكبير في شؤون التعليم كمدارس أولية.

وكان لأغلب المعابد السومرية الأراضي والحقول الزراعية حيث كان الكهنة يقومون بتنظيم أوقاف وأعمال هذه الأراضي المغروسة والتي كانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع: (انظر بشور 1981: 19).

1 – أرض الرب (جانا – تي – أين – نا) ويعمل فيها كل المجتمع من أجل المعبد.

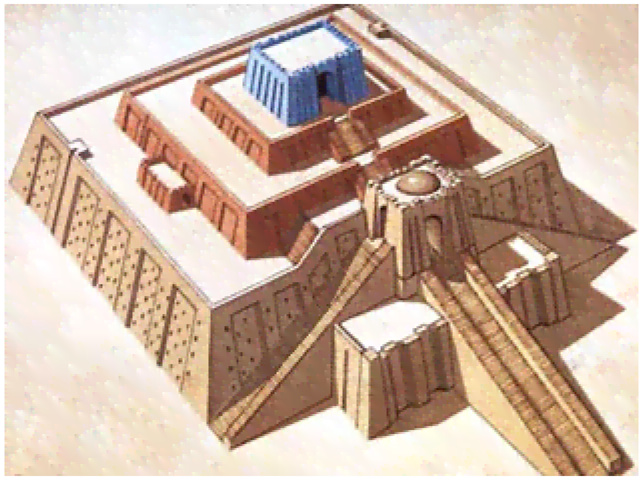
2 – أرض القوت (جانا – كور – را) وهي من نصيب القائمين على المعبد لإعالتهم.

3 – أرض المحراث (جانا – أبين – لا) وتسلم للمشتركين بالحصة التي تتراوح بين (1/7، 1/8) من المحصول.



إعادة بناء متخيلة لمعبد الإله (المعبد الأبيض في أوروك) وزقورته 3200-3100 ق. م

http://www. pinterest. com/pin/400046379370999324/



زقورة إله القمر(ننار) في أور عصر سلالة أور الثالثة

http://www. islamic-architecture. info/WA-IQ/WA-IQ-027.Htm

2. عقائد الربوبية

إن العقائد الخاصة بالأرباب والآلهة السومرية تجلّت في مجموعة من الصفات والمميزات التي قد تبدو في بعض أوجهها متناقضة لكن ذلك متأتٍّ من الفترة الزمنية الطويلة التي تطورت فيها هذه العقائد وبقيت بعض وشائجها القديمة متصلة مع الجديدة دون أن يصار إلى وضع تناقض حادّ بينها.

أ– الأرواحية Animism:

يعتبر تايلور أنّ الأرواحية هي أقدم معتقد مارسه الإنسان ويقضي هذا المعتقد بأن جميع الأشياء تحمل روحاً حية، وربما كان الإنسان قديماً يعتقد أنّ هذه الروح الحية واحدة في جوهرها ولكنها تسري في كل شيء وفي أدق التفاصيل.

وكان السومريّ يرى أنّ الألوهية تمثل هذه الأرواحية. ولذلك اعتقد أنّ لكل شيء إلهاً خاصًّا يستمد وجوده من مسرى الألوهية في كل الكون.

وإذا كانت الأرواحية في منشئها تعبر عن عقيدة سحرية دينية مارسها الإنسان في الماضي البعيد إلّا أنها عند السومريين تطورت فأصبحت تشير إلى الآلهة التي تسير وتسيطر على حركة

الأشياء.

وإذا كان البدائيون المعاصرون يطلقون على القوة الروحية التي تسري في الكون والإنسان والأشياء مصطلح (المانا Mana) الذي أدخله العلامة كودرنجتن Cordringtion بعد أن وجده شائعاً بين الجماعات البدائية التي تسكن ميلانيزيا وبولوينزيا والفلبين فإن السومريين كانوا يشيرون بعلامة (دنكر Dingir) أي الإله أو العالي أو السماء أو النجم إلى تلك القوة وكان الأكديون بعدهم يسمونه (إيلو).

ورغم أننا نتحفظ على المطابقة التامة بين المصطلح الديني دنكر والمصطلح الأرواحي مانا إلّا أنّ هناك ما يبرر المقارنة بينهما.

إن ظهور أرواحية النباتات والحيوانات ومظاهر الطبيعة على أنها آلهة تتخفى وراء كل هذه الأشياء هو الذي يفسر لنا ظهور آلاف الآلهة السومرية التي كان يوضع أمام اسمها علامة واحدة هي علامة دنكر.

ب- التشبيهية Anthorprmorphism

سبق لنا القول إن السومريين لم يتصوروا منذ البداية آلهتهم على صورة الإنسان لكنهم استقروا على هذا الفهم بعد ذلك، فقد صورت الآلهة أولاً على صور مظاهر الطبيعة والحيوان والنبات. لكنها أخذت صورة الإنسان في مرحلة لاحقة ونتج عن ذلك التشبه الكامل بالإنسان من حيث عاداته وتقاليده وأعماله. فالآلهة لم تعد تشبه الإنسان شكلاً فقط، بل أصبحت تشبهه في سلوكها فهي تأكل وتشرب وتتناسل وتنجب وتتألم وتغضب. وهذا يعني أنّ السومريّ أنسن الآلهة ولكنه احترس من ذلك في نقطة واحدة هي أنّ الآلهة لا تموت مثل الإنسان فهي خالدة إلى الأبد.

إن مبدأ التشبيه هذا ظل في عموم العقائد الدينية اللاحقة حتى إذا ما جاءت العقائد التوحيدية نبذته وجعلت الله مفارقاً للإنسان ويختلف عنه في كل شيء.

ج- التعددية Polytheism

عرفنا أنّ الآلهة السومرية كثيرة وأن عددها قد يصل إلى بضعة آلاف. وهذا يضعنا أمام حالة محيرة وسؤال أساسي هو: هل ظهرت هذه الأعداد مرة واحدة أم بالتدريج؟ ومن المرجح أن

تكون الإجابة متكئة على التطور التاريخي الذي يسوغ ظهور عدد محدود من الآلهة في بدايات ظهور الدين السومريّ، لكن هذا العدد بدأ بالتزايد والانشطار مع ظهور المدن والأقاليم السومرية الجديدة ومع اتساع النفوذ السومريّ ومع الحاجات الدينية والاجتماعية والسياسية للكهنة السومريين.

إن التعددية الإلهية السومرية هي الطاغية في عقائد الربوبية السومرية، ولكن هذا لم يمنع من ظهور نزعات تفريدية وتوحيدية.

د– التفريدية Henotheism

نرى أنّ النزعة التفريدية ظهرت في الدين السومريّ في اعتقاد السومريين بإله قومي واحد لهم هو الإله إنليل الذي كان إله الهواء والروح والإله المسؤول عن الأرض والملوك والسلطة.

والتفريد لا يعني التوحيد المطلق، بل إبراز وتضخيم إله واحد على حساب أو بين الآلهة الآخرين. ولا يعني ذلك بالضرورة شطبهم أو عدم التعامل معهم. بل يصار في الغالب إلى إعطاء الإله المفرد صفات بقية الآلهة إضافة إلى صفات الملك والخلق والحاكم والعقاب والثواب. إلخ.

وقد احتل الإله إنليل هذ المرتبة وكانت تجرى له في كل المدن السومرية طقوس العبادة. أما مدينته الرئيسة نفر ومعبده فيها فكانا مثار طقوس مقدسة كبيرة، وكان السومريون يحجون إليها من كل بلاد سومر باعتبارها المدينة المقدسة للسومريين، ولذلك لم نجد هذه المدينة تخضع لملك معين أو تنشأ فيها سلالات حاكمة بسبب مركزها الديني المقدس.

ولا نستبعد مطلقاً أن يكون السومريون الجدد أثناء حكم سلالة أور الثالثة قد استبدلوا إلههم القومي إنليل بإله تفريدي آخر أو جديد هو إله القمر (نانا) أو(ننار) أو(سين) الذي هو ابن الإله إنليل فقد كانت سمة الديانة السومرية في هذه المرحلة مرتبطة بالإله القمر وأصبح ذكرها مرافقاً لذكر هذا الإله الذي خصصت له أكبر زقورة سومرية هي (زقورة أور) وسنحتاج الكثير من الأدلة لإثبات هذا الأمر الذي يمكن أن يكون مدعاة لتبدل جوهريّ في العبادة السومرية.

هـ– التوحيدية Monotheism

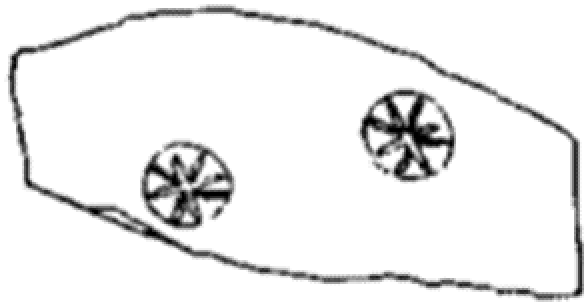
كانت النزعة التوحيدية كامنة في الدين السومريّ في صيغة الإله أن (إله السماء) فهو إله عالمي مطلق عندهم على العكس من الإله إنليل الذي هو إله شعب ذوي الرؤوس السود (أي

السومريين) فهو إله قومي خاص بشعب محدد. مثلما كان الإله إيل (إيلو) هو الإله العالمي الأوحد للأكديين، والإله شمش هو الإله القومي لهم. ومثلما كان الإله مارتو (أمورو) هو الإله القومي للأموريين، والإله مردوخ هو الإله القومي للبابليين، والإله أشور هو الإله القومي للآشوريين، والإله بعل هو الإله القومي عند الكنعانيين، والإله حدد هو الإله القومي عند الآراميين، والإله يهوه هو الإله القومي عند العبريين.

وكانت جميع هذه الأقوام السامية التي ذكرناها تعبد الإله العالمي الأوحد (إيل) بالإضافة إلى إلهها القومي. ولا نشك مطلقاً في أنّ الإله (إيل) الذي أصبح رديفاً لـ(الله) عند العرب كان مستمدًّا من الإله السومريّ (أن) ذلك أنّ الإلهين معاً كانا يرمز لهما بإشارة الـ(دنكر) الكتابية التي تشير إلى الجهات الثماني، وقد ظهرت هذه العلامة مبكرة في الحضارة العبيدية في الألف الرابع قبل الميلاد في تبه كاورا.

وبذلك تكون نزعة التوحيد السومرية قد عبرت عن نفسها بهذه الصيغة التي ظلت تلازم الساميين من بعد السومريين حيث كانت جميع الديانات السامية القديمة تحمل التوحيد في صيغة الإله (إيل) وهو إله عظيم متعالٍ كبير قصيّ، وتحمل التفريد في صيغة الإله القومي لها وهو الإله البطل المركزي الذي يعينها في الأزمات والحروب وكانت تحمل الشرك أو التعدد في صيغة الآلهة الكثيرة التي تعبر عن ظواهر الطبيعة وعن حاجات الحياة.

لقد ورث السومريون قبل غيرهم التوحيد النيوليثي الأنثوي الذي كان محصوراً بالإلهة الأم بعد اكتشاف الزراعة في الشمال العراقي ولكنهم ورثوا معه الانقلاب الذكري الذي قام به الإله الذكر والذي بدأ يظهر بعد الكالكوليت بشكل واضح، وكان هذا الإله الذكر هو (إله السماء) الذي كان يزخ بمنيه على الإلهة الأم الأرض بصيغة المطر. ولما تمّت الإطاحة الكلية بالإلهة الأم ظلّت صورة الإله الذكر السماوي مطلقة تجمع في شكلها نزعة التوحيد الأنثوية القديمة. لقد كان هذا التراث هو ظهير التوحيد السومريّ الذي ظل مشوشاً بفعل كثرة الآلهة وتنوع اختصاصاتها.



علامة الألوهية على فخار قبل ظهور الكتابة تبه كورا – الألف الرابع قبل الميلاد.

3. عقائد الخلود والعود الأبدي

لم يقف السومريّ واجماً أمام دورات الزمان والمكان ومحاولات الإنسان الدخول فيها أو التقاطع معها. فلقد كانت منظومة الآلهة التي سطرها برتب متوازنة مدعاة للتلميح بأنه كان يحاول أن يضبط إيقاعه على الأرض مع إيقاع الكون كله. لقد كانت إيقاعات الطبيعة المتكررة وإيقاعات ظهور واختفاء النباتات الفصلية وإيقاعات الولادة والموت عند الحيوان والإنسان تشد العقل السومريّ لابتكار وتشكيل عقائد تحاول فهم أو تقليد هذه الإيقاعات المتكررة الضاغطة عليه.

ونرى أنّ هناك مجموعة من عقائد الخلود والعود الأبدي ظهرت في الطقوس والشعائر والأساطير الدينية السومرية سنحاول التقاطها وتبويبها وتسليط الضوء عليها.

1 – الخلود

لم تكن عقيدة الخلود عقيدة سومرية صرفة، فقد طرقت عقل وروح الإنسان منذ العصور الحجرية القديمة (الباليوليت) وقد برعت في هندستها وتشكيلها شعوب حضارية قريبة العهد من السومريين كالمصريين القدماء. وكانت فكرة الخلود وعقيدته من الأمور التي تلحّ على الإنسان القديم وتصبغ أحياناً كل سلوكه الدنيوي.

اعتقد السومريون أنّ الموت هو نهاية كل إنسان وهو أمر محتم على البشر. أما الخلود فلم يكن إلّا من نصيب الآلهة. ومن ضمن اعتقاداتهم أنّ الإنسان لم يكن يفنى فناء مطلقاً عند الموت، بل كان جسده يبلى داخل القبر، أما روحه فكانت تنفصل عن جسده وتنزل إلى عالم أسفل هو عالم الموتى الذي أطلق عليه بالسومرية لفظة (كور) وتتحول هذه الروح التي اسمها (كدم) إلى ما يشبه الطائر الشبحي المزود بالريش ويكون شبيهاً في شكله بشكل جسد ووجه صاحب الروح. وينزل هذا الطائر إلى عالم (كور) المغبر المترب ويبقى هناك أبد الدهر دون أن يخرج إلى الأعالي ثانية. وبمعنى آخر ليس هناك نار أو جحيم في العالم الأسفل (كور) وليس هناك عقاب أو ثواب.

لم يفز بالخلود من البشر إلّا شخص واحد هو (زيو سدرا) بطل الطوفان السومريّ الذي منحته الآلهة الخلود ووضعته في جزيرة دلمون لا يصل إليه الناس ولا يتصل بهم فهو خلود سجين من الناحية العملية. وقد حاول بعض السومريين من الملوك والحكماء نيل الخلود إلّا أنهم فشلوا مثل أنميدار أنا وأدبا قبل الطوفان وإيتانا وكلكامش بعد الطوفان.

وحتى الملوك الذين تمتعوا بالألوهية في حياتهم لم يكن الخلود من نصيبهم، بل إننا نجدهم في أفضل الأحوال أشباحاً محترمة تطوف في العالم الأسفل ولها بعض الامتيازات مثل سكناها في قصور ولبسها ملابس فاخرة.

كان الخلود في عقيدة السومريين إذن حكراً على الآلهة، وكان بعض الآلهة موجوداً قبل خلق الكون وخلق بعضه مع خلق الكون وولد البعض الآخر في مراحل لاحقة. وفي جميع الأحوال كان الآلهة يتمتعون إلى الأبد بالخلود. ولم يحدث أن مات إله موتاً طبيعيًّا لكن هناك بعض الحوادث النادرة مثل موت عدد من آلهة البناء (لامكا) في منطقة (أوزموا) لخلق الإنسان من خلط دم هذه الآلهة المذبوحة بالطين. وهي أسطورة أكدية تعود للعصور السومرية وربما العكس.

وتفسر لنا هذه الأسطورة لماذا كانت روح الإنسان تبقى خالدة في العالم الأسفل، وذلك بسبب أنّ هذه الروح كانت من أصل دم إله معاقب. فلا بدّ من أن تبقى خالدة ولكنها أيضاً لا بدّ من أن تبقى معاقبة بالحبس.

أما الموت الدوريّ لبعض الآلهة السومرية فكان هو الظاهرة الأساسية في عقيدة الخلود لأنّ هذا الموت لم يكن أبديًّا. فقد ذهبت بعض الآلهة إلى العالم الأسفل ولكن ذهابها كان مؤقتاً، وكانت

الغايات منه لتجديد العالم وإنعاشه بالخصب، وهذا شكل من أشكال الخلود أيضاً. ومن الآلهة السومرية التي كانت تموت دوريًّا (دموزي، ننجشزيدا، دامو، ليل، ساتران، ننجرسو، تشباك، آبو).

2 – مركزية المكان والمندالا

ظهرت المندالا (وهي دائرة لها مركز تصدر عنه أو تدخل فيه مادة المحيط) في حضارة سامراء النيوليثية في الألف السادس قبل الميلاد، وكانت تشير إلى مركزية الإنسان أو الإله في الطبيعة، وقد رافق ظهورها في النيوليت رمز السواستيكا المتحرك. ثم رافق ظهورها في الكالكوليت رمز الصليب الثابت. والمندالا لا تشير إلى مركزية الإنسان أو الإله أو الحيوان أو النبات، بل تطورت عند السومريين لتشير أيضاً إلى مركزية المكان الذي هو مفهوم عقلي وروحي أشارت إليه الأساطير والطقوس السومرية. فقد كان السومريون يرون أنّ سومر هي مركز العالم الذي يحاط بمحيط مائي مكون من البحر الأعلى (المتوسط) والبحر الأسفل (الخليج) وأن مركز سومر هو نفر (نيبور) المدينة المقدسة التي كان معبد إنليل (إيكور) يتوسطها. وكان هذا المعبد يمثل (عماد السماء والأرض) كما كانت تمثل نفر هذا العماد.

ولأن إيكور كان يسمى (بيت الجبل) لذلك كانت تتلاقى السماء والأرض على قمة هذا الجبل.

وكان في نفر مكان آخر يعبر عن مركزية الكون هو (أوزموا) الذي كان يطلق عليه رباط الأرض والسماء وتذكر الأساطير أنه (سرة الأرض) لأنه آخر منطقة انفصلت فيها السماء عن الأرض بفعل حركة ونموّ الإله (إنليل) إله نفر وإله الهواء. إن أفكار (المدينة المقدسة) و(الجبل المقدس) و(سرة الأرض) و(رباط السماء والأرض) كلها كانت تعبر عن المندالا المكانية التي ترتبط بفكرة المكان الميثولوجي المثالي الذي كان... والذي يجب العودة الدائمة إليه لأنه أصبح خارج الزمان والمكان.

إن المكان الميثولوجي المعبر عنه بالمندالا المكانية كان هاجساً دينيًّا عميقاً عند السومريين. فقد كان جبل الكون المسمى (أن – كي) وهو الذي ظهر من آلهة الهيولى المائية (نمو) هذا الجبل هو مركز الكون كله، ولذلك فقد ظهرت الآلهة عليه وبنت مقرها فيه.

3 – مركزية الزمان والساروس

اعتقد السومريون أنّ بداية رأس السنة هي بداية دورية جديدة للزمان كله. وبذلك شكل رأس السنة مركز الزمان المطلق، وكان يذكر ببدء الزمان وزمان الخليقة على وجه التحديد.

وعلى هذا الأساس كانت احتفالات رأس السنة السومرية (الزكمك، الأكيتو، إيزنماخ) احتفالات دورية يعاد فيها تذكر الزمان الأول. ومن هنا اكتسبت كلمة عيد عند السومريين ما كانت تعنيه كلمة سنة (إيزن) نفسها.

وقد كان هذا المفهوم السومريّ قائماً على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية الكونية ويدخل في إطار نظام أوسع هو نظام التطهيرات الدورية (النظافة، والصوم، والاعتراف بالذنب... إلخ) عند نهاية الموسم وتجديد الحياة دوريًّا. وقد كان هذا التجديد خلقاً جديداً. أي تكراراً كوسموغونيًّا للحياة يتضمن إعادة قصة الخلق وتوسل آلهة هذه القصة وطرداً سنويًّا للعفاريت والأمراض والخطايا. (انظر الياد 1987: 100-101).

لقد كانت الأعياد تمثل من الناحية اللتورجية (الطقسية) والميثولوجية (الأسطورية) مركز الزمان المطلق، ولذلك كانت مضامينها مقدسة كالزواج المقدس وطرد الشياطين والصلوات وغير ذلك.

بل وقد كانت هذه الأعياد إيقافاً فعليّاً لفترة زمنية معينة وبداية لفترة أخرى، أي إبطالاً للزمن الماضي وإعادة خلق لزمن جديد، وهذا يعني إعادة بناء الزمن الميثي والبدئي والنقي والشروع في الخروج من الكاؤوس (Chaose) أي العلماء إلى الكوزموس (Cosmose) إلى الكون.

ولم يكتفِ السومريّ بهذه الدورة الزمنية، بل قسم الزمان كله إلى عدة دورات منتظمة وكانت أكبر هذه الدورات تسمى (شاراو)، وسماها البابليون الـ(سار) وسماها الإغريق الـ(ساروس)، وهي عبارة عن 36000 سنة باعتبارها دورة كونية تبدأ بها البشرية بعصرها الذهبي وتنتهي إما بالحريق أو الطوفان.

وسيقودنا استنباطنا للكتابة المسمارية التي يكتب بها هذا الرقم إلى أنها على شكل دائرة مسمارية (3600) يتوسطها الرقم (10) الذي يشير إلى الإله ننورتا (إله العاصفة) وكوكبه زحل المبشر بالحريق أو الطوفان.

وهناك دورات كونية أصغر مثل دورة النيراس 600 سنة، وتسمى بالسومرية (كيش أو) ودورة الساسوس 60 سنة وتسمى بالسومرية (كيش)... إلخ.

4 – العود الأبدي

كان الفكر السومريّ هو أول من أشار إلى فكرة العود الأبدي حيث تكون الطقوس الدينية بأكملها وكأنها نوع من العودة إلى نقطة البداية.

وبذلك يكون الإنسان الأول (لولو) والإله الأول (دنكر) واليوم الأول (أوريا) والمكان الأول والمدينة الأولى والمعبد الأول واللغة الأولى والكون الأول (الهيولى)، كلها مناطق انطلاق ميثية تصبح خارج الزمان وخارج المكان. أي إنّها تنتمي إلى المطلق وهذا يعني أنّ السومريّ عندما يمارس طقوس عبادته فكأنه يحاول استعادة تلك الأولويات. ولذلك يقوم في لحظة الاستعادة هذه بإخراجها من الزمان المحدد والمكان المحدد أي إنّها تخرج من تاريخيتها وتتحول باتجاه المطلق، وهذا يعني إلغاء الزمان التاريخي واستعادة الزمان الميثي.

وهو ما ندعوه بالعود الأبدي. ولا شك أنّ ممارسة هذا النوع من الطقوس الدورية وفق فكرة العود الأبدي كان سبباً واضحاً في رسوخ (الأواليات) أو النماذج الأولى في لاوعي الإنسان وهو ما لم يستطع كارل جوستاف يونغ الوصول إليه بدقة في كتابة الإنسان ورموزه. (انظر يونغ 1984).

إن النماذج الأولى التي تعبر عن نفسها بشكل رموز باطنية تتحرر في الحلم أو الفن أو الشعر. هذه النماذج هي صدى مفردات العود الأبدي التي كانت ترسخت في اللاوعي الجمعي البشريّ منذ العصور الحجرية وإلى الآن. وإذا كنا قد تعرفنا في كتابنا (أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ) على بعضها فلا شك أنّ الدين السومريّ سيكون دليلاً مهمًّا للتعرف على بعضها الآخر والأهم بسبب من ارتباط هذا الدين بالكتابة لأول مرة في التاريخ مما رسخ شكل ومعنى هذه الرموز وأشار إلى ماضيها.

5 – دورات الصعود والهبوط ونشوء العرفان

يمكن النظر إلى دورات الصعود والهبوط التي كان يقع فيها بعض الآلهة السومريين مثل دموزي وننكشزيدا ودامو... إلخ وهم يلقون في العالم الأسفل ليعاودوا الخروج منه شرط أن يعودوا

إليه دوريًّا يمكننا النظر إلى إيقاعات الهبوط والصعود هذه وكأنها إيقاعات هبوط وصعود النفس البشرية إلى مدارجها، وهذا ما يوحي مباشرة بفكرة الباطن والظاهر والحنين المتناوب بينهما.

إن هذه الفكرة في الميثولوجيا السومرية لا تختلف كثيراً عن فكرة الصعود إلى السماء والهبوط منها إلى الأرض كما حصل مع (أدابا وإيتانا) كملكين ومع (دموزي ونكشزيدا) كإلهين. حيث يجدهما أدابا عند بوابة السماء العليا في خدمة الإله أن، (انظر أونكر 1953: 45-52) خصوصاً أنّ الثابت هو وجود هذين الإلهين في العالم الأسفل وحركتهما الدورية منه إلى الأرض... فما الذي رفعها إلى السماء؟ وما الذي أعادها إلى الأرض أو العالم الأسفل؟

إن حركات الصعود والهبوط هذه تذكرنا بالنظريات العرفانية (الهرمسية والغنوصية) التي تشرح هبوط الذات الإلهية في مراتب ومدارج كوكبية وصعود الذات البشرية في مراتب ومدارج كوكبية. وهذا يعني الكشف الذوقي (العرفاني) لا المعرفي عن وجود الإله وتحسس الإنسان به.

لقد كانت هذه الأفكار السومرية العرفانية هي مصدر العرفان الذي أخذ بعده الحقيقي في الفلسفة الهرمسية والغنوصية والأفلاطونية الجديدة قبل وبعد المسيحية «وقد ظلت الثقافات التاريخية تحتفظ بهذا المفهوم الدائريّ من الغياب والعودة إلى الظهور يتناوبان البشرية. في القرن الثالث قبل المسيح كان بيروس Berose ينشر في جميع أنحاء العالم الهيليني – ومنه شاعت عند الرومان والبيزنطيين – العقيدة الكلدانية المتعلقة بـ(السنة الكبرى) في هذه العقيدة يعتبر الكون خالداً لكنه ينعدم ويخلق من جديد دوريًّا في كل (سنة كبرى)». (الياد 1987: 157).

إن أفكار السنة الكبرى (الساروس) لا تنفصل عن أفكار الصعود والهبوط الدوريين والمفتاح الغنوصي في كنه العالم. وقد كان بيروس (برعوشا) البابلي سليل فكر منحدر من أيام سومر وربما قبلها.



الإلهان دموزي(حامل عصا الراعي) وننكشزيدا (الذي يظهر على كتفيه الثعبانان رمزا الطب) وهما يقودان الأمير جوديا حامل السعفة

أ– مصير الروح (كدم)

تعرفنا على مصير الروح البشري بعد الموت عندما يدفن الإنسان في القبر، أما عندما لا يدفن وتبقى جثته في العراء فإن الجثة تتفسخ لكن الروح تخرج من صدر الإنسان (مع آخر نفس له) على شكل طائر وتطير باتجاه مغرب الشمس، ويبدو أنها تبقى مع الشمس في شروقها وغروبها لكنها أثناء النهار بشكل خاص تتحول إلى روح شريرة تهاجم الأحياء وتسبب لهم الأذى والمرض وربما الموت.

أما روح الميت المدفون فتسجن على شكل طائر مترب في العالم الأسفل لكنها تبقى على صلة بعالم الأحياء لمدة تتراوح بين (7-10) أيام فهي تسمع من ينوح عليها وتبكي معه كما هو في نص موت أورنمو. (انظر حنون 1986: 118).

وقد تعرفنا من قصة نزول أنكيدو للعالم الأسفل السومرية أنّ روح أنكيدو خرجت على شكل شبح لمقابلة كلكامش. وتختلف حالة أرواح الموتى في العالم الأسفل من حيث راحتهم وطعامهم وشرابهم من شخص إلى آخر اعتماداً على مكانة الميت في حياته وعلى عدد أولاده (كلما ازداد عددهم ارتفعت مكانته) وعلى العشائر الجنائزية التي كان يقيمها الأحياء من أجل روحه.

وكانت أرواح الموتى تحصل بين الحين والآخر على الطعام والشراب المقدم لها في الشعائر الجنائزية. وكان انقطاع الطعام والشراب والشعائر عنها يؤدي إلى اعتمادها على الطين طعاماً والماء العكر شراباً. ولذلك كان استمرار هذا الانقطاع يؤدي إلى ضجر هذه الروح ثم غضبها وخروجها من العالم الأسفل إلى عالم الأحياء تأكل من فضلات الشوارع وتتربص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها وإيفائها حقها، وذلك بإلحاق الأذى بهم أو للانتقام منهم لتسببهم في حرمانهم الراحة في العالم الأسفل. (انظر حنون 1986: 123).

ب– العالم الأسفل (كور)

مثلما عرفنا مع مصير الروح في الدين السومريّ أنّ لا حساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت (وهذه أفكار أتت بها الديانة المصرية فيما بعد). كذلك سنعرف أنّ لا جنة ولا نار في الدين السومريّ (وهي أفكار أتت بها الديانة اليهودية).

العالم الأسفل السومريّ لا يشبه (الجحيم) اليهودي أو (جهنم) الإسلامي، بل هو عالم مجوف داخل الأرض يملؤه الغبار الكثيف ولا أثر فيه لضوء الشمس ونور القمر حتى بعد غروب الشمس (ليلاً) أو أفول القمر نهاراً. ويبدو أنّ الشمس والقمر ينزلان هناك كإلهين مؤقتين وليس ككوكبين.

وهناك أسماء كثيرة للعالم الأسفل باللغة السومرية يبلغ عددها حوالي عشرين اسماً منها:

1 – كور: الجبل أو المكان القفر

2 – كي ماخ: الأرض الكبيرة

3 – كي كال Ki. gall: الأرض العظيمة

4 – أبسو Apsu: مياه الأعماق والعالم الأسفل

5 – كي سود Ki. Sud: الأرض البعيدة

6 – إي دموزي E. Dumuzi: بيت دموزي

(انظر Tallqvist 1934 :12-230)

أما مداخل العالم الأسفل أو طرق الدخول إليه فهي كما يلي:

1 – القبر

2 – الحفر العميقة في الأرض

3 – الجهة الغربية من أرض وادي الرافدين (الصحراء الغربية)

4 – البوابات الخاصة مثل بوابة أوروك

5 – سلم الآلهة الذي يربط بين العالم الأعلى والعالم الأسفل وهو مخصص للآلهة فقط

ويتكون العالم الأسفل من نهر يحيط به وفيه مراكب وملاح يقوم بنقل أرواح الموتى من فتحات القبور إلى أرض العالم الأسفل. ويحيط بالعالم الأسفل سبعة أسوار يقف كل سور أمام مدخل بوابتها حارس جبار. وفي قلب العالم الأسفل يوجد قصر أريشكيكال ويسمى (أي كالكينا) أي قصر العدالة وهو مصنوع من اللازورد. وهناك قصور صغيرة لبعض الأرواح المهمة.

ويسيطر الغبار الكثيف على هذا العالم ويوجد طين وماء عكر أيضاً.

وتتفاوت كائنات هذا العالم من الآلهة (أريشكيكال ونركال) وأبنائهما وأحفادهما مع زوجاتهم وآلهة أتباع وثانويين وحجّاب آلهة منفيين بشكل دوريّ عقاباً على عمل ارتكبوه والشياطين بكل أصنافهم وأرواح الموتى.

ج– القيامة وبعث الأموات

كانت قيامة الآلهة من العالم الأسفل في الدين السومريّ تشكل ركناً أساسيًّا من عقائد الأسكاتولوجيا. وكان لها مداليل روحية وخصبية وميثولوجية كبيرة، وقد شملت هذه القيامة ثمانية آلهة، بالإضافة إلى قيامة الإلهة إنانا بعد نزولها من العالم الأسفل.

أما بعث الموتى من البشر فلم يكن وارداً ضمن عقائد الأسكاتولوجيا السومرية، وليس هناك ما يدل أو يشير على عودة الأموات إلى عالم الأحياء (أو عودة الكدم إلى جسد الميت ثم نهوضهما في تكوين واحد حيّ). أما الإشارات الخاصة بالإلهة كولا (إلهة الشفاء في إيسن) التي كانت توصف بأنها (الملكة التي تعيد الحياة للموتى) فهي صفة إعجازية لإلهة طبية كان همها شفاء المرضى ومن أجل المبالغة وصفت بهذا الوصف. (انظر Langdon 1919: 60 -30).

4. الثيولوجيا السومرية

(الآلهة السومرية)

لم تتشكل الآلهة السومرية دفعة واحدة، بل شكلها زمن طويل يمتد إلى حوالي ما يقرب من الألفي عام. ولم تكن هذه الآلهة متساوية المقام ومنسجمة المراتب، بل نراها في شكلها النهائي مكونة من عدة طبقات أو مقامات يمكن فرزها عنها من منظورات مختلفة.

المنظور الأول هو الذي نظر به السومريون أنفسهم إلى آلهتهم وجعلوها في مراتب مختلفة الأهمية تتدرج عظمتها كما يلي:

أ– آلهة المصائر الكبرى(أنو ناكي):



(God) A - NUN - NA - KE4 - NE

وهي الآلهة السبعة التي تسيطر على الكون كله. والتي لها صلاحيات مطلقة ونفوذ شامل وكانت قرارتها نافذة ولا ترد. ويتكون مجلس هذه الآلهة من إله عظيم يرأسها هو الإله (أن) إله السماء وإله الكون، وستة من الآلهة يشكل الثلاثة الأول منهم مع أنّ ما يسمى بـ(الآلهة الخالقة) وهم كي (ننخرساج)، إنكي، إنليل وهؤلاء الأربعة هم آلهة عناصر الطبيعة الأربعة (السماء، والتراب، والماء، والهواء).

أما الآلهة الثلاثة الآخرون فهم آلهة الكواكب الثلاثة العظمى (ننار، وأوتو، وإنانا)، (القمر، والشمس، والزهرة).

ويبدو لنا هذا التقسيم منسجماً في مكوناته ومراتبه حيث إن رب الأرباب (أن) تخضع له آلهة الطبيعة ثم آلهة الكواكب في مجلس الآلهة.

أنونـّاكي (Anunnaki)

الآلهة السبعة العظام

وبخلق آلهة السماء والأرض والماء والقمر والشمس والزّهرة يكون الكون السومريّ الأول قد اكتمل، فهو مؤلف من إله السماء آن ومن ثالوثين تحته، الأول هو ثالوث الطبيعة الذي يمثل الهواء والماء والتراب (إنليل، وإنكي، وكي أو ننخرساج). وثالوث كوكبي يمثل القمر والشمس والزّهرة (نانا، وأوتّو، وإنانا). وتسمى هذه الآلهة السبعة بآلهة (أنونـّاكي) والتي تسيطر على الكون السومريّ وعلى العناصر الأربعة (الهواء، والنار، والماء، والتراب) والكواكب الثلاثة الكبرى (القمر، والشمس، والزُّهرة).

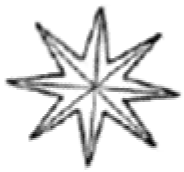
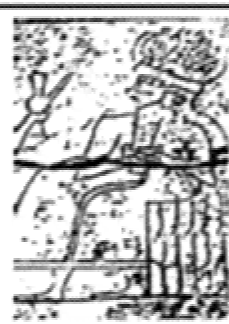
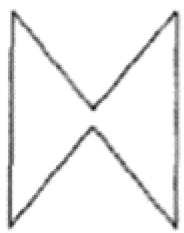
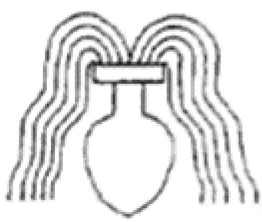
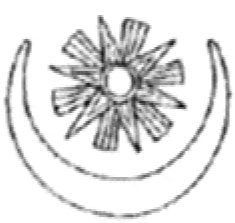


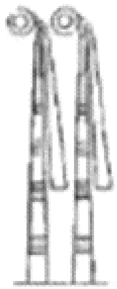
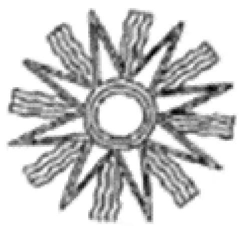
الآنوناكي في رقيم سومري

http://www. truthbeknown. com/anunnaki. Htm



صورة توضيحية لمجمع الآلهة السومرية السبعة الكبرى (أنوناكي)

ت	اسم الإله	دلالته الوظيفية	صورته من الرقم الطينية	رمزه في الرقم الطينية
1	آن	السماء		
2	إنليل	الهواء		
3	إنكي	الأرض والماء		
4	كي (ننخرساج)	الأرض		
5	نانا(نانار)	القمر		

6	إنانا	الزهرة، الحب		
7	أوتو	الشمس		

أشكال رموز آلهة أنوناكي السبعة

أشكال رموز آلهة أنوناكي السبعة

ب– الآلهة الخمسون العظام (الأنونا):

يترأس مجلس الآلهة الخمسين الإله إنليل (رقمه الرمزي هو خمسون، واسم معبده معبد الخمسين) وسمِّي هؤلاء الآلهة أيضاً بآلهة (الأنوناكي)، وكانوا مسؤولين عن الأرض والأرض السفلى وقد أصبح اسم الأنوناكي بعد السومريين يشير إلى قضاة العالم الأسفل. وهم أغلب ما نعرف عن الآلهة السومرية ويشكلون ثمار شجرتها.

ج– الآلهة الثانويون (الإيجيجي):

وهم الآلهة الصغار الشأن ويظهرون في الغالب منتشرين في السماء. وقد اختلط مصطلح الإيجيجي بالأنوناكي كثيراً بعد السومريين، ولكن الأرجح في الاصطلاحين هو إشارة الإيجيجي إلى السماء والأنوناكي إلى الأرض.

المنظور الثاني للآلهة السومرية مأخوذ عن تقسيم السومريين أنفسهم لآلهتهم على أساس أنّ لكل مدينة سومرية إله خاص بها ولا يتعارض هذا التقسيم مع التقسيم السابق، بل يكمله. وسنلخص هذا التقسيم بالجدول التالي الذي يضم أهم المدن السومرية وآلهتها. ولم يكن هذا التقسيم اعتباطيًّا. بل سار وفق طبيعة المدن وحاجاتها، فمدينة أريدو مثلاً كانت مدينة مطلة على المياه، وهي أول المدن في جنوب العراق، ولذلك كان الإله إنكي إله المياه وهو من أقدم الآلهة السومرية هو إلهها. ويسري هذا على بقية المدن وآلهتها.

وهناك أعداد سرية أو رمزية للكبار من الآلهة السومرية، وسنذكر في الجدول الآتي هذه الأرقام مع ملاحظة أنّ الإلهات الإناث لا يتمتعن بأعداد ستينية / عشرية صحيحة، بل بأعداد تقل دائماً بخمس درجات عن نظرائهن من الآلهة المقابلين لهن كما هو واضح من تسلسل الآلهة الاثني عشر هنا:

الرقم المقدس لهن	الإلهات الإناث الكبيرات الست ودلالتهن	الرقم المقدس لهم	الآلهة الذكور الكبار الستة ودلالتهم
55	أنتو: زوجة آن	60	آن: السماء
45	ننليل: زوجة إنليل	50	إنليل: الهواء
35	ننكي: زوجة كي	40	إنكي / إيا: الماء
25	ننجال: زوجة نانا	30	نانا / سين: القمر
15	إنانا /عشتار: إلهة الحب	20	أوتو /شمش: الشمس
5	ننخرساج: إلهة الخصب والولادة (الإلهة الأم)	10	إشكور / أدد: العاصفة والطقس

المنظور الثالث للآلهة السومرية ما رآه جاكوبسن من تصنيف خاص يعتمد على الطبيعة الجغرافية لأرض سومر، (انظر Jacobsen 1970 :12-34) ويشمل المجموعات التالية:

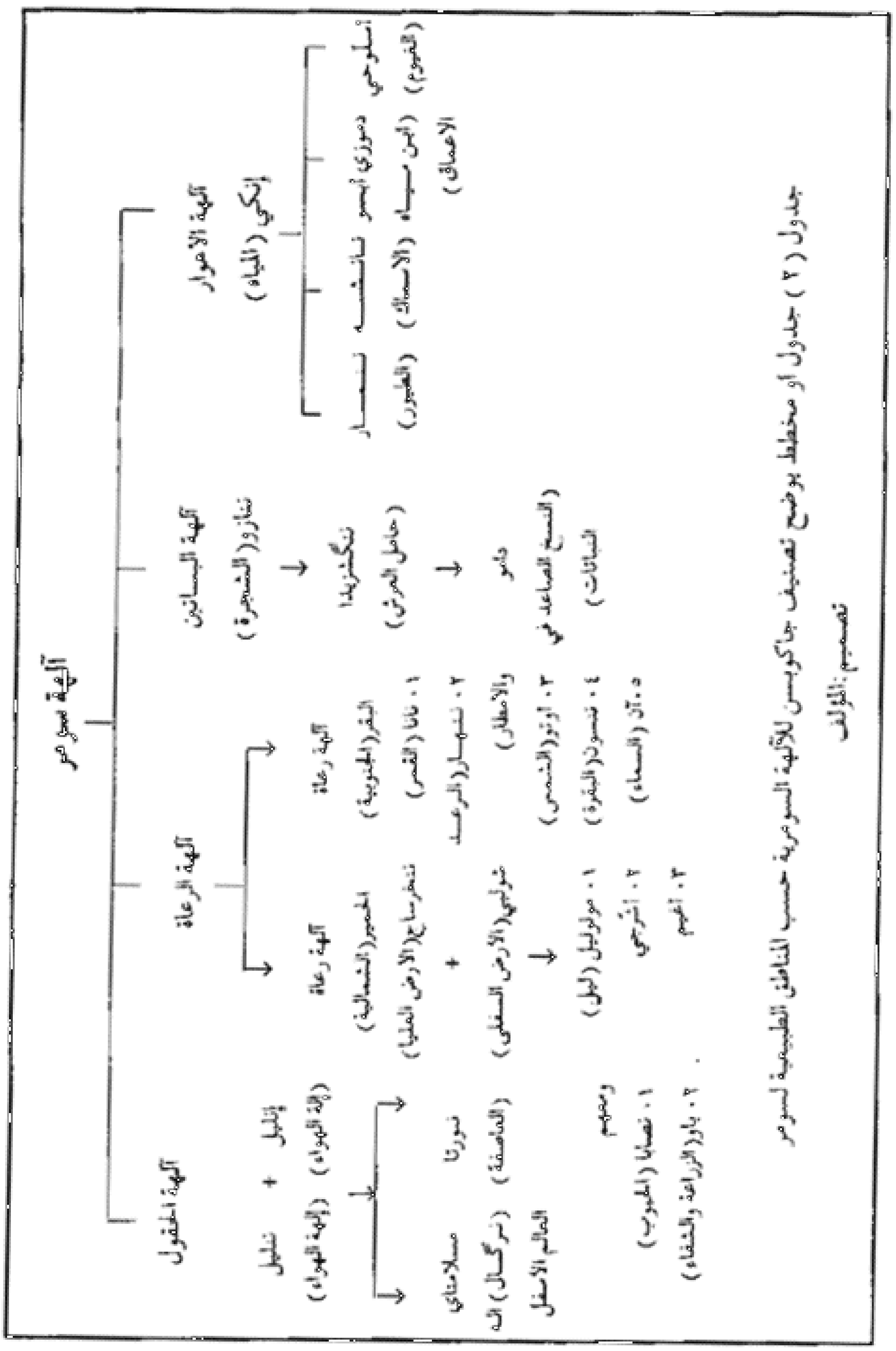
1 – آلهة الأهوار: هي الأهوار الجنوبية الشرقية التي تفصل الأرض المأهولة لسومر عن الخليج العربي والتي تبدأ من جنوب شرق أريدو حتى نينا (سرغول). وتشمل آلهة مائية يرعاها الإله إنكي وهذه الآلهة هي (إنكي، وأسالوحي، ودموزي، ونانشه، وننمار).

2 – آلهة البساتين: وهي البساتين الجنوبية المحاذية لأسفل طريق الفرات القديم. وتتصف آلهة هذه البساتين بصلتها بالعالم الأسفل، فهي آلهة سفلية وتشمل (ننازو، وننكشزيدا، ودامو).

3 – آلهة الرعاة: وتشمل المناطق من أور باتجاه أوروك وأوما، وتشتمل هذه الآلهة على صنفين.

أ – آلهة رعاة البقر الجنوبية: وهي (نانا، وننهار، وأوتو، وننسون، وأن).

ب –آلهة رعاة الحمير الشمالية: وتشمل عائلة الإلهة ننخرساج (بيليتيلي Belitili)ا Ninhursage وهي إلهة أدب وكيش ومعها زوجها شولبي وأبناؤهما موليل وأشرجي وابنتهما أغيم.



4 – آلهة الحقول: وتشمل المناطق الشمالية المعشبة حتى أكد. وشرق الأقسام الشمالية من لكش وهي أراضٍ زراعية، ولذلك يكون بانثيون هذه المنطقة فلاحيًّا يعتني بالزراعة والمحاصيل

ويقف على قمة هذه المجموعة الإله إنليل وهو إله سومر القومي مع زوجته الإلهة ننليل ومعهم (نصابا، ننورتا، باو، ميسلامتاي (نركال)). ورغم أنّ جاكوبسن يأخذ بعين الاعتبار المجموعات الطبيعية ومجاميع المدن المتقاربة في الوقت نفسه إلّا أنّ تقسيمه هذا يزيد من تشويشنا فيما يخص تسلسل الآلهة وانحدارها عن بعضها وأهميتها وبعبارة أخرى فإنه اهتمّ بطبيعة سومر في هذا التصنيف ولم يهتمّ بآلهة سومر.

إن هذه التصنيفات الناقصة لآلهة سومر لا تعالجها إلّا شجرة أنساب الآلهة السومرية التي سنضعها هنا كمحاولة شاملة لتصنيف الآلهة السومرية المعروفة والتي جاء ذكرها في النصوص الأسطورية بشكل خاص.

د. شجرة الآلهة السومرية

حاولنا تنظيم شجرة آلهة سومرية شاملة لا نستطيع المرور على كل تفاصيلها في مؤلفنا هذا، ولكن يمكن الرجوع إلى كتابنا (متون سومر) الكتاب الأول. (التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس) الذي يتابع أدق تفاصيل هذه الحقول ويرسم لوحة شاملة للآلهة السومرية. ويمكننا وضع هذه الخلاصة الميسرة لشجرة الأنساب السومرية. وتتكون الشجرة من مستويات عدة يضم كل مستوى مجموعة من الآلهة التي يربطها في الغالب نسب واحد وأحياناً طبيعة واحدة وهي كما يلي:

1 – آلهة الهيولى والخليقة الأولى (آلهة الجذور):

وهي الآلهة البدائية التي تشكل منها الكون وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه لأنّ أجسادها تشكل الكون والعالم. والإلهة (نمو Nammu) هي أم الآلهة السومرية والآلهة الهيولية الأولى. والتي نتج عن حركتها تكون جبل الكون الأول (أن – كي AN-KI) الذي يتضمن السماء والأرض في حالة تلاصق أو اندماج.

2 – آلهة العناصر الأربعة:

وهي الآلهة التي كونت مادة العالم ثم كونت الحياة وتشمل آلهة المصائر الكبرى (أن، كي، إنليل، إنكي) وتقابل (السماء، والأرض، والهواء، والماء).

آن AN: هو إله السماء ويظهر لنا في الأساطير السومرية على أنه الابن المباشر للإلهة (نمو). الذي تسلم مقاليد الكون بعدها وكأنه يذكرنا بالانقلاب الذكوريّ الذي حصل في الكالكوليت (الحجريّ المعدني) عندما انتزع الرجل مقاليد الحياة من المرأة التي سيطرت على الألوهية والحياة منذ اكتشاف الزراعة. والإله (آن) في العقيدة السومرية إله عالمي مسؤول عن البشر أجمعين وعن الأرض والسماء.

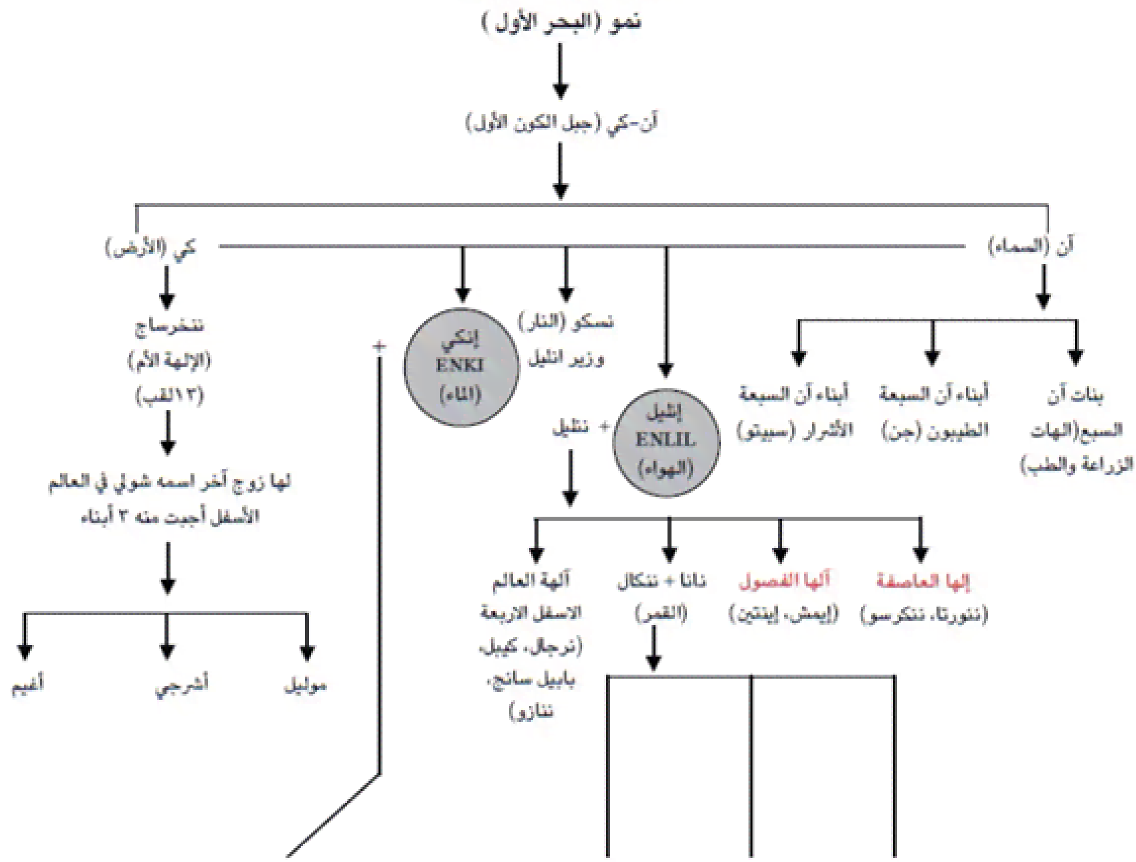
وللإله آن معبد رئيس في أوروك اسمه (أي – أنا) أي (بيت السماء) وزوجته الإلهة (كي) التي هي الأرض. ومن تزوجهما أنجبا إنليل (إله الهواء) وإنكي (إله الماء) ونسكو (إله النار) وننخرساج (إلهة الأرض) وهذه هي آلهة العناصر الأربعة. وله أيضاً سبع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن (باو، ننسينا، كولا، ننكارك، جتومدو (مزب)، ناناي، ننتي نوجا) وللإله آن أبناء شياطين في العالم الأسفل وأبناء ملائكة في السماء.

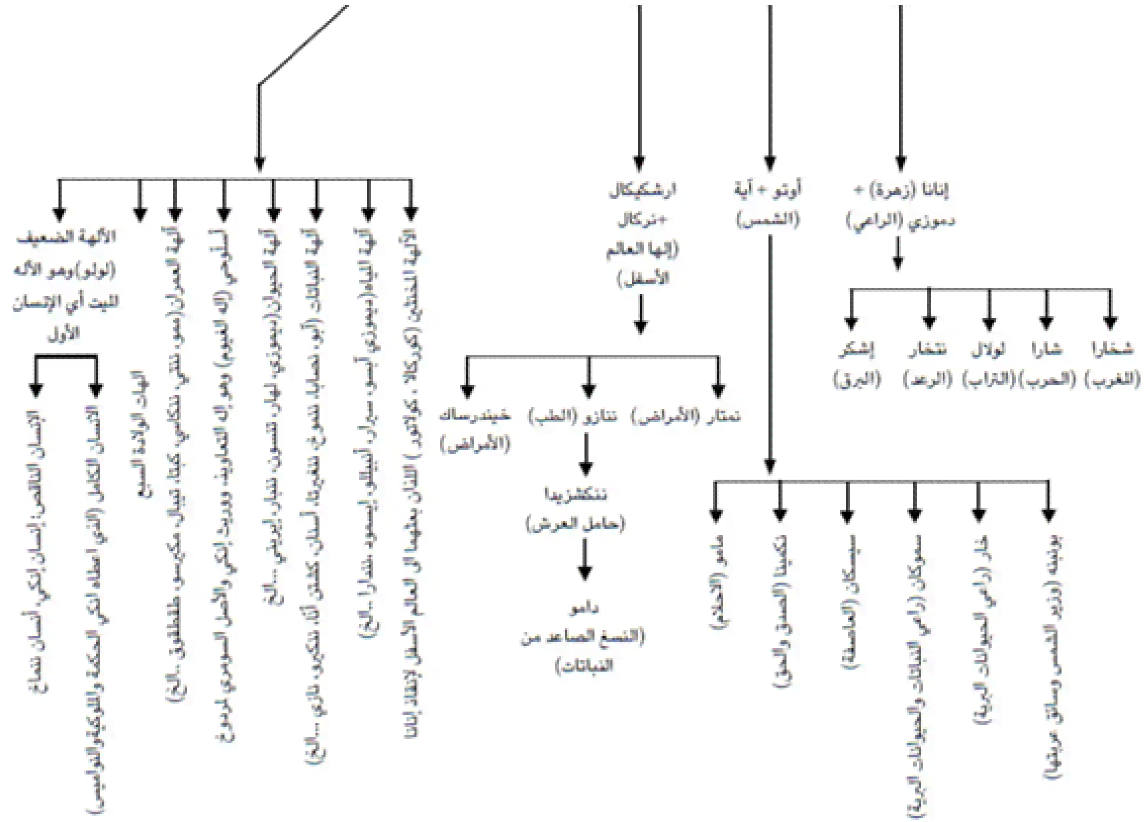
	
الإله آن	الإله آن إله السماء ماسكاً صولجانه وأمامه الإلهة إنانا ملكة السماء



آن وابنه إنليل يعبران سماء سومر في القرص السماوي

شجرة الآلهة السومرية





شجرة أنساب الآلهة السومرية تصميم: المؤلف

إنليل ENLIL: وهو إله الهواء الذي أصبح الإله القومي السومريّ والذي وضعت في صفاته كل أشكال القوة والسلطة والجبروت والحزم، وهناك ما يشير إلى أنه أخذ سلطات أبيه الكونية وفاز بها. ويظهر إنليل على رأس مجمع الأنونا (الخمسين) الذي يضم أغلب الآلهة المسؤولين عن شؤون الأرض. ويعدّ إنليل وشجرته الهوائية مصدراً للموت والظلام والعالم الأسفل والهواء ووالد الكواكب المنيرة، إذ الصفات الأساسية لإنليل وشجرته تعكس مبادئ الحزم والقوة والموت. والإله إنليل أب لأربعة مجاميع من الآلهة هم (الفصول: إيميش (الصيف) وأنتين (الشتاء)، والعالم الأسفل وهم ميسلام تاي (نركال) واليجبيل (كيبل) إله النار وننازو إله الشجرة والطب وبابيل سانج (إله البوابة)، والمجموعة الثالثة هي العاصفة ممثلة بإلهيها ننجرسو وننورتا. أما المجموعة الرابعة فتضم الإله الوارث له وهو الإله (نانا) إله القمر. وزوجة الإله إنليل هي الإلهة (سود) التي صار اسمها بعد زواجه بها (ننليل).

إنكي ENKI: وهو إله الماء وإله الحياة وشجرته تحمل كل الآلهة التي تمثل مظاهر الحياة ويوصف أيضاً بأنه إله الأرض لارتباط الماء بالأرض وإنجابهما للحياة. ومدينة الإله إنكي هي أريدو ومعبده فيها يسمى معبد الغور (أي – إنغورا) ويسمى أيضاً معبد الأعماق (أي – أبسو). وللإله إنكي وزير اسمه (أسيمو) أو (إيسمود) وهو في حقيقته ابنه وله علاقة بالمياه والزوارق والقصب ويظهر دائماً برأس بشري وله وجهان.

والإله إنكي هو الذي خلق الإنسان وأحبه وأعطاه نواميس الحكمة والآلهة وبعث بكائنه السمكي (أوانيس) ليعلمه فنون الحضارة والكتابة، وهو الذي أنقذ الإنسان من الطوفان. وتظهر للإله إنكي ثمانية مجاميع من الآلهة سنأتي على ذكرها جميعها يرتبط بالحياة واستمرارها ولا أثر في سلالته للموت مطلقاً. بل إن أغلب الآلهات من نسله صرن فيما بعد زوجات لآلهة النسل الإنليلي، وهذا أيضاً من صفات الحياة لأنه مانح الأنوثة.

كي KI: وهي إلهة الأرض وتبدو إلهة قديمة ولكن شخصيتها تختلط بالإلهة ننخرساج التي تسمى (ننكي) أي (سيدة الأرض)، وربما كانت ننكي ابنتها. وفي جميع الأحوال يمكننا القول إن الإلهة ننخرساج هي رديفة كي وهي بذلك زوجة الآلهة إنكي ولها عدة ألقاب هي (دامكال نونا أي زوجة الأميرة الكبيرة)، و(ننماخ أي السيدة الكبيرة)، و(ننتو سيدة الولادة) ،و(ما مي أو ماما وهي الأم)، و(ماري وهي العذراء)، و(كاتوم دوك أي إلهة الأطفال)، و(بيليتي أي إلهة النسل)، و(أوراش أي الأرض)، و(أرورو أي التي تخرج الطفل من الرحم)، و(دنكيرما أي الإلهة الأم)، و(ننمينا أي سيدة القبعات الإلهية). وحقيقة الأمر أنّ الإلهة ننخرساج هي الإلهة السومرية الأم وهي إلهة الإخصاب. أما (إنانا) فهي شابة لعوب تمارس الحب الطائش وقد استحوذت فيما بعد على صفات ننخرساج زوراً.

وربما حصل هذا مع (دموزي) الذي هو حصراً إله المراعي والحظائر لكن صفات إنكي الخصيبة أسبغت عليه. وهناك زوج آخر لننخرساج يظهر كإله في العالم الأسفل هو (شولبي) الذي أنجبت منه إلهين هما (موليل) ولعله (ليل) الذي يموت ويبعث مثل دموزي، والآخر هو (أشرجي) وإلهة واحدة هي (أغيم).

3 – سلالة إنليل

تمتلئ شجرة إنليل الإلهية بآلهة يمثلون في الغالب عناصر الهواء والظلام والكواكب والفصول والرياح والموت (العالم الأسفل) وهي شجرة جافة تفتقد إلى الحياة والمرونة، ولذلك تسود صفات القسوة والحزم والسلطة والقوة على آلهتها.

أ – إلها الفصول وهما (إيمش: الصيف) و(إنتين: الشتاء) وهذان الفصلان يعبران عن أهم موسمين في سومر حيث الربيع يندغم بالشتاء والخريف بالصيف.

وهناك قطعة من أدب المناظرة السومريّ (وتسمى بالسومرية أدمندوكا Adamanduga) تروي قصة خلق إيمش وإنتين والمنافسة بينهما أمام أبيهما (إنليل)، حيث يوصف إيمش (الصيف) بأنه خلق الأشجار والحقول ووسع الحظائر والزرائب وأزاد المحصول في المزارع. أما إنتين (الشتاء) فيوصف بأنه جعل النعاج تلد الحملان والماعز تلد الجداء وكاثر الأبقار والعجول وزاد اللبن وأفرح الماعز المتوحش والنعاج والحمير والطيور والأسماك ووفر العسل. (انظر علي 1989: 287-288) ثم ينتصر الإله إنليل على الشتاء الذي يعطيه لقب (فلاح الآلهة).

ب – إلها العاصفة: وهما (ننورتا: إله الإعصار) و(ننكرسو: إله مدينة كرسو) وهما إلهان يمثلان العاصفة القوية وعلاقتهما تتصل بالحروب والموت والدمار، لكن ننورتا يظهر بعض صفات الإخصاب الزراعية بحكم ارتباطه بزوجته (باو) أو(بابا) وهي ابنة آن وإلهة الزراعة ثم صارت إلهة الطب والشفاء ورمز لها بالكلب. أما الإله ننكرسو فقد عبد في لكش وكان معبده يطلق عليه (بيت البجارا) وتقدم لأجله نذور كثيرة وكان يرمز له بطير الصاعقة أمدوكد (زو) الذي يظهر برأس أسد وجناحي نسر.

وكان للإله ننكرسو ولدان هما (كال اليم) وهو إله الحق وصد الشر وإله الملوكية. والآخر (شول شاكا) إله السكائب والقرابين وإله الحياة أو الحيوية لارتباطه بالدم.



الإله ننكرسو يمسك طير الصاعقة (أمدوكد)

– آلهة العالم الأسفل

وهم أربعة آلهة ذكرت أسطورة إنليل وننليل كيفية إنجاب ثلاثة منهم هم ميسلام تاي وهو نركال الذي كان إلهاً شمسيًّا لكنه هبط فيما بعد إلى العالم الأسفل وتزوج أرشكيكال وبقي معها إلى الأبد يحكمان العالم الأسفل، وله عدة أسماء أخرى (لوكالجيرا، لوكال جودوا، لوكال أبياك) والثاني هو الإله (جيرا) أو(جيرو).

ويمكن أن يكون هذا الإله مصدر خير أو شر للناس وفقاً للتأثير الذي تحدثه النار نفسها، إذ بإمكانه أن يقدم الضوء والدفء بواسطة النار أو بسبب الحرائق والمصائب، وتذكر بعض المصادر أنه ابن إنكي (وهذا غير دقيق). وفي نصوص (الأوتوكو) وهي العفاريت الشريرة بالسومرية والأكدية يظهر جبيل مع الإله إنكي يصعدان إلى السماء ليكتشفا سر العفاريت الشريرة السبعة

(سبيتو) وهي مخلوقات الإله آن تمّ خلقها دون معرفة إنكي وعند ذاك يرسل إنكي جبيل إلى ابنه أسالوحي الذي يزوده بالتعاويذ اللازمة لمجابهة الـ(سبيتو). (انظر ادزارد 1987: 84).

الإله الثالث هو الإله ننازو ويعني اسمه بالسومرية (السيد الطبيب) ويظهر هذه الإله دائماً على أنّه ابن أرشيكيكال ونركال وليس ابناً لإنليل كما تذكره الأسطورة، وهو إله الشفاء والاغتسال في العالم الأسفل، وكانت عبادته منتشرة في منطقة ديالى حتى سلالة أور الثالثة وحل محله فيما بعد الإله (تشباك).

أما الإله الرابع فهو إله عتيق جدًّا اسمه (بابيل سانج) ويعتقد أنه كان إله مدينة لاراك قبل الطوفان كما جاء في الرواية السومرية، وهو زوج إلهة الشفاء (نينسينا) التي كانت تلقب أحياناً بـ(سيدة لاراك).

– إله القمر نانا

وكان له اسم قديم هو (سوإين) أصبح فيما بعد جذراً لاسمه السامي (سين) ومن ألقابه السومرية (أشيم بابار) الذي يعني صاحب الشروق المشع وكان يلقب أيضاً بـ(ثوير إنليل) وزوجة الإله القمر هي (ننكال) أي السيدة الكبيرة.

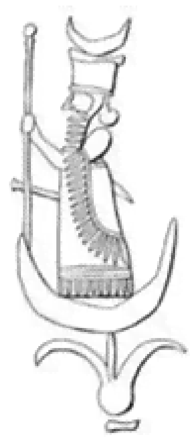
وكان (نانا) يعبد في معبد أور المسمى (أكيشنوكال) وفي معبد (الهلهول) في حران حيث كان يعبد الإله نوسكو (إله الضوء والنار) ابناً له. وقد صوّر على أنه ثور وان له قرنين هما الهلال وصور على أنه سفينة السماء أو سفينة شحن بضائع السماء.

واتخذ منه السومريون مصدراً لمعرفة الزمن لأنّ أطواره الأربعة التي تبدأ بالهلال (شمبارتارا) ومنه (تارخ) ثم نصف البدر ثم الهلال ثم المحاق (بوبولو). وكانت مراحل ظهور الهلال الأربع تستغرق كل واحدة أسبوعاً كاملاً، ومن هنا ظهر مقياس الأسبوع بسبعة أيام. أما المرحلة الأخيرة أو المحاق فكانت تستغرق (2-3) أيام وبذلك يكون الشهر القمريّ قد اكتمل.

وهكذا أصبح القمر مقياساً للتقويم السومريّ القمريّ ولم تؤخذ الشمس بسبب ثباتها الدائم وقد ظلّ هذا الإجراء في الاسم السامي الآخر للقمر وهو (ورخ) أو(تارخ) الذي يشير إلى التاريخ. وكان خسوف القمر يعلل بأسطورة تقول إن الإلهة الشريرة (سبيتو) تسرق وتصرع الإله القمر وتحجبه.

وكذلك يفسر غيابة لمدة ثلاثة أيام في نهاية كل شهر في مرحلة المحاق التي كانت تسمى (بوبولو) بأن الشياطين من العالم الأسفل تقوم باحتجازه وأسره والذهاب به إلى هناك مؤقتاً وكانت تجرى بعض الطقوس لفك أسره.

ونرى أنّ كلمة (ننسون) التي هي الإلهة المسماة بالبقرة الوحشية لها علاقة بتسمية نصف البدر (إنسون) التي تعني الثور الوحشي. وربما كانت ننسون قرينة إنسون في هذه المرحلة رغم أنّ الإلهة (ننسون) أم كلكامش تظهر قرينة لإله الشمس(شمش) الذي هو أب كلكامش الإلهي.

الإله (نانا) إله القمر

كاهن الإله القمر(نانا) مزيناً بالهلال (شمبا تارا) أعلى رأسه وتحته

blogspot. nl/2012/08/the-moon_28. html .http://beyondpottery

/com/kaleenreed/pins .https://www. pinterest

أبناء الإله القمر: للقمر ولدان أحدهما كوكب هو (أوتو) إله الشمس، والآخر إله كزالو (نوموشدا). وله بنتان إحداهما تمثل كوكب الزهرة وهي (إنانا) إلهة الحب والجمال والأخرى إلهة العالم الأسفل (أرشكيكال) وهي إلهة الظلام والموت.

والآلهة (إنانا) لعبت أعظم دور بين الآلهة فقد طغت أساطيرها وقصصها وقدرتها على بقية الآلهة، وهي التي أسماها الأكديون ثم البابليون (عشتار). وقد ظهرت عبادتها مبكرة في أوروك في الألف الرابع قبل الميلاد. ولها معابد في أوروك وماري ونوزي ويمكن أن نحدد لها بدقة ثلاث

صفات ثابتة. الأولى أنها إلهة الحب والإغواء والجنس والجمال. والثانية أنها إلهة الحرب ونزعات التدمير والقتال. والثالثة أنها إلهة نجم الزهرة الذي يسمى بنجمة الصباح أو نجمة العشاء. أما الصفة التي يعطيها لها بعض الباحثين حين ينسبون إليها صفات الخصوبة والإلهة الأم فهي غير أصلية فيها فقد أسبغت عليها من الإلهة السومرية الأم (ننخرساج) التي بدأ ذكرها بالخفوت بعد السومريين.

ولعل أكثر القصص التي اشتهرت بها (إنانا) أساطيرها مع الإله (دموزي) عشيقها وزوجها وقتيلها في الوقت نفسه، وهو الإله الراعي المسؤول عن الحظائر الأغنام والماعز وقد أخذ صفات الخصب من الإله إنكي خصوصاً عند الأكديين عندما تحول إلى (تموز). كذلك يرد ذكره على أنه أحد سكان العالم الأعلى (السماء) حارساً لبوابة آن مع الإله ننكشزيدا وكذلك أحد سكان العالم الأسفل مع هذا الإله نفسه.

ولنا رأي خاص في الأسباب العميقة التي أدّت إلى موت دموزي ونفيه إلى العالم الأسفل مفاده أنّ هذا الإله هو الإله الذكري الوحيد من سلالة إنكي (هو ابن إنكي) الذي تزوج إلهة أنثى من سلالة إنليل، في حين إن أغلب بنات إنكي كن زوجات للذكور من سلالة إنليل على اعتبار أنّ سلالة إنليل كانت تمثل القوة والبطش والذكورة والموت، وسلالة إنكي كانت تتمثل باللين واللطف والأنوثة والحياة. وإن الذي حصل بين دموزي وإنانا هو الشذوذ الوحيد في تلك القاعدة، ولذلك كان لا بدّ من عقاب دموزي وموته.

وهناك خمسة أبناء للإلهة (إنانا) من دموزي (وربما من غيره) وهم الإلهة (إشخارا) التي ذكرت في عيلام وعصر أور الثالث وهي الآلهة المختصة بضمان تنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة، ولذلك تسمى سيدة القضاء والأضاحي ولها صفات حربية ورمزها هو العقرب ولها سبعة أبناء أو عفاريت ويبدو أنها ورثت صفات (إنانا).

أما الأبناء الأربعة الباقين لها فهم (شارا) الذي يختلط أحياناً بصفات (إشخارا) وهو إله مدينة أوما إله الحرب وربما كانت له علاقة بـ(الزواج).

والإله (لولال) إله لاراك والإله (ننخار) إله الرعد والعواصف، والإله (إشكر) وهو إله البرق الذي ظهرت من صفاته شخصية الإله أدد السومريّ ثم هدد أو حدد السامي، وهناك ختم أسطواني من تل الرماح من القرن الثامن عشر ق. م يصور ويذكر الإله (إشكور – أدو) كاسم مركب من

اسمين لإله العاصفة وهو زوج الإلهة (شالا) أو(شلش) أو(أمجرو) إلهة النار. وهكذا حافظت سلالة (إنانا) على صفات السلالة الإنليلية الهوائية النارية المميتة.



ختم يمثل الإله الشمس مقابل الإله أدد حاملاً شوكة الصاعقة بيده اليسرى وواقفاً على ثور مجنح (من نوزي في كركوك الحالية).



الإله (إشكور - أدو) إله العاصفة/من تل الرماح/الـقرن18ق. م.

أما أبناء الإله (أوتو) إله الشمس من زوجته (أيه) فهم ستة أبناء أولهم (بونينه) وزير وسائق عربة الشمس، و(خار) راعي الحيوانات البرية، و(سموكان) راعي النباتات والحيوانات البرية، و(سيسكال) إله العاصفة و(نكجينا) إله الصدق والحق، و(مامو) إلهة الأحلام. وكان الإلهان إشكر والإله أوتو يعتبران إلهَي العرافة وتفسير الأحلام.

الإلهة (أرشكيكال) هي إلهة الموت والعالم الأسفل ويعني اسمها (سيدة الأرض الكبيرة). وتذكر الروايات السومرية لها زوجين هما (كوكال أنا) أي ثور السماء الكبير و(نركال) ولها من الأخير ثلاثة أبناء اثنان منهما بمثابة الوزيرين لها ولنركال وهما (نمتار) مقدر المصير وإله الستين مرضاً ووزيرها والإله الثاني (خيندر ساك) إله الموت وزير نركال. أما الابن الثالث فهو الإله (ننازو) الذي ظهر في رواية أخرى على أنه ابن إنليل وننليل. وهو إله الطب وإله الشجرة. وابنه الإله (ننشكزيدا) حامل العرش ومعنى اسمه (سيدة شجرة العدل) وربما المقصود منها (شجرة الحياة) ويلقب في المدائح الإلهية بـ(خادم الأرض الواسعة) و(محرك كرسي الأرض الواسعة) وهو زوج الإلهة أزيموا (إلهة مقاطعة في لكش) ولهما ابن هو (دامو) إله النسغ الصاعد في النباتات والذي تذكره نصوص أخرى على أنه ابن إلهة الشفاء (ننسينا) من زوجها (بابيل سانج) وكانت علاقته بالطب والشفاء واضحة.



أرشكيكال برفقة بومتين ولبوتين عارية تحمل رموز السلطة في يديها ولها تاج مقرن.

http://talkytina. tumblr. com/post/10871797536/the-queen-of-the-night

4– سلالة إنكي

السلالة الكبيرة الثانية في شجرة أنساب الآلهة السومرية هي سلالة إنكي التي تعبر عن الحياة والماء وتشير إلى الجانب المعاكس تماماً لسلالة إنليل فهي تحفل بآلهة لهم وظائف مرتبطة بالأنوثة والولادة والخصب والنبات والحيوان والإنسان.

وقد رأينا من الأنسب تصنيف هذه الآلهة التي هي من نسل إنكي وزوجته ننخرساج إلى ثمانية أصناف هي:

أ – **الإلهان عديما الجنس المخنثان** (كوركالا) و(كولاتور) اللذان صنعهما إنكي من الوسخ تحت أظافره لإنقاذ (إنانا) من العالم الأسفل.

ب – آلهة المياه وهم:

1 – دموزي أبسو: وهو غير الإله دموزي فهو إله المياه العميقة وعلى الأغلب هو إلهة أنثى من محيط لكش إلهة مدينة (كينرشا) وترتبط بإله المحيطات العذبة (أبسو) وقد فقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضاؤل دور مدينة لكش السياسي. (انظر ادزازد 1987: 98).

2 – أنبيللو: وهو إله المياه والحقول وكان معنيًّا بالأقنية والسدود والترع بالإضافة إلى المطر. وقد اختاره الإله إنكي للإشراف على دجلة والفرات، وله شكل أنثوي هو الإلهة السومرية بيللو المرموز لها بقربة الماء والمعروفة بعداوتها للإله دموزي. (انظر حداد 1993: 8).

3 – سيرار: هو إله الخليج العربي ويعتقد أنه حفيد بيللو المسمى (سرو).

4 – أيسمود: وهو الإله إسيمو ذو الوجهين وزير الإله إنكي.

5 – نندارا: وهو جابي البحر وزوج الإلهة نانشه ونازي.

ج – آلهة النباتات وهم

1 – أبو: وهو ملك النباتات وإلهها ويعنى بالخضرة والحشائش الصغيرة، وقد حظي بالعبادة في مملكة أشنونا (منطقة ديالى) وعثر في تل أسمر على تمثال له ولزوجته وما يشير لولده.

2 – دموزي أما أشموكال أنا: وهو القوة المخصبة التي تكمن في النخيل وتسبب الطلع والخصب لها. وهو غير الإله الراعي دموزي.

3 – أنكيدو: وهو الإله الفلاح.

4 – نصابا: إلهة الحبوب ثم إلهة الكتابة والأعداد في سومر.

5 – أشنان: إلهة الغلة.

6 – ننموخ: إلهة الغابات.

7 – ننغيردا (ننكيري، ننسوتو): زوجة الإله ننازو.

8 – كشتن أنا: سيدة دالية الكروم وأخت الإله دموزي.

9 – نازي: زوجة الإله نندارا

10 – أزيموا: زوجة الإله ننكشزيدا

11 – ننكيري أوتو: إلهة نباتية

12 – ننسار: سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل

13 – ننمو: سيدة النباتات ذات الألياف

14 – إيمر: إله الحبوب

15 – أزينو: إله أو إلهة الحبوب والزمن

16 – كوسو وباسيكيل: إلها الحبوب.

د – آلهة الحيوان

1 – دموزي Dummuzi: وهو راعي الأغنام والماعز (دمو تعني ابن، وزي تعني مخلص) فهو الابن البار، كما أنّ زو تعني المخلص فهو الابن المخلص كما أنّ زي تعني الذي يعلو فهو الابن الذي يعلو. وهو أكثر الآلهة شهرة على المستوى الشعبي حيث كانت تمارس شعائر وطقوس عبادته بشكل واسع. ويرى مورنغات أنّ دموزي وعقيدته الدينية هي أساس العقيدة الدينية السومرية وأساس المواضيع الخالدة فيها. (انظر مورتغارت 1985).

ولعل أساطير دموزي من (إنانا) من أشهر أساطير الحب والجمال وكذلك طقوس الزواج المقدس.

2 – لهار(لخار): وهو إله الأغنام والحظائر ومنتوجاتها

3 – ننسون: وهي البقرة الوحشية أم الإله دموزي أحياناً (وتسمى سرتور) وأم كلكامش والأمير كوديا.

4 – نانشه: إلهة الأسماك

5 – ننمار: إلهة الطيور

6 – زبابا: إله الأغنام وحقولها والمسؤول عن ذبحها وهو إله الحرب في كيش.

7 – بليلي: الوجه المؤنث من إنبيليلوا وتظهر قاطنة حظائر الماشية.

ه – آلهة العمران

1 – ممو: إله الحرف والمهارات

2 – ننتي: إلهة الشهور وراعية الزمن، وهي الآلهة التي تحيي وقد كانت مصدر فكرة حواء في الديانة العبرية لأنها إلهة الضلع أيضاً.

3 – إنشاج: إله دلمون ويسمى أيضاً (إنزاك)

4 – ننسيكلا: إلهة دلمون ومجان (عُمان)

5 – ننكاسي: إلهة الخمرة (إلهة الكأس)

6 – كبتا: إلهة الفأس والقرميد.

7 – كولا: إلهة الطابوق وصناعته

8 – مشدما: إله المساكن

9 – هايا: إله الصوامع زوج نصابا

10 – نندوب: إله المعمار ومصمم المعابد

11 – ننكورا: إله الأصباغ

12 – أتو: إلهة النسيج

13 – أشموكال كلاما: إله الموسيقى(القيثارة)

14 – تيبال(تابيرا): إله المعادن

15 – ميرسو: إله الريّ.

16 – طقطوق: إله الصناعة

17 – ساتران: إله مدينة دير

18 – نيراح (نيراه): القوة الحامية للبشر ويصور كثعبان.

و – أسالوحي Asalluhe

هو الابن الوارث للإله إنكي ويمثل الغيوم المرعدة، وهو الجذر السومريّ للإله مردوخ (ابن إيا الأكدي) لأنه يحمل صفاته نفسها ولكن اشتقاق اسم مردوخ قادم من المقطعين السومريين (أمارأوتو Amar-utu) والذي يعني (عجل الشمس) أو (طفل الشمس) وكان هذا المصطلح يشير إلى كوكب المشتري الذي يمثله مردوخ، وقد كان أسالوحي أو (أسارولوخي) إلهاً للسحر والتعاويذ التي ورثها عن أبيه إنكي.

ز – إلهات الولادة السبع

وهن سبع آلهات ثانويات مخصصات للولادة ويساعدن الإلهة ننماخ ساعة ولادة الآلهة أو الإنسان وهن:

1 – نن – إما

2 – نن – مادا

3 – نن – بارا

4 – نن مكك

5 – نن كونا

6 – سوزي أنا

7 – موسار غابا

ح – الإله الميت أو الضعيف (الإنسان: لولو Lullu)

يوصف الإنسان في التراث الديني السومريّ بأنه ابن الإله وهو تحديداً ابن الإله إنكي ولكن هذا الإنسان هو إله ميت أو ضعيف أي محكوم عليه بالموت وسنشرح أساطير خلق الإنسان وولادته في الفصل القادم.

وكلمة (لولو) مأخوذة من المقاطع السومرية (Lu-ux-Lu) التي تعني حرفيًّا (الإنسان البعيد أو السحيق) أو الإنسان العادي. ومرادفتها الأكدية (awelu) أويلو التي ترتبط باسم الإله (وي – ايلا ila-We) ومعناه الحرفي (الإله الذي كانت له شخصية)، وهو الإله الذي ذبح في (أوزموا) في نفر وصنع من دمه مع الطين الإنسان، وهي أسطورة أكدية ذات أصول مكانية سومرية.

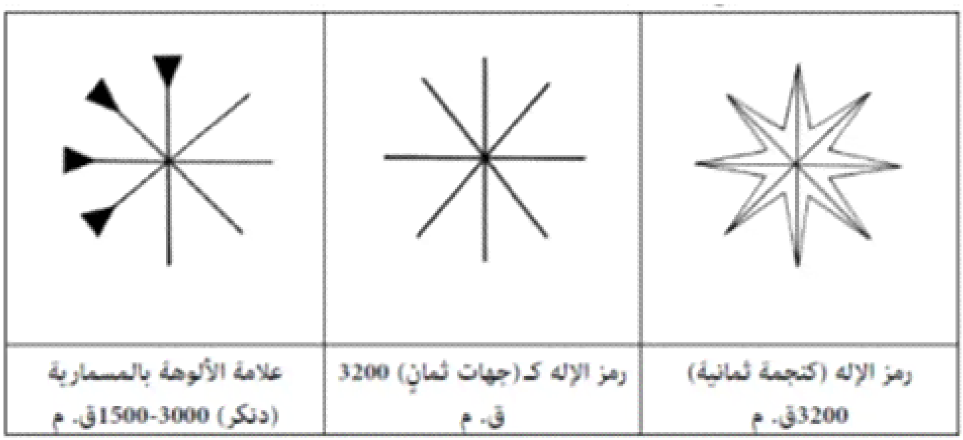
5. رموز الآلهة السومرية

يمكننا القول إجمالاً إنّ الرموز ظهرت في وادي الرافدين في وقت مبكر في حضارة سامراء (5111-4900) ق. م وربما في حضارة حسونة التي سبقتها (انظر الماجدي 1997: 101) وكانت هذه الرموز في غالبيتها دينية الطابع وقد تطورت في عصر الكالكوليت. أما في العصر السومريّ فقد ظهرت رموز الآلهة على نطاق واسع ومتطور، وسنقوم باستعراض هذه الرموز حسب أهمية ومقام الآلهة اعتماداً على شجرة الآلهة السومرية التي وضعناها، وسنقتصر على الرموز السومرية فقط تاركين أمر تطورها لاحقاً في بابل وآشور إلى الكتب القادمة.

1 – رمز إله السماء (أن): وهو الرمز المهم للآلهة والذي أصبح فيما بعد علامة دنكر (Dinger) التي تشير إلى الآلهة بعامة وقد تطورت عن رمز الإله آن الذي يدل على ثماني جهات.

وكان ذلك في حدود 3200 ق. م ثم أحيطت أذرع الجهات بما يشكل نجمة ثمانية تنبثق داخلها خطوط الجهات. وقد حافظت الكتابة المسمارية السومرية على شكل قريب من هذا عندما خطّت بأربعة مسامير متقاطعة تشير إلى الجهات الثماني أيضاً. وقد كان العدد الرمزي للإله آن هو (60) ويكتب بعلامة مسمار واقف، وهذا رقم مقدس عند السومريين لأنه يعبر عن الكمال وقد سميت الرياضيات السومرية بالرياضيات الستينية التي أصبحت أساس الرياضيات الفلكية والهندسية إلى يومنا هذا.

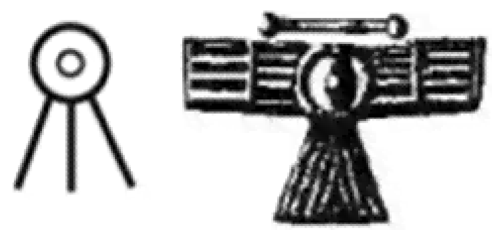
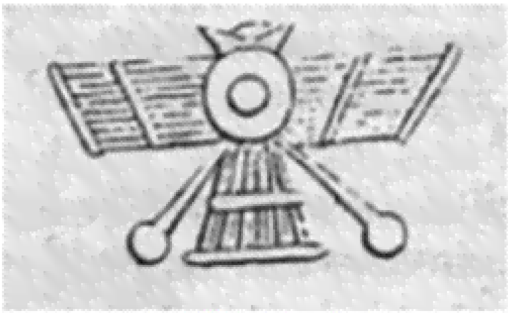
والحقيقة أنّ رمز الإله آن وعدده يمثل الكليّة السومرية، ومنها تظهر أعداد الآلهة الأخرى موزعة على أشهر وأبراج السنة.



تطور رسم رمز الألوهية (رمز آن إله السماء)/ رسم: لينا الناصري

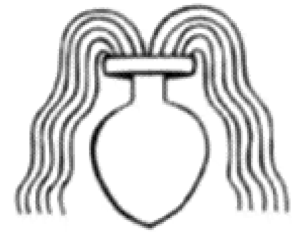
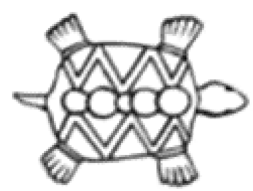
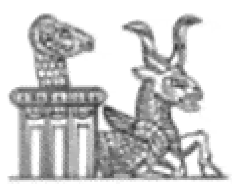
2 – رمز الإله إنليل: يعود رمز الإله إنليل إلى نهاية الألف الخامس قبل الميلاد حين مثل هذا الإله على شكل مثلثين متقابلين متصلين أو على شكل فأس مزدوجة. وكان ذلك يشير إلى أسطورة خلق الفأس لإنليل حيث يعتبر هو رب العمل الذي أعطى لشعب سومر الفأس ليبني حضارته بها. ولتدل على القوة والبأس. والعدد الرمزي لإنليل هو(50) الذي كان يعني أيضاً أنّ إنليل يترأس خمسين إلهاً أرضيًّا هم أعضاء مجلس الأنوناكي السومريّ، وقد ورث هذا العدد كل من ولديه ننورتا وننجرسو.

	
المثلثان المتقابلان المتصلان نهاية الألف الخامس ق. م، رمز إنليل	الفأس المزدوجة منذ نهاية الألف الخامس ق. م
 	 
النجمة السباعية، والنجمة السباعية بشعاع ثماني في داخلها	نجمة الصاعقة الثمانية

	
القرص المجنّح 1	القرص المجنّح 2

تطور رمز إنليل، رسم: لينا الناصري

3 – رمز الإله إنكي: عبر عنه بالإناء الفوار الذي يشبه الكمثرى الذي تخرج منه خطوط المياه العشرة من الجانبين، فهو إله المياه، وقد عبرت شجرة (الكاشكانو) وهي (شجرة الحياة) التي كانت تسمى باسم إنكي عن هذا الإله لأنه إله الحياة وإله الخصب. أما عدده الرمزي فهو(40) وقد كان هذا الرقم يحمل معاني عديدة منها النضج والحكمة والنبوة وغير ذلك.

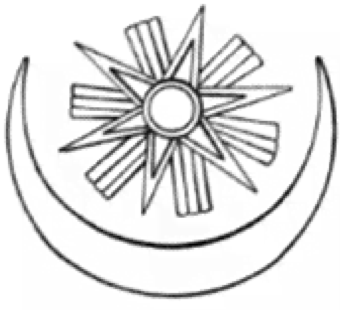
		
الإناء الفوّار بنهري دجلة والفرات 2300 ق. م	رمز الإله إنكي (إيا) نهاية الألف الثانية ق. م	رمز الإله إنكي (إيا) نهاية الألف الثانية ق. م

رسم: لينا الناصري

4 – رمز الإله نانا(القمر): وقد كان رمزه المبكر في العصر السومريّ عبارة عن هلال في وسطه نجمه ذات اثني عشر شعاعاً، ستة من الأشعة على شكل مدبب والستة الأخرى على شكل شريط شعاعي مكون من ثلاثة خطوط. كما تدل قرون الهلال على قرون الثور باعتبار أنه كان يسمى بـ(ثور السماء) وكذلك على حافتي (سفينة السماء).



الإله القمر نانا (ننار) القرن 22 ق. م



النجمة السداسية ومضاعفتها بالأشعة... داخل الهلال رمز الإله القمر نانا (ننار) القرن 22 ق. م

رسم: لينا الناصري

والعدد الرمزي للإله نانا هو(30) وهو يشير إلى أيام الشهر الذي كان يقاس بدورة القمر الشهرية ويشير إلى فكرة جعله مصدر التاريخ والزمن.

5 – رمز الإله أوتو: كان رمز الإله الشمس قد ظهر مبكراً في الرسوم الرافدينية فقد ظهر في الألف الخامس على شكل صليب وصليب مالطي وعلى شكل الرمح والنجمة المعلقة به، ثم ظهر في العصر الأكدي على شكل (المنشار) الذي يقص الظلام، وعلى شكل النجمة ذات الأشعة الستة عشر التي كان ثمانية منها على شكل مثلثات مدببة، والثمانية الأخرى على شكل أشرطة أشعة متماوجة. وكان ظهوره بهذا الشكل المميز في العصر الأكدي يؤكد مكانته عند الأكديين باعتباره الإله القومي لهم. وكان العدد الرمزي له هو(20).



النجمة الرباعية رمز الشمس، الألف الخامسة ق. م

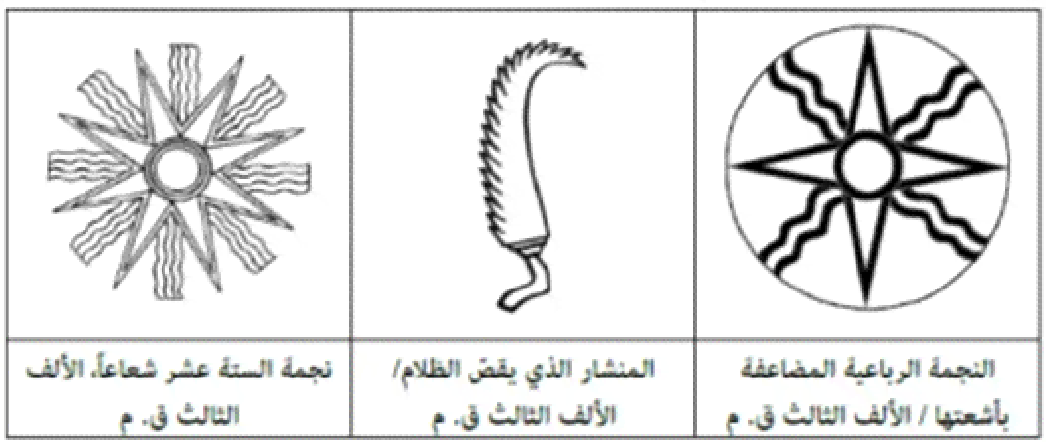


الصليب المالطي رمز الشمس، الألف الخامسة ق. م



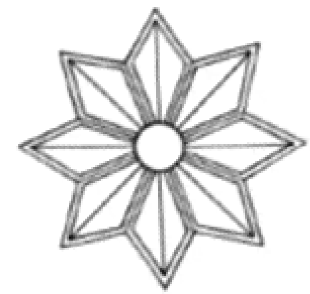
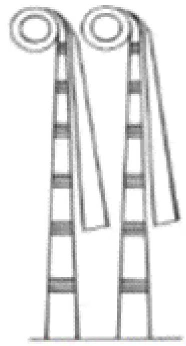
علامة الصليب رمز الشمس، الألف الخامسة ق. م

جذور رموز الشمس في الألف الخامس قبل الميلاد (رموز الانقلاب الذكوري). رسم: لينا الناصري



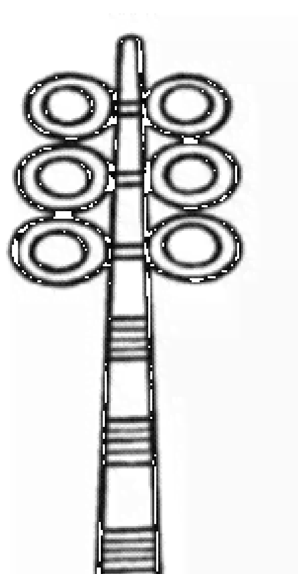
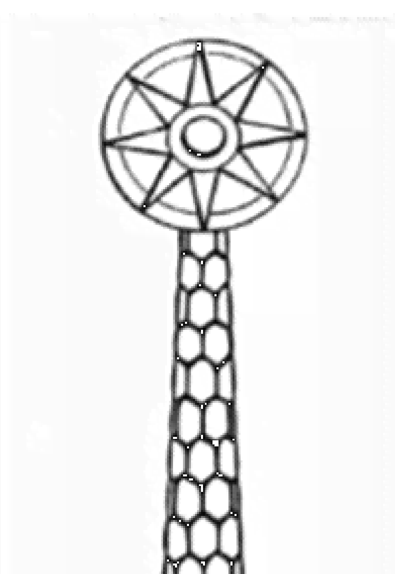
رموز الشمس في العصر السومريّ في الألف الثالث قبل الميلاد. رسم: لينا الناصري

6 – رموز الإلهة إنانا: للإلهة إنانا ثلاثة رموز سومرية أساسية ظهرت في عصر الوركاء وجمدت نصر، أي في عصر البروتوليتريت الشبيه بالتاريخي وهو عصر سومريّ مبكر الرمز الأول هو رمزها الكتابي وهو عبارة عن قصبتين متتابعتين باتجاه واحد معقوفتين ويتدلى من رقبة كل واحدة منهما شريط حريري. أما الرمز الثاني فهو عبارة عن قصبة مدببة ذات ست حلقات على جانبيها. الرمز الثالث هو زهرة الأقحوان المؤلفة من ثمانية أوراق مدببة على شكل معينات مصفوفة باتجاه مركز مدور. وكان هذا الرمز يشير إلى شجرة حياة إنكي أيضاً. أما العدد الرمزي للإلهة إنانا فهو(15) وهو نصف عدد أبيها القمر وكأنه يشير إلى البدر التمام، وهو ما يؤشر صفة الجمال لإنانا وكذلك يضمر هذا العدد أصل اسمها اللاحق (عشتار) من التسمية السومرية (كشدار) الذي يضم معنى الشق والقضيب، وهما رمزا الأنوثة والذكورة الدالان أيضاً على الحب والحرب. (انظر الماجدي 1995).

		
رمز الآلهة إنانا: النجمة الأقحوانية المثمنة الأشعة	رموز التاج والسهام والأجنحة للإلهة إنانا المحاربة	رمز الإلهة إنانا: القصبتان المعقوفتان 3200 ق. م

رسم: لينا الناصري

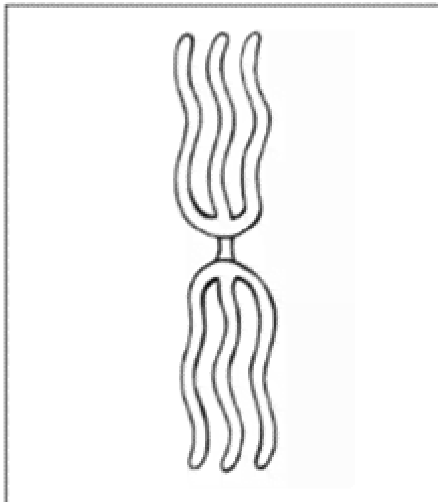
7 – رمز الإله دموزي: رغم شيوع عبادة الإله دموزي وأساطيره وطقوس الزواج المقدس والحزن عليه إلّا أنّ هناك رمزاً واحداً يرجّح أن يكون خاصًّا به، وهو عبارة عن جذع نخلة يشير إلى الإله دموزي (أما أشكال أنا) وهو مخصب النخيل وطلعها وفي أعلى الجذع رمز الألوهية الذي هو عبارة عن عجلة تحتوي في داخلها على نجمة ثمانية مدببة الأشعة وذات مركز. ولم يكن للإله دموزي عدد رمزي.

جذع النخلة ورمز الألوهية: رمز الإله دموزي، رمز دموزي كذكر القصب النابت المزود بست حلقات / نهاية الألف الثالث ق. م. رسم: لينا الناصري.

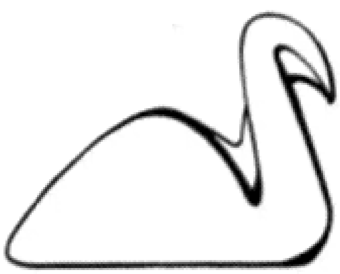
8 – رمز الإلهة إشخارا: ظهر رمز العقرب في وقت مبكر جدًّا، فقد كان من الرموز الأولى لحضارة سامراء النيوليتية في الألف السادس قبل الميلاد. وكان يشير إلى الإلهة الأم وقد ظهر في الأطباق الفخارية السامرائية ليشير إلى علامة الصليب المعقوف (السواستيكا) التي كانت رمزاً للإلهة الأم. وظهر أيضاً في رقصة الأكيتو (استنزال المطر أو الاستسقاء) ليشير إلى الإلهة الأم لأنّ من صفات العقرب ولادة صغارها من البيوض داخل جسدها، ولذلك حين كانت تخرج بعد التفقيس الداخلي تضطر إلى تمزيق ظهرها والعيش على بقايا جسدها في حين تموت العقرب الأم. ويعتبر هذا الرمز واحداً من أول رموز التضحية والأمومة ويبدو أنّ الإلهة إشخارا كانت تمثّل بالعقرب استمراراً لحفظ تقليد الإلهة الأم رغم أنّ هذا الرمز كان يدل على الإله شارا الذي كان يختلط مع الإلهة إشخارا بسبب اقتراب اسميهما وكونهما أبناء الإلهة إنانا. وكان أحد مداليل العقرب هو (الزواج) الذي كانت إشخارا تمثله.

9 – رمز الإله إشكر: ظهر رمز الإله إشكر الدال على الصاعقة والبرق مبكراً في حضارة سامراء النيوليتية على شكل الحرف U المتعرج الذراعين. (انظر الماجدي 1997: 111). ثم تطور في العصر السومريّ في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد إلى شكل الشوكة المزدوجة ذات المقبض الوسطي الذي أصبح يدل على البرق والصاعقة كسلاح في يد الإله إشكر الذي صار الإله أدد فيما بعد. والعدد الرمزي للإله إشكر هو(6).

	
العقرب رمز الإلهة إشخارا، رسم: لينا الناصري	رمز الإله إشكر (الصاعقة والبرق) رسم: لينا الناصري

10 – رمز الإلهة باو(بابا): ظهر رمز الوزة الدال على الإلهة باو مبكراً في حضارة حلف ولكنه مع ظهور الحضارة السومرية أصبح دالًّا على هذه الإلهة التي تهتمّ بالزراعة، لكن الوجه الآخر لباو هو الوجه الطبي حيث سميت بابا (طبيبة ذوي الرؤوس السود) تجسد في رمز الكلب (الذي كان بسبب لعقه للجروح يعتبر عامل شفاء)، وكان هذا الرمز يشير إلى جميع إلهات الشفاء والزراعة السبع بنات الإله آن في الوقت نفسه. أما الوزة فهي رمز (باو) حصراً.





رمز باو نهاية الألف الخامسة ق. م الرمز من رسم: لينا الناصري

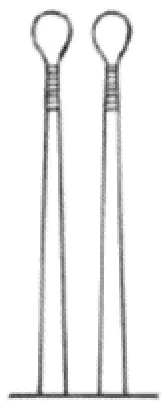
باو مع وزتين (رمزها) لكش الألف الثالث ق.م

11 – رمز الإله ننكرسو: وهو ابن إنليل الذي يحمل صفاته، فهو إله العاصفة التي يمثلها أيضاً الإله ننورتا إلّا أنه حصراً إله مدينة (كرسو). وقد كان رمزه في بداية عصر ميسيلم (حوالي 3000 ق. م) على شكل عصا مزدوجة ذات نهاية منتفخة ومحززة الرقبة وهي دالة على السلطة والقوة. أما في النصف الأول في الألف الثالث ق. م فقد أصبح شكل (أمدوجد) إله الريح الكاسحة الذي يمثل برأس أسد وجناحي نسر هو رمز الإله ننكرسو.

العدد السريّ للإله ننكرسو هو (50) مثل والده الإله إنليل.



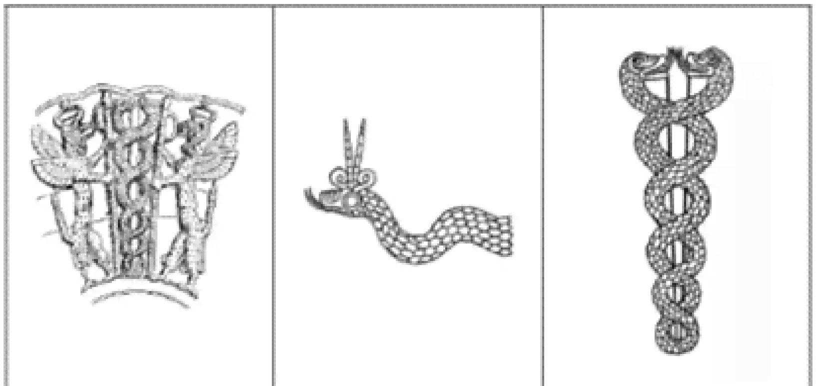
رمز الإله ننكرسو نسر برأس أسد (أمدوجد) النصف الأول من الألف الثالث ق. م.



رمز الإله ننكرسو: العصا المزدوجة 3000 ق. م رسم: لينا الناصري

12 – رمز الإله ننكشزيدا: وهو ابن ننازو إله الطب الذي يحمل صفاته وقد رمز له بثعبانين ملتفين على غصن شجرة أو عصا في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وكان الثعبانان متصلَي الذيلين ويتقابل وجهاهما وتتلاقى حلقتان أنفيتان لكل منهما. ومعروف أنّ الأفعى (أو الثعبان) مثلث رمزاً من رموز الشفاء والخلود. ففي سمها ترياق طبي وفي تجدد جلدها ما يشير إلى الخلود وتجدد الشباب. وقد أصبح رمز ننكشزيدا هذا رمزاً عالميًّا للطب، فقد أصبح شعار الطب السومريّ (الكاديكيوس) الذي انتشر شرقاً وغرباً وترسخ في اليونان وصار رمزاً لإله الطب اليوناني (أسكليبيوس) وشعاراً للطب اليوناني. وارتبط عند الرومان بسنابل القمح كرمز للخصب، وأسماه اليونان والرومان بـ(الكاديكيوس). ونستطيع ملاحظة وجود هذا الرمز واستمراره حيًّا في الشرق القديم من حكاية حية النحاس التي رفعها موسى على جبل نبو رمزاً للشفاء، وقد كانت حية ملتفة على

عصا. وفي عصرنا الحديث ما زال رمز الطب هو الحية الملتفة على عصا. ورمز الصيدلة الحية الملتفة على كأس وهي تضع رأسها عند فوهتها. وهو الشعار الذي نراه على أبواب الصيدليات ولافتاتها. (انظر الماجدي 1996: 150).



رمز الإله ننكشزيدا (الثعبانان الملتفان على عصا) رمز الطب يحرس بوابة معبده جنيان مزودان بأجنحة، القرن 22 ق. م، رسم1 و2: لينا الناصري
https://atlantisantartica. wordpress. com/201127/08//

13 – رمز الإلهة أشنان: كانت السنبلة رمزاً قديماً من رموز الإهة الأم في عصر النيوليت والكالكوليت ولكنها أصبحت حصراً في العصر السومريّ دالة على الإلهة أشنان إلهة الغلة والنبات، وهي سنبلة مميزة تتكون من ساق بثلاثة أغصان تشبه ثنية الكف وكأنها تمثل العطاء، والسنبلة مكونة من ستة فروع بارزة يتوسطها شكل هندسي مكون من تسعة مربعات لعلها إشارة لأشهر الولادة والخصب. وواضح أنّ العدد (ثلاثة) يتكرر في شكل هذه النبتة وهو عدد يرمز إلى الكثرة والوفرة.

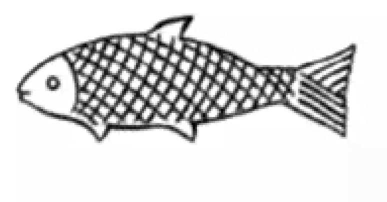


السنبلة: رمز الإلهة أشنان/ رسم: لينا الناصري، السنبلة خلف أحد الآلهة وهو يقود حيواناً خرافيًّا له وجه إنسان

https://nl. pinterest. com/pin/403212972869351990/?lp=true

14 – رمز الإلهة نانشه: كانت السمكة رمزاً نيوليتيًّا ظهر في حضارة سامراء ليشير إلى الإلهة الأم في بعض الأواني الفخارية التي كانت تحمل صورة ثماني سمكات تدور باتجاه معاكس لعقرب الساعة حول أربع سمكات مطعونة وبمركز سواستيكي. وفي العصر السومريّ أصبح هذا الرمز يشير إلى الإلهة نانشه إلهة الأسماك وابنة إنكي.

15 – رمز الإلهة ننمار: كانت الطيور عموماً تشير إلى إلهة الأم النيوليتية وحتى النسور الكاسرة كانت تشير لها كما في (شتال حيوك) في الأناضول النيوليتية، لكن النسور والعقبان أصبحت تدل على الإله الأب الذكر القوي الممثل بالهواء في بداية الكالكوليت وأصبحت الطيور الأليفة حصراً هي التي تدل على الإله الأم... والإلهة ننمار كانت إلهة الطيور التي كانت رمزاً لها في المرحلة السومرية.



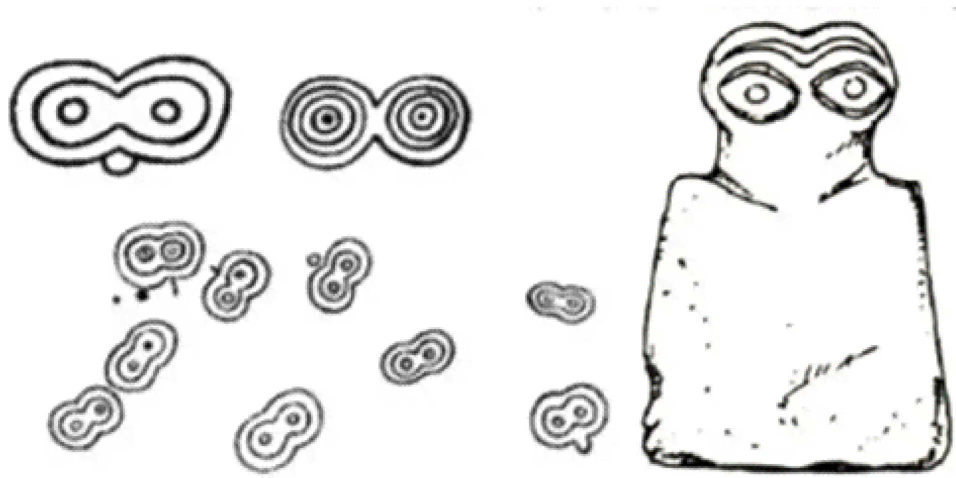
رمز الإلهة نانشه رسم: لينا الناصري



رمز الإلهة ننمار، رسم: لينا الناصري

16 – رمز الإلهة لهار(لخار): وهي إلهة الماشية بشكل عام، وربما أصبحت تدل على الخراف بشكل خاص، ولذلك كان رمزها النعجة، وإذا ظهرت النعجة مع الغلة أو السنابل فإن ذلك يدل على تلازم الإلهتين الأختين (لهار) النعجة و(أشنان) الغلة حيث تصف قصيدة مناظرة سومرية تلازمهما وتنافسهما في الوقت نفسه.

17 – رمز إلهة العين (المضادة للحسد): لم تكن هذه الإلهة شائعة ضمن البانثيون السومريّ ولكنها كانت شائعة في مناطق غرب وأعالي الفرات فقد عثر لها في معبد العين (في تل براك على الخابور) على آلاف التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العيون المحدقة وعلى رمزها (العين المحدقة) باعتبارها إلهة طاردة للحسد والشر.



إلهة العين ورمزها

18 – رمز الحمامة السماوية (إياهو): هذا الرمز له أهمية خاصة، فهو يشير إلى الحمامة السماوية (إياهو Iahu) ونرى أنّ هذا الاسم هو مصدر الإله العبريّ (يهوه). وقد حصل ذلك من خلال الإله إنليل الذي أرجح أن يكون مصدر الحمامة السماوية أو أنها شكل من أشكال ظهوره أو مبعوثته من السماء وقد اقترنت بها عند العبريين ثم اليهود صفات (يهوه) الذي يناظر تماماً في صفاته الإله (إنليل) كالعاصفة والغضب والقوة، خصوصاً أنّ (إنليل) هو الإله القومي السومريّ و(يهوه) الإله القومي العبري.



رمز الحمامة السماوية (إياهو) القرن 18ق. م، رسم: لينا الناصري

19 – رمز الفأس (العمل): وهو أحد رموز الآلهة أيضاً الذي جسدته أسطورة الفأس الخاصة به، فهو هدية الإله إنليل إلى الشعب السومريّ ليبنوا سومر بالعمل وقد جسد المحراث فكرة العمل أيضاً.

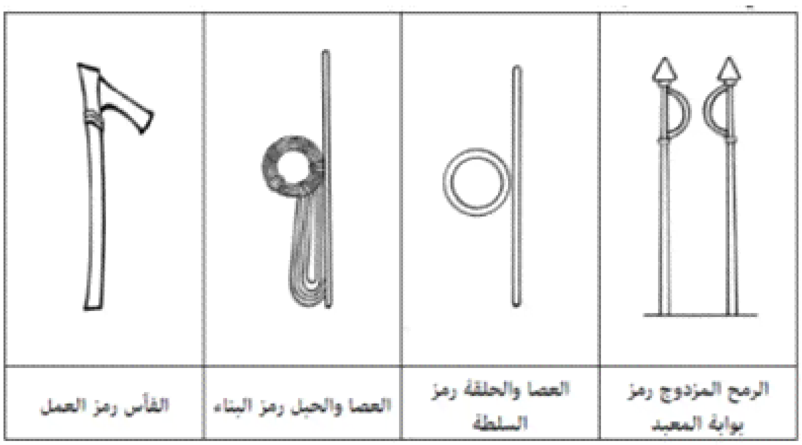
20 – رمز البناء: وهو رمز مكون من عصا وبجانبها حبل مطوي على شكل حلقة تتهدل منه قطعة حبل مطوية. وقد ظهر هذا الرمز في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد.

21 – رمز السلطة: وهو رمز قديم يظهر مرافقاً للإله آن ثم للإله إنليل ثم يظهر مع الملوك. وهو مكون من عصا وبجانبها حلقة دائرية.

التفسير الآخر المهم هو أنهما رمزا الزمن والأبدية، فمنذ بدايات الحضارة السومرية كان هناك رمزان مهمان للزمن المحدود وللأبدية يتمثلان في المستقيم والدائرة اللذين يظهران في الكثير من المسلات والأختام الأسطوانية، وقد كان التفسير الشائع لهما هو العدالة والقانون، لكن العمود كان يمثل الزمن التأريخي المحدود أو القياس الزمني للحياة والذي له بداية ونهاية وربما يقصد منه عمر

الفرد أو الملك، أما الدائرة فالمقصود منها هو الأبدية التي منحتها الآلهة لمن اختارته مثل أوتانابشتم، ويشيران معاً إلى القدرة على الإنشاء والصيانة والنهاية وهما من رمز الزمن والخلود. (انظر (36 - Abram 2011: 15

22 – رمز بوابة المعبد: الذي يظهر على شكل عمودين مدببي النهاية من خلال قبة صغيرة تعلو كل منهما، وهناك نصف حلقة جانبية على ثلثهما الأعلى. وقد ظهر هذا الرمز حوالي (2475) ق.م

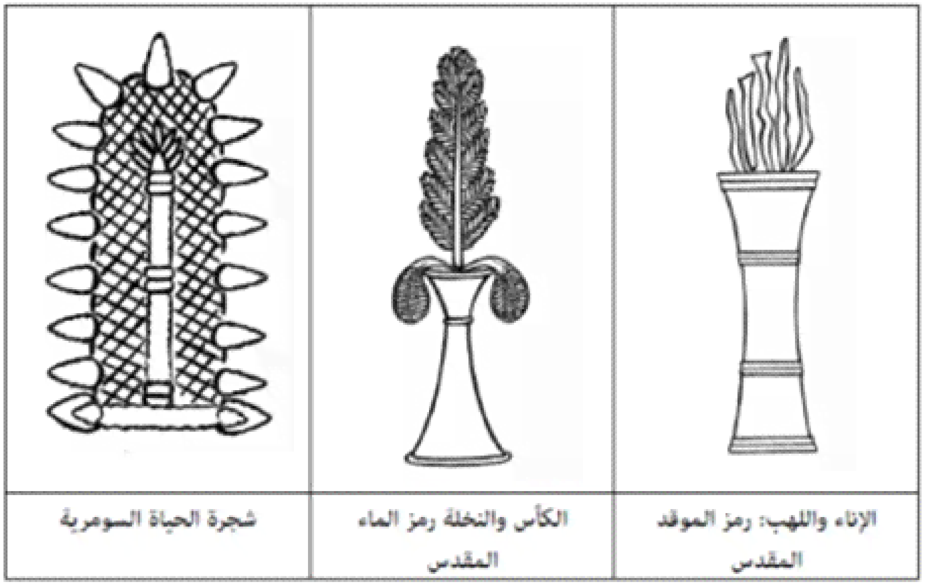


رسم: لينا الناصري

23 – رمز الماء المقدس: وهو إناء سكب الماء المقدس الذي يظهر مثل كأس مخصرة تتدلى على جانبيها ثمرتان وتنبع منها سعفة مكونة من أوراق جانبية صغيرة. وربما كان هذا الشكل عبارة عن الكأس والنخلة.

24 – رمز الموقد المقدس: وهو عبارة عن إناء طويل تخرج منه ألسنة لهب، وهو أحد رموز المعبد، ولكنه أشار في العصر الأكدي إلى الإله (نسكو) إله النار والإله (ننكشزيدا) إله الطب.

25- رمز شجرة الحياة: وهي شجرة تستقر في وسط شيكي ومحاطة من جانبيها بـ 8 نتوءات من كل جانبٍ، ويعلوها نتوء. فيما هي تستقر في جوف التشكيل بسبع وريقات وساق ذات ثلاث عقدٍ مزدوجةٍ. وهي ترمز للخلود والمعرفة.



رسم: لينا الناصري

ثانياً: الأساطير والميثولوجيا السومرية

لعل من الضروريّ التأكيد على أنّ هناك الكثير من الأساطير السومرية ما زال مفقوداً حيث نرى إشارات كثيرة لأساطير لم يعثر عليها حتى الآن. وبرغم ذلك فالأساطير السومرية التي بين أيدينا تعطينا فكرة واضحة عن النظام الميثولوجي السومري.

إن تصنيف الأساطير السومرية هو الذي يدلنا على هذا النظام ويعيننا على تلمس شكله وبنائه. وقد اقترحنا تصنيفاً نعتقد أنه يوفر مثل هذه الفرصة أو يفتح طريقاً لها على الأقل وهو كما يلي:

1 – أساطير الخليقة (التكوين) Myths of Gensis

أ – أساطير نشوء الكون (الكوزموغونيا Cosmogony)

ب – أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا Theogony)

ج – أساطير نشوء الإنسان (الأنثربوغونيا Anthropgony)

2 – أساطير العمران Mythes of Organization

أ – الأساطير المرتبطة بالإله إنليل.

1 – أسطورة خلق الفأس

2 – رحلة (نانا) إلى نفر

3 – إيميش وإنتين

4 – لاهار وأشنان

ب – الأساطير المرتبطة بالإله إنكي

1 – إنكي وتنظيم سومر

2 – إنكي وأريدو والرحلة إلى نفر

ج. أساطير إنانا Myths of Inanna

1 – إنانا والآلهة (آن، إنليل، إنكي)

2 – إنانا ودموزي

3 – إنانا وملوك سومر (كلكامش، شولكي، شوسين، إيدن داجان، إيمشي داجان) وسنتناول بالتلخيص جميع هذه الأساطير.

3 – أساطير الخراب Myths of Destruction

أ. أساطير الخراب المرتبطة بالإلهة إنانا

1– إنانا والإنسان (شوكاليتودا، بيلولو)

2– إنانا والعالم الآخر.

1 – إنانا وجبل إيبيخ

2 – إنانا وكور

3 – هبوط إنانا إلى العالم الأسفل.

ب – التنين (أسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

1 – التنين كور والآلهة إنكي وننورتا وإنانا.

2– التنين أساج والإله ننورتا.

4 – أساطير الموت Myths of Eschatology

أ – الطوفان (أسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى).

1 – أساطير الخليقة Myths of Gensis

لا تسعفنا المدونات السومرية بأسطورة خاصة عن خلق الكون، ولكننا نعرف من مقدمات القصائد والأساطير الأخرى أنّ الكون في نظر السومريين ظهر من الإلهة السومرية الأم الأولى (نمو Nammu) وهي إلهة هيولية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن – كي) الذي يعني (السماء – الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه (نمو).

وكان السومريون يسمون الزمان الأول الذي بدأ فيه الخلق أوروبا (Uria) وهذا يعني أنّ ثلاثي الخلق الأول عند السومريين كان مكملاً لبعضه حيث المادة الأولى (نمو) والزمان الأول (أوريا) والمكان الأول (أن – كي)... وبهذا الثالوث التكويني يتحرك الوجود كله وتصير استعادته الدائمة في الطقوس والشعائر الدينية محور هذه الطقوس.

إن (نمو) تمثل العماء (كاؤس Chaos) أما (آن – كي) فيمثل الكون (كوسموس Cosmose) وزمن الانتقال من العماء إلى الكون هو الزمن الأول (أوريا).

وكانت أعياد رأس السنة السومرية تمثل محاولة لاستعادة الزمن الأول (أوريا)، ولذلك كانت هذه الأعياد تتضمن استعادة قصة الخليقة من جديد، بل وتتضمن ما يشير إلى الخروج من العماء إلى الكون عن طريق عودة العالم إلى الفوضى ثم تدرجه إلى النظام.

وكذلك كان بناء المعابد وتمثيلها بالجبال الكونية وإطلاق تسمية (صلة بين الأرض والسماء) عليها تعني استعادة خلق المكان الأول. وكانت الزقورات السومرية إحياء لهذا الجبل الكوني (آن – كي) وقد كان ينظر إليها السومريون على أنها مركز العالم وسرة الكون. إنّ مصطلح (دور – آن – كي) الذي كان يشير إلى زقورات نفر ولارسا وأور وغيرها كان يمثل هذا التوجه تماماً، وكانت المعابد تبنى في الغالب قرب أو فوق المياه تمثلاً للحظة الخليقة الأولى واستعادة لها. (انظر الياد 1988: 37).

وتستكمل عملية الخلق نفسها عندما يمثل (آن) السماء و(كي) الأرض في الجبل الكوني (آن – كي) وهما في وضع مضاجعة والتصاق حيث يكون (آن) العنصر الذكري و(كي) العنصر الأنثوي وينشأ عن ذلك ولدهما (إنليل) ومعناه (سيد الهواء) الذي يولد بينهما ويكبر حتى يقوم بفصلهما تماماً حيث يرتفع الإله (آن) إله السماء إلى الأعلى وتنخفض الإلهة (كي) إلهة الأرض إلى الأسفل. ثم يقوم الإله (آن) بإخصاب الإلهة (كي) من جديد عن طريق المطر الذي يساهم في تحريكه الهواء وينتج عن ذلك ولادة الإله (إنكي) وهو إله الماء الذي سيملأ الأرض ويصبح أيضاً إله الأرض مع الإلهة (كي).

وبولادة هؤلاء الآلهة الأربعة يكون الكون بمعناه البدئي قد اكتمل حيث تميز الآلهة (آن، كي، إنليل، إنكي) وأصبح كل منهم إلهاً لواحد من أوجه الطبيعة الأربعة (السماء، والأرض، والهواء، والماء) وهي العناصر الأساسية الأربعة للكون كله. وهكذا يستمر انتظام الكون بتفاصيله حيث يظهر الكون السومريّ في النهاية طافياً أو سابحاً فوق بحر هيولي من الماء تمثله الإلهة السومرية الأم (نمو). أما الكون نفسه فيتكون من خمسة أقسام أساسية هي:

1 – العالم الأعلى (Anunna) وهو الفضاء الذي يعلو السماء حيث تسكن الآلهة في مقرها الذي يسمى بـ(أنونا) الذي يعني بالسومرية (بذور الحياة الأميرية)، ويصعب تفسيره ولكنه يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض. ويعتقد أنّ هذا الاسم هو أصل تسمية (أنوناكي) الأكدية التي حصرت به آلهة العالم الأرضي ثم العالم الأسفل و(إيجيجي) الذين يمثلون آلهة السماء. أي إن الـ(أنونا) السومريّ كان يضمهما معاً. (انظر اذزارد 1987: 71).

2 – السماء(An) وهي سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها ويرى السومريون أنها كانت مكونة من مادة القصدير لأنّ معنى كلمة قصدير بالسومرية هو (معدن

السماء). (انظر كريمر ب. ت: 149).

3 – الفضاء (ليل Lil) وهو الفراغ بين السماء والأرض والذي يمتلئ بمادة اسمها (ليل) أي الهواء والتي تدل على الظلمة، كما أنها تدل على النفس والروح. وتسبح في هذه المادة الكواكب والنجوم المكونة من مادة الهواء نفسها إلّا أنها مشرقة ومضيئة.

4 – الأرض (كي Ki) وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي حوله وتحته. وكان السومريون يرون أنّ هذا المحيط المائي يمتد من الشمال مثل قوس مائي ويسمونه البحر الأعلى، وهو البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب البحر الأسفل وهو الخليج العربي أما البحر الذي تحت الأرض فهو البحر العميق ويسمى (أبسو) حيث يسكن الإله إنكي.

5 – العالم الأسفل (كورKur) وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو وتعيش فيه آلهة العالم السفلي وتسكنه أرواح الموتى من البشر على شكل طيور متربة. ويتكون العالم الأسفل من نهر كبير يحيط به اسمه (خبر) ومن بوابات سبع وهناك في وسطه قصر الآلهة أريشكيكال والإله نركال.

نرجح أن تكون هناك أساطير خاصة تدور حول ولادة كل سلالة إلهية أو مجموعة آلهة وإذا عدنا ونظرنا في شجرة أنساب الآلهة (في الفصل السابق) فإننا سنتخيل عدد الأساطير التي وصفت ظهور الآلهة ونشوئها. ولكن الأساطير الثيوغونية (الخاصة بنشوء الآلهة) ليست وفيرة العدد إلى الحدّ الذي يتناسب مع حجم الولادات الإلهية عن بعضها كما نراها في الشجرة. إن الأبوين الكبيرين للآلهة هما (إنليل) و(إنكي) وهناك أسطورتان ثيوغونيتان كل واحدة تربط بأحدهما:

1 – الأسطورة الثيوغونية الإنليلية هي أسطورة (إنليل وننليل وولادة الإله نانا إله القمر) التي تبدأ بوصف مدينة (نفر) ثم تظهر أم الإلهة ننليل وتسمى (ننبار شكونو وهي الإلهة نصابا إلهة الحبوب والمعرفة) والتي تنصح ابنتها بأن لا تخلع ثيابها وتسبح في النهر خوفاً من أن يراها إنليل، لكن ننليل تفعل ذلك فيراها إنليل ويفتن بها ثم يأمره وزيره (نسكو) ليجلبها له في قاربه فيجلبها ويضاجعها في القارب ويبذر في أحشائها الإله القمر (نانا). لكن مجلس الآلهة عندما يعلم بذلك يعتبر ذلك جريمة اغتصاب ويقرر نفي الإله إنليل إلى العالم الأسفل. وحين يذهب الإله إنليل إلى العالم الأسفل تتبعه ننليل وهي حامل بابنها القمر. وعلى بوابة العالم الأسفل يجد إنليل حارس البوابة فيتخذ هيئته ويأمره بأن يتوارى ويقف هو مكانه كحارس للبوابة. وعندما تجيء ننليل يقنعها إنليل المتنكر

بأنها إذا أرادت أن تنقذ الإله القمر فإنها لا بدّ لها من قبول مضاجعته لكي تلد إلهاً يكون بديلاً عن الإله القمر، وعند ذاك يمكنها دخول العالم الأسفل دون أن تضحي بولدها فتقبل بذلك. ويتكرر هذا الأمر ثلاث مرات ولذلك تلد الآلهة ننليل أربعة أبناء هم الإله القمر نانا الإله نركال (مسلامتيا) وهو إله العالم الأسفل والإله ننازو وهو إله الشجرة، وإله الطب في العالم الأسفل والإله اليجبيل وهو إله النار السفلي.

وبذلك يبقى الآلهة الثلاثة الآخرون في العالم الأسفل ويصبح من الممكن تحرر الآلهة الثلاثة الكبار إلى العالم الأعلى وهم إنليل وننليل ونانا. لأنّ أحكام العالم الأسفل تقضي بأن الآلهة إذا نزلوا إلى العالم الأسفل لا يخرجون منه إلّا إذا أتوا ببدائل إلهية عنهم يبقون مكانهم في العالم الأسفل.

إن هذه الأسطورة تلقي الضوء على كيفية ولادة أربعة من الآلهة المهمين في الشجرة الإنليلية وتحمل في داخلها علاقات سببية دقيقة وهي أسطورة محملة بالرموز والمعاني العميقة.

2 – الأسطورة الثيوغونية الإنكية هي أسطورة (إنكي وننخرساج في دلمون) والتي تبدأ بوصف (دلمون) واستقرار الإله إنكي والإلهة ننخرساج فيها، وكيف أنّ هذه الأرض لم يكن فيها الشر والقبح والشيخوخة والمرض، وكان كل شيء موفراً إلّا المياه العذبة التي تخصب أرضها فتطلب الإلهة من إنكي توفير الماء ويطلب إنكي من إله الشمس (أوتو) ذلك، فيفعل ذلك وتتفجر الينابيع والآبار وتظهر الأهوار وتستصلح أرض دلمون... وإكمالاً لخصب الطبيعة هذا يقوم الإله إنكي بإخصاب الإلهة ننخرساج التي تلد بعد تسعة أيام تعادل تسعة أشهر بدون ألم الإلهة ننسار (سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل). وعندما تكبر ننسار ويراها أبوها تتنزه على طول الهور يعجب بها ويضاجعها وينجب منها الإلهة (ننمو) وهي (سيدة النباتات ذات الألياف) وتتكر الحادثة مع حفيدته الحرام لينجب منها (ننكورا) سيدة الأصباغ التي يضاجعها فينجب منها (أتو) إلهة النسيج التي يضاجعها بعد إغراءات عدة وينجب منها ثمانية أنواع من النباتات التي يقرر إنكي أن يعطيها أسماء فيقوم وزيره (إسمود) بقطع جزء من كل نبتة وعندما يتذوقها إنكي يطلق على كل واحدة اسماً.

ويبدو أنّ هذه النباتات المحرمة (بسبب خطايا إنكي المتكررة مع بناته وحفيداته) كانت نباتات سامة. وبسبب ذلك تقوم ننخرساخ بترك إنكي لمصيره المحتوم ويفعل السم فعله في جسد إنكي ويصبح إنكي مهدداً بالموت وعند ذاك يحزن مجمع الآلهة لكن الثعلب يذهب إلى إنليل ويطلب منه

مكافأة مقابل أن يستطيع إقناع ننخرساج بالعودة فيعده إنليل أن يزرع له شجرة (كشكانو) وهي شجرة إنكي المقدسة وأن يصبح مشهوراً.

وينجح الثعلب بإقناع ننخرساج في عودتها إلى إنكي الذي أصبح مريضاً بثمانية أمراض بسبب أكله من النباتات السامة المحرمة، وتبدأ بفحصه وتسأله ما الذي يؤلمه فيعدد لها ثماني مناطق في جسده أمرضتها النباتات الثمانية فتقوم الإلهة ننخرساج بخلق ثماني آلهة لكل مرض في الأعضاء السابقة. وهكذا يشفى الإله إنكي من أمراضه ثم يقوم بتقرير مصير هذه الآلهة الثمانية لمهمات أخرى بالإضافة إلى دورها الطبي والعلاجي الذي أثبت جدواه وهذه الآلهة هي:

1 – أبو: أشفي مرض الرأس وأصبح ملك النباتات.

2 – ننسيكلا: شفت مرض الفك وأصبحت إلهة (مجان) أي عمان والإلهة الحامية لـ(دلمون).

3 – ننكيري: شفت الأنف وأصبحت زوجه الإله ننازو في العالم الأسفل.

4 – ننكاسي: شفت الفم وأصبحت إلهة الشراب أو (الإلهة التي تشبع شهوة القلب).

5 – نازي: شفت الحنجرة وأصبحت زوجة الإله نندارا.

6 – أزيمو: شفت الذراع وأصبحت زوجة الإله ننكشزيدا.

7 – ننتي: شفت الضلع وأصبحت إلهة الشهور، وكانت هذه الإلهة مصدر الأسطورة التوراتية حول حواء وخلقها من الضلع لأنها إلهة الضلع والإلهة التي تحيي (حواء) في الوقت نفسه.

8 – إينشاج: شفى المتون وأصبح إله دلمون. (انظر كريمر 1965: 239-249).

إن هذه الأسطورة تلقي الضوء على علاقة إنكي وننخرساج كما أنها تصف السلالة النباتية للإله إنكي... وتتضمن بعض رموزها إشارات عميقة تخص أسرار إنكي.

يتضح من كلّ هذا أن أساطير خلق الإنسان (الأنثربوغونية) السومرية متنوعة وهي إشارات لمدى واسع من التصور الميثولوجي حول نشوء الإنسان وأصله. ولعل الأنثربوغونيا (خلق الإنسان) الطينية المائية التي تجسدها أسطورة (إنكي ونمو وننماخ وطين الأبسو) هي الأكثر شهرة بينها حيث تصف هذه الأسطورة الآلهة الصغار العاملين وهم يضجرون من العمل والإرهاق فيذهبون إلى الإله

إنكي عساه يجد حلًّا لمعاناتهم، فيقوم الإله إنكي بخلق الإنسان وينصح أمه الإلهة (نمو) بأن تشرف هي على هذا الخلق وتساعدها في ذلك الإلهة ننماخ. أي إن الإله إنكي قرر شكل الإنسان وقرر منحه شيئاً من حكمة إنكي. أما ولادته فتركها أولاً لإلهات الولادة السبع وللإلهة ننماخ والإلهة نمو.

وفي حفلة إلهية كبيرة تقوم الإلهة ننماخ بصنع ستة أنواع من الإنسان، لكن إنكي عندما فحصهم وجدهم مشوهين فقرر مصائرهم وجعلهم في خدمة الآلهة والملوك. ثم قام إنكي بصنع مخلوق بشري اسمه (أمول) ومعناه (يومي بعيد) وكان يعاني من عدة عاهات أيضاً ليحرج (ننماخ) في كيفية تعيين مصيره وتفشل (ننماخ) في هذا. ويبدو أنّ هذه الأسطورة تبين تنافس إنكي وننماخ في خلق الإنسان وتعيين مصيره. ولكن مادة الخلق كانت من الطين الذي في مياه الأعماق (الأبسو). وربما أشارت فكرة التشويه إلى نقص الإنسان الأول ومرضه وعدم تكامله.

أما الأسطورة الأخرى فتوضح الأصل النباتي للإنسان حيث يقوم الإله إنليل بوضع البدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر بالظهور من هذه الشقوق مثل الحشيش. ونرجح أن تكون أصول هذه الأسطورة بعيدة وربما تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد عندما كان أجداد السومريين في المناطق الشمالية من وادي الرافدين حين تعرفوا (مع نهاية عصر النيوليت) على أهمية الهواء والأمطار في عمليات الزراعة، ولذلك اكتسب الإله إنليل (الهواء) آنذاك أهمية استثنائية في خلق العالم والإنسان. (انظر رشيد 1981: 20).

وهناك مقدمة القصيدة التي تشير إلى الأصل الحيواني للإنسان فقد خلق على جبل الآلهة (أن – كي) الإنسان مثل حيوان يمشي على يدين ورجلين.

«البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس

وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش

ومن القنوات يشربون الماء». (رشيد 1981: 20).

وتصور لنا هذه الأبيات الإنسان كأنه حيوان لكن الآلهة تقوم بعد ذلك بإنزال الإنسان من هذا الجبل الكوني إلى الأرض ليتعلم كيف يكون قادراً على الانفصال عن الحيوانات والاستفادة منها.

أما أسطورة الأصل الإلهي للإنسان فتجسده أسطورة الآلهة لمكا حيث تشير إلى أنّ الآلهة بعد أن أتعبهم العمل قال لهم الإله إنليل ماذا تريدون؟ فأجابوه بأنهم يريدون ذبح آلهة لمكا (وهي آلهة العمل) في منطقة (أوزموا) في (نفر) ومن دم هذه الآلهة يصنع الإنسان ليقوم بالعمل بدلاً من الآلهة. وتشير هذه الأسطورة إلى أنّ آلهة العمل هذه آلهة ثانوية إضافة إلى أنها تعمل لخدمة الآلهة الكبار، وبذلك يحمل دمها فكرة خدمة الآلهة حيث سيكون الإنسان الذي يخلق من هذه الدماء مشابهاً لها. وبذلك تحل مشكلة عمل الآلهة وتعبهم. فالإنسان هنا مجرد خادم وعامل من أجل الآلهة. ويرجح أن تكون هذه الأسطورة ذات أصول أكدية.

وهناك إشارات إلى أنّ السومريين عرفوا الأنثروبوغونيا اللوغوسية أي إن الإنسان خلق بمجرد أن نطق الآلهة وقالوا (ليخلق الإنسان) دون مواد أولية كالطين والماء والبذور والدم. حيث ترد في إحدى قصص كلكامش السومرية عبارة (بعد أن تعين اسم الإنسان)، وهناك إشارات أخرى، وهذا يعني أنّ فكرة الخلق من الكلمة تكمن في التراث السومريّ عميقة قصية.

2 – أساطير العمران Myths of Organization

أ – أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله (إنليل).

ينضوي تحت هذا النوع من الأساطير ما يخص العمل والفصول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نفر حيث مكان أبيه.

في أسطورة الفأس يهدي الإله (إنليل) الفأس للشعب السومري هدية ليعملوا بها ويصلحوا أرضهم ويبنوا مدنهم.

«الفأس والسلة تبني المدن

الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس

الدار الثابتة الأركان أنشأتها الفأس». (كريمر 1971: 82).

وفي أسطورة الصيف الشتاء خلق إنليل (إيميش) ليرعى الصيف و(إنتين) ليرعى الشتاء وصار إيميش يسمى الإلهة وإنتين فلاح الإلهة لكن تنافساً حصل بينهما فاحتكما إلى الإله إنليل الذي فضل الفلاحة والشتاء على الرعي والصيف.

وفي أسطورة مشابهة يخلق إنليل (لاهار) النعجة ويخلق (أشنان) الغلة والحبوب ليخدما حاجات الآلهة لكنهما يتنافسان ويحتكمان إلى إنليل فينحاز إلى أشنان إلهة الحبوب على لاهار إلهة النعجة.

وينظر إلى هاتين الأسطورتين على أنهما من أدب المناظرات السومري (أدمندوكا) حيث يتضمن حوارهما مفاخرة وتفاضلاً بينهما.

وفي أسطورة رحلة الإله نانا (القمر) إلى نفر يظهر الإله القمر وهو يستعد لزيارة أبيه الإله إنليل في مدينة (نفر) فيحمل في مركبه الهلالي الشكل أصناف الأشجار والنباتات والحيوانات ويتوقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن يقوم فيها الإله الحارس لكل مدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى مدينة نفر فيفتح له بواب إنليل بيت إنليل، ثم يلتقي بأبيه ويطلب منه أن يعطيه في النهر المياه وفي الحقل القمح وفي الأهوار العشب والقصب، وفي بستان النخيل ومزرعة العنب العسل والشراب، وفي القصر العمر المديد فيقوم الأب بإعطائه ما أراد الإله القمر إلى مدينته (أور).

ب – أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله (إنكي)

الأسطورتان الأساسيتان في هذا الحقل هما أسطورة تنظيم سومر وتعيين الآلهة فيها وأسطورة ترتيلة أريدو.

في أسطورة تنظيم سومر يقوم الإله (إنكي) بإظهار قدرته على إخصاب الأرض والنباتات والحيوانات في الطبيعة وعندما يصل إنكي إلى سومر يقرر مصيرها كما يلي:

«يا سومر: أيها البلد العظيم يا أعظم بلد في العالم. لقد غمرتك الأضواء المستديمة والناس من مشرق الشمس إلى مغربها هم طوع شرائعك المقدسة

إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره

إن... كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمية

الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس

ربك هو رب معظم مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء

الملك هو الجبل العظيم هو الأب (إنليل)». (كريمر 1971: 101).

بعدها ينظم إنكي مدينة (أور) التي كانت عاصمة سومر في مراحلها الأخيرة ثم يقوم الإله إنكي بتنظيم وتقرير مصائر مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء فيبارك ملوخا ويعين الإله (أنبيلولو) لنهري دجلة والفرات ويملؤهما بالأسماك، ويعين الإله (سيرار) حامياً لمياه الخليج العربي، والإله (أشكور) حامياً للقلب الفضي في السماء، ويعين الإله أنكيدو مسؤولاً عن المحراث والحقل والخضار، ويعين الإلهة (أشنان) مسؤولة عن الغلة والحبوب، ويعين (الإله) (كبتا) مسؤولاً عن الفأس وقالب الآجر ويعين أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بناء الإله إنليل مسؤولاً عنها، ويعين (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن نباتات وحيوانات السهول. ويعين (دموزي) مسؤولاً عن الإسطبلات وزرائب الماشية... إلخ.

أما الأسطورة الثانية فهي رحلة إنكي من أريدو إلى نفر وتسمى (ترتيلة أريدو) التي تبدأ بمديح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد في مدينته (أريدو) وحلاوة الذهب ولكنه يحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر(إنليل) الموجود في نفر ولذلك يهيئ قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأبسو التي فيها مقره المسمى ببيت الغور (أي – أنغورا).

وتصف الأسطورة هذا البيت المبني على ساحل مدينة أريدو بالكثير من الجمال والروعة:

«لا يقوى أحد على متراسك

قفلك أسد مرعب

عواميد سقفك ثور من السماء! تزيا بشكل وقاد

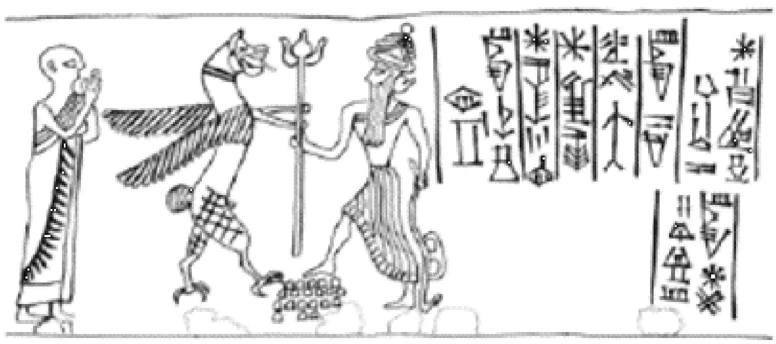
ستائرك من اللازورد حلين للعواميد

.... ثور متوحش رافع قرنيه

مدخلك أسد يعترض الناس

كساء بابك أسد مسلط على الناس». (فالكنشتاين 1951: 187).

ثم يصل الإله (إنكي) إلى نفر ويجد (إنليل) وقد أقام حفلاً فخماً له بمناسبة بناء بيته ووصوله إلى نفر ودعا إليه الآلهة العظام ويشرب الآلهة نخب إنكي وبيته، ثم يقوم إنليل بإطراء إنكي. وقد قام البروفسور أ. فالكنشتاين بتحليل هذه الأسطورة ورموزها وما تحتويه من مضامين. (انظر فالكنشتاين 1951: 187-191).



مسلمتاي (نرجال) وشولجي

.(BASEL:342—Baker et. al 2010, SUTER)

أساطير الحب عند إنانا Myths of Inanna

تنفرد إنانا (إلهة الحب والجمال وسيدة كوكب الزهرة وإلهة الحرب) بعدد كبير من الأساطير والقصائد والتراتيل... التي تشكل صفحة مهمة من الميثولوجيا والأدب السومري.

ويمكننا تقسيم أساطير إنانا السومرية إلى خمسة أقسام على أساس صلة إنانا بـ(الآلهة، دموزي، ملوك سومر، الإنسان، العالم الأسفل) حيث يوفر لنا هذا التقسيم نوعاً من التناسق في موضوعات إنانا التي تحتاج برأينا إلى كتاب منفصل.

أ – إنانا والآلهة العظام

كانت علاقة إنانا بالإله آن مثار جدل بين باحثي السومريات، وقد اتفقت الآراء على أنّ إنانا هي ابنة الإله نانا (القمر) ولكنها بسبب المكانة العظيمة التي حازت عليها ارتبطت بالإله آن في بعض الأساطير كزوجة أو عشيقة. فقد روت أسطورة مدونة باللغتين السومرية والأكدية اسمها (السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة). إن الإله آن رفع إنانا على ضوء طلب الآلهة العظام إلى مرتبة قرينته (أنتوم) المعادلة لرتبته هو، وجعل منها نجمة السماء (الزهرة) وزودها بالإشارات الإلهية المناسبة. ثم منحها الإله إنليل السيادة على الأرض ويبدو أنّ الإلهة (إنانا) تحالفت برغم ذلك مع أخيها إله الشمس (أوتو) ومع أبيها إله القمر(نانا) وكونوا ثالوثاً كوكبيًّا مضادًّا لإله السماء (آن)، لكنها عندما شعرت بفشل محاولتها تراجعت عن ذلك ووقفت في نهاية الأسطورة مع (آن) وهي تحلم بسيادة السماء. (انظر اذزارد 1987: 59).

أما الإله إنليل فلا ترتبط الإلهة إنانا معه بأسطورة معينة سوى ما ذكر في الأسطورة السابقة ولكنها ترتبط معه بصلة نسب واضحة فهي حفيدته في شجرة الأنساب.

ولعل أشهر أسطورة لإنانا مع الآلهة العظام هي أسطورتها مع الإله إنكي (أسطورة النواميس المقدسة (مي)) ويرى صموئيل نوح كريمر أنّ هذه الأسطورة «تتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لدراسة تاريخ التطور الحضاريّ ذلك لأنها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مئة مرسوم مقدس لتنظيم جميع المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون وهذه القائمة على ما تضمنته من تحليل سطحي قل أو كثر فإنها تؤلف السدى واللحمة في نسيج الحضارة السومرية». (كريمر 1971: 107).

تبدأ الأسطورة بتطلع إنانا بمزيد من الرخاء والرفاه لمدينتها (أوروك) وتقرر الذهاب إلى مدينة (أريدو) وهي الموطن القديم للحضارة السومرية ومدينة الإله (إنكي) وتذهب إلى الأبسو موطن إنكي فيها حيث يراها إنكي هناك ويقف مذهولاً بجمالها ويستدعي رسوله (إسمود) ويأمره بأن يقدم لها كعك الشعير مع الزبد والماء المبرد وخمرة التمر فيفعل إسمود ذلك ويجلس الإلهان مع بعضهما ويسكران وتحدث إنانا الإله إنكي إن كان يستطيع تسليمها النواميس الإلهية المقدسة فيسلمها لها واحدة بعد الأخرى بعد أن يغرق في سمر الخمرة وسكر مفاتنها.

وتأخذ (إنانا) النواميس المقدسة (مي) وتضعها في زورقها المسمى (زورق السماء) وتبدأ بالرحيل على ساحل أريدو إلى أوروك وحين يفيق إنكي من سكرته يعرف ما حصل فيأمر وزيره

(إسمود) بأن يتبعها على مركب ويأخذ معه مخلوقات الـ(إينكم) ليعودوا بالنواميس وحين يهجم هؤلاء على زورقها تأمر إنانا وزيرتها (ننشوبر) التي تدعوها (ملكة الشرق) بإنقاذ الزورق من هذه المخلوقات فتطلق ننشوبر صرخة مدوية تتراجع فيها هذه المخلوقات وتنهزم. وتمضي إنانا بزورقها مارة بعدة موانئ بين أريدو وأوروك ويجهز إنكي خمس حملات أخرى تقودها كائنات (أورو، لاخاما، كوكال كال، أونونون، أتوركال) وتهزمهم ننشوبر حتى يصل الزورق بسلام إلى بوابة ننكولا في أوروك فتعم أوروك الأفراح، ويعلم إنكي بذلك فيرسل وزيره إلى أوروك ثم يذهب هو بنفسه إلى أوروك ليبارك حصول إنانا على نواميس الـ(مي) التي تفرغ من زورق إنانا لتحتفظ بها أوروك ويؤاخي إنكي بين أريدو وأوروك. وتشير هذه الأسطورة إلى انتقال الحكم والملوكية من أريدو إلى أوروك.

إن المتفحص في علاقة إنانا مع الآلهة العظام (آن، إنليل، إنكي) يلاحظ طموح الإلهة إنانا في الحصول على مزيد من السلطات الإلهية ورغبتها في السيطرة على سلطات السماء التي يمثلها (آن)، أو سلطات السيادة على الأرض التي يمثلها (إنليل)، أو سلطات النواميس الإلهية المقدسة التي يمثلها (إنكي) ويمكننا أن نتخذ من هذه الملاحظة مفتاحاً لحل السبب الذي دعا إنانا إلى غزو العالم الأسفل والهبوط إليه وهو اللغز الذي حيّر العلماء والباحثين. ويطيب لنا أن نقول إن محاولات إنانا في السيطرة ونزعتها الطموحة، بل وطمعها في الهيمنة على كل شيء كانت وراء هبوطها للعالم الأسفل فبعد أن غزت السماء والأرض وسرقت النواميس المقدسة وكادت تفشل في كل محاولاتها كان لا بدّ من أن تفكر في غزو العامل الوحيد الذي بقي موصداً أمامها ولذلك غزته طمعاً في السيطرة عليه وليس حبًّا في إنقاذ دموزي أو بعث الأموات أو تحرير سجناء العالم الأسفل، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين.

وهكذا بعد أن هددت ملك الآلهة العظام، في العالم الأعلى، ذهبت لتهدد ملك آلهة العالم الأسفل (أرشكيكال) وهو ما سنبحثه في أساطير إنانا والعالم الأسفل.

ب – إنانا ودموزي

شغلت أساطير إنانا ودموزي العالم القديم بأكمله، وكانت نواة لكل أساطير الحب والجمال عند الأمم الأخرى. وكان للعلاقة الخاصة بين إنانا ودموزي في وجهيها المفرح والمحزن الأثر الكبير في شيوع قصص الحب التراجيدي والداعر عند أشهر عشاق التاريخ في العالم القديم، بل إننا لنظن أنّ

الطقوس التي رافقت أسطورة إنانا ودموزي كانت في وجهها الفرح والنشوان أصلاً لفن الدراما الكوميدية وفي وجهها المحزن والكارثي أصلاً لفن الدراما التراجيدية وهو ما حصل في اليونان استمراراً لتقاليد الحب الداعر والدامي التي بدأت في سومر مع إنانا ودموزي. والتي كانت مستمرة منذ النيوليت والكالكوليت حيث تظهر أختام عثر عليها في تبه كورا بعض مظاهر الزواج المقدس في الألف الرابع قبل الميلاد.



أختام دائرية مسطحة من حضارة وادي الرافدين قبيل سومر توضح بعض مظاهر الخصب

ولعلنا نمسك سرًّا ونحن نعثر على الجوهر الخفي الذي دعا إنانا لتوريط دموزي في الذهاب إلى العالم الأسفل، بل ولدفعه إلى مصيره المحتوم كما تقول الأسطورة وذلك إن تفحصنا شجرة الآلهة السومرية دعانا للتوقف عند حالة نادرة وحيدة وهي زواج إله ذكر من سلالة إنكي (هو دموزي) لإلهة أنثى من سلالة إنليل (وهو ما ناقشناه سابقاً) في حين إن القاعدة هي زواج بنات إنكي من ذكور إنليل سواء كانوا أبناءه أم أحفاده... لأنّ سلالة إنليل كانت بصفة عامة ذات نزعة ذكورية ولا بدّ للذكور فيها من الزواج من إناث أغلبهن من سلالة إنكي. أما زواج إنانا الإنليلية النسب من دموزي

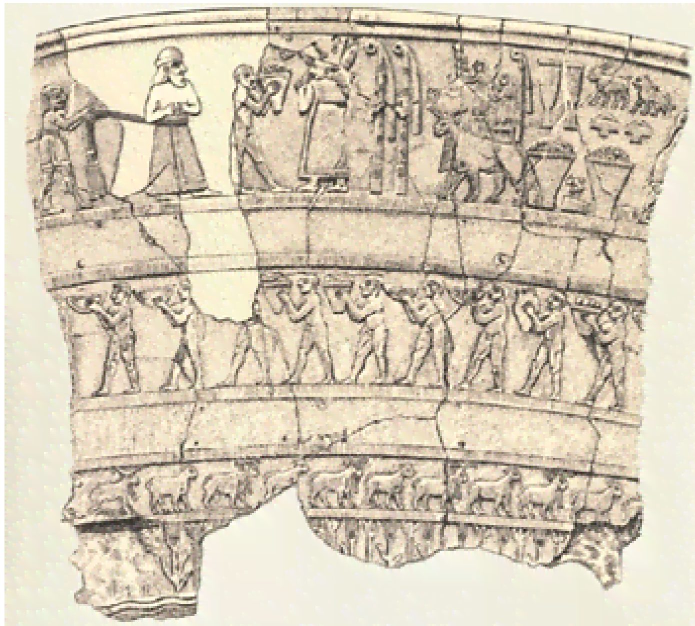
ابن إنكي فحالة وحيدة... كان لا بدّ لها أن تنتهي بمصير مربك وقد تحقق ذلك عندما قادت إنانا دموزي إلى العالم الأسفل. وبسبب من جرمه العظيم ومن طبيعة دموزي التي تشوب ألوهيتها صفات بشرية لم يستطع هذا الإله التحرر من العالم الأسفل أو أنه تحرر لمدة بسيطة ليعيد إيقاعاً دوريًّا في الهبوط والصعود إلى العالم الأسفل.

تنقسم أساطير إنانا ودموزي إلى قسمين رئيسين الأول مفرح ونشوان يعالج قصة الحب بينهما زواجهما المقدس والثاني حزين وتراجيدي يعالج قصة موت دموزي ونزوله إلى العالم الأسفل.

1 – أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي

يمكننا ترتيب هذه الأساطير والقصائد حسب تسلسل المعنى الذي تقدمه ولذلك نرى أنّ القصيدة الأسطورية التي تدور حول المنافسة بين دموزي (الإله الراعي) وإنكمدو (الإله الفلاح) لخطب ودّ إنانا يمكن أن تكون فاتحة هذه الأساطير والقصائد.

وتبدأ هذه القطعة حين يخاطب الإله الشمس (أوتو) أخته (إنانا) حول الكتان الذي بذر بذوره في الأرض وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي بعد أن تجلب لي الكتان من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأجوبة والأسئلة بينهما حتى يقول لها أوتو بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله من سينام معها بعد ذلك. فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن إنكمدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان ثم يتصالحان ويدعو دموزي إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لها هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.



الأعلى: دموزي يشرف على حمل هدايا إنانا وهي تستلم الهدايا وخلفها رمزها بقصبتين مذيلتين بشريطي حرير

الأسفل: حاملو الهدايا يذهبون إلى معبد إنانا

http://cdli. ucla. edu/staff/englund/m104/images/images. html



دموزي يحمل هدايا إنانا في قاربه

http://www. brlsi. org/events-proceedings/proceedings/25023

وفي قصيدة أخرى تظهر إنانا وهي تتفاخر بأصلها وتهين دموزي فيقول لها دموزي:

«إنانا كفّي عن المساجلة

إن أبي إنكي ليس أدنى محتداً من أبيك نانا

وأمي سرتور ليس أدنى محتداً من أمك ننكال

أختي كشتن أنا مثل أختك

فلنتفاهم يا مليكة القصر». (الشوك 1992: 51).

ثم يذوب الخلاف بينهما وتطلب منه أن يملأ سطح أرضها وآبارها بالماء وأن يحرث الحجر الذي تلف به جسدها المقدس ثم تتغزل به وخصوصاً بلحيته اللازوردية.

في قصيدة أخرى وبعد أن تتهيأ أسباب اللقاء كاملة بينهما تختار إنانا دموزي لألوهية البلاد، وهذا يشير إلى تحول هام في وظيفة دموزي فقد كان إلهاً للريّ والإسطبلات ولكنه أصبح إلها لأوروك، وبذلك تحولت مهنته من راعي الأغنام والأبقار إلى راعي الناس وملكهم.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها القمر (نانا) فبعد أن تتزين إنانا بكامل زينتها وتضع عليها الحلي والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على باب حجر اللازورد (باب جيبار) فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج بدموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أما أشمو كال أنا

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب – لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112)

ثم في قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أمها ننكال بعد أن يأتي دموزي إلى بيتها حاملاً هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها فتبدي إنانا تردداً في قبول مجيئه لكن أمه تحثها على الإذن له بالدخول، ثم تقوم الإلهة إنانا بالتحضير لاستقبال دموزي فتقوم بتزيين جسدها وملابسها وتفتح له الباب وتعانقه.

وهناك قصيدة تصف اللقاء السريّ بين إنانا ودموزي حيث يختليان سرّاً تحت ضوء القمر ولأنها إلهة لعوب فإنها فجأة تحاول التملص منه وتطلب أن تعود إلى البيت خوفاً من أمها!! لكن دموزي يعرف كيف يتعامل معها فيقول لها (سوف ألقنك كيف تكذب النساء) وينصحها بأن تقول لأمها بأنها كانت تمرح مع صديقتها بالغناء والرقص. وتستمر القصيدة وتتحدث عن جارتها التي تتحدث لمصلحة دموزي أمام أمها وكيف أنها سوف ترش الأرضية لاستقباله، وكيف أنها قالت بأن دموزي يليق بحضن إنانا المقدس وتطلق الجارة نبوءتها بأن دموزي سيصبح صهر نانا.



ديموزي الذي يرتدي تنورة مشبكة يطعم الأغنام، ورمز إنانا (القصبة المعقوفة) يحيط المكان دلالة على وجود ديموزي في المعبد / حوالي 3200-300 ق. م نقش على ختم أسطواني من المرمر.

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983:85. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

وهناك عدد من قصائد وأناشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي يصل عددها إلى اثني عشر قصيدة تمثل أعذب وأقدم قصائد الحب في التاريخ القديم، وهي ما زالت إلى يومنا هذا محتفظة بعذوبتها وطراوتها وتدور القصائد حول مراحل أو أوجه من الحياة التي يحياها دموزي وإنانا أثناء وبعد الزواج المقدس.

يهيئ الكهنة (لابسو الكتان) الهيكل ويغسلونه بالماء ثم تدخل إنانا إلى المعبد وتجلس على عرشها أو فراشها المخصب وبعدها يتقدم دموزي نحوها وتعده إنانا بأنها ستحقق الرفاه للبلاد والناس، وسيسود العدل فيطلب منها دموزي أن توزع الشراب والطعام.

وفي معبد النار يقوم إله النار (اليجيبيل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ويزينه بحجر اللازورد ويلتمس من إنانا لتبارك دموزي ثم تقود وزيرة إنانا (ننشوبر) الإله دموزي إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع.

وفي قصيدة أخرى نتعرف على طقس المضاجعة ونشيد النكاح حيث تكون إنانا قد استحمت وارتدت ملابسها ثم تعرض نفسها له وتطلب منه مضاجعتها، وما إن يتمّ ذلك حتى يتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو (مني) دموزي:

«وبمجرد أن تدفق من حضن الملك (ماء القلب)

فعلى جوانبه انبثقت الزروع وعلى جوانبه نبت الحب:

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج!

بينما في بيت الحياة في القصر الملكي

ركنت قرينته إلى جانبه تملأ قلبها البهجة

في بيت الحياة في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة». (الشواف 1996: 123).

وهناك قصائد أخرى عن سعادة إنانا وهي نائمة قرب دموزي وعن موسيقى مخضة الحليب التي تجعل إنانا تتهيج وتفرح. وعن إطفاء القمر والنجوم من قبل إنانا (بعد أن أطفئ القمر والنجوم وأسحب المزلاج... تعال). وعن الرجل العسل الذي حلقات شعره الجميلة مثل الخس الذي ينمو قرب الماء وقصيدة عن صدر إنانا إلى حديقة دموزي حيث أنتجت له من خصبها الخضار والحب وقصيدة يمازح فيها دموزي شقيقته كشتن أنا حين يشاهدان مسافرات الجداء والحملان وبلبال (قصيدة حوارية) حول عودة دموزي إلى القصر بعد المضاجعة وأخيراً القصيدة التي نلمح فيها تهديد إنانا لدموزي رغم ما فيها من الغزل والجنس حيث تقول إنانا:

«يا ابن الملوك أي (أخي يا ذا الوجه الجميل):

لقد أنقذت حياتك، لقد أنقذت حياتك

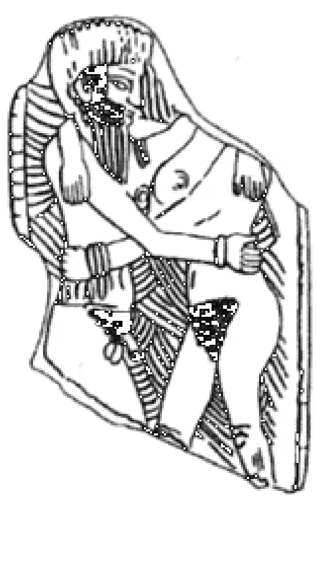
ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة أي أخي

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنت الذي لم يستطع العدو بذاته رفع يده ضده

ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!». (الشوك 1996: 140).





طقوس الزواج المقدس بين ملك وكاهنة

وتظهر لنا هذه الإشارة معلومة أخرى إذ يبدو أنّ دموزي كان قد تعرض إلى الموت على يد أعداء خارج أسوار المدينة لكن إنانا أنقذته... ويمكن أن تكون هذه الحادثة سبب حبهما ثم زواجهما، ولكنها بعد حين هجرت دموزي وكأنها قد أفاقت وكان لا بدّ لدموزي أن يواجه المصير من جديد وكأنها أجّلت مصيره لتتمتع به ثم تعيده إلى هذا المصير، خصوصاً أنّ من صفات إنانا اللهو والعبث والنزوة.

وهناك إشارة أخرى تظهر في القصيدة نفسها تدل على مضمون آخر:

«يا أخي أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير

القاسي يا أخي يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين

ولهذا السبب أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

هذا ما سيكون يا «ملتهم» (؟) النساء يا أخي». (الشواف 1996: 140)

وهذا سبب إضافي لمصير دموزي المهلك حيث تعترف إنانا أنها كانت السبب في هذا المصير عندما أغوت دموزي بجسدها واندفع دموزي ليمارس معها حبًّا جسديًّا شهوانيًّا على طريقة البشر وكان يجب أن يبقى محافظاً على المستوى الإلهي للعلاقة.

لكننا نتذكر أنّ الآلهة كانت تمارس حبًّا جسديًّا شهوانيًّا، بطريقة أو بأخرى، (كما في أساطير إنليل وننليل وإنكي وننخرساج)، ولذلك نرى أنّ هذه الإشارة تحمل في داخلها معنى آخر وهو أنّ إنانا كانت إلهة بينما لم يكن دموزي كذلك. فهل كان دموزي بشراً؟... وهل كان هذا هو سبب موته؟

يمكننا القول إن دموزي كان بشراً ولكنه تأله، فهو إنسان مؤله في حين ذكرت الأساطير بأنه ابن إنكي وقد كان الإنسان، بشكل عام، يوصف أيضاً بأنه ابن إنكي. ولأن إنانا تعرف أصله فإنها تدعوه لئلّا ينسى ذلك ويمارس الحب معها كما يمارسه الآلهة فيما بينهم حتى لو أغوته هي ودعته إلى ذلك.

لقد كانت إنانا تريد منه أن يبقى خارج الشهوة وأن يمارس الحب معها دون مشاعر حسية ملتهبة. كانت تريد أن لا تقع هي في أتون هذا الحب الجسدي العارم... لأنها ببساطة لم تذقه مع الآلهة... بل ذاقته مع دموزي (الإنسان المؤله)... وكان هذا يدفعها للتفكير بعد ممارسة الحب بأن تتخلص من هذا النوع الحقيقي من الحب والنوع الملموس... وهكذا فكرت بالتخلص من دموزي كما سنرى. ولكنها ندمت أيما ندم بعد ذلك فقد كادت تموت من البكاء على حبيبها الذي أضاعته في لحظة غضب أو عماء.

إنه لم يدعها تفكر في ألوهيتها عندما كان يمارس الحب معها فهو (ملتهم النساء) كما تصفه لقد كان ينسيها ألوهيتها التي كانت تجري في عالم المثل لا في عالم الواقع.

3 – أساطير الخراب Myths of Destruction

الشطر الثاني من أساطير إنانا وديموزي هو شطر الخراب والهجر والذي يمكن اعتباره بداية لأساطير الخراب والانهيار.

أولاً: أساطير خراب الحب والخصب

أ– أساطير ومراثي دموزي

بعد أن هبطت إنانا إلى العالم الأسفل للاستيلاء عليه وعوقبت بالموت ثم أعيدت للحياة كان شرط ملكة العالم السفلي لكي تعود إنانا إلى العالم الأعلى أن تجيء ببديل عنها فاختارت دموزي بديلاً لأنه لم يتأثر بما حصل لها وهي في العالم الأسفل. وتصف القصيدة كيف رأت إنانا دموزي وهو يجلس على العرش العظيم مرتدياً ملابسه الزاهية حيث أمرت شياطين (الكالا) المرافقين لها بالقبض عليه بديلاً عنها. وحينما طلب دموزي من (أوتو) أن يحول ذراعيه إلى ذراعي أفعى وقدميه إلى قدمي أفعى (أي أن يصبح كالحية لا يمسك به) فيتحقق له ذلك ويهرب باتجاه بيت أخيه كشتن أنا.

وقبل أن يصل دموزي إلى بيت أخته كان يرثي نفسه بسبب تعرضه لهذا المصير ثم من شدة تعبه نام وحلم حلماً مفزعاً. فقد رأى الأسل ينمو حوله بغزارة وراء قصبة ثنائية المنبت اختفى فرعها الأول ثم الثاني، ورأى الماء أهرق فوق موقده المقدس، ورأى مخضته تتمزق وكأس شرابه تهوي وعصاه تختفي والنسر يخطف حملاً وعنزاته تجرّ لحاها اللازوردية على التراب، ورأى حظيرة غنمه تصفر فيها الرياح.

ولما أفاق دموزي من حلمه قصّ حلمه هذا على أخته ففسرت له كل مشهد بدقة وكان مجمل حلمه يقول بأنه سيموت.

بعدها يقوم دموزي وأخته وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق، وإذا بهم يرون شياطين الكالا قادمين ويحملون خشبة لتقييد الرقبة فتنصحه أخته بالاختباء وتعده مع صديقه بأن لا يخبر الكالا عنه. وحين وصل هؤلاء أغروا أخته ثم عذبوها لكنها لم تخبر عن مكانه لكن صديقه أغري بالحبوب كهدية فأهدى الشياطين إليه فقبضوا على دموزي الذي كان يصرخ (شقيقتي أنقذت حياتي... صديقي سبب موتي) وتذكرنا هذه القصة بخيانة يهوذا للمسيح.

وحين أحاط (الكالا) به وضربوه رفع دموزي يده إلى (أوتو) ليحوله إلى غزال فاستجاب له أوتو وهرب إلى بيت العجوز (بليلي) فالتجأ إليها وصبّت له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم غادرت العجوز البيت (ويبدو أنها أهدت شياطين الكالا إلى مكانه). ويذكّر هذا المقطع بالعشاء الأخير للسيد المسيح كما سنرى. وحين هجم عليه الكالا هرب منهم إلى حظيرة أخته فلحقوه هناك. وحين رأتهم (كشتن أنـّا)بكت وخمشت عينيها وفمها وفخذيها بينما كان الكالا يتسلقون سياج القصب وجدوا دموزي وضربوه وحطموا حظيرته بما فيها وخلعوا عن جسده رداء الـ(مي) وهو رداء النواميس الإلهية المقدسة، وخلعوا تاجه المقدس (لنتذكر المسيح هنا) وسقط صولجانه المقدس على الأرض وخلعوا نعليه المقدسين ومضى عارياً معهم.

هكذا ذهب معهم إلى العالم الأسفل بديلاً عن إنانا.

ومن هنا تبدأ مراثي إنانا فقد أفاقت من وهمها وحلّت الفاجعة بأوروك وساد الحزن كل شيء وأقيمت المناحات في المدينة، فبكت إنانا بكاء مرًّا على زوجها وبيتها ومدينتها. وبكت معها أمه وأخته (لنتذكر المسيح)، وحين تلتقي أخته مع زوجته لا يعرفان مكانه ومن أين ذهب للعالم الأسفل

وعند ذاك تظهر الذبابة وتحوم فوق رأس إنانا وتقول: (إذا أخبرتك أين هو دموزي ماذا ستقدمين لي؟) فترد إنانا: (إذا أخبرتني سأجعلك تترددين على حانات البيرة والخانات حيث تسمعين أحاديث الحكماء وأغاني المغنين). فتقول الذبابة بأنه هناك على مشارف البرية فتذهب أخته وزوجته إلى هناك ويجدونه في آخر لحظات هبوطه إلى العالم الأسفل فتمسك إنانا بيديه وتقول له:

«ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك حسب إرادتها

ستمضي النصف الآخر

في اليوم الذي تستدعى أنت

في ذلك اليوم سوف يأخذونك

في اليوم الذي تستدعى كشتن أنا

في ذلك اليوم سيطلق سراحك

إنانا أسلمت دموزي إلى يدي الأبدية». (الشوك 1992: 112).

وهكذا ينزل دموزي إلى العالم الأسفل مستسلماً لمصيره حيث يبقى نصف السنة الشتوي هناك، ثم يخرج مع بداية الربيع ويقضي نصف السنة الآخر حيث تكون أخته في العالم الأسفل بديلاً عنه.

واستمراراً لهذه القصة الحزينة نكملها بأسطورة العجوز بليلي (بليلو) التي تذكرنا بفكرة (العشاء الأخير) في المسيحية. حيث تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دموزي وما جرى لها ثم تحضر الإلهة إنانا إلى الحظيرة وتقوم بجمع الأغنام المشتتة لدموزي وتصوغ مرثية لدموزي تدعوه فيها أن يبعث وأن يقوم من رقاده.

ثم تصادف في ذلك المكان عائلة بليلي (التي غادرت بدموزي) وجعلته ينشغل بالماء والطحين ووشت به عند الكالا. وابنها جرجير الذي هو لص ماشية وحبوب وحفيدها (سرو) الفتى الذي لا أصدقاء له. وإن إنانا تعرف ما فعلته العجوز، فقد صبّت جام غضبها على هذه العائلة وقتلت العجوز وحولت جلدها إلى قربة ماء بارد وجعلت ابنها إلى جانبها يصرخ وجعلت حفيدها يجوب أرجاء القفر ويسكب الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة.

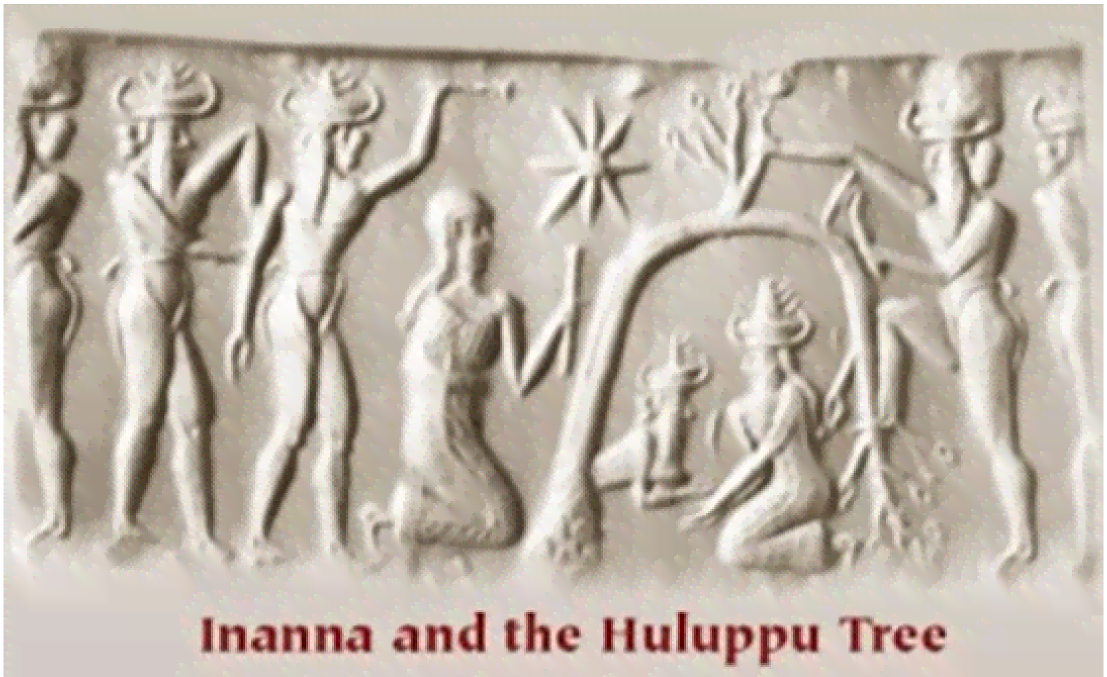
ويبدو أنّ إنانا فعلت ذلك لكي تبقى ذكرى (العشاء الأخير) لدموزي المكون من (الماء والطحين) ماثلة في هذه العائلة وفي هذه الصحراء. وأن يقدم الحفيد الماء والطحين استذكاراً لدموزي.

ومن المؤكد أننا لمحنا في أكثر من مكان في تراجيديا دموزي ومراثيه ما يذكر بقصة السيد المسيح. ولنا وقفة مطولة عند هذا الموضوع في المستقبل.

ب– إنانا وملوك سومر

انعكست أسطورة وأناشيد وطقوس الزواج المقدس بين إنانا ودموزي على أعياد رأس السنة السومرية واتخذ الملوك من الكاهنات العلويات نظريات لإنانا، وظهرت قصائد حب مذهلة وصلتنا منها لأربعة ملوك هم شولجي الملك الثاني لأور (2093-2046) ق. م، والملك شوسين الملك الرابع لأور (2036-2028) ق. م، والملك إيدين داجان ملك مدينة إيسن (1974-1954) ق. م، والملك إيشمي داجان ملك مدينة إيسن (1953-1935) ق. م. وأغلبها يشبه النصوص الأصلية بين إنانا ودموزي.

وانفرد الملك السومري كلكامش الذي سبق هؤلاء جميعاً بأسطورتين خاصتين مع إنانا هما أسطورة الثور السماوي وأسطورة شجرة الخولبو (الخلاف).



إنانا وشجرة الخولبو

http://www. sourcememory. net/veleda/?p=667

في أسطورة الثور السماوي المذكورة، في إحدى قصص كلكامش السومرية، تعرض إنانا نفسها على كلكامش فيرفض فتتوسل إنانا الإله أن يسلط على كلكامش ومدينته الثور السماوي فيفعل ذلك ويتصدى كلكامش للثور السماوي ويصرعه.

أما في أسطورة شجرة الخولبو فإن إنانا التي تغرس هذه الشجرة في حديقتها أملاً في أن تصنع منها كرسيًّا وسريراً تفاجأ بأن الشجرة بعد أن تنمو مسكونة بطائر الصاعقة (زو) على أغصانها وبالشيطانة (ليليث) في داخلها وبالحية في قاعدتها، فتشكو ذلك إلى أخيها الذي يقترح أن تستنجد بكلكامش الذي سيقوم بقتل الحية ويجعل ليليث وزو يفران منها، ثم يصنع الكرسي والسرير لها، وفي مقابل ذلك تقوم إنانا بصناعة طبل الـ(بكو) ومضربة الـ(مكو) لكلكامش من أغصان الشجرة ليستمتع بعزفهما. (انظر كريمر 1971).

ج– إنانا والإنسان

تروي أسطورة (إنانا وشوكاليتودا) قصة نزولها من العالم الأعلى لترتاح وتنام في بستان الفلاح شوكاليتودا الذي يُفتن بجمال جسدها فيقوم بمضاجعتها وهي نائمة، وحين تستيقظ إنانا وتشعر بما حصل لها تسلط ثلاث كوارث على الأرض لكي تعثر على الفلاح، الأولى إغراق آبار الأرض بالدم، والثانية إطلاق الرياح المدمرة على الأرض، والثالثة سدّ طريق البلاد بالماء أو بتفجير أعماق العالم الأسفل. وكان الفلاح في كل مرة يختبئ هرباً من انتقامها ثم يلجأ إلى إنكي الذي تتوسل إليه إنانا لكي يسلمها الفلاح، وحين يسلمه لها تصعد به إلى أعالي السماء وتحوله إلى نجم ساوى وتصبح ذكراه كما وعدت إنكي على لسان الرعاة وفي قصائد الشعراء تردد في القصور وتروي أسطورة (بيلولو) المشابه لشوكاليتودا أن بيلولو تحول إلى قزم ظل يصغر ويصغر حتى لم يعد له أيّ وجود واضح.

تبين هاتان الأسطورتان الانتقام الذي وجهته إنانا لمن اعتدى عليها من الناس وربما لمن اعتدى عليها من الآلهة الصغار، إذ إن هناك رأياً في اعتبار شوكاليتودا وبيلولو آلهة الصغار!! وربما في ذلك إشارة إلى استنتاج مفاده أنّ ديموزي كان إلهاً صغيراً، ومردّ ذلك، في رأينا، يعود لسببين أولهما أنه من أصل بشريّ ومن نسل الإله إنكي صديق الإنسان، وثانيهما أنه من الآلهة الشعبية التي كان الناس يتمسكون بها في مقابل الآلهة الرسمية التي كانت الدولة ومعها الحكام يتمسكون بها.

د– إنانا والعالم الأسفل

تحدثنا عن إنانا وكور، أما إنانا وجبل إيبيخ Ebich الذي يبدو وكأنه جبل عدوّ أو شرير حيث يرفض الخضوع لسلطان إنانا (وكأنه مثل عفاريت الأساكو).

أما الأسطورة الكبيرة فهي أسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل التي ننصح بالرجوع إلى نصها في العديد من المراجع التي تبحث في الأساطير السومرية. (انظر كريمر 1971 علي 1973 حنون 1986 السواح 1986 الشوك 1992).

والخلاصة المركزة للأسطورة تتمثل في رغبة الإلهة إنانا بالسيطرة على العالم الأسفل وحين تهمّ بالذهاب إلى هناك يطلب منها حارس أبواب العالم الأسفل أن تمتثل لقوانين هذا العالم وأن تخلع في كل باب من أبوابه السبعة شيئاً تلبسه... وهكذا عندما تدخل الباب السابع تجد نفسها عارية. وحين

تصل عرش أختها الإلهة أرشكيكال ملكة العالم الأسفل تنظر هذه إليها نظرة الموت فتموت إنانا وتعلق جثتها على عمود منتصب.



إنانا تستعد للذهاب إلى العالم الأسفل في حدود 2230-2150 ق. م / ختم أسطواني من حجر الهيماتايت

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983:57. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. Htm

وكانت إنانا قد أوصت حكامها الأربعة (ومنهم دموزي) أنها إذا غابت لأكثر من ثلاثة أيام فعليهم أن يحزنوا ويمرغوا أنفسهم بالتراب، وطلبت من وزيرتها ننشوبر أن تذهب إلى الآلهة (إنليل، نانا، إنكي) ليخلصها أحدهم من الموت فتقوم ننشوبر وزيرتها الأولى بهذا العمل، لكن إنليل ونانا يرفضان مساعدتها. أما إنكي فيقوم بصنع كائنين خنثيين يدخلان إلى العالم الأسفل يحملان طعام الحياة وماء الحياة، وحين ينزل الكائنان إلى هناك ينثران الطعام والماء على جثة إنانا ستين مرة فتستيقظ من موتها ولكنها لكي تخرج كان يجب عليها أن تقدم بديلاً عنها كما تقضي قوانين العالم الأسفل. وهكذا تخرج إنانا بصحبة جند العالم الأسفل الـ(كالو) لكي تأتي ببديلها. وحين تذهب إلى مدنها الأربع تجد أنّ حكام هذه المدن قد حزنوا من أجلها ووضعوا التراب على رؤوسهم إلّا دموزي الذي كان يلبس الملابس الزاهية ويعتلي على عرشه ولذلك تختاره بديلاً عنها وتأمر العفاريت المصاحبة لها بأخذه إلى العالم الأسفل.



الإلهة المجنحة أرشكيكال تتوسط مشهد هبوط إنانا إلى العالم الأسفل تحيط بها كائنات غريبة مثل الرجل السمكة والعجل السمكي، وتقف إنانا مع حارس البوابة عارية (ربما كانت هذه ليست أرشكيكال، بل ليليث)

حوالي 2000-1600 ق. م / رسم على ختم أسطواني

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983: 51. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

عند هذا الحدّ تنتهي أسطورة النزول، لكن هناك نصًّا آخر يحكي لنا مصير الإله دموزي وجد موزعاً على (28) لوحاً وكسرة تشكل ما تحدثنا عنه في (أساطير ومراثي دموزي) التي تكمل بقية قصة نزول إنانا إلى العالم الأسفل.

في أعماق النتاج الأسطوريّ لأيّ شعب حيّ نلمح فكرة الأدوار الكونية وهي تعبر عن نفسها في أساطير الخلق، ثم أساطير بناء الكون، ثم أساطير نهاية وتدمير الكون ثم إعادة خلقه من جديد.

وهذا الزمن الدائريّ الذي يتجدد دوريًّا إلى ما لانهاية يحتوي بعد بدايته على (العصر الذهبي) الذي يكون قريباً من (العصر المثالي)، وهو زمن التكوين الأول، وبعد العصر الذهبي نرى العصر البدائي الذي يتضمن استعادات منظمة للعصرين المثالي والذهبي لإنعاش لحظات التاريخ المتحضرة التي تستنفد طاقتها مع الزمن لتختتم الدورة الكونية بعصر التدمير الذي يكون عن طريق الطوفان أو الحريق أو انفجار العوالم الباطنية كالعالم الأسفل.

ولعل أنسب ما نصف به هذا المسرى هو الصفة الدائرية التي يتصف بها الزمان الكوني، والحق أننا نشهد تكراراً لانهائيًّا للظاهرة نفسها (خلق – خراب – خلق جديد).

وإذا كنا في القسم الأول قد عالجنا أساطير الزمن المثالي وهي أساطير الخلق والتكوين، وفي القسم الثاني قد عالجنا أساطير الزمن الذهبي وهي أساطير البناء، ففي هذا القسم سنعالج أساطير التدمير التي نرى أنها في التراث السومري تنقسم إلى قسمين أساسين هما:

ثانياً – التنين (أسطورة الدمار الصاعد من العالم الأسفل)

الدمار الذي يأتي من العالم الأسفل لا يشبه ذلك الذي يأتي من العالم الأعلى لسببين، هو أنّ دمار العالم الأعلى دمار شامل دوريّ يبدو وكأنه يخضع لإيقاع كوني هائل تقرّه الآلهة (الأدوار الكونية). أما دمار العالم الأسفل فهو دمار جزئي لا إيقاع له ولا يأتي بصورة منتظمة وتنفذه تنانين وعفاريت وشياطين كبرى تقبع في العالم الأسفل.

أما السبب الثاني فهو أنّ الدمار الأعلى يتحول إلى نوع من نهاية العالم قديم بال وبداية عالم جديد نشيط فهو لحظة موت وحياة في نفس الوقت أما الدمار الأسفل فلا يشير إلى ذلك، بل يدل على وهلة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم ولحظة عدم توازن وتخلخل وترنح سرعان ما تعود بعدها الحياة إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها. فهو أشبه بالإنذار وقرع أجراس الخطر.

وهناك أسطورتان أساسيتان حول التنين السومري وهما:

1 – التنين كور وأساطيره مع الآلهة:

يوصف التنين (كورKur) بأنه كائن أفعواني كبير يعيش في قعر العالم الأسفل الذي كان متصلاً بمياه البحر الأولى، ويبدو أنّ هذا الكائن كان يسيطر على مياه هذا البحر المالحة أو المعدنية... ولذلك فإنه عندما كان يقتل ترتفع هذه المياه إلى الأرض ويتوقف انسياب المياه العذبة ويصيب الأرض القحط حتى يقوم الآلهة بتدبر الأمر وإعادة الأمور إلى نصابها. وكان العالم الأسفل بأكمله يسمى (كور) أيضاً.

إن أسطورة كور مع إنكي التي تأتي في مقدمة ملحمة كلكامش وأنكيدو السومرية حول العالم الأسفل والتي تبدأ بخلق الكون وكيف أخذ كور الإلهة أرشكيكال غنيمة واختطافها إلى العالم الأسفل،

لكن الإله إنكي جهز قاربه وتبعه فقام كور برمي الحجارة الصغيرة والكبيرة عليه... ويبدو أنّ صراعاً بينهما قد حصل ولكننا لا نعرف نتيجة هذا الصراع رغم أنّ الأساطير الأخرى تخبرنا بوجود الإلهة أرشكيكال في العالم الأسفل وزواجها من الإله نركال الذي ولد من إنليل في العالم الأسفل.

الأسطورة الأخرى حول (كور) و(ننورتا) وهي أسطورة طويلة تتألف من أكثر من (600) سطر، حيث تبدأ بتراتيل دينية ثم يقوم (شارو) وهو سلاح الإله إنليل المتجسد على شكل مساعد أو وزير بمخاطبة (ننورتا) ويمجده أو يحثه على مهاجمة (كور) وقتله، فيستعد ننورتا للقاء (كور). وعندما يلاقيه ينهزم أمامه كالطير لكن (شاور) لا يهدأ فيقوم بتحريض (ننورتا) ثانية بعد أن يحسن استعداده فيلاقيه ثانية ويهاجمه ويقوم بذبحه.

وبعد أن يموت كور (الذي كان يسيطر على المياه الأولى) تفقد السيطرة على هذه المياه فترتفع بعنف العالم الأسفل إلى سطح الأرض، وبسبب ذلك يتوقف انسياب المياه العذبة إلى الحقول والبساتين ويدبّ اليأس في قلوب آلهة الأرض والعاملين فيها والمسؤولين عن إروائها وتهيئتها للزراعة ويصبح نهر دجلة ساقية ضحلة لا تحمل المياه النافعة.

يتصدى الإله (ننورتا) لهذه المشكلة فيضع أكواماً من الحصى على جثة (كور) ويكدسها حتى تتحول إلى ما يشبه الجدار الذي يشكل سدًّا يصد تدفق المياه القوية من الأسفل وترتفع نتيجة لذلك المياه النقية الصافية التي حجبتها مياه (كور) القذرة، فيجمع (ننورتا) المياه العذبة ويسلطها على دجلة فترتوي المزارع والحقول وتنتج الأرض الغلة والحبوب وثمار النخيل والأعناب وتتكدس في الأهراء والتلال، ويسبب هذا راحة الآلهة فتقوم الإلهة ننخرساج (ننماخ) التي تبدو وكأنها أم ننورتا بزيارته ورؤية ما فعل ويتفاخر ننورتا بأعماله البطولية ويعين ننخرساج ملكة على الجبل الذي صنعه.



قتل التنين كور

لا شك أنّ هذا الأسطورة تعكس محاولات السومريين لكبح صعود الملوحة إلى الأرض وهي بذلك تشير إلى مشكلة تدمير الخصوبة والحياة على الأرض أيضاً.

أما أسطورة (كور وإنانا) فهي واحدة من أساطير إنانا وعلاقتها بالعالم الأسفل حيث تقرر إنانا مصارعة التنين كور رغم تحذير الإله آن لها، لكنها تتصدى له وترميه بحربته الطويلة وتضرم به النار وتغرس فأسها البرونزية في رأسه وتقتله ثم تطؤه بقدميها وتحصل على لقب (قاهرة كور).

هذه الأساطير الثلاث تظهر صراع الآلهة مع الثعبان المائي للعالم الأسفل الذي يرقد على مياه الهيولية المالحة الأولى هي تعبر عن صراع ثلاثة آلهة يمثلون بنسب مختلفة صورة الخصب. فالإله إنكي إله الخصب والحياة، والإله ننورتا إله العاصفة الذي له علاقة بالمطر، والإلهة إنانا أخذت صورة الخصب أيضاً. فهي أساطير صراع بين الملوحة والعذوبة وبين الجدب والخصب.

2 – التنين أساج وننورتا

تكاد هذه الأسطورة أن تكون نسخة محورة من أسطورة (كور وننورتا) حيث يظهر لنا (أساج) بمثابة الوزير المساعد لـ(كور)، وبذلك فإنه يقوم بالقتال نيابة عنه ومثل ذلك يظهر (شارو) الوزير المساعد والسلاح القوي لـ(ننورتا) والذي يحثه على قتال (أساج)، ويقوم الصراع بين أساج وننورتا فيهزم ننورتا أولاً ثم ينتصر على أساج فتفيض مياه كور من مكانها ويقيم ننورتا الجبل

الحجريّ كسدّ بين هذه المياه وبين سومر. لكن هذه الأسطورة تخلو من مباركة ننخرساج لعمل ننورتا وتختتم الأسطورة بمباركة ننورتا لأعماله البطولية ومدحها.

4 – أساطير الموت Eschatology Myths of

الطوفان

عثر على النص السومري للطوفان في مدينة (نفر) وهو بحالة مهشمة، فبعد أسطره السبعة والثلاثين الأولى الممحوة يظهر الإله (إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار الذي يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين آن وإنليل والإلهة ننخرساج، ثم تأتي فجوة بعدها يتحدث النص عن نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة الملوك والمدن السومرية قبل الطوفان مع ذكر اسم إله المدينة.

ويبدو أنّ مجلس الآلهة اجتمع لسبب غير واضح وقرر هلاك ذرية الإنسان عن طريق الأعاصير والأمطار التي ستسبب الطوفان وأنه لا بدّ من إسقاط الملوكية التي منحها الآلهة للإنسان. وكانت هذه الملوكية قد استقرت في مدينة شروباك في ذلك الوقت والتي كان يحكمها ملك حكيم اسمه (زيوسدار Ziusudra) ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة). فيقوم الإله إنكي بالاتصال خفية بزيوسدار (ربما عن طريق الحلم) ويخبره بقرار الآلهة تدمير الأرض عن طريق الطوفان وينصحه بصناعة سفينة تنقذه مع أهله ومن يحب.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء.

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير العواصم

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليالٍ وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية (وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذٍ) فتح زيوسدار كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسدرا أمام إله الشمس

ونحو الملك (زيوسدار) أعداد كبيرة من الثيران والأغنام». (علي 1975: 121).

بعدها يركع زيوسدار أمام الإلهين آن وإنليل اللذين يقومان بمكافأته وإعطائه الحياة الأبدية؟ أي (الخلود) ويسكنانه في بلد على البحر في (دلمون) وهو الفردوس الإلهي الذي عرفناه.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهريًّا على قصة الطوفان السومرية هذه، لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

ثالثاً: الطقوس السومرية

الشعائر والطقوس هي الجانب العملي من أيّ دين، وهي إذ تنفذ بعض الأوجه اللاهوتية له فإنها ترتكز على الأساطير كونها المادة الحية التي يعرفها المتعبد ويتتبعها. وقد تنسى الجذور السببية للطقوس إلّا أنّ ممارستها تبقى حية لأزمنة طويلة رغم أنها تتحور بهذا القدر أو ذاك حسب طبيعة الأديان الوافدة والمختلطة بها أو العزلة التي تدخلها لأسباب خاصة بها.

الشعائر السومرية تنقسم في مجملها إلى ثلاثة أنواع أساسية، هي الشعائر اليومية التقليدية التي يقوم بها الإنسان السومري كالصلاة والصوم والاغتسال والترتيل والتطهير وإحراق البخور وسكب السوائل، وطقس فتح فم الإله وغسله، وطقس إطعام الآلهة وطقس الفوهو (البديل). وشعائر المناسبات التي تخص الولادة وبناء البيت والزواج والموت، والشعائر الدورية التي هي الأعياد والاحتفالات السومرية. ولكل صنف ونوع من هذه الطقوس والشعائر مرجعيات لاهوتية وميثولوجية سنحاول المرور بها.

1 – الطقوس اليومية

مارس هذا النوع من الشعائر الإنسان العادي والإنسان المتعبد والكاهن، وكانت هذه الشعائر من الناحية العملية هي التي تنظم حياة الإنسان الدينية وتنعكس على أخلاقياته الاجتماعية والدنيوية.

وأول الطقوس كان هو الاغتسال والوضوء الذي لم يكن مقتصراً على كونه مقدمة للصلاة، بل كان لازماً لممارسة جميع الطقوس والشعائر الدينية. وكان سكب الماء الذي يمثله الإله إنكي بمثابة نوع من إعادة خلق الإنسان في العقيدة السومرية ولأنه مصدر الحكمة والشفاء.

أما الصلاة فلم تكن تمارس بشكل يومي منتظم وفي أوقات معينة، وكذلك لم تكن ثابتة النص، بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الابتهالية المرفوعة لإله محدد، وكان الإنسان يرددها متى ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهه في البيت أو في القصر أو في أيّ مكان آخر.

وهناك صور لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم بعضها فوق بعض عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً للإله، وأدوا الصلاة بصورة منفردة أو بصحبة الكاهن. وقد وصلت إلينا نماذج من أوضاع المصلين وهم راكعون أمام تماثيل الآلهة. وكانوا يرفعون اليد عند الدعاء ولهم صلاة توبة كما أحرقوا البخور وسكبوا السوائل المقدسة، وكانت لهم أدعية لكل الآلهة. (الأحمد 1988: 47).

أما الصوم فكان يستند إلى أساس تحريم نوعٍ معين من المأكولات الحيوانية أو النباتية لأسباب ظاهرية دينية ترتبط بأسطورة معينة. أما الأسباب العميقة فكانت اقتصادية في محاولة للحدّ من استهلاك نوع من اللحوم أو النباتات، وخصوصاً أيام القحط والكساد. ولم يكن الصوم تقليداً ثابتاً ودوريًّا.

إن التراتيل السومرية تختلف عن الأدعية والتعاويذ في كونها أناشيد طقسية روحية يشحنها التأمل والانقطاع في صفات إله معين ويسودها التبرك بقواه ومناشدته الحب والاتصال. أما الأدعية فهي توسلات للإله والتعاويذ تقوم على أساس طرد الشياطين. والتراتيل في مجملها مدائح إلهية تؤدى مع الموسيقى ولها نظام إيقاعي خاص.

وكان إحراق البخور إحدى الوسائل التطهيرية في المعابد أو البيوت أو القصور، وكان يقوم به الكهنة المطهرون لكن كهنة التعازيم (الأشيبو) كانوا يستعملون إحراق البخور لطرد الأرواح الشريرة لاعتقادهم أنّ البخور عندما ينتشر في المكان فإنه يحاصر الأرواح التي تهرب عن طريق الشبابيك أو الأبواب.

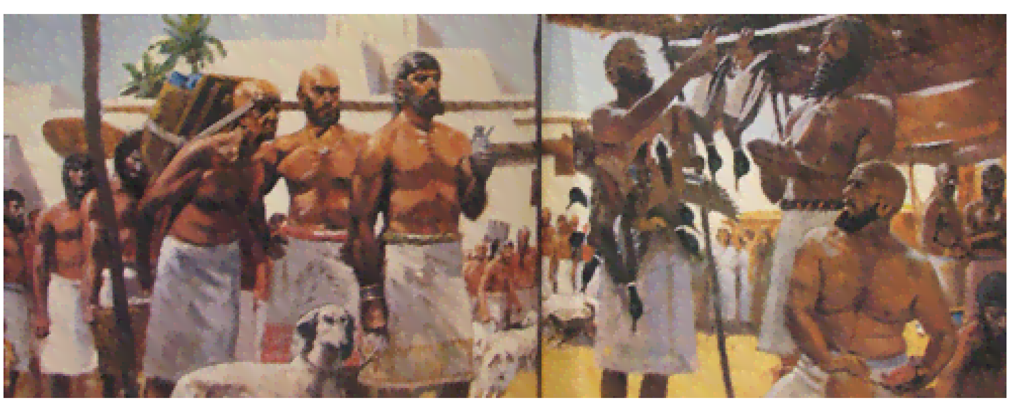
وفي المعابد كان مذبح البخور موجوداً إضافة إلى مذبح الأضاحي، وكان المطهر أو المعزم يستعمل الموقد المقدس الذي يشبه الزهرية والذي كان يرمز أيضاً إلى الإلهين نسكو (إله النار) والإله ننكشزيدا (إله الطب والشجرة). وربما كانت هذه التركيبة تشير إلى أنّ الموقد المقدس يضيء مثل نسكو ويشفي مثل ننكشزيدا.

أما طقس سكب السوائل (الماء والزيت) فكان يجري بصورة يومية خصوصاً في الزواج، حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلاً لمباركتها. وكان سكب الزيت والمسح به يجري مع الملوك عند تكريسهم. أما إناء سكب الماء أو الزيت المقدس فكان يشبه الكأس الذي تخرج منه سعفة وتتدلى على جانبيه ثمرتان.

أما الطقوس التي كان يقوم بها الكهنة المختصون (غير إحراق البخور وسكب السوائل) فكانت ثلاثة طقوس خاصة ومهمة وهي:

1 – طقس فتح فم الإله وغسله: وكان يجري بعد أن يصنع الفنانون أو النحاتون أو النجارون أو السباكون تماثيل الآلهة وكانت لا تزال عند النهاية صنعها تماثيل دنيوية عادية لكنها تتحول إلى تماثيل دينية ذات قداسة وتأثير ديني بعد أداء هذا الطقس. فقد كان يتمّ إخراج التمثال من مكان صنعه من قبل الكهنة الذي يرددون عبارات طقسية خاصة ثم يذهب بالتمثال إلى شاطئ النهر ويوضع على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتقام له الأضاحي الحيوانات مثل الأكباش والنباتات مثل أعشاب الأثل والمواد وأعواد الأرز التي تغسل بها فمه وتقديمات الذهب والفضة وسكب البيرة وغيرها. وتكون مجمل هذه الطقوس المعقدة بمثابة وضع الروح المقدسة في التمثال الجامد الذي صنعه الحرفي.

2 – طقس إطعام الآلهة: وكان يعتقد أنّ تماثيل الآلهة عندما توضع في المعبد فإنها تحتاج إلى طعام، ولذلك كان يتمّ تقديم وجبتين أساسيتين لها من تقديمات المعبد. ويبدو أنّ مائدة كانت توضع أمام تمثال الإله. وكانت هذه الوجبات الطقسية مصدر غذاء الكهنة وربما الملوك. وكان الناس السومريون هم من يمول وجبات المعبد ويقدمون الهدايا والنذور للإله.



هدايا للإله آن، رسم ديفيد بلوسوم

by David Blossum: Splendors of the Past

http://www. ancienthistoryforhomeschool. com/sumeria-a-homeschooling-lesson. Html

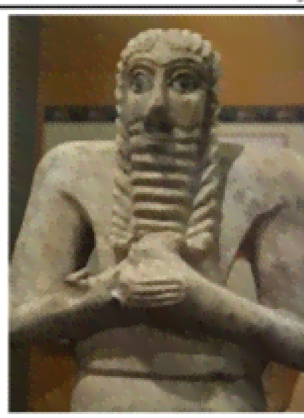
3 – طقس الفوهو (البديل): يستند هذا الطقس على أساسين الأول ميثولوجي يستحضر أسطورة دموزي حيث ينقل الشر أو المرض من المصاب به إلى بديل (دمية أو حيوانات) يأخذ هذا الشر ويذهب إلى العالم الأسفل (مثل دموزي الذي صار بديل إنانا في العالم الأسفل). والثاني سحريّ يستحضر مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه). ففي حالة كون البديل دمية يقوم الكاهن بإبقاء هذه الدمية المصنوعة من الخشب أو العجين أو الشمع ليلة كاملة مع المريض، وفي حالة كون البديل حيوانًا (كالعنز) فإنه يبقى أيضاً طيلة ليلة كاملة في فراش المريض ومعه وبالسكين نفسه كان يذبح البديل الحيواني أو تحزّ رقبة الدمية ثم يلبسونهما ثياب المريض ويدفنونهما بقدسية. وبذلك ينتقل المرض أو الشر إلى الحيوان أو الدمية.

وإذا كان دفن الدمية أو الحيوان يمثل الجانب الميثولوجي من خلال دموزي فإن الجانب السحريّ كان مبدأ الاتصال (احتكاك المريض بالبديل ليلة كاملة)، وفي مبدأ التشابه (الذبح المتزامن والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك).

وكان تقديم الأضاحي السومرية يؤكد على الأضاحي النباتية أولاً ثم الحيوانية. أما الأضاحي البشرية التي أشاعت فكرتها مقبرة أور وما كشف عنه من حاشية الملوك المدفونة فإنه بلا شك يمثل عقيدة أسكاثولوجية هامة ارتبطت بسلالة أور الأولى، ولكننا لا نجد لها مثيلاً قبل أو بعد هذه السلالة (حوالي 3000 ق. م) وهذا يعني ندرتها أو انقراضها في وقت مبكر من حياة السومريين. (انظر Wolley 1963).



كهنة سومريون في وضعية الصلاة

	
عابد سومري في وضع السجود، من (تلتو) السلالات المبكرة 2800-2900 ق. م http://www. bibleorigins. net/ UrukNakedMenOfferingHarvest. html	عابد سومري من أشنونا يمسك إناء الماء المقدس للصلاة http://www. solimartravel. com/ limestone-statues-sumerian-capital

2 –طقوس المناسبات

أفردنا لهذه الشعائر مكاناً خاصًّا لأنها لا تقع ضمن الشعائر اليومية التي يمارسها الإنسان أو الكاهن بشكل شبه يومي، ولأنها لا تقع كل عام فتكون دورية يمارسها الناس كترداد لدورات زمنية كبرى. إنها شعائر يمرّ بها الإنسان الفرد مرة واحدة في حياته على وجه التقريب فالولادة والموت يحصلان مرة واحدة. أما الزواج والبناء فربما يتكرران ولكنهما مع ذلك يخضعان للمناسبة لا للطقس اليومي ولا للطقس الدوريّ السنوي.

وكانت القابلة تسمى في السومرية شازو (Sha-zu) هي التي تقوم بالولادة حيث تردد أثناء عملها صلاة معينة وتعصب رأس المرأة أثناء الولادة ثم تضع الحامل على مصطبة من اللبن وتأخذ

القابلة دور الإلهة (ننتو) أو (أرورو) وهما صورتان من صور الإلهة الأم السومرية ننخرساج وتحضر الصورة الأخرى لها كمربية للأطفال في صورة الإلهة (كاتم دك).

أما طقس البناء (البيوت والقصور والمعابد) فقد كان يبدأ أيضاً بوضع أشياء كالتماثيل أو الحروز أو التمائم الطينية والحجرية في أساساتها لطرد الشرور، وكان رمز أو تمثال إلهة العين التي تطرد الشرور أيضاً يوضع على واجهات البيوت ومن رمز الإلهة سبيتو (المكون من سبع عيون) استمر تقليد وضع حجرة العيون السبع إلى يومنا هذا عند مداخل البيوت منعاً للحسد وسبيلاً لطرد الشر.

وهناك إشارات بسيطة لتقديم الأضاحي وخصوصاً عند بناء المعابد حيث كان بناؤها يعني حدثاً عظيماً وكان تهديم المعبد يعني إشارة شؤم.

أما طقوس الزواج السومري فيمكننا أن نقسمها إلى نوعين مختلفين تماماً: طقوس الزواج التقليدية للناس، وطقوس الزواج المقدس للملوك. إن طقوس الزواج التقليدية بين رجل وامرأة كانت تبدأ بتلاوة بعض العبارات المقدسة من قبل العروس بشكل خاص. أما الزواج فكان يؤدى بقسم الزواج ثم تزف الزوجة الزوج ويقوم الزوج برفع قلنسوة عروسته ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها. أما الزوجة فكان الكاهن يباركها بسكب الزيت على رأسها.

وكان من طقوس الزواج أن يقدم الزوج أو أهله بعض النذور والحاجيات الثمينة إلى المعبد. وفي يوم الزفاف تقدم وليمة فيها المأكولات التي جلبها العريس إلى بيت العروس وكان يقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الأضحيات تكريماً للآلهة، ويسمى هذا الطقس بالسكب أو (كرم Kirrum) وكانت الإلهة التي ترعى الزواج هي إشخارا.

أما طقوس الزواج المقدس التي كانت مخصصة للملوك فقد استمدت جذورها الميثولوجية من زواج (إنانا ودموزي) الذي تحدثنا عنه، فقد كان الملك يأخذ دور دموزي وكانت الكاهنة العليا تأخذ دور إنانا وكان ذلك يحصل مع بداية السنة السومرية في 21/آذار من كل عام.

وإذا كانت أعياد الأكيتو السومرية وأعياد الزكمك السومرية تتضمن أداء هذا الطقس الجماعي الكبير الذي يكون الملك والكاهنة مركزه الأساس فإن ذلك يجري وفق استعادة دورية

منظمة لحدث أسطوريّ يعتقد أنه كان وراء إخصاب الطبيعة والنباتات والحيوانات ووراء تكاثر البشر وازدهار الحضارة.

ويبدو أنّ نشوء هذا الطقس السومري كان في مدينة أوروك مع ظهور الملك دموزي الذي أصبح قرين الإلهة إنانا ومنحته الألوهية فيما بعد، ولذلك ظل في الوجدان السومري هذا الطقس الذي يذكر بحادثة يصعب تكرارها (في الواقع) ويسهل تكرارها (في الاحتفال).

إن طقوس الزواج المقدس السومرية كانت هي السبب في إعادة تكريس الملوك السومريين كل عام. وقد اختلف الأمر عند البابليين عندما ظهرت طقوس أخرى مع هذا الطقس في رأس السنة مثل اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل والاعتراف الملكي للكاهن بخطاياه وغير ذلك. وكان الملك السومري بعد قيامه بمضاجعة الكاهنة العليا التي تمثل إنانا (وهي كاهنة على قدر كبير من الثقافة الدينية والأدبية) يقوم بسماع قرارات الإلهة إنانا على لسان الكاهنة. فعلى سبيل المثال نقتطف هذا المقطع من نشيد (مباركة شولجي الملك) وهو نشيد خاص بالزواج المقدس لهذا الملك السومري:

«سوف أكون دليلك في المعارك وحاملة

سلاحك في القتال

وبطلتك في مجمع الآلهة

وسوف أكون على الطرقات حاميتك!

أنت أيها الراعي المختار من أجل المسكن المقدس

والمواظب على تموين الإيانا

أنت الزينة الأكبر في معبد آن

أنت أهل لجميع (الاحتفاءات)

أنت خلقت لكي تستقر باعتزاز على

المنصة المجيدة

أنت خلقت لكي تثبت التاج على رأسك

أنت خلقت لتزين جسمك باللباس الفضفاض

أنت خلقت لكي تدثر بالرداء الملكي

أنت خلقت لتحمل الهراوة والسلاح

أنت خلقت لكي ترمي الهدف بسهم قوسك

أنت خلقت لكي تعلق إلى جنبك عصا – الرماية

والمقلاع

أنت خلقت لتمسك بيديك الصولجان الجليل

أنت خلقت لتنتعل في رجليك الصندل المقدس

أنت خلقت لتتسابق وتجعل مطيتك تعدو

أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني

الجميل مثل عجل فائق الثمن

فليعش طويلاً قلبك الرحيم». (الشواف 1996: 167).

مثل هذا المصير كان ينتظر كل ملوك سومر مع مطلع كل عام ليكون ثمرة الزواج المقدس الذي كان يشمل الملك والطبيعة والناس. وفي هذا السياق استمرت أعياد رأس السنة في العالم القديم بأكمله.

طقوس الأسكاتولوجيا (الموت)

أما شعائر الموت عند السومريين فكان لها شأن خاص، ذلك أنها تبلورت من إرث زاخر مرّت به الحضارات أو الثقافات العراقية القديمة الشمالية والجنوبية.

كانت أماكن الدفن عند السومريين تتراوح في دراجتها وأهميتها بين الدفن تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو في المدافن الكبرى. وكان قبر البيت يسمى (كيماخ Ki. Makh) الذي يعني حرفيًّا الأرض العظيمة.

وكان الملوك يدفنون أول الأمر في القصور الملكية ثم ظهرت فكرة المقابر الملكية وأشهرها التي اكتشفت في أور. كان جثمان الميت يوضع في حصران تلف على جسد الميت وتثبت بدبابيس وكانت التوابيت الخشبية تستعمل لدفن الموتى في المقابر واستخدمت الجرار الفخارية وخصوصاً للأطفال الذين يوضعون فيها كما كان موضعهم في الرحم. واستعملت الجرار المزدوجة والسلال للدفن أيضاً.

أما القبور فكانت تنقسم بشكل أساسي إلى قبور العامة وقبور الملوك. كانت قبور العامة تتراوح بين القبور البسيطة المحفورة في الأرض وبعمق غير ثابت وهي الأكثر شيوعاً. والقبور المشيدة باللبن أو الآجر التي ظهرت منذ عصر العبيد ثم أريدو. والأقبية المعقودة والتي استعمل فيها الطين بلاطاً. (انظر حنون 1986: 233-236).

أما القبور الملكية فقد كانت شائعة، لكن ما عثر عليها تمثل القبور الملكية لبعض ملوك أور الثالثة والتي تعود إلى نهاية الألف الثالث ق. م.

وبشكل عام يتكون كل قبر من المقبرة الملكية لملوك أور قبل سلالة أور الأولى من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي يوجد في بعض الأحيان قربه ختم أسطواني يحمل اسمه. وهناك مجموعة من هياكل لرجال يبدو أنهم خدم الملك وهياكل لنساء يحمل بعضهن تاجاً من الذهب. وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والأسرجة والتعاويذ والحلي الشخصية والخناجر. وقد يصل عدد الحاشية إلى حوالي 45 شخصاً. وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط إلى كل منها ثلاثة ثيران أو حمير مع حوذيها والسايس أمامها، وهناك قيثارات موسيقية... وغير ذلك. ويرى ليونارد وولي مكتشف المقبرة أنّ هذه المقبرة تشير إلى شعائر التضحية البشرية الجماعية عند وفاة الملك ودفن حاشيته معه. (انظر Woolley1965: 60).

أما أنطوان مورتغات فيرى أنّ هذه المقبرة تشير إلى شعائر الزواج المقدس في أور لكن هذا الرأي تنقصه الأدلة الكافية.

أما قبور ملوك أور الثالثة فلا تحتوي على جثث، بل على أختام ملكية وتماثيل صغيرة وهي أضرحة معقودة بالآجر وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة. وهذه القبور أشبه بالبيوت ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن.

كانت الشعائر الجنائزية السومرية تتضمن ثلاث وسائل لتهدئة روح الميت عن طريق (الطعام، والماء، والاسم).

كان طقس تقديم الطعام عن روح الميت يسمى (الكسبا) حيث تذبح الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة.

طقس (ألمي نقو) هو طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت وكان هذا يتمّ برش الماء على تراب الميت أو عن طريق أنبوب فخاريّ ينزل إلى القبر.

والطقس الثالث هو طقس (شومازكارو) أي (ذكر الاسم) حيث يتمّ تطمين روح الميت بذكر اسمه دائماً لإشعاره بأنه ما زال موجوداً بينهم أو بإطلاق اسمه على وليد جديد.

وكانت الشعائر الجنائزية تقام بعد شهر من وفاة الميت وفي اليوم الذي يختفي فيه القمر حيث تتجمع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر.

أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في بداية شهر آب حيث تقدم القرابين بصورة جماعية وترفع المشاعل لأرواح الموتى وتبلغ الاحتفالات ذروتها في اليوم التاسع من آب.

أما شعائر الحداد فكانت تؤدى من قبل أهل الميت بترك الشعر أشعث أو بنتفه والنواح بأصوات عالية واللطم على الوجه وإلقاء اليدين على الأرض وضربها وتمزيق الثياب.

وكان الكهنة المختصون (كالا – ماخ) و(كالا) و(كالا – تور) يؤدون طقوس الحزن بالعزف على الطبل والقيثارة وأداء الأناشيد والمراثي الحزينة.

3 – الطقوس الدورية

تعتبر الشعائر الدورية من أهم الشعائر الجماعية التي كانت تضع الجماعة في حزمه طقسية مغلقة بإيقاع روحي واحد. كان مجتمع المدن السومرية يستعيد في هذه الشعائر دوريًّا زمان ومكان الخلق الأول. وتكمن أهمية هذه الشعائر في كونها الذاكرة الدينية المرتبطة بتلك الأزمان المثالية أو الميثولوجية فهي إذ تتقاطع مع التاريخ الساري المتراتب فإنما تخلق لنفسها زمناً مطلقاً وشعوراً لانهائيًّا بالحياة والوجود. وتستند هذه الأعياد أو الاحتفالات أو الشعائر إلى فكرة العود الأبدي حيث تتمّ العودة الدورية (أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية) إلى الزمن الأول زمن تحول الوجود من صورته العمائية الكاؤوسية إلى شكله الكوزموسي المفصل من النسيج اللامتميز Undiffrintiated Tissue إلى الأنسجة المميزة.

إن هذا الحنين العميق عند الإنسان للعودة الدائمة إلى زمن ميثي أو بدئي مثل زمن الخلق الأول أو الطفولة أو الصبا يحمل دائماً معنى العود الأبدي بصورة مختلفة.

وتنقسم الأعياد والشعائر السومرية إلى ثلاثة أعياد أساسية هي:

1 – عيد نهاية الأسبوع (عيد إش إش): وكان هذا العيد مرتبطاً بالقمر، فقد اتخذ السومريون من القمر أساساً لتقويمهم لأنهم وجدوه متغيراً يمكن ضبط أيامهم على ضوء مراحله وكانت الشمس في نظرهم ثابتة الشروق والغروب.

قسم السومريون الشهر القمريّ إلى أربعة أسابيع يبدأ الأول مع ظهور الهلال والثاني مع نصف البدر والثالث مع البدر مكتملاً والرابع مع نصف البدر الغارب حتى تحوله إلى هلال غارب. وكانوا يحتفلون في نهاية كل أسبوع باكتمال مرحلة من مراحل القمر بما نسميه اليوم عطلة نهاية الأسبوع. و(عيد إش إش) وكان يوم السبت هو يوم الاحتفال والعطلة من العمل. أما نهاية الشهر القمري بعد غياب الهلال فكان السومريون يحتفلون أيضاً حزناً على مهاجمة القمر من قبل شياطين العالم الأسفل واقتياده إلى هناك لمدة يومين أو ثلاثة أيام كان السومريون خلالها يقدمون القرابين والأضاحي لكي يعود القمر مع بداية شهر جديد.

كانت هذه الأعياد تشير إلى ولادة جديدة للقمر هو ما يقع في صلب فكرة العود الأبدي الذي كان الموت فيها يعني ولادة جديدة.

2 – عيد زكمك (ka-Zag-muk): ويسمى بالسومرية عيد (زاموء Za-mua) وهو عيد رأس السنة السومرية الذي كان يحتفل به السومريون مرتين.

ونعتقد أنّ كلمة (شرو Shurru) البابلية التي تشير إلى شهر تشريت Tishrit الذي كان يجري فيه احتفال الأكيتو الثاني في الاعتدال الخريفي، حيث شرو تشير إلى الشروع أو البدء.

وكان عيد (زامو) يقام مرتين في السنة، الأول مع الاعتدال الربيعي الذي كان يبدأ في 21 آذار (وهي بداية السنة السومرية) حيث كان يتمّ استذكار زواج إنانا ودموزي من خلال شعائر الزواج المقدس الذي كان بطله الملك (ممثل دموزي) والكاهنة العليا (ممثلة إنانا) وكان عيداً قاصفاً تسفح فيه الخمور وتسيطر عليه روح الربيع والخضرة.

أما عيد (زامو) الثاني فكان يقام في منتصف السنة السومرية (21 أيلول) وهو عيد البذار وصفرة الأشجار حيث الاعتدال الخريفي ومثلما تبذر فيه الحبوب فإن جثة دموزي تدفن وتقام طقوس الحزن والحداد الجماعي.

3 – عيد الأكيتو Akitu: في أواخر العصر السومري الحديث (سلالة أور الثالثة) أطلق السومريون (وقبلهم الأكديون) على عيد الزامو الأول اسم (أكيتو). ومع نهاية السومريين السياسية اضمحل تدريجيًّا عيد الزامو الثاني. وأصبح عيد الأكيتو عند البابليين هو العيد الرئيس لرأس السنة (رغم أنّ هناك ما يشير لإقامة عيدين ربيعي وخريفي).



احتفالات عيد الأكيتو

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. Html

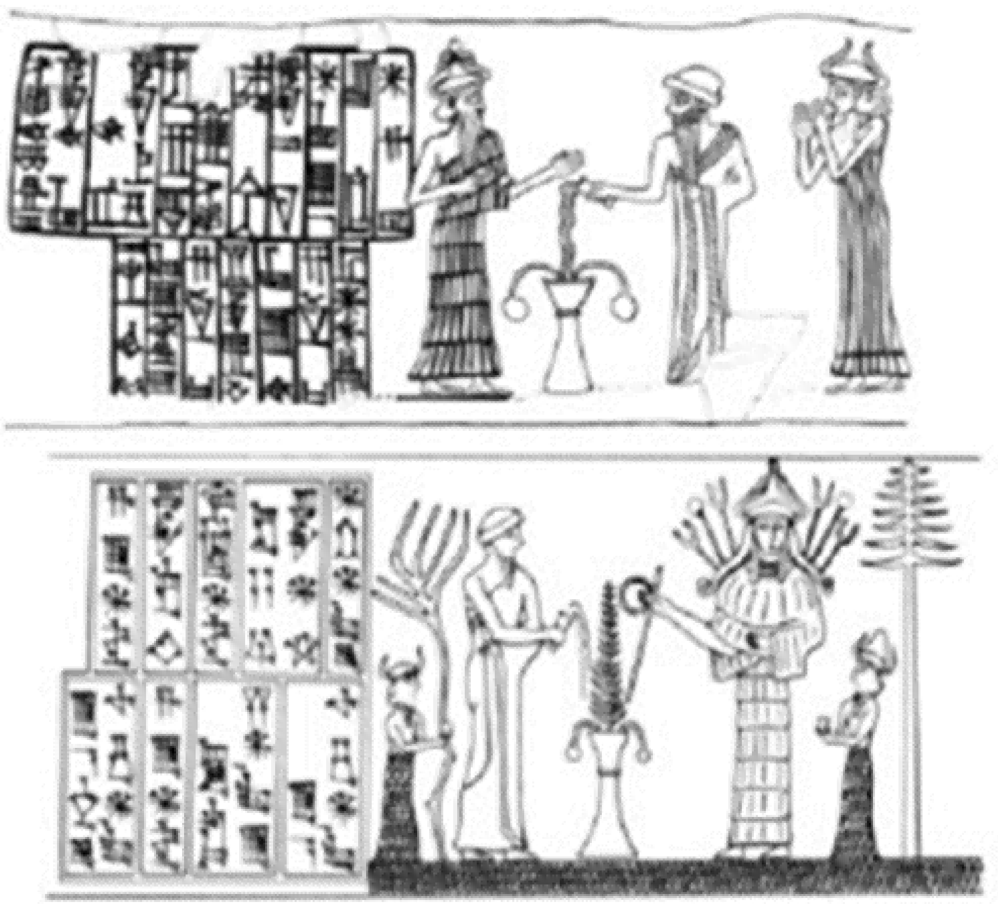
وكان عيد الأكيتو يحمل جذوراً نيوليتية بعيدة من سامراء كما يشير طبق الفخار الذي يحمل صور أربع نساء ينثرن شعورهن بأربعة اتجاهات ليكون علامة الصليب المعقوف (السواستيكا). الذي كان يشير إلى الخصب. كانت هذه الرقصة تحمل معنى استنزال المطر. (انظر النعيمي 1990: 114-115).

كان هذا العيد يؤدى في بداية أمره للإلهة إنانا ودموزي حيث يتمّ تقديم الضحايا لإنانا في اليوم الحادي عشر من شهر أكيتو السومري. وبسبب من ظهور أور عاصمة للسومريين تحول الاحتفال تدريجيًّا ليكون معبراً عن الإله نانا (سين) وزوجته ننكال. ولأن نانا كان يختفي لثلاثة أيام في نهاية الشهر. فإن هذا التقليد استمر مع الإله مردوخ عندما أصبح العيد بابليًّا حيث يتمّ اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل فتختل موازين الكون والمجتمع حتى يقوم ابنه الإله نبو بتخليصه من العالم الأسفل.

ويشير وعاء صخريّ منقوش (2500-2700) ق. م إلى مجموعة من الرموز والإيحاءات المترابطة كالماء والثيران والأفاعي والنباتات التي دلّت عند بعض الباحثين على أنها نوع من طقوس استنزال المطر، حيث يظهر على جانبي الوعاء رجلان (وربما امرأتان!) يرتديان تنورة مشبكة كانت تشير إلى دموزي وكهنته، أحدهما يمسك فيها ثعبانين واقفين على أسدين وتظهر النجمة السداسية أمام وجهه. والآخر يمسك تيارين متدفقين من الماء وأمامه ثور وهناك نباتات. وتظهر النجمة السداسية أمامه وفوقها هلال. وهناك قطعة حجرية من معبد الإله سين في تل أسمر تحمل ما يشبه هذه الرموز. وربما دلّت المرأتان على الإلهتين إنانا وأرشكيكال.

إن رموز استنزال المطر سواء كانت في الأكيتو أو وحدها كانت طقوساً معروفة في جنوب العراق رغم اعتقادنا أنها انحسرت أو دمجت في طقوس أكبر عبر عنها عيد الأكيتو بشكل واضح.

4 – عيد إيزنماخ (Ezen-mah): أي العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرقم السومرية وكان يختلط أحياناً مع العيد الربيعي.



طقوس إراقة السوائل

(Baker et. al 2010, SUTER—BASEL:338)

رابعاً: الآخرويات السومرية

1. موت الآلهة Tho- Eschatology

أ. الموت الدائمي للآلهة

كان قتل الآلهة أمراً نادر الحدوث في الأساطير العراقية القديمة. وقد تبيّن لنا أنّ قتل هذه الآلهة يحصل بمرافقة شرطين أساسين: أولهما أنّ هذا القتل يحصل من أجل خلق جديد للكون أو للآلهة أو للإنسان، وثانيهما أنّ مادة أجساد هذه الآلهة لا تفنى وتنتهي، بل تكون مادة أولية للكون أو الآلهة الجديدة أو الإنسان. وهذا يعني موت روحها وبقاء جسدها في كيان جديد.

ب. الموت المؤقت للآلهة

رغم أنّ العالم الأسفل هو عالم الموت، إلّا أنه جزء من الكون الذي خلقته الآلهة، والذي يجب أن تفرض عليه حكمها وسيطرتها. وهناك آراء تقول إن العالم الأسفل ما هو إلّا الشكل اللاحق لعالم الآلهة الميتة المقتولة القديمة (مثل تيامت وأبسو)، والتي تحولت بفعل الزمن إلى عوامل شريرة، ظهرت منها الأمراض والكوارث، بل والموت، لكن الآلهة الجديدة لا بدّ من أن تحكم هذا العالم، وإلّا انفجر عليها بالموت في أيّ وقت.

2. موت الكون Cosmo Eschatology

تعتبر أسطورة الطوفان السومرية واحدة من أهم الأساطير القديمة، لأنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية والقديمة بأسرها... إذ يندر أن تكون هناك أمة قديمة ليس في تاريخها الروحي طوفان شامل وكبير.

وقد وصلنا من مدينة (نفر) رقيم واحد، نشر لأول مرة من قبل الباحث بوبل (انظرPobel 1914). ولم يكن بحالة سليمة؛ حيث كانت الأسطر السبعة والثلاثون الأولى مهشمة، يأتي بعدها ما يشير إلى أنّ أحد الآلهة (ربما إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار. ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على أيدي الآلهة آن وإنليل وننخرساج، ثم فجوة، ثم نزول الملكية من السماء إلى الأرض، وتوزيع السلطات بين الآلهة، ليحكم كل إله في مدينة معينة.

3. موت الإنسان Anthropo-Eschatology

الآلهة خالدة والإنسان ميت... هذه هي القاعدة الأساسية في الدين السومري، فقد وجدت الآلهة لتعيش إلى الأبد وتضبط مصائر الوجود والعالم والإنسان، وهي الموجود الرئيس في الكون والحالّة في كل زاوية فيه. أما الإنسان فإنه ثانوي على سطح الأرض كجسد وروح مندمجين وكروح محبوسة تحت الأرض بعد الموت. فمكان الإنسان في الكون محدود للغاية، أما الآلهة فلها كل أمكنة الكون حتى الأرض وما تحتها. وكان الطوفان أحد أهم أشكال الموت السومري الجماعي.

القسم الثاني: المكونات الثانوية للدين السومري

أولاً: الأخلاق الاجتماعية أصل الشرائع الدينية

1. نشأة الشرائع الدينية من الأخلاق الاجتماعية

يعدّ الباحثون الأخلاق أصل الشرائع الدينية والمدنية، وهناك يمكن أن نسميه بالأخلاق الدينية والشرائع الدينية تدخلان ضمن المكونات الثانوية للدين فهي لا تدخل في صلبه ولكنها تشكل ما يشبه المجال الاجتماعي له. ولا شك أنّ هناك أخلاقاً اجتماعية مدنية وقوانين مدنية توضع في مقابل نظيرتيهما الدينية، وقد كانت الأديان أحد مصادر الأخلاق والتشريع، ولكنها لم تكن المصدر الوحيد أو الأهم.

امتاز المجتمع السومري بسيادة نظام أخلاقي رفيع خاص، وقد نظمت حياته مجموعة من الأعراف والتقاليد ثم التشريعات التي كانت تدل على التحضر والثقافة.

وحين تبلورت الديانة السومرية أصبح السومري قبل كل شيء إنساناً متديناً، فهو يخشى آلهته ويخاف من غضبها. وقد كانت الآلهة في نظره مصدر العدالة والحق وهي تمسك بموازنة أمور الخير والشر في المجتمع، كما أنّ له معها ميزان حقوق وواجبات فهو يؤدي واجباته تجاهها من خلال تقديسها وإقامة الصلوات لها وأداء الشعائر والطقوس والنذور لها، كما أنه يعتبر استقامته الأخلاقية مع الآخرين أمراً يفرح الآلهة ويبهجها.

كانت الإلهة نانشه إلهة العدالة الاجتماعية في سومر، وقد اعتبرها كوديا أمير لجش أمه حيث كان يؤمن بها ويقدسها تقديساً كبيراً. وتوصف هذه الإلهة بأنها مفسرة الأحلام وأنها إلهة الأسماك وحامية مدينة نينا (سرغل).

الأعراف الدينية ودورها في ظهور القوانين السومرية:

الموانع والنواهي والمحللات والحرام وغيرها من الأفكار الدينية المتداولة بين الناس كانت أساس نشوء الشرائع الدينية في بدايات الحضارة البشرية، وفي الديانة السومرية كانت هذه الأمور تنطلق من احترام وتقديس الآلهة التي كانت بمثابة المثال الأعلى للوجود كله، ولذلك تصدرت أسماء الآلهة الشرائع السومرية باعتبارها هي مصدر هذه الشرائع، ولذلك تأمر بالخير وتنهى عن الباطل في حياة الإنسان.

الآلهة هي الآمرة الناهية والعامة الناس هي المقصودة بتطبيق الأوامر والنواهي، أما رجال السلطة والدين فهم من يُشرف على تنفيذ ما تقرره الآلهة «وفي هذا المجتمع الإلهي- الديني المقسم بين الحقوق والامتيازات (القصر والمعبد) – الممثل والوسيط الإلهي، وبين الواجبات والالتزامات (عامة الناس) – المخلوقين أصلاً لخدمة الآلهة، اعتراف أكيد منذ البداية، رغم تباين المسميات، بوجود طبقتين لا مجال للمقارنة بينهما، إحداهما تمتلك السلطة والثروة (الحقوق والامتيازات) والأخرى تتحمل التبعات (الواجبات والالتزامات). وكلما اقتربت العلاقة من عامة الناس زادت التبعات إلى حدود السخرة والعبودية». (رشيد 2004: 134).

وكان للمعبد ولرجال ونساء المعبد، بشكل خاص، الدور الأساس في هذا الأمر، حيث «شكل أعضاء المعبد من الرجال والنساء مجتمعاً خاصًّا قائماً بذاته، أو دولة داخل دولة، له قوانينه وحقوقه وواجباته وتقاليده وموارده الناجمة عن عوائد حقوله وورشه وأعماله التجارية والودائع، علاوة على عوائد المحراب: الهدايا والتبرعات والقرابين. وكان يتمتع بدور مؤثر في تقرير شؤون الدولة والحياة الخاصة لكل الناس. ورغم تجريده تدريجيًّا من السلطة الزمنية لصالح القصر منذ عهد حمورابي، فقد ظل المعبد يحتل مركزاً اقتصادياً- اجتماعيًّا محوريًّا في فكر وحياة المجتمع. أما العبد (الرقيق) فلم يُعترف بشخصيته الإنسانية، بل اعتبر مجرد مال منقول وعومل بصورة متدنية اجتماعيًّا وقانونياً. وكان يُشار إليه بأنه مجرد (وحدة رقيق) ومثّل قيمة نقدية لمالكه. وكان العبد يُميز عن بقية أفراد المجتمع بطريقة قص شعره أو وسمه كالحيوان رمزاً للملكية. ويتمّ ختمه عادة بقطعة حديد محمية كالجمر على جلده مباشرة. إلّا أنّ شريعة حمورابي وضعت عقوبات شديدة بشأن قطع أو حرق أو وسم العبد وأصبح هذا التصرف يعرض مرتكبه لعقوبة قطع اليد أو الموت. وكان الكثير منهم يعمل في الحرف والصناعات لتنمية موارد أسيادهم». (رشيد 2004: 132).

القوانين في مواجهة الفوضى الاجتماعية:

جاءت بذرة أول القوانين من خلال الإصلاحات الاقتصادية، وهو ما يفسر الجانب الواقعي في الحياة السومرية، فقد كانت الفوضى الاجتماعية التي خلقها الفساد الإداريّ في لجش سبباً مهمًّا في ظهور أول الإصلاحات والقوانين الاجتماعية التي مهدت لتنظيم أوسع للقوانين العامة، فيما بعد، وجاءت بسبب شيوع الارتباك الاقتصادي والفساد الذي واجهه أورنمكينا (أوركاجينا) أمير لجش حين «بادر بإصدار إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية وترك نصًّا مفصلاً بشأن معالجته للأوضاع المتردية. غير أنّ فترة حكمه القصيرة لم تتح لإصلاحاته تلك فرصة النضوج. وتكاد إصلاحات أوركاجينا ترتقي لمستوى القانون لولا خلوها من المقدمة والخاتمة وحصر موضوعاتها في معالجة الوضع الضريبي وشؤونه تقريباً. ومع ذلك يضعها معظم الباحثين في تاريخ القانون مع المناهل الأولى للقانون والتشريع في وادي الرافدين. وبذلك فهي تُعدّ من أقدم التشريعات في تاريخ البشرية». (رشيد 2004: 119).

2. أورنكمينا (أوركاجينا) أول الشرائع المدنية

ويظهر الإله ننجرسو في لكش أيضاً راعياً لعدالة حيث نجده مرافقاً لإصلاحات الملك السومري أوركاجينا «وهي ترجع إلى 2600. م. فقد كان هذا الملك يعتبر نفسه مكلفاً من الإله ننجرسو بالقضاء على جشع الكهان والموظفين وقد تفشى في أثناء حكم من سبقوه». (هوك 1987: 166).

ويبدو أنّ السلالة الحاكمة في لكش كان قد أسسها (أورنانشه) قد وصلت إلى حدّ كبير من الفساد الإداريّ والظلم الاجتماعي، ولذلك قام هذا المصلح الكبير (أوركاجينا الذي يقرأ اسمه الآن أورو – أنمكينا) بإعادة الحق والعدل إلى نصابه.

وقد قام أوركاجينا بإرجاع حرية المواطنين الذين قاموا بالمظالم الكثيرة فأزال ناظر الملاحين من الإشراف على السفن وأزال ناظر الماشية من الإشراف على الماشية الكبيرة والصغيرة، وأبطل وظيفة ناظر السمك وأزال جابي الفضة التي كان دفعها مفروضاً على جز ّصوف الغنم الأبيض. وإذا ما طلق رجل امرأته لم يحق للإيشاكو (وهو الحاكم) ولا لوزيره الحصول على رسم، وإذا هيأ صاحب العطر (العطار) نوعاً من الدهان فلا يحق للإيشاكو ولا

ولوزيره ولا لناظر القصر أن يحصلوا على أيّ رسم منه. أما إذا أريد دفن ميت في المقبرة فإن المال الذي كان يتسلمه الموظفون من أهل الميت أصبح أقل مما كانوا يتقاضونه منهم في السابق وإلى أقل من النصف في بعض الحالات، وأصبحت أملاك المعبد مصونة وموضوع احترام كبير. ولم يعد هناك جابٍ للضرائب من أقصى طرف البلاد إلى الطرف الآخر. (انظر كريمر ب ت/ ب:111).



شريعة أوركاجينا

http://sumerianshakespeare. com/70701/79201. html

لقد كانت إصلاحات أوركاجينا أول إشارة وصلتنا على بدء عصر التشريع الإنساني ولا نعرف بعد ما إذا كانت هذه الإصلاحات مدونة على شكل شريعة أم لا.

كان أوركاجينا قد أخذ على نفسه ميثاقاً وعهداً أمام الإله ننجرسو إله مدينة لجش بأنه لن يسمح بأن يقع اليتامى والأرامل فريسة لظلم الأقوياء.

وتعدت إصلاحاته الاجتماعية إلى أكثر من ذلك فقد سنّ قانوناً أو عرفاً يقضي برجم المرأة إذا تزوجت بأكثر من رجل، حيث ترد إشارة إلى أنّ المرأة كان يمكن أن تتزوج بأكثر من رجل قبل عصره. وهذا يعني أنه نظم العائلة وحدّ من تشتتها واحتمال تمزقها. ويكفي أن نذكر أخيراً أنّ كلمة حرية (أمارجي) وردت في إصلاحاته ولم تكن حرية سائبة أو حرية فوضى، بل كانت (حرية في حدود القانون) كما يذكر ذلك صموئيل نوح كريمر.

إن هاجس السومريين بإقامة مجتمع عادل ترعاه الآلهة وتعاقب من يخرج عليه كان واضحاً في طريقة فهمهم للحياة الاجتماعية والسياسية في وقت مبكر.

الجريمة	العقاب
«آن ننّا- سنج»، بن «لو – سين». و«كو- إنليل» الحلاق، ابن «كو –ننا) و«إنليل- ايناما» البستاني عبد «أدا- كلا» قتلوا «لو – إنانا» بن «لوكال – آبندو» الموظف (من الصنف المسمى نِشِكو). وبعد أن قتلوا «لو – إنانا» بن «لوكال – آبندو» أخبروا «نن- دادا» ابنة «لو – ننورتا» وزوجة «لو – إنانا» بأن زوجها قد قتل. ولكن «نن – دادا» ابنة «لو – ننورتا» ظلت صامتة لم تفه بشيء». (كريمر 1956: 125).	«ثم بلغت قضيتهم بعد ذلك إلى مدينة «إيسن» أمام الملك. فأمر الملك «أور –ننورتا» بأن تحال قضيتهم إلى محكمة مدينة «نفّر». (وفي المحكمة) نهض كل من «أور- جولا» بن «لوكال -..». و«دودو» صياد الطيور و«أبي – إيلاني» الخادم و«بوزو» بن «لو – سين» و«إيلوتي» بن «... - ايا» و«شيش – كلا» الحاجب (؟) و«لوكال – كال» البساني و«لوكال – أزيدا» بن «سين – آندل» و«شيش- كلا» بن «شاره -...) هؤلاء نهضوا وواجهوا المحكمة وقالوا: «إن الذين قتلوا الرجل لا يستحقون الحياة. إن أولئك الرجال الثلاثة وتلك المرأة يجب قتلهم أمام كرسي «لو – إنانا» بن «لوكال- آبندو» موظف الـ «ننشكو». «ثم واجه المحكمة كل من «شو -... ليلوم» الموظف التابع للإله «ننورتا» و«أوبار – سين» البستاني وقالوا: «مع الاعتراف بأن زوج «نن – دادا» ابنة «لو – ننورتا» قد قتل ولكن ماذا فعلت المرأة حتى تستحق القتل؟». ثم التفت إليهم أعضاء محكمة «نفر» وقالوا: «إن زوجة لم يقم زوجها بإعالتها (؟) مع الافتراض بأنها كانت تعرف أعداء زوجها وأنها بعد أن قتل زوجها علمت بمقتله – فعلام لا تظل ساكتة عنه (؟) هل هي التي قتلت زوجها؟ ينبغي قصر العقوبة على أولئك الذين ارتكبوا القتل فعلاً». وبموجب قرار «محكمة» نفر سلم كل من «نَنّاسج» بن «لو – سين» و«كو- إنليل» الحلاق بن «كو – ننا» و«أ، ليل – إينام» الفلاح عبد «أدا- كلا» (إلى الجلادين) ليقتلوا». إن هذه القضية نظرت في محكمة «نفر». (كريمر 1956: 125 - 126).

وقد انعكس ذلك السجل السياسي للمدن السومرية المبكرة فقد كان أول (برلمان) سياسي معروف في تاريخ الإنسان المدون سومريًّا حيث «التأم في جلسة خطيرة في حدود 3000ق. م وقد كان مثل برلماننا مؤلفاً من مجلسين: من مجلس الأعيان أي مجلس الشيوخ، ومن مجلس العموم (النواب) المؤلف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح. وكان برلمان حرب دعي للانعقاد ليتخذ قراراً في أمر خطير يخص الحرب والسلم، لقد كان عليه أن يختار بين السلم بأيّ ثمن كان وبين الحرب مع الاستقلال. فأما مجلس الأعيان الذي كان مؤلفاً من الشيوخ المحافظين فإنه أعلن قراره أنه بجانب السلم مهما كان الثمن. ولكن الملك اعترض على هذا القرار ثم عرض الأمر بعد ذلك على مجلس العموم فأعلن هذا المجلس الحرب من أجل الحرية وصادق الملك على قراره». (كريمر ب ت/ب:28).

أما آخر القوانين السومرية فكان على يد الملك السومري (أورنمّو) (2113 - 2096 ق.م) الذي يعدّ قانونه أقدم قانون تفصيليّ مدون في تأريخ وادي الرافدين والعالم. فقد «عُثر على أجزاء منه في مدينة نفر ومدينة أور. أمكن قراءة أكثر من 22 مادة منه رغم التلف الذي أصابه. كُتب باللغة السومرية. وتوضح بقايا مقدمته كيف فرض الإله (ننا) إله القمر، إله مدينة أور، الملك أور-نمو لحكم المدينة، ووصفه بالملك الورع التقي العادل، وأن مجيئه كان إيذاناً بالقضاء على الفساد والفوضى وسوء الإدارة والتجاوز على حقوق الآخرين، وبذلك تمتع الناس بحقوقهم وحريتهم. ويثير ما تبقى من مواد القانون اهتماماً كبيراً حيث يظهر أنّ بعض الجرائم، على الأقل، كالأذى الجسدي، لم تُعاقب بتشويه وقطع أعضاء الجسم كما هو الحال في شريعة حمورابي والقانون الآشوري، بل كان الجاني يُرغم على دفع تعويض نقدي. «وهذا يدل على وجود مجتمع راقٍ إلى درجة أعلى مما كان يُتصور عادة». أما المواد القانونية المتبقية فهي تُعالج الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وبعض المخالفات والإساءات وأوضاع العبيد وضوابط للعمل القضائي وسير المحاكم خاصة ما يتعلق بشهادة الزور وتبعاتها، وقضايا الأرض الزراعية». (رشيد 2004: 122).

ظهر التشريع السومري مزيجاً من الأمور الاجتماعية والدينية في قانون الملك السومري أور – نمو (2113 – 2096) ق. م. مؤسس سلالة أور الثالثة. ومن الجدير بالملاحظة أنّ هذه الشريعة يمكن تسميتها بـ(الشريعة القمرية) لأسباب تتعلق بمضمونها وبالإله الذي رعى ظهورها وهو الإله (نانا) إله مدينة أور والملك أورنمو في مقابل شريعة حمورابي التي يمكن تسميتها

بـ(الشريعة الشمسية) لأسباب تتعلق بمضمونها وبالإله الذي رعى ظهورها وسلمها إلى حمورابي وهو الإله (شمش) إله الشمس وإله العدالة في بابل.

أما التعارض الأساسي بين مضمون الشريعتين فيكمن في طبيعة الجزاء الذي كان يعاقب به المجرم عندما يحدث ضرراً بالمعتدى عليه. فشريعة أورنمو كانت تقاضيه بدفع غرامة مالية مناسبة. أما شريعة حمورابي فكانت تسير وفق قانون (العين بالعين والسن بالسن) أي بإحداث الأذى نفسه في جسد المجرم. ونرى أنّ شريعة أورنمو أكثر إنسانية وأكثر تحضراً من شريعة حمورابي في هذا المجال. وهذا بالطبع ينطلق من الاختلاف الروحي والأخلاقي والديني بين السومريين والساميين. فالسومريون كانوا شعباً مسالماً كون أول حضارة إنسانية في تاريخ الإنسان وكان مداه الحضاريّ طويلاً (قرابة 2000سنة)، في حين كان الشعب السامي محبًّا للحرب ولا يمتلك إرثاً حضاريًّا واسعاً. وفيما يلي بعض الفقرات الخاصة بالجزاء المالي في شريعة أورنمو (انظر كريمر ب ت/ب:121):

«إذا رجل ضد... بآلة... قطع القدم فعليه أن يؤدي (10) شيقلات من الفضة

إذا كسر رجل عظام رجل آخر بالسلاح فسوف يؤدي (منا) واحداً من الفضة

إذا قطع رجل أنف رجل بآلة جيشبو فسوف يؤدي ثلثي (منا) من الفضة»

واستمرت تقاليد التشريع السومرية فظهرت شريعة أشنونا المكتوبة باللغة السومرية والتي استثمرت الحصاد القانوني والأخلاقي القديم ثم ظهرت بعدها شريعة (لبت عشتار) المدونة باللغة السومرية أيضاً.

3. الأحوال الشخصية في القوانين السومرية

إذا عرفنا الفقه اصطلاحيًّا فسنبعد إمكانية إطلاق هذا المصطلح على فترات لم يكن معروفاً فيها كمصطلح ولكنه كان قائماً كحالة شرعية وقانونية وعرفية، ويعرف الفقه أنه «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية أو هو هذه الأحكام نفسها. والأحكام جمع حكم وهو إثبات أمر لآخر إيجاباً أو سلباً، مثل قولنا الشمس مشرقة أو غير مشرقة والماء ساخن أو غير

ساخن. والمراد بالأحكام هنا ما يثبت لأفعال المكلفين من وجوب أو ندب أو حرمة أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان. (زيدان 1964: 6).

وسنحاول من خلال تتبعنا للشرائع السومرية الثلاث (أورنمو، أشنونا، لبت عشتار) استنباط بعض أحكام الفقه السومري في الزواج والطلاق والزنا والإرث على سبيل الحصر.

في الزواج تظهر موافقة والد الفتاة ووالدتها أمراً ضروريًّا حيث تنص المادة 27 من قانون أشنونا على أنه (إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها ولم يقم وليمة الزفاف ولم يتعاقد مع أبيها وأمها فلا تكون هذه المرأة زوجة له حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة).

أما المادة 28 فتنص (إذا تعاقد مع أبيها وأمها وأقام وليمة وتزوجها فإنها (في هذه الحالة) زوجة شرعية وإذا ضبطت في حضن رجل آخر يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة).

هذا القانون الأخلاقي يشير إلى موافقة أهل البنت وتحريم الزنا مما يؤشر طبيعة المجتمع السومري.

وكان عقد الزواج ضروريًّا وحاسماً، وقد عثر على مجموعة كبيرة من عقود الزواج السومرية.

وكان يسبق المهر عند السومريين ما يسمى بـ(هدية العريس) وهي بمثابة هدايا الخطوبة والزواج قبل أن يتمّ وتسمى بالسومرية (نيمي أوسا ni-mi-us-sa). أما المهر فيسمى (كودام توكو Ku-dam-tuku) أي فضة لأخذ زوجة.

أما الطلاق فيسمى عند السومريين (تاك Tag) أي (التراك) الذي كان يتمّ بسبب سوء سلوك المرأة أو امتناع الزوجة عن معاشرة زوجها أو اختفائها لمدة طويلة أو بسبب عقمها. وذكرت حالات لاسترجاع الزوجة بعد طلاقها. وكان يحق للمرأة أن تطلق زوجها إذا ثبت بالشهود أنّ زوجها يسيء معاملتها أو يخونها أو يتهمها بما هي بريئة منه. (انظر عقراوي 1978: 110-112).

وكانت هناك التزامات مالية أي ما نسميه المهر المؤجل في حالة الطلاق وقد حددت بعض القوانين قيمة هذا المهر. وكان الأطفال حسب قانون أشنونا يستولون مع أمهم على جميع ممتلكات والدهم عند الطلاق.

أما الإرث فكان معروفاً عند السومريين باسم (نك أي أبا) وهي ثروة الأب أو رب الأسرة التي كانت توزع في حياة الأب أو بعد وفاته وقد نظمت قوانين عديدة هذا الموضوع.

ويسمى الوارث بالسومرية (إبيلا Ibila) الذي يستعمل للمؤنث والمذكر وتدعى حصة الوارث الواحد (هالا la-ha). وهناك تنظيمات شرعية لحصة الأبناء الذكور والإناث وحصة الزوجة من تركة زوجها. (انظر عقراوي 1987: 123-130).

هذه إطلالة بسيطة على بعض جوانب الفقه السومري في الأحوال الشخصية ويمكن دراسة هذا الموضوع موسعاً في الأحوال العامة وغيرها.

4. العدالة الإلهية

تصور السومريون الكون مثل دولة عادلة تحكمها الآلهة وكان للآلهة نظام تراتبي تتضح فيه موازين المسؤوليات والواجبات واضحة. بل لقد انعكس في هرمها الذي عرفناه من شجرة أنساب الآلهة نوع من التوازن العميق بين الطبيعة وأسرارها وبين المفاهيم المناسبة لهذه الطبيعة معبراً عنها بالآلهة.

فعندما كان (آن) إله السماء في مكانه الرفيع يطل على ما يجري في الكون بأكمله فإنه لم يكن يتدخل في واجبات إنليل الذي كان يمسك بسلطات الفضاء المحيط بالأرض وينظم الطبيعة والكواكب والظلام والرياح ويشرف على العالم الأسفل ويعين من نسله آلهة لكل هذه القطاعات وكان بسبب إمساكه بالسلطة مصدر سلطة الملوك، ولذلك كان يرهبه الناس لأنهم يعتبرونه الحاكم المطلق والذي يتسم بالعدالة ولم تكن العدالة هي الميزان المرهف بين الحقوق والواجبات فقط. بل السلطة والتلميح بالقسوة حتى لا يزل الملوك ولا يخطئ الناس.

أما (إنكي) فقد تعهد الأرض تحديداً ورعى بالخير والحياة والعمران سومر حيث أضاءت أسطورة تنظيم إنكي لسومر كيف أنّ هذا الإله «وضع بلاد سومر في حالة سير وكانت هذه البلاد تعد آنذاك مركز العالم. فكان قد سلم إلى الإله (أنبيلولو) سير النهرين، وإلى (نانا) سير المستنقعات الزاخرة بالأسماك والواقعة جنوبي البلاد، وإلى (نانشه) سير المنطقة البحرية وإلى (إيشكور) نظام الأمطار، وإلى (كولا) مصنع الطابوق وإلى (مشداما) بناية العمارات وإلى (سموقان) الحيوانات البرية، وإلى (دموزي) تربية المواشي وإلى (أتو) قطاع الثياب بكامله وإلى (أرورو) كل ما يهم

نتاج الجنس البشري وإلى (ننموخ) عمل الغاب وهلمّ جرًّا. فالعالم كله حسب هذا التعليم كان يسير بدقة مثل المملكة وحسب النظام الهرمي للسلطة. (بوتيرو 1990: 262).

وقد كان جان بوتيرو موفقاً عند وصف عمل هؤلاء الآلهة بأن كل واحد منهم يعزف بآلته في موضعه في هذه السمفونية الشاملة تحت مخصرة الماسكين بزمام السلطة.

لقد كانت العدالة الأرضية والميزان الأرضي مشتقين من العدالة الإلهية وهذا التناسق المدهش في عمل الآلهة. ولذلك كانت الأخطاء التي ترتكب ضد هذا الناموس وإيذاء الطبيعة التي تحميه وتحت هذا الفهم نمت الأخلاق السومرية بهدوء وطمأنينة وسلام. ولم يعكر صفوها إلّا تدخل الأقوام المجاورين لها والذين كانت تنتابهم غرائز المركزية والتوسع والحكم.

كان السومريون يميزون بين الخطيئة الدينية التي تثير غضب الآلهة وتوصم الضمير ويسمونها (سيبيدا SE. BI. DA) ويفرقونها عن الخطيئة السياسية والأخلاقية التي يسمونها (نام تاك NAM. TAG) التي تعني المعصية المرتكبة ضد قوانين المدينة. (انظر Langdon 532 1958).

وكان السومريون يعتقدون أنّ الخطيئة وجدت مع وجود الإنسان فهو معرض لها دائماً حيث تذكر أحد النصوص السومرية ما يلي:

«إنهم يقولون (أي الحكماء) كلاماً صادقاً:

ما ولد لأم طفل بلا خطيئة قط

وما وجد طفل بلا خطيئة منذ الأزل». (Kramer 1964: 128)

والآلهة فقط هي التي تعرف بهذه الخطايا كاملة. أما الإنسان فيدرك بعضها ولذلك يقع في العقاب لأسباب يجهلها هو وتعرف بها الآلهة. حيث تذكر إحدى التعاويذ السومرية:

«أيها الإله إن أخطائي فادحة وذنوبي كثيرة

الناس صامتون لا يعرفون ماذا جرى

والإنسان (مهما كان) ماذا يعرف

إنه لا يعرف فيما إذا قام بعمل خير أو عمل شرير». (Langdon 1958: 518).

هذا هو الإنسان في العرف السومري إنه إنسان بسيط معرض للخطيئة، وإنسان لا يعرف خطاياه والآلهة عنده هي التي تعرف كل شيء. فإذا ما ارتكب خطيئة (بعلم أو بدون علم) فإنه سيعرض نفسه لعقاب الآلهة لأنه أخلّ بناموسها. وعقاب الآلهة متنوع يبدأ من الأذى البسيط وينتهي بالأمراض والموت. ولكن المخطئ إذا اعترف بخطيئته أمام إلهه فإن عقابه سيخف. وإذا أدّى القرابين لها وإذا بنى معبداً لها فإنه سيخف أو يزول.

ويعتقد أنّ المعبد كان البؤرة التي تلتقي فيها خيوط العدالة سواء كانت إلهية أو ملكية أو عامة. لأنّ المعبد السومري يعد أكبر مؤسسة روحية وأخلاقية وتشريعية، ومن شأن هذه المؤسسة ضبط الحقوق والواجبات للملوك والبشر أمام الآلهة ولم يزاحم القصر المعبد إلّا حين ألّه بعض الملوك الأكديين أنفسهم فأدى ذلك إلى اضطراب هذا العرف السومري المنشأ.

ثانياً: السير المقدسة

لا شك أنّ هناك الكثير من سير عظماء السومريين فقدنا بعضها ولم تدون الأخرى، لكننا نشير إلى أنّ هناك الحكماء السبعة الذين بنوا سومر وظهروا مبكراً في حقبة أريدو، وقد أشارت إليهم ملحمة كلكامش في بدايتها على أنهم الذين وضعوا أسوار أوروك.

الحكماء السبعة هم (أبكالو) وأحياناً يلفظ اسمهم بـ(أفكالو) سومريّاً، ولكن المصطلح الأكدي لهم هو(بلوكو puluku). ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرافين. أما المطلح الأكدي فيعني، حصراً، (مراقبو النجوم) ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) فهي قريبة من بولوكو وكذلك كلمه (الإفك) أي الكذب التي تشير إلى فئة الدجالين من العاملين في قراءة النجوم.

ويطلق على الواحد منهم أيضاً لقب(منتاكو muntaku) ويعطي معنى المستشار ويوحي كذلك بكلمة(المنطق)، فهل هذه الكلمة وهي جزء من الحكمة فهم (المنطقيون)أيضاً؟. وكذللك اسمهم السومري أبكالو apkallu أي الأفكل وتشير إلى جذر سومري أقد أبكال abgal وهناك مصدر يذكر أسماءهم الصريحة كما يلي:

1. آدبا: ومعنى اسمه الحكيم أو العاقل أو العارف وهو كاهن التطهير لمدينة أريدو والذي صعد إلى السماء، وتذكره إحدى القصص الأكدية تفصيليًّا، بحيث إنه كاد يحصل على الطعام وشراب الآلهة فيكون بذلك خالداً لكنه رفض أخذ الطعام والشراب وخسر الخلود، وآدبا شخصية سومرية عاشت في أقدم عصور ما قبل الطوفان. وتختلط شخصيته بشخصية أخرى هي (أوانuan) وهي الشخصية التي ذكرها المؤرخ البابلي برعوشا (berssous) بصيغة (أوانيسoannes)، ولكن أوان أو أوانيس هذا على ما يبدو كائن أسطوري نرى أنه الإله إنكي نفسه وقد أخذ اسمه الأكدي أو البابلي(إيا) وصيغ بصيغه يونانية (إيانيس) بدليل أنّ برعوشا يذكر أنه كان يلبس ملابس سمكة وهو رداء الإله أمكي الذي كان يلبسه رهبانه وكهنته وتذكرهم النصوص المسمارية على أنهم صناع (ummianu) وهي تسميه قد تكون مصدر (أوان). ويتميز آدابا عن بقية الحكماء السبعة في تفرده المرتبط بأسطورة آدم وأسطورة معراجه السماوي ولذلك سنذكره، مفصلاً، في المبحث الرابع الذي يتحدث عن الأبطال الدنيويين.

2. نونبير كال نون كالدم: وهو الحكيم الثاني وكان حكيم أينمركار الذي جلب عشتار من السماء ووضعها في معبدها في أوروك(أي أنا).

3. بيركال نونكال: وهو الحكيم الثالث القالدم من كيش والذي أغضب الإله أدد في السماء، فقام هذا الإله بحبس الأمطار ثلاث سنوات وماتت خلالها النباتات.

4. بيركال أبسو: وهو الحكيم الرابع الآتي من مدينة (أريدو) والذي أغضب الإله إيا أو إنكي في الـ(أبسو).

5. لونانا: وهو الحكيم الخامس الذي طرد التنين (اوشنكالو)من معبد عشتار (انينكار نونا)

أما الاثنان الآخران فيصعب قراءة اسميهما. (انظرreiner:1961:4).



يظهر أبكالو بورادو الأسماك إلى يسار الشجرة المقدسة، مع اثنين من الأسماك البشرية مثل (كولولو(kullulu)

Mermanحورية، وحوريّ (حور عين) Mermaid

https://therealsamizdat. com/tag/sumeria/

ثالثاً: الجماعة الدينية

كانت نفّر(نيبور) عاصمة السومريين الدينية وكانت تجمع حولها الجماعة الدينية السومرية من مختلف المدن. فالإله القومي للسومريين هو (إنليل) وهو إله الهواء الذي يلف الجماعة الدينية حوله بالرغم من وجود آلهة خاصة بالمدن، فالناس يحجون لنيبور كل عام من أجل التبرك بزيارة إنليل ومعبده.

عبادة إنكي وعبادة إنليل

كانت الديانة السومرية تحمل انقساماً واضحاً بين عبادتين متمايزتين في داخلها هما (عبادة إنكي) و(عبادة إنليل).

عبادة إنكي:

نرى أنّ عبادة إنكي نشأت مبكرةً قبل عبادة إنليل، وكانت بدايتها في أريدو في حدود 5000 ق. م، حيث يعتقد أنّ أول معبد كان للإله إنكي (إيا)... وأنه ربما كان قريباً من أحد الأنهار وتحديداً

الفرات. لم يبدأ الانقلاب الذكوريّ في عصر الكالكوليت جذريًّا، بل كان بطيئاً ومتدرجاً اقتربت بداياته من التماهي مع العصر الأمومي في النيوليت.

كان الإله إنكي هو الأقرب للإلهة الأم (نمّو) فهو ابنها ولذلك حين أراد الكهنوت الذكوريّ تعيين إله مركزي للعبادة في ثقافة أريدو (التي سبقت الحضارة السومرية) كان الإله إنكي هو الأكثر قرباً لطبيعة العصر، فهو إله ذكر يحمل مسؤولية الأرض والماء وينحدر من إلهة أم معنية بالأرض بشكل خاص... وهو ابن لها إذ يحمل صفاتها أيضاً.

ولذلك ظهر الإله إنكي كراعٍ للخصب والزراعة والعلوم والفنون والحياة وهو، في الأساطير، خالق الإنسان مع أمه (نمّو) وسليلتها (ننخرساج) التي أصبحت تمثل الأرض بعد أمّها.

ولا شك أنّ كهنة إنكي حملوا على عاتقهم تأسيس أول نواميس الحضارة في أريدو وكان روّادهم يعرفون بـ(أبكالو) وهم الحكماء السبعة الذين تحدثنا عنهم بإسهاب. ولذلك لا بدّ من أن نقول بأن عبادة إنكي هي التي أسست المدن الأولى والمعابد الأولى ومظاهر التحضر الأولى انطلاقاً من (أريدو) حتى شملت جنوب وادي الرافدين ثم وادي الرافدين بأكمله وما حوله، وكانت هذه العبادة تميل للثقافة والمعرفة والفنون.

عبادة إنليل:

جاءت عبادة إنليل لتعبر عن نزعة هوائية تميل إلى السلطة والعنف ونرجح أنها خاضت مع عبادة إنكي صراعاً استمر خلال ثقافة العبيد وانتصرت بعدها كلما اقتربنا من ظهور ثقافة أوروك حتى أصبحت هي الديانة الرسمية في سومر.

تميل عبادة إنليل إلى ذكورية حادة وتبدو وكأنها انقلاب على الذكورية الأولى التي دشنها إنكي، وهكذا تصبح رموز إنكي وما يتعلق بها مطرودة من الحياة الدينية التي تزعمها الإله إنليل وكهنته. فالإلهة الأم أصبحت أقلّ شأناً والسلطة أصبحت أهم من الثقافة والحضارة وبدا إنليل مغتصباً وقويًّا ومركزيًّا.

وهذا ما يفسر ظهور أسطورة خلق الإنسان من الكلمة وليس من الطين والماء، لأنّ الكلمة تنطلق من الفم وهي قرينة الهواء الذي يمثله إنليل. ويفسر أيضاً انتقال مركز الديانة من أريدو إلى

نفّر (حيث مقر إنليل) ومن أريدو إلى أوروك (حيث مقر آن وإيانا وابنته).

ويمكن بدراسة متأنية، معرفة الكم الهائل من الإزاحات والاحتلالات التي أحدثها إنليل ورموزه على وظائف إنكي ورموزه. وهو ما يفسر أنّ صراعاً حادًّا قد نشب بين العبادتين أدّى في نهايته إلى انتصار العبادة الإنليلية.

العبادة الرسمية والعبادة الشعبية

حين انتصرت عبادة إنليل على عبادة إنكي، كان الملوك يجدون في عبادة إنليل مصدراً لقوتهم وزعامتهم فكان التحالف سهلاً وقويًّا بين المؤسستين الدينية والسياسية من خلال عبادة إنليل.

وكان الملك يظهر في سلطته وقوته وكأنه إنليل المحارب القوي. أما الناس فكانوا يميلون إلى إنكي ويمجدون رموزه، وقد وجدوا ضالتهم في ابن إنكي وهو (دموزي) الذي ورث عن أبيه صفات الخصب والتكاثر والفنون والرعي. وكانت لهم في أسطورته مع إنانا نواة أساطير عبادتهم الديموزية هذه... فهي ملهمة الحب والعذاب ومحفزة التكاثر والحب بينهم.

هكذا، إذن، نشأت عبادتان الأولى رسمية هي عبادة إنليل وهي متحالفة مع الملك والبلاط والجيوش والمؤسسة السياسية، والثانية شعبية هي عبادة دموزي التي يحملها الناس في معابدهم وحياتهم اليومية كنوع من العزاء على حفظ النوع واستمرار الحب والخصب في الطبيعة وفيهم.

ورغم هذا الفصل الواضح بين العبادتين لكنَّ كلًّا منهما كان يحمل شيئاً من الآخر بطريقةٍ أو بأخرى لكي يكون هناك نوع من التوازن الذي تفرضه الحركة الطبيعية المتواشجة بين ما هو رسمي وما هو شعبي. فقد حملت العبادة الرسمية اهتماماً بالإله دموزي في عيد رأس السنة السومرية حين كان الملك، في نهاية الاحتفال، يقوم بدور دِموزي والكاهنة العليا تقوم بدور (إنانا) وتبدأ طقوس الزواج المقدس في المعبد المقرر للاحتفال، وكان ذلك يرمز لخصب الكون والإنسان والحيوان والنبات في مستهل السنة الجديدة، وكأنه يشير إلى أنّ أول العام هو أول الخليقة حيث الخصب والتكاثر. ولا شك أنّ هناك مظاهر أخرى من العبادة الديموزية والإنكية تظهر واضحة أو متخفية أو مقموعة داخل العبادة الإنليلية.

أما الديانة الشعبية فلا شك أنّ الناس كانوا يشاركون ملوكهم ودولتهم عبادة الإله إنليل وسلالته بشكل عام. لكن العبادة الشعبية تحمل من يمثل العبادة اللارسمية في داخل أسطورتها المركزية (دِموزي) هي (إنانا) التي كانت ابنة إله القمر المنحدر من إنليل مباشرة فهي بمثابة حفيدة إنليل من سلالته الهوائية.

لقد أشرنا في تحليلنا لأسطورة دِموزي وإنانا إلى أنّ سبب الخلاف والفراق بين دِموزي وإنانا له علاقة بأصليهما، بل إن هناك ما يشير إلى هذا حين تثور إنانا وتطلب من دِموزي أن يعرف مقامها الكبير ومقامه المتواضع.

وقد ورث البابليون الصراع ذاته بين العبادتين الشعبية والرسمية، لكننا في نهاية المطاف نلمح انتصاراً واضحاً للديانة الرسمية واختفاءً تدريجيًّا للديانة الشعبية ورموزها. ويتجلى هذا في بدايته مع الدين الآشوريّ الذي يعيد ترتيب الأوراق من جديد ويجعل من آشور (وهو نظير إنليل) زوجاً لعشتار (وهي نظيرة إنانا) ويختفي تموز من مشهد الميثولوجيا الآشورية إلى حدّ كبير.

وسنلمح هذه التبدلات بقوة أكثر في الديانة الآرامية التي تجعل من حدد بعل وداجون بديلاً نهائيًّا عن تموز وتصبح عشتار الآرامية قرينة لهما...

الصراع الشمسي القمري

اتخذت كل تلك العبادات التي تحدثنا عنها (إنليل وإنكي) (الرسمية والشعبية) طابعاً حاسماً وواضحاً في الصراع الشمسي القمريّ الذي بدأت جذوره في العصر البرونزي بصيغة الهواء والماء (إنليل وإنكي) واتضحت في العصر الحديدي بصيغة النار والتراب (الشمس والقمر) (النور والظلام) وهكذا...

أديان وادي الرافدين، عموماً، خضعت للصراع الشمسي القمريّ، وكانت العقائد الدينية الشمسية في صعودٍ وانتصار متواصلين لكن جذوة العقائد القمرية لم تختفِ وظلت عنيدة حتى عندما جاء آخر ملك بابلي وهو (نبونائيد) الذي تبناها فكانت لحظة صراع حاسمةٍ، حينها استعان كهنة مردوخ (الشمسيون) بقائد شمسي كان يعبد (أهورا مزدا) رمز الشمس وهو (كورش) وتعاونوا على وأد الانتفاضة القمرية الأخيرة ففقد وادي الرافدين دوره الحاسم والكبير في ظهور عقيدة التوحيد بمعناها العميق والمؤثر وانتصرت العقيدة الشمسية الظاهرية وسادت المنطقة بأكملها.

تمثل الصراع الشمسي القمريّ بطرفي النزاع (أوتو) وهو الشمس و(ننار) وهو القمر، وكان ذلك يبدو في إلهين آخرين، أشد وضوحاً هما إنانا ودِموزي، فكانت الغلبة لإنانا والدين الرسمي. ومع ذلك تبنت الدولة السومرية الحديثة (سلالة أور الثالثة) عبادة الإله (ننار) وهو (سين) وكانت أور مركز العبادة الجديدة لكن ذلك لم يمنع قوة العقائد الشمسية ومعها إنليل من الحضور بقوة وإكمال شوطها القوي.

وكانت من علامات الصراع الشمسي القمريّ الرمزية ما يمثل انتصار الشمس برمزها (الأسد) والتي تمثل العقائد الأبوية الذكورية على القمر برمزها (الثور) والتي تمثل العقائد الأمومية الأنثوية.



نقش على إناء من تل أسمر تظهر فيه إنانا وأرشكيكال، وعلى اليمين يهاجم الأسد الثور(2700 ق.م)

http://www. gailallen. com/rel/langkjer/1-03. Html

رابعاً: الباطنيات والأسرار

المسارية والهرمسية والغنوصية

عالجنا في فصول هذا الكتاب باطنيات السحر والعرافة والخيمياء والتنجيم وتفسير الأحلام بشكل مفصل، وهي جزء من الباطنيات الدينية في غالب الأمر رغم نزوعات بعضها غير الدينية.

أما النزعات، وليس المدارس أو التيارات، المسارية والهرمسية والغنوصية فقد كانت جذورها في سومر، ولم تظهر فجأة بسبب تلاقح الفلسفة اليونانية بالشرق وظهور النزعة الهلنسية، كما هو شائع، بل ظهرت المسارية والهرمسية والغنصوية من رحم الديانات الشرقية القديمة... بوجود وعدم وجود تسمياتها هذه.

هذه النزعات الدينية السرية الباطنية كانت تسري تحت القشرة المعلنة للأديان التعددية والتفريدية، وكانت قد ابتكرت نوعاً من التوحيد الباطني الذي كان حكراً على جماعات سريةٍ صغيرة كانت تمارس طقوسها وتعاليمها بحذر شديد.

لا بدّ، أولاً، من عرضها وشرح مبادئها ثم التطرق إلى دورها في صناعة التوحيد وتحويل الأديان المتعددة الآلهة إلى أديان توحيدية، لا بدّ من التطرق إلى الفروق بينها رغم ما يجمعها من عوامل مشتركة، فلطالما تداخلت المسارية والهرمسية والغنوصية وأصبحت شيئاً واحداً لكنها، في حقيقة الأمر، تتمتع باستقلالية تضمن لكلٍّ منها حقلاً منفصلاً ومشتركاً بينها في الوقت نفسه.

الهرمسية هي تعاليم هرمس (الإله أو النبي أو الحكيم) وهذه التعاليم مدونة في مجموعة من النصوص المصرية القديمة واليونانية واللاتينية، لكن أصولها البعيدة تمتد إلى سومر.

أما الغنوصية فسلوك وتيار أشمل يعود في أصوله إلى ديانات وادي الرافدين القديمة وديانات شرقية أخرى، وقد أعيدت صياغة الغنوصية فلسفيًّا قبل القرون الميلادية الأولى كفلسفة هيلنستية، وكانت الغنوصية رحم التوحيد النهائي في العصر الهيلنستي وكانت المسيحية هي الوليد النموذجي لها.

أما المسارية أو(ديانات الأسرار) فقد لعبت دوراً مهمًّا هي الأخرى في تكوين الجانب الطقسي للتوحيد، وعملت على تجسيد فكرة القربان والذبيحة الإلهية.

1. المسارية

المسارية هي عقائد وديانات الأسرار (Mystery) والغموض (Myster) وكانت، في أغلبها، ديانات خلاص، فضلاً عن كونها كانت تضع أحد الآلهة موضوع الاهتمام وتجعله مخلصاً.

وكانت هذه الأديان تعتمد فكريًّا على معتقدات دينية بجعل إله معين محور الخلاص، وكان هذا الإله ينحدر في أغلب الديانات المسارية من الآلهة الزراعية والديانات الزراعية القديمة وهو يحمل عادة ذكرى الإلهة الأم التي دحرتها التقاليد الذكورية في الدين.

إن طقوس وأسرار التموزية وما نتج عنها من عرفان ذوقي في معرفة الآلهة وفي الإنسان الأول ونزول الإنسان إلى الأسفل أو صعوده إلى الأعلى واتصاله بالآلهة... كانت جزءاً من الدين

السومري ذات يوم.

في العصر السومري كانت طقوس تموز تجمع التيارات الثلاثة في شكلها العفوي الذي لم يفصح بعد عن هويته الكاملة والاصطلاحية، فقد كان الإله (دموزي) السومري أصل المسارية التي تقضي بنزوله إلى العالم السفلي وموته الفجائعي في أسطورته الشهيرة مع (إنانا)، وكان أصل طقوس المناحات والندب والأسرار. كما أنه كان يعبر عن الشخصية الأولى لـ(هرمس) التي ظهرت فيما بعد عند كل الشعوب القديمة تقريباً من خلال كونه الوجه الآخر للإله (ننكشزيدا) صاحب الكادكيوس الأفعواني والذي ظهر ملازماً له في العالم الأسفل وفي السماء. وهذا يشير إلى دورته في هذه المستويات الثلاثة (السماء، والأرض، والعالم الأسفل) في دورة تشبه دورة النفس أو الروح في الغنوصية، فضلاً عن كونه إله الخلاص والمنقذ والمنتظر كل عام.

2. الهرمسية

وهناك من يرى أنّ الهرمسية ترجع إلى سومر فالأصل البابلي للهرمسية والذي يقول إن هرمس كان بابليًّا ورحل إلى مصر وبنى الأهرام هو كلام غير دقيق تماماً، لأنّ المقصود ببابل هنا هي سومر، فالأهرام بنيت قبل ظهور بابل وبعد ظهور سومر وتستمد الهرمسية أصولها من عبادة السار السومرية ومن السحر السومري ومن فكرة الأصول التي تكمن في سومر قبل مصر. ونرى أنّ الهرمسية نشأت قبل الطوفان في سومر وأن أحد ملوك ما قبل الطوفان كان بلا شك هو هرمس الذي انتقل تحت هذا الاسم أو غيره إلى مصر ثم انتقل إلى اليونان ثم ظهرت الهرمسية كتيار هيلنسي نشط قبل الميلاد بقرن أو قرنيت... ثم وجدت لها طريقاً في الأديان الموحده الثلاثه (اليهودية والمسيحية والإسلام) تحت مسميات عديدة.

وتُجمع المرويات على أنّ هرمس أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وأول من خاط الثياب ولبسها، وفي صفاته ما يدل على اهتمامه بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب... إلخ وأنه أول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء وغير ذلك كثير.

والحقيقة أننا لا يمكن التوسع، في هذا الكتاب، في البحث عن شخصية هرمس الحقيقية رغم أنّ الأمر يستحق ذلك، لكننا توصلنا في كتابنا (موسوعة الفلك عبر التاريخ) إلى أنّ هرمس هو أحد ملوك قبل الطوفان، خلافاً لكلِّ الآراء المطروحة، وقادتنا المقارنات اللغوية والآثارية على الإله

السومري (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة والسحر في سومر والذي كان يرمز له بإنسان يلبس ملابس سميكة ظهر في زمن أحد ملوك ما قبل الطوفان وهو الملك (أمينون) وأعطى له معارفه وشرائعه، ثم أعطى هذا الملك تلك المعارف والشرائع إلى ملك آخر هو أيفيدوراكوس الذي سبق (أوبار توتو) والذي يشك بأنه نفسه (زيو سورا) أي نوح السومري... ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومري بين (أمينون) و(إيفيدوراكوس) وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من ملوك سومر قبل الطوفان. (الماجدي 2003: 69-70).

ويبدو أنّ هذه الشخصية انتشرت شرقاً وغرباً، ففي مصر ارتبطت باسم الإله (تحوت) وباسم الوزير (أمحوتب) وباسم الفرعون خوفو (حيث كان هرمس يسمى خنوفيس الذي يتطابق مع خوفو) وينسب لهؤلاء بناء الأهرام (لاحظ كلمة هرم لها علاقة بهرمس) وفي بلاد فارس طوبق مع (أبجهد) حفيد آدم الفارسي، وكذلك مع (أهورا مزدا) إله النور الذي يقترب من لفظ (هرمز). وفي اليونان ظهر هرمس بمثابة الرسول الملكي... وهكذا

ويتضح من اطلاعنا على المراجع التي ذكرت هرمس وأهميته أنّ هذه الشخصية تتمتع بأهمية كبيرة في علوم الأقدمين ويعزى لها الكثير من المنجزات. لكننا نشك في أنّ تعاليمه كانت مدونة منه مباشرة، بل تمّ تدوينها في القرون الثلاثة قبل الميلاد في العصر الهيلنستي، في مصر وتحديداً في الإسكندرية. وظهرت هذه المدونات كمرجع أساسي لمدونات أخرى باللغة اليونانية ثم اللاتينية ثم السريانية ثم العربية والعبرية! وكلها نصوص موضوعة على لسان هرمس أو إدريس أو أخنوخ ولكنها ليست بالنصوص الأصلية أبداً... فقد طوى الدهر هرمس ما قبل الطوفان في حدود 3000 ق. م وما النصوص التي كتبت منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلّا نصوص موضوعة على لسانه ومنسوبة إليه.

ولكنها مع ذلك تشير إلى بعض الأسس التي يمكن اعتمادها كمنطلقات أولى للمبادئ الهرمسية التي كانت أشبه بالعلوم أو التعاليم الخفية ثم أصبحت في العصر الهيلنستي أساس الفلسفة الهيلنسية الأفلاطونية الجديدة وأساس الغنوصية.

3. الغنوصية

أما الغنوصية(Gnosticism) التي ترجمت إلى (العرفان) والتي يدّعي أصحابها المعرفة الكاملة لطبيعة الله وصفاته. وهي نوع من العفة العليا والنور الروحي الذي تصل إليه النخبة المصطفاة. والغنوصية كتيار واضح ظهر مع سيمون الساحر، ثم على يد ثلاثة من الفلاسفة الغنصويين الذين عاشوا في أواسط القرن الثاني هم بازيلديس وفالنتينوس ومرقين وركز هؤلاء على حقن الفلسفة بالأساطير وبناء هياكل ميثولوجية داخل العقل الفلسفي. وعلى هذا النحو نرى الغنصوية التي تمخضت من جهه أولى عن خرافات وحكايات أسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي، ومن جهه ثانية عن عبادات وممارسات تطهيرية ترامت أنصابها وآثارها على امتداد الإمبراطورية الرومانية، نراها لا تعقد إلّا صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة. (برهييه310:1982).

وتكاد الغنوصية والهرمسية تشكلان توأماً شرقي المنبع أثارت مياهه حضارتان الأولى جاءت من الأديان التوحيدية، وبشكل خاص اليهودية والمسيحية، والثانية جاءت من الفلسفة اليونانية التي وفدت إلى الشرق مع الإسكندر المقدوني.

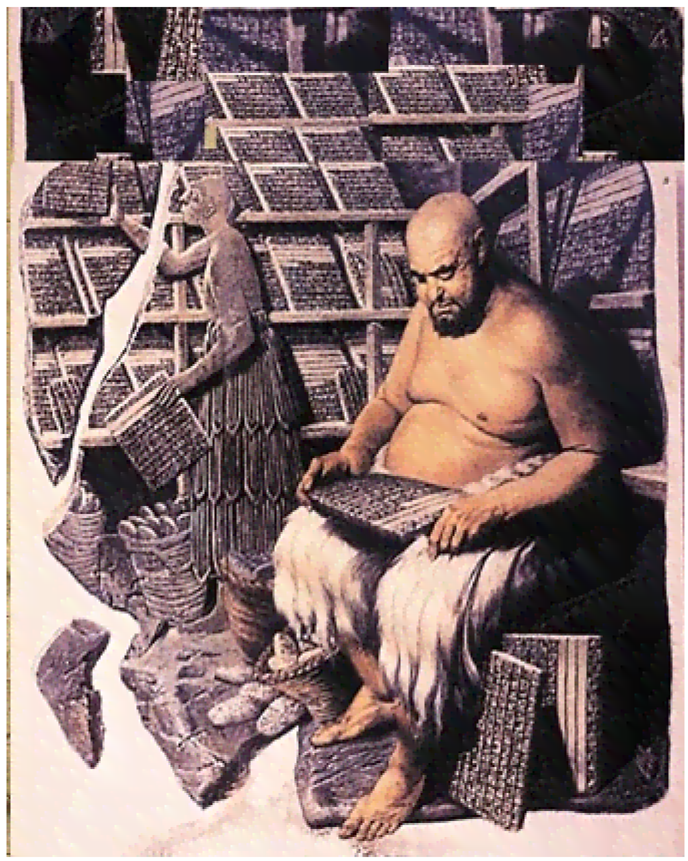
أصبحت المسارية والهرمسية والغنوصية (وكلها تيارت باطنية) هي المنطقة السرية التي نهلت منها الأديان التوحيدية، وحولت من خلالها الأديان المتعددة الآلهة إلى أديانٍ توحيدية، ثم قهرتها وحطمتها وطاردتها وربطت التوحيد بالوحي والسماء وأبعدت جذوره الباطنية وأوهام الناس.

وهكذا تطعمت الأديان الموحدة والفلسفية اليونانية بوشاحي الغنوصية والهرمسية لكن أصولها العميقة تكمن في سومر... وتحديداً في ديانة دموزي الشعبية والتي بدأت بالانحسار والتواري مع مجيء الحضارات السامية، ولكنها كانت تذهب إلى الأعماق باتجاه الأسرار والباطن.

ولعل أقرب الديانات التي ما زالت حية والتي تمثل الغنوض السومري والهرمسية السومرية هي الديانة الصابئية المندائية التي تمثل في جوهرها الدين السومري وفي أسرارها الغنوص السومري وفي هيكلتها البناء الهرمسي السومري.

الفصل العاشر

المظهر الثقافي للحضارة السومرية



دودو الكاتب السومري (رسم حديث عن صورة حقيقية لدودو)

http://xenohistorian. faithweb. com/neareast/ne01. Html

أولاً: اللغة السومرية

تسمى اللغة السومرية عند السومريين (إيمي- جي Eme- Gir) (Eme- ku- ki- en- ge -Eme- ra) وتعني (لسان الأرض)، وهي لغة بدأت تظهر في جنوب وادي الرافدين في الألف الرابع قبل الميلاد مع ظهور السومريين، ولا أحد يعرف أصل هذه اللغة حتى يومنا هذا، لكن هناك جهوداً سابقة للتعرف إلى جذور هذه اللغة من خلال اللغتين التركية والقوقازية باعتبارها تشترك معهما في صفة أساسية وهي أنها لغة إلصاقية Agglutination تتكون من مقاطع (وليس من حروف) وتلتصق المقاطع بعضها مع بعض لتكوّن الكلمات وقد تتكون الكلمة من مقطع أو اثنين أو أكثر. وهذه المقاطع غير قابلة للتصريف. لكن إثبات أنّ اللغة السومرية لها علاقة أكيدة مع هاتين اللغتين ما زال صعباً، رغم أنّ هناك احتمالات جديدة في إعادة مناقشة الأمر، رغم عدم حسم الأمر والإقرار فيما إذا كانت اللغة السومرية تعود إلى فرع لغة الأورال أو الأورال ألطاي التي هي فرع من اللغات التركية، أو أنّ هناك ما يؤكد عودتها إلى اللغات القوقازية أو الروسية.

اللغة السومرية لا تشبه اللغات الهجائية كالعربية لأنّ جملتها مركبة من كلمات مقطعية (وليس من حروف)، كما أنّ أصوات اللغة السومرية حوالي 20 صوتاً منها (16) صوتاً صحيحاً، أما أصوات العلة فأربعة وهي ذاتها حروف العلّة في أية لغة (و، ا، ي، أ) ولا توجد، في السومرية، أصوات للحروف الحلقية والمفخمة مثل (ت، ح، خ، ذ، ز، ش، ص، ظ، ض، ع، غ، ق، ه) وهذا ليس بالقليل فقد افتقرت إلى سعة التناول الصوتي الموجود في اللغات السامية ومنها العربية بشكل خاص.

ولا شك أنّ اللغة السومرية هي لغة بدائية قياساً إلى العربية مثلاً، أو إلى الكثير من اللغات السامية والهندو أوروبية، فهي أقرب إلى اللغة الصينية في افتقارها لذلك العدد الكبير من الأصوات الحلقية والمفخمة، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نميل إلى أنّ السومرية والصينية ترتبطان بعلاقة أصل، وهنا تبرز نظرية الأصل الواحد للسومرية (إيمجي) والصينية (كوَون) من جبال تركستان

في وسط آسيا حيث توجد ثقافة (أناو Anau) التي ما زال الحكم مبكراً على أثرها في نشوء اللغتين أو الحضارتين.

وبغضّ النظر عن أصل اللغة السومرية لا بدّ من القول إنها لغة لا تنتمي إلى أيّ لغة هندو أوربية أو سامية، بل هي أقرب إلى اللغات القوقازية التركية الصينية التي هي لغات مقطعية إلصاقية. ولا بدّ من انتظار بحوث معمقة في هذا الجانب تبين علاقة السومرية بهذه اللغات.

1. ميزات اللغة السومرية

1. لغة إلصاقية مكونة من مقاطع وليس من حروف، عدد مقاطعها حوالي (800) مقطع.

يتمّ تكوين الكلمة من لصق مقطعين أو أكثر مثلاً:

المقطع الأول		المقطع الثاني		الكلمة المكوّنة		
نطقه	معناه	نطقه	معناه	نطقها	معناها الحرفي	معناها المجازي
لو	رجل	جال	كبير	لوكال	الرجل الكبير	الملك
آن	سماء	كي	أرض	إنكي	السماء والأرض	الكون
إي	بيت	جال	كبير	إيجال	البيت الكبير	القصر
دب	لوح طين	سار	كاتب	دبسار	كاتب لوح الطين	الكاتب

2. تتكون الجملة السومرية من جزأين:

1. جملة الاسم: يُذكر الاسم المراد الحديث عنه أولاً

2. جملة الفعل: تذكر السوابق والحشوات والملحقات ثم أخيراً الفعل

أي إن الجملة السومرية تبدأ بالاسم وتنتهي بالفعل وبينهما (سوابق وحشوات وملحقات)

3 اللغة السومرية العامة أو الرئيسة اسمها (إيمي سيسا) ولكن هناك أنواع خاصة داخل اللغة السومرية وهي أقرب إلى اللهجات المتخصصة وقد قسمها السومريون كما يلي:

1. إيمي جال: اللغة الكبيرة وهي اللغة السومرية العامة

2. إيمي سوكود: اللغة العالية

3. إيمي سوخ: اللغة المنتخبة

4. إيمي تبنا: اللغة الشاذة

5. إيمي ملاخ: لغة الملاحين

6. إيمي أودولا: لغة الرعاة

7. إيمي نو إيشا: لغة الكهنة

8. إيمي سال: لغة النساء وهي لغة الأدب التي وصفها الأكديون بأنها لغة العراك أو لغة اللسان السليط (لسان شليطي)، وبعضهم يرى أنّ معناها عكس ذلك تماماً، فهي (اللغة الرقيقة) أي (لسان رقو)، ويبدو أنّ هناك ظروفاً خاصة بنشوء هذه اللغات أو اللهجات داخل نسيج اللغة السومرية العامة (إيمي سيسا) وهي ظروف فرضتها بيئتها أو العمل أو الاستعمال الخاص في مدينة ما وغير ذلك.

4. تتكون اللغة السومرية من حروف صوتية هي كما يلي:

1. حروف العلة وهي (a, e,i,u) وهنا (i) طويلة و(e) طويلة وهناك أنصاف حروف علة (إ) وهو يشبه الياء العربي والـ(U) يشبه الواو العربي.

2. الحروف الشفوية (B. P. M)

3. الحروف الأسنانية (D. T. N. Z. S وحرف S الذي يُنطق بين السين والشين)

4. الحروف الحنكية القصوى (G. K. N)

5. الحروف الحلقية القصوى (H)

6. الحروف الحلقية الأدنى (L. R)

5. تعرف العلماء على نطق اللغة السومرية من معاجم ومفردات اللغة الأكدية التي كانت سائدة في حدود 1850 ق. م وقرؤوا بها النصوص السومرية قبل وبعد هذا التاريخ، ومن المعروف أنّ نطق اللغة السومرية قد تعرض للتغيير عبر تاريخها، ولذلك ما زالت هذه المشكلة قائمة وهي تؤشر إلى خلل نسبيّ في نطق اللغة السومرية.

6. الأفعال في اللغة السومرية لا تختلف عن الأسماء والصفات حيث تفهم من سياقها وموقعها في الجملة، وهناك أفعال تستعمل في حالات وجود الفاعل أو المفعول به في حالة الجمع.

2. مراحل اللغة السومرية

ارتبطت اللغة السومرية بكتابتها، وسنتناول تطور مراحل الكتابة، لكن اللغة كان لها تاريخ قريب من (اللغة...؟)، وقد عاشت اللغة السومرية حوالي 3000 سنة. قسّم الباحثون عدة مراحل لتطورها، وسنذكر هنا، بإيجاز، هذه المراحل معتمدين على ما أورده الدكتور فوزي رشيد في كتابه قواعد اللغة السومرية. (انظر: رشيد 2009: 27 - 31)

1. المرحلة العتيقة (الأركائية) (3000 - 2600) ق. م:

وهي نصوص اقتصادية جاءت من مدينة أوروك (الطبقة الرابعة أو الطبقة الثالثة) ومن جمدت نصر وتل العقير ومن أور وشروباك (تل فارة). وهي باستثناء الأخيرة لا تنفع في بيان قواعد اللغة السومرية.

2. مرحلة العصر الأكدي والكوتي (2350 - 2140) ق. م

وهي مرحلة سلالة أور الثانية التي جاءت منها نصوص سومرية كثيرة جدًّا أغلبها اقتصادية، وبعضها قضائية، وجاءت من لجش التي حكمت قبل أور بقليل نصوص مهمة هي أول النصوص الأدبية المهمة والاقتصادية أيضاً. والنصوص الأدبية في أور معدومة، وقد حصلنا على استنساخاتها في فترة العصر البابلي القديم.

3. مرحلة العهد البابلي القديم المبكر (2020 - 1850) ق. م

حفلت هذه المرحلة باستنساخ عدد كبير من نصوص العهود السابقة وهي، عمليًّا، أغنى مرحلة للنصوص الأدبية بشكل خاص، وضمت المعاجم الأكدية السومرية، فهي المرحلة التي تمثل المصادر الرئيسة لمعرفة اللغة السومرية وقيمها الصوتية.

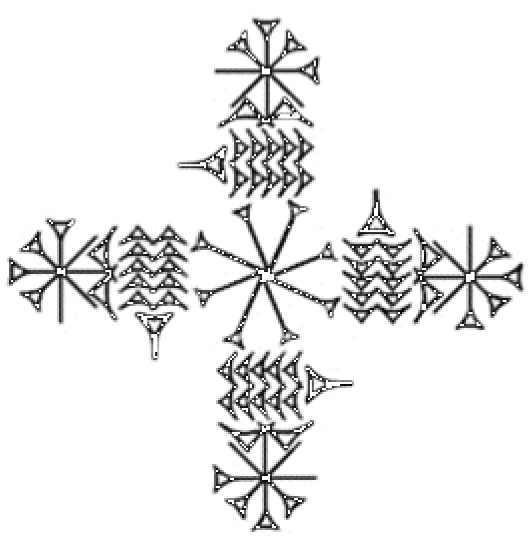
4. مرحلة العهد البابلي القديم المتأخر (1850 - 1600) ق. م

وهي نصوص الكتابات الملكية في مدن (لارسا) و(بابل) وتضم النصوص الاقتصادية والقضائية ونسخاً جديدة للأساطير والملاحم السومرية، واختلفت لغة هذه النصوص عن لغة نصوص المراحل السابقة.

5. مرحلة ما بعد العهد البابلي القديم (1600 - 100) ق. م

وهي النصوص الأدبية العائدة لمرحلة أور الثالثة والعهد البابلي القديم المبكر في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث الإنتاجات الأدبية السومرية المستنسخة ولغتها متأثرة باللغة البابلية وتبدو غير نافعة في تطور اللغة السومرية، وتكمن أهميتها في نسخ الألواح القديمة الأدبية وغيرها من التعاويذ والأمثال والأناشيد والمراثي.

ثانياً: الكتابة المسمارية



أصبح من شبه المؤكد، اليوم، أنّ السومريين هم من اقترح الكتابة المسمارية في حدود 3200 ق. م. والكتابة المسمارية هي كتابة كل حضارات وادي الرافدين القديمة (سومرية، أكدية،

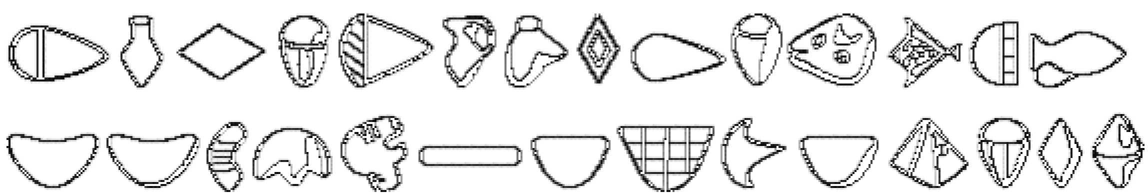
بابلية، آشورية) وهي كتابة ما حول هذه الحضارات من عيلامية وحيثية وهندية وصينية، بل إن مرحلتها الصورية كانت مصدراً للكتابة المصرية والكريتية والبروتوعيلامية... إلخ (راجع كتابنا حضارات ما قبل التاريخ).

1. مراحل الكتابة المسمارية

1. المرحلة الصورية (بكتوغراف Pictograph):

وهي المرحلة التشكيلية حيث الرسم هو منبع الكتابة، فالصور الصغيرة المرسومة على الألواح الطينية كانت تمثل الأشياء، أي إن كل صورة تمثل كلمة. فصورة اليد هي كلمة يد وصورة الخروف هي كلمة الخروف وهكذا.

وهناك نظرية الرموز الطينية التي تقضي بأن سكان وادي الرافدين منذ النيوليت وحتى السومريين استخدموا الكرات الطينية التي كان يرسم عليها صور البضائع والأشياء المتداولة بينهم كنوع من الوصولات الطينية التي كانت بذرة الكتابة:



نماذج من كريات الطين الرمزية **clay tokens**

وقد كان الدافع الاقتصادي الذي كان يديره المعبد وراء هذه العملية، إذ تحتاج عمليات ضبط ممتلكات المعابد من المحصولات النباتية والحيوانية إلى تسجيل، فضلاً عن عمليات بيعها وشرائها. وقد ناقشنا هذه المرحلة مفصلاً في كتابنا (حضارات ما قبل التاريخ) لأنها المرحلة الأخيرة من مراحل ما قبل التاريخ وبها بدأ التاريخ، وكان ذلك بين 3200 - 3000) ق.م. ومن هذه الكريات بدأت الكتابة حيث رسمت رسماً على ألواح الطين لتشير إلى الأشياء المعنية.



رقيم طيني لكتابة صورية (بكتوغراف) سومري مبكر حوالي عام 3100 ق. م

http://whenintime. com/EventDetails. aspx?e=cf1a34b8-6718-4cf3-b6e9-3b58de79b0f7&t=/tl/thecoolest/the_history_of_graphic_designs/

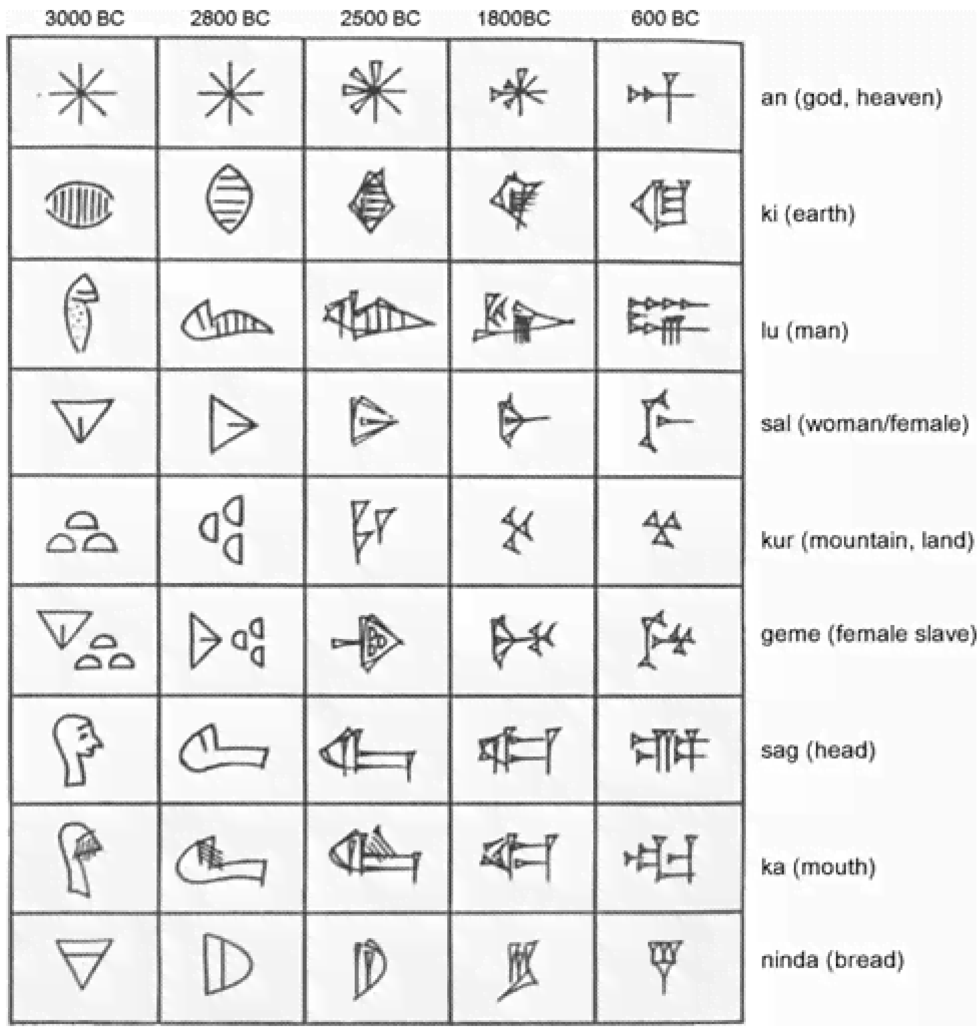


رسوم كريات الطين الرمزية مرسومة على ألواح الطين

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

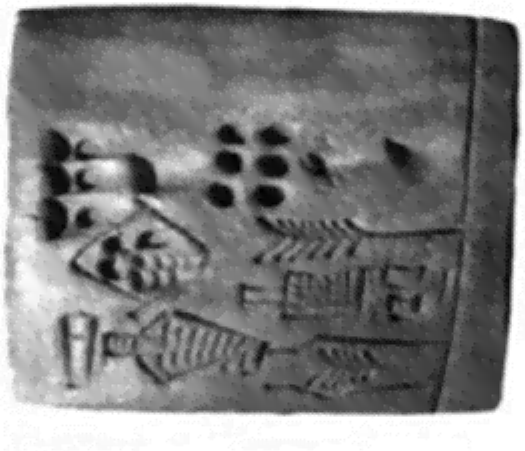
وفي حدود 2800 ق. م بقيت المرحلة الصورية لكن هناك طارئ مهم حصل لهذه الصور وهو أنّ رسمها قد انحرف بزاوية تسعين درجة باتجاه معاكس لحركة عقرب الساعة، فعلى سبيل

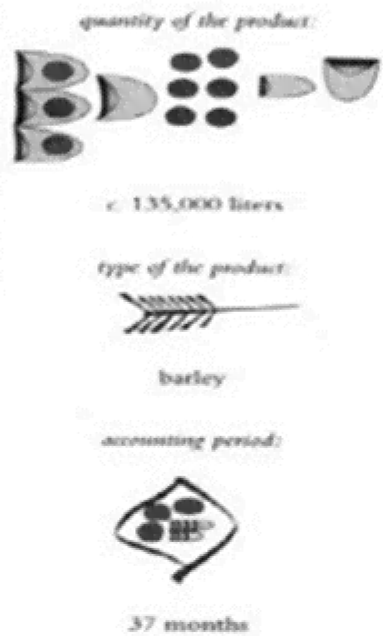
المثال كانت علامة الثور قائمة فأصبحت أفقية وبدت كما لو أنّ صور الأشياء ساقطة على الأرض كما نشاهدها في الجدول المرفق.



Source: http://pandora. cii. wwu. tmHedu/vajda/ling201/writingsystems/sumeriancuneiform.

أما الجمل الصورية فكانت تقريبية وغايتها وصول المعلومة مثل ما نشاهده في هذا الشكل:





جمل صورية

http://www. ling. upenn. edu/courses/Fall_2003/ling001/reading_writing. Html

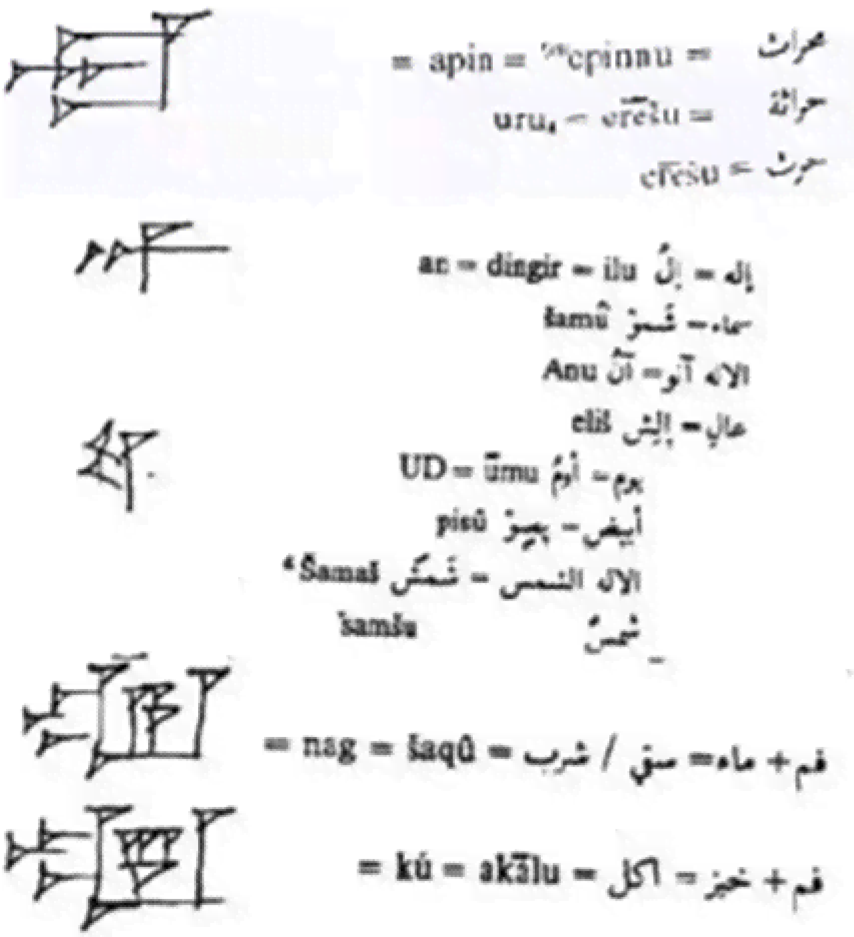
2. المرحلة الرمزية (إيديوغراف Ideograph):

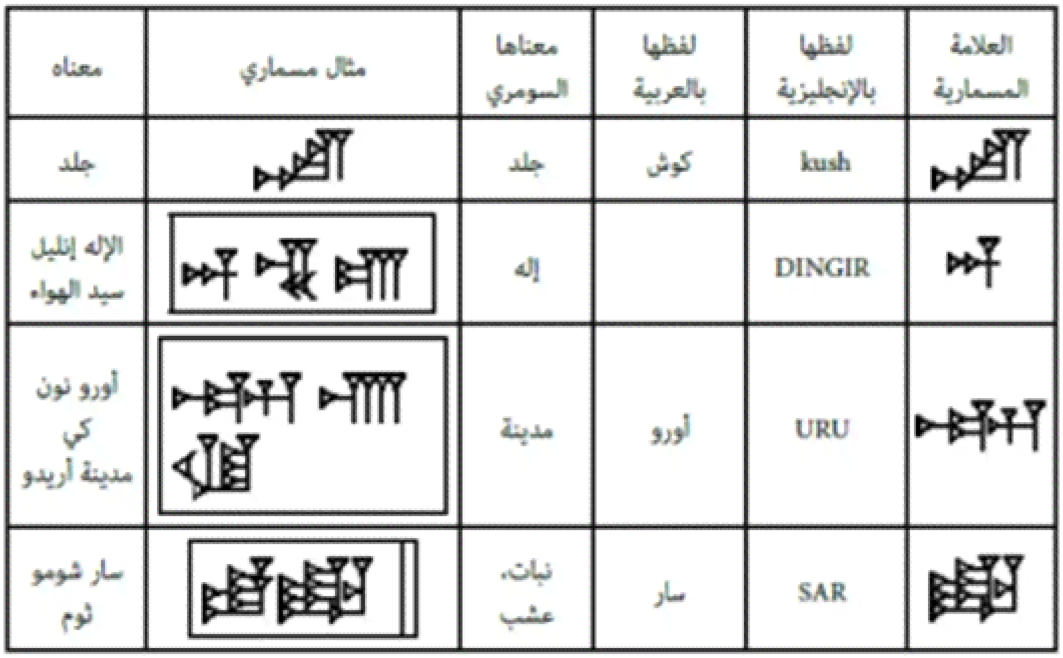
وهي أولى مراحل الكتابة المسمارية السومرية، فقد رسموا بقلم مثلث الرأس تلك الصور وتكونت علامات مسمارية فمثلاً صورة الثور السابقة أصبحت بشكل آخر، وهكذا أصبحت النصوص المسمارية الأولية عبارة عن علامات مسمارية مصفوفة قرب بعضها ولا يمكن أن يتكهن بقواعدها وأصواتها في تلك المرحلة.

ثم تطورت هذه المرحلة لاستيعاب الأفكار والأمور المعنوية، وبدؤوا بدمج علامتين فأكثر، فمثلاً عبروا عن كلمة الشرب برسم صورة الفم وفي داخلها صورة الفم، والمرأة الأمة برسم صورة امرأة أو فرج ومعها صورة الجبل أي البلاد الأجنبية، وهو ما يدل أنّ هذه المرأة أسيرة أو قادمة من بلاد أخرى وهي ليست حرة، بل خادمة، وهكذا...

وهناك طرق أخرى لهذا الأمر حيث أصبحت علامة الشمس المضيئة تعبر عن اللون الأبيض وصورة الليل تعبر عن الأسود، وهكذا بدأت الرموز تتشكل في هذه المرحلة.

التعبير باستنباط معانٍ جانبية من الصورة الأصلية كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معانٍ اشتقاقية مثل (نهار، لامع، ساطع، مشرق، براق، منير، مضيء، دافئ... إلخ) واستخدام العلامة الدالة على القدم للتعبير عن (السير والوقوف... إلخ).

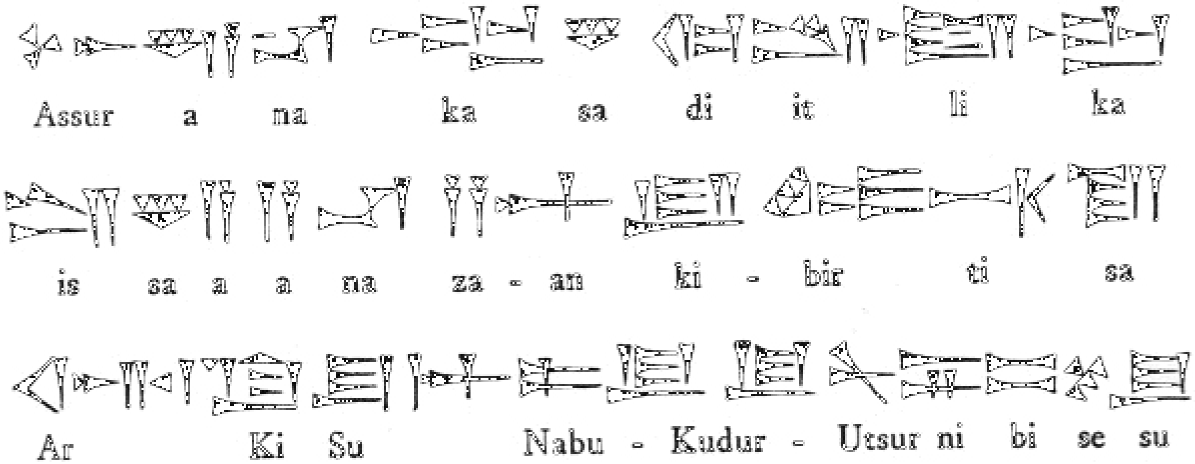




العلامة المسمارية	لفظها بالإنجليزية	لفظها بالعربية	معناها السومري	مثال مسماري	معناه
	kush	كوش	جلد		جلد
	DINGIR		إله		الإله إنليل سيد الهواء
	URU	أورو	مدينة		أورو نون كي مدينة أريدو
	SAR	سار	نبات، عشب		سار شومو ثوم

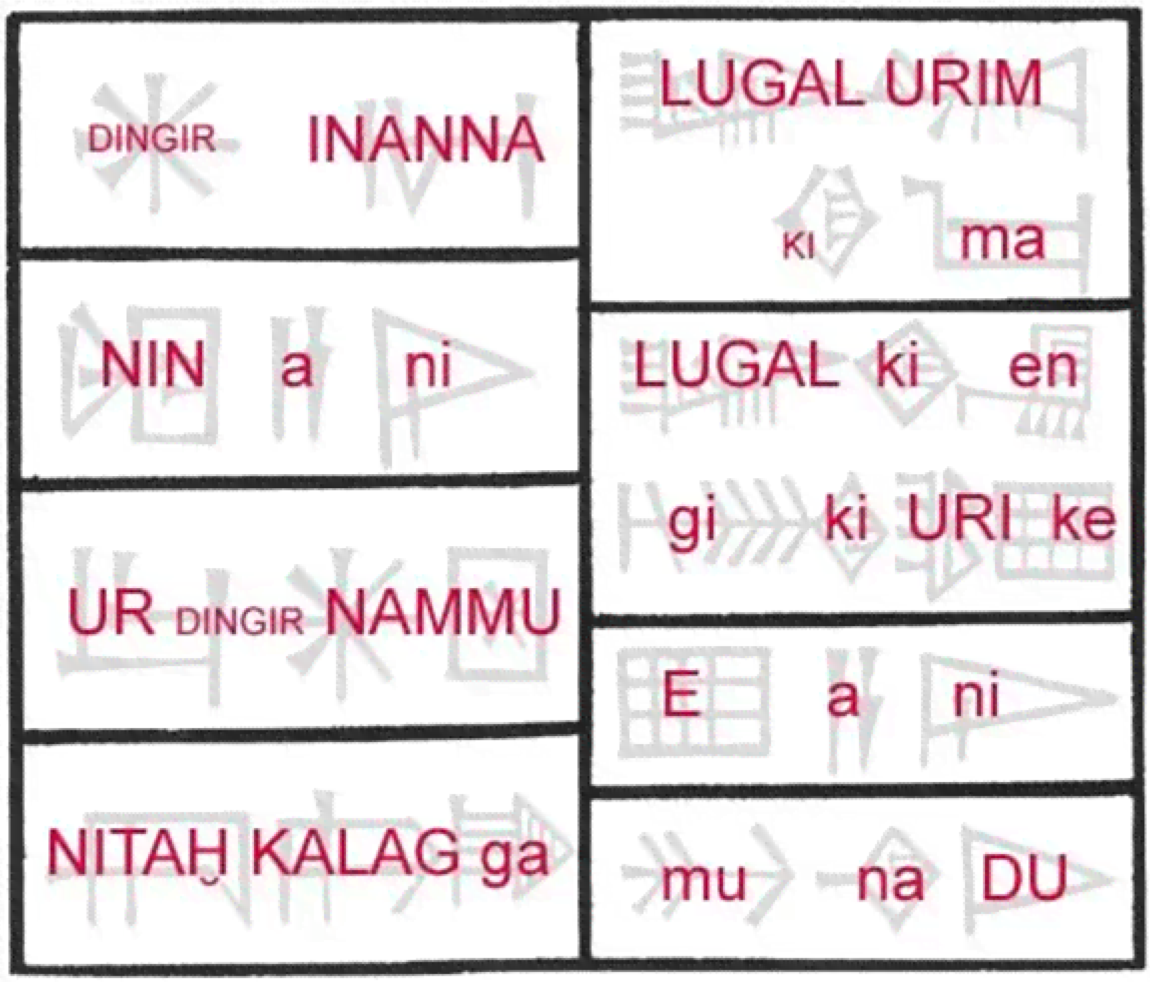
3. المرحلة الصوتية- المقطعية (فونوغراف/ سيلابوغراف - Syllabograph Phonograph):

في هذه المرحلة اهتمّ السومريون بأصوات العلامات المسمارية دون معانيها الموجودة في الصور لأنّ هذه الصور لم تعد تشير للأشياء، بل أصبحت مجرد رموز متفق عليها، ومن أهم الأمثلة على ذلك كلمة حياة التي تلفظ (تي) كتبت بالعلامة نفسها التي يلفظ بها السهم (تي) أي إن لكلمتي (الحياة والسهم) علامة واحدة هي (تي). وقاد هذا إلى تطور آخر وهو أنه يمكن كتابة أسماء الناس عن طريق جمع أكثر من علامة دون أن يعني ذلك جملة لغوية. فشخص اسمه (كيسار)، على سبيل المثال، يكتب بجمع علامتي (كي) أي أرض و(سار) أي خضار مع بعضهما دون أن يعني ذلك أرض الخضار، بل هو اسم كيسار لشخص ما.



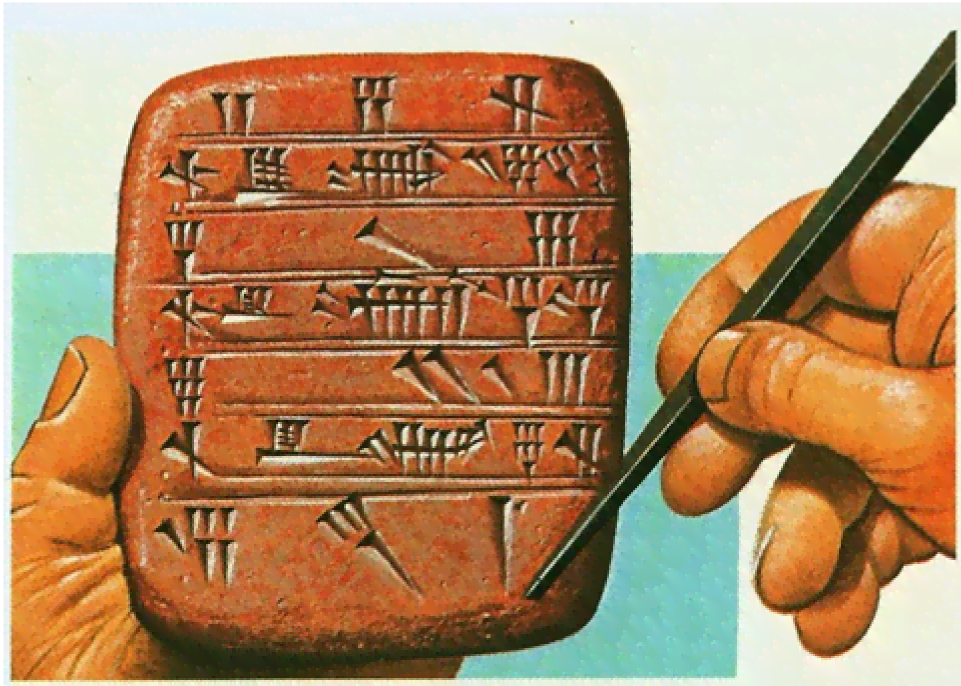
سيلابوغراف

http://www. cyberwitchcraft. com/astrology-historyp1. Html



جدول بطريقة كتابة الأسماء: لاحظ كيف يكتب اسم أورنمّو من ثلاثة مقاطع (أور، إلـهة، نمّو) وهو يعني حرفيًّا (أور مدينة الإلـهة نمّو)

http://rossbender. org/dingirs. html



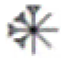
كيفية الكتابة على لوح الطين بالقصبة المثلثة الرأس

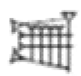
http://anthrocentric. tumblr. com/post/52581087731/worldofmesopotamia-the-cuneiform-script-is-the

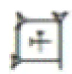
وبسبب كثرة الأشياء والمفاهيم وقلة العلامات فقد أعطى السومريون لبعض العلامات أرقاماً لكي يشيروا إلى لفظها بطريقة معينة... وهكذا.

ومن أهم ابتكارات هذه المرحلة ظهور العلامات الدالة التي كانت توضع قبل الكلمات لتدل على نوعها، فمثلاً توضع علامة الإله (دنكر) قبل ذكر اسم أيّ إله، وتوضع علامة القصب (جي) عندما تكتب أيّ مادة مصنوعة من القصب، أو نضع علامة امرأة (مي) قبل اسم أيّ امرأة وهكذا.

وفي هذا الجدول أهم المقاطع الدالة والتي يكتب أغلبها قبل الكلمات المصنفة، ويرجى ملاحظة أنّ هناك بضعة مقاطع تكتب بعد الكلمات، كما يرجى ملاحظة أنّ لفظ حرف ج يكون بالكاف المعطشة التي ما زال العراقيون يستعملونها في لهجتهم (مثل كام أي قامَ):

ت	المقطع البدئي الدال على:	كتابته بالحروف العربية	كتابته بالحروف اللاتينية	علامته المسمارية
1	الحمار، الحصان	أنس	ance	
2	الإله	د (دنجر)	d	
3	الأواني	دوج	dug	
4	البنايات والغرف	إي	e2	
5	أسماء النساء والمهن النسائية	ف	f	
6	السلع المصنوعة من القصب	جي	gi	
7	الأبقار	جود	gud	
8	الخشب	يك	jic	
9	أسماء الأنهار	إد	id2	
10	بعد مقاييس السطح	إيكو	iku	

11	المواد المصنوعة من الطين	إم	im	
12	الكحوليات	كاك	kac	
13	بعد أسماء الأماكن	كي	ki	
14	الأسماك	كو	ku6	
15	الجبال والبلدان	كور	kur	
16	الجلود	كوك، كوش	kuc	
17	أسماء الرجال والمهن الرجالية	لو	lu2	
18	أسماء الرجال	م	m	
19	المصنوعات الخشبية (بلغة ايميسال)	مو	mu	
20	بعد أسماء الطيور	موسين	mucen	
21	الكواكب	مول	mul	
22	الصخور	نا	na4	
23	الخبز والمعجنات	ننذا	ninda	
24	المواد المضفورة	سا	sa	
25	الخضروات	سار	sar	
26	الخنازير	كاخ	cah2	

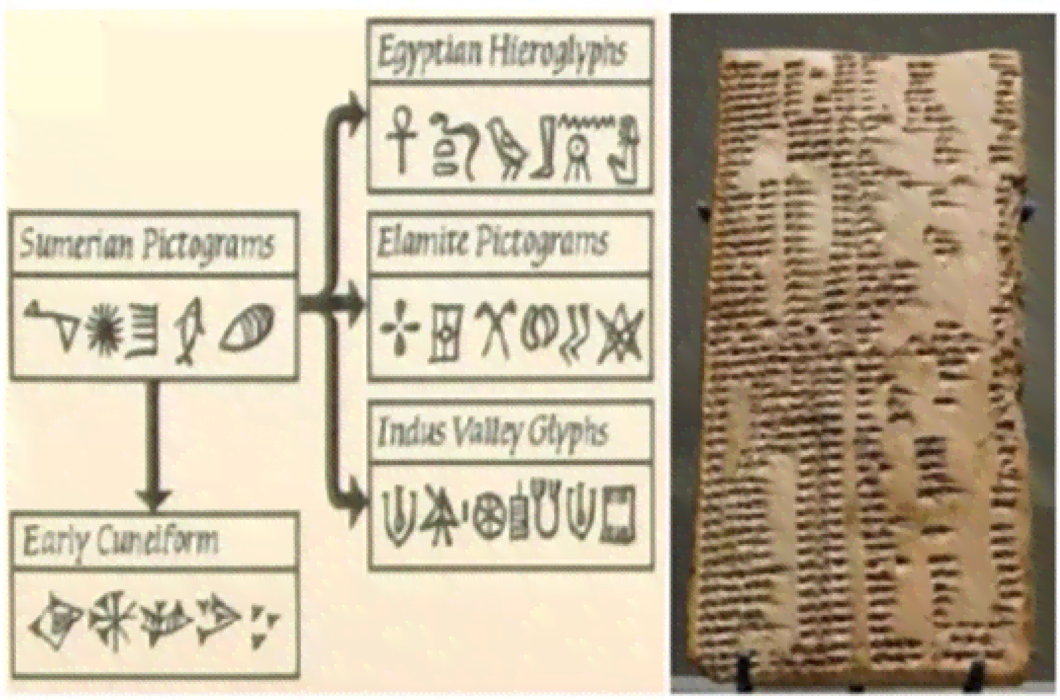
27	الملابس	توج	tug2	
28	الرياح	توم	tum9	
29	النباتات	يو	u2	
30	الأغنام والماعز	أودو	udu	
31	البرونز والنحاس	أورود	urud	
32	أجزاء الجسد	أوزو	uzu	
33	البرونز	زَبار	zabar	

قائمة العلامات الدالة: الجدول من وضع المؤلف استناداً إلى القاموس المسماريّ السومري (sumeriancuneiformdictionary)

كانت العلامات المسمارية في البداية حوالي 2000 علامة، ثم اختصرت في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى 800 علامة، ثم اختصرت بعد قرن ونصف إلى 600 علامة ثم إلى 500 مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

«وفما يخص اتجاه الخط المسماريّ فهو يبدأ من اليسار وينتهي عند اليمين، كما يفضل الكتبة أن تكون سطورهم في الرقم الكبيرة قصيرة لا تمتد على عرض الرقيم، ولذا فهم يسعون في كتابة مثل هذه الرقم إلى أن يقسموها، أولاً، إلى حقول عمودية ليدونوا سطورهم ضمن هذه الحقول». (رشيد 2009: 17).

ويعتبر قاموس أورّاهبولّو أول قاموس في التاريخ يعود لسنة 2300 ق. م اكتشف في إبلا السورية وهو يحتوي على معجم كبير باللغتين السومرية والأكدية كما في الشكل إلى اليمين.



من الكتابة المسمارية العراقية، تفرعت الكتابات القديمة المصرية والعيلامية(الأحوازية) والهندية

http://www. mesopot. com/old/adad5/7. Htm

2. تاريخ اكتشاف الكتابة المسمارية

1621: الرحالة الإيطالي بيترو ديلا فالي: أول من أولى الكتابات المسمارية اهتماماً.

1765: الرحالة الألماني نيبور: استنسخ كتابات مدينة برسي بوليس المسمارية ونشرها.

1798: تايتثن: أوضح دور العلامات المسمارية وأعدادها في تلك الكتابات.

1802: مونتير: قال بأن هذه ثلاثة نصوص وأحدهما هو فارسي.

1802: فردريك جروتنفيد: فك رموز الخط المسماريّ وألقى محاضرة بذلك.

1835: هنري رولنسون: حلّ الرموز الأخرى في الكتابات المسمارية.

1850: أوبرت، تالبوت، مينانت، سهيرادر: وضعوا أسس فك رموز اللغة البابلية والآشورية.

شرادر، ديلج: وضعا قواعد اللغة البابلية والآشورية وقاموساً لها.

لفت انتباهنا ونحن نتصفح في تاريخ اللغة الصينية أنّ هناك حروفاً صينية قد ظهرت في الكتابة اليابانية اسمها (كانجي Kanji) وهذه الكلمة تُذكّر باسم شعب سومر ولغته (كينجي، كينجير)، وكانجي هي طريقة كتابة صينية تستخدم في نظام الكتابة الياباني. يتمّ استخدامها جنباً إلى جنب مع البرامج النصية اليابانية هيراغانا وكاتاكانا. المصطلح الياباني كانجي للأحرف الصينية يعني حرفيًّا «حروف الهان». هو مكتوب بالحروف نفسها في اللغة الصينية للإشارة إلى نظام كتابة الحروف المسمى (هانزي).

جاءت الأحرف الصينية أولاً إلى اليابان على الأختام الرسمية والرسائل والسيوف والعملات والمرايا وغيرها من العناصر الزخرفية المستوردة من الصين. أول مثال معروف لمثل هذا الاستيراد كان ختم الملك نانا الذي قدمه الإمبراطور جوانجو من هان إلى مبعوث ياماتو عام 57 ميلادي، وقد عثر على العملات الصينية المنقوشة بالحروف والعائدة للقرن الميلادي الأول في المواقع الأثرية في فترة ياوي.

في العصور القديمة كانت حروف كانجي ترسم بعناية على ورقة نادرة للغاية على شرائح رقيقة مستطيلة من الخشب. تمّ استخدام هذه الألواح الخشبية للتواصل بين المكاتب الحكومية، وعلامات البضائع المنقولة بين مختلف البلدان، وممارسة الكتابة. أقدم كانجي المكتوبة في اليابان التي اكتشفت حتى الآن كانت مكتوبة بالحبر على الخشب كشريط خشبي يرجع تاريخه إلى القرن السابع. إنه سجل لتداول القماش والملح.

«أقرب استخدام موثق استخدم المسمارية المتطورة من الرموز لكتابة لغته كان استخدامه لكتابة السومرية حوالي 3100 ق. م. اليابانيون في العصر الحديث يستخدمون حروف كانجي الصينية المستعارة من اللغة الصينية (الإيجوجرافية) كأساس لتقليص الكتابة اليابانية، وبالمثل، تستخدم الرموز المقطعية (هيروجاما) اختراعاً يابانيًّا مستقلًّا لتكييف النص الصيني مع هيكل اللغة التي كان كينجي غير مناسب لها». (Helaine 2008: 464)

إشارتنا هذه لا تتضمن تصوراً خاصة للعلاقة بين اللغتين والكتابتين الصينية والسومرية، لكن تشابه الاسمين لفت انتباهنا، وكذلك تشابه شكل كتابة المقاطع في الكتابتين!!

ثالثاً: الأدب السومري

يمكننا القول إن أول أدب بشريّ ظهر في التاريخ هو الأدب السومري وبرغم وفرة نصوصه المحققة والمترجمة الحالية إلّا أنّ هناك مئات الآلاف من الرقم السومرية التي ما زالت تنتظر الفحص والتدقيق والترجمة. ويمكننا القول إن ظهور أقدم نصين أدبيين في سومر والعالم كان حوالي 2600 ق. م وهما نصان من (مدينة شروباك والتي تسمى حاليًّا أبو صلابيخ) وهما:

1. نص شروباك (تعاليم الملك شروباك بن أوبار توتو إلى ابنه الذي سيكون زيوسيدرا بطل الطوفان).

2. نص معبد كيش (ترنيمة أو قداس إلى الإلهة ننتود حول أسطورة خلق رجل وامرأة).

وتأتي أهمية هذا الأدب ليس من أولويته التاريخية فحسب، بل ومن المادة الأدبية والمضامين الكبرى التي عالجها هذا الأدب، فقد تناول المشكلات الكبرى للإنسان كالخلق والموت والمصير والعالم الآخر والحب والجمال والجنس والتفاصيل اليومية وغيرها. وقد كانت هناك أجناس وأنواع أدبية مهمة أتى على ذكرها السومريون كنوعٍ من الاصطلاحات الأدبية والفنية.

يقترب عدد الألواح السومرية المعروفة الخاصة بالأدب من 5000 لوح سومري عثر عليها في مواقع مختلفة إضافة إلى النسخ السومرية التي احتوتها مكتبة آشور بانيبال.

ويرى صموئيل نوح كريمر أنّ هناك ما يقرب من 5000 لوح تضم 20000 بيت شعريّ دوّن عليها الأدب السومري (20 أسطورة و9 ملاحم و100 ترتيلة وأنشودة و20 قصيدة وجدانية و20 مرثية) أي إن مجموعها هو (169) نصًّا أدبيًّا (دينيًّا ودنيويًّا). وهذا هو عددها التقريبي حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، أما الآن فقد تضاعف هذا العدد. لكن كريمر لم يفصّل في تصنيفها الدقيق وذكر تصنيفاً عامًّا لها. ويعني ذلك أنّ أكثر من ضعف النصوص التي حددها كريمر قد أضيف لها منذ ذلك التاريخ الذي أعلن كريمر إحصائيته.

قامت، مؤخراً، جماعة نصوص الأدب السومري (ETCSL) بالنشر على موقعها الإلكتروني (ox. ac. uk .etcsl. orint) ما يقارب من (400) نص أدبي سومري ووضعوا لها تصنيفاً مناسباً.

تكمن أهمية الأدب السومري في عفويته وفطريته وفي أنه يشكل النضح الروحي والجمالي للشعب السومري عبر أزمان طويلة، إذ لم يكتبه شاعر واحد أو مؤلف واحد ولم يكتبه أدباء محترفون، بل دوّنه الكهنة والعارفون بالكتابة من أفواه الناس ومن أغانيهم وصلواتهم وأحزانهم وحكايات لياليهم.

ثم إنه أدب أصيل لم يسبقه أدب قبله، ربما كانت هناك نصوص شفاهية هنا وهناك لكن استقرار وصياغة الأدب السومري عن طريق الكتابة المسمارية التي استقر، هي الأخرى، استخدامها الأدبي بعد ما يقرب من 700 سنة على اختراعها من قبل السومريين أنفسهم لأول مرة في التاريخ، ولذا يختلف هذا الأدب عن الأدب الإغريقي مثلاً الذي كتبه أدباء كبار مثل هوميروس وهسيود والمسرحيون العظام (أسخيلوس وسفوكليس ويوربيدس وأرستوفانس وغيرهم) لأن الأدب، في كثير من الأحيان، يفسد العفوية ويصوغها بتحذلق بلاغي مفتعل، في حين يكون الأدب العفوي حاملاً لبلاغةٍ سرية عميقة ومؤثرة.

انتشر الأدب السومري في محيطه الرافديني أولاً فترجمه وقلّده الأكديون وأضاف له البابليون الكثير. أما الآشوريون فكانوا أقل اهتماماً بالأدب.

ثم انتشر في محيطه الخارجي حيث ترجمه الحيثيون والكنعانيون والآراميون والعبريون، وكذلك ظهر الأدب السومري في مصر وربما كان سبباً هامًّا في ظهور الأدب المصريّ القديم.

ولا نشك مطلقاً أنّ الأدب السومري كان نواة العالم القديم كله فقد تأثرت به، بطريقة أو بأخرى، الآداب الإيرانية والهندية والصينية والإغريقية وهو ما يفسر اللقاءات العامة في بنية الأساطير والملاحم وسياق الأغاني والمراثي لشعوب العالم القديم.

1. تاريخ الأدب السومري

يمكننا تقسيم تاريخ الأدب السومري إلى أربع مراحل أساسية وهي:

1. الأدب السومري القديم (2500-2350)ق. م

وهو الأدب الأول الذي ظهر بعد اختراع الكتابة المسمارية بحوالي ستة أو سبعة قرون حين أصبحت هذه الكتابة قادرة على استيعاب المشاعر والمجردات بعد أن كانت في بدايتها نفعية اقتصادية مباشرة، وينتهي عند استيلاء الأكديين على بلاد وادي الرافدين.

2. الأدب السومري الوسيط (2350 - 2113) ق. م

وهو الأدب الذي ظهر أثناء الحكم الأكدي في المدن السومرية الحاضنة له ويمتد إلى الاحتلال الكوتي ونهايته على يد السومريين وبداية حكم أسرة أور الثالثة، وتمتاز نصوص لجش بأهمية فائقة في هذه المرحلة.

3. الأدب السومري الحديث (2113 - 2006) ق. م

وهو الأدب الذي ظهر خلال ما يقرب من قرن واحد إبان حكم الدولة السومرية الحديثة (أور الثالثة)، وهو أدب غزير.

4. الأدب السومري المتأخر (2006 - 1000) ق. م

ويشمل الأدب السومري الذي كتب بعد سقوط الدولة السومرية الحديثة في 2006 ق. م حيث ظلت بقايا الشعب السومري أو من تأثر به يكتب هذا الأدب.

لا يمكننا من الناحيتين النظرية والعملية ونحن ندرس الأدب الذي خلّفته الأقوام القديمة أن نفصل تماماً بين النصوص الدينية والنصوص الأدبية فهي متداخلة متشابكة، لكننا لا نؤيد الفكرة التي تقول بأن جميع النصوص الأدبية والدينية نشأت وتطورت في المعبد. إن النصوص الدينية الطقسية السومرية والبابلية نشأت وتطورت في المعبد وقام بإشاعتها وترديدها، بين الناس، كهنة متخصصون يطلق عليهم اسم الكالا (Gala). أما النصوص الأدبية فقد نشأت وتطورت في المدرسة وقام بإنشائها وإشاعتها مغنون يطلق عليهم اسم النار (Nar) وهم من المغنين والمغنيات المرتبطين بالموسيقى الدنيوية سواء في القصر أو بين الناس.

أدب النار (الدنيوي)	أدب الكالا (الديني)
2. الأدب الملحمي ملحمة كلكامش، القصص، سير الأبطال والملوك	1. الأدب الأسطوري أساطير (التكوين، العمران، الخراب، الموت)
2. الأدب الحواري البلبال، الأدمندوكا، الجدل	2. الأدب الطقسي نصوص الطقوس الدينية
3. الأدب الغنائي الشعر، المدائح، المراثي، الأضاحي، الغزل	3. الأدب الروحي الصلوات والتراتيل، الأدعية، الأقوال الإلهية الأناشيد،
4. الأدب الأخلاقي 1. الأمثال ححح- 2. نصوص السخرية والفكاهة والحيوان خخخ- 3. الوصايا ددد- 4. نصوص الحكمة	4. الأدب السحري 1. التعاويذ والتمائم والرقى ززز- 2. نصوص التنبؤات والفأل سسس- 3. نصوص الحلم وتفسيره ششش- 4. نصوص الشفاء

يمكننا من الناحية النظرية، ولأجل الدرس فقط، الفصل بين النصوص الدينية عن الأدبية ويساعدنا هذا على وضع تصنيف بسيط للأدب الرافديني القديم استناداً إلى الحقيقة السابقة التي أوضحناها.

وبذلك ينقسم الأدب العراقي القديم (الرافديني) إلى: أدب دنيوي (ناري) يشمل النصوص الأدبية التي لم تكتب لغايات دينية والتي يغلب عليها الطابع الذاتي أو الانفعالي. وهو ما يشكّل في عصرنا الحالي ما نسميه بـ(الأدب) بمعناه الواسع والشامل. وأدب ديني (كالي) يشمل النصوص المرتبطة بغايات عملية طقسية أو تلك التي ترتبط بالآلهة (الأساطير) أو الخوارق الدينية ويغلب عليها الطابع الموضوعي والميتافيزيقي والأسطوري والسحري.

ورغم أننا لا نجد حدوداً قاطعة وفاصلة بين منطقتي هذين النوعين، ورغم أننا استخدمنا كلمتي(كالا ونار) استخداماً اصطلاحيًّا للدرس قد يخرج بهما عن وصفهما الدقيق في التراث العراقي القديم إلّا أننا نجد ضرورة ما لوضع أجناسية معقولة لأدب وادي الرافدين الزاخر والمشتبك النصوص.

1. كالا (الأدب الديني)

أدب الكالا هو كل ما نضح عن الدين بجميع مكوناته الرئيسة (العقيدة، الأسطورة، الطقوس)، وهو بالتالي يجتمع على نواة المقدس الديني وتكون غايته ووظيفته ذات طابع روحي تهدف بالأساس إلى ترسيخ الدين وجعله شغلاً شاغلاً لحياة الفرد أو الجماعة.

إن (المقدس)، الذي يشكّل جوهر أدب الكالا، يظهر دائماً كحقيقةٍ من نظام آخر غير الحقائق الطبيعية. وتستطيع اللغة أن تعبر بسذاجة عن المخيف أو العظيم أو الخيالي أو الغامض، بمصطلحات مستعارة من ميدان طبيعي أو الحياة الروحية الدنيوية للإنسان، بيد أنّ هذه اللغة غير المنطقية ترجع بالفعل إلى عجز الإنسان عن التعبير عن الإله المطلق. (إلياد 1988: 16).

وتمنحنا فكرة المقدس (الديني) في مقابل المدنس (الدنيوي) إمكانية رائعة لتصنيف الأدب وفق الكالا والنار على التوالي.

إن احتفاء النصوص الدينية بالمقدس يعكس تضافر هذه النصوص وكفاحها في سبيل التعبير عن الإله ومظاهره في الزمان والمكان والإنسان والأشياء، فإذا اتبعنا هذا التحليل ورسمنا سياقاً مناظراً لها لوجدنا أنّ النصوص المقدسة تتحدث إما عن الزمان فتكوّن الأسطورة، أو عن المكان فتكوّن الطقس، أو الإنسان فتكوّن الروحانيات، أو الأشياء فتكوّن السحر والعرافة.

وهكذا نرى أنّ النصوص الرافدينية الدينية التي تشكل أدب الكالا يمكن تصنيفها على ضوء ما سبق إلى:

2. الأدب الديني (ال، گالو، قال)

أدب القال أو الكال هو الأدب الديني السومري، ويعني باللغة السومرية الأدب الكبير أو الأدب العظيم ويعني أيضاً أدب القول أو أدب الكلمة أو الأدب الروحي أو الديني.

وينقسم الأدب الديني السومري إلى ما يلي:

1. الأدب الأسطوريّ (الأسطورة)

2. الأدب الطقسي (نصوص الطقوس)

3. الأدب الروحي (الصلوات والتراتيل)

4. الأدب السحريّ (نصوص السحر والعرافة والأحلام والشفاء)

وقد تناولنا أغلب الأدب الديني في الفصل الخاص بالمظهر الديني.

3. الأدب الدنيوي

نار

يبدو لنا الأدب الدنيوي السومري ثريًّا هو الآخر ويكاد ينافس في ثرائه ما كان عليه الأدب الديني، وقد دوّنه الكتاب والنساخ والشعراء وأحياناً كهنة الـ(نار) المهتمين بشؤون القصر والجوانب الدنيوية.

أ. الأدب الملحمي والقصصي

لم تكتشف ملاحم كبرى، حتى يومنا هذا، في بلاد سومر باللغة السومرية ولكن هناك سيَر وقصص بطولية يمكنها أن تكون بمثابة الأدب الملحمي السومري.

يتضح عصر البطولة السومري من بداية ملوك سلالة أوروك الأولى (2800 - 2700) ق.م، ويشكل الملوك الخمسة الأوائل من عصر البطولة السومري وهم كما في قائمة الملوك السومرية:

وينفرد كل واحد من هؤلاء الملوك بقصص وبطولات تشكل في مجملها ملحمة البطولة السومرية الأوروكية تحديداً.

	بطل / ملك أوروك	سنوات حكمه	صفته في ثبت الملوك السومري	زمنه التقريبي ق. م	ملحمته السومرية (أو قصصه)
1	مسكي كاشر(مش-كي-أنج -كاشر) مشكي أنغشير	342	ابن (أوتو) إله الشمس بصفته (إين) وبصفته ملك، ذهب إلى الجبال وذهب إلى البحر واختفى	2900	-
2	أينمركار	420	ابن مسكي كاشر، ملك أنوك، الذي بنى أنوك (أوروك)	2850	1. أينمركار وسيد أرتّا

					2. خضوع سيد أرتّا لأينمركار
3	لوكال بندا	1200	الراعي	2800	1. لوكال بندا وأينمركار 2. لوكال بندا وجبل هرّم
4	دموزي (ديموزيد)	100	السمّاك الذي مدينته كوارا، الذي ألقى القبض بمفرده على أينميبراغيشي حاكم كيش	2750	-
5	كلكامش	126	كان والده (لُلاّ)، ملك كولاب، الذي حارب أكا ملك كيش	2700	6 قصص

1 - ملحمة أينمركار: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين يمكن جمعهما في نص واحد لأنه يخص علاقة أينمركار بمدينة أرتّا.

1. أينمركار وحاكم أرتّا
2. أينمركار يخضع حاكم أرتّا

2 - ملحمة لوكال بندا: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين يمكن جمعهما في نص واحد لأنه يخص سيرة لوكال بندا.

1. لوكال بندا وأينمركار
2. لوكال بندا وجبل هرّم

قصص كلكامش: وهي ست قصص عن كلكامش لا تؤلف ملحمة سومرية بسبب اختلاف موضوعاتها، تظهر ثلاث من هذه القصص في النص البابلي لملحمة كلكامش المعروفة.



كلكامش / نحت بارز، طين مشوي من أوروك/ موجودة في متحف لندن

http://www. uruk-megacity. de/index. php?page_id=6

لا نعرف إذا كانت هناك ملحمة سومرية كاملة عن كلكامش (ربما لم يعثر عليها بعد) فالملحمة المعروفة هي بابلية أكدية اللغة. أما في اللغة السومرية فتوجد ست قصص عن كلكامش.

وهناك قصص أخرى لملوك سبقوا سلالة أوروك مثل (آدابا) و(إيتانا).



كلكامش يصارع الثور

الملاحم السومرية

لكلّ شعب عصر بطولةٍ مميز، وللشعب السومري عصر بطولة يتمثل في أفعال أبطاله، وبشكل خاص ما قامت به أول أسرة سومرية تأريخية هي أسرة أوروك الأولى التي شغل ملوكها الخمسة الأوائل وهم (ميسكيكاثر، أينمركار، لوكال بندا، دموزي صائد السمك، كلكامش) ولكل واحد من هؤلاء سيرة بطولية. لكن ما وصل منها هي شذرات قليلة لثلاثة منهم هم (أينمركار، لوكال بندا، كلكامش) أي لكلكامش وأبيه وجده فقد كانوا أبطال سومر الذين تخلدت أسماؤهم من خلال النصوص الملحمية التي ذكرتهم.

1. ملحمة أينمركار

أولاً أينمركار وسيّد أرتّا: ويمكننا أن نلخصها كما يلي:

1. كان أينمركار حاكماً على مدينة أوروك، وكانت مدينة (أرتّا) تقع شرق أوروك على مسافة بعيدة وتفصلها عنها سبع سلاسل جبلية وتقع فوق قمة جبل مرتفع يصعب الوصول إليها وهي مدينة غنية بالمعادن والأحجار الكريمة التي لا توجد في (أوروك).

تبدأ الملحمة بمديح (أوروك) و(كلاب)، والأخيرة جزء من أوروك وتشيد براعيتها الإلهة (إنانا). والغريب أنّ الملحمة تبدأ بعبارة (فيما مضى) أو (كان يا ما كان في قديم الزمان) ثم تكيل المديح للملك أينمركار الذي هو ابن إله الشمس (أوتو) الذي يطلب من إله الشمس التدخل عند الإلهة إنانا أخته وهي (إلهة الحب والحرب) أن تجعل أهل أرتّا يجلبون المعادن والأحجار الكريمة (الذهب والفضة واللازورد وغيرها) إلى أوروك لكي تبنى معابد أوروك وخصوصاً معبد الأبزو (معبد الإله إنكي) الذي كان يُعبد في مدينة أريدو.

«في سالف الأزمان (كان) السيد الذي اصطفته «إنانا» في

قلبها المقدس،

الذي اختارته «إنانا» من بلاد «شوبا» في قلبها المقدس

إنه «أينمركار» ابن الإله «أوتو»،

ومن أخته ملكة الخير...،

التمس من «إنانّا» المقدسة (مخاطباً إياها)

يا أختاه «إنانا» من أجل «أرك»،

دعي أهل «أرتا» يصوغون الذهب والفضة،

دعيهم يأتون بحجر اللازورد النقي من الصفاح،

اجعليهم يجلبون الأحجار الكريمة وحجر اللازورد النقي

ولارك البلد المقدس...،

«ولبيت «أنشان» حيث تقومين هناك،

«دعيهم يبنون...،

وفي الـ«جيبار» المقدس حيث أقمت مسكنك». (كريمر 1956: 70).

2. تستجيب إنانا وتطلب من أينمركار أن يرسل رسولاً إلى حاكم أرتّا بعد أن يعبر جبال أنشان، لكي يجلب ما أراد إلى أوروك وإلّا فإن مصير أرتّا الخراب، ولذلك على الرسول أن يعيد تلاوة (تعويذة إنكي) أمام الحاكم وهي التعويذة التي توضّح كيف أنهى إنكي العصر الذهبي للإنسان حيث كان يسود فيه سلطان الإله إنليل على الأرض.

3. تتحدث الملحمة عن ثلاث زيارات يقوم بها رسول أينمركار إلى حاكم أرتّا لكن هذا الحاكم يماطل في كل مرة، المرة الأولى حمل له تعويذة إنكي فطلب أن ترسل لأرتّا الغلة مقابل أن يرسل لها المعادن والأحجار الكريمة. والمرة الثانية حمل له الصولجان ليبهره بسلطان أينمركار فطلب أن ترسل أوروك له مبارزاً لا يرتدي الملابس السوداء أو البيضاء أو الصفراء، والمرة الثالثة أرسل له رسالة مكتوبة (وأشارت الملحمة إلى أنّ أينمركار هو من اخترع الكتابة وأول من كتب على ألواح الطين) وحينها أغدق الإله إشكور (إله المطر السومري) على أرتّا بالمطر وتكدّس القمح والفول فيها فزاد هذا الأمر من غرور حاكمها وطلب الذهب والفضة من أوروك.

4. ينخرم النص ولكنا نفهم من نهايته أنّ أرتّا تقوم، أخيراً، بإرسال الذهب واللازورد إلى أوروك وتضعه في ساحة معبد الإلهة إنانا (إي – أنّا). والحقيقة أنّ هذه الملحمة تروي خبر خضوع أرتّا لجزية أوروك بطريقة قصصية شعرية جميلة لا تخلو من بعض الخوارق التي تتميز بها الملاحم عادةً.

هذه الملحمة تتكون من (20) لوحاً وكسرةً وهي محفوظة في متحف الشرق القديم في استانبول وقد قام صموئيل نوح كريمر باستنساخها عام 1946 وترجمها، ثم تلت ترجمته ترجمات أخرى بلغات عديدة لها وللملاحم الأخرى.

وفيما يلي ترجمة لمطلع الملحمة: (اقتباس)

وتُستكمل الملحمة بالنص الثاني الذي يتحدث عن سيد أرتّا الذي أتى بعد حاكمها والذي خضع أيضاً في نهاية الأمر إلى أينمركار كما في الفقرة القادمة.

ثانياً: خضوع سيد أرتّا لأينمركار (أينمركار وأنسوكوشير أنا أو إنسوكشد أنّا)

1. يتمرد حاكم أرتّا المسمى إنسوكوشير أنّا) على أوروك ويرسل إلى ملك أوروك أينمركار رسوله المسمى (آنسجَّريا)، وكان وزير أينمركار اسمه (نامنّا دوما) طالباً منه حمل الإلهة (إنانا) من أوروك إلى أرتّا، فيرد عليه أينمركار بأن تخضع أرتّا لأوروك، وحين يصله الخبر يقوم كاهن أرتّا الذي اسمه (أور جرنونا) بالتبجح أمام سيد أرتّا وأنه سيجبر نهر أوروك ويحتل البلدان من البحر إلى جبال الأرز وحده فيبتهج سيد أرتّا ويجهزه بالذهب والفضة.

2. يصل الكاهن إلى أوروك ويتسلل إلى حظائر الإلهة (ندابا) ويقنع أبقارها وعنزها بأن تحبس اللبن والزبد عن أهل أوروك، فتجفّ موائد أوروك وأصيب الرعاة بكارثة، لكن إله الشمس يتدخل ويفسد خطط كاهن أرتّا بمساعدة من الإلهة الأم (ساج برو).

3. يبتكر كاهن أرتّا عدة طرق ليؤذي بها أهل أوروك ولكن الإلهة ساج برو تتمكن من إحباط خططه كلّها ثم تقوم بقتله ورمي جثته في الفرات.

4. سمع سيد أرتّا ما حصل لكاهن مدينته فأرسل رسولاً إلى أينمركار وأعلن الاستسلام لأوروك والخضوع لأينمركار.



طبعة ختم أسطواني من (شيخ حسن)، ميزوبوتاميا، فترة أوروك الوسطى

طبعة ختم أسطواني من أوروك، فترة أوروك المتأخرة



طبعة ختم أسطواني من سوسه، خوزستان (الأحواز)، فترة أوروك المتأخرة

طبعة ختم أسطواني من سوسه، فترة أوروك المتأخرة، ربما كان له علاقة بكاهن أرتّا

http://armchairprehistory. com/2011/08/10/the-black-haired-sumerian-elite/

2. ملحمة لوكال بندا

تتكون ملحمة لوكال بندا من قصتين أيضاً وتضم كلّ منهما أكثر من 400 سطر.

أولاً: لوكال بندا وأينمركار:

1. تكاد هذه القصة تكمل قصص أينمركار السابقة لأنها تتحدث عن ولده (لوكال بندا) الذي يحب السفر والذي يجد نفسه في رحلة إلى أرض بعيدة اسمها (زابو) دون رغبته ولا يعرف كيف يعود إلى بلاده (أوروك)، فيستعين بطير الصاعقة (إم دوجد) المقرر للمصائر بعد أن يعتني بصغار هذا الطائر الإلهي ويقوم بهداية لوكال بندا إلى بلده بعد أن يعبر بحر (كور) وجباله.

2. وحين يصل إلى بلاده يجد والده أينمركار في محنة صد هجوم أقوام بدوية قادمة من الصحراء هم (مارنو)، ويهب لمساعدة والده بأن يذهب إلى مدينة (أرتّا) حيث تقيم الإلهة (إنانا) هناك ليستعين بها مستغيثاً، ويسافر إلى أرتّا وحده رغم خطورة الطريق ويصل ويعرض الأمر على إنانا.

3. تنصح إنانا بأن يقوم أينمركار باصطياد سمك غريبٍ وأن يصنع أوعية خاصة للماء وأن يبني مساكن لصناع المعادن والأحجار الكريمة في أوروك. فيحمل لوكال بندا هذه النصائح ويعود إلى أوروك.

والحقيقة أنّ بعض ما في هذه النصوص لا يفهم بسبب الخروم الكثيرة فيها والتي تجعل فهم النص متعذراً.

ثانياً: لوكال بندا وجبل هُرُّم

1. يسافر لوكال بندا مع أتباعه إلى جبل هُرُّم حيث يمرض لوكال بندا ويصل إلى الموت فيتركه أتباعه ويواصلون سفرهم بعد أن يتركوا معه متاعاً من الطعام والشراب ويبدو أنّ مرضه كان معدياً.

2. يتوسلُ لوكال بندا إله الشمس أوتو فيعيد له صحته بواسطة (طعام الحياة) و(ماء الحياة) ويعيش في البراري ويصيد الحيوانات ويأكل الأعشاب البرية.

3. يحلم بأن إله الشمس (أوتو) يأمره باصطياد ثور وحشي يقدمه قرباناً لأوتو ويسكب دمه في خندق، وحين أفاق فعل ذلك وقدّم شراباً وطعاماً لبقية الآلهة العظام (آن، إنليل، كي، ننخرساج).

4. نهاية النص تالفة وتختتم بتمجيد آلهة الكواكب الثلاثة (الشمس، القمر، الزهرة) وهي (أوتو، نانا، إنانا).

3. قصص كلكامش الست

1. كلكامش وأرض الأحياء: تدور حول سفر كلكامش إلى أرض الأحياء الخالدين، ليقتل هواوا ويسجل اسمه مع الأبطال الخالدين.

2. كلكامش وثور السماء: تدور حول إرسال الإلهة إنانا ملكة السماء ثور السماء ليدمر أوروك لكن كلكامش يتصدى له مع أنكيدو.

3. إنانا وشجرة الحلبو وكلكامش: تدور حول شجرة الحلبو التي عثرت عليها إنانا وحاولت أن تصنع منها سريراً لها لكنها تفزع لوجود الأفعى في قاعدتها وليليث في وسطها وطائر الزو في أعلاها فيتصدى لهم كلكامش فيهربون فتصنع منها كرسيًّا وسريراً لها، وتهدي لكلكامش فروعاً من جذورها وأغصانها (بكو ومكو) وربما يكونان الطبل وعصا الطبل.

4. كلكامش وأنكيدو والعالم الأسفل: ويبدو أنه استمرار للقصة السابقة حيث تسقط (بكو ومكو) في العالم الأسفل فيهبط أنكيدو في عالم الموت ليعيدهما له ويصف له عالم الموت بعد خروجه منه على شكل شبح.

5. كلكامش وأجا ملك كيش: وهو نص قصصي ذو طابع تاريخي يصف طلب حاكم كيش إلى كلكامش للخضوع لسيادته أو الحرب، فيعرض كلكامش الأمر على مجلس الشيوخ فيخيب أمله لأنهم لا يفضلون الحرب، لكن مجلس الشباب يفضل الحرب فيحاصر أجا أوروك ولكنه يفشل ويتدارك الطرفان الحرب ويعقدان الصلح.

6. موت كلكامش: وهو نصٌّ فريد يصف حال كلكامش في العالم الأسفل ومكانته هناك.

4. أورنمّو في العالم الأسفل

كان أورنمّو المؤسس والباعث لعصر جديد من الحضارة السومرية وقد حكم لمدة 18 عاماً وسط تحديات كبيرة، فتمكن من تأسيس دولة سومرية كبيرة تخطت حدود وادي الرافدين وحلّت محلّ الإمبراطورية الأكدية، ولذلك ينظر إليها المؤرخون بأنها إمبراطورية سومرية ختم السومريون تاريخهم بها، ولعلّ أهم أعماله هي ترميمه لمعبد إنليل في نيبور ومدونته القانونية المهمة، وبناء زقورة أور التي اكتسبت شكلها هذا على أنقاض زقورة أقدم وأبسط ظهرت في عصر فجر السلالات، ومشاريع الريّ الكبيرة في سومر، وحروبه مع اللولوبيين.

«وقد وصل إلينا نحو ثلاثين ترتيلة دينية خصصت لهذا الملك، وقد خوطب فيها بتمجيد كأنه إله من الآلهة، وأنه تحدّر من صلب الآلهة مثل لوكال بندا والإلهة ننسون اللذين كانا أيضاً أبوي

كلكامش، ولذلك دعي (أورنمّو) في إحدى تلك التراتيل بأنه أخو كلكامش». (باقر 2009: 422).

بعد أن توفي الملك «أور – نمو» ذهب إلى «كور»، وهناك أخذ يقدم أولاً الهبات والقرابين إلى سبعة آلهة من آلهة العالم الأسفل، كل في قصره الخاص به. ثم قدم الهدايا بعدئذٍ إلى إلهين، أحدهما «كاتب» العالم الأسفل، ليضمن عونهما له. وأخيراً نجده يصل إلى موضع خاص هيأه له الموظفون الكهنة في «كور» ليكون مسكنه الخاص. وهنا يحييه ويرحب به بعض الموتى لتزول عنه الوحشة. ثم يتصل به البطل الميت «كلكامش» الذي أصبح «قاضياً في العالم الأسفل» ويلقنه ويعلمه القواعد والأصول التي يسير بموجبها أهل تلك المناطق الجهنمية.



أورنمّو واسمه بالمسمارية / من كنوز المتحف العراقي

http://sumerianshakespeare. com/48601. Html

ولكن بعد أن انقضت سبعة أيام ثم «عشرة أيام» صار يسمع بكاء بلاد سومر ونحيبها. وكانت أسوار مدينة «أور» التي تركها ولم يكمل بناءها، وقصره المشيد حديثاً، الذي خلفه بدون تطهير،

وزوجه التي حرم من احتضانها، وطفله الذي لم يعد قادراً على ملاعبته وهو يجلس فوق ركبتيه – كل ذلك أقضّ مضجعه وأقلق راحته في العالم الأسفل. فشرع ينتحب نحيباً مرًّا متواصلاً. (كريمر 1956: 262).

وهذه ترجمة لواحدة من القصص أو الملاحم الصغيرة التي تصف وضع أورنمّو في العالم الأسفل بعد موته (ترجمة مؤلف الكتاب):

أورنمّو في العالم الأسفل

كما لو كان شجرة خشب البقس، وضعوا الفؤوس عنده

كما لو كان شجرة أرزٍ خضراء، اجتُثّت من قصره الذي ينام فيه

وانقطع عن الحبيبة زوجته التي بقيت في القصر بالعاصفة التي أحبتها كزوجة لها.

كان وقته الموعود قد حان، وكان في ريعانه

عندما انتهى كلّ شيء، راح أورنمّو إلى العالم الآخر

قدّم الهدايا إلى البوابين السبعة للعالم الأسفل

وكما الملوك المشاهير الذين ماتوا وكهنة الشفاء والأوماخ والكاهنات

نذر جر الذين ماتوا واختارهم القدر، أعلن مجيء الملك لهذا العالم فحدثت

الضجة هناك، وذبح الملك الخراف والثيران وأعلن عن مأدبةٍ كبيرة له.

الطعام في العالم الأسفل مرٌّ والماءُ مالحٌ

الراعي يعرف شعائر العالم الأسفل ولذلك قدّم له القرابين

قدّم الثيران الصاحيّة والخراف الصاحية

لنرجال، الذي هو إنليل العالم الأسفل، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو الصولجان

والقوس الكبير وجعبة السهام والخنجر المسنون وحقيبة الجلد التي توضع

عند الورك

لكلكامش، ملك العالم الأسفل، في قصره، قدّم الراعي أورنمُو الرمحَ وحقيبة الجلد

التي هي سرج مدعوم برأس الأسد السماوي والصولجان، قدّم

الدرع الملقى على الأرض، السلاح البطولي، فأس المعركة المفعمة بحبها أرشكيكال.

لأرشكيكال، والدة ننازو، في قصرها، قدّم الراعي أورنمّو... المملوء بالزيت

وإنا ساغان المكتمل والثوب الثقيل والملابس المحزّزة الطويلة وعرض الرداء

الملكيّ... قوى العالم الأسفل الإلهية.

لديموزيد، زوج إنانا الحبيب، في قصره، قدّم الراعي أونمّو الأغنام،..... الجبل،

صلوجان الذهب المهيب، اليد المشرقة،... والذهب والفضة واللازورد،

دبوس إلى (دمبكوج).

لنمتار، الذي يرسم كل المصائر، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو الجواهر الطيّعة.

وألقى الخاتم الذهبي،... مثل سفينة، وحجر العقيق الأحمر الذي تضعه الآلهة على صدرها.

لخوشبيساج، زوجة نمتار، في قصرها، قدم الراعي أورنمّو... الصدر، ومقبض

اللازورد الذي فيه... كل ما هو مهم في العالم الأسفل، قفل الفضة

للشعر المزيّن باللازورد ومشط الملابس النسائية

للمحارب الشجاع، ننكشزيدا، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو عربةً بعجلاتها

متألقة مع الذهب، الحمير والخيول الأصيلة... الحمير المرقطة الفخذين، وتابع

وأعطى الراعي لـ(دمبكوج)، الذي يقف إلى جانبه، خاتم اللازورد والدبوس

المتدلي، الذهب والفضة والدبوس برأس الثور الوحشي.

لزوجته، ننازوا، الكاتبة الموقّرة قاطنة (أرالي)، في قصرها، قدّم الراعي أورنمّو

غطاء الرأس مع الأقراط المرمرية، و..... القلم رمز الكاتب، وممساح الخط

اللامع، وقضيب القياس.

لـ...... و......، كبير العالم الأسفل، قدّم......

(خروم...)

بعد أن قدّم الملك، بصورة صحيحة، كل هذه التقدمات

بعد أن قدمها بصورة صحيحة و... جلسَ أورنمّو على المنصة الكبرى في العالم الأسفل

وبنى له مسكناً هناك.

عند قيادة أرشكيكال كلَّ الجنود الذين قُتلوا بالأسلحة وجميع الرجال الذين أذنبوا

أعطتهم لأيدي الملك، أورنمّو كان... مع كلكامش، أخيه الحبيب، قال إنه

سيصدر أحكام العالم الأسفل ويجعل قرارات العالم الأسفل... (ترجم النص عن الإنجليزية المنشور في الموقع http://thingsinthree. blogspot. nl/2014/01/the-death-of-ur--nammu. html)



أور نمّو

.(Baker et. al 2010, SUTER—BASEL:321)

5. ملحمة شولجي

هناك من يرى أنّ هذه ليست بملحمة، بل هي نشيد أو قصيدة للملك السومري شولجي (ابن أورنمّو) وقوامها 600 سطر ويسميها البعض (شولجي المنتقم).

وهي تروي معجزة ولادة وصعود الملك شولجي إلى العرش، ثم قرار الملك بالانتقام لموت والده، أورنمّو، الذي تسبب الكوتيون في موته.

ومن الجدير بالذكر أنّ أورنمّو كان يدّعي بأنه ينحدر من صلب لوكال بندا وأنه بمثابة الأخ لكلكامش، ولذلك كان شولجي يدّعي بأنه ينحدر أيضاً منهما ومن إله الشمس (أوتو).

لقد أرسل إله الأحلام، زكار، إلى شولجي حلماً يعده بالمساعدة في دحر الكوتيين ثم تظهر الملحمة على لسان إنانا التي تبدو عاشقة لشولجي، ثم تختتم بمديح شولجي.

ب. الأدب الحواريّ

يمكن أن يكون الأدب الحواريّ نواةً نظرية للأدب المسرحي، لكن المسرح السومري لم يتحقق في الفنون والآداب الدنيوية، بل تحقق في الآداب الدينية وكان جزءاً من الطقوس وخصوصاً طقوس رأس السنة. ولذلك لا يعدّ مسرحاً بالمعنى المعروف، فهو أقرب إلى الدراما الطقسية الدينية.

والأدب الحواريّ السومري وإن كان يترافق أحياناً مع الموسيقى والتراتيل وفيه مؤدٍّ فرد وكورس لكنه لم يرقَ إلى المسرح (الدنيوي) ويمكن عدّه أدباً حواريًّا وغنائيًّا.

ينقسم الأدب الحواريّ السومري إلى:

بلبال (balbal)

«بَلبَال» كلمة سومرية مؤلَّفةٌ من مقطعَين متشابهَين هما: بال بال. والمقطع الواحد يعني بالسومرية «تغيّر» وهكذا يكون معنى الكلمة كلّها هو «تغيّر تغيّر»، وربّما يعني ذلك «تغيّرات» أو «تبدّلات»، وهو يدلّ على نوع من الشعر الذي كان يُؤدَّى بتبدُّلات أو تغيُّرات لحنيّة وإيقاعيّة عديدة.

ويكون البلبال، في الغالب، حواراً بين شخصَين أو حواراً بين شخص ومجموعة (كورس)، لكنه يمكن أن يكون على لسان شخص واحد، وفي كل الأحوال يجب أن يتضمَّن إعادات متغيِّرة اللحن والأداء.

إن الحوارات أو المونولوغات التي تؤشّر كـ«بلبالات» تحتوي على وهلات (مقاطع) متغيِّرة أو ثابتة حسب طبيعة الشعر وموضوعه. وغالباً ما كانت البلبالات السومرية تدور حول الإلهَين العاشقَين إنانا ودِموزي، أو حول من يُمثِّلهما، الملك والكاهنة العليا، في احتفالات رأس السنة السومرية (زكمك) أو أكيتو لاحقاً، ولذلك فهي تصف لقاءهما الجنسي وهو ما يفسِّر احتواء البلبال، عادةً، على صور وحالات إيروسية مُثقلة بالصور الجنسية الباذخة.

والحقيقة أنّ البَلَبَال هو عبارة عن نشيد تلاوةٍ موقّع بطريقة «الردّات» الغنائية المعروفة حاليًّا في بعض أشكال الأداء الغنائي للتعزيات الحسينية، وهذا هو بالضبط المقصود من التغيّرات فهي (الردّات) المختلفة الإيقاع. ويتّضح هذا عند «الملايات» المنشدات في العزاءات الحسينية حيث تبدأ الواحدة منهن بالترنيم بصوت رخيم ذي طبقة لحنيّة خافتة وتتبعها النساء اللاطمات بخفّة بترديد هذا اللحن بالطبقة نفسها، لكنها سرعان ما تتصاعد بسرعة لحنية عالية وسريعة ويفعلن ذلك مثلها وهكذا... إلخ.

أما ما يحصل في سومر فقد كان مقتصراً، في الغالب، على الصور الإيروسية والعاطفية بين حبيبَين على لسان منشدة وكورس، حيث تؤدّي المنشدة دور إنانا.

ولعلّ أشهر البَلَبَالات السومرية هو بَلَبَال الملك شو سين (1972 - 1964 ق. م) من سلالة أور الثالثة، الذي يأخذ دور دموزي مع الكاهنة العليا كوباتم التي تأخذ دور إنانا وهي تنشد له مع مجموعة من المؤدِّيات هذا البلبال الإيروسي الجميل:

«رَجُلي، رَجُل قلبي

لذَّتكَ طيِّبةٌ كالعسل

فتاي، رجل قلبي

لذَّتكَ طيِّبةٌ كالعسل

أنت سحرتني، كلّي لك

مناي، يا حبيبي، تشيلني لمضجعك

أنت سحرتني، كلّي لك

مناي، يا فتاي، تشيلني لمضجعك

دعني أداعبك يا حلو

وأحصل على عسلك

في مضجعك لمرَّات عديدة

دعني أتمتَّع بحلاوتك

دعني أهبك لمساتي

يا حلو... يا حبيبي

دعني أحصل على عسلك.

أصبحتَ فتنتي يا رجل

كلِّم أمَّكَ لأهبك نفسي

كلِّم أباك ليجلب هداياه

أعرف من أين أهبكَ متعة الجسد

نم عندنا يا حبيبي حتى الصبح

قلبك أعرف كيف أبهجه

نم عندنا يا فتاي حتى الصبح

ولأنك وقعت في حبّي

فلا بدّ أن تلاطفني

يا مولاي ويا ملاكي الحارس

يا شو سين الذي يُفرح قلب إنليل

أنت لي طالما تمنحني مداعبتك الحلوة

ضع يدك على هذا المغطّى

أبوس يدك

ضع يدك عليه كما تضعها على كأس المكيال

ثم أطبقها عليه مثلما تُطبقها على كأس الخشب». (الماجدي 2011: 35).

2. أدمندوكا (أدمن- دو- كا) وتعني حرفيًّا (رجلان – كلام) أي كلام رجلين، وتدل أيضاً على حوار بين طرفين. وهي مقطوعات المناظرات والمفاخرات السومرية بين إنسانين أو حيوانين أو نباتين أو شيئين، وتتكون الأدمندوكا من بنية تكاد تكون ثابتة وهي مكونة من ست حركات أو موضوعات وهي:

1. المقدمة: وهي مقدمة أسطورية عادة.
2. المناظرة بالأهمية الكبرى: وهي مناظرة بين الطرفين وأهميته في نظام الكون والحياة
3. المناظرة بالصفات: والردود عليها من الطرف الآخر.
4. تدخل الإله: لجوء المتناظرين إلى أحد الآلهة ليحكم بينهما.
5. حكم الإله: صدور الحكم من قبل الإله لصالح أحدهما.
6. المصالحة: المصالحة بين الطرفين المتناظرين.

ولعل أهم قطع الأدمندوكا السومرية هي:

1. الصيف والشتاء (إيمش وإينيتن)
2. الراعي والفلاح (دموزي وأنكيدو)
3. الطير والسمك
4. الفأس والمحراث
5. الفضة والبرونز
6. الشجرة والقصبة
7. إلهة القمح والماشية.

أدمندوكا الطير والسمك:

هذه مناظرة بين الطير والسمك في أهوار سومر برعاية إله الأهوار والمياه (إنكي، إيا) وهو نصٌّ موجود في أربع نسخ مشوهة ومكتوب باللغة السومرية في الألف الثاني لما قبل الميلاد ونشره صموئيل نوح كريمر عام 1964، وهذا بعض منه:

«عندما (في الأزمنة القديمة الموغلة في القدم)،

تمّ إقرار مصير ملائمٍ

وعندما وضع (آن وإنليل)

مخططهما المتعلق بالكون

(نوديمود الأمير النبيل (؟))، سيد الذكاء

(إنكي الإله (؟) الذي يقرر) المصائر،

تدخل للتنفيذ

فجمّع مياه جميع المناطق

وزع مواضع الماكن القابلة للسكن!

جلب بيديه المياه المحيية

التي سوف تنتج البذور الفائقة الخصوبة

جلب معه دجلة والفرات

وجعل المياه ترفدهما من كل صوب

نظف أقل الأقنية أهمية

وحتى إنه حفر مجاري الريّ!

نشر إنكي المبجل الحظائر والزرائب

معيِّناً لها الرعاة والبقّارين.

أسس في البلاد، المدن والقرى

وجعل فيها الرؤوس –السوداء تتكاثر:

ولرعايتهم، منحهم مَلِكاً

نصّبه على رأسهم، كأمير لهم

وجعله يشع في كل مكان، مثل

نور لا ينطفئ.

بعد ذلك نظّم أنكي منطقة الأهوار:

جعل أصول القصب العتيقة،

ونبتات القصب الغضّة تنمو فيها،

زوّد المستنقعات والأهوار

بالأسماك والطيور

جاعلاً منها غذاء كل ما هو حي (؟)

وخصّصها (المائدة) للآلهة المتسعة.

بعد أن قام نوديمود، الأمير النبيل

سيد الذكاء،

بتشكيل (.....)

وملأ منابت القصب والمستنقعات

بالأسماك والطيور

عيّن لكل منها مكانه

ولقّن كلًّا منها دوره». (الشواف/2: 1997: 45 - 47)

ج. الأدب الغنائي

1. الشعر الوجداني (سر):

ينتشر الشعر الوجداني بين ثنايا النصوص الكثيرة من الأناشيد والقصائد والقصص وحتى الأساطير.

ولعل أكثر أنواع الشعر الوجداني انتشاراً هو البوح العاطفي، حيث نقرأ في هذين النموذجين مدى العاطفة العالية التي يبثها الشاعر فيهما. وهذه نماذج من الشعر السومري ترجمها الشاعر فضل خلف جبر:

1- أخت لا مثيل لها

فريدتي، الأخت التي لا مثيل لها

الأجمل بين الجميع

تبدو كنجمة الصباح الطالعة

في بداية سنة سعيدة.

جلدها مشرق ناصع البياض

رائعة نظرات عيونها

عذبة كلمات شفتيها

مع ندرة ما تنطق به.

عنق مستقيم، نهد لماع

شعر من اللازورد الحقيقي

ذراعان تزدريان بالذهب

أصابع مثل أفواف اللوتس

أرداف ثقيلة، خصر نحيل،

ساقاها تستعرضان جمالها،

مع كل خطوة تخطوها على الأرض،

تأسر قلبي بنقلاتها.

تجعل أعناق الرجال

تستدير للنظر إليها،

من تعانقه يفعم بالغبطة،

كأنه المقدم بين الرجال!

حين تخطو إلى الخارج

تبدو وكأنها الشمس.

2- أخي يعذب قلبي

أخي يعذب قلبي بصوته

إنه يسلمني للمرض

إنه جار بيت أمي

وأنا لا أستطيع الذهاب إليه

أمي محقة في معاملته هكذا:

«تخلّ عن رؤيتها!»

يؤلم قلبي التفكير به،

إنني ممسوسة بحبه.

في الحقيقة، إنه شخص مغفل

لكنني أشبهه؛

إنه لا يعرف رغبتي بعناقه،

وإلّا فإنه سيكتب لأمي.

أيها الأخ، إنني موعودة لك

من قبل النساء الذهبيات!

تعال إليَّ كي أرى جمالك،

أبي وأمي سيغتبطان!

قومي سيحبونك جميعاً،

سيحبونك، يا أخي!

3- قلبي يخفق بشدة

قلبي يخفق بشدة

حين أفكر بحبي لك؛

إنه يجعلني لا أتصرف بعقل،

إنه يقفز من مكانه.

لا يدعني أرتدي ملابسي،

أو ألف شالي حولي؛

لا أصبغ عيوني،

ولم أتمسح بالزيت حتى.

«لا تنتظري، اذهبي إلى هناك» يقول لي.

كلما فكرت فيه؛

يا قلبي، لا تتصرف بغباء كبير،

لماذا تقوم بدور المغفل؟

اجلس مستقرًّا، وسيأتي الأخ إليك،

ومعه عيون كثيرة أيضاً.

لا تدع الناس يقولون عني:

«امرأة واقعة في الحب»

كن هادئاً حين تفكر به،

يا قلبي، لا تخفق!. (ترجمة: فضل خلف جبر http://www.alnoor.se/article.asp?id=49375)

2. المدائح (أدب)

كثيرة هي المدائح الموجهة للآلهة والملوك والأمراء. وكانت تكتب لهم أو تلقى في حضرتهم في المعابد أو القصور.

ويبدو أنّ كلمة (أدب) العربية مصدرها أدب المدائح السومري، فهل هذا يعني أنّ الأدب العربي القديم كان منبثقاً من فن المديح الذي عجّ به الشعر العربي وما زال. ولا شك أنّ مفهوم الأدب تغير الآن تماماً وأصبح يشمل أجناساً وأنواعاً كثيرة.

ويمكننا اعتبار النشيد الموجه إلى الإله (إنليل) نموذجاً جيداً للمدائح الإلهية وهذه مقاطع منه:

«بدون إنليل الجبل- الكبير

لن تقام المدن ولن تُرفع البيوت،

ولن تُبنى الحظائر ولن تُشيّد الزرائب...

ولن يحمل الفيضان الغمر المبارك...

والبحر، لن يمنح كنوزه السخية!

ولن تأتي أسماك البحر لتضع بيوضها في وسط المستنقع،

ولن توزع طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة!

وفي السماء، لن تفتح الغيوم المحملة بالمطر، ثغراتها!

ولن يُثقل الحصادُ الوفير، الحقول والمروج!

ولن يزيّن بعد ذلك السهوبَ، العشبُ والشجيرات!

وفي البساتين، فإن «أشجار – الجبل» الكثيفة،

لن تحمل ثمارها

ولن تلد البقرات في الزريبة،

وفي الحظيرة لن تضع النعجات حملانها!

والبشرية، هذه الجموع العاجة، لن تستمر في (......)

ولن تسعى الحيوانات المفترسة ورباعيات القوائم

على إطعام صغارها.

ولن تقبل حتى التسافد فيما بينها!

التي لا مرد لها.

فيضيف الشاعر بصددها: إن هي مسّت السماء: فهذا هو الفيض

إذ تتسكبُ من الأعالي الأمطار الغزيرة!

ولئن مسّت الأرض: فهذا هو الرخاء

فمن الأسفل تطفح الثروات

كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحب!

كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء!..». (الشواف 1996: 75 - 76).

3. المراثي (تيكي):

يشكل أدب المراثي أكبر وأعمق أنواع الأدب الغنائي، وقد حفر عميقاً في شخصية الإنسان العراقي منذ سومر وإلى يومنا هذا لكثرة ما تعرضت له بلاد الرافدين من المآسي والحروب والتدمير والنهب والقتل والسلب.

«ويمكن إرجاع المراثي الأولى في سومر إلى فترة حكم الملك أورو- كاجينا إذ ترك لنا أحد النسّاخ المعاصرين له، لائحةً مفصلةً عن تدمير وتدنيس معابد لكش التي أحرقها وسلب محتوياتها ملك مدينة أومّا عدوة لكش، وهذا التعداد، مع ما رافقه من مرارة وألم وخضوع أمام الإرادة الإلهية يمثل الشكل البدائي لما يتمّ تطويره فيما بعد، وخاصة بعد تأسيس سرجون الكبير لإمبراطوريته الأكدية وكذلك بعد اجتياح قبائل الجوتو، مما جعل الشعراء والمنشدين يؤلفون المراثي للتفجع والبكاء على مدنهم ولكنها كانت تنتهي ببارقة ثقةٍ وبأملٍ في مستقبل يحرر ويعيد البناء». (الشواف 1997: 367 - 368).

ويمكن أن يعدّ أدب المراثي أدباً دينيًّا لأنه كان يجري في المعابد. ولعل أهم المراثي السومرية هي:

1. مرثية نفرّ

2. مرثية سومر

3. مرثية أور

وقد تشمل المراثي المعابد أو الأشخاص، ولكن المعروف منها هو مراثي المدن.

ولا بدّ من أن نتوقف، ولو سريعاً، عند مراثي المدن السومرية باعتبارها حاضنة لما يمكن أن نسميه (المسرح الديني السومري) وهو مسرح طقوس دينية وليس مسرحاً دنيويّاً كما عند الإغريق. فقد كان يجري في المعبد ومن قبل كهنة (الكالا) الندّابين ومعهم جوقات من الكهنة.

وهذا ما كنا نؤكد عليه دائماً من أنّ المسرح الشرقي بدءاً من المسرح السومري وانتهاءً بالياباني والهندي قبل القرن الخامس قبل الميلاد لم يكن مسرحاً دنيويًّا، بل كان مسرحاً دينيًّا وهو جزء من الطقوس وليس جزءاً من الفن المسرحي التقليدي.

تشكل هذه الثلاثية السومرية من مراثي (نفر، سومر، أور) نموذجاً للمسرح الديني السومري حيث تظهر فيها ملاحظات المخرج الكاهن وجموع الجوقات المؤدية.

وتشكل (مرثية أور) نموذجاً لهذا المسرح، وهذه مقاطع منها:

النشيد الأول:

(المؤدّون: رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة)

رئيس المجموعة:

1. من حظيرته ولّى وغاب، في حرمه

تنفخ الريح.

2. الثور، من حظيرته ولّى وغاب؛

في حرمه تنفخ الريح.

3. سيد كل البلاد، ولّى وغاب؛

في حرمه تعصف الريح

4. الإله مو –أول- ليل من معبده في نفّر

ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح

سيدة كيش، ولّت وغابت؛ في حرمها

تنفخ الريح.

الإلهة جاشان – ماج، من معبدها في كيش،

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

مولاة إيسين ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة سيدة أرض إيسين، من معبدها

إي –كال- ماج ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح.

سيدة أرض أوروك، ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة جاشان – آنا من معبدها في أوروك

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح. (الشواف 1997: 386 - 387).

4. الفخر (تارو):

انتشر شعر الفخر (المفاخرة) واسمه (تارو) بين الكثير من النصوص والأساطير حيث يظهر الآلهة والملوك والأمراء وهم يتفاخرون بأصلهم ونسبهم.

ها هو دموزي يتفاخر بنسبه عندما حاولت إنانا النيل منه بحديثها المتغطرس عن نسبها وفخرها به:

«لا تباشري النزاع أيتها المرأة الفتية

لنتحدث عن ذلك فقط، أي إنانا!

أبي جدير بالاحترام كمثل أبيكِ:

لنتحدث عن ذلك، أي إنانا!

أمي جديرة بالاحترام كمثل أمكِ:

يا ملكة القصر، فلنتفكر في الأمر!

جيشتينانا أختي، هي أيضاً جديرة

بالاحترام مثل أختك:

فلنتحدث عن ذلك، أي إنانا!

وسيرتور (أمي) لا تقل احتراماً عن نينجال:

يا ملكة القصر: فلنتفكر في ذلك». (الشواف 1996: 119).

وها هو الشاعر في نص مزدوج اللغة (سومري/ أكدي) يتفاخر بعشتار وصفاتها:

«تولّي ملكية مُدُني المقدسة!

(وفي كل مكان تُنصبُ فيه تماثيلي،)

أقيمي (أنت أيضاً (.....) على قاعدة إلهية!

ولتعجز) (جميع آلهة) السماء والأرض

عن تحمّل غضبك عندما تثورين،

ولكن، مثل (أعواد قصب أحنتها) العاصفة

فلينحنوا (جميعهم) أمامك»

«السهم الذي مثل إسفين يثقب القلب والرئة،

(اجعليه) يمرّ دوماً بجلال.

أي عشتار، اجعلي الهجوم والالتحام جسداً لجسد

يتواليان (كحركة) حبل القفز!

ومثل طبل تطرقه عصاه، اجعلي (الجيوش)،

يا سيدة المعارك تتجابه وتتصادم!

يا إلهة جولات القتال، قودي المعركة،

وكأنها مجموعة دمى تحرّكها (يدك)!

أي أنين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة

اجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النرد».

«أي عشتار، عندما مثل إعصار شديد

تحافظين على قساوة التحام المعركة،

عندما، بواسطة الهراوة والبلطة والسيف والحربة،

(تثبتين) تفوق قوتك،

عندما تلبسين درع الغضب،

فينطلق هياج الطوفان!

عندما تعدين الترس ونبال الرمي،

فتهب منطلقة العاصفة!

فليصعق أعداءك سلاحك الرهيب حامل الموت

كما (يصعق) إله النار

أي إنين، عندما تُشهر الأسلحة وتُرفع الشعارات

فلن ينجو منها أحد، عندما ترفعين ساعدك!»

«يا ابنتي، أينما تشائين، (يعود إليك) أمر

إعلاء الشأن أو الإذلال وإقرار التقدم أو التقهقر!

في مكان تقرير المصائر، لن يقف أمامك أيّ عائق

ولتكن أوامرك مماثلة لأوامري!

خلال الأعياد وتقديم الأضاحي والولائم الطقسية،

والصلوات والركعات والابتهالات،

الرجل الذي قدم قرباناً (لتهدئة) إلهه الغاضب،

أو الذي من أجله تتوسط الآلهة،

لن يقبل أيّ إله صلاته، إذا هو لم يسعَ

للأماكن حيث يكسب رضا ألوهيتك».

«في المدينة محط أنظار سومر وأكاد،

حامية (جميع) البلاد

في دور إنكي، أساس جميع الأماكن المسكونة،

حيث يتحقق ارتباط السماء والأرض،

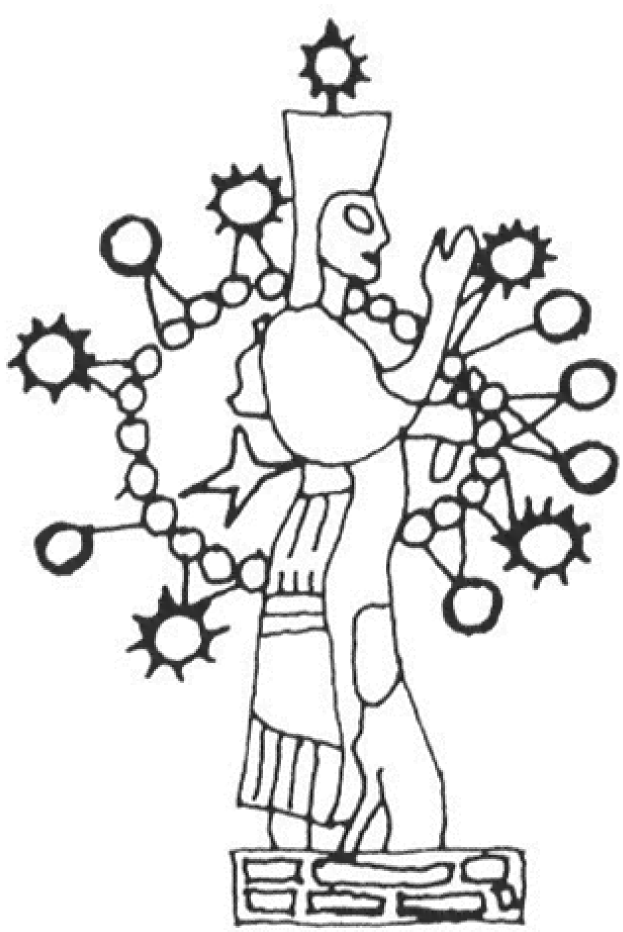
على عرشي الملكي الذي هو من أجل عبادة الآلهة،

قائم على الأرض مثل ثور وحشي

في مقام نفّر، مدينة سلطتي الكليّة

التي تصون البلاد

في حرمي، حيث تسكن الطمأنينة». (الشواف 1999: 290 - 291).



إنانا سيدة النجوم

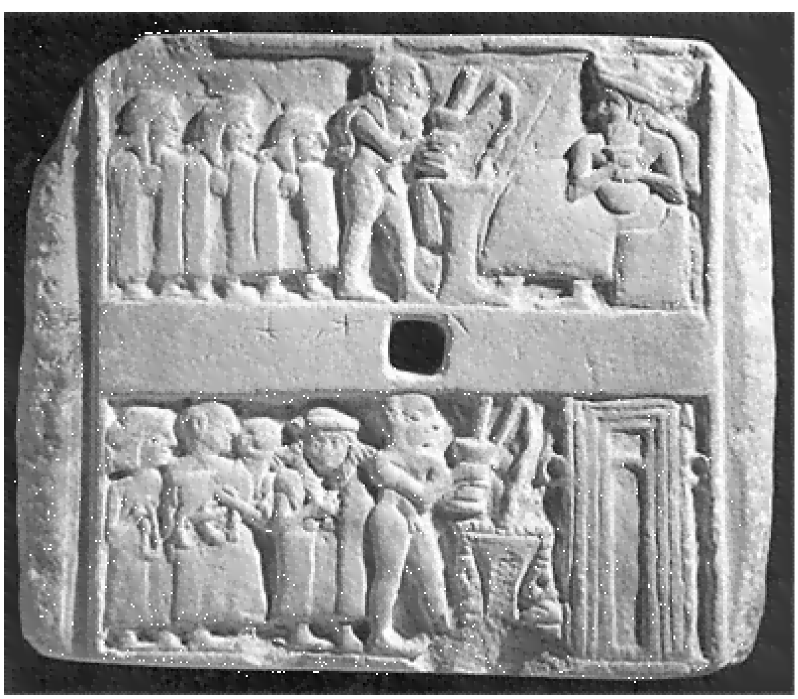
http://gnosticanthrop. narod. ru

5. الغزل:

يحفل الأدب السومري بقصائد الحب والغزل الرائعة، ولعلّه يشكل أول أدب إيروسي في التاريخ. وتكاد قصائد الغزل والحب والجنس المتبادلة بين إنانا ودموزي تشكل جوهر ومركز هذا الأدب.

يمكننا ترتيب هذه الأساطير والقصائد حسب تسلسل المعنى الذي تقدمه، ولذلك نرى أنّ القصيدة الأسطورية التي تدور حول المنافسة بين دموزي (الإله الراعي) وأنكيدو (الإله الفلاح) لخطب ود إنانا يمكن أن تكون فاتحة هذه الأساطير والقصائد.

وتبدأ هذه القطعة حين يخاطب الإله الشمس (أوتو) أخته (إنانا) حول الكتّان الذي بذر بذوره في الأرض، وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي، بعد أن تجلب لي الكتاب من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأجوبة والأسئلة بينهما حتى يقول لها (أوتو) بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله من سينام معها بعد ذلك. فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن أنكيدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان، ثم يتصالحان ويدعو دموزي إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لها هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.



إنانا تستقبل الهدايا

وفي قصيدة أخرى تظهر إنانا وهي تتفاخر بأصلها وتهين دموزي فيقول لها دموزي:

«إنانا كفي عن المساجلة

إن أبي إنكي ليس أدنى محتداً من أبيك نانا

وأمي سرتور ليست أدنى محتداً من أمك ننكال

أختي كشتن أنّا مثل أختك

فلنتفاهم يا مليكة القصر». (الشوك 1992: 51)

ثم يذوب الخلاف بينهما وتطلب منه أن يملأ سطح أرضها وآبارها بالماء وأن يحرث الحجر الذي تلف به جسدها المقدس، ثم تتغزل به وخصوصاً بلحيته اللازوردية.

في قصيدة أخرى وبعد أن تتهيأ أسباب اللقاء كاملة بينهما تختار إنانا دموزي لألوهية البلاد، وهذا يشير إلى تحول هام في وظيفة دموزي، فقد كان إلهاً للرعي والإسطبلات ولكنه أصبح إلهاً لأوروك، وبذلك تحولت مهنته من راعي الأغنام والأبقار إلى راعي الناس وملكهم.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها القمر (نانا) فبعد أن تتزين إنانا بكامل زينتها وتضع عليها الحلي والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على باب حجر اللازورد (باب جيبار) فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج من دموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أمّا أشمو كال أنّا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد – ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب- لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112).

ثم في قصيدة أخرى، تلتمس إنانا موافقة أمها ننكال بعد أن يأتي دموزي إلى بيتها حاملاً هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها، فتبدي إنانا تردداً في قبول مجيئه لكن أمها تحثها على الإذن له بالدخول، ثم تقوم الإلهة إنانا بالتحضير لاستقبال دموزي فتقوم بتزيين جسدها وملابسها وتفتح له الباب وتعانقه.

وهناك قصيدة تصف اللقاء السري بين إنانا ودموزي حيث يختليان سرًّا تحت ضوء القمر، ولأنها إلهة لعوب، فإنها فجأة تحاول التملص منه وتطلب أن تعود إلى البيت خوفاً من أمها!!، لكن دموزي يعرف كيف يتعامل معها فيقول لها (سوف ألقنك كيف تكذب النساء) وينصحها بأن تقول لأمها بأنها كانت تمرح مع صديقتها بالغناء والرقص. وتستمر القصيدة وتتحدث عن جارتها التي تتحدث لمصلحة دموزي أمام أمها، وكيف أنها سوف ترش الأرضية لاستقباله، وكيف أنها قالت بأن دموزي يليق بحضن إنانا المقدس، وتطلق الجارة نبوءتها بأن دموزي سيصبح صهر نانا.

وهناك عدد من قصائد وأناشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي يصل عددها إلى اثنتي عشرة قصيدة تمثل أعذب وأقدم قصائد الحب في التاريخ القديم، وهي ما زالت إلى يومنا هذا محتفظة بعذوبتها وطراوتها وتدور القصائد حول مراحل أو أوجه من الحياة التي يحياها دموزي وإنانا أثناء وبعد الزواج حيث يهيّئ الكهنة (لابسو الكتان) الهيكل ويغسلونه بالماء ثم تدخل إنانا إلى المعبد وتجلس على عرشها أو فراشها المخصّب وبعدها يتقدم دموزي نحوها وتعده إنانا بأنها ستحقق الرفاه للبلاد والناس وسيسود العدل، فيطلب منها دموزي أن توزع الشراب والطعام.



دموزي مانح القوة والحياة للنباتات والحيوانات

**http://www. bibleorigins. net/InannaCedarDatePalmNibruKing.
http://www. bibleorigins. net/inannadumuzipictures.=jpg&ir
html&ig=http://t2. gstatic. co**

وفي معبد إنانا يقوم إله النار (أليجيبيل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ويزينه بحجر اللازورد ويلتمس من إنانا لتبارك دموزي، ثم تقود وزيرة إنانا (ننشوبر) الإله دموزي إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها، وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع.

وفي قصيدة أخرى نتعرف على طقس المضاجعة ونشيد النكاح، حيث تكون إنانا قد استحمت وارتدت ملابسها ثم تعرض نفسها له وتطلب منه مضاجعتها، وما إن يتمّ ذلك حتى يتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو (منيّ) دموزي:

«وبمجرد أن تدفق من حضن الملك (ماء الملك)

فعلى جوانبه انبثقت الزروع، وعلى جوانبه نبت الحب:

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج!

بينما في بيت الحياة، في القصر الملكي،

ركنت قرينته إلى جانبه تملأ قلبها البهجة،

في بيت الحياة، في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة». (الشواف: 1996: 123)



إنانا ودموزي

وهناك قصائد أخرى عن سعادة إنانا وهي نائمة قرب دموزي وعن موسيقى مخضّة الحليب التي تجعل إنانا تتهيج وتفرح. وعن إطفاء القمر والنجوم من قبل إنانا (بعد أن أطفئ القمر والنجوم، وأسحب المزلاج... تعال). وعن الرجل العسل الذي حلقات شعره الجميلة مثل الخس الذي ينمو قرب

الماء، وقصيدة عن صدر إنانا المرتفع وقصيدة عن دخول إنانا إلى حديقة دموزي حيث أنتجت له من خصبها الخضار والحب، وقصيدة يمازح فيها دموزي شقيقته كشتن أنذا حين يشاهدان مسافرات الجداء والحملان، وبلبال (قصيدة حوارية) حول عودة دموزي إلى القصر بعد المضاجعة وأخيراً القصيدة التي نلمح فيها تهديد إنانا لدموزي رغم ما فيها من الغزل والجنس حيث تقول إنانا:

«يا ابن الملوك، أي (أخي يا ذا الوجه الجميل):

لقد أنقذت حياتك، لقد أنقذت حياتك

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة، أي أخي

ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنت الذي لم يستطع العدو بذاته رفع يده ضده،

ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة». (الشواف 1996: 140).

وتُظهر لنا هذه الإشارة معلومة أخرى، إذ يبدو أنّ دموزي كان قد تعرض إلى الموت على يد أعداء خارج أسوار المدينة لكن إنانا أنقذته... ويمكن أن تكون هذه الحادثة سبب حبهما ثم زواجهما، ولكنها بعد حين هجرت دموزي وكأنها قد أفاقت، وكان لا بدّ لدموزي أن يواجه المصير من جديد، وكأنها أجّلت مصيره لتتمتع معه ثم تعيده إلى هذا المصير خصوصاً أنّ من صفات إنانا اللهو والعبث والنـزوة. وهناك إشارة أخرى تظهر في القصيدة نفسها تدل على مضمون آخر:

«يا أخي، أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير

القاسي، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين

ولهذا السبب، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

هذا ما سيكون يا (ملتهم» (؟) النساء، يا أخي». (الشواف 1996: 140).

وهذا سبب إضافي لمصير دموزي المهلك حيث تعترف إنانا أنها كانت السبب في هذا المصير عندما أغوت دموزي بجسدها واندفع دموزي ليمارس معها حبًّا جسديًّا شهوانيًّا على طريقة البشر وكان يجب أن يبقى محافظاً على المستوى الإلهي للعلاقة.

لكننا نتذكر أنّ الآلهة كانت تمارس حبًّا جسديًّا شهوانيًّا (كما في أساطير إنليل وننليل، وإنكي وننخرساج)، ولذلك نرى أنّ هذه الإشارة تحمل في داخلها معنى آخر وهو أنّ إنانا كانت إلهة بينما لم يكن دموزي كذلك.

فهل كان دموزي بشراً..... وهل كان هذا هو سبب موته؟

يمكننا القول إن دموزي كان بشراً ولكنه تأله، فهو إنسان مؤله، في حين ذكرت الأساطير بأنه ابن إنكي، وقد كان الإنسان يوصف أيضاً بأنه ابن إنكي. ولأن إنانا تعرف أصله، فإنها تدعوه لأن لا ينسى ذلك ويمارس الحب معها كما يمارسه الآلهة فيما بينهم، حتى لو أغوته هي ودعته إلى ذلك.

لقد كانت إنانا تريد منه أن يبقى خارج الشهوة، وأن يمارس الحب معها دون مشاعر حسية ملتهبة. كانت تريد أن لا تقع هي في أتون هذا الحب الجسدي العارم... لأنها ببساطة لم تذقه مع الآلهة... بل ذاقته مع دموزي (الإنسان المؤله)... وكان هذا يدفعها للتفكير بعد ممارسة الحب بأن تتخلص من هذا النوع الحقيقي من الحب، والنوع الملموس... وهكذا فكرت بالتخلص من دموزي كما سنرى. ولكنها ندمت إيما ندم بعد ذلك، فقد كادت تموت من البكاء على حبيبها الذي أضاعته في لحظة غضب أو عماء.

إنه لم يدعها تفكر في ألوهيتها عندما كان يمارس الحب معها فهو (ملتهم النساء) كما تصفه، لقد كان ينسيها ألوهيتها التي كانت تجري في عالم المثل لا في عالم الواقع.

د. الأدب الأخلاقي

1. الأمثال:

تنطوي الأمثال السومرية على قيمة حكمية وأخلاقية عالية، فهي نتاج تجربة طويلة عاشها السومري فنضحت على لسان الجماعة السومرية وأصبحت مصدر الأمثال في العالم القديم كله، لكن الجدير بالذكر هو ما تمتاز به الأمثال السومرية من عمق إنساني شامل يتخطى المكان الذي نشأ فيه السومريين جنوب العراق القديم تحديدا.

اكتشفت الأمثال السومرية في العشرينيات من القرن الماضي في نفّر وتعود إلى القرن 18 ق. م ونشرت لأول مرة عام 1930 ثم اكتشفت مجموعات أخرى منها ووصل عددها إلى 12 مجموعة مختلفة يتراوح بعضها بين العشرات إلى المئات من الأمثال:

وفيما يلي بعض الأمثال السومرية التي نثبتها بعد عناوين قصيرة تقدم لها:

* الرجل الفاشل يقول: »ولدت في يوم مشؤوم«

* لكل شيء سببه: هل نرزق الأولاد بدون مضاجعة؟ وهل نسمن دون أن نأكل؟

* الرجل الذي يجلب الشؤوم: إن وضعوك في الماء، تفسده! وإن دخلت بستاناً، أتلفت ثماره!

* بين التبذير والاقتصاد: نحن محكومون بالموت، فلنبذر علّنا أن نعيش طويلاً، فلنوفر.

* عجز الإنسان: الشعير الأول سيكون وافراً؟ أنى لنا أن نعلم؟ الشعير الآخر سيكون وافراً؟ أنى لنا أن نعلم؟

* تعاسة الفقير: إن كان لديه خبز فليس لديه ملح، وإن كان لديه ملح فلا خبز لديه وإن كان لديه لحم فليس لديه خردل، وإن كان لديه خردل فلا لحم لديه!

* الفقراء الصابرون: الفقراء، هم الذين يلوذون بالصمت في سومر.

* الفقير واستحالة التوفير: يقضم الفقير ماله ثم يستدين ليغرق في الهم.

* الفقير والإباء: ليست جميع البيوت الفقيرة متساوية في الخضوع.

* همّ من يملك: الرجل الذي يملك كثيراً من المال هو سعيد بدون شك، والرجل الذي يملك كثيراً من الشعير هو سعيد بدون شك، ولكن الذي لا يملك شيئاً يستطيع النوم.

* الإمكانيات المبددة: أنا حصانُ سباقٍ أصيل ولكنني كُدنَتُ مع بغل كي أجرّ عربة، وأنقلَ رزم القصب والقش.

* المظهر الخارجي: يتودد الجميع للرجل الحسن الهندام.

* الخادم المتعلم: هذا الخادم تعلم حقًّا السومرية.

* الكاتب الماهر: الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة التي يملي فيها عليه الفم هو كاتب جدير بهذا الاسم.

* الكاتب الجاهل: الكاتب الذي لا يتقن السومرية! أيّ كاتب هو إذن؟

* حول الزواج والمرأة: العريس المنتظر لم يأتِ... أمن أجل الرجل المستقر، أم الذي ليس إلّا وهماً سأحفظ حبي؟

* سجن الحياة الزوجية: من لم يقم بتأمين معيشة زوجة وولد لم يحمل قط الحلقة في أنفه

* الزوج الشاكي: زوجتي في المعبد وأمي على ضفاف النهر وأنا هنا أتضور جوعاً.

* المرأة المسرفة: المرأة المسرفة في البيت... تضيف المرض إلى الهموم.

* التفكير بعد الزواج: من أجل اللذة: الزواج... ولدى التفكير: الطلاق.

* الكنة وليست الحماة هي المنتقدة في سومر: القربة في الصحراء هي حياة الرجل، والصندل بؤبؤ عينه، الزوجة مستقبل الرجل، والابن ملاذه، والابنة سلامته... أما الكنة فهي جحيمه. (الشواف 1999: 242-247)

وقد شاع من المثل الأخير عبارة (المرأة مستقبل الرجل) بدلاً من (الزوجة) وأصبحت دالةً على عمق الأدب السومري.

2. أدب السخرية:

عُرف هذا الأدب كثيراً ليشكل تهكماً على بعض العادات والتقاليد التي كانت تأسر المجتمع. وقد جاءت بعض قطع السخرية على لسان الحيوانات، فهذا مقطع من رسالة جاءت على لسان القرد (أوكودلبي) المريض الذي لم يجد نفعاً في المدن العامرة آنذاك حيث كان، بالإضافة إلى مرضه، يكاد يموت من الجوع:

«إلى أمي لودي – لودي

هكذا يقول القرد (أوكو – دل – بي)

إن (أور) مدينة البهجة والمسرّات

و(أريدو) مدينة الرخاء

ولكنني مع ذلك أجلسُ وراء باب قاعة الموسيقى آكل الفضلات

فعساني لا أهلك من الجوع

لم أذق طعم الخبز والجعة

فابعثي برسول منكِ على عجل». (علي 1985: 378).

3. قصص الحيوان:

حفل الأدب السومري بالكثير من قصص الحيوان، إما للسخرية أو لتوضيح حكمةٍ عميقة، فقد لجأ الخيال السومري إلى الحيوان قبل حكايات إيسوب الإغريقي وحكايات كليلة ودمنة الفارسية. وقد جمع منها المؤرخون والمختصون عدداً كبيراً ومنها الفأر والنمس، الكلب والنمس، البعوضة والفيل، الحصان والأتان، الكاهن والأسد وغيرها.

ومن طرائف قصة الثعلب والبحر نجد:

«بال ثعلبٌ مرةً في البحر، فنظر إلى البحر وقال متعجباً متباهياً: أكلُّ هذا البحر من بولي». (باقر 1976: 182)

ولا شك أنّ قصص الحيوان في مغامرة لوكال بندا وهو (أب) أو (جد) كلكامش فيها طرافة وحكمة هي الأخرى حيث يلعب طائر إمدوجد دوراً واضحاً في حياة لوكال بندا.

4. التربية والتعليم:

ظهرت نصوص تربوية وتعليمية كثيرة في التراث السومري، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالمدرسة (بيت الألواح – إيدبّا-) حيث توصف طبيعة التعليم ومراحله وتخصصاته والأمور الروتينية في هذا المجال. لكن ما يلفت الانتباه هو ما وجدناه في نص يتحدث عن الحياة اليومية لتلميذ مبتدئ:

«أين ذهبت أيها التلميذ، منذ نعومة أظفارك؟

- ذهبت إلى بيت – اللوحات

- وماذا فعلت في بيت – اللوحات؟

- استظهرتُ لوحتي. تناولت طعام الفطور،

أعددتُ لوحة جديدة، ملأتها بالكتابة

وأنهيتها، ثم حدد ما عليّ استظهاره.

أعطيت تمريناً جديداً على الكتابة.

وبنهاية الفصل، عدت إلى بيتي، حيث وجدت أبي

جالساً. حدّثت أبي عن تمرين الكتابة،

ثم تلوت عليه لوحتي فامتلأ قلبه بهجة (...)

بعد تلاوة لوحته لأبيه، يتوجه إلى أمه أو إلى الخادمة:

«أنا عطشان، أعطني ما أشربه

أنا جائع، أعطني ما آكله

أغسلي لي رجليّ، أعدّي فراشي،

أريد أن أنام.

أيقظيني باكراً في الصباح

يجب ألّا أصل متأخراً إلى المدرسة

وإلّا فالمعلم الكبير سوف يعاقبني». (الشواف 1999: 309-310).

5. الوصايا:

الوصايا أدب أخلاقي أيضاً يتضمن النصائح والإرشادات التي يقدمها شخص أكثر حكمة أو عمراً أو منزلة لشخص آخر. وفي النص الآتي نصائح رجل لولده:

«كن رجلاً يا بني، لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة،

ولا تتسكع في الشوارع وعلى الجادات.

عندما تسير في الشارع، لا تنظر إلى ما حولك.

كن متواضعاً وأرِ مناظرك بأنك ترهبه.

إذا ما أظهرت له رهبةً، يرضى عنك.

(......)

هل ستصل إلى النجاح، لو أنك تتسكع

في الحدائق العامة؟

تمثل بالأجيال السابقة. واظب على بيت – اللوحات

لكي تستفيد منه

تمثل بالأجيال السابقة، استعلم عنها

لقد استجوبت من هم حولي، وقارنت بين الأبناء

فلم أجد بينهم أيّ واحد مثلك.

ما أنقله إليك، يحوّل المجنون إلى عاقل.

ويشل حركة ثعبان كما يفعل السحر،

ويحول دون تصديقك الكلمات الكاذبة.

ولأن قلبي بسببك ملأه اليأس،

ابتعدت عنك ولم أعر اهتماماً لمخاوفك،

ولدمدمات تذمرك. وبسبب صراخك،

نعم بسبب صراخك، حنقت عليك.

ولأنك لم تسعَ لتتحلى بصفات الرجولة،

غضب قلبي وكأنما حملته ريح عاتية.

لقد قضت عليَّ اتهاماتك،

وأنت تقودني إلى عتبة الموت.

لم آمرك في حياتي بحمل الحزم من منابت الأسل

ولم تمسس قط في حياتك حزم الأسل

التي ينقلها الفتيان والصغار

أنا لم أقل لك مطلقاً «اتبع قوافلي»

لم أكلفك قط بأيّ عملٍ. ولم أطلب

منك حراثة حقلي.

لم أقل لك في حياتي «اذهب واتخذ عملاً لكي تعيلني».

كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم

من وراء عملهم. (الشواف 1999: 313 - 314).

6. الرسائل:

ربما يكون أدب الرسائل قائماً بذاته، لكننا يمكن أن ندرجه هنا في هذا الحقل لما تنطوي عليه من مستوى أخلاقي رفيع رغم أغراضها المتعددة، فهذه رسالة من ولد إلى أمه يتحدث فيها عن كاتبها (لودنجيرّا) إلى حامل الرسالة ويعطيه خمس علامات لكي يتعرف على والدته الجميلة والأنيقة وكأنه يتغزل بها من فرط حبه لها:

إذا كنت لا تعرف من هي أمي

دعني أعطيك إشارات (التعرّف إليها)

اسمها شات – عشتار

شخصيتها (تطفح) إشراقاً

إنها إلهة رائعة – وكنّة محبوبة

إنها مباركة منذ صباها

وبحيوتها أحسنت الاهتمام ببيت حميها.

إنها هي التي تخدم إله زوجها وهي التي تعرف كيف تهتم

بهيكل (؟) (الإلهة) إنانا

وهي التي تعرف أهمية أوامر الملك.

إنها نشطة ولذا هي تضاعف الممتلكات

وهي المعززة والمليئة بالحياة،

هي الحمل وهي القشدة اللذيذة والعسل

والزبدة طالتي تسيل من القلب».

دعني أعطيك العلامة الثانية للتعرف على أمي:

أمي هي نور الأفق الشديد الإضاءة،

إنها وعلة الجبال،

نجمة الصباح التي تتألق (.....)

إنها نبع ثمين، إنها زبرجد ماوهاشي

إنها حلي العقيق التي تحمل البهجة

وخاتم القصدير وسوار الحديد

إنها عصا من ذهب وفضة براقة

(.....)

إنها تمثال كامل الجمال، كامل البهاء،

إنها ملاك رخامي على قاعدة من لازورد.

دعني أعطيك العلامة الثالثة للتعرف على أمي:

أمي هي المطر في فصله (الملائم)، إنها

الماء (محيي) الحب المدفون

إنها حصاد وفير، شعير فائق الجودة (؟)

إنها بستان رخاء مليء باللذائذ (الثمار)

إنها شجرة صنوبر أحسن إرواؤها،

محملة بالكواز.

إنها ثمرة السنة الجديدة وجني الشهر الأول

إنها القناة تحمل المياه المخصبة

حتى مجاري السقاية

إنها بلح دلمون الشديد الحلاوة

البلح الفائق الجودة والمطلوب (دوماً).

دعني أعطيك العلامة الرابعة للتعرف على أمي:

أمي هي عيد، هي عطية مليئة بالبهجة،

أنها تقدمة – أكيتا تبهر ناظرها

إنها خلية رقص معدة لفرح كبير

إنها وليدة أمير ونشيد وفرة.

إنها عاشقة وقلب محب لا ينضب فرحه.

إنها بشارة السجين العائد إلى أمه.

دعني أعطيك العلامة الخامسة للتعرف على أمي:

أمي هي عربة صنوبر وفراش من خشب البقس

إنها كساء مضمخ بالدهون العطرة

إنها قارورة من صدف السلاحف

مملوءة بأنفس العطور

إنها طوق أزهار رائع الجمال

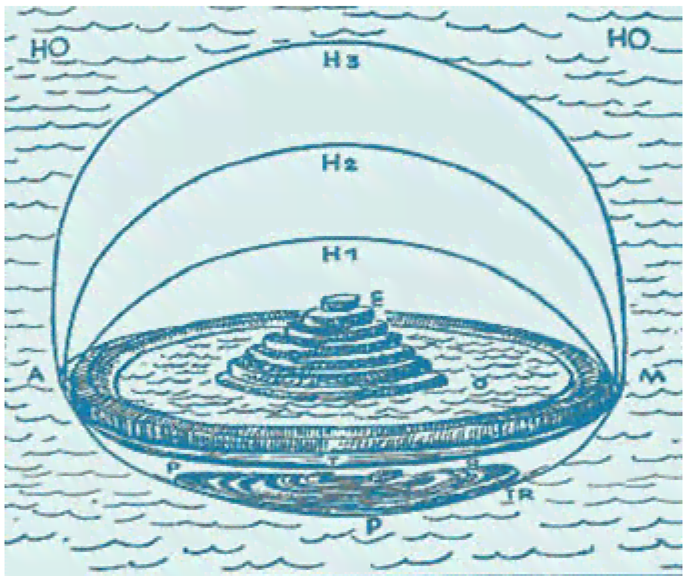
قل لها (أيها الرسول):

ابنك الحبيب لو – دنجيّرا

يوجه إليكِ أجمل تمنياته. (الشواف 2001: 120 - 123).

الفصل الحادي عشر

المظهر العلمي



صورة الكون السومري – البابلي من خلال قراءة أفكارهم ومقاييسهم عن الكون

http://freepages.history.rootsweb.ancestry.com/~catshaman/13Sumerian/03Sumerian2.htm

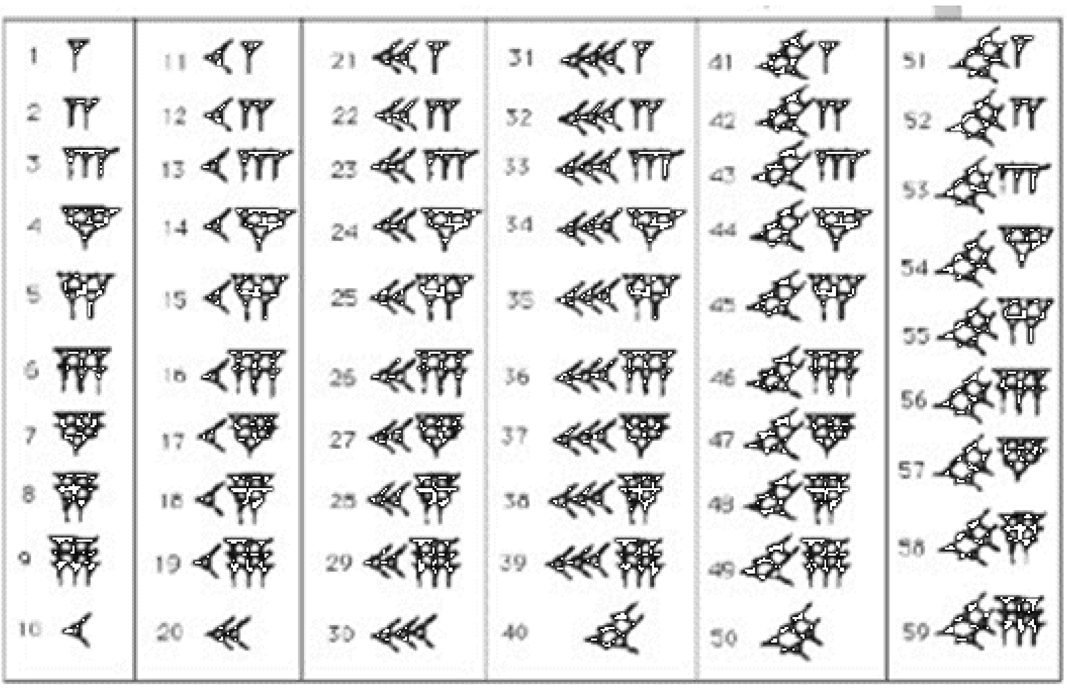
أولاً: العلوم الطبيعية

1. الرياضيات

ظهرت الحاجة لمعرفة الرياضيات من أسس عملية تخص البناء والعمران وهندسة المباني بالدرجة الأولى، ومن جوانب التطور الاقتصادي للسومريين، فهي رياضيات تجريبية في نشأتها.

نظام الأعداد:

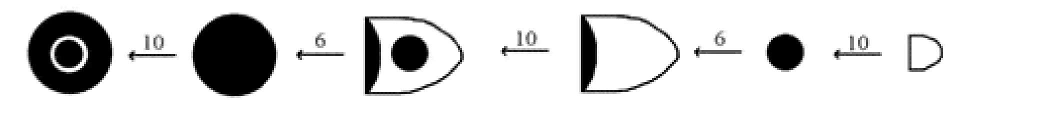
استخدم السومريون نظامين للأعداد هما النظام العشريّ والنظام الستيني، فالنظام العشريّ وجدوه قبل استقرارهم في وادي الرافدين وهو العد من (1 - 10). أما النظام الستيني فقد ابتكروه هم وهو العدد من (1 - 60). واستخدموا لهما نوعين من العلامات أحدهما بيضوي والآخر دائري، وحين استقر الخط المسماريّ استخدموا لرقم واحد علامة () وللرقم عشرة العلامة ()، ويتكرر الرقم واحد من (2 - 9).



http://www. mathematicsmagazine. com/Articles/TheSumerianMathematicalSystem. php#. UxCEceNdWl4

ومن (11 - 20) تكون علامة العشرة إلى اليسار وبعدها علامة الواحد، وهكذا، ويكون الرقم (20) بعلامتين للعشرة وهكذا، وحين نصل إلى الرقم (60) تكون العلامة هي واحد أيضاً ولكنها أكبر قليلاً ()، أما علامة عشرة فتمثل الرقم (600) أيضاً ولكن بحجم أكبر. كما في الجدول الآتي:

إذن رقم () = 1، 60، 3600... إلخ وكذلك الكسور 1/60 وهكذا



ورقم ()= 10، 600، 36000... إلخ وكذلك الكسور 1/10 وهكذا

أما الرقم (0) فكان يعبر عنه بمكان خالٍ أو فراغ.

أما العلامات الرياضية فهي:

الجمع = علامة a- na

الطرح = كلمة Lai

الضرب = كلمة rà -a

	
رقيم الأرقام http://xfacts. com/sumer/astro. html	جدول الضرب

ow The Jews

القسمة = ضرب العدد في كسره والعودة للجداول

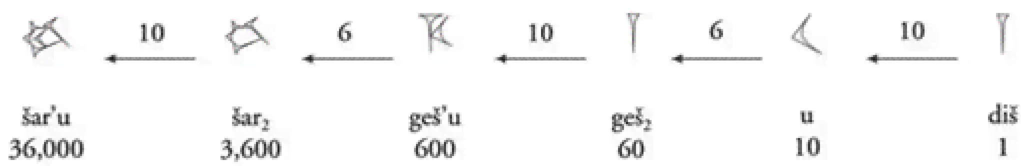
المجموع العام للأعداد: كلمة Su. Nigin

الجذر التربيعي: Ib. Si

الجذر التكعيبي: Ba. Si

جداول الضرب: من (1 - 59) ثم (1× 500 إلى 50 × 500)

جداول لوغارتمية:



النظامان العشريّ والستيني في الأعداد السومرية (توضيح الترادف بينهما)

http://cdli. ucla. edu/pubs/cdlj/2009/cdlj2009_001. Html

2. الميترولوجي السومري

مقداره المعاصر التقديريّ	ترجمته العربية وقياسها بالنسبة للوحدة الأساسية	اسمه السومري	نوع المقياس
0.0025 ملم	حبّة	شي	الطول
17 ملم	إصبع	شو - سي	
17 سم	يد مضاعفة=10 أصابع	شو دوئا	
50سم	ذراع:يد مكعبة وهو الطول القياسي	كوش	
100 سم	أصل الذراع	جيري	
150 سم	قصبة=3 أذرع	جي	
600 سم	عمود = 2 قصبة = 12 ذراع قصب	نندان	
60 م	حبل	إيشي	
6م	عمود =1/60	نندان	المسافة
60م	حبل = 1/6	إيشي	
360 م	كابل = 1	أوش	
10,800 م	عصبة	دانا	
36 سم مربع	عمود مربع	سار مساحة	المساحة
18 سم مربع	عمود مربع xذراع	سار حجم	
لتر		سيلا	السعة
10 لتر	10 سيلا	بان	
60 لتر	6 بان	بريجا	

240 لتر	4 بريجا	بيدجا	
	720 طابوقة	سار الطابوق	الطابوق (الطوب)
x10x515 أصابع	لبنة صغيرة		
1,26,24طابوقة	في النظام الستيني	سار حجم الطابوق	
184, 5طابوقة	في النظام العشري		
7,12سارطابوق			
0. 5 غم	حبّة	أتاتو	وحدات الوزن
9 غم	وحدة أساسية	شيقل، جن	
497. 7 غم	باوند =60	من	
30. 000 غم	حمل =360	جون	
240 ثانية	جيش = 1/360	مو- إيش	وحدات الزمن
7200 ثانية	مراقب = 1/12	دانا	
86400 ثانية	يوم = وحدة أساسية	أود	
2592000 ثانية	شهر = 30	إيتود	
31104000 ثانية	سنة = 360	مو	

المترولوجي السومري تصميم: خزعل الماجدي

3. التخطيط الحضريّ (Urban)

لم يكن هناك تخطيط حضريّ مقصود بالكامل في بناء المدن السومرية لكن السومريين توخّوا الأمور التالية في بناء مدنهم:

1. أن تكون عند ضفاف الأنهار أو جداول الأنهار لتوفير مياه الشرب والزراعة وتهجر المدن عادة إذا غيّر النهرُ مجراه أو جفّ.

2. أن يكون في مركزها معبد الإله الذي يرسم هويتها الروحية والدينية ويسمى بإله المدينة. وتكون قصور الملوك ومرافق الحكومة قرب المعبد.

3. أن يكون لها، في الغالب، سور لحمايتها ويأخذ السور أشكالاً هندسية مختلفة.

4. أن تكون المدينة، في الغالب، على أرض مرتفعة.

5. تتراصف البيوت في جدران مشتركة وتطلّ على أزقة غير منتظمة، وقد تكون هناك ساحات بين البيوت، وهناك شوارع مرصوفة تؤدي إلى مركز المدينة.

كانت المدينة تسمى (أورو) وبالأكدية (آلو). أما القرى الفلاحية فاسمها (إي أوروش) و(إي دورو)، وبالأكدية (كفرو، كبرو، خصاره، حضارو).

وتكون المدينة السومرية من ثلاثة أقسام أساسية هي:

1. مركز المدينة ويسمى (أورو) وله باب اسمه (داجيا)

2. ضاحية المدينة ويسمى (أورو- برّا) ويوجد فيه المعبد الخاص بالأكيتو (بيت – أكيتو) والمزارع والبساتين والحظائر.

3. الميناء والمستودع ويسمى (كار) وهو مركز المدينة التجاريّ قرب النهر.

هناك مدن من نوع آخر ليست للسكن، بل هي مدن عسكرية وسياسية تقع على طرق القوافل التجارية ويستخدمها الأمراء والملوك.

4. الهندسية المعمارية

لا شك أنّ الهندسة المعمارية السومرية اعتمدت على علوم هندسية رياضية متطورة ابتدأت منذ بناء القرى والمدن والمعابد الأولى في الجزء الأعلى من حضارات وادي الرافدين قبيل التاريخ في حضاراته النيوليتية والكالكوليتية. وأظهرت أولى المدن السومرية عمراناً متميزاً «وكانت حضارة أريو هي الممثلة لأولى نتاجات حضارة السمريين في جنوب العراق تمثل أيضاً المرحلة الأولى من فترة حضارة العبيد وتتميز هذه المرحلة معماريًّا باحتوائها ثماني عشرة طبقة سكن على الرغم من كونها مباني عامة هي المعابد، فهي توضح أسلوب البناء والمواد الأولية ومثل هذا الواقع المعماريّ الجديد الذي يغطي فترة الألف الخامس مرحلة من بداية الألف الرابع قبل الميلاد يتوضح عمارة مدن سومرية أخرى في جنوب العراق ومنها أور وفلّو والعقير». (نخبة من الباحثين العراقيين، الجادر 1985: 87).

كانت الهندسية المعمارية السومرية تعتمد على مجموعة من الأسس وهي:

1. استعمال اللبن المستوي المحدب.

2. استعمال السقوف المستوية أو الهرمية (الجملون).

3. استعمال الأبواب الخشبية التي تدور عضاداتها على قاعدة من الحجر (سنّارات).

4. استعمال الدعامات التي تساعد في حمل الشرفات والسقوف وكزينة جمالية.

5. استعمال اللبن المستطيل ذي المقطع المربع المسمّى بالألمانية (ريمشن).

6. استخدام الأعمدة.

7. استخدام الفيسيفساء وهي مخاريط ملونة (أحمر، أبيض، أسود) مصفوفة على الأعمدة والجدران.

8. استخدام طريقة التراصف في بناء الجدران من الطابوق اللبني والتي تشبه العمود الفقريّ للسمكة، أما في المناطق الضعيفة للجدران (مثل الأبواب) فهناك طريقة (الحل والشد) التقليدية.

9. استخدام الإسفلت كمادة لكساء الأرضيات لكي تعزلها عن المياه.

10. استخدام الجصّ في طلاء الجدران.

المعابد الأرضية أخذت أشكالاً مختلفة دائرية وبيضوية ومربعة ومستطيلة. أما المعابد المرتفعة (الزقورات) فقد أخذت شكلاً هرميًّا متدرجاً يصعد إلى قمته من خلال سلالم أمامية وجانبية تظهر خارج البناء.

قسم المعماريون أنواع الطابوق الذي استخدمه السومريون إلى أنواع كما يلي:

1. نوع باتزن Patzen وأبعاده 5×40×80 سم وقد ظهر في فترة أوروك الأولى (3600 - 3200) ق.م

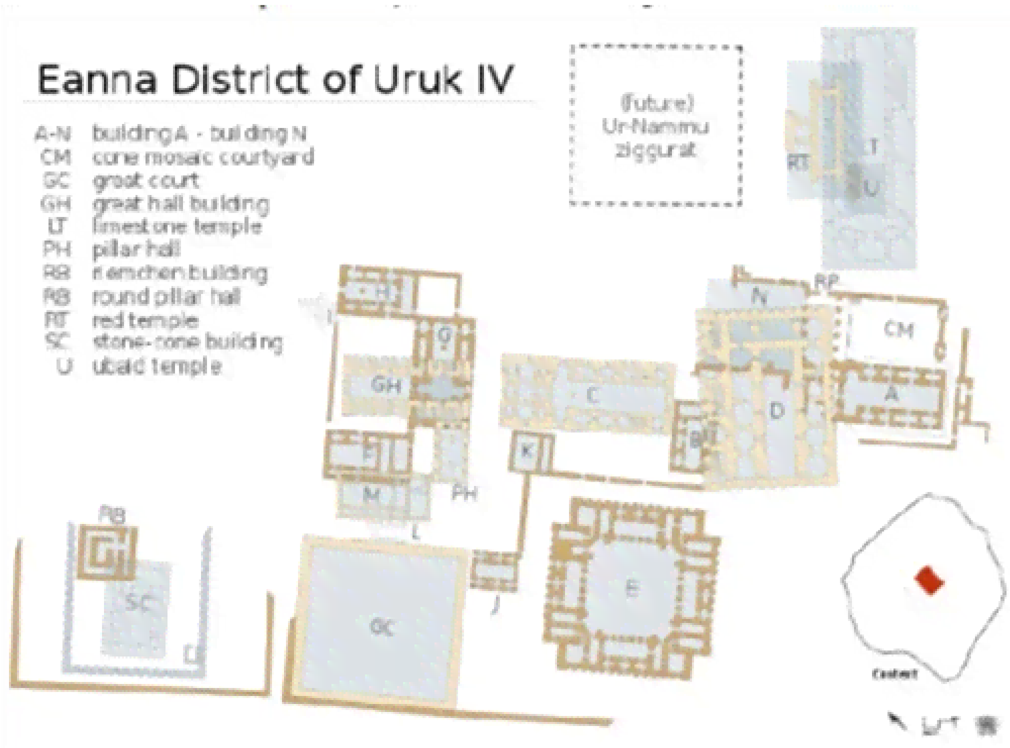
2. نوع ريمشن Riemchen وأبعاده 16×16 سم وقد ظهر في فترة أوروك الأولى أيضاً.

3. النوع المستوي المحدب Convex -Plano وأبعاده 10×19×34 سم وقد ظهر في فترة السلالات المبكرة (3100 - 2300) ق.م

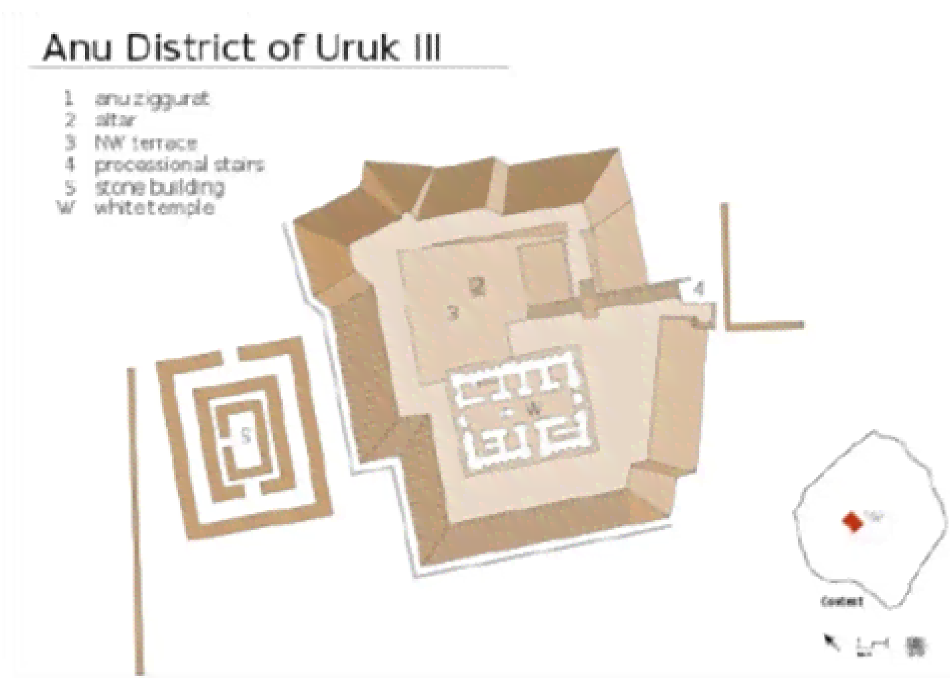


البيت السومري المديني

http://www. crystalinks. com/sumergods1a. html

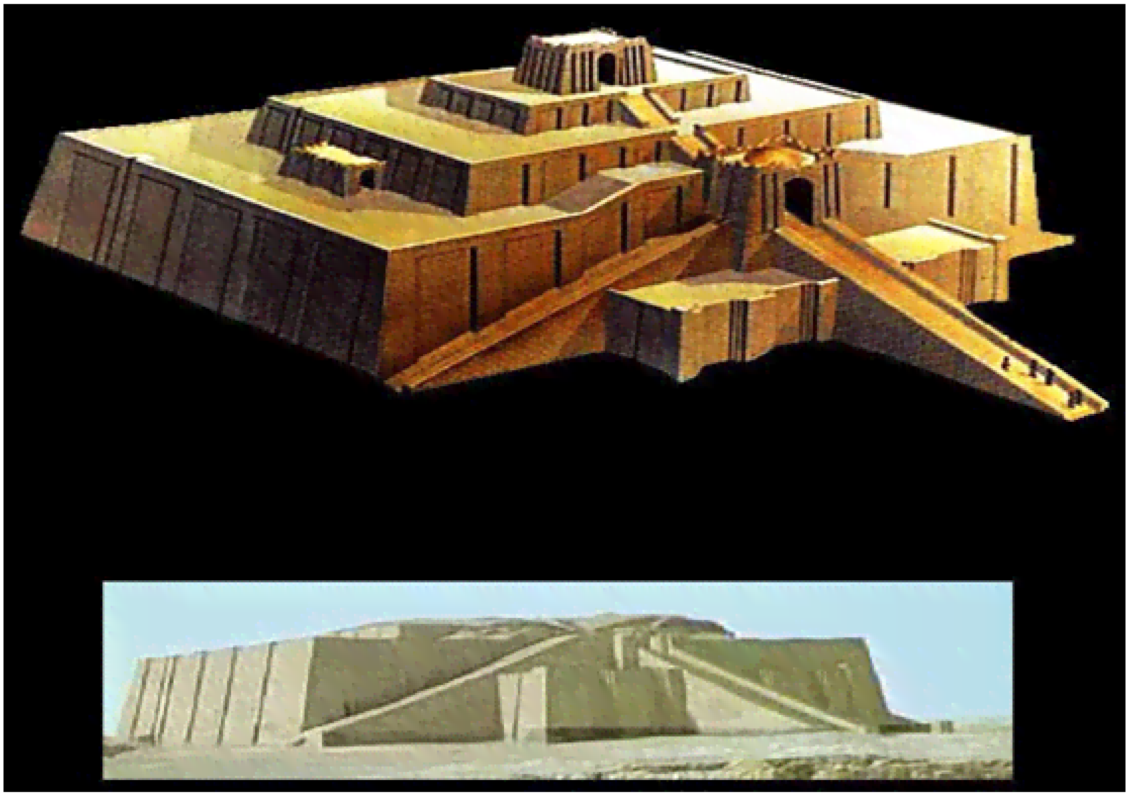


عمارة المعابد في مركز مدينة أوروك



موقع زقورة آنو في أوروك مع مرافقها

http://www. answers. com/topic/uruk





زقورة أور من الجانب ومن الأعلى

5. علم الفلك السومري Sumerian Astronomy

الرياضيات الستينية وعلم الفلك

قبل أن نبدأ بشرح الرياضيات الستينية السومرية سنستعرض الأنظمة الرياضية التي كانت تستعمل في العالم القديم كله... فقد سجلت لنا الأبحاث خمسة أنظمة رياضية استعملتها الأمم القديمة وهي (انظر باقر 1980: 29):

1. النظام الثنائي Binary system: الذي استخدمته القبائل الأسترالية البدائية وهو المستعمل في أجهزة الكمبيوتر.

2. النظام العشريّ Decimal system: الذي استخدم في حضارة وادي النيل وحضارة الشرق الأدنى واستخدم في حضارة وادي الرافدين إلى جانب النظام الستيني.

3. النظام الاثنا عشري Duodecimal system: الذي استخدم في بعض جهات أفريقيا وأميركا الاستوائية.

4. النظام العشريني Vigesimal system: الذي استخدم في حضارة المايا والأزتيك في أمريكا الوسطى.

5. النظام الستيني Sexagesimal system: الذي انفردت الحضارة السومرية باستخدامه وهو أول نظام رياضي سبق الأنظمة السابقة، وأصبح فيما بعد الأساس الذي اعتمدته علوم الفلك والهندسة وقياس الزوايا والموازين والمكاييل.

والجدير بالذكر أنّ السومريين استخدموا النظامين العشريّ والستيني بعضهما بجوار بعض، والحقيقة أنّ هذين النظامين هما أنجح نظامين رياضيين لأن النظام العشريّ يستخدم في حالات التتالي المستقيمة، بينما يستخدم النظام الستيني في حالات الانحناء والدائرة، وهنا تكمن العبقرية السومرية. إن النظامين أفادا الفلك ولكن النظام الستيني كان هو الأساس الرياضي الذي قام عليه إلى الآن.

يعتمد النظام الستيني على العدد (60) ويكون فيه العدّ الأساسي من العدد (1) إلى العدد (60) ثم يبدأ عدًّا جديداً وهكذا، ولذلك كانت علامة رقم (1) ورقم (60) في الكتابة المسمارية السومرية هي نفسها. أما الرقم عشرة فله هو الآخر علامة مفردة، أما الأرقام التي بين (1،10،60) فهي أرقام مركبة من أكثر من علامة.

إن الدائرة، حسب الرياضيات السومرية، مكونة من 360 درجة أو (كيش) الذي كان يعبر لفظيًّا عن 1،60. واستعمل رقم (60) لأنه رقم أعلى وأعظم ليكون الرقم الرمزي أو السريّ للإله آن إله السماء وأعظم الآلهة... أما الرقم (1) فقد كان يدل على الإنسان، وبين الإنسان وآن تتعدد الآلهة، ولأن السنة كانت تدور على شكل دائرة في مواسمها فهي مكونة (من 360) كيش أو يوم.

تقول مارغريت روثن: «يبدو أنّ النظام الستيني الخليط هو وليد تمازج العدد 10،60 الذي يقبل القسمة على 2،3 فتشكل المجموعة 1،10،60 النظام السومري الذي يطبق سلماً تصاعديّاً أو تنازليّاً للوحدة ذا عنصرين مكونين هما 1 وهو إسفين (مسمار) عمودي بوسعه أن يعبر عن قوة إيجابية أو سلبية للعدد 60 و2 وهو رافد متأتٍ عن جزءٍ من الدائرة المشوهة، ويساوي العدد 10، لأنه

مجموع عشر مرات العدد. فكانوا يكتبون الأرقام كلها، 1،10،60 في السلم التصاعدي ويضربونها بالعدد 60 فيكون الناتج 60،600،3600 أو مضروبة بالرقم 60 فيكون الناتج 3600، 36000، 216000 وإلخ. بينما يقسمونها في السلّم التنازلي فيكون الناتج 60/1، 6/1 أو مقسومة على 60 فيكون الناتج 3600/1، 360/1، 60/1... إلخ وقد أظهر تورو- دانجن في دراسةٍ له حول الرياضيات البابلية بأن للنظام السومري نظام ذو طابع غير متجانس، وكأنه ليس نظاماً ستينيّاً، لأنه يشتمل أيضاً على النظام العشري». (روثن 1980: 114).

إن رياضيات الدائرة وهندسة الكرة التي تسربت إلى الفلك السومري... وسنجد صدى الرياضيات الستينية واضحة عندما نناقش الدورات الكونية في العصر البابلي.

نظام الوقت السومري:

أولى الإنجازات الفلكية وأبسطها هي تنظيم الوقت (اليوم، الأسبوع، الشهر، الفصل، السنة) وقد وضع السومريون أساساً واضحاً للوقت أصبح فيما بعد الأساس الذي سار عليه البابليون وغيرهم من الأقوام في المنطقة وخارجها.

كانت كلمة يوم في السومرية تمثل غروب الشمس. فاليوم يبدأ من غروب الشمس ثم شروقها صباحاً ثم غروبها. ولكن الشمس لم تعطِ انطباعاً متغيراً بالوقت لأنها تشرق كاملة وتغرب كاملة فانتبه السومريون للقمر لأنهم رأوه يتغير فهو يبدأ هلالاً ثم يكتمل بدراً ثم يصبح محاقاً ويختفي ثم يعود من جديد وهكذا... فأوحت لهم أولاً عودة القمر المتكررة بالشهر، ثم انقسم الشهر إلى قسمين حيث لاحظوا أنّ اكتمال البدر يستغرق نصف شهر وأن اختفاؤه يستغرق النصف الآخر، وهكذا قسّموا الشهر إلى الأقسام التالية:

1. الأسبوع الأول: ويبدأ من ظهور الهلال مثل خيط مقوس وحتى يتكون نصف البدر ورأوا أنّ ذلك يستغرق سبعة أيام.

2. الأسبوع الثاني: ويبدأ من نصف البدر حتى اكتمال البدر وكان ذلك يستغرق (14) يوماً.

3. الأسبوع الثالث: ويبدأ من تناقص البدر حتى عودته إلى نصف البدر.

4. الأسبوع الرابع: ويبدأ من نصف البدر حتى ظهور الهلال المحاق.

5. اليومان أو الثلاثة: بين غياب القمر وظهور خيط الهلال الأول من جديد وكانوا يعتقدون أنّ هذه الأيام هي أيام اعتقال القمر من قبل شياطين العالم الأسفل. وهي نوع من الموت المؤقت لإعادة النشاط والحياة بقوة إلى القمر.

أما السنة فكانت تنقسم إلى فصلين متساويين هما (إيميش Emesh) وهو الصيف الذي يبدأ من شباط – آذار (فبراير- مارس) و(إنتين Enten) وهو الشتاء الذي يبدأ في أيلول- تشرين الأول (سبتمبر- أكتوبر).

وعلى المستوى الميثولوجي مثلت الفعاليات الفلكية لتقسيم الوقت كالقمر وعدد الأسابيع وتقسيم الفصول على شكل أساطير. فإذا كان القمر يولد من أمه على شكل عجل تظهر قرونه النحيفة في السماء على شكل هلال خيطي فإنه سرعان ما يكبر ويتحول إلى ثورٍ مجنح في السماء يختطف في آخر أيامه عندما يصبح عجوزاً.

أما الصيف والشتاء فهما الإلهان اللذان يعملان عند إنليل وهما (إيميش وإنتين) حيث يستعرض كلّ منهما منجزاته أمام الإله إنليل متنافسين أمامه فيفصل بينهما مفضلاً الشتاء (إنتين) على الصيف لأنه فصل الزراعة وتكاثر الحيوانات.

وكانت السنة تقاس على الأشهر القمرية وتسمى السنة القمرية، وتقاس السنة نفسها على الأشهر الشمسية، أما فرق الأيام بينهما فينتظر عدة سنوات (حوالي ست سنوات) لإعلان شهر كبيس يضاف إلى السنة القمرية. (انظر كريمرد. ت: 121)

كانت السنة الجديدة في سومر تبدأ في آذار وتحديداً في 21 آذار (من تقويمنا الحالي) وهو بدء الانقلاب الربيعي حيث يتساوى فيه الليل مع النهار، وكان هذا اليوم بمثابة عيد رأس السنة السومرية Ezen) إيزن ومعناه (سنة) كما يوحي لفظها والذي هو عيد الزكمك الأول. عيد الحصاد والربيع والزواج الإلهي، فقد كانت بداية السنة إعلاناً لمجيء الربيع وهو تقليد زراعي ارتبط بقران دموزي (إله الحظائر) مع إنانا (ملكة السماء)، فهي مراسيم زواج إلهي تحول فيما بعد إلى زواج ملكي كانت فيه الكاهنة العليا تنوب عن إنانا وكان الملك ينوب عن دموزي.

وبزواج الملك من الكاهنة العليا تعلن خصوبة الأرض وتبدأ الأفراح، لكن مجيء شهر أيلول (21 أيلول) وهو الانقلاب الشتوي كان بمثابة الكارثة فكانت مناسبات الـ(زكمك الثاني) تبدأ حيث تمارس طقوس النداء ودفن دموزي الذي يذهب إلى العالم الأسفل ليغيب هناك ستة أشهر يظهر بعدها في الزكمك الأول ليعلن مجيء الربيع... وهكذا...

إن بعث دموزي وموته كان هو الشكل الميثولوجي لتقسيم السنة إلى فصلي الحصاد والبذار اللذين كانا يبدآن بالربيع والخريف على التوالي.

وهذا التقسيم السومري يفضل أسماء شهور، الخلابة، يقدم لنا لوحة حياة رعي، كالشهر الذي تأخذ فيه الزروع بالاصفرار، والشهر الذي فيه يحصد القمح ويسمى بشهر المطامير وفيه يجمع القمح، والشهر الذي تحفظ فيه المحاصيل للحيوانات، وقد كان ثمة أعياد تختم الحصاد (كعيد المظال الطقسي لدى اليهود). ومن جهة أخرى، أعياد طقسية كالشهر الذي فيه يأكلون الحنطة على شرف الآلهة، أو الشهر الذي فيه يأكلون الملت، وهذان الأمران يدلان على عادة الموائد الطقسية، وقد كانت مرتبطة بطابع التربة أيضاً والاحتياجات التي تتمّ في بعض الأماكن، كما يدل على ذلك اسم شهر جزّ الصوف. (روثن 1980: 85).

لم تصلنا أسماء ثابتة للأشهر القمرية التي كان يعمل بها في سومر، بل كان لكل مدينة سومرية تقويم خاصّ وأشهر خاصة، فيما عدا تلك الأسماء العامة التي كانت تطلق على مناسبات عامة كالحصاد والمطامير وجزّ الصوف والتي لم تكن تسميات ملزمة للسومريين، فقد اخترعت المدن السومرية أسماء خاصة بالأشهر بعضها مشترك بينهم وبعضها خاص ببعضها «وقد تمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر من تثبيت هويتها بصورة كاملة هي خمسة تقاويم وتعود إلى المدن التالية: لجش ودريهم (صيلوش دكان) وأوما ونفّر وأور. وبالتأكيد هناك تقاويم أخرى غير التي ذكرناها لم تسنح الفرصة بعد للتعرف عليها وذلك لأن تنقيباتنا لم تشمل جميع المناطق الآثارية. (رشيد 1986).

فيما يلي جدول الشهور بالعربية والبابلية والسومرية:

	التقويم العربي الحالي	التقويم السومري	التقويم البابلي	الملاحظات

1	نيسان	بارزاجكا GAR .BÁR. ZAG	نيسانو	نيسو: يحرك، شهر الحركة أو البركة
2	أيار	جود سيدي SU/GU. SI. SÁ	آيّارو	أرو=أر=النور=طلوع أوراق جديدة شهر الأزهار
3	حزيران	سيجكا SIG. GA	سيمانو	شهر القمر
4	تموز	شونومنّا SHU. NUMUN	دؤوزو	الابن البار لمياه المحيط الجوفي
5	آب	نينيكار NE. NE. GAR	آبو	شهر الأب، الشمس، الثور، الشهر المعادي بسبب حره
6	أيلول	كن إنّينا KINdINANNA	أولولو	الولولة والتهليلة على تموز عند شهر أيلول يضاف شهر آخر يسمى (كن در) أو (كن كم) أو (كن آ)
7	تشرين الأول	دوكو DU. KÙ	تشرينو	شهر البداية، الأصل
8	تشرين الثاني	ابن دوءا APIN. DU. A	أرخمنا	الشهر الثامن
9	كانون الأول	جان جانّا .GAN. GAN. UD DU	كسليمو	كانون: التنور لأنه يجب أن يوقد في هذا الشهر
10	كانون الثاني	أبّائي AB. BA. DU. DU	طبيبتو، ذابيتو	الشهر العابس أو المظلم
11	شباط	أشأم، ززءا ZIZ. A	شباطو	الشهر المدمر

12	آذار	شيجوركود SHE. GUR. KU	آدّارو	الشهر المعتم أو المكتظ بالسحاب عند شهر آذار يضاف شهر آخر كل ست سنوات وهو الشهر الكبيس يسمونه (شي در) أو (در شي)

جدول التقويم السومري العام مقارنة بالتقويمين البابلي والعربي الحالي

وفيما يلي جدول الشهور السومرية العام والبابلية نقلاً عن المصدر الأصلي لمعرفة التصويت بالحروف اللاتينية:

Bab.		Sum.	Bab.		Sum.
Nisan	=	Bar. Zag. Ga.	Tashritum	=	Du. Ku.
Aiaru	=	Gud. Si. Di.	Arakhsamna	=	Apin. Du. A.
Simanu	=	Šeg. Ga.	Kislimu	=	Gan. Gan. Na.
Du'uzu	=	Šu. Numun. Na.	Tebitum	=	Ab. Ba. E.
Abu	=	Ne. Ne. Gar.	Shabat	=	Aš. Am.
Ululu	=	Kin. Innin. Na.	Addaru	=	Še. Gur. Kud.

http://gluedideas. com/Encyclopedia-Britannica-Volume-4-Brain-Casting/Babylonian-and-Assyrian. html-2-Part

وفي هذا الجدول نجد أسماء الشهور في أربع مدن سومرية مختلفة هي (لجش، أومّا، أور، دريهم) آثرنا وضعها كما هي بالحروف اللاتينية من مصدرها:

Lagash.	Umma.	Ur.	Duraihim.
Gan. Maš.	Še. Gur. Kud.	Še. Gur. Kud.	Maš. Du. Ku.
Har. Ra. Ne. Mu. Mu.	Sig. I. Šub. Ba. Gar.	(Dir. Še. Gur. Kud.)	Šeš. Da. Ku.
Ezen ^{d}Ne. Šu.	Še. Kar. Gal. La.	Maš. Ku. Ku.	U. Ne. Ku.
Šu. Kul.	. .	Šeš. Da. Ku.	Ki. Sig. Nin. A. Zu.
Dim. Ku.	. .	U. Ne. Ku.	Ezen. Nin. A. Zu.
Ezen ^{d}Dumu-Zi.	Šu. Numun.	Ki. Sig. Nin. A. Zu.	A. Ki. Ti.
Ezen ^{d}Šul. Gi.	Min. Ab.	Ezen. Nin. A. Zu.	Ezen ^{d}Šul. Gi.
Ezen ^{d}Ba. U.	E. Itu. Aš.	A. Ki. Ti.	Šu. Ešh. Ša.
Mu. Su. Du.	^{d}Ne. Gun.	Ezen ^{d}Šul. Gi.	Ezen. Makh.
Amar. A. A. Si.	Ezen. ^{d}Shul. Gi.	Šu. Eš. Ša.	Ezen. An. Na.
Še. Gur. Kud.	Kur. U. E.	Ezen. ^{d}Makh.	Ezen. Me. Ki. Gal.
(Dir. Še. Gur. Kud.)	^{d}Dumu-Zi.	Ezen. An. Na.	Še. Gur. Kud.
Še. Il. La.	(Dirig.)	Ezen. Me. Ki. Gal.	

وقد طوّر البابليون أسماء الأشهر وجعلوها عامة وهي الأسماء التي نتداولها الآن في حياتنا اليومية، ومن أجل المقارنة ننقل في هذا الجدول ما جمعه الدكتور فوزي رشيد عن تقويم مدينة دريهم السومرية ونقارنها بأسماء الأشهر بالتقويم البابلي والتقويم العربي الحالي. (انظر رشيد 1986 والراوي 1985).

ويتضح من دراسة هذه التقاويم أنّ السومريين عرفوا كبس الأشهر القمرية ليتلافوا النقص الواضح في الزمن قياساً للسنة الشمسية، وكذلك عرفها البابليون، ومن هنا تأتي أسماء تشرين الثاني وكانون الثاني وواضح أنها كانت أسماء أشهر مضافة.

ويلاحظ أيضاً أنّ السومريين سمّوا بعض الشهور بأسماء أعيادهم مثل (آكيتي) وهو عيد شهر أيلول الذي كان بمثابة رأس السنة الثاني والذي يحتفل به بتتويج الملك، وهو العيد الذي أصبح يعرف عند البابليين باسم (أكيتو) في بداية شهر نيسان. وكذلك شهر إيزن ماخ أي (العيد الكبير). وشهر (إيزن أنّا) أي (عيد السماء) ويعتقد أنه عيد الأمطار، وشهر (إيزن شولكي) الذي كان له علاقة بالملك شولكي وهكذا. وكانت أسماء الشهور على علاقة بالزراعة والريّ وحركات المدّ والجزر.

الكون السومري

تقدم لنا التصورات العقلية السومرية إطاراً ماديًّا يهذب من غلواء الميثولوجيا ويمنحنا تصميماً كوزمولوجيًّا مرهفاً. ويرى السومريون أنّ الصورة النهائية للكون انتهت إلى وضع هذا الكون كله في بحر لامتناهٍ من المياه الهيولية الأولى التي ما زالت تمثلها الإلهة السومرية الأولى (نمّو). وأن هذا الكون يطفو مثل كرة عملاقة فوق هذه المياه.

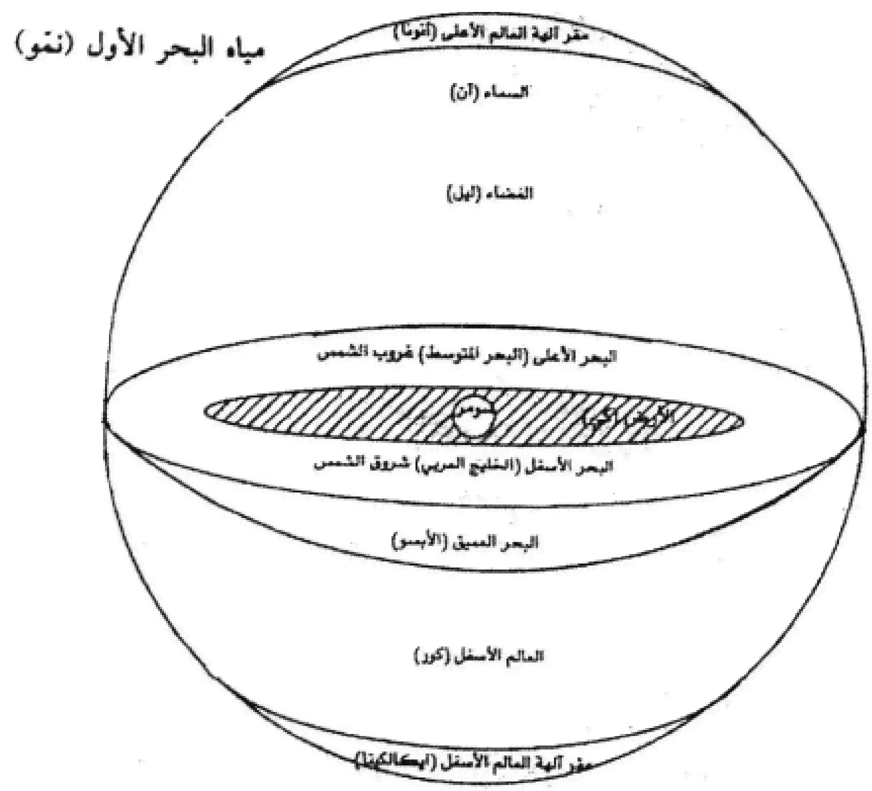
أما الكون بذاته فقد نشأ عن الجبل الكوني البدئي (آن – كي) ومعناه (السماء – الأرض). ثم كان الهواء الذي فصل بين السماء والأرض. وعلى ذلك فإن الكون في صورته النهائية يتكون من ثلاثة أقسام كبرى:

1. السماء (آن): كان السومريون يتصورون السماء على شكل قبة بيضاء مصنوعة من القصدير، يرقد قرص الأرض الترابي تحتها. أما فوق هذه القبة وكان هناك العالم الأعلى الذي يسمى (أنونّا) وهو مقرّ آلهة العالم العلوي.

2. الفضاء (ليل): وهو الهواء الذي يقع بين السماء والأرض، وتعني هذه الكلمة (ليل) الظلمة والريح والهواء والنفس والجو والروح وتمتاز بقدرتها على الحركة والامتداد. ينقسم هذا الفضاء فلكيًّا إلى ثلاث طرق هي طرق (آن، إنليل، إنكي) وتنتشر النجوم والكواكب في هذه الطرق. وتظهر الكواكب السيّارة السبعة في مدارات أو طرق خاصة بها. وكان السومريون يعتقدون أنّ الكواكب والنجوم مكونة من مادة الفضاء نفسها، ولكنها مشرقة وبراقة ربما لأنها المساكن السماوية للآلهة التي كانت مضيئة في نظر السومريين.

3. الأرض (كي): وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي يحيط به من كل الجهات ومن تحته، وكانت المياه التي تسمى بـ(البحر الأعلى) يقصد بها البحر الأبيض المتوسط ومياه (البحر الأسفل) يقصد بها مياه الخليج العربي، أما المياه التي تحت الأرض فتسمى (البحر العميق) أي (أبسو) حيث كان يسكن الإله (إنكي) وتسكن معه أمه وأم الكون (نمّو). أما البحر الأسفل فكان يمثل المكان الذي تشرق منه الشمس، بينما كان البحر الأعلى المكان الذي تغرب فيه الشمس وتعدّهما منفذين للخروج والدخول إلى العالم الأسفل الذي يقع تحت الأبسو.

ولم تكن الأرض في نظر السومريين كما هي عليه، بل كانت مكونة من مركز تقع فيه سومر التي كان مركزها مدينة نفّر حيث معبد الإله إنليل الذي يسمى بـ(رباط الأرض والسماء). وتقع شمال سومر (سوبار) وجنوبها (دلمون) وشرقها (عيلام) وغربها (أمورو).

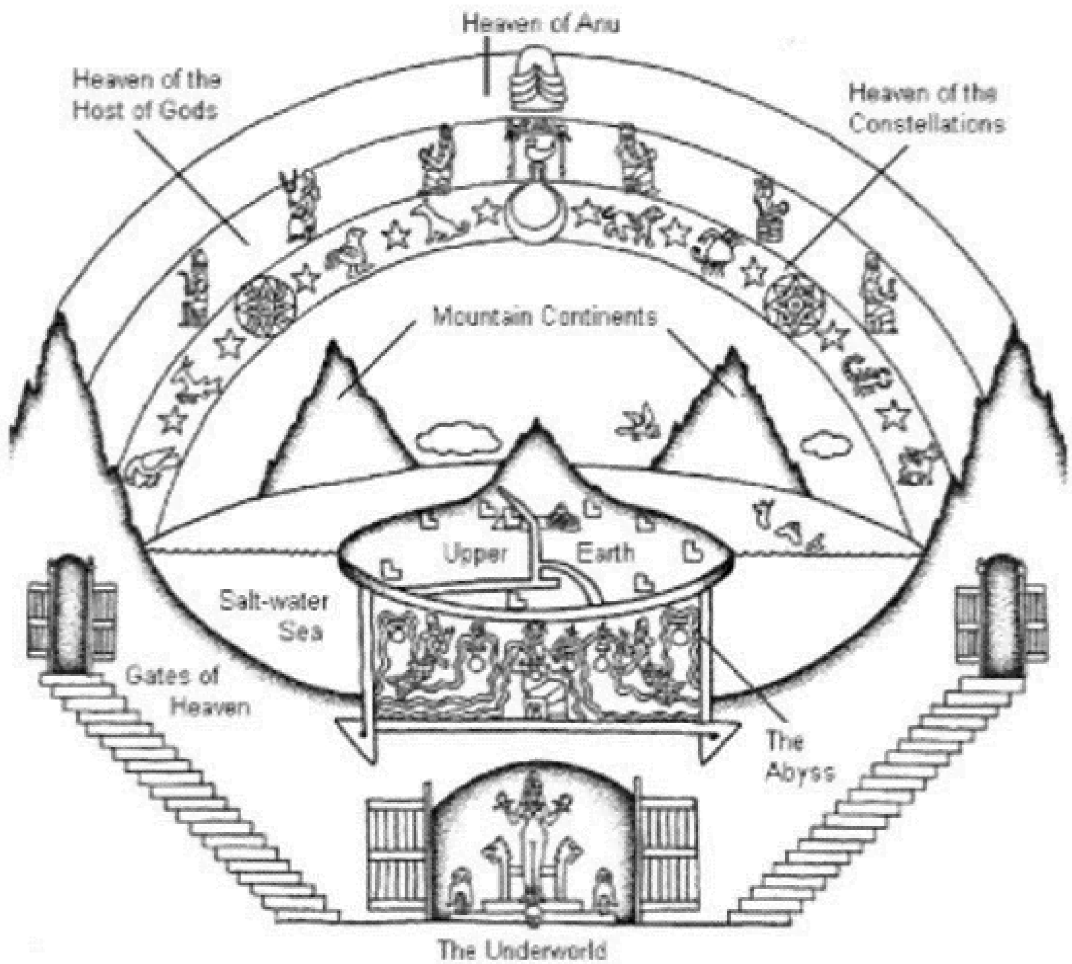


الكون كما تصوره السومريون

وكان العالم الأسفل (كور) يقع تحت مياه أبسو وهو فضاء مترب تعيش فيه أرواح الموتى سجينةً إلى الأبد، وهناك للعالم الأسفل مدخل رئيس مكون من سبعة أبواب تنتهي بنهر العالم الأسفل الذي اسمه (خبر) الذي يحيط بالعالم الأسفل مثل دائرة. ويقع في قعر العالم الأسفل من منطقته الوسطى قصر (إيكالكينا) الذي هو مقرّ آلهة العالم الأسفل الرئيسة (فرجال وأرشكيكال).

وهكذا يتشكل الكون من العناصر الأربعة (الهواء، والنار، والماء، والتراب) وفق نسب محسوبة وشكل هندسي كروي أو دائريّ منتظم ويكوّن هذا الإيقاع التصميمي والمضموني نواة للتصورات الكوزمولوجية في كل أنحاء العالم القديم وبشكل خاص في بابل واليونان.

كما يسيطر تقسيم سكنى الكون حيث الآلهة في السماء والناس على الأرض والشياطين والأموات في العالم الأسفل على أغلب التصورات الخاصة بالكون في تلك العصور.



نموذج متخيل للكون السومري

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

خسوف القمر

عرف السومريون خسوف القمر وسجّلوه في إرصاداتهم الفلكية ووضعوا تفسيراً ميثولوجيًّا لهذه الظاهرة. وهناك أسطورة تتحدث عن تحالف بين إله القمر وولديه الشمس والزهرة وذلك بتحريض من أبيه الإله إنليل. حيث تقوم هذه العائلة الإنليلية بمحاولة مقاسمة إله السماء (آن) حكم

الكون. حيث يتصدى (آن) لهم ويرسل الإله (سبيتو) التي ربما كان معناها الفلكي نجوم الثريا السبع، ويبدو أنّ الثريا تسبب خسوف القمر وتتخلى الزهرة عن عائلتها وتنضم إلى صف إله السماء يحدوها أمل في حكم السماء بمفردها. ويقوم إنليل بإرسال (نسكو) ابنه ومساعده وهو إله النار والنور إلى إله الحكمة إنكي لإنقاذ القمر من مأزقه فيقوم إيا (وهو فلكيًّا عطارد) بإطلاع ابنه أسالوحي أو ماردوكو (وهو فلكيًّا المشتري) على الأمر ويبدو أنّ الأسطورة تنتهي بتمكن إيا من تحرير القمر. علماً بأن الإله آن في هذه الأسطورة يمثل السماء ويمثل كوكب المريخ.

والحقيقة أنه يمكن تفسير هذه الأسطورة فلكيًّا وتتبع أحداثها على السماء لأن كل أبطالها لهم تفسيرات فلكية. حيث نجد أنّ الكواكب الثلاثة الأولى الكبيرة بالتواطؤ مع كوكب المشتري بمحاصرة كوكب المريخ ولكن المريخ يوجّه نجوم الثريا السبع فتقوم بخسف القمر وجعله مظلماً ويقوم المريخ باستمالة الزهرة، لكن المشتري يرسل ضوءه إلى عطارد ويحاولان من خلال الضوء إنقاذ القمر وينجحان. ومن المؤكد أنّ هذه الأحداث تفسر على طريقتها أحداثاً فلكية معينة نتركها للمختصين الفلكيين. أما كسوف الشمس فقد عُرفَ هو الآخر وسُجّل ولكننا لا نعرف أسطورة خاصة بتفسير كسوف الشمس.

النظام الشمسي

السؤال المحير لدى العلماء هو: هل عرف السومريون النظام الشمسي بدقة، التناول التقليدي لمعرفتهم يخبرنا أنهم عرفوا خمسة من الكواكب السيّارة واعتبروا الشمس والقمر معهما، وبذلك يكون النظام الشمسي في نظرهم مكوناً من سبعة كواكب هي (الشمس، والقمر، والأرض، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وعطارد، وزحل). وقد نسبوا لكل كوكب إلهاً ليكون مسؤولاً عنه كما عرفنا ذلك أعلاه.

لكن هناك دلائل تشير إلى أنهم عرفوا النظام الشمسي بصورة أوسع من هذا، فربما كان الرقيم المشهور الذي يدلّ على هذا الأمر قابلاً للتفسير على هذا الأساس حيث الشمس تتوسط اثني عشر كوكباً سيًّارا، لم يخبرونا عن أسماء كل هذه الكواكب. ولكننا لا نؤيد مطلقاً التأويل الذي ابتكره زكريا ستشن حول هذا الموضوع عندما قرر أموراً لا يقبلها العلم ولا المنطق حول الكواكب الاثني عشر والكوكب الثاني عشر الذي أسماه نبيرو حيث يسكن آلهة الأنوناكي السبعة كما يقول.

إننا نرفض، جملةً وتفصيلاً، نظريته المفبركة هذه والتي تحاول ليّ النصوص السومرية لصالح التوراة، فضلاً عن كونها ترى أموراً حديثة في نصوصٍ قديمةٍ لا علاقة لها بها.



رقيم سومري لمجموعة من النجوم

نرى أيضاً أنّ الرقم المقدس عند السومريين هو 12 والذي رسموا به كرات متفاوتة الحجم حول نجمة كبيرة ربما كانت الشمس، وربما كانت هذه الدوائر دالةً على الأبراج الاثني عشر التي عرفها السومريون حيث وضعوا نجماً أو كوكباً في كل برج منها كرمز له أو كحقيقةٍ تصوروها، وهذا ما نرجحه. ليس الأمر أكثر من هذا ولا يمكن الذهاب لأبعد من هذا، ونحن ندرك حجم التزييف الذي مارسه زكريا ستشن في هذا الموضوع وسنعمل على فضحه ببحوث مفصلّة.

الزقورات السومرية كمراصد:

كانت الزقورات السومرية امتداداً للمعابد الصغيرة والمصليات التي ظهرت على مصاطب مرتفعة، ثم تطورت وتعددت هذه المصاطب وكانت هذه الزقورات بارتفاعها الواضح في وسط المدينة تشير إلى أنّ «السومريين شعبٌ جبليّ الأصل وأن آلهتهم جبلية اعتادت سكنى الأماكن المرتفعة واتخاذ هياكلها فوق كل تلٍّ عالٍ. ولا بدّ أنهم عندما استوطنوا سهول الفرات الرسوبية

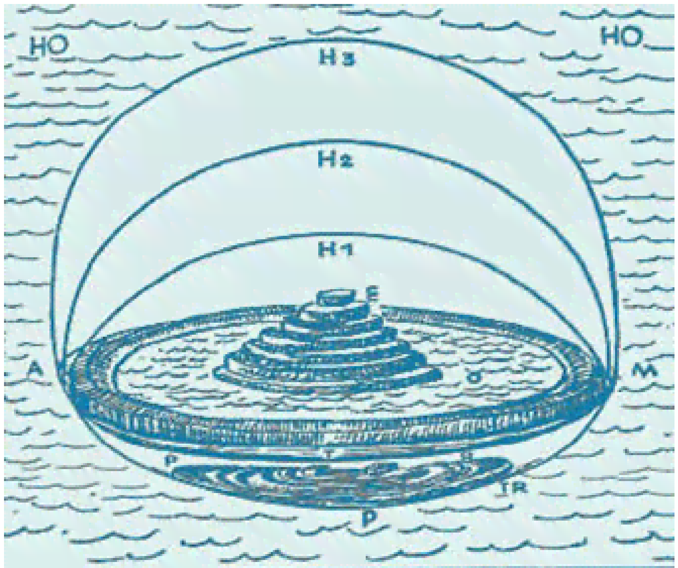
المنبسطة أسفوا لخلوها من الأماكن المرتفعة المناسبة لعبادة آلهتهم كما جرت عاداتهم بذلك فأقاموا التلول الصناعية ملافاة لهذا الغرض». (وولي د. ت: 68).

ويبدو أنّ الزقورات كانت مختلفة الحجم وكان يصل ارتفاع بعضها أحياناً إلى أكثر من سبعين قدماً، وكانت تتكون من (3 - 7) طبقات وفي قمتها كان هناك المعبد العالي الصغير الذي كان لأغراض عديدة منها استقبال الإله السماوي المخصص له ذلك المعبد والمكان الذي يتعبد فيه كبير الكهنة، وكانت هذه الغرفة أيضاً مكاناً للرصد الفلكي.

وقد ظهرت نظريات عديدة حول وظيفة الزقورات منها أنها معابد للآلهة تعمل على ربط السماء بالأرض أو أنها تشبه عروش الآلهة. يسكن الإله المعبد العالي ويسكن كهنته المعبد السفلي، وقد يصعد الكهنة للإله أو ينزل الإله إليهم. ورأى فيها البعض مراقد للآلهة الميتة ويدل على ذلك اسم زقورة السومري ككمو Gigumu الذي يكاد يشبه اسم غرفة الدفن تحت الأرض وهي ككنو Giginu ويدلل على ذلك الإلهان دموزي ومردوخ. وكانت إحدى وظائف الزقورات هي الرصد الفلكي وخصوصاً في (المعبد العالي) لارتفاعها وتمكن الكهنة من مراقبة النجوم فيها.

كانت أعظم الزقورات السومرية هي زقورات الآلهة الكوكبية مثل زقورة أور (القمر) وزقورة أريدو (الشمس) وزقورة أوروك (الزهرة) ثم لاحقاً في العصر البابلي زقورة مردوخ (المشتري).

ويبدو أنّ المعابد كانت تحتوي على حجرة خاصة بالمنجمين تعرف باسم (بت تمرتي) أي بيت الرصد أو المرصد حيث كانوا يرصدون القمر. (انظر هوك 1987: 156).



صورة الكون السومري

http://www. edybevk. dds. nl/sleepwalkers/sleepwalkers%20tekst. Htm

http://www. forbiddenhistory. info/?q=node/12



الأصل السومري لمجاميع النجوم

http://freepages. history. rootsweb. ancestry. com/~catshaman/02evenst/02followma. Htm

الكواكب السيارة

الإله المسؤول عنه ودلالته	أسماؤه السومرية	الكوكب	ت
نبو: المعرفة	جود-أود Gu-ad,Gu-Utu,Ubu-idim-gud-ud,Gud-ud	عطارد Mercury	1
إنانا: الحب	ننسي أنا، دلبات Nindaranna,Ninsianna,Dibalt,Dilbad,Dilipat:	الزهرة Venus .	2
نرجال: الموت	سالبتائي Salbatai,Salbatana,Sanumma	المريخ Mars	3
مردوخ: الهواء، العاصفة، الطقس	أودلتار Babbar,Sagnae-gar,Nibiru--Udaltar,Mul Marduk	المشتري Jupiter	4
نينب: البعيد	جينّا Genna,Sagus,Uduidim,Ninib	زحل Saturn	5

الكواكب الخمسة السيارة المنظورة

6. الكيمياء والمعادن والأحجار

1. الميتالورجيا (تشكيل المعادن):

ظهرت كيمياء المعادن مبكرةً في وادي الرافدين، ويعود ذلك إلى اكتشاف النحاس في الألف السادس قبل الميلاد حين بدأ العصر الحجريّ النحاسي (كالكوليت) في حدود 6000 ق.م. وقد شاع استخدام النحاس ثم البرونز في العراق القديم، وبرع السومريون في ذلك حين استخدموا هذين المعدنين في صنع الأدوات الحربية كرؤوس الحراب والدروع والخوذ والرماح وغيرها. واستعمل النحاس كما هو دون طرقٍ في بداية الأمر ثم جرت عمليات صهر النحاس وطرقه على نطاق واسع. وقد نقلت عمليات صهر النحاس التعدين إلى مراحل متقدمة حيث ابتكروا قوالب الشمع والطين لصنع ما يرغبون من النحاس ثم البرونز.

وقد اشتهر العاملون في التعدين باسم (تامبيرو) و(أورود)، وكانت أكثر خامات النحاس استخداماً هي الملاكايت (كاربونات النحاس) وأوكسيد وكبريتات النحاس واستعملوا النحاس اللامع الذي يعرف بـ(أبو النحاس، النحاس التيزاب) الذي له لون أصفر كالذهب، وكان سعره غالياً والحصول عليه نادراً.

كانت (دلمون) مصدر النحاس الأساسي وكذلك (مجان) وهي عُمان التي أسماها السومريون (جبل النحاس)، وفي وادي الرافدين عرفوا منطقة (كيماش) جنوب كركوك (وهي جبل حمرين) كمصدر للنحاس والذهب.

أما القصدير فقد عرفه السومريون وخلطوه بنسب قليلة لا تتجاوز 10% مع النحاس لتكوين البرونز.

«ومن المعروف أنّ كورة التسخين Kuru الخاصة بإذابة المعدن كانت تتكون من طبقتين: في الأولى وهي السفلية كان موضع اشتعال النار، وفي الثانية يوضع خام المعدن. ومثل هذه الكور تشابه كُور شيّ الفخار المكتشفة بكثرة وهي تشبه أيضاً الكور المستخدمة للأغراض نفسها حتى اليوم». (نخبة من المؤلفين العراقيين، الجادر 1976: 247).

	
كورة لصهر المعادن من لارسا (سنكرة) المرجع: (نخبة من المؤلفين العراقيين ج1، الجادر 1976: 284)	صهر المعادن

اكتشف الآثاريون 14 كورة لصنع الفخار في أور من نهايات الألف الرابع قبل الميلاد. وفي مدينة لارسا (سنكرة) اكتشفت كورة لصهر المعادن عبارة عن ساحة مفتوحة على غرفة مستطيلة الشكل منها تتوزع ثلاثة أفران دائرية تطل من الجهة الثانية على غرفتين أخريين كما في الشكل أعلاه.

وقد عرف السومريون الذهب والفضة على نطاق واسع واعتبروهما من أغلى المعادن وصنعوا بهما الحلي والتيجان وأدوات الزينة المختلفة. واستخدمت الفضة لصنع العملات السومرية وجعلها مقياساً ثابتاً للأسعار.

«استخدم السومريون ثلاثة أنواع من الذهب، فبالإضافة إلى النوع المشخص بالذهب بصفة مطلقة فقد استخدموا التعابير التي تشير إلى الذهب الأحمر والذهب النقي. وكان الاختلاف بين هذه الأنواع يعتمد على نسب خلطه بالمعادن الأخرى وخاصة مع النحاس والفضة أو مع الاثنين معاً. ولقد عرفوا الألكتروم المزيج من الذهب والفضة وبشكل مألوف. وتشخص الكتابات المسمارية مسميات أخرى للذهب حسب مظهره وبعد خلطه مع هذه المعادن. وهكذا يذكر الذهب الأبيض والأخضر والذهب الصافي والذهب من النوعية الجيدة». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1: الجادر 1976: 252).

عرف السومريون الحديد ولكنهم لم يستخدموه على نطاق واسع لندرة الحصول عليه بسبب عدم نقاوته في مواده الخام، وكانوا يدركون أنّ هذا المعدن موجود في النيازك التي تسقط من السماء ولذلك أسموه (آن- بار) أي (معدن السماء) وأسموه أيضاً (بارجال) أي (المعدن العظيم).

كان الصائغ يسمى (كودم)، وكان الإله إنكي هو الذي يرعى المعادن والتعدين لأن فيها إبداع وابتكار، أما الذهب والفضة فقد كانا ينسبان إلى الإله (إنليل).

2. الكيمياء:

بدأت الكيمياء مع النار واستخدامها في الصناعات المختلفة، ومنها صناعة الألوان الذي تزين به الفخاريات، وقد بدأت هذه الصناعة منذ عصر جرمو وتطورت بشكل واسع مع السومريين.

كانت الكيمياء ترتبط بالآلهة وأسرارها «وتميزت الكتابات المسمارية الكيميائية بالسريّة وصولاً إلى اعتبارها من الأسرار الخفيّة أو من عمل الآلهة، حيث استخدمت الضحايا والقرابين لإنجاح بعض العمليات الكيميائية لصنع الزجاج. والأكثر من ذلك أنّ نصوصاً تكنولوجية أو كيميائية قد ذيلت بالآتي: دع الملقّن (للصنعة) يريها للملقَّن ولا يراها غير الملقَّن، إنها تخص الأشياء المحرمة للآلهة العظام». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1: الراوي 1976: 341).

كانت أهم الأدوات التي تستخدم في العمليات الكيميائية هي (المدق، والهاون، والمطاحن، والأوعية، والدوارق، وقوالب الصب، والوقود والأفران) كانت كيمياء الألوان هي الأقدم وهي التي اعتمدت على تحضير المركبات المعدنية وصناعة الألوان منها فضلاً عن بعض صناعات الألوان الخاصة بالنباتات والصمغ والغري وغيرها. وكانت تستخدم للرسم أساساً ولتزيين الجسد البشري.

أما كيمياء الأدوية والأعشاب فقد كانت هي أساس الكيمياء العضوية، فقد ا ستخدم الأطباء السومريون ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) ورماد الصودا (كاروبونات الصوديوم) وملح النشادر (كلوريد الأمونيوم) والشب (كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم) والجبس (كبريتات الكالسيوم)، وملح النيتر (نترات البوتاسيوم).

وكانت بعض وصفات الأطباء تحتوي على مصادر حيوانية مثل الزيت واللبن وجلد الثعبان وغطاء السلحفاة، وبعضها من النباتات مثل الآس والزعتر والصفصاف والكمثرى والتين والبلح.

واستخدم الأطباء المرهم من الزيوت النباتية والدهون الحيوانية مخلوطة بالأدوية المناسبة، فمثلاً ينصح الطبيب السومري بما يلي:

«انخل واعجن معاً، الكل مع بعضه، ترس سلحفاة ونبات الناجا (المحتوي على الصوديوم) في أول تبرعمه، والملح والخردل، اغسل (البقعة المريضة) ببيرة جيدة أو ماء ساخن. حكّ (البقعة المريضة) بكل هذا. بعد الحك ادهن بزيت نباتي ثم غطّ بمسحوق التنّوب». (كوب ووايت: 2001: 23) عن (Kramer 1963: 96 - 97).

وهناك أيضاً كيمياء المشروبات الروحية كالبيرة والنبيذ، فقد كان يتمّ تحضير الإيثانول (الكحول) عفويًّا من الخميرة الموجودة مع الكروم أو مع القمح ويتمّ تحويل السكر إلى كحول في

ظروف التخمير المعروفة، وقد ورث السومريون هذه التقنية من ماضي الإنسان قبلهم والذي كان قد اكتشفها مبكراً في العصور الحجرية.



رقيم مقادير تخمير البيرة 3000 ق. م

http://www. mpg. de/4987500/sumerian_beer?filter_order=L

وكانت هناك أنواع أخرى من الكيمياء الغذائية بمختلف أنواعها كالفواكه والخضر والحبوب: وهناك كيمياء الملابس وأصباغها المختلفة باختلاف أنواعها (الصوف والقطن، والكتّان) وهي أصباغ هايدروكاربونية، وهناك مثبتات للأصباغ. وهناك كيمياء المستحضرات الخاصة بالتجميل ومستحضرات العطور، والمطهرات والصابون (من الطينخاوه وأصماغ الأشجار). وهناك صناعات الدهن الحيواني والزيوت والشمع، وهناك صناعة الدباغة والجلود وكلها تتطلب معرفة بمبادئ الكيمياء العضوية ومراساً طويلاً يعتمد على التجربة والانتقاء.

أما أهم العمليات الكيميائية التي عرفها السومريون فهي التقطير، فقد عثر المنقبون على جهاز للتقطير في موقع تبه كاوره يعود لحوالي 3500 ق. م «وجهاز التقطير عبارة عن وعاءٍ مخروطي الشكل ذي حافتين، الأولى داخلية أقيمت بشكل مستقيم مع البدن وترتفع نحو الأعلى بمستوى الحافّة الخارجية. أما الحافّة الثانية فبرزت نحو الخارج عن سطح البدن مكونة قناة بينها وبين الحافة الداخلية الأولى. ويقرن الباحثون هذا الجهاز بأجهزة التقطير المعروفة عند العرب المسلمين. وموجز طريقة استخدام هذا الجهاز هو تكرار عملية غلي المحلول أو الماء أو الزيت وامتصاص ما يتكثف من بخار في أعلى الوعاء بواسطة قطعة قماش بين الحين والآخر». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1، الراوي 1976: 346).

أما العملية الأخرى فهي الاستخلاص وهناك عملية التصعيد (التسامي) وكلها مرتبطة بعملية التقطير.

عرف السومريون صناعة الزجاج من الرمل في حدود 3000 ق. م، وارتبطت هذه الصناعة بالخزف والفخار أولاً. ومن الأملاح الأخرى: ملح النهر، وملح الجبال، ونترات البوتاسيوم الأبيض والأسود والمغسول وغير المغسول، والبورق والطين والجص والكبريت الأسود والأصفر والقار.

3. الأحجار الكريمة:

اهتمّ السومريون بالأحجار الكريمة وأنواعها وحرصوا على استيرادها وصناعتها وأهم تلك الأحجار هي اللازورد (لابيس لازولي) التي ظهرت في الكثير من الآثار السومرية. وكان أغلب الأحجار الكريمة يستورد من الهند ومن دلمون. أما الأحجار الأخرى فهي حجر العين اليمنى وحجر عين الطير واليشب (حجر أخضر يميل للسواد) وحجر العقرب وحجر السمك وحجر العشرين أي حجر الطلق.



الذهب واللازورد يصنعان تمثال جدي واقف على عمود ذهبي مورق من الذهب

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

7. علم الأحياء (الحيوان والنبات)

علم الحيوان

وصف السومريون حيواناتهم ووضعوا لها قوائم طويلة وميّزوا بين أصناف كل نوع ووصفوها، فقد أسموا الحيوان (دودونا)، (إيرين)*، (إيرنبرج)... وأعطوا أسماءً لأجزاء جسمها وأعضائها.

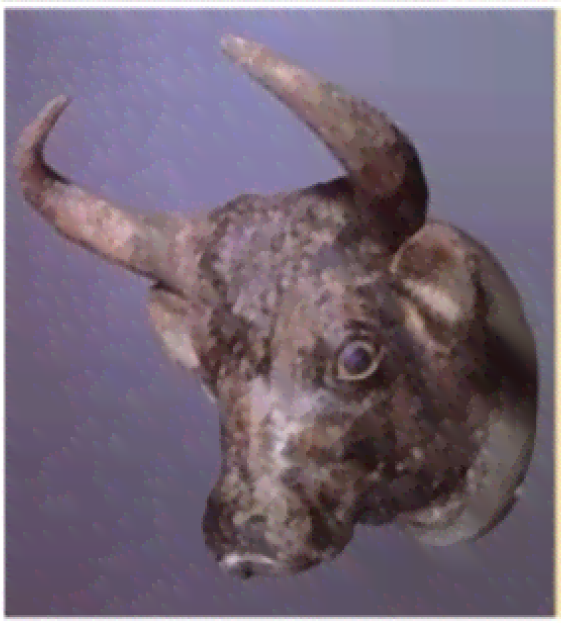
ومن الحيوانات التي فصّلوا في ذكرها (الماشية، والحمير، والأسماك، والطيور، وبعض الحيوانات اللبونة الأخرى كالقردة والغزلان والخنازير).

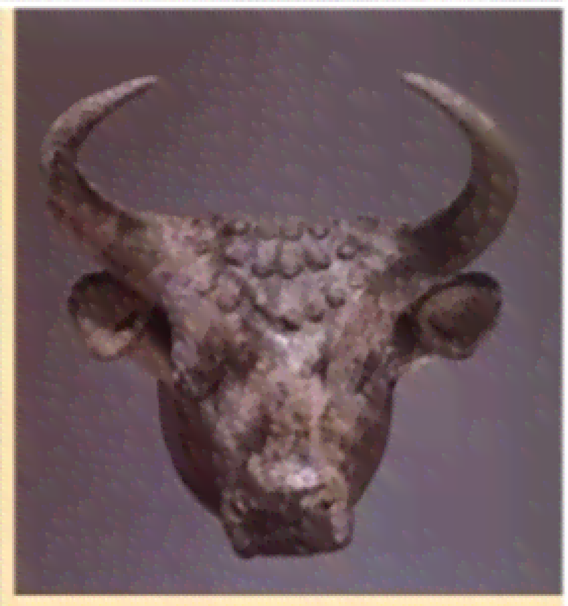
تضمنت قائمة الأغنام، على سبيل المثال، الأنواع الآتية للأغنام:

(أشور، بارسال، دِمّا، جابا، جورجو، شاروميوم، أورّي، زلكوم، زوسيجا).

وهناك الحيوانات البريّة التي سجّلوا أسماءها وأوصافها كالنمور والأسود والفهود وغيرها.







ولا شك أنّ السومريين عرفوا كيفية التخمير ودوّنوه في رقيم طيني يعود إلى حوالي 3000 ق.م وهو يحوي حسابات للمواد الأساسية التي تدخل في صناعات البذور والحبوب كصناعة البيرة.

في حفريات تل العقير (80 كم جنوب بغداد) كان هناك وعاء يحتوي على خمسة أقراص طينية منقوش عليها علامات صورية رمزية (igograms) معظمها على شكل وتد ولها علاقة

بالأمور الطبية والعلاجية، اللوح الخامس يحتوي على علامات تكميلية توضّح تعدد الأصوات عندما يكون هناك أكثر من معنى واحد للصورة الرمزية على اللوح.

يمكن تصنيف علامات العقير إلى سبع مجموعات، ترجم بعضها إلى عبارات مثل:

1. أنتوكومشي إيجي ومعناها: طالما أنّ الأولى

2. أول إيش ومعناها: حُبُّ الماء وبمعنى أدق الذوبان

وغيرها، وقد قام (جوب فان دير ميل) من جامعة أمستردام بتفسير أو تأويل هذه العلامات بمساعدة الدكتور فالنسيا والدكتور بوبرسكي على أنها أسماء لمجموعة من البروتينات والأحماض النووية وقد تلقى ردًّا قاسياً حول هذه التأويلات. (انظر Joop van der Miel, Archaeologyconspiracies. com)

ونحن، بطبيعة الحال، لا نؤيد مثل هذه التفسيرات ولكننا نودّ الإشارة إليها فقط.

علم النبات

ذكر السومريون قوائم طويلة من النباتات وصنفوها واحتلت النباتات الطبية مركزاً مهمًّا، فضلاً عن الأنواع الأخرى المألوفة. فهناك الحبوب كالشعير والحنطة والذرة والحمص وهناك الخضار كالثوم والبصل والخس، وهناك الفاكهة كالتفاح والعنب والرمّان والتوت والتمر والكمثرى. كان النبات يسمى (أنش)، وهناك قاموس للنباتات في وادي الرافدين بالأسماء السومرية والأكدية وضعه كامبل تومبسون يحتوي على (405) صفحات بأنواع النباتات والأعشاب والعليق والأشجار وغيرها. وقد حظيت النباتات باهتمام ديني كبير وكانت آلهة النبات والزراعة كثيرة مثل:

1. إيميش: النبات

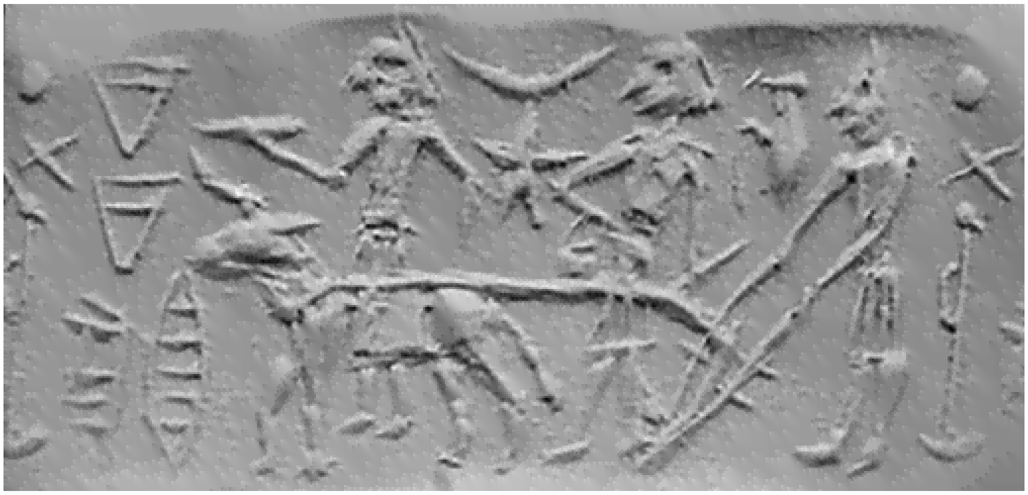
2. أنكيدو: الفلاحة

3. إنتين: فصل الزراعة (الشتاء) وخصوبة النبات

4. آبو: إله الخضر

5. ندابا (نصابا): إلهة الحبوب والحصاد والكتابة

6. أشنان: إلهة الغلّة والزرع



إلهة الزراعة في رقيم طيني



FIG. 47. GRAIN-GODDESS, WITH A MALE DEITY OF VEGETATION, PROBABLY TAMMUZ

الإلهة نصابا إلهة الحبوب أمام إله الخضرة والنباتات ويحتمل أن يكون ديموزي

الإلهة نصابا: لها عدة أسماء أخرى هي (نيدابا، نانيبجال، نونبارشكونو والأخيرة تعني السيدة التي جسدها مرقط بالشعير) هي إلهة الحبوب وإلهة الكتابة والمحاسبة في الوقت نفسه، وهي ابنة

الإلهين آن إله السماء وأوراش إلهة الأرض وأخت ننسون، وزوجها هو الإله هيا أو حيا وهو إله المخازن، وهي أم الإلهة ننليل (سيدة الهواء وزوجة إنليل)، وتحافظ نصابا على سجلات الآلهة، ولها صور تظهر فيها بشعر غزير ولها تاج مكون من الهلال وآذان الذرة لأنها ترتبط بمواسم الحصاد، ويعني اسم نصابا (السيدة التي تحصص الحبوب)، ولهذا فهي تحسب الحبوب وتعدها وتكتبها وهو ما يفسد علاقتها بالكتابة والمحاسبة والحبوب معاً.



آبو إله الخضار

ولعلّ أهم النباتات التي حظيت بعناية خاصة في سومر هي النخلة.

النخيل (الجمّار) وأهميته في سومر

كان التمر يسمى بالسومرية زولومّا Zulumma. وقد ظهرت العلامة المسمارية للنخلة مبكراً ثم ظهرت إشارات واضحة ومهمة لبساتين النخيل في عصر الدولة السومرية الحديثة تقع في المنطقة الممتدة بين بلدتي «أوما» و«لگاش» وتعود إلى معبد إله «أوما». وقد قسمت البستان إلى ثمانية أقسام حسب عمر النخل ودرجة ثماره. وكان إنتاج البستان للتمر تقدر كميته بالكيلة حجماً لا

بالوزن. وتصف المصادر المسمارية أصنافاً كثيرة من التمر تتجاوز السبعين صنفاً. وتذكر أصناف التمر بأسماء مواضع خارج بلاد وادي الرافدين مثل: تمر دلمون (البحرين)، تمر مجان (عمان)، تمر ملوخا.



قطف ثمار التمر من النخلة

«سمى العراقيون القدماء النخل باسم جشمار giammar أو gisimmaru وهو يقرب من لفظة (الجمّار) كما عرفوه باسم ثمره أي التمر: suluppu وقد دلت المخلفات الآثارية من عصور قبل التاريخ في العراق على معرفة العراقيين بهذه الشجرة وغيرها من خلال المتفحمات التي اكتشفوها. ويؤيد ذلك ويدعمه وجود العلامة الصورية الخاصة بالنخل على أقدم الرقم الطينية التي يرقى زمنها إلى حوالي نهاية الألف الرابع ق. م وحتى منتصف الألف الثالث ق. م. وبتقدم الزمن وزيادة التدوين كثرت الإشارات إلى النخل وأنواعه وما يمكن أن يعمل منه. وكان العراقيون يقدسون هذه الشجرة العظيمة لما تقدمه لهم من منافع حتى إن المؤرخ سترابو قال بحقها في معرض حديثه عن أهل العراق «تجهزهم النخلة بجميع حاجاتهم ما عدا الحبوب». وقال بلجريف palgrave بأنها «خبز البلاد، ومادة الحياة وعماد التجارة». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، فاروق ناصر الراوي 1985: 357).

وكانت النخلة تحظى بعناية فائقة من قبل المزارعين وينظر إليها كشجرة مقدسة حيث يقول المثل السومري: (يدللون ملوكهم كما تدلل نخيل دلمون)، وأغلب الظن أنّ زراعة النخل ظهرت في

وادي الرافدين وتحديداً في (نيبور) وليس كما يرى البعض أنّ مصدر زراعة النخيل جاء من دلمون التي اشتهرت بنخيلها.

ويرد في نص شعريّ عن مدينة إنليل (نيبور) يقول:

«مدينتي نيبور وجدت قبل دلمون

وقد نبتت فيها شجرة النخيل»

أساطير النخلة السومرية

1. شجرة الحياة: في الختم الأسطواني الشهير الذي يظهر رجلاً وامرأة وبينهما نخلة وتقف الأفعى وراء المرأة هناك الكثير من الإيحاءات التي تُذكر بأسطورة آدم وحواء التوراتية وطردهما من الفردوس، لكننا للأسف نفتقر إلى النص الذي يحكي قصة هذا الختم المهم، ومهما يكن فلا شك أنّ النخلة في الختم تشير إلى شجرة الحياة أو شجرة المعرفة التي تجعل من يأكل ثمرها خالداً أو حكيماً ومبصراً.



ختم أسطواني يظهر النخلة كشجرة للحياة بين إلهين وفيها إيحاءات لقصة آدم وحواء

http://solvinglight. com/features/SlimeSnakeMonkey. htm

2. أسطورة نشوء النخلة من الكحل: تسمى أسطورة إنانا والفلاح شوكليتودا بأسطورة نشوء النخلة أيضاً، ففي بداية هذه الأسطورة يظهر حوار بين الإله إنكي والغراب حيث يأمر إنكي الغراب بأن يأخذ كحل إنكي ويفتته ويزرع حبيباته عند البركو ذات الكرّاث، فتظهر النخلة ذات الورق الذي يشبه ورق الكرّاث، حينها يفرح الغراب ويأكل من تمرها. وتقول الأسطورة إنّ لسان هذه الشجرة

يمنح اللب ولحيتها تمنح الحصران وزوائدها تمنح مساطر القياس وسعفها يمنح النسق لحفلات الملوك وتمنح أضاحي الشجر في المعابد.

3. شجرة الوحي: هناك ما يشير إلى أنّ النخلة كانت مرتبطة بالوحي بحكم قداستها فهي تربط بين السماء والأرض لأنها باسقة فتوصل كلام الآلهة إلى الناس وهو ما يفسر عناية إنكي بها لأنه كان راعياً للصلة بين السماء والأرض، وقد ورد في نص سومري ما يلي:

البنية الغامقة؛ أحمل في يدي شجرة إنكي

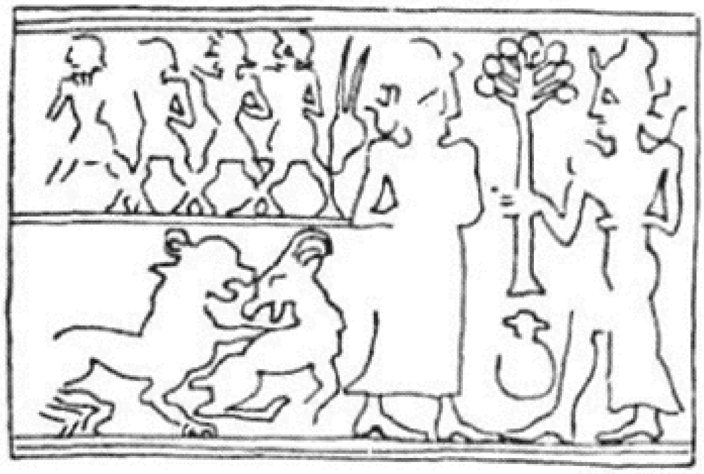
الشجرة التي تخبر ما قدرته السماء العظمى

السلاح الباسط، أحمل في يدي

شجرة النخل، شجرة الوحي الكبرى، أحمل في يدي.



النخلة تظهر خلف إنانا وأمام إنكي



الإله إنكي يمسك النخلة: شجرة الوحي

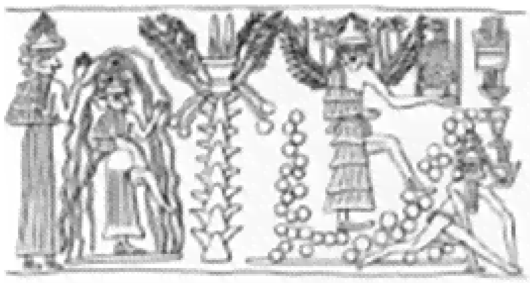
http://www. bibliotecapleyades. net/sitchin/stairway_heaven/stairway10. Htm



إنانا وأمامها النخلة وطائر الزو ويرقد عند قدميها أسدها، رقيم سومري (2212-2004) ق. م

http://www. matrifocus. com/SAM04/spotlight. htm

3. شجرة الشفاء: وهي شجرة الشفاء لما فيها وفي ثمرها من منافع طبية كثيرة عرفها السومريون، وكانت إلهة الطب باو (بابا) وهي طبيبة السومريين تظهر وهي تحمل نخلة في يدها.

	
الإلهة السومرية الطبيبة باو (بابا) وهي تمسك النخلة بيدها، أور (2017-1595) ق. م http://www. matrifocus. com/IMB06/ spotlight. htm	إنانا إلهة النخيل تنتصر على الجدب ممثلاً بأحد كائنات العالم الأسفل

4. شجرة الخصب: كانت النخلة رمزاً للخصب فهي علامة الإله ديموزي إله الخصب الراعي، وكانت تظهر بينه وبين إنانا دلالة على علاقتهما العاطفية والجنسية المميزة.

8. الفلاحة وهندسة الريّ

كيف عادت الزراعة إلى سومر بعد الطوفان؟

لعبت لجش دوراً فريداً في تاريخ سومر قبل وبعد الدولة الأكدية، وكان دورها قبل أكد يتمثل في أهميتها الاستثنائية كمدينةٍ أعادت الزراعة بعد الطوفان، حيث قام إله المدينة (ننجرسو) بذلك، حيث وضع الفأس والقفّة والمحراث والمعزق والشادوف، وهو جهاز لنقل الماء من الأنهار للإنسان وجعله يعتمد على الريّ وليس على الأمطار.

ظهر ذلك على لوحٍ متأخر تمّ تأليفهُ في 1800 - 1700 ق. م وهو محفوظ في المتحف البريطاني.

يتألف اللوح من أربعة أعمدةٍ نال التلف عمودين، ونصف منه هو نصف العمود الثاني والعمودين الثالث والرابع باستثناء جملٍ قصيرةٍ هنا وهناك.

ويتحدث العمود الأول عن عودة نشاط الإنسان بعد الطوفان وكيف أنّ الآلهة كانت قد صنعت خمس أدوات زراعية مهمة لكنها لم تنزلها على الإنسان وهي (الفأس والقفّة والمحراث والمعزق والشادوف).

«على الرغم من أنّ الطوفان كان قد جرف كل شيء،

ونشر الدمار على الأرض

فإن استمرار البشر بقي مؤمَّنا،

وذريتهم مصونة،

- وكان بإمكان «ذوي الرؤوس السوداء» وقتئذٍ،

الخروج من جديد من طينهم

ولكن عندما، آنو وإنليل

دعيا من جديد البشر إلى وجودهم

وإذا ما كانا أسّسا أصول الحكم

والملكية، جوهرتي المدن،

- فلم يكونا بعد عَمدا إلى إنزالهما على الأرض!

ومن قبل ننجرسو فلا الفأس ولا المعزق،

ولا القفة ولا المحراث التي من شأنها إحياء الأرض

لم تكن كذلك قد وضعت، بيد جمهور

الذين خلفوا البشرية البائدة».

كان عمر الإنسان المتكون من مئتي عامٍ كان ينقضي نصفه الأول بالعمل الشاق وحين يبدأ النصف الثاني يبدأ الإنسان بالموت لأنه لا ينجز أعمال الفلاحة بشكل صحيح بسبب غياب هذه الأدوات فينقص عدد البشر وتنقرض ماشيتهم الصغيرة، وكانت لجش ينقصها الماء وكانت المجاعة تنتشر في جرسو (وهي مدينة تلّو الحالية المتصلة بلجش).

«في ذلك الوقت، كان البشر

يصلون إلى عمر مئة عام،

- وعندما كانوا يصلون إلى هذا العمر المتقدم

كان يتبقى لهم مئة عام أخرى!

إلّا أنه بسبب عدم إنجازهم

الأعمال الضرورية

فإن عددهم كان يتناقص، ويتناقص كثيراً {..... }

وفي الزرائب، بدأت الماشية

الصغيرة تنقرض!

- ولما كانت لجش ينقصها الماء آنذاك

فإن المجاعة انتشرت في جيرسو

لأنه لم تكن الأقنية قد حُفرت بعد

ومجاري الريّ لم يكن يتمّ تنظيفها

ولا الشادوف كان يروي الأرياف الفسيحة

- وحتى لو كان الماء متوافراً بكثرة، فلم

يكن يستخدم في ريّ الحقول

لأن البشر كانوا يعتمدون فقط

على مياه الأمطار!

و(أشنان) الحبوب لم تكن إذن

تنتج الشعير – المبرقش:

لم تكن الأثلام قد شُقت بعد

ولم تكن تعطي نتاجها

- ولم تكن أيّ أرض قد شُغلت

لكي تعطي ثمارها

ولم تكن المناطق ولا جمهور البشر

يقدمون للآلهة القرابين السائلة:

الجعة والخمر و{..... }

- والخمر – الحلو و{..... }

وإنه بغية توفير ذلك،

لم تكن الأرض المتسعة

تُشغَلُ بالمحراث أبداً

(فقدان عشرة أسطر في نهاية العمود الأول)

العمود الثاني

يتحدث العمود الثاني، في بدايته، كيف أنّ الآلهة وضعت تحت تصرف الإنسان هذه الأدوات فانتعشت الزراعة وظهر الريّ من الأنهار وظهر ملوك لجش حيث يتمّ تعدادهم حتى يصل إلى

جوديا، وهو ما يشغل كتابة العمودين الثالث والرابع.

ويتضح من آخر سطرٍ أنّ النصّ كُتب في مدرسةٍ ويحيي إلهة الكتابة (نصابا) أو (نيدابا).

«الأقنية {..... }

الحقول {..... }

- من أجل حفر الأقنية

وتنظيف مجاري الريّ،

وإرواء الأرياف الفسيحة،

بالشادوف،

واستعمال الماء الغزير لإرواء

الحقول والمروج

- وضع الآلهة تحت تصرف البشر

- الفأس والمعزق والقفة والمحراث

- التي تحيي الأرض!

ومنذ ذلك الحين بدأ البشر

بجعل الشعير ينبت!

عند ذلك، وأمام أشنان التي ما زالت

فتية وحاضرة هنا، صبروا،

- ليل نهار (صبروا)، والزمن اللازم

عليها سهروا!

وعند ذلك، أمام أشنان المنتجة

للشعير – الذي- يُبذر،

سجدوا قبل مباشرتهم العمل.

أمام أشنان، منتجة الشعير – الآخِريّ،

- إنهم {..... }. (الشواف: 1999: 44 - 47)

تقويم نيبور الزراعي:

اكتشفت بعثة التنقيبات الأثرية الأمريكية في العراق (1949 - 1950) وكانت مؤلفة من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا، في خرائب المدينة القديمة (نفر) في (عفك) أول تقويم زراعي في العالم مكتوب باللغة السومرية، وقد شرحناه وحللناه في الفصل الخامس الخاص بالمظهر الاقتصادي.

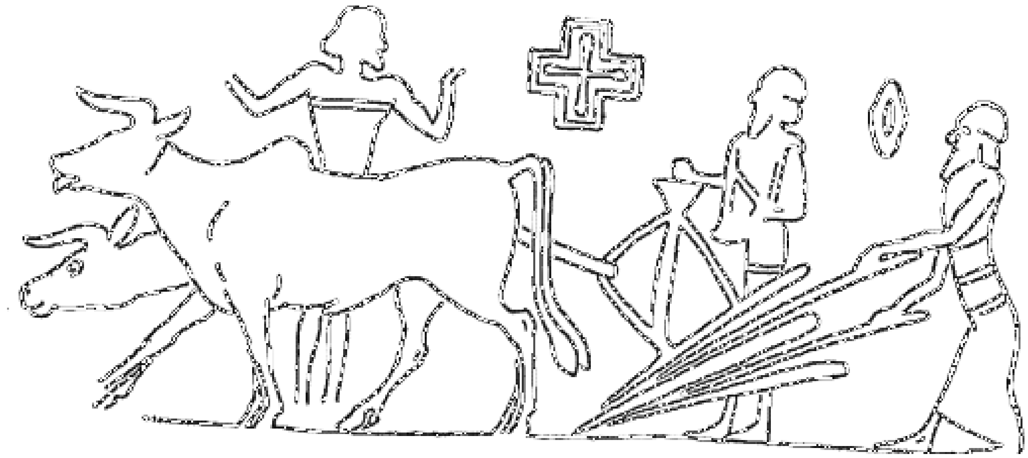
وكانت الأنهار مهمة في الزراعة وهو ما طوّر هندسة الريّ، فنهر الفرات يمرّ بالمدن الآتية (كيش، نيبور، شروباك، أوروك، أريدو). تفرع منه شمال غرب كوثا نهر (الآراحتو) أو (كرابنس) وهو النهر الذي تقع عليه مدن بابل ودولبات ومرد ويصب في مجرى الفرات الرئيس عند أوروك.

وكان يصب في هذا الفرع نهر اسمه (أبكلاتوم) وهو فرع الهندية الحالي. وتتفرع من الفرات إلى شمال سبار قناة مهمة اسمها زوبي (أو قناة جمدت نصر) التي تصب بمجرى الفرات شمال تل أبو الصلابيخ قرب الدغارة.

وهناك أيضاً قناة الآرنينا المارة بكوثا والتي تصب في الفرات شمال كيش، وهناك الكثير من القنوات والفروع والجداول التي تعطينا فكرة واسعة عن استثمارها في هندسة الريّ.

وتفسر طبيعة النهرين لماذا كانت مشاريع الريّ وهندستها على الفرات أكثر منها على نهر دجلة وذلك بسبب بطء سير الفرات وثباته وقلة فيضاناته قياساً لدجلة الهائج دائماً.

أهم أدوات الريّ كانت (الدالية) وهي آلة سقي بسيطة تتكون من عمود خشبي يقف على مسند فإذا ارتفع رأس منه نزل الثاني وهكذا، وهناك الناعور المائي.



مشهد حراثة من ختم أسطواني من مدينة نيبور، المحراث عليه قمع البذور أثناء الحراثة وإله الشمس أوتو يرعى الزراعة برمزه الصليبيّ أعلى المشهد

9. الطب السومري

1. أصناف الأطباء السومريين

عرف الطبيب في السومرية بلقب (آزو AZU) وتعني حرفيًّا (العارف بالماء) أو الشخص الذي يكتشف المعرفة من الماء كما يقول كونتينو، وكذلك (إيازو IAZU) وتعني حرفيًّا (العارف بالزيت). (انظر كريمر د. ت: 131).

أو ربما تنطلق هذه التسمية من حقيقة أنّ إله الماء (إنكي) ابن إله المياه العميقة (أبسو) وهو الإله المسؤول عن الشفاء والموصوف بأنه (إله الطب الأكبر)، وتأتي هذه القرينة بين الطب والماء من حقيقة أنّ الطب يعني الحياة والماء هو مصدر الحياة ومنه ظهر الكون والآلهة والإنسان، ومن دور الإله إنكي في خلق الإنسان والحرص عليه، ولا شك أنّ مثل هذه التسمية تعكس لنا النظرة العميقة الثاقبة لدى السومريين وتطلق هذه التسمية على الطبيب الممارس أو السريري (physician). وقد كان لمثل هذه النوع من الأطباء الأهمية الكبرى في الحياة السومرية. فقد وصل إلينا أقدم لوحين طبيين من سومر يؤكدان على أهمية الطب السريريّ الخالي من الجوانب السحرية والأسطورية والدينية، حيث كان الطبيب السومري كقرينه الطبيب الحديث يلجأ إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لعمل وصفاته الطبية، وكانت مواده المعدنية المفضلة هي كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وقار النهر والزيت الخام، وكان يستخدم من المملكة الحيوانية الصوف والحليب وترس

السلحفاة وحية النهر. ولكن أغلب أدويته كانت تستحضر من عالم النبات كالزعتر والخردل وشجرة البرقوق والكمثرى والتين والصفصاف ونبات الـ(من) والتنوب والصنوبر ومن منتجات مصنوعة كالجعة والنبيذ والزيت النباتي. (كريمر د. ت: 129).

أما الصنف الثاني من الكهنة فيسمون بـ(أشيبو) «ويقومون بمجموعة من الواجبات الدينية ومن ضمنها طقوس التعزيم التي تهدف بالدرجة الأولى إلى طرد الأرواح الشريرة من أجسام المرضى. كما يمارس أيضاً طقوس (غسل الفم)، وهذه الطقوس في حقيقتها تتمثل بالخطوات الأساسية التي يجب أن تتبع أثناء تقديم الثور قرباناً إلى الإله، ويقوم أيضاً بتطهير المعبد. وقد أكدت النصوص المسمارية المختلفة على أنّ هذا الصنف من الكهنة كان عارياً تماماً عندما يقوم بتأدية واجباته الأساسية». (نخبة من الباحثين العراقيين، رشيد ج5 1985: 194).

أما الصنف الثالث من الأطباء فهو نوع من الكهنة أيضاً ويسمى (بارو) ويمكن أن نطلق عليه (العراف) «وأحسن تشبيه له هو (الفوال) الذي كان يجوب المحلات قبل ثلاثين أو أربعين سنة، ويتولى هذه الصنف من الكهنة مهمة الكشف عن الطالع باستخارة الفأل بأنواعه المختلفة. وعلاوة على هذه المهمة فقد كان كاهن البارو يقوم بمهمة تفسير الأحلام». (نخبة من الباحثين العراقيين، رشيد ج5 1985: 195).

أما النوع الرابع فهو من الذين كانوا يدخلون الحقل الطبي من حقل السحر هؤلاء كهنة يطلق عليهم (كسبو أو كشفو) أي (الكاشف) ويطلق على هذا النوع الضار في الغالب من السحر اسم السحر الأسود، ولا شك أنّ هؤلاء السحرة هم امتداد لسحرة الشامان الذين ظهروا في العصور الحجرية. وهكذا نرى في هذا المشهد الطبي السومري أفضل صورة لارتباط الطب بالسحر والعرافة والكهانة من خلال (الأسو، الكشفو، البارو، الأشيبو) وستبقى هذه الصورة مسيطرة على الطب العراقي القديم مع اختلاف نسبة تأثير واحد من هذه الأركان الأربعة وظهورها الأكبر في عصر من العصور. إن العلاقة بين الطبيب والساحر والعراف والمعزّم هي، في حقيقة الأمر، تتراوح بين ثلاث قوى أو عناصر هي: العلم والسحر والدين، وقد ساهم كل واحد منها بتطوير الطب من زاويته الخاصة.

2. آلهة الطب وشياطينه (أسباب المرض وأسباب الشفاء):

تقوم الفلسفة الدينية للطب السومري على مسألة في غاية الأهمية أصبحت أساساً مهمًّا للطب العراقي القديم وربما للطب القديم بأكمله، وهي أنّ سبب نشوء الأمراض إنما هو غضب إلهي يحلّ على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه، فإما أنه كان مقصراً في أداء واجبات للبشر ولذلك كانت الآلهة تأمر بإنزال لعنة المرض كنوع من اللعنات التي قد تؤدي إلى الموت لكن الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به وتسخّر كائنات العالم الأسفل للقيام به من آلهة وشياطين وأرواح موتى، وفي ذلك ترميز واضح إلى أنّ المرض هو ضربة من العالم الأسفل أي من عالم الموت تمهيداً لإحلال الموت نهائيًّا.

المرض، إذن، ريح قادمة من عالم الموت تقوم بنقلها كائنات العالم السفلي ويعتبر الإله إنكي (إيا) رب الطب الأعلى وهو يميل إلى الشفاء والصحة، فهو إله الماء الذي هو مادة الطب، لكن الإله آن والإله إنليل هما الإلهان اللذان يأمران، في الغالب، بإحداث الأمراض ويستخدمان في ذلك آلهة النار (كيرا ونسكو) وآلهة العالم السفلي (نركال) (نمتار) و(إيرا) وشياطين العالم السفلي المختصة بالأمراض. لكن الغريب في الأمر أنّ الأساس الفكريّ الذي يقوم عليه الشفاء من الأمراض مشابه للأساس الذي يقوم به السحر، حيث يقوم الكاهن المعزم في الغالب (الأشيبو) بالتوسط بين المريض والآلهة فيتوسلها لأن ترفع عن المريض غضبها وتتعهد نيابة عن المريض بأنه سيقوم بأداء واجباته نحو الآلهة كما يجب. وهكذا تأمر الآلهة تلك الشياطين بالكف عن أذى المريض... ويحتاج المريض إلى بعض الأمور الطقسية ليتمّ ذلك كما يحتاج إلى (الآسو) ليقوم بإعطائه الأعشاب والأدوية، لكن ذلك يتم، في الغالب، عن طريق آلهة الشفاء التي في العالم السفلي أيضاً وأهمها (ننازو) سيد الأطباء و(ننكشزيدا) إله الطب و(باو) إلهة الطب وتسمى (بابا) طبيبة ذوي الرؤوس السود و(ننكراك) إلهة الصحة.



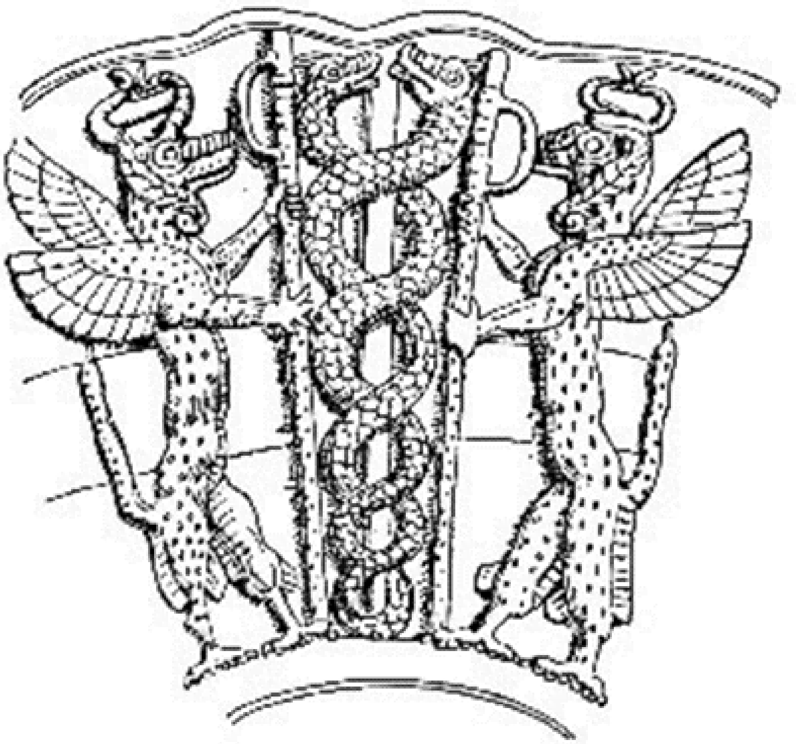
آلهة الطب السومريين (إنكي) الجالس على عرشه المائي وباو (بابا) خلف جوديا الذي يقوده ننكشزيدا إلى الإله إنكي

نستنتج من هذا أنّ أوامر المرض والشفاء تصدر من الآلهة العليا الكبيرة، أما ممارسة المرض والشفاء فتصدر من آلهة العالم السفلي وكائناته، وستستمر هذه القاعدة اللاهوتية في فهم الطب خلال جميع عصور الحضارة العراقية القديمة. وقد ظهرت أساطير سومرية عديدة تذكر الأمراض وتؤكد على ما ذكرناه.

3. شعار الطب السومري (الكاديكيوس السومري):

«وضع السومريون شعاراً للطب يتمثل بثعبانين يمثلان الإله (ننكشزيدا) إله الطب السومري يلتفان على عصا، وذلك منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وقد انتشر هذا الرمز شرقاً وغرباً فما زال في الهند يعتبر هو نفسه قادراً على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات. وانتشر نحو اليونان وصار رمزاً لإله الطب اليوناني إسكلابيوس، وارتبط عند الرومان بسنابل القمح كرمز للخصب وأسموه اليونان والرومان بالكاديكيوس. ونستطيع ملاحظة وجود هذا الرمز واستمراره حيًّا في الشرق القديم من حكاية حية النحاس التي رفعها موسى في القفر لشفاء العبرانيين فتلك الحية لم تكن سوى أفعوان ملتف على عصا». (السواح 1993: 153).

ويستمر ظهور هذا الرمز للطب في العصر الحديث حيث تكون الحية الملتفة على عصا هي رمز الطب، وكذلك رمز الأفعى الملتفة على كأس واضعة رأسها عند فوهتها وهو الشعار الذي نراه على أبواب الصيدليات ولافتاتها. والحية تشير، بين ما تشير إليه، إلى الشفاء والخلود الذي امتازت به الأفعى في الأساطير السومرية، وهي أحد رموز الإلهة الأم التي تحتفظ في جسدها بقوة الشفاء.



الكادكيوس السومري (شعار الطب) والأفعوانان المتقابلان يمثلان الإله ننكشزيدا / لجش الألف الثالث ق. م

4. جذور فلسفة الطب السومرية:

يستمد الطب السومري فلسفته العميقة من فلسفة الخليقة أو التكوين السومرية وعناصرها المتمثلة بـ(الفناء والخلود، الولادة والموت، شجرة الحياة).

إن ما ذهبنا إليه يؤكد على أنّ المرض هو نوع من أنواع الموت لأنه يخرج للإنسان من العالم الأسفل (عالم الموت) ولا يكون أمام الإنسان إلّا طريق من اثنين: إما أن يشفى فيعود إلى الحياة الطبيعية، وإما أن يذهب إلى عالم الموت نهائيًّا. وكذلك يبدو لنا الشفاء على أنه قادم من الخلود (من عالم الآلهة) فهو أمر تقرره الآلهة وتنفذه الآلهة، وتظهر لنا الأدوية والأعشاب مثل إكسير الخلود أو عشبته فهي قادمة أيضاً من عالم خالد، إنها قادمة من جسد الإلهة الأم مانحة الخلود والتكاثر والصحة، ولذلك نرى أنّ الأعشاب لها حظ أوفر من غيرها لأنها تنبت من الأرض التي هي الإلهة الأم القادرة على التجدد والشباب والصحة.

وتبدو لنا الولادة أمراً أقرب إلى الصحة والشفاء. أما الموت فهو أقرب إلى المرض. وإذا كان الإنسان يعيش بين حدين قاطعين اسمهما الولادة والموت، فإنه يكرر أشكال الولادة والموت بينهما بصيغتي الصحة والمرض، ونلمح في أساطير خلق الإنسان السومرية ما يدل على أنّ الإنسان يولد ومعه الأمراض التي هي عنصر فناء داخل حياته لكن الشفاء يغالبها حتى النهاية بالمرض الأخير الذي هو الشيخوخة فالموت.

أما شجرة الحياة السومرية فتدل بالطريقة نفسها على أنّ ما تُخرجه الأرض من نباتات سيكون كفيلاً بإدامة حياة الإنسان وربما بخلوده، وهكذا أوضح ختم سومري شجرة الحياة التي تدلت منها ثمرتان حيث يجلس عن يمينها ويسارها رجل وامراة يمدان يديهما لاقتطاف الثمر وتظهر وراء المرأة الحية منتصبة وكأنها تهمس في أذن المرأة... ونلمح في هذا الختم جميع عناصر قصة سقوط الإنسان في الرواية التوراتية. وكأن هذه الشجرة تدل على الحياة والمعرفة، في الوقت نفسه، وكأن الرجل آدم والمرأة حواء والأفعى إبليس.

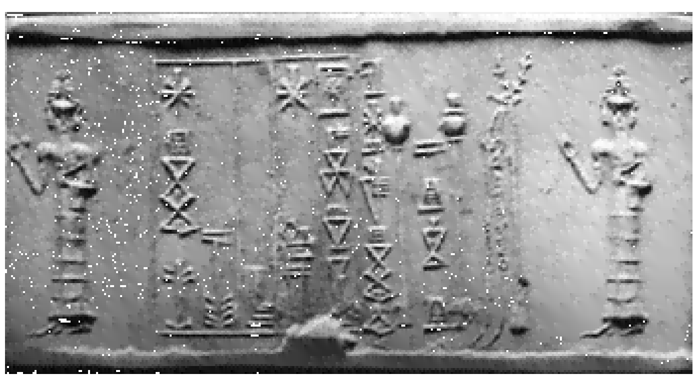
لقد أعطت هذه العناصر التكوينية السومرية للطب جذوره الفلسفية واللاهوتية العميقة وأكسبته عمقاً سنراه في الحضارات العراقية اللاحقة.

5. أول الأطباء السومريين

يخبرنا المؤرخ والكاهن البابلي - الهلنستي بيروسوس Berosous الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد بأنه خلال مدة حكم الملك ألوروس Aloros الذي حكم قبل الطوفان خرج الوحش أوئنس Oannes من البحر وكان على شكل إنسان في لباس سمكة، وعلم الملك وشعبه مختلف أنواع الحرف والقوانين والعلوم التي منها الطب. (انظر الأحمد 1994: 83).

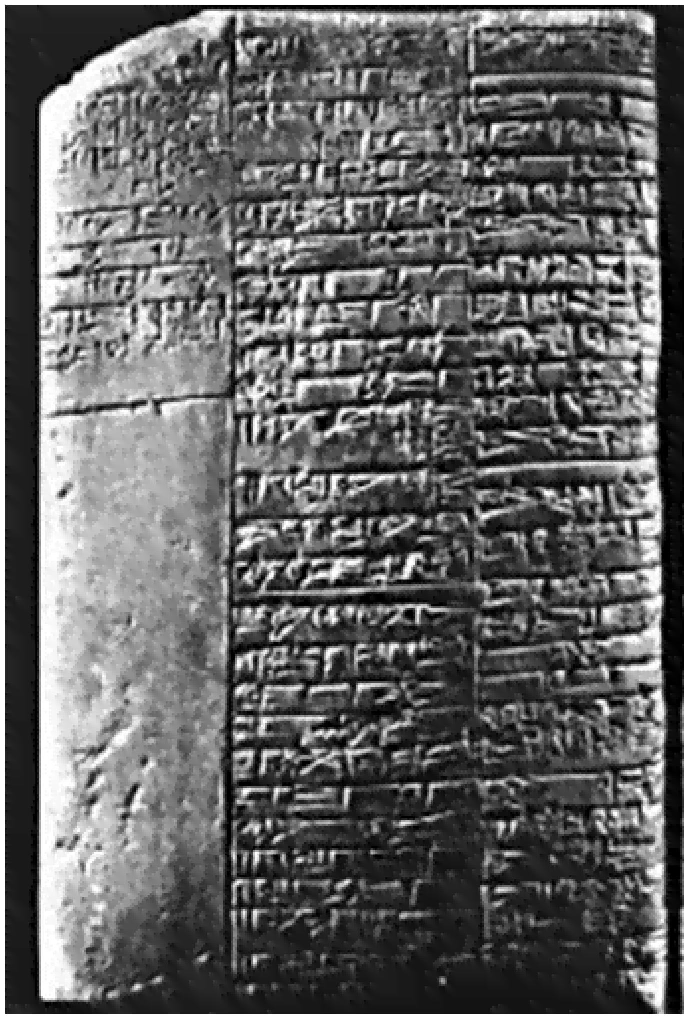
ويبدو من النظر في اسم الملك ألوروس في قائمة بيروسوس، وهو الملك الأول في ثبت الملوك السومريين، أنّ المقصود به هو الملك (ألولم Alulim)الذي حكم في أريدو بعد أن هبطت الملوكية من السماء مباشرة، أما الوحش أوئنيس الذي خرج من البحر فيقترب في صورته من شكل الإله (إيا) الذي كانوا يمثلونه على شكل إنسان في لباس سمكة، ودليلنا في ذلك أنّ اسم أوئنيس يقترب من اسم إيا أيضاً، وهذا يعني أنه عندما هبطت الملوكية في أريدو حكم الملك (ألولم) ظهر الإله (إيا) من البحر وهو إله الحكمة والمياه والإله الأعلى للطب، وأعطى العلوم ومن ضمنها الطب إلى الملك وبذلك فإنه يكون (حسب هذه الرواية ذات الطابع الأسطوري) أول ملك سومري وأول طبيب في التاريخ.

أما الثابت تاريخيًّا فإن أول طبيب سومري ورد ذكره في النصوص (طبيب ممارس) اسمه (لولو) وقد ظهرت الكلمتان (لولو، الطبيب) على لوح عثر عليه في مدينة (أور) من قبل السير (ليونارد وولي) ويعود في تاريخه إلى حدود سنة 2700ق. م وكان الطبيب بكل تأكيد يتمتع بمكانة اجتماعية عالية نسبيًّا، ونستدل على ذلك من أنّ واحداً من أطباء (لجش) اسمه (أورلوكال أيدينا) الذي وصل إلينا خاتمه الأسطواني والكتابة المدونة على حجر (جوديا). (كريمر د. ت: 132).



ختم أسطواني يعود إلى الطبيب السومري (أورلوكال أدنا) وتظهر فيها آلاته الطبية لجش، الألف الثالث ق. م

ويظهر ختمه في بعض الآلات الطبية التي تشبه الدوارق والإبر والمباضع وأحقاب الزيت والأعشاب الطبية. وتبرز هذه الأمثلة المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الطبيب السومري فهو إما إله أو ملك أو مقرب من الملك، كما تشير إلى قدم مهنة الطب وجذورها الضاربة في عمق التاريخ السومري. ومن الفترة نفسها يظهر أول كتاب طبي سومري في حدود 2200 ق. م.



أول كتاب طبي سومري في حدود 2200 ق. م

http://www. drhajar. org/English/index. php? option=com_content&view=article&id=18:arabian-gulf-cradle-of-medicine&catid=17:history-of-medicine&Itemid=2

وقد كانت اللغة السومرية تستعمل كلغة خاصة بالطب في الوصفات الطبية حتى في العصور البابلية والآشورية غالباً، حيث كان الأطباء يستعملون: دساتير سومرية كما كان الأطباء الفرنسيون يستعملون اللاتينية ولا تزال اللاتينية اللغة العلمية في المصطلحات الطبية. ولعل أطباء العراق القديم كانوا يتقصدون استعمال السومرية التي لا يفهمها المرضى فيزداد نفوذهم وشهرتهم. كما أنّ تلك النصوص يغلب عليها الإيجاز والاختصار. (باقر د. ت: 374).

ومن الجدير بالذكر أنّ الملك السومري (أنميدارأنـّا) وهو الملك السابع قبل الطوفان في ثبت الملوك ويسمى أيضاً (أنميدار إنكي) هو الذي اخترع الطريقة الخاصة بالعرافة والتي تسمى (عرافة الإناء Lecanomancy) وتعتمد على صب الزيت والماء في إناء أو طشت ومعرفة ما يعانيه المريض أو معرفة المصائر بعامة من خلال ذلك.

6. أول دستور أدوية (أقرباذين) Pharmacopocia

اخترنا من بين الرقم الطينة الطبية السومرية أن نتحدث عن أول دستور أدوية سومري، وهو أول دستور في التاريخ لنؤكد ما ذهبنا إليه من شيوع الطب الخالي من السحر في سومر رغم أنّ ذلك لا يعني عدم وجود الطب السحري ويرجع عصر هذه الوثيقة إلى نهاية الألف الثالث وقد خلت من ذكر أيّ إله أو شيطان أو تعزيم أو رقية.

يوضح هذا الأقرباذين السومري مصادر صناعة الأدوية الثلاثة (النباتية والحيوانية والمعدنية) وتشمل النباتية منها أعشاباً هي: (القاسيا، القثاء الهندي، الأسي، الحلتيت (الجزيفة)، الزعتر، وأشجار هي الصفصاف، الكمثرى، الشربين (الشوح)، التين، التمر، وتكون إما على شكل بذور أو جذور أو أغصان أو لحاء أو صمغ. أما الحيوانية فتشمل (اللبن، جلد الحية، صدفة السلحفاة). وأما المعدنية فتشمل (ملح الطعام: كلوريد الصوديوم) و(ملح البارود: نترات البوتاسيوم).

كذلك يوضّح الأقرباذين هيئتها، فهي إما مراهم وإما قطرات، ويعطي وصفاً دقيقاً لطريقة تحضير كلّ منها، وتقترب طريقة التحضير من الطرق العلمية الحديثة لتحضير الأدوية من خاماتها الأولى وتعتمد عليه فصل المركبات المعدنية على طريقة علمية حديثة أيضاً هي طريقة (التبلور الجزئي Fractional Crystalization). ثم يوضح هذا الأقرباذين طريقة الاستعمال الخارجي للأدوية سواء بالدلك أو الرش أو الغسل، أما الأدوية ذات الاستعمال الداخلي فيوصف تحضيرها

ومزجها مع الجعة وتبدو لنا غالبية الأدوية المذكورة مستعملة كمعقمات وكمطهرات وكقوابض، ويخلو الأقرباذين من ذكر الأمراض التي تستخدم لها هذه الأدوية، كذلك يخلو من ذكر المقادير وعدد مرات الاستعمال، ويرجّح أن يكون المقصود من مثل هذه النواقص في الأقرباذين هو التكتم المهني أو الغيرة المهنية، إذ يرجح أن يكون الطبيب السومري قد أخفى عمداً تفاصيل المقادير حفظاً وصوناً لأسراره من أن يتطفل عليها غير أهل المهن الطبية. ولعله أخفاها حتى عن زملائه الأطباء. وقد يكون ذلك بسبب شعوره بعدم أهمية ذلك وأنه بالمستطاع معرفة مقاديرها أثناء التجربة عند تهيئة الأدوية واستعمالها. لقد جاء هذا الأقرباذين من مدينة (نفّر) التي اشتهرت بمهنة الطب واشتهر أطباؤها. (انظر كريمر 1965: 129-136).



جمجمة مثقوبة لأغراض طبية من العصر السومري

http://www. mitchellteachers. net/WorldHistory/MrMEarlyHumansProject/MrMSumerianCivilizationAchievements. Html

ثانياً: العلوم الإنسانية

1. التاريخ والحضارة

لا شك أنّ السومريين هم أول من عرفوا تدوين الحوادث التاريخية وذكروا لنا أول الأخبار عن أزمان تمتد إلى الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد «ولعل أقرب الوثائق إلى ما يمكن تسميته بالتاريخ ما يعرف بالكتابات النذرية المنقوشة على التماثيل والمسلات والمخروطات الطينية والأساطين والأوعية وألواح الطين. إلّا أنّ الحوادث التاريخية الواردة فيها إنما ذكرت على أنها نتاج عرضي بالنسبة إلى الغرض الأساسي من كتابتها، ذلك هو التماس رضا الآلهة والحظوة لديها. وفوق ذلك فإن مثل هذه النقوش الكتابية إنما تدوّن في الأغلب حوادث معاصرة ومنفردة ذكرت في غاية الإيجاز والاختصار. ولكن مع ذلك فهناك عدد من تلك الوثائق يروي لنا حوادث وأحوالاً سابقة على زمن كتابتها، فتكشف لنا مثل هذه الوثائق عن إدراك لتفصيل الحوادث التاريخية، وتكون بالنظر إلى زمنها المتقادم العهد في حدود 2400 ق. م لا نظير لها في الآداب العالمية». (كريمر 1950: 92).

وقد وصلت إلينا أول وثيقة تاريخية مهمة عن النزاع بين مدينتي (لجش) و(أوما) وأشارت إلى حوادث ملك قديم سومري هو (ميسيلم) في حدود 2600 ق. م وقد ذكرناها في الفصول السابقة.

«إن جميع هؤلاء المؤرخين الأقدمين كانوا، بحسب ما تشير إليه مصادرنا المتيسرة، يعيشون في مدينة «لجش»، وهي مدينة في جنوبي بلاد سومر اشتهرت بأنها قامت بدور سياسي وعسكريّ بارز طوال قرن من الزمان، من حدود 2500 ق. م، وكانت عاصمة سلالة قوية نشيطة من حكام وأمراء، أسسها (أور- نانشه). وتشمل تلك الأسرة أو السلالة حفيد «أور- نانشه) وهو (إياناتم)، الفاتح الذي نجح في زمن قصير في مدّ حكمه وسلطانه على جميع بلاد «سومر» تقريباً، وكان من مشهوري حكامها أيضاً أخو «أياناتم» المسمى «إناناتم» وابنه «أينتمينا». ولم يأفل نجم دولة «لجش» إلّا في عهد «أوروكاجينا». (كريمر 1956: 92).

لم يقصد المؤرخ السومري كتابة التاريخ عن قصد، بل حاول تدوين الحوادث التاريخية والعهود والمواثيق لكي تكون شاهداً على اتفاقات جرت في تلك الأزمان، لكن هذه الاتفاقات أصبحت اليوم جزءاً من تاريخ سومر وتاريخ البشرية كلها. فقد ذكر ما تعرض له أهل سومر من امتهان وذلّ على يد حكام جائرين كان همهم الوحيد هو جباية المال من الناس «وحتى الموت نفسه لم يخلص الناس من الضرائب والجبايات. فحين كان يؤتى بالميت إلى المقبرة للدفن يتجمع عدد من الموظفين والطفيليين الذين كان ديدنهم الاستحواذ من أهل الميت على مقادير من الشعير والخبز والجعة إلى غير ذلك من المؤن والتجهيزات المختلفة. وكان مؤرخنا يشاهد «تلك الأوضاع» من أقصى المملكة إلى أقصاها فيعلق بمرارة «إن جباة الضرائب منتشرون في كل مكان». فلا عجب إذا ما تضخمت ثروات القصر بحيث أصبحت أراضيه وأملاكه تؤلف عقاراً واسعاً متصلاً. وبتعبير المؤرخ السومري: «بيوت الإيشاكو وحقول الإيشاكو وبيوت حرم (أي سيدات) القصر وحقول حرم القصر وبيوت أطفال القصر وحقول أطفال القصر كان يتاخم أحدها الآخر بعضها إلى جانب بعض». (كريمر 1956: 110).

إن الكثير من افتتاحيات الأساطير والملاحم تتذكر العصر الذهبي الذي عاشه الإنسان السومري عندما كانت أرض الشرق موضع الخير العميم وموضع الأحكام العادلة، وكانت بلاد سومر ذات اللسان الواحد المنسجم وهي البلاد العظيمة التي نبعت منها أحكام الإمارة وكان الكون جميعه، والناس كلهم، يمجدون إنليل بلسان واحد. هكذا تبدأ إحدى الأساطير وتخبرنا غيرها عن حوادث مهمة كالطوفان ونزول الملكية من السماء.

ولعل في الملاحم/ القصص التاريخية التي ذكرناها عن أبطال سومر ما يفيد بعض الجوانب التاريخية من أخبار الملوك. ولعل أكبر وثيقة تاريخية سومرية هي ما يعرف بـ(أثبات الملوك السومرية) (Lists Sumerian King) التي كشفت لنا عن تاريخ سومر وأكد منذ عصور ما قبل الطوفان على شكل قوائم بأسماء الملوك الذين حكموا المدن والدول في جنوب وادي الرافدين بشكل خاص.

يرجح أن يكون تأليف هذه الأثبات «في زمن سلالة أور الثالثة أو لعله قبيل ذلك ولا سيما الفترة القصيرة التي حكم فيها أوتو حيكال الذي اشتهر بطرد الكوتيين... لكن آخر نسخة منها تعود إلى عهد سلالة إيسن (2017 - 1794) ق. م التي تلت سلالة أور في الحكم، حيث تنتهي جداول

الملوك هذه بآخر ملوك هذه السلالة. وتبدأ في تعداد السلالات الحاكمة من أزمان ما قبل الطوفان، وقد عنونها جامعوها بعنوان: (الملوكية) وبالسومرية (Nam- lugal)». (باقر 2009: 318).

يمتاز أثبات الملوك السومري بما يلي:

1. تذكر أنّ الملوكية هبطت على المدن (في بلاد وادي الرافدين بشكل خاص) من السماء وبطريقة متتابعة، ولكنها في الحقيقة، قد تكون متعاصرة جزئيًّا أو كليًّا.

2. تبدأ من سلالة ملوك ما قبل الطوفان وتنتهي بسلالة ملوك لارسا.

3. تشير أحياناً إلى ما يحدث لبعض الملوك أو تذكر أصلهم وصفاتهم.

4. تبدأ الأثبات بحكم الملوك لأزمان طويلة جدًّا ثم يبدأ تناقص السنين لتكون طبيعية. ولا نملك تفسيراً دقيقاً لهذا الإجراء سوى قولنا إنه تقليد طبيعي في تدوين زمن حكم الملوك القدماء جدًّا لإضفاء الخارقية على زمن وجودهم وهو ما يكسبهم صفات أسطورية، وهذا بالضبط ما فعله كتبة التوراة في سفر التكوين حين أعطوا سلالة الإنسان الأولى منذ آدم أزمان حياة طويلة.

5. هناك الكثير من سلالات مدن أخرى لم تذكر لأسباب دينية أو سياسية على ما يبدو مثل سلالات لجش وأوما.

6. وقع المؤرخون المعاصرون في خطأ كبير عندما اعتبروا أنّ كل هذه السلالات هي سومرية، ولكننا نرى أنها خليط من سلالات سومرية وسامية، وهناك سلالات أجنبية مثل الكوتيين وحمازي وغيرها. وهو ما يدعونا دائماً إلى التدقيق العالي في هوية المدن وملوكها. بل إننا نرى أنّ الساميين أيضاً ينقسمون إلى قسمين أو ثلاثة.

7. يعتبر أثبات الملوكية السومري أقدم أثبات في التاريخ، وقد وردت لاحقاً أثبات من شعوب أخرى كان لصدى هذا الأثبات تأثير واضح في نشوئها، فهو أسلوب توثيقي مهم اقتفى أثره مؤرخو العالم القديم.



أثبات الملوك السومري

http://www. galaxie. com/article/bspade16-4-04

الحوليات Annales

وهي طريقة تاريخية تقضي بذكر الحوادث عاماً بعد عام عند تدوين أخبار الملوك وقد بدأ ظهور الحوليات مع الملك السومري أنتيمينا الذي عرض أحداث لجش وأوما في أربعة أجيال متتالية وما حصل مع كلّ ملك، وقد أصبح هذا تقليداً للحوليات البابلية والآشورية لاحقاً.

الحضارة: من الإله إنكي إلى الحكماء السبعة:

نرى أنّ السومريين عرفوا معنى الحضارة وتداولوا مفهومها بشكل واضح وقد عبروا عن الحضارة باسم (مي Me) وهي النواميس الحضارية التي كان الإله إنكي يحتفظ بها.

وكان السومريون هم من اخترع نواميس الحضارة الأولى وبوّبها وصنفها واعتبرها مقدسة لأنها نازلة كهبةِ من السماء إلى الإنسان، وهي بمثابة تكريم من الآلهة إلى البشر، وفي أسطورة إنكي وإنانا ونقل نواميس الحضارة من أريدو إلى أوروك نتعرف على نواميس الحضارة التي عملت إنانا على نقلها إلى أوروك من أريدو. وهذه النواميس حيث تقول الأسطورة إنّ عددها ثمانون وهي: (الشوك 1992: 31).

1. الكهنوتية العليا	26. الكنانة	53. حرفة النجار
2. الألوهية	27. فن عمل الحب	54. حرفة النحّاس
3. التاج الرفيع، الخالد	28. تقبيل القضيب	55. حرفة الكاتب
4. عرش الملكية	29. فن البغاء	56. حرفة الحداد
5. الصولجان السامي	30. فن النجاح	57. حرفة صانع الجلود
6. العصا	31. فن الكلام الصريح	58. حرفة القصّار
7. ذراع القياس المقدس	32. فن اللسان السليط	59. حرفة البنّاء
8. العرش السامي	33. الكلام المنمق	60. حرفة ناسج القصب
9. فن الرعاية	34. البغاء المقدس	61. الأذن المصغية
10. الملكية	35. الحانة المقدسة	62. ملكة الانتباه
11. كاهنة الأميرة (مقام السيادة النسوية الدائم)	36. المزار المقدس	63. طقوس التهطير المقدسة
	37. كاهنة السماء المقدسة	64. الحظيرة التي توفر الطعام
12. كاهنة الملكية المقدسة	38. الآلة الموسيقية المدويّة	65. تكويم الجمر
13. كاهن التعاويذ (إيشيب)	39. فن الغناء	66. الحظيرة

14. الكاهن السامي (لوماخ)	40. فن رئيس الكهنة	67. الخوف
15. كاهن الإهراق (جودا)	41. فن البطل	68. الذعر
16. الحقيقة (الصدق)	42. فن السلطان	69. الفزع
17. الهبوط إلى العالم الأسفل	43. فن الخيانة	70. الأسد ذو الأسنان الفتاكة
18. الصعود من العالم الأسفل	44. فن الاستقامة	71. إضرام النار
19. الكوركارا Kurgarra	45. سلب المدن	72. إطفاء النار
20. الخنجر والسيف	46. إقامة المناحات	73. الذراع الناحلة
21. الرداء الأسود	47. إبهاج القلب	74. العائلة الملتمة الشمل
22. الرداء الملون	48. الخديعة	75. الأنسال
23. إسدال الشعر	49. البلاد المتمردة	76. تأجيج المشاحنات
24. عقص الشعر	50. فن الحنان	77. المشورة
25. الراية	51. السفر	78. تهدئة الخاطر
	52. المأوى والأمن	79. إصدار الأحكام
		80. صنع القرارات

ويمكن أن نلاحظ أنّ هذه النواميس تشمل أغلب جوانب الحياة بوجوهها الإيجابية والسلبية، وقد كان هذا مقصوداً للإشارة إلى السيطرة على كل ما في الحياة.

2. الجغرافيا

عرف السومريون الخرائط الأولى وجهات العالم القديم، وعرفوا النصوص المعجمية الجغرافية التي ضمت قوائم البلدان والأقاليم والمدن، وكانت دليلهم في التجارة والهجرات.

وكان أكثر العلماء شهرة في فك رموز نصوص وادي الرافدين الجغرافية هم إيرنست وايدنر Ernst Weider وألبرت كوتسه A. Goetze وكريسون A. K. Grayson وغيرهم.

كانت أول الخرائط وضعها السومريون هي لمدينة لجش عام 2300 ق. م ومدينة نيبور.

أول خارطة: خارطة نيبور

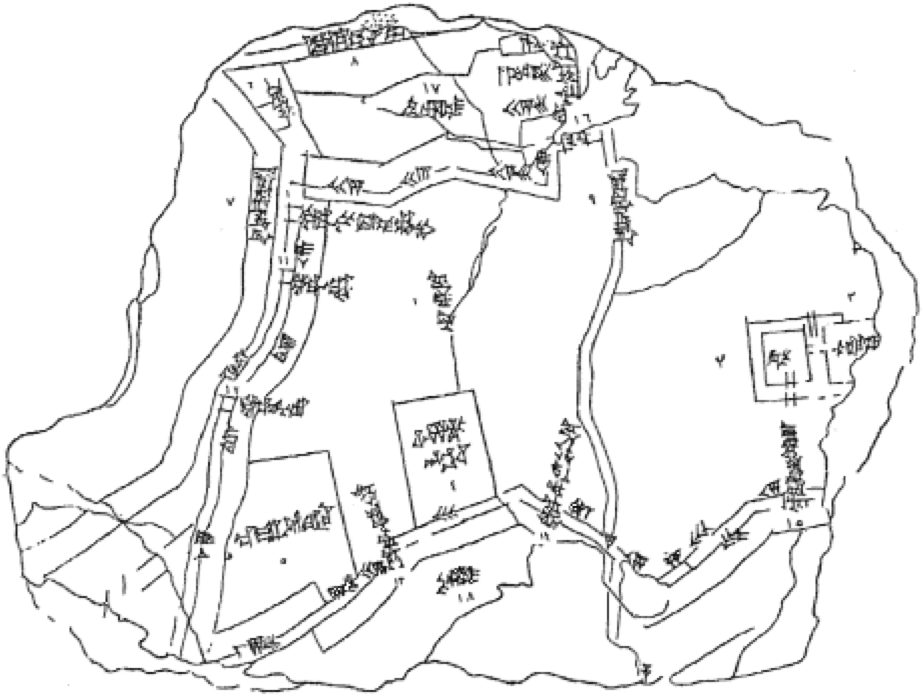
كانت مدينة نيبور (نفّر) بمثابة العاصمة الروحية والثقافية لسومر، وقد ترك لنا السومريون خارطة على لوحٍ طيني لهذه المدينة في حدود 1500 ق. م وتحتوي الخارطة على أسماء الأحياء والأنهار وبوابات المدينة باللغتين السومرية والأكدية. وفي قلب الخارطة اسم المدينة بعلامات رمزية قديمة (إنليل كي)، أي (أرض إنليل) وتعني المكان الذي كان يسكنه إله الجو والهواء السومري إنليل. وهناك أماكن مرقمة حسب الأرقام الآتية وكما يلي: (انظر كريمر 1956: 397 - 399)

المدهش في الأمر أنّ هذه الخارطة وضعت بمقياس رسم ثابت يمكن من خلالها معرفة الأبعاد والمساحات الحقيقية على الأرض.

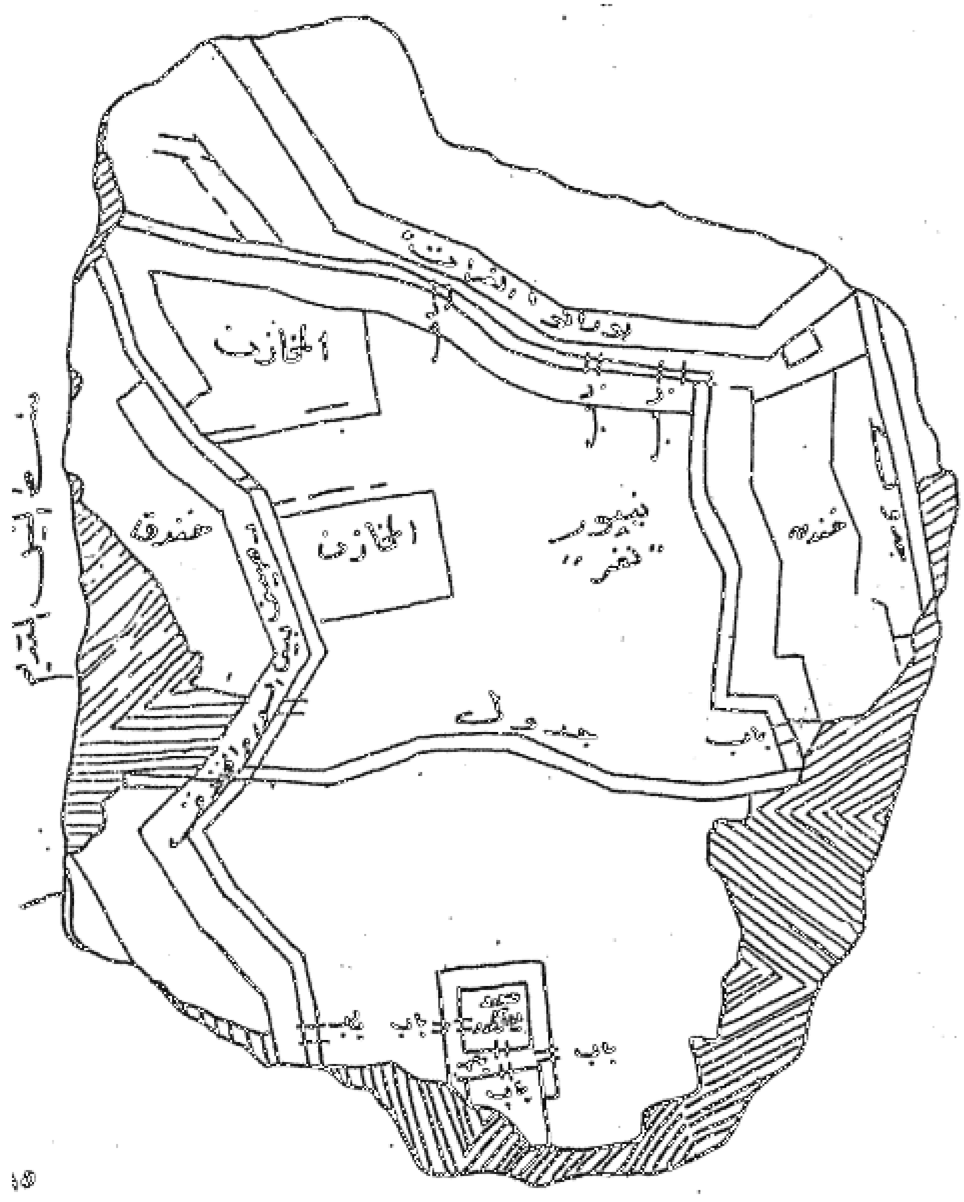
وقد عملنا على تنظيمها في هذا الجدول المرفق بالخارطة تحته:

ت	إسم المكان بالسومرية	معناه الحرفي	دلالته
1	إيكور	البيت الجبلي	معبد الإله إنليل
2	كي أور		معبد خاص بالعالم الأسفل
3			
4	أنجينا		بناء مسوّر
5	كيري شا أور	بستان قلب المدينة	الحديقة المركزية
6	أشماخ	المعبد الرفيع	
7	بورانن	فرات	نهر الفرات: حد المدينة الجنوب غربي

حد المدينة الشمال غربي حيث رأى إنليل زوجته ننليل أول مرة (وهو الآن يسمى شط النيل)	نهر قلب المدينة	ننبردو	8
			9
باب في السور الجنوبي الغربي	بوابة الأنجاس جنسياً	كاجال موسكتم	10
باب في السور الجنوبي الغربي	البوابة السامية	كاجال ماخ	11
باب في السور الجنوبي الغربي	البوابة العظيمة	كاجال جولا	12
باب في السور الجنوبي الشرقي	بوابة الإله نانا (القمر)	كاجال نانا	13
باب في السور الجنوبي الشرقي	بوابة أوروك	كاجال أوروك	14
باب في السور الجنوبي الشرقي	البوابة المواجهة لأور	كاجال أجيبياوريشه	15
باب في السور الشمالي الغربي	بوابة نرجال	كاجال نرجال	16
خندق يوازي السور الشمالي الغربي	الخندق	خريتم (كلمة أكدية)	17
خندق يوازي السور الجنوبي الشرقي	الخندق	خريتم	18

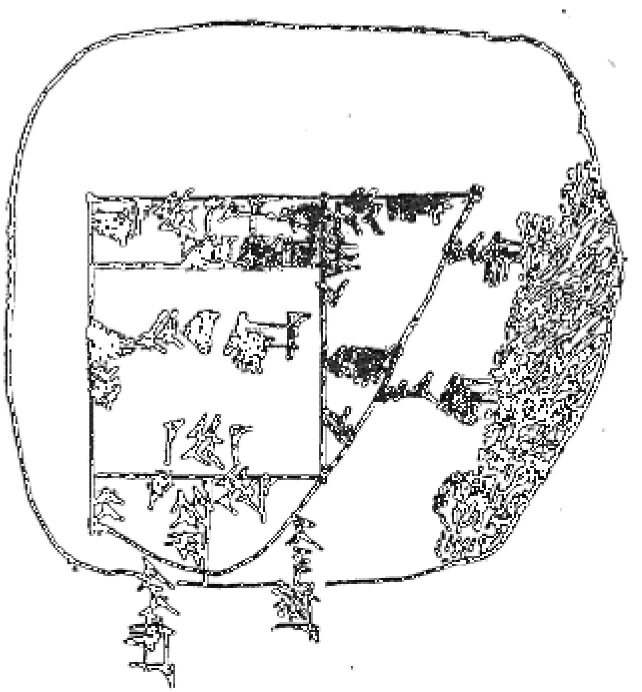


خريطة مدينة نيبور (نفّر) استنساخ الدكتور أينز برنـهاروت الأمين العام المساعد لمجموعة ألواح هلبرشت في جامعة فريدريك شيل في بنيا. (كريمر 1956: 398)



خريطة مدينة نيبور (نفّر) بمعالمها العامة. (نخبة من المؤلفين العراقيين ج1، الراوي 1967: 285).

وهناك خرائط مساحة صغيرة لكثير من الحقول والمشاريع مثل هذه الخارطة التي رسمت أثناء السنة الثانية من حكم الملك بورسين من سلالة أور الثالثة:

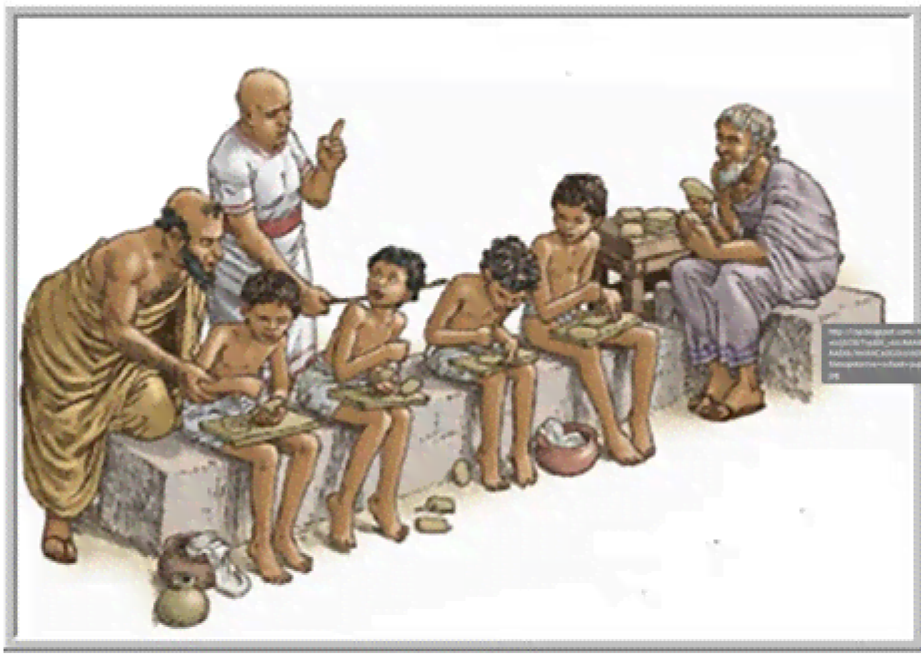


خارطة مساحة حقل (نخبة من المؤلفين العراقيين ج1، الراوي 1976:287)

3. التربية

لم تكن التربية علماً من العلوم الإنسانية في سومر، بل كانت نظاماً سلوكيًّا وأخلاقيًّا رفيعاً أظهر فيها الفرد السومري والجماعة السومرية، معاً، تجانساً حضاريًّا عميقاً وانسجاماً هائلاً بين حاجات الروح والجسد والطبيعة، وسادت حياتهم السلام والطمأنينة ونبذوا الحروب والمشاحنات، فعاشوا لقرون طويلة ينظمون حياتهم وفق الكفاف والإيمان والاعتدال في كل شيء، وقد استمدوا ذلك من ديانتهم المسالمة ومن نظرتهم الواقعية للحياة. وكانت اتجاهات التربية تنبع من هذه الكنوز الرائعة في نظرتهم وتكوينهم الروحي والفكري، ومع ذلك فقد وفروا سبلاً لتدعيم التربية من خلال تعاليمهم الأخلاقية والدينية. وكان المعبد مكاناً للتربية الروحية والأخلاقية، أما المكان الآخر فكان المدرسة التي يعلمون فيها أبناءهم الكتابة والقراءة والأخلاق الحميدة والسلوك الصحيح، وكانت المكتبات أيضاً سبيلاً لحفظ إرثهم ودينهم وتعاليمهم، وسنتناول هذين الجانبين باعتبارهما مكانين راعيين للسلوك والتعليم.

المدارس السومرية



ظهرت أول مدرسة في التاريخ في سومر وكانت تسمى بالسومرية (إي- دُبّا) أي (بيت الألواح)، في حين سمي الطالب (دومو إي –دُبّا) أي (ابن بيت الألواح) أي ابن المدرسة، أما مدير المدرسة فكان يسمى (أومّيا) ويلقب بـ(أب المدرسة). وكان مساعده يسمى (الأخ الكبير) وكان هناك أستذة متخصصون مثل (أستاذ اللغة السومرية) و(أستاذ الرسم) و(أستاذ السوط) وهو المسؤول عن انضباط الطلبة ومتابعة العقوبات.

«المدرسة السومرية كانت على خلاف مؤسسات التعليم الآن، مركزاً أيضاً لما يمكن تسميته بالتأليف الإبداعي. فهنا كانت المؤلفات الأدبية المنحدرة من الماضي تدرس وتستنسخ. وفيها أيضاً كانت توضع مؤلفات أدبية جديدة. ومع أنّ معظم المتخرجين من المدارس السومرية كانوا في الواقع يلتحقون في وظائف الكتبة في خدمة المعبد والقصر، وفي خدمة الأغنياء وذوي النفوذ في البلاد، إلّا أنه كان من بينهم من خصصوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم. وكان الكثير من هؤلاء العلماء الأقدمين، مثل أساتذة الجامعات الآن، يعتمدون في عيشهم على الرواتب التي كانوا يتقاضونها وكانوا يخصصون أنفسهم للبحث والكتابة في أوقات فراغهم. وأصبحت المدرسة السومرية، التي بدأت حياتها على ما يرجح ملحقة بالمعبد، مؤسسة دنيوية مع مرور الزمن، كما أنّ منهج تدريسها قد تطور أيضاً فأصبح ذا صبغة دنيوية عالية. أما المدرسون فإن مرتباتهم كانت على ما يبدو تدفع من أجور التدريس التي كانت تجمع من الطلاب». (كريمر 1956: 46).

ولم يقتصر في المدارس على تعلّم العلامات المسمارية واللغتين السومرية والأكدية فحسب، بل شمل العديد من العلوم والمعارف الأخرى كالهندسة والحساب والطب والفلك. وعلى الرغم من أنه يصعب حاليًّا تعيين بناء المدرسة من بين الأبنية الكثيرة المكتشفة إلّا أنه يمكن الاستدلال عليها من بعض مخلفات المدرسة كالنصوص المدرسية التي أعدها الطلبة والمدرسون مع انتشار التعليم، إلّا أنه ظل مقصوراً على طبقة محددة من الناس من المتمكنين اقتصاديًّا على تغطية نفقات الدراسة الغالية والتي كانت تستغرق سنوات طويلة. لذلك كان المتعلمون من الكتبة يحتلون مراكز اجتماعية مهمة وقد يتقلدون وظائف حكومية مرموقة. وتشير النصوص المسمارية على أسماء العشرات من الكتبة أغلبهم من الرجال وبعضهم من النساء.

«أما عن المنهج الخاص بالإبداع والإنتاج الأدبي في مناهج المدرسة السومرية فقد كان يعتمد أساساً وبالدرجة الأولى على الدرس والاستنساخ وتقليد مجموعة كبيرة مختلفة الموضوعات من التآليف الأدبية التي ينبغي أن تكون قد نشأت ونمت في النصف الأخير من الألف الثالث ق. م. إن هذه التآليف القديمة، التي تبلغ المئات، كانت غالبيتها العظمى شعرية في تراكيبها. وهي تتراوح في مقادير أطوالها من قطعة قوامها أقل من خمسين سطراً إلى قطعة مطولة تكاد تصل إلى ألف سطر. ويشتمل ما تمّ الكشف عنه حتى الآن على الأبواب». (كريمر 1956: 50).



بقايا مدرسة سومرية /حوالي 2000 ق. م

نشأت المدارس السومرية بعد استقرار نشوء الكتابة، وحين اتسعت حاجة المعابد والقصور السومرية إلى كتّاب يجيدون التدوين ظهرت الحاجة واضحة لصنع أجيال من الكتبة الذين يديمون حرفة الكتابة، وإذا تتبعنا نشوء المدارس السومرية فيمكننا أن نؤشر المراحل الآتية:

1. في حدود 3000 ق. م عثر في مدينة أوروك على حوالي ألف لوح صغير من الطين منقوش عليها علامات الكتابة الصورية (بكتوغراف) في مراحلها الأولى وواضح أنّ بعضها كان يستخدم من أجل التمرين، ونرجح أن تكون المدارس الأولى نشأت هناك بشكلها البدائي الأول.

2. في حدود 2500 ق. م عثر في مدينة شروباك (قرب أوروك وتسمى الآن فارة) على عدد كبير من ألواح الطين التي كانت محطمة للطلاب ولأغراض تعليمية.

3. في حدود 2000 ق. م ظهرت طبقات وتخصصات نوعية بين كتّاب الألواح الطينية مثل (كتّاب القصر، كتّاب المعبد، الكتّاب الإداريون... إلخ)

توسع التعليم في سومر وتوسعت المدارس كثيراً وأصبحت تدرّس العلوم والآداب بعد أن أصبحت الكتابة تقليداً ثابتاً في حياة الناس وليس بين مريديها فقط. ولم يكن التعليم إلزاميًّا وكان موفرًّا، في الغالب، لأبناء الحكّام والميسورين وكان أغلب المتعلمين من الذكور. ويمكننا تصنيف المدارس السومرية إلى نوعين هما:

1. المدارس الابتدائية: وتسمى (إيدبّا) التي هي (بيت الألواح) وتدرّس اللغة والقراءة والكتابة والحساب والموسيقى، وسميت في العصر الأكدي (بيت طُبّ) أي (بيت الطوب) والمقصود بالطوب هو الطابوق، أي ألواح الكتابة فهي ترجمة حرفية للسومرية.

2. المدارس المتقدمة: تشمل المدارس التي كانت تعلّم العلوم على اختلافها كالرياضيات والفلك والطب والسحر والأدب وغيرها، وسميت هذه المدارس بـ (بيت الحكمة) (بيت مُمّ -bit mumme) إذ كانت هذه المدارس بمثابة المعاهد العالية، وقد أطلق على الملتحقين بها (الدخول في بيت الحكمة) (أريب – بيت - مُمّ erib (bit) mumme) (الجميلي 2005: 45).

اعتمد التعليم السومري على ألواح ثابتة تحتوي على أسماء الأشياء بمختلف أصنافها مثل أسماء (النباتات، والحيوانات، والمدن، والمهن، والمعابد، والمعادن، والأحجار، والنجوم... إلخ) وكذلك الألواح الرياضية الخاصة بالأعداد وجداول الضرب والمعادلات، وكذلك الألواح الخاصة بمقابلة الكلمات السومرية مع كلمات الشعب السامي الذي كان يعيش معهم، وكانت هذه نواة أقدم المعاجم في تاريخ البشرية، بل وفيها تمهيد تدوين اللغات السامية وتطويعها للكتابة. وهنا، فضلاً عن هذه الألواح التعليمية، الألواح الإبداعية التي تضم الأساطير والملاحم والتراتيل والصلوات والقصص التي كانت بمثابة مرجعيات الأدب السومري، والتي كان الطلبة يعيدون نسخها وحفظها.

كان الطالب السومري يُظهر اهتماماً كبيراً بدراسته ويؤدي واجباته بإتقان، وقد كتب الطلاب تقيدهم بأداء واجباتهم على الألواح، ونعرض هنا بعض ترجمة من هذا اللوح الذي يظهر واجبات الطالب:

«كنت أستظهر لوحي، وآكل طعام غدائي وأهيّئ لوحي الجديد لأكتبه وأكمله، ثم يعينون لي درس الشفهي. وفي العصر يخصصون لي درسي المكتوب. وعندما تنصرف المدرسة أعود إلى بيتي فأدخل الدار وأجد أبي جالساً هناك فأطلع أبي على درسي المكتوب ثم أستظهر له لوحي. فيسرّ أبي لذلك... وعندما أستيقظ في الصباح الباكر أواجه أمي وأقول لها: أعطيني طعام غدائي لأنني أريد الذهاب إلى المدرسة فتزودني أمي برغيفين، وعندئذٍ أشرع بالمسير إلى المدرسة. وفي المدرسة قال لي العريف: «لِمَ أنت متأخر؟» ثم دخلت وأنا وجل خافق القلب في حضرة مدرسي، وحييته باحترام». (كريمر 1956: 56).

«كنت أقرأ لوحي وأتناول غدائي

ومن ثم أحضر لوحي (الجديد) لأنتهي من كتابته

(وقبل المساء) كانت ألواح التمارين تجلب إليَّ

وعندما أنصرف من المدرسة كنت أعود إلى البيت

وكنت أجد أبي جالساً هناك

فأشرح لأبي (ما يتضمنه) لوح تماريني

وبعد أن أمثل أمام أبي كنت أقول:

«أنا عطشان! أعطوني ماء لأشرب

أنا جوعان! أعطوني خبزاً لآكل

اغسلوا قدمي وهيئوا فراشي

فإني ذاهب لأنام

أيقظوني مبكراً

لكي لا أتأخر وإلّا اقتصّ مني أستاذي». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، فاروق ناصر الراوي 1985: 381).



مدرسة سومرية

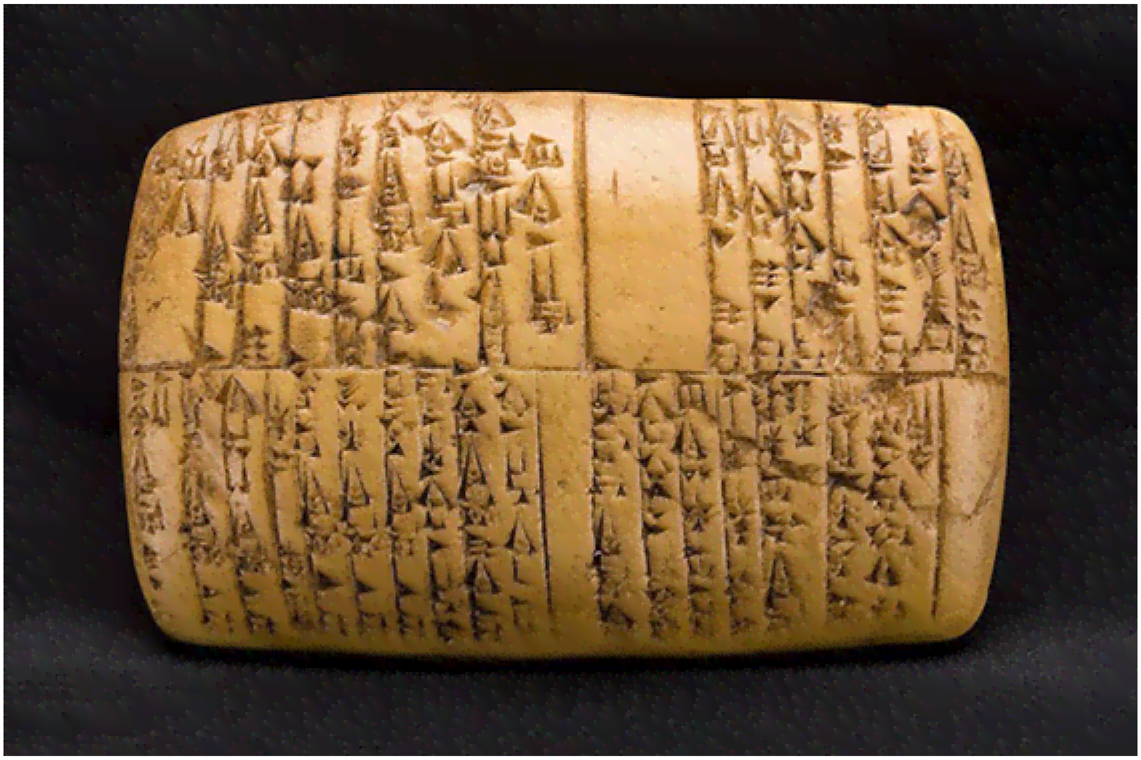
/http://prezi. com/gmh7plmv7c1a/sumerian-culture

2. المكتبات السومرية

ظهرت معظم خزائن الألواح الطينية في معابد المدن الكبرى سواء منها الخاصة بالوثائق والسجلات أو تلك المتعلقة بالتعليم والمعرفة التي اعتنت بتعليم الخط السومري والمعارف الأولية التي اتسمت بها الحضارات السومرية والبابلية والآشورية.

سميت المكتبة في اللغة السومرية باسم إيمجوال (im-gu-al) وفي الأكدية كانت تسمى (girginakk) وتسمى الأماكن التي يتمّ فيها حفظ مجاميع كبيرة من الرقم الطينية باسم (dub-e-ıba’) (أي دبا) باللغة السومرية و(bitttupi) بيت طوبي بالأكدية، ومعناها بيت الرقم، ويطلق هذا الاسم أيضاً على المدارس. وإن الوثائق التي يراد حفظها مدة طويلة كانت تحفظ في سلال مصنوعة من الطين والقصب ويوضع معها بطاقة تعريف لمحتوياتها، كما كانت توضع الألواح في جرار وصناديق فخارية، وتسمى هذه الطريقة في حفظ الرقم باللغة السومرية (pisan-dub) (بيسان- دب) وفي الأكدية (girginakku) (كركناكو) وكان هناك بيوت خاصة يحفظ فيها أرشيف الرّقم الطينية، ومن المحتمل أنّ هذا البيت يشبة في الوقت الحاضر قسم حفظ الوثائق، وعرف الموظف الذي يقوم بإدارته باسم (šandabakku) شانداكو أي أمين الوثائق. (الأرشيف) (http://www. 7dea8. net)

ويضم المعبد عادة حجرة أو أكثر تحتوي على مجموعة من الرُّقم الطينية المفخورة في الغالب إذ كانت الوسيلة الوحيدة للكتابة في وادي الرافدين، وكان معظم الطلبة يصبحون نُسَّاخا أو كتَّابا في المعبد أو في القصر الملكي، وكانت حجرة السجلات هذه تضم في الغالب الوثائق التي تُسجل أو تكتب في المعبد أو المعاملات التي يجري التعاقد عليها أو التفاوض بشأنها بإشراف الكهنة الذين كانوا يمتلكون نفوذاً واسعاً وسلطةً كبيرةً في دولة المدينة.



رقيم سومري من القرن العشرين ق. م يحصي أبقار وممتلكات معبد الإلهة إنانا السومرية

http://forces. si. edu/soils/04_00_38. Html

المصطلح السومري للكاتب هو (أومبيساك، أوبسك)، ولكن المصطلح الذي شاع في سومر عن الكاتب هو (دُب – سار) أو (دُبسار) وهو يعني أيضاً المتعلم والذي اتخذ الكتابة حرفة له، وقد أخذ الأكديون هذا المصطلح وأصبح في لغتهم (طُبشار) والذي هو مصدر كلمة طبشور وطباشير التي تعني قلم الكتابة الجصيّ في العربية.

وكان خازن الرُّقم أو الناسخ لها يسمى أيضاً (دُبسار) يقوم بنسخ بعضها، فثمة مجموعة كبيرة من الوثائق كانت تُنسخ مراراً كالأدعية والصلوات ووصفات السحر، وكان لا بدّ من تنسيق هذه الخزانة وضبط محتوياتها أو حجمها بحيث تشبه ما يمكن تسميته بمكتبة المراجع المنسّقة على وفق المواد المختلفة، أو أن يستعين أمين المكتبة بأحد النسّاخ.

اختلف حجم الألواح الطينية المستعملة في الكتابة فتراوح بعضها بين 1×2 سم وبين 50×50 سم، ولكن معظمها كان بحجم كفّ اليد لسهولة تناولها بهذا الحجم وإمكانية الكتابة عليها

وهي في قبضة اليد. أما أشكال الرُّقم فكانت مربعة ومستطيلة وبيضوية ومنشورية ومخروطية، ولكن معظمها كانت مستطيلة الشكل.

ظهرت المكتبات العراقية القديمة في المدن السومرية والأكدية والبابلية داخل المعابد بشكل خاص، وكان الناسخون يسجلون الأحداث التاريخية وأخبار الآلهة وأنسابها والأساطير والملاحم الشعرية، وكذلك التراكيب الطبية والعرافة والسحر وجداول الرياضيات.

وفي مكتبات المعابد تلك كان أمين المكتبة المسؤول عن الرُّقم المكتوبة والمسجلة كاهناً رفيع المستوى، أما في مكتبات القصور فكان المسؤول موظفاً بارزاً في الغالب يختاره الملك بنفسه من أبناء العائلات النبيلة ذوات الثقافة والإلمام بتراث السلف، أما الرُّقم فتترتب بشكل متناسق ليسهل استعمالها، وقد يشرف الملك بنفسه على أعمال أمين المكتبة والنساخ الذين يعملون معه. كما قد يلفت أنظارهم إلى الرُّقم التي يجب أن تحفظ وتلك التي ينبغي أن تترك أو تتلف.

وكانت العناية ببيوت الرُّقم في المعابد والمدارس والقصور في مدن وادي الرافدين من الاهتمام والدقة قد تطورت إلى درجة استحداث فهرس لتلك الرقم التي تتمثل بالسجلات والوثائق التي تصل إلى المعبد من مصادر مختلفة. وهناك دور السجلات والوثائق الرسمية (الأرشيف) التي كانت تحفظ فيها الضرائب ومصادر الواردات وأعمال الملوك والحكام والاتفاقيات وغيرها.

وهناك أيضاً الأساطير والطقوس والقصص والملاحم والنصوص التاريخية والمقالات والمناظرات والنصوص الدينية والشرائع ونشوء المدن وخرابها والحكم والأمثال.

كانت مكتبة الوركاء أقدم مكتبة في وادي الرافدين واحتوت على فهرس لسلالة ملوك الوركاء الاثني عشر، وأشهرهم كلكامش، وأشارت إلى أنه بنى أسوار أوروك ومعبد (إي- أنّا) وأنه حارب أكا آخر ملوك سلالة كيش الأولى التي حكمت العراق بعد الطوفان.

وهناك رُقم إدارية وقانونية وتجارية ودينية. أما مكتبة لجش فقد وجدت في المعبد الرئيس لمدينة لكش وتحوي على مادة تاريخية لملوك المدينة ومعاملاتها التجارية. وهناك مكتبة نيبور (نفّر) التي عثر فيها على قوائم الملوك التاريخية التي تحتوي على أسماء الملوك السومريين وأحداثهم. وعلى جداول رياضية مختلفة وعلى اثنين وستين عملاً فكريًّا. وعثر على أول خارطة معروفة في العالم وهي تمثل أقدم خارطة لمدينة في التاريخ وهي نُفّر. ويقول العلامة صموئيل نوح كريمر:

ومع أنّ راسم تلك الخارطة قد عاش في حدود 1500 ق.م إلّا أنه رسم مخطط الخارطة بعناية معتمداً على قياسات دقيقة هي (الكار) الذي يعادل ستة أمتار بخطوط واضحة وحسابات متقنة.

أنواع الكتّاب السومريين:

يمكننا تصنيف الكتّاب السومريين وفق تصنيفات متعددة، لكننا سنجمل في الجدول اللاحق هنا أنواع وأصناف الكتّاب باللغتين السومرية والأكدية لتتوضح الفروق في اللفظ والمعنى:

ت	نوع الكاتب	اسمه باللغة السومرية	اسمه باللغة الأكدية
1	كاتب المعبد	دُبسار سار إي دنجير	طُبشار بيت إيل
2	كاتب الملك	دُبسار سار لوكال	طُبشار سارّي
3	كاتب القصر	دُبسار سار إيجال	طُبشار إيكالي
4	كاتب البلاد	أبا كور كور	طُبشار متاتي
5	كاتب المدينة	دُبسار أورو	طُبشار ألي
6	كاتب الجيش	دُبسار أوجنم	طُبشار أوماني
7	كاتب القضاء	دُبسار دي	طُبشار ديّاني
8	كاتب العقود	موسار	صابط طُبّي
9	كاتب المقاييس	دُبسار زاجّا	طُبشار زازاك
10	كاتب المحاسبة	دُبسار شِد	طُبشار ماني
11	كاتب التنجيم والفأل	دُبسار أود آن	طُبشار إينوما آنو-إنليل
12	الكاتب الناسخ	دُبسار كستوسو دُبسار كستولا دُبسار جال تاك آ	طُبشار سكّوكو (الكاتب الأصم)
13	كاتب الحكمة	دُبسار كوزو	طُبشار إيمجي
14	كاتب المعرفة	دُبسار جالزو	طُبشار مودو
15	الكاتب الحر	دُبسار دونا	طُبشار صالتو
16	كاتب أوعية السوائل	دُبسار هورو	طُبشار بهو
17	كاتب الطين	دُبسار إيما	طُبشار تيدي
18	كاتب المسلة	دُبسار	طُبشار شورم، نارو

---	دُبسار كِش (أبا كِش)	كاتب ألواح الخشب	19
---	آبا نيئاري	كاتب البردي	20
طُبشار سبيرو	دُبسار كوش	كاتب الجلد	21

فهارس الكتب:

وصل من سومر أول فهرس للكتب وهو لوح صغير الحجم مقسّم إلى حقلين وفيه 62 عنواناً من العناوين الخاصة بمؤلفات أدبية، ويكون العنوان، عادة، هو السطر الأول من كلّ لوح محفوظ أو تأليف أدبي، وقد وصلت أغلب هذه الألواح لنا واستطاع الآثاريون والمختصون ترجمتها وبعضها ما زال في بطون الأرض، وقد وصف هذا اللوح عالم السومريات صموئيل نوح كريمر.

وهناك لوح آخر في متحف اللوفر وصفه الباحث الفرنسي (دي جنوباك) على أنه ترتيلة دينية لكنه في الحقيقة (فهرس كتب) مقسم إلى أربعة حقول وفيه 68 عنواناً يحتوي أغلب ما هو موجود في اللوح الأول باستثناء (19) عنواناً... ولم تكن هناك أسس واحدة لتصنيف الكتب.

قام الدكتور صموئيل نوح كريمر بذكر بعض عناوين اللوحين (انظر كريمر1956: 370 - 278) وقد قمنا بتصميم جدول يوضح خلاصة ما ذكره لهذا الفهرس:

حقيقة اللوح ومضمونه	ترجمة العنوان للعربية	عنوان اللوح بالسومرية	ت
أسطورة خلق الفأس	ما يليق بالمولى	إني نجدو	1
ترتيلة إنليل	إنليل واسع الإدراك	إنليل سدوشي	2
قصة كلكامش وإنكيدو والعالم الأسفل	أيام بداية الخليقة	أوريا	3
بداية حادثة ذبح التنين في قصة كلكامش وأرض الأحياء	السيد إلى جهة الأحياء	إني كورلوتليش	4
كلكامش وأجا	رسل أجا	لوكنجا أج	5

مناظرة الماشية والغلّة	على جبل السماء والأرض	خورساج وكبيدا	6
ترتيلة نانشه	هو ذا المدينة	أورو نانام	7
ملحمة لوكال بندا وأينمركار	الملك لوكال بندا	لوكال بندا	8
أسطورة هبوط إنانا للعالم الأسفل	من الأعلى العظيم إلى الأسفل العظيم	أنجالتا كجالش	9
لوح أيام الدراسة	إلى أين ذهبت؟	ميشيام ايدوين	10
إرشادات الفلاح لابنه	الفلاح في سابق الأيام	أو أول إنجارّا	11
أسطورة ذبح التنين: أعمال ننورتا ومآثره	الملك ونرجال	لوكال أو ميلام بي نرجال	12
عذاب الإنسان واستسلامه	تمجيد الإنسان للآلهة	لولو نامّاخ دنكر	13

أشهر الكتّاب السومريين

كانت أعداد الكتّاب في سومر كبيرة عكست التقدم الحضاريّ فيها «على الرغم من أنه لم تصلنا إحصائية دقيقة بأعداد الكتبة في أيّ عصر من عصور بلاد الرافدين، ولا يمكن الإحاطة بطبيعة الحال بأيّ عدد، إلّا أنّ بعض الباحثين المعاصرين أمكنهم ذلك من خلال فهرسة ومتابعة العديد من أسماء الكتبة من بين آلاف النصوص المسمارية، من تحديد وحصر أسماء (1541) كاتباً من عصر سلالة أور الثالثة، وهو العدد الذي أمكن التعرف عليه لحدّ الآن من خلال النصوص المسمارية المكتشفة، وتأتي مدينة (لجش) في مقدمة المدن التي وصلتنا منها تلك المعلومات، إذ كان فيها (620) كاتباً، وبعدها (أوما) وكان فيها (384) كاتباً، أما مدينة (أور) فكان فيها (202) كاتباً. (الجميلي 2005: 91).

أما أشهر الكتّاب السومريين فهما:

1. كورليل

وهو كاتب سومري قديم ربما يعود لفجر السلالات السومرية وقد حفظ اسمه تمثاله المعروف.

2. دودّو

وهو الكاتب السومري الذي كان يحمل لقب (سنكا ماخ) أي (كبير الكتّاب) في معبد الإله ننجرسو.



الكاتبان السومريان كورليل ودودّو
صورة الكاتب والأديب السومري الشهير (دودو) عثر عليها في لكش
http://zmediat. com/magazine/index. php?option=com_content&view=article&id=384%3A2012-03-08-15-13-49&Itemid=36

ثالثاً: العلوم السحرية

1. السحر

كان السحر بمثابة (العلم المقلوب أو الكاذب) كما يقول فريزر، وقد شكلت العلوم السحرية منطلقات لعلوم تعتمد على قوى خارقية لا يمتلكها سوى أصحابها من ناحية وقد تماهت مع الجوانب الدينية من ناحية أخرى. وكانت تمارس عبر طقوس خارج الشكل الرسمي للديانة السومرية غالباً، ولكن هذه الطقوس دخلت في جوهرها بسبب من انطوائها على الكثير من الأسرار والغموض وشحذها لفضول الناس وتعلق الناس ببعض من إمكانياتها التي كانت تدعي السيطرة على قوى الكون والآلهة والإنسان.

إن طقوس الأسرار تعتمد في أساسها على مبدأ سحريّ جوهريّ يقتضي وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان، وأن هذه القوة يمكن أن تتناغم مع قوى أخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس، وهي قوة الساحر أو العراف أو المنجم أو مفسر الأحلام، الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون، ونحن نعتقد أنّ ظهور قوى باراسايكولوجية عند بعض الأفراد أمر وارد، وأن إمكانيات تسخيرها في مختلف الاتجاهات أمر لا تشوبه الشكوك في تلك العصور التي ما زال فيها الإنسان خارجاً للتوّ من مراحل البدائية.

والقوة البراسايكولوجية غير القوة النفسية التقليدية التي تعتمد التأثير النفسي العادي الشعوري عند الإنسان، لأن القوة البراسايكولوجية هي قوة خارقة لا تعمل وفق القوانين الطبيعية، بل تعمل على التدخل في القوة الطبيعية والتأثير عليها ولذلك تخفّت هذه القوة، من خلال أصحابها، تحت أشكال عديدة مما كان يعرف بالسحر ومعرفة الغيب والتنجيم وتفسير الأحلام.

لا شك أنّ الإنسان عرف السحر منذ العصر الحجري القديم (الباليوليت) لكن سحر العصر الحجريّ الحديث (النيوليت) امتزج مع عناصر الطبيعة والخصب والجنس بسبب ظهور الزراعة وفكرة الخصب معها، وكانت المرأة هي التي تقود عمليات السحر الزراعي، أما عند حلول العصر الحجريّ المعدني (الكالكوليت) فقد قام الرجل بتنحية المرأة وأصبح هو الممارس الأكبر لطقوس السحر.

ورث السومريون السحر من الفترات السابقة التي ذكرناها. ويقوم السحر على مبدأين أساسيين، الأول هو مبدأ التشابه الذي هو الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وأن بالامكان صنع اشياء مشابهه للشئ الاصلي وإحداث التأثير على هذه الأشياء المشابهة فإن ذلك

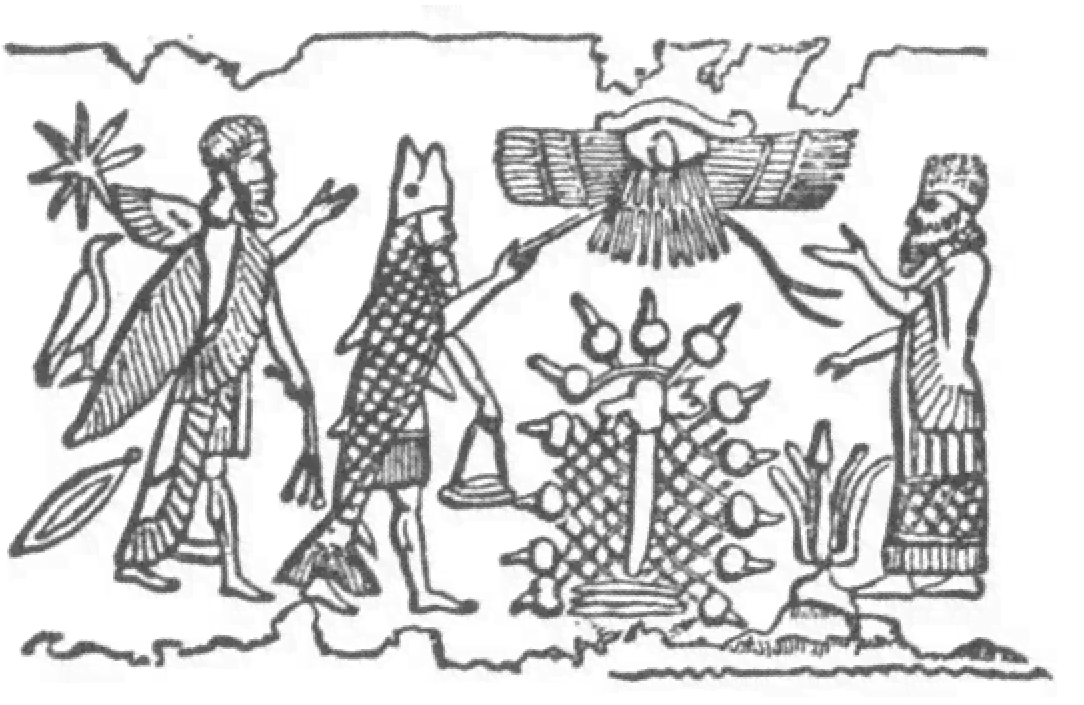
يؤدي إلى إحداث التأثير في الشيء الأصلي. فمثلاً صنع دمية أو تمثالٍ لعدوّ أو حيوان يراد إيقاع الأذى به، وإحداث الأذى على هذه الدمية أو التمثال يؤدي إلى إحداث الأذى بذلك الحيوان أو العدوّ.

أما المبدأ الثاني فهو الاتصال وهذا يقوم على أنّ الأشياء التي كانت متصلة وأصبحت الآن منفصلة يمكن التأثير على أيّ منها بمعزل عن الأخرى، فإن التأثير ينتقل إلى التي لم يصبها الأذى مباشرة، ومثال ذلك أنّ بمقدور الساحر إذا امتلك خصلة شعر رجل أو قلامة أظفره أو سنّه المقلوعة أو حتى خرق ملابسه فإنه يستطيع إنزال الأذى بها لكي يسبب الأذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها.

وكان السحر بصفة عامة ينقسم إلى نوعين الأول مفيد وحلال ويسعى لنفع الناس وهو (السحر الأبيض) الذي كان يسمح لبعض رجال الدين بممارسته وخصوصاً كهنة (الأشيبو) أو المعزمين (طاردو الأرواح).

أما النوع الثاني فقد حرمته الأعراف والقوانين السومرية ووقف الدين السومري ضده وهو السحر الضار المؤذي الحرام الذي هو السحر الأسود حيث كان يمارسه بعض رجال الدين سرًّا ويسمى بالأكدية (الكشفو) أو (الكشبو) والذي حرمه الأمير السومري جوديا ثم حرمته الشرائع اللاحقة كشريعة حمورابي.

إن السحر الأبيض يستعين بالآلهة المعروفة وخصوصاً الإله إنكي وهو إله السحر أيضاً وابنه الإله (أسالوحي) الذي كان يكرس لهذا الغرض عند السومريين، وكان ماء إنكي وغيوم أسالوحي مادة إطفاء نار السحرة والأرواح الشريرة.



إله السحر والعرافة الإله إنكي

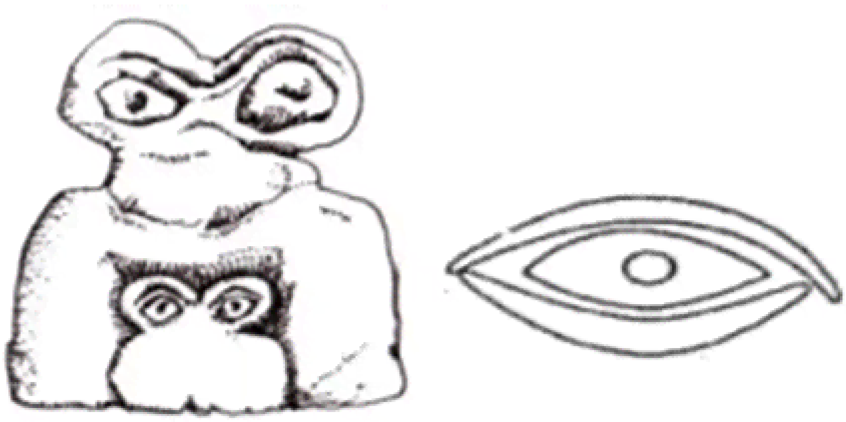
أما إذا أراد السحر الأبيض الاستعانة بالنار فإنه يستعين بالإله نسكو وهو إله النار الهوائية وكيرا إله النار السماوية واليجبيل إله النار السفلية، وربما الإلهة شالا (إم جرو) إلهة النار الكواكبية هذه الآلهة الأربعة كانت تملك النار القادرة على حرق السحرة الأشرار أو الشياطين والأرواح الشريرة التي يتفقون معها.

أما السحر الأسود فهو سحر سريّ وخفيّ ولذلك كان يهرب من الآلهة ويستعين بالشياطين والأرواح الشريرة وأرواح الموتى، وكان يتصل بهم ويحرضهم، على إحداث الشر والأذى بمن يريد، عن طريق وسيلتي التشابه والاتصال بشكل خاص.

شياطين السحر الأسود:

إن الإيمان بقدرة الشياطين والشعوذة كان أساس السحر الأسود، وكان ذلك يستدعي إبعاد الآلهة حتى يتسنى للساحر اختراق الحاجز ليتصل بالشياطين التي كان السومري يعتقد بوجودها.

لقد كان الكون السومري مليئاً، بالإضافة إلى الآلهة، بالشياطين والعفاريت الطيبة والخبيثة، فالعفاريت أو الجن الطيبة هي أبناء وبنات الآلهة العظام (آن، إنليل، إنكي) وكانوا يتميزون عن غيرهم بوجود أجنحة على أكتافهم وهم ذوو وجوه كوجوه الآلهة لكنهم لا يملكون قوتها وعزمها وكانوا يسكنون العالم الأسفل ويستخدمهم الناس كملائكة حارسة لهم شخصيًّا أو لبيوتهم ومدنهم، وهم جذر ما اصطلح عليه فيما بعد بالملائكة (الشيدو واللماسو). أما الشياطين العفاريت أو الجن الخبيثة والشريرة فهم مخلوقات لا نسب لها، بل هي كائنات ظهرت في الأماكن المهجورة والمتسخة والمظلمة وأصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل، ودخلت في جيوشها أرواح الموتى الذين لم يدفنوا أو لم تقدم لهم طقوس جنائزية جيدة. وكان شكل الشياطين الخبيثة وصورهم مثل وحوش مخيفة أو حيوانات مركبة أو كائنات مرعبة، وكانت لهم أطراف غريبة وقد تكسو جلوده الحراشف والأشواك والأصداف.



تمثال إلهة العين الطاردة للشر ورمزها في معبد تل براك

ومن أنواع الشياطين السومرية الخبيثة هي:

1. الكالا: وهم جنود وجيوش العالم الأسفل وقد وصفتهم أسطورة نزول إنانا إلى العالم الأسفل بأنهم (لا يعرفون الطعام والماء) و(لا يأكلون ولا يشربون) و(الذين يسلبون الزوجة من حضن الرجل والطفل من حضن أمه) وشبهتهم بأنهم مثل (نصل الرمح) أو (القصب) وهم عامة الشياطين.

2. الأوتوكو: وهم الأشرار المعروفون بالسبعة الخنث قادة الشر.

3. الناموتو: وهم شياطين الأمراض وأصواتهم أشد من عضتهم وهم يدخلون البيوت والإسطبلات بقصد الأذى والقتل.

4. السبعة الأشرار: الذين يقتلون الأطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء.

5. العين الحاسدة: وهي شيطانة العين التي تسبب الأذى والشر والتي خصص معبد تل براك لعبادتها واتقاء شرها.

6. الأشباح وهم الذين لا ملامح لهم ونعني بهم أرواح الموتى المقتولين غدراً أو غير المدفونين أو غير المقامة لهم طقوس جنائزية مناسبة.

وكان للشياطين أسماء دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض والقابض... إلخ. وكانت ليليث شيطانة سومرية ورد ذكرها في أسطورة إنانا وكلكامش (شجرة الخلبو) فقد حطم كلكامش شجرة الصنوبر التي يبدو أنها كانت بمثابة (الشجرة الخبيثة) في أوروك وطلع منها ثلاثة كائنات شريرة هي (الأفعى من الجذور، ليليث من الجذع، زو: طائر الصاعقة من الأغصان). وكانت ليليث توصف بأنها شيطانة الليل صاحبة الأجنحة التي ترافقها العقبان والنمور والأسود، وهي متخصصة بإغواء الرجال وجلبهم من بيوتهم في الليل ليهيموا وراءها في البوادي والسهوب والتي تشبع رغبتها منهم ثم تتركهم فريسة مجونها وغرامها الشارد. وقد وصفتها الأدبيات العبرية بأنها (حواء) وكان صنف ليليث من الجنيات يسمى (إاردات ليلي).

أما الليلي فهم شياطين ذكور عكس ليليث، ويوصفون بأنهم عفاريت نصفهم بشر ونصفهم شيطان ويلاحقون النساء والبنات البشريات ويلحقون بهن الأذى وربما الغرام الشديد المولِّه.

والشياطين الشريرة عند السومريين لا تؤذي الإنسان فقط، بل تؤذي الطبيعة وتسبب عدم توازن فيها، فالكوارث والزلازل والفيضانات والقحط والرياح كلها بفعل هذه الشياطين.

إن غياب القمر بعد المحاق شهريًّا كان أيضاً بسبب مهاجمة الشياطين السبعة الكبار له، ولذلك كانت الأيام الثلاثة بين اختفاء القمر وظهوره هي بمثابة نوع من خطف القمر من قبل الشياطين إلى العالم الأسفل. وهذا هو جزء من أعياد الـ(إش إش) السومرية.

وكذلك كسوف الشمس وخسوف القمر كانا بسبب الشياطين ولذلك كانت هناك شعائر لإنقاذهما من قبضة أو فم الشياطين.

مضادات السحر الأسود

كان للسومريين طرقاً خاصة لمعالجة السحر الأسود أصبحت، فيما بعد، أساس معالجات السحر الأسود في الماضي القديم كله وكان جوهرها يستند على أساس أنّ السحر الأسود أو المرض أو الخطيئة بشكل عام سببها الأرواح الشريرة (الشياطين) فكان طردهما تخليص الحياة منها بمثابة علاج لها.

ويظهر تدخل الإلهة أولاً ببعثها لإشارات نبوية (أشابوت) تكون بمثابة علامات على إمكانية حدوث الكارثة والأمراض، وهي بمثابة تشخيصات لهذه الشرور، وكان كاهن الأشيبو هو الذي يكشفها ويفسرها. (انظر الاحمد 1988: 63).

في مجال الإنسان كان سقوط حية من الشجرة أو ظهور غراب أو كلب في الطريق أو حلم بالسقوط... إلخ هي إشارات المعزم (الأشيبو) ليحللها ويعرف إمكانية شفاء الإنسان من مرضه.

أما في مجال الطبيعة فكان ظهور البرق والصقيع والمطر وتكسر الأثاث ولدغة النحلة وسقوط الشيء من مكان مرتفع بمثابة الإنذارات على وقوع الكارثة. وكان كاهن الأشيبو يقوم بعد ذلك بمجموعة من الطقوس المضادة وهي:

1. الرقى والتعاويذ العامة: كانت التعويذة (الشيبتو) هي الوسيلة العامة التي يمكن أن يقوم بها (الأشيبو) أو (المشمشو) وهي عبارة عن كلمات ملفوظة تتعوذ من الشياطين وتحاول إبعادها، ويؤديها الكاهن وهو يلبس ملابس حمراء (وهو اللون الذي تخشاه الشياطين) أو ملابس على شكل جلد ورأس السمكة حيث يتمثل فيها الكاهن شخصية إنكي الذي ترمز السمكة إليه. أما الرقية فتتضمن صنع تماثيل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة جمله عليها والمعزم جالس داخل دائرة اختطها بعصاه ممسكاً بخشبة أو غصن نخلة. وكانت التمائم عبارة عن أشكال سحرية قد يكتب فيها ما يريده الساحر ولكنها تعلق على زند أو على صدر الشخص لدرء المرض والشر عنه. وتأخذ شكل الشياطين مثل بازوزو.

وكانت التعاويذ والرقى مصحوبة ببعض الأعمال الرمزية مثل حرق مواد تشبه الأرواح الشريرة وحل العقد التي يُعتقد أنّ المريض قد ربط بها.

2. التعاويذ والرقى الخاصة: وهي تعاويذ وجدت بصيغتها الأكدية ويعتقد أنّ لها جذوراً سومرية وأسماؤها كما يلي:

أ. الشربو وهي تعاويذ مضادة لتعاويذ السحر الأسود المسماة المقلو، وتصاحبها نار وحرق دمى.

ب. أتوكي لمنوتي: تعاويذ الطرد لكبار الشياطين

ج. أشاكي مرصوتي: تعاويذ لطرد شياطين الأمراض

د. لابارتو: تعاويذ لطرد شياطين خاصة.

3. طقوس الماء والزيت والدفن: التي تعتمد على مبدأ الاتصال بشكل خاص حيث يأخذ المعزم شيئاً من شعر أو أظافر أو ملابس المريض، ويرش الماء عليه أو الزيت، ويتلفظ باسم العفريت، وربما يقوم بالتبخير أو حرق بعض أدوات المريض أو دفنها لكي يطرد العفريت عن المريض.

4. طقس الفوهو (البديل): الذي شرحناه في الطقوس اليومية والذي كان يعالج به المرضى حيث يستند إلى مبدأي السحر (التشبيه والاتصال) معاً حيث يدفن الحيوان البديل عن المريض مع المريض في النهاية.

علاقة السحر بالأسطورة

كان السحر قديماً يمثل أول الأديان لاعتقاده بوجود قوة في الأشياء والعالم يمكن التحكم بها، وبعد أن أدرك الإنسان أنّ أصحاب القوة الخارقة فقط هم القادرون على التحكم بهذه القوى فأبقى الإنسان معتقده في وجود هذه القوى ولكنه خضع لها هذه المرة وتوسلها فنشأ الدين بالمعنى الذي نعرفه.

وإذا كان السحر، كدين بدائي، يُرجح الطقس أساساً إلى الأسطورة التي يعتبرها هي الكلمة، بدل القصة المقدسة، والمعتقد هو الإيمان بوجود القوى الكونية والبشرية، فإن الدين أعطى مستويات متقاربة لكل من الطقس والأسطورة والمعتقد.

لكن السحر نفذ إلى الدين من خلال الطقوس التي شرحنا بعضها ومن خلال الأسطورة أيضاً (رغم أنّ السحر يُمارس خارج الأسطورة) وهناك الكثير من الأساطير السومرية ما زالت تحتفظ بالمشاهد السحرية، فمثلاً في أسطورة إنليل وننليل في العالم الأسفل يقدم البديل (الفوهو) عن الآلهة الثلاثة (الزوجان وابنهما القمر) ليرقد ثلاثة آلهة سفليون في العالم الأسفل ويتمكن ثلاثة آلهة عليون من الخروج إلى الأعلى وقد اعتمد على مبدأي التشبيه والاتصال السحريين.

وفي نزول إنانا إلى العالم الأسفل يخلق الإله إنكي المخلوقين (كوركالا) و(كولاتور) ويسلم الأول طعام الحياة والثاني ماء الحياة فيقومان برشّهما على جثة إنانا ستين مرة (بطريقة سحرية ولا شك) لتعود إنانا إلى الحياة.

إن طعام الحياة (بلخو) ولعله (البلح) وماء الحياة (ميلامو) ولعله ماء مقدس يرشان بطريقة سحرية لستين مرة وهو عدد مقدس وسحري في آنٍ. وفي أسطورة / تعويذة السن السومرية يظهر السحر واضحاً... وهناك أمثلة أخرى عديدة.

2. العرافة

العرافة في أبسط تعريف لها هي (التنبؤ بالغيب)، وإذا كان السحر ينطلق من وجود قوى خارجية يمكنه السيطرة عليها فإن العرافة تنطلق من فكرة وجود قوى داخلية (عند العراف) يمكنها أن تلتقط إشارات الكون والطبيعة وغيرها لتكتشف بها ما سيحدث من أحداث.

ولعل أقدم عرّاف سومري هو ملك سبّار قبل الطوفان (إينمين دور إنكي) الذي تعلم العرافة من الإله إنكي فعيّنه عارفاً لفنونها ومعلماً لها واعتبر حامي العرافين، وكذلك بطل الطوفان زيوسدرا. ويذكر أنّ أورنانشه أول حاكم لكش كان عرَّافا. (انظر الأحمد 1988: 69).

وكان العرّاف قارئ خطوط وإشارات بإمكانه تأويلها، بالشكل الذي يراه، لمعرفة ما سيحصل في المستقبل. وسمى السومريون العرّاف (آزي I. Zi) وتعني (الذي يعرف) وهو ما يقابل

في الأكدية (بارو) الذي اعتبر أحد أنواع الكهنة المتخصصين عند السومريين والأكديين معاً.

وبصورة عامة يمكن تقسيم العرافة السومرية حسب مصدر نشوئها إلى الأقسام الآتية:

1. عرافة الطبيعة وقراءة حركاتها وتبدلاتها ولعل أهم جزء في هذه العرافة هي قراءة السماء وظواهرها والنجوم وحركاتها وهو ما يعرف بالتنجيم الذي سنفرد له فقرة كاملة.

أما بقية أشكال وخطوط وإشارات الطبيعة المعبر عنها بالبرق والزلازل والبراكين والفيضانات وخطوط الجبال والسهول وحركة المياه فقد كانت مصدر إلهام العرافين لكي يعرفوا بها مصائر الناس والبلدان.

2. عرافة الحيوان وقراءة ما يصدر عنه من حركات عفوية في وقت معين، وهناك نوع آخر يعتني بقراءة الأجنة والولادات المشوهة عند الحيوان ليستدل بها على حدوث أمور مستقبلية.

وأهم أنواع هذه العرافة قراءة أحشاء الحيوانات التي تذبح بمناسبة ما وبصورة خاصة قراءة خطوط وتغيرات الكبد (Hepatoscopy) فمثلاً عندما تخفى المرارة من الكبد فإن ذلك يعني إشارة لكارثة تخص الملك أو البلاد وهكذا.

3. عرافة الإنسان وتشمل قراءة شكل الإنسان وخطوط وجهه ويده وقدمه وجسده وحركاته، بل والولادات المشوهة له وطبيعة الأجنة المسقطة منه.

4. العرافة العملية وهي العرافة الاصطناعية التي تعتمد على بعض الأعمال التي يقوم بها العراف لينتج خطوطاً وأشكالاً يقرأ بها ما سيحصل في المستقبل. وقد عرف السومريون نوعين من هذه العرافة وهما سكب الزيت في الماء ثم مراقبة حركة الزيت وهو يطفو على الماء ويشكل حلقاته ومنها يعرف الفأل الحسن من الفأل السيئ، أما النوع الثاني فهو قراءة حركة الدخان المتصاعد من المبخرة.

لقد كان الإله (أوتو) إله الشمس، والإله (أشكر) هما اللذان يرعيان طقوس العرافة وكان العرافون يتوسلونهما عند إجراء طقوس العرافة.

ولم تكن العرافة محرمة، بل كان الشخص الذي يقوم بها من نوع خاص يجب توفر بعض الصفات الخاصة به، وكان العراف يرافق الملوك والأمراء ويقرأ لهم طالعهم. وجاءت أقدم نصوص العرافة من العصر السومري القديم بعناوين مختلفة هي:

- إذا كانت مدينة على ارتفاع معين.
- عندما الإله آن وإنليل (إينوما آن – إنليل).
- إذا ضرب أو بنى.

3. التنجيم

التنجيم Astrology هو الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك Asronomy. ولم يبدأ التنجيم بداية سحرية، بل كان في بدايته محاولة من الإنسان النيوليتي لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبدل الفصول «ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم، ولا سيما التقويم الشمسي، أوحتها للإنسان الدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر إلى وقت بذر آخر أو من حصاد إلى حصاد آخر ولعل إنسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات والمواسم وتعاقبها ومواعيدها باقترانها بطلوع بعض النجوم والكواكب، على نحو ما يمارسه الفلاحون الآن في العراق وفي غير العراق» (باقر 2009: 201).

ولما كانت تقلبات الجو (وعلامتها الكواكب والنجوم) تؤثر على مصادر الغذاء بهذا الشكل فلذلك أصبح «ارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجعاً إلى أنّ الكهنة والحكام الذين مارسوا سلطاتهم السياسية والدينية خلال الفترات التي سبقت ظهور نظام الريّ كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفيرالغذاء لمجتمعاتهم ولذلك فإن النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلبيًّا على الحكام وعلى مصيرهم ولذلك أصبحت حركة الكواكب علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها». (رشيد 1987: 9).

ملوك سومريون منجمون وفلكيون

أسعفتنا بعض الإشارات المكتوبة على ألواح الكتابة المسمارية السومرية في تكوين فكرة عن الفلكيين السومريين، وكانوا جميعاً من ملوك سومر قبل وبعد الطوفان. ومن المؤكد أنّ هناك

كهنة وعلماء في هذه العلوم لكنّ تاريخ هذه الحقبة البعيدة لا يمنحنا كلّ شيء ولذلك سنقتصر على ما عرفناه عن الملوك السومريين الذين اهتموا بالفلك والتنجيم.

ملوك ما قبل الطوفان:

تعطينا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان سواء تلك التي وضعها جاكوبسن (انظر Jacobson 1939)، أو تلك التي وضعها فيلر – بلونديل (انظر روثن 1980: 42)، أو تلك التي وضعها في القرن الثالث قبل الميلاد المؤرخ البابلي برعوشا (بيرسوس) تعطينا هذه القائمة إشارات واضحة تشير إلى أنّ الملك السومري الأول قبل الطوفان واسمه (ألولم) الذي كان يحكم مدينة أريدو كان يمارس السحر. وأن الملكين أوبار توتو وزيوسدرا في شروباك كانا يمارسان العرافة.

وقد دارت أخبار متواترة كثيرة عن العالم القديم عن (هرمس) الذي كان شخصية غارقة في القدم والتي لفّها غموض كبير وكان هرمس عالماً وطبيباً وفلكيًّا... فمن هو هرمس هذا؟

تقول الإنسكلوبيديا الإسلامية أنّ هرمس هذا «طبقاً لاسمه مثلث العظمة ـ المثلث بالحكمة والمحبة ـ ينقسم إلى ثلاث شخصيات الهرمس الأول يعرف بـ (أخنوخ) و(أنوش) و(إدريس) عاش في مصر قبل الطوفان وبنى الأهرامات – انظر هرمس اسمه أصبح مرتبطاً بها – وحرمات مقدسة أخرى (بارابي وهي بيوت الحكمة) كتب على جدرانها المنجزات العلمية للرجل الأول ليحفظها من الدمار والفقدان بالطوفان. الثاني (البابلي) عاش بعد الطوفان في أرض بابل واخترع دراسة العلوم، ولكنه هاجر، طبقاً لإحدى الروايات إلى مصر. الثالث دوّن بعد الطوفان في مصر علوماً وحرفاً مختلفة تقريباً. (Plessner 1960: 463).

أما المصادر العربية القديمة فتصفه بما لا يختلف عن الفقرة السابقة إذ يقول ابن النديم في الفهرست «إنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان إله بيت عطارد، وباسمه يسمى فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس. وقيل إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب، وإنه ملكها. وكان له أولاد عدة منهم طاطا وصا وأشمن وأثريب وقفط وأنه كان حكيم زمانه. ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف في مدينة مصر بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته». (ابن النديم: د. ت: 494).

إن هرمس البابلي هذا عاش قبل الطوفان أو بعده بقليل وهذا يعني أنه لم يكن بابليًّا، بل كان سومريًّا لأن جميع المصادر العربية القديمة لم تدرك أو تعرف سومر التي زالت من الوجود حوالي 2006 ق. م واندثر اسمها تماماً ولم تكشف عنه إلّا الحفريات الحديثة وأصبح يطلق على كل ما هو عراقي قديم الاسم المعروف (بابل) ثم أطلق الإغريق تسمية (ما بين النهرين – ميزوبوتاميا Mesopotamia) هي تسمية متأخرة.

ولذلك نرى أنّ هرمس الذي تشير إليه المصادر القديمة قبل الطوفان هو سومريّ الأصل ولا يمكن أن يكون بابليًّا لأن بابل لم تكن قد وجدت قبل الطوفان وكذلك مصر كدولة وعمران وأهرامات.

أما هرمس الثاني فيمكن أن يكون بابليًّا أو مصريًّا، وهو في حالة كونه مصريًّا يقابل اسم تحوت أو توت (طاط) وينسب إليه بناء الأهرام (وقد اشتق اسم الهرم من هرمس أو العكس) ومن الجدير بالذكر أنّ تحوت هو إله المعرفة والسحر في مصر القديمة.

أما هرمس الثالث فهو يوناني متأخر جدًّا أخذ عن مصر أو بابل وتسمى به أحد الآلهة الإغريقية وهو الإله الرسول صاحب الأجنحة.

فإذا كان الأصل في كل هؤلاء الهرامسة هو ذلك الهرمس السومري قبل الطوفان فمن تراه يكون في تاريخ سومر؟ هل هو عالمٌ أم نبيّ أم ملك؟

قادتنا المقارنات المعمقة في التاريخ القديم والقراءات الخاصة التي سنذكر بعضها إلى الوصول لرأي مفاده أنّ هرمس هو أحد ملوك سومر قبل الطوفان.

إذا أخذنا برأي برعوشا من «أنه في زمن أمينون ظهر كائن أسطوريّ خرج من البحر على شكل إنسان وسمكة، وفي زمن إيفيدوراكوس طلع هذا الكائن الأسطوريّ من البحر واسمه كان (أوانيس) كما ورد في الأسطورة وشرع يعلّم ما ينبغي أن يتعلمه الناس، فهو الذي أوحى إلى أيفدوراكس بعلم العرافة، ويفيدنا بيروس (برعوشا) بتفاصيل أدق مما تقدمه لنا النصوص البابلية عن وحي العلم المقدس هذا الذي مصدره كائن أسطوريّ عاش قبل الطوفان». (روثن 1980: 42).

إن هذا الكائن الأسطوريّ هو الإله (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة في سومر والذي كان يرمز إليه بإنسان يلبس ملابس سمكة وأن اسم أوانيس قريب من اسم إيا ويبدو أنه ظهر في زمن الملك أمينون وأعطى شرائعه فيما بعد إلى ملك آخر هو أيفيدوراكوس الذي سبق ظهور (أوبارتوتو) والذي يشكك بأنه نفس (زيوسدرا) أي نوح السومري، ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومري بين (أمينون) و(أيفيدوراكوس)... وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من ملوك سومر قبل الطوفان.

وفي المصادر العربية الإسلامية يتحور اسم أمينون إلى أغانميون ويسميه البعض أغاثو ذيمون حيث يقول ابن أبي أصيبعة بأنه كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين وتفسيره (السعيد الحظ)، ويقول الأب الكرملي إن معنى (أغاثوس ديمون) في اليونانية: المبدأ الحسن، وهو الاسم الذي سمى به اليونان خنفوفيس من أشهر آلهة المصريين ويظهر اسم أغاثوذيمون في المصنفات العربية بأشكال شتى منها أغاذيمون وأغاثوذيمون وغاثوديمون وعايديمون وغارميون وعادميون. (انظر رزوق 1982: 97).

وهذا يعني أنّ اسم عاديمون يقترب من أمينون، وإذا ما رجعنا إلى برعوشا فإننا سنلاحظ أنّ هرمس الذي تسلّم المعرفة ومنها الفلك هو أمينون. ونرى أنّ هرمس قد انتقل إرثه إلى جميع جهات الأرض فقد تخفّى باتجاه الشرق تحت اسم (أهورا مزدا) وهو إله النور في الديانة الزرادشتية وهو إله شمسي فلكي. ثم واصل رحلته إلى الهند لتنشأ منه الديانة الفيدية (فيدا تعني الحكمة والمعرفة) وهرمس له هذه الصفات.

وانتشر غرباً باتجاه مصر واختلط هناك باسم الإله تحوت (الحكمة والمعرفة) وظهر لنا (هرمس طوط)، ونرى أنّ أغاذيمون الذي ذكرناه كان اليونان قد أسموا به خنوفيس من أشهر آلهة المصريين والذي يلتقي أو يتطابق مع هرمس، وتوضح لنا أسطورة هرمس باني الأهرامات لأن خنوفيس هو اسمٌ قريب من خوفو (الفرعون الذي بنى الهرم الأكبر). وانتشر هرمس شمالاً باتجاه اليونان وظهر في شكل إله المعرفة هرمس الذي كان بمثابة الرسول الإلهي.

لقد توضّح لنا أنّ هرمس هو أحد ملوك سومر قبل الطوفان وأنه أقدم شخصية (شبه أسطورية) في تاريخ البشرية اهتمت بالأفلاك وعلوم التنجيم.

ملوك ما بعد الطوفان:

نرى أنّ السومريين بعد الطوفان اهتموا كثيراً بالفلك والتنجيم خصوصاً في تلك المدن التي كانت مراكز للآلهة الفلكية مثل (سبار) حيث الإله أوتو إله الشمس وأور حيث الإله (نانا) إله القمر وأوروك حيث الإلهة إنانا إله الزهرة.

أما المدن الأخرى فقد كانت تتعامل مع الفلك والتنجيم أيضاً كنوع من العلوم والعلوم الدينية حيث ترد من مدينة لكش أول الأخبار السومرية عن تعامل ملكين من ملوكها مع الكواكب والفلك، ففي الأخبار التي جاءت من الملك أور نانشه الذي حكم سنة 2520 ق.م على أنه «يشار فيه إلى كبير العرافين» وهو اللقب السومري الذي يعادل بارو بالأكدية، وبعد قرن تقريباً من ذلك التاريخ نجد نقشاً يرجع إلى أيام أوركاجينا فيها ذكر لموظف يسمى (أفكلّو) أي الخبير بالعرافة». (انظر هوك 1987: 141).

وفي ظننا أنّ كلمة (أفكلّو) هذه هي جذر لكلمة (بلكو) البابلية التي تعني عرافة النجوم. وأن كلتيهما جذرٌ للكلمة العربية (فلك) و(إفك) أي الكذب أو التنجيم. وهكذا تجمع كلمة (أفكلّو) السومرية وكلمة (بلكو) البابلية علمي الفلك والتنجيم في جذر واحد أصيل.

ومن سلالة لكش الثانية يظهر الأمير كوديا الذي حكم بين (2144 - 2124) ق. م مهتمًّا بالنجوم حيث يرد في قصيدة سومرية مطولة بأن الأمير يقص حلماً إلى الآلهة نانشه (مفسرة الأحلام وآلهة الكتابة في سومر) ويبدو أنه كان مذعوراً من رؤية الكواكب السماوية التي ظهرت له بشكل مختلف في حلمه فهو يقول:

«في منامي... رجلٌ كالسماء في عظم جرمه، كالأرض في عظم جرمه، هو رأسه رأس إله، جناحاه جناحا الطائر أمدوجد، قائمتاه قائمتا عفريت طوفان، عن يمينه وشماله أسدان يربضان أعطاني الأمر بتعمير بيته، لا أدري ماذا يريد. الشمس طلعت لي من الأفق، امرأة... من هي ليست تكون! من هي تكون! وضعت على الرأس، أمسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد، أسندت لوح نجمٍ على الركبة، تتشاور معه». (كريمر 1986: 46).

ويبدو أنّ الرجل هو إله مدينة لكش ننجرسو وأن المرأة هي الإلهة نانشه يطلبان منه بناء معبد. ومما يلفت الانتباه ذكر (لوح النجوم) الذي يبدو وكأنه الإسطرلاب أو المخطط الفلكي، ويبدو

أنّ الأمير وضع مخطط المعبد وفقاً لمخطط فلكي كان مرسوماً على لوح النجم هذا.

أما الملك السومري الرابع الذي اهتمّ بالنجوم والفلك هو شولكي الملك الثاني من سلالة أور الثالثة التي حكمت بين (2112 - 2004) ق. م. وكان عصره مزدهراً، وكان اسم أحد شهور السنة في التقويم السومري باسم (شولكي المقدس) وقد ذكرنا من عصره نصّين فلكيين عن كوكب المشتري (سكميكار).

الأصول المِيثولوجية للفلك والتنجيم السومري:

حسب الأساطير السومرية، كانت (نمّو) هي الإلهة الأم الهيولية الأولى التي ظهر منها جبل الكون (آن- كي) وهو جبل ذكريّ أنثوي مزدوج كانت السماء فيه ملتصقة بالأرض. ثم انفصلت السماء (آن) كعنصر ذكريّ كوني أول عن الأرض (كي) كعنصر أنثوي كوني أول. وكان إنليل ابنهما الأول ذكراً وهو إله الهواء الذي فصل بينهما. وإنليل يعني حرفيًّا (سيد الفضاء).

وهذا يعني أنّ السماء والفضاء هما أول عنصرين ذكريين يمثلان الأب والابن... وبذلك تتسيد السماء ومكوناتها من الكواكب والنجوم على الأرض وتأخذ منحًى ذكوريًّا مهيمناً ومنجباً فيما يتساقط على الأرض من هواء وضوء ومطر ونيازك هي عناصر ذكورة سماوية تحدد مصير الأرض وتزرع فيها إرادات السماء. وأن أحداث الأرض ما هي إلّا صورة من أحداث السماء ولذلك أصبح النظر في أحداث السماء وحركة عناصرها مدعاةً للتفكير في تأويلات مناسبة لأحداث الأرض... أو أنّ توأمية السماء والأرض تستدعي التفكير في أنّ ما يظهر في السماء سيظهر في الأرض لأن المكانين كانا متصلين وأن ما تسجل على أحدهما انطبع على الآخر منذ كانا متصلين في شكل كتلة واحدة هي (آن- كي).

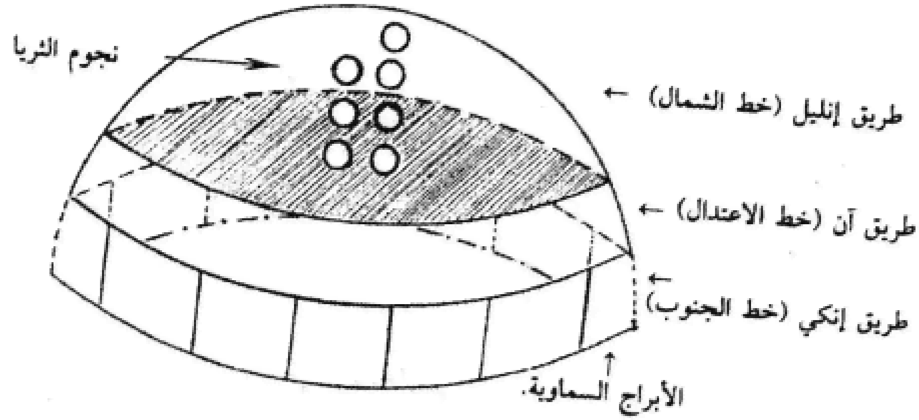
في البانثيون السومري (مجمع الآلهة السومرية) يتكون أول مثلث إلهي أعلى من الآلهة (آن، إنليل، إنكي) وقد أوجد السومريون أرقاماً خاصة بكل منهم وهي على التوالي (60، 50، 40). وكان الرقم (60) رقماً مقدساً يمثل أعلى الأرقام في النظام الستيني السومري (مثلما يمثل الرقم 10 أعلى الأرقام في النظام العشري)، ولذلك منح هذا الرقم الرمزي أو السريّ للإله آن إله السماء والإله الكوني لكل البشر. أما الرقم (50) فقد منح للإله إنليل ابن الإله آن، وسيستمر هذا التدرج العشريّ أو نصفه مع الآلهة الآخرين، والإله إنليل يمثل إله الهواء والإله القومي للسومريين. وكان

يشير إلى كوكب المشتري (سكميجا) عند السومريين. أما الرقم (40) الذي منح للإله إنكي وهو في بعض الأساطير ابن الإله إنليل وفي بعضها الابن الأصغر للإله آن. وهو إله الأرض وإله الماء والحكمة. وكان يشير إلى كوكب عطارد (جو أود) عند السومريين. ويشير هذا التقسيم إلى أنّ الإله آن الذي يمثل السماء ومعه الإله إنليل الذي يمثل الهواء يشيران إلى عنصري الهواء والنار لأن الكواكب المضيئة كانت تمثل عنصر النار. أما الإله إنكي فكان يمثل عنصري الماء والتراب. وهكذا تقابلت العناصر الأربعة في منظومة فلكية ميثولوجية رياضية.

لقد وضع السومريون لهذا الثالوث السماوي طرقاً أو مسالك أو أماكن فلكية سماوية هي:

1. خط الاعتدال وهو (طريق آن)
2. خط الشمال وهو (طريق إنليل) ويقع شمال خط الاعتدال
3. خط الجنوب وهو طريق (إنكي) ويقع جنوب خط الاعتدال

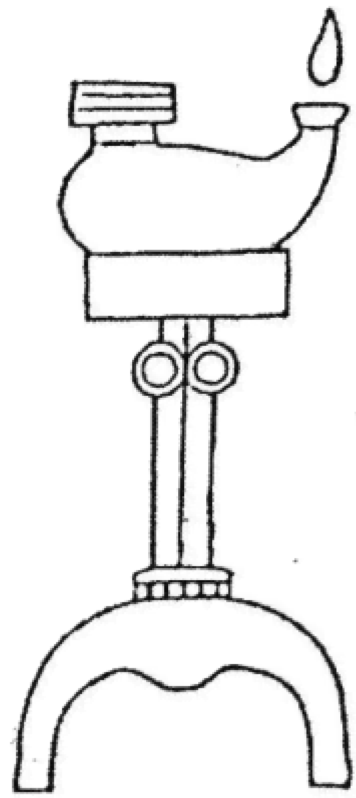
وتقع في طريق إنليل نجوم الثريا التي تمثل بسبع دوائر، أما طريق إنكي (إيا) فتنسب إليه أبراج ونجوم كثيرة أهمها (الحوت والدلو).



خطوط القبة الفلكية السومرية

وتخبرنا الرموز الإلهية السومرية أنّ الإله آن هو الوحيد الذي مُثّل برمزٍ فلكيّ وهو عبارة عن نجمةٍ ثمانية الأشعة، وقد كان يرمز له في عصور ما قبل التاريخ في جنوب العراق بالجهات الثماني، ثم تحول هذا الرمز إلى نجمةٍ ثمانية وتحول إلى رمزٍ كتابيّ يدلّ على كلمة الإله بصورةٍ

عامة عند السومريين (دنجر، دَ). أما رموز إنليل فتراوحت بين علامة الفأس المزدوج والمثلث المزدوج، ورأس الثور (البكرانيوم) ولم تُشر إلى طبيعة فلكية. وكانت رموز الإله إنكي مقتصرة على المياه المتدفقة من جرّة صغيرة. وحين ظهر إله خاص بالنار وهو الإله نسكو الذي يظهر كوزير وابن للإله إنليل فإنه لم يكتسب رمزاً فلكيًّا واقتصر على مصباح مشتعل موضوع على ساند أنيق.



رمز الإله نسكو

المثلث السماوي الثاني مكون من آلهة (القمر، الشمس، الزهرة) وهم (نانا، أوتو، إنانا) وأرقامهم الرمزية أو السرية هي على التوالي (30، 20، 15) وهذا الثالوث الكواكبي لعب دوراً كبيراً في الحياة اليومية للسومريين.

إله القمر:

يحتل القمر قمة هذا الثالوث فهو ابن الإله إنليل وأب الإله الشمس (أوتو) ومن ألقابه (أشيم بابر)، وفي الأكدية (نمرجيت) ويعني صاحب الشروق المشع. وقد ورد باسمين آخرين هما (ننار، سوابن). ويكاد الفلك السومري يكون قمريًّا لأن القمر يحتل مكانة هامة فيه، في حين يصبح الفلك الأكدي شمسيًّا بسبب ظهور الإله الأكدي (شمش) كإله قومي أكدي... ومؤكداً الطبيعة الصحراوية للأقوام الأكدية السامية. وكانت مدينة أور المكان السومري الأول لعبادته في معبد أكيشنوجال، ثم جاءت مدينة حرّان التي ظلت محتفظة بطابعها القمريّ حتى العصور العربية الإسلامية.

وكان الإله القمر ينافس أباه (إنليل) على الصعود إلى مرتبة الإله القومي للسومريين، وقد قدمت سلالة أور الثالثة في أواخر سنيها إرهاصات دينية بهذا الاتجاه. ونرى أنّ إله القمر في العراق القديم حمل معه بذور التوحيد القديم فقد رحل النبي إبراهيم الخليل من مدينة أور إلى حرّان (وهما مدينتان قمريتان)، وقد حمل آخر ملك بابلي (نبونائيد) رسالته الدينية انطلاقاً من عبادة القمر. ومنه اشتق التقويم القمري.

ويعبّر الرقم (30) عن عدد أيام الشهر القمريّ الذي لعب فيه القمر دوراً هامًّا في التقويم القديم فقد كان الشكل المتبدل للقمر طيلة الشهر مدعاةً لاتخاذ وحدة الأسبوع فيه دالة على كل مرحلة، فمن الهلال إلى نصف البدر أسبوع، ومن نصف البدر إلى البدر أسبوع، ومن البدر إلى نصف الغائب أسبوع، ومن نصف البدر إلى المحاق الأسبوع الأخير. أما الأيام المتبقية (من 2 - 3 أيام) فهي تمثل فترة اختطاف الشياطين للقمر ونزوله أسيراً إلى العالم الأسفل. وكان في نهاية كل أسبوع يقام عيدٌ قمريّ اسمه (إش إش) وهو ما يقابل عندنا عطلة نهاية الأسبوع. وهناك عدة أساطير سومرية للقمر وهي (ولادة القمر، خسوف القمر، زيارة القمر لأبيه).

رمز الإله نانا كان، في حدود القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد، عبارة عن هلال مقوس مفتوح للأعلى يحتضن نجمة أو شمساً مكونة من اثني عشر شعاعاً بعضها متموج وبعضها الآخر مثلث الشكل. ويمكن أن يشير هذا الشعار إلى أنّ القمر يحتضن ابنه الإله الشمس أو ابنته الزهرة. وكان حيوانه الرمزي هو الثور المجنح حيث يمثل الهلال في الوقت نفسه قرنا الثور.

أما أهم ألقابه فهي (زورق السماوات المضيء، ذو البزوغ الساطع، رب الثور الوحشي إينسون، سيد العرش، إله النور الجديد، ثور إنليل الصغير، الأب) وكانت زوجته الإلهة نذكال

(السيدة العظيمة).

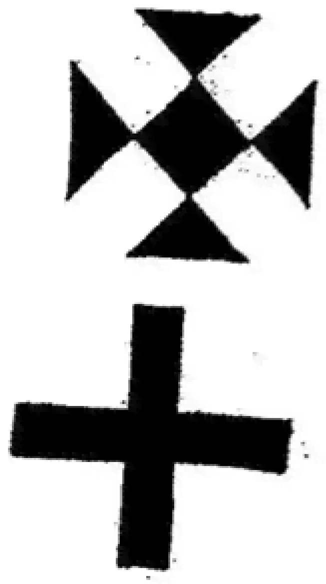
إله الشمس

كان الإله الشمس (أوتو) يشكّل ابناً للإله القمر في الثيوغونيا السومرية وهو يأتي بعده في الأهمية وكان رمزه في الكتابة المسمارية يعني مضيئاً. وقد عرف الإله الشمس باللغة السومرية بعدة أسماء منها أوتو Wtu، وببار Babbar وكشر Gis- sir وزلام Zalam، وزلمه Zalme، وبُزر Buzer، ومان Man، وأمنا Amna ونرجّح أن يكون الاسمان الأخيران أصل الإله المصريّ آمون مثلما نعتقد أنّ اسمه الرئيس (أوتو) هو مصدر الإله المصريّ الشمس أتون. (انظر عبد الرحمن 1975: 12).

واحتفظ الإله الشمس في علامته المسمارية برمز الصليب الذي كان يشير إليه قبل عصر الكتابة في حدود الألف الخامس قبل الميلاد، والذي كان يشير إلى الانقلاب الذكوريّ الشمسي.

وللإله (أوتو) عدة رموز فلكية لعل أهمها الصليب، والقرص فوق السارية، والقرص ذو النجمة الرباعية المشعة. أما القرص الشمسي فقد ظهر في العصر الأكدي. وكذلك رمز المنشار الذي يقصي الظلام، ورمز المحراث الذي يحرث الظلام.

وفي الليل عندما يختفي من قبة السماء يقوم برحلته إلى العالم الأسفل (عالم الأموات) ليزود الأموات بالضوء والطعام والشراب، ويوصف في المدائح الإلهية (شمس الأرواح الميتة). وإذا كان (شمش) قد لعب دوراً بارزاً ومهمّاً في الديانة والأساطير الأكدية إلاّ أنّ دوره كان متواضعاً لدى السومريين الذين كانوا يفضلون عليه إله القمر رغم أنّ دوره كان عظيماً عند ملوك أوروك الأوائل، إذ إن إحدى قوائم أسماء الملوك تذكر الملك (مسكي كاشر) على أنه (ابن أوتو) وكذلك حفيده أينمركار الذي كان بطل ملحمتين سومريتين، كما أنّ أوتو الإله الحامي والمؤازر الناصح لكلكامش وبمساعدته يقوم كلكامش بحملته ضد (هواوا). (اذزارد 1987: 42).



رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق. م



الإله الشمس يخرج بين جبلين

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

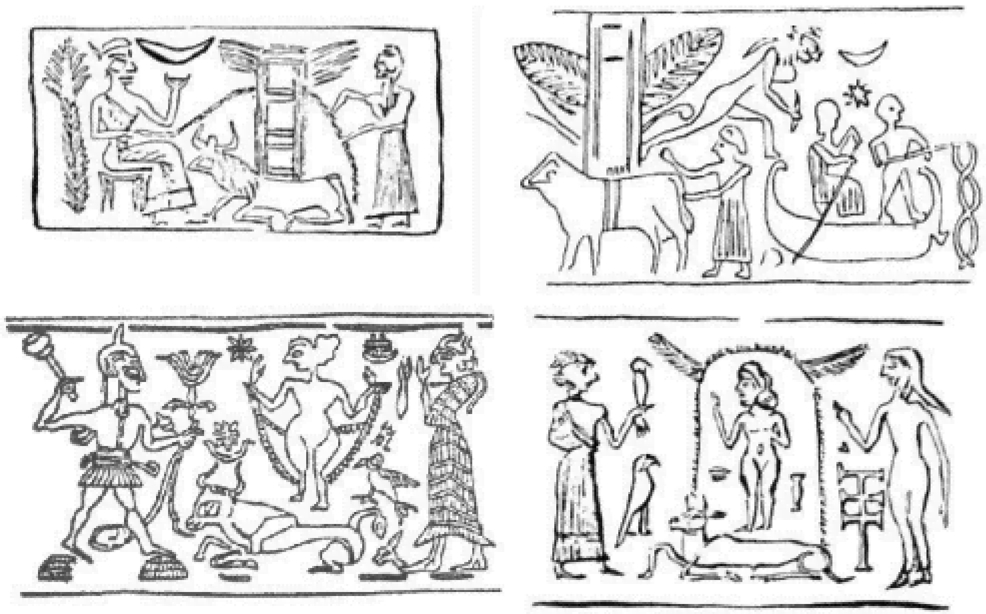
ويعزى ظهوره في قبة السماء خلال النهار واختفاؤه في الليل في المصادر السومرية إلى أنه يقطع السماء تجوالاً نهاراً ويركن إلى حضن البحر ليلاً ليظهر ثانية من خلف الجبال صباح اليوم التالي. أما التصور الأكدي فقد جعل جبل (ماشوم) الأسطوريّ نقطة انطلاقه ومآبه. (اذزارد 1987: 42).

إله الزُّهرة:

أما الإلهة إنانا وهي آلهة الحب والجنس السومرية فيبدو أنّ دورها الفلكي كان في البداية ضعيفاً ثم تعاظم كلما اتجهنا نحو العصر الأكدي، حتى اكتسب في العصر السومري الحديث مكانة أساسية بالإضافة إلى صفتها السومرية الأولى. وقد تلازم مع صفتها الكوكبية هذه صفاتها الحربية والقتالية التي ظهرت في العصر الآشوريّ بـأعظم أشكالها. إن ظهور الإلهة إنانا كإلهة للزهرة يتضح في قصائد الحب السومرية بشكل أولي عندما تظهر كـ(سيدة الصباح) و(سيدة العشاء). وهذا ينطبق على الظهور المبكر لكوكب الزهرة في النهار وفي الليل.

ونعرف صفتها الكوكبية المبكرة أيضاً من خلال تعريفها لنفسها أمام حارس بوابة العالم الأسفل حين توجهها إلى هناك بالكلمات التالية: أنا (إنانا من مشرق الشمس). وفعلاً تصور إنانا على المنحوتات وأشعة الشمس تظهر خلف ظهرها، كما تظهر على منحوتات حجر الحدود في العصر البابلي الوسيط والحديث على شكل نجم مثمن مشع، وقد يندمج رمزها (النجم المثمن) برموز آلهة سماوية أخرى مثل هلال القمر وقرص الشمس. (اذزارد 1987: 58).

ويظهر شكلها الخصيب في أساطيرها مع دموزي، أما شكلها الكوكبي فيظهر من خلال أبيها القمر وأخيها الشمس، وهناك أسطورة من أوروك تقول إن إنانا هي ابنة إله السماء (آن) وهناك أسطورة أخرى تجعل من إنليل أباً لها. أما علاقتها بإله السماء (آن) فتقوم على صعودها إليه ورفع رتبتها إلى مستوى قرينته (أنتوم) المعادلة لرتبته حيث يجعل منها نجمة السماء (الزهرة، فينوس) بعد أن يزودها بشارات الألوهية المناسبة، أما الإله إنليل فيقوم بمنحها السيادة على الأرض.



الإلهة إنانا في أختام مختلفة باعتبارها كوكب الزُّهرة

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

وتظهر مجموعة من الأختام السومرية حركة الإلهة إنانا (الزُّهرة) في السماء فهي تخرج في الختم أدناه (اليمين الأعلى) من البوابة المجنحة التي يعتقد أنها بوابة السماء التي على ظهر الثور بين غياب القمر وظهور الشمس أو العكس وهي تمثل نجمة الغسق أو الشفق. وتظهر إنانا باعتبارها كوكب الزهرة في السماء بعلاقتها مع المطر والبرق ونبات الحياة، وباعتبارها نجمة مزدوجة للفجر والغروب (جوزاء).

والإله إنكي يمنحها أيضاً النواميس المقدسة لتنقلها إلى مدينتها وهكذا يدور الآلهة حول الإلهة إنانا لأنها الأنثى الوحيدة في مجمع الآلهة الذكوريّ هذا بعد الإلهة الأم (كي) التي تمثل إلهة عجوز قياساً لها ورغم أنّ لها عدة رموز لكن رمزها الفلكي كنجمة ثمانية أقحوانية هو الذي يهمنا. أما رمزها الذي يشبه العجلة الشمسية الثمانية فقد ظهر في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وقد كانت الإلهة إنانا تمثل دائماً بنجمة ثمانية ذات أضلاع مدببة، وكان كوكبها في البداية دلبات أو نجم القوس أو الشعرى «ولم يكن للإلهة أنن – عشتار مظهراً نجميًّا وآخر أرضيًّا فحسب، بل كان ذلك للكثير من المعبودات الأخرى. ولعل ذلك كان من نتائج التوثيق بين الديانة السومرية

التي كانت بصورة رئيسة ديانة خصوبة ذات مظهر أرضي والديانة الأكدية التي كان لها خصائص نجمية واضحة كبقية الديانات السومرية». (ساكز 1979: 389). أما رمزها العددي (15) فيشير من الناحية القمرية إلى اكتمال البدر وهو نصف عمر القمر فعلاً. أما من الناحية السماوية فيشير إلى أنه ربع الرقم الكامل (60).

أصل اسمها في السومرية (نين- أنّا) يعني سيدة السماء، ومن أسمائها الأخرى المبكرة (إنين). وعندما تدعى بصفتها كإلهة للزهرة (فينوس) تسمى (ننسي أنّا) أو (ننسيا) وهي إله إين التي عبرت عن قدرات الشفاء والزراعة، وقد يكون لهذا الاسم علاقة باسم (ننسونا) الموصوفة بأنها ابنة إنكي والإلهة البقرة الوحشية وأم كلكامش وأساطير إنانا كثيرة وأهمها أسطورة نزولها إلى العالم الأسفل.

آلهة الكواكب الأخرى والطقس:

بقي أن نتعرف على إلهة الأرض، الإلهة الأم (كي) التي لم يكن ينظر السومريون إليها على أنها كوكب سماوي، بل كانت هي مركز الكون، إذ لم يخطر في بالهم أن تكون الأرض معلقة في الكون، بل كانت تشبه القرص الذي يطفو على المياه وقد احتلت فيما بعد الإلهة ننخرساج مكان (كي) وتضخمت بالصفات الخصيبة والأمومية. وإله الأرض هو الإله (إنكي) الذي يعد ابناً للإلهة (كي) وزوجاً لها في شكلها الآخر (ننخرساج).

أما الإله الذي مثّل عند السومريين كوكب زحل فكان الإله ننورتا ابن الإله إنليل وكان اسمه يعني (سيد الأرض) وقد تسرب إلى الديانة، الأكدية وحافظ على شكل اسمه السومري، وقد شارك أباه إنليل أماكن عبادته في (نفّر)، وكانت زوجته هي إلهة الشفاء (جولا) أو مساويتها في المرتبة الإلهة (بابا) زوجة الإله (ننجرسو) وهو نظيره ووجهه الآخر. (انظر اذزارد 1987: 139).

ومن ألقابه الفلكية في اللغتين السومرية والأكدية (ملك الصواعق المرعبة الرائع). ويقوم في أحد الأساطير بقتل طائر الصاعقة (أمدوجد) وكائنات خرافية أخرى. واحتفظ ننورتا برمزين أساسيين هما العصا المزدوجة وطائر الصاعقة الذي كان يدل عليه وعلى ننجرسو في الوقت نفسه عند السومريين. وقد اختزن ننورتا في باطنه جوهراً خصيباً في حين طغت عليه الصفة الزحلية

الطقسية. وكان الإله الفلكي الذي تذكره النصوص السومرية بندرة هو الإله (أما – أوتوك) الذي يعني (ثور الشمس الصغير) وهو ما أصبح فيما بعد عند البابليين الإله (مردوخ) الذي يمثل كوكب المشتري.

وهناك من يفسره على أنه ابن الإله دوكو (أمار- دوكو) وأقدم ذكر له ورد في نص ترشين وحيد من عصر الملك مسيليم حوالي 2600 ق. م وعرف كإله لمدينة بابل في عصر أور الثالث. ولا نعرف في أيّ زمن تمّت مساواته مع الإله (أسالوحي) ابن ومساعد الإله إنكي في شؤون التعويذات. كما لا توجد معلومات قديمة عن مجال عمله في الأصل ويستخلص من اسمه أنه كان قريباً من إله الشمس. (انظر اذزارد 1979: 126).

كان يمثل مظهراً أرضيًّا للإله الشمس ويربطه البعض بمدينة أريدو أقدم مدينة سومرية حيث كان ابن إلهها إنكي (إيا) ومن المؤكد فإن اسم إيساملا (بيت الرأس المبجل) الذي استخدم فيما بعد للدلالة على المعبد الكبير المقدس بالنسبة لمردوخ في بابل، كان أصلاً يشير إلى معبد أريدو كما يستدل على ذلك من إحدى أساطير الخليقة وكنتيجة لعلاقته مع أريدو ومع إنكي- إيا كان مردوخ إلهاً للسحر تحت اسم (أسار- لوخي) أو (أسالوحي) عادة. وعند التطبيق كان إله السحر بلا منازع على الرغم من أنه ظلّ لاهوتيًّا تابعاً لأبيه بهذا الخصوص وأن الطقوس السحرية تضم دائماً جملة تشير إلى مردوخ وهو يسأل أباه (إيا) عن الإرشادات السحرية حول الإجراءات السحرية المطلوبة. (انظر ساكز 1979: 394)

من هنا نلاحظ شيوع ذكر مردوخ في شكله السومري البسيط وفي شكله البابلي الناضج لاحقاً في نصوص التنجيم خصوصاً، ولكن الإله إيا (إنكي السومري) هو أب مردوخ كان إله السحر والطلب بامتياز فهو المناشد عبر الرقى والتعاويذ السحرية، وهو في الوقت نفسه إله الماء والذكاء والعدالة المشتق من الأرض والزراعة، فهو إله زراعي أنجب إلهاً كوكبيًّا هو مردوخ (المشتري). وهذا الاتصال الحميم بين الفلك الزراعي والفلك الكواكبي يذكّر بعصور ما قبل التاريخ ويشير إلى شكل السحر والتنجيم أولاً ثم يرقى إلى شكل فلكي ناضج.

الكوكب	اسمه بالسومرية	آلهة	يومه	رقمه الرمزي
القمر	سواين	نانا	الاثنين	30
الشمس	أوتو	أوتو	الأحد	20

الزهرة	نانسي أنّا	إنانا	الجمعة	15
المريخ	آن	آن	الثلاثاء	60
المشتري	سكميكار	إنليل	الخميس	50
عطارد	كوأود	إنكي	الأربعاء	40
زحل	نوردش	ننورتا	السبت	50

نظام الكواكب السيارة عند السومريين

بقي أن نتعرف على إله الطقس السومري الذي كان فعَّالا في عمليات التنجيم بشكل خاص، وكان يسمى بالسومرية (دنجر إم) أي الإله (إم) وتعني إله الريح. ويشير هذا إلى إله الريح الصاعقة الطائر (إم دوجر) أو (زو) الذي يصرعه الإله ننورتا إله زحل الذي يشير أيضاً إلى الطقس.

وهناك إشارة أخرى تشير إلى الإله (إشكر) ابن الإلهة إنانا الذي عرف سامياً بالإله (أدد) أو (مر) أو (ور). وكان يصور على شكل ثور وحشي جامح كالصاعقة ولم يأخذ دوراً كبيراً في الميثولوجيا السومرية على عكس التصور الأكدي حيث يرتبط اسمه بالدمار وخراب المحصول وإفساد الأرض الزراعية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنّ السومريين في جنوب الرافدين كانوا يعتمدون وسائل الريّ الصناعية كشف الترع وفتح القنوات لأن الأمطار كانت قليلة وقد تحتبس لسنوات طويلة، وعندما تهطل، ففي فصل الشتاء. وكان يرتبط بالإله آن باعتباره ابنه ويعبر معه في معبر واحد، ومن رموزه الثور والصاعقة الثنائية أو الثلاثية. (انظر اذزارد 1987: 45)

وإذا تأملنا في مخطط الكواكب السيارة الذي رسمناه وفق تصور السومريين للكواكب والقمر والشمس فإننا نرى أنّ هذا المخطط سيبقى سائداً في كل العالم القديم مع بعض التغييرات في مواقع الكواكب. وقد أصبح هذا المخطط ملهماً أساسيًّا للمدارس الغنوصية والهرمسية والأفلاطونية المحدثة في ابتكار نظريات الفيض وصعود وهبوط النفس البشرية من العقل الأول الذي يقع في الفلك الأقصى أو المحيط حتى العقل العاشر أو الفعال الذي يقع في عالم ما تحت القمر وهو عالم الأرض «عالم الكون والفساد». نودّ أن نشير إلى هذه الملاحظة لكي نؤكد على أنّ الفكر الميثوبي (الأسطوري) كان بذرة تحتوي ضمناً علوم الفكر والفلك والفلسفة التي تفتحت لاحقاً.

التنجيم وعلاقته بالعود الأبدي وبالعرافة

تمثل فكرة العود الأبدي واحدة من أعمق الأفكار الدينية السومرية وترتكز هذه الفكرة على أنّ ما يحدث في العالم ونفعله مرتبط بحدثٍ أولي ظهر في أقدم الأزمان وأننا نحاول تكرار نموذج مثالي أسطوريّ، ويتبع ذلك رفض حثيث للزمن التاريخي وعودة دورية لزمن الأحوال الميثية وهو الزمان الكبير.

يرى السومريون أنّ العالم الذي نحنُ فيه ما هو إلّا صدى أو تكرار لنموذج سماوي إلهي سبق ظهور عالمنا الأرضي والإنساني، أي إن هناك نموذجاً أو مثالاً إلهيًّا نعمل نحنُ على إعادة التشبه به دائماً، ففي أقدم وثيقة حلمية تتعلق ببناء معبد في لجش يرى كوديا في حلمه أنّ الإلهة (ندابا) أظهرت بناء المعبد على لوح جاء فيه ذكر النجوم النافعة وأحد الآلهة يطلعه على رسم الهيكل. وقد كان لأغلب المدن السومرية والبابلية نماذج سماوية برجية، فمدينة سبار نموذجها السرطان ونينوى نموذجها الدب الأكبر وآشور نموذجها القوس. (انظر الماجدي 1998: 291)

وكان التنجيم يستمد من فكرة العود الأبدي جوهر فلسفته إذ طالما كانت السماء تحتفظ بالنموذج المثالي للأحداث فإنه يمكن اعتبار أيّ حدث يجري في السماء بمثابة إشارة من ذلك النموذج المثالي الذي يمكن تفسيره من قبل الإنسان، ولذلك اعتبرت حركة النجوم وتغيراتها مؤشرات على تغيرات في حياة الناس ومصائرهم وبصفة خاصة الملوك والمدن والدول. ولذلك كان دور المنجّم هو ربط أحداث السماء بأحداث الأرض... وكان ذلك يستدعي قوة داخلية ملهمة كبيرة عند هذا المنجّم أو أنه يسقط في الادّعاء والشعوذة والدجل وهو كثيراً ما يحدث.

إن التنجيم لا ينفصل أيضاً في جوهر تقنيته عن علم العرافة (وهو علم التنبؤ بالغيب) والذي كانت له فلسفة واحدة هي قراءة الظواهر وربطها بحياة الإنسان، أما تقنيات العرافة (ومنها السومرية) فعديدة إذ كان العرّاف يستخدم قراءة خطوط الكبر في الشياه المذبوحة، أو خطوط الزيت على الماء، أو خطوط دخان المباخر، أو حركة الحيوان المفاجئة أو... إلخ

وهكذا تدخل حركة النجوم في حقل العرافة ويكون المنجّم عرافاً مختصًّا بقراءة النجوم حصراً.

إن التنجيم السومري المرادف للفلك السومري دخل في النظام الديني والسحريّ من خلال العود الأبدي والعرافة، بينما دخل الفلك السومري في النظام الرياضي الستيني فافترق كل منهما في

اتجاه وصار التنجيم فنًّا والفلك علماً.

نصوص الفلك والتنجيم السومرية:

تحتفظ المتاحف ومكتبات الآثار بعشرات الآلاف من الرُّقم السومرية التي ما زالت غير مقروءة أو في طور القراءة، وهناك نسبة كبيرة منها لنصوص الفلك والتنجيم، وخصوصاً تلك الرُّقم التي اكتشفت في مدينة سبار المعروفة باهتمامها بالفلك والتنجيم والطب.

وفيما يلي عرض لمحتويات بعض الرقم السومرية:

1. لوح حينما آنو إنليل Enuma Anu Enlil (EAE)

وهو نصٌّ تنجيمي لأغراض الفأل يقول عنه الباحثون بأنه يعود إلى الفترة السرجونية (بداية الأكدية) ولكنه يعود كتابةً وتأريخاً إلى الفترة السومرية القديمة. ويعتبر من أكثر النصوص التنجيمية قدماً. وهو يتألف من عدة نصوص جمعت على شكل سلاسل Series نقتطف منها المقطع التالي:

«إذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان الإله القمر في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق والنور على الجانب الغربي من تحت، وهبت ريح الشمال في ليلة المراقبة الأولى وخفت في منتصف ليلة المراقبة فسيعطي الإله القمر ذو الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الأعلى وذو النور على الجانب الغربي من تحت قراراً لمدينة أور وملك أور. سيواجه ملك أور المجاعة وسيكون عدد الموتى كبيراً (أما بالنسبة) لملك أور فسيقاومه ابنه، أما بالنسبة للابن الذي سيقاوم أباه فيقبض عليه شمش (إله الشمس) وسيموت لعقوقه والده وسيعتلي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية». (ساكز 1979: 525)

2. لوح المشتري (ساكميكار) Sagmegar Tablet:

وهو من النصوص الفلكية الاقتصادية السومرية من سلالة أور الثالثة وقد دون اسم الملك عليه وهو (شولكي ابن الملك أورنمّو)، فقد ظهرت على يسار اللوح سنوات حكم الملك، ثم أسماء أشهر وتاريخ يوم في الشهر، وفي بعض الحالات عبارة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة وللأسف فإن الكسر الذي فيه لا يعطينا تعريفاً كاملاً به لكنه يسجل سنوات ظهور واختفاء المشتري، وتوجد خلف اللوح تسجيلات تنجيمية وتأريخ مختصر للملك السومري شولكي «شولكي ابن أورنمّو ملك جميع

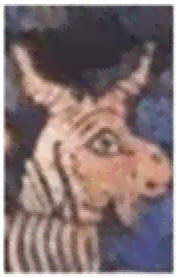
البلاد أخذ كرهينة بضائع البلد....... العدو، لقد سلبت كرهينة ملكية إيساجيل وبابل» والقسم الآخر من النص يقول: «لقد فعل ما لا يحمد عقباه وسلبت ملكية إيساجيل وبابل كرهينةٍ». (انظر Walker: 1982).

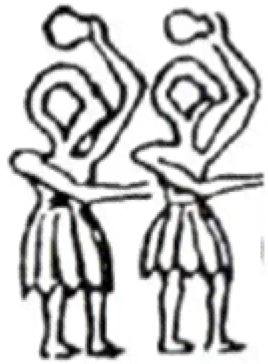
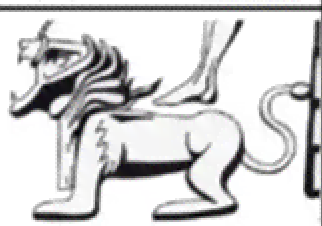
ولأن اللوح الذي جاءت فيه هذه المعلومات هو لوح يخص لوح كوكب المشتري الذي يسمى بالسومرية (ساكميكار) حيث اسمه وعلامته مكتوبتان على اللوح... وقد وردت هذه المعلومات فيه فيعتقد أنّ شيئاً ما قد حصل للملك شولكي مع وقت ظهور أو اختفاء هذا الكوكب خصوصاً أنّ هناك ما يشير إلى العمل الذي عمله شولكي.

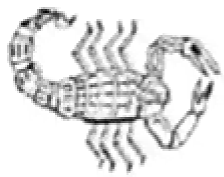
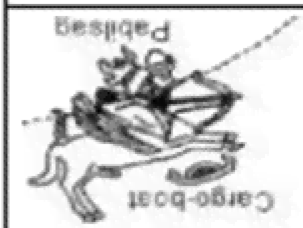
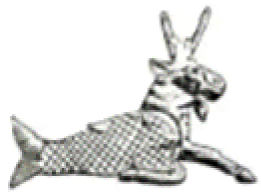
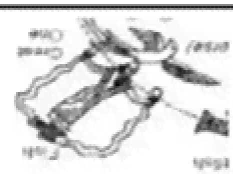
الأبراج السومرية

كان السومريون أول من قسّم السماء إلى أبراج وشبهها بالحيوانات وأسماها بـ(القطيع اللامع).



صورته السومرية	معنى الاسم السومري	اسم البرج السومري	اسم البرج	التسلسل
	ساكن الحقل	كومال، لوهونجا	الحمل	1
	ثور	مول، جو - أنّا	الثور	2

3	الجوزاء	ماش، ماشتابا	توأم	
4	السرطان	دب، نانجار	كماشة، ملقط	
5	الأسد	أورا، أوركولا	أسد	
6	العذراء	أب سين	الأب هو سين (والدها القمر)	
7	الميزان	زيبانيتو، زيبا أنّا	المصير السماوي	

8	العقرب	جرتاب	المخالب والمقاطع	
9	القوس	بابل ساج، با	المدافع	
10	الجدي	سهور ماش، سهور	السمكة الماعز	
11	الدلو	كو	رب المياه	
12	الحوت	سمَّاج، زب	أسماك	

الأبراج السومرية تصميم المؤلف

4– تفسير الأحلام

آخر طقوس وممارسات الأسرار هو تفسير الأحلام الذى كانت الإلهة (نانشه) مسؤولة عنه بالدرجة الأساس وتخصصت به الإلهة (مامو) ابنة إله الشمس (أوتو)، وكلمة (مامو) بالسومرية تعني الحلم. وكان الكاهن المسؤول عن تفسير الأحلام هو السائل (شائيلو) والكاهنة المسؤولة عنه هي السائلة (شائيلتو).

وكان تفسير الأحلام يحظى بأهمية خاصة عند الملوك والأمراء. أما الكهنة الذين يعملون فيه فهم من ذوي الامتيازات الروحية الخاصة.

ارتبطت الأحلام بالليل وكانت كلمة (مامو، مامود) تعني الليل والحلم في الوقت نفسه. أما كلمة (ماش جي) فتعني نتاج الليل وتدل على الحلم أيضاً.

هناك نوعان من تفسير الأحلام الأول بواسطة الإلهام (إلهامي) والثاني بواسطة الاستنتاج (استنتاجي).

كان تفسير الأحلام الإلهامي هو الأقدم، وقد ارتبط بالآلهة حيث كان يعتقد أنّ الآلهة تختار الحلم صيغة لنقل ما تريد إلى إنسان ما تختاره هو فعلى سبيل المثال يرى زيوسدار حلماً يرسله له الإله إنكي ليتجنب دمار الطوفان، وفي النسخة البابلية يقول الإله إيا (أني أتراخاسيس حلماً وهكذا تعلم سرّ الآلهة).

أي إن تفسير الأحلام كان سرًّا إلهيًّا يعلمه إله الحكمة لمن يشاء وقد كان «مثل هذا الاعتقاد بالإيحاءات الإلهية في الحلم قديم جدًّا في بلاد الرافدين القديمة وأقدم مثل عنها جاء في «مسلة النسور» الشهيرة العائدة لملك لكش (أي أناتوم) الأول في نحو سنة 2450 ق.م في صراعة ضد أوما، وهو يروى كيف أنّ الإله ننجرسو ظهر له في نومه لكي يطمئنه بهذه العبارات عن النتيجة السعيدة للحرب: حتى كيش لن تساند أوما فالإله أوتو سينحاز إليك. (بوتيرو 1990: 146).

وتظهر الإلهة (كشتن أنا) في أسطورة موت دموزي ونزوله إلى العالم الأسفل كمفسرة أحلام من الطراز الرفيع فهي تؤول حلم دموزي حيث يذكر دموزي ما يقرب من(12) مفردة حلمية هي (الأسد، والقصبة، والأشجار، والماء، والمخضة، وكأس الشراب، والعصا، والنسر، والباز، والعنزات، والخراف، وحظيرة الغنم) فتقوم كشتن أنا وهي أخت دموزي بتفسير حلمه وتأويل هذه المفردات واحدة تلو الأخرى:

«إن حلمك غير حميد ذلك الذي أخبرتني به

إن تفسير الأسل الذي يرتفع حولك يعني

أن مجرمين يقومون ويهاجمونك

وأن القصبة التي تقوم وحدها تحني رأسها لك

تعني أمك التي ولدت وسوف تخفض رأسها من أجلك

أما القصب القائم مزدوجاً وتنزع منه واحدة يعني

أنا وأنت وواحد منا سوف ينزع من الحياة

أما الأشجار العالية فتعني الظلام الذي ستغرق فيه

أما موقدك فسينطفئ

ستسقط كأسك من المشجب وتضيع هناك

وتموت طيورك وعنزاتك وشياهك

وحظائرك سيعم بها الخراب

وستمزق مخضة لبنك ويندلق لبنها

ويحطم كوبك. (كريمر 1986: 46 - 47).

ولعل حلم كوديا وتفسيره من قبل الإلهة نانشه خير مثل على التفسير الإلهامي فحين يحلم كوديا بحلم يذهب إلى الإلهة نانشه ويسميها (مفسرة الآلهة وأم الرؤى والأحلام) ويروي لها حلمه كما يلي:

«في منامي – رجل

كالسماء في عظم جرمه، كالأرض في عظم جرمه،

هو رأسه رأس إله

جناحاه جناحا طائر أمدوجود

قائمتاه قائمتا عفريت طوفان

عن يمينه وشماله أسدان يربضان

أعطاني الأمر بتعمير بيته

لا أرى ماذا يريد

الشمس طلعت لي من الأفق

امرأة – من هي ليست تكون! من هي تكون!

وضعت على الرأس

أمسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد

أسندت لوح نجم على الركبة

تتشاور معه

ثم، بطل

لوى الذراع، أمسك كتلة من حجر اللازورد

للمنزل رسم مخططاً عليها

أمامي سلة مقدسة زرعت،

قالب قرميد مقدس أقيم مستوياً،

قرميد القدر وضع في قالب القرميد من أجلى،

في عوسجة «إلداج» المزروعة أمامي،

عصافير «تيبو» ما برحت تغرد طرباً.

ومهر حمار نبيل، «اليد اليمنى» لمليكي، كان يضرب

الأرض بقائمته نافد الصبر.

(كريمر 1986: 46 - 47)

هذا الحلم الجميل بوصفه هو الذي حلمه كوديا وطلب من إلهته نانشه التي يرى أنها أمه بتفسير هذا الحلم، وبعد أن سمعت نانشه الحلم قامت بتفسيره:

«يا راعى، أنا منامك سأفسر:

الرجل العظيم الجرم كالسماء، العظيم الجرم كالأرض

ورأسه رأس إله

وجناحاه جناحا طائر أمدوجود،

وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان

وعن يمينه وشماله أسدان يربضان

إن هذا لهو أخي ننجرسو

أن تعمر له معبد أنينو

الشمس التي طلعت لك من الأفق هي إلهك

ننجشزيدا

مثل الشمس طلع لك من الأفق

العذراء التي وضعت... على الرأس،

وأمسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد

وأسندت لوح نجم على الركبة

تتشاور معه

إن هذه لهي أختي ندابا

لكي تعم البيت طبقاً للنجوم المقدسة

دعتك

ثم، بطل –

لوى الذراع، أمسك كتلة من حجر اللازورد

إن هذا نندوب يرسم مخطط البيت عليها

السلة المقدسة التي زرعت أمامك

قالب القرميد المقدس الذي أقيم مستوياً،

قرميد القدر الذي وضع في قارب القرميد

إن هذا قرميد أنينو الذي يقاوم...

في عوسجة إلداج المزروعة أمامك،

عصافير تيبو ما برحت تغرد طرباً

في أثناء تعمير البيت، لن يأتي الرقاد والحلو إلى عينيك

مهر الحمار النبيل، اليد اليمنى لمليكك، الذي كان يضرب الأرض

بقائمته نافد الصبر

إن هذا أنت، كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الأرض في أنينو.

(كريمر 1986: 47 – 49).

إن هذا التأويل الحلمي يعتبر واحداً من أقدم ما ذكره التاريخ وهو يشير بوضوح إلى تأويل إلهي ذي طبيعة إلهامية... ولننظر إلى كوديا العظيم الذي كان يحلو له أن يتشبه بالحمار بسبب حبه للعمل وتواضعه أمام شعبه وهكذا كانت الإلهة نانشه تراه.

ويمكن أن نضع تفسير الإلهة (ننسون) أم كلكامش لحلم ولدها في نفس السياق وكذلك حلم أنكيدو الذي كان نذيراً بمرضه ثم موته.

أما النوع الثاني فهو تفسير الأحلام الاستنتاجي فهو الذي يعتمد على القدرة التأويلية لكاهن أو لكاهنة الشائيلو / الشائيلتو على فك الرموز والصور الحلمية ووضعها في سياق الواقع، ولا شك أنّ هناك ما يشبه الثوابت التي درج الكهنة على وضعها نصب أعينهم، وقد ذكرها بالتفصيل لاحقاً الكهنة البابليون والآشوريون الذين وضعوا ما يشبه القواميس الكبيرة لتفسير الأحلام والتي تبدأ فقراتها هكذا «إذا حلم أحد با... فإن..». وجاء أقدمها من حوالي 1700 ق. م ولا شك أنّ مصادره الأولى سومرية، ومثال ذلك:

«إذا حلم أحد خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه، وبأنه يطلق صرخات ويسمعونه: فسيكون لهذا الرجل نحس يلازمه طوال حياته.

«إذا حلم إنسان بأنه يأكل لحم كلب: استهلال، رغبة غير متحققة.

إذا تبول في جدول ماء: لن تزدهر غلته». (بوتيرو 1990: 125 – 155).

تصنف الأحلام التي ظهرت في النصوص العراقية القديمة ومنها السومرية تصنيفاً يختلف عن تصنيف تفسير الأحلام وعلى الشكل التالي:

1 – أحلام تظهر بها الآلهة إرادتها والتي قد تحتاج إلى تفسير أو لا تحتاج.

2 – أحلام تعكس وضع الحالم العقلي وسلامته الروحية والجسدية.

3 – أحلام تنبئية

وقد أخضع المفسرون هذه الأحلام لطرقهم الإلهامية والاستنتاجية ولكننا بالتأكيد سنجد جهداً عظيماً في تراثهم هذا، وعلى علم السيميولوجيا الذي يعتني بدرس وفحص هذه الإشارات والرموز أن يقوم بدور واضح في فحص هذا التراث واستنتاج العلاقات الخاصة بين المدلولات والدالات في شريحة نفسية وروحية مثل نصوص الأحلام ونصوص تفسير الأحلام السومرية منها بشكل خاص

والعراقية القديمة بشكل عام لأنها تمثل أقدم المدونات السيميولوجية ذات البعد الروحي والنفسي والديني في الوقت نفسه.

الفصل الثاني عشر
المظهر الفني



تماثيل من معبد آبو في تل أسمر حوالي 2500 ق. م من الصخر المغلف بالجبس

http://www. crystalinks. com/sumerart. html

أولاً: الفنون التشكيلية

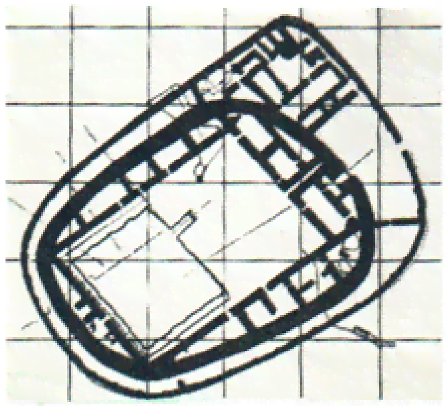
الفن الكلاسيكي الرافديني هو الفن السومري الذي انطلق منه الفن العراقي القديم بألوانه اللاحقة (الأكدي، البابلي، الآشوري، الآرامي). والفن السومري ينقسم إلى أربع فترات متعاقبة هي فن فجر السلالات الأول والثاني والثالث والفن السومري الحديث.

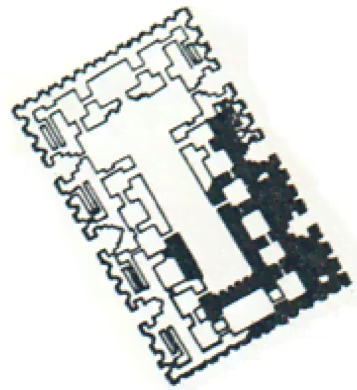
وكان الفن السومري في بداياته يميل إلى المبالغة والهندسية والزركشية والتكعيبية والرمزية لكنه بمرور الزمن أصبح واقعيًّا، فقد غلبت عليه نزعة الأساطير أولاً ثم هدأت هذه النـزعة تدريجيًّا. والفن السومري هو أساس الفنون ليس في العراق فحسب، بل في العالم القديم بأكمله فتصميم معابده أصبح أساس معابد الدنيا القديمة وامتد ليكون أساس تصميم الكنيس اليهودي والكنائس المسيحية لاحقاً والنحت السومري صار الأساس التقليدي لكل العالم القديم وامتد إلى المراحل الأولى من النحت الإغريقي والتي تسمى(المتأثرة بالشرق) مع لمسات آشورية ومصرية مصاحبة لها. والسومريون هم الذين اخترعوا الفسيفساء والجداريات الجصيّة ولوحات الأختام الأسطوانية المذهلة وانتعش الفخار عندهم وتنوع في استعمالاته، وعثر في المقبرة الملكية في أور على أوانٍ وخوذ ذهبية وخناجر وقيثارات برؤوس حيوانات نحاسية وبرونزية تدل على ما وصله الفن السومري في الصياغة وسبك المعادن وفن التخريم الذي نلحظه في غمد الخناجر، كما تقدم السومريون في فن التكفيت الذي نرى بدأه في فترة جمدت نصر حيث طعموا الأخشاب والحجر بمواد جميلة من الصدف والمحار والبلور بأشكال هندسية ومناظر مثل مقدمة القيثارة الذهبية وصندوق أور وظهرت في مقبرة أور القبة المعقودة». (الأحمد 1990: 46-47).

1 - فن العمارة

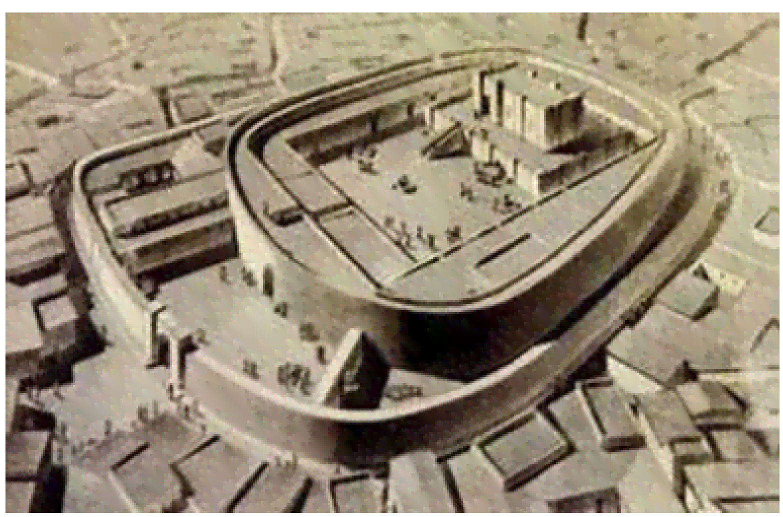
أ. المعابد السومرية: برع السومريون في بناء المعابد ونستطيع القول إنهم أرسوا بناء المعابد القديمة كفن معماريّ رفيع ليس في العراق القديم فحسب، بل في العالم القديم بأكمله. ويمكننا من حيث المبدأ تصنيف المعابد السومرية إلى نوعين رئيسين:

1. المعابد الهندسية الشكل ذات الطابق الواحد مثل معبد (إنانا في أوروك) الذي يظهر على شكل صليب يشبه الحرف اللاتيني T وكأن إنساناً بذراعين قصيرتين ممتدتين أفقيًّا. ويكاد هذا التصميم يكون هو أساس العمارة البازليكية عند الإغريق والرومان وهي أساس بناء الكنائس البازليكية في أوروبا ويمتـاز معبد أوروك بظهور الزخرفة الفسيفسائية المذهلة لأنصـاف الأعمدة المثبتة على الجدران وهذه هي المرة الأولى التي تستخـدم فيها الفسيفساء في التاريخ.



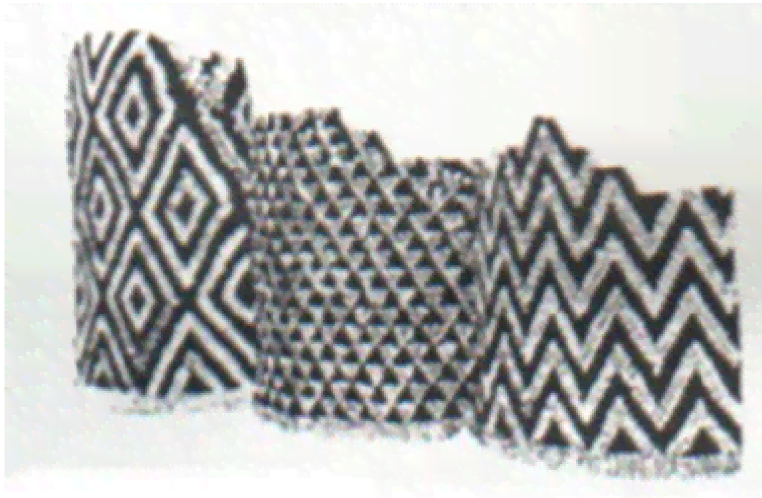


وكان المعبد مشيداً فوق مصطبة عالية. والشكل الهندسي الآخر هـو (المعبد البيضوي في خفاجه) وهو محاط بسورين بيضويين يقع بينهما (بيت الكهنة) وقد اشتمل بنـاء المعبد على دكاكين ومخازن وقـدس أقداس في النهاية الأولى. وكان هذا المعبد مشيـداً على مصطبة عالية وهناك سلم يصل الأرض ببوابتـه.



المعبد البيضوي في خفاجه

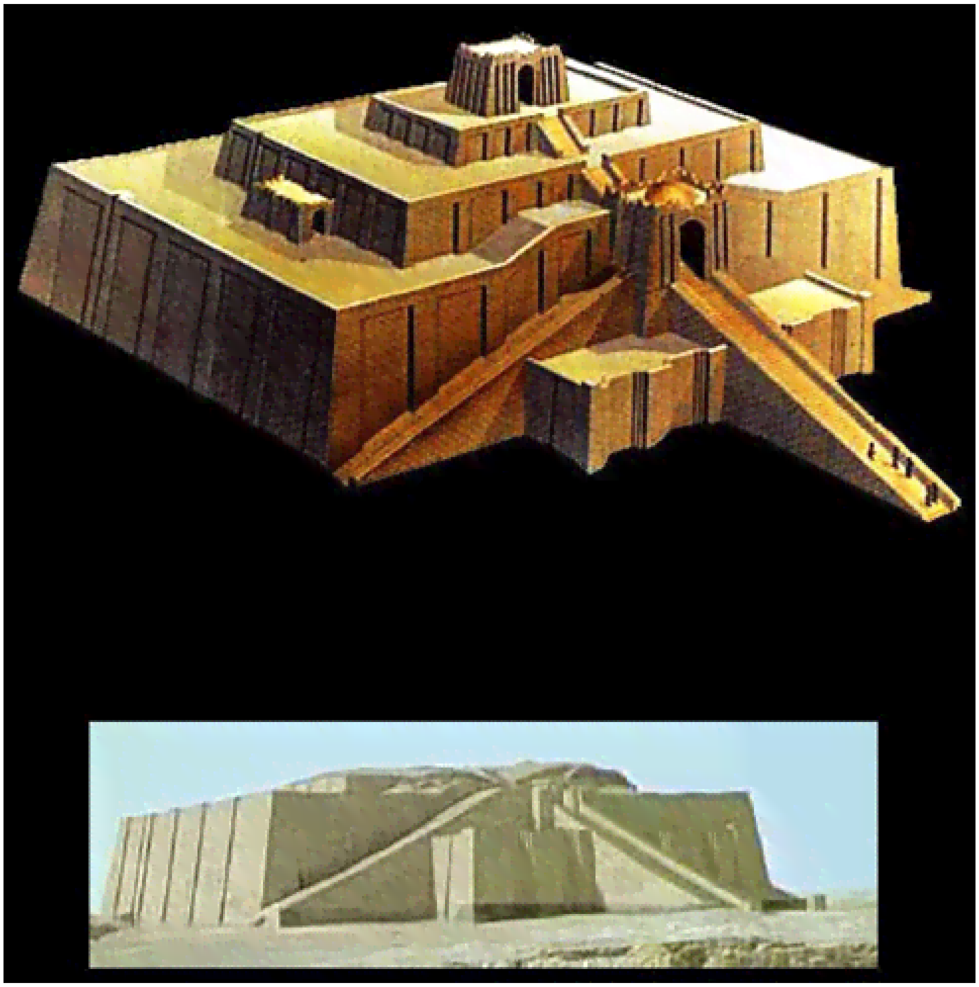
وهناك المعابد المربعة والدائرية والمستطيلة في الكثير من المدن السومرية وقد ظهرت أول أشكال الفسيفساء (الموزائيك) في معبد في أوروك (3200ق. م).



بقايا أعمدة الفسيفساء في معبد الوركاء 3200ق. م

2. الزقورات (المعابد المتعددة الطوابق): ظهرت مع اقتراب العصر السومري الحديث هذه المعابد ذات الطبقات المتعددة (من ثلاث إلى سبع طبقات) وهي عبارة عن مصطبة أرضية بنيت فوقها مصطبة أصغر وهكذا. وقد وصلت المصطبات العالية بدرجات.

وكانت أشهر زقورة سومرية هي (زقورة أور) التي بناها الملك أورنمّو وهي ذات ثلاثة طوابق ما زالت إلى يومنا هذا. وتعلو الطابق الثالث غرفة الإله (نانا) إله القمر وهو إله مدينة أور وقد وجهت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع.



(زقورة أور)

ورُتب بناء الجدران على شكل طلعات ودَخلات، أما السلم الذي يهبط بتعامد في اتجاهه مع الضلع الشمالي الشرقي وهو يؤدي إلى الطابق العلوي. أما السلمان الجانبيان فيرتبطان عند الطبقة الأولى بالسلم الرئيس الذي يؤدي بشكل منفصل إلى الطبقة الثانية ومن المحتمل أنّ غرفة إله القمر التي في أعلى الزقورة كانت مكاناً للأرصاد الفلكية السومرية.

بنيت الزقورة على شكل برجٍ هرمي متدرج، وفي الطبقة العليا شيد معبد (هو مسكن لرئيس آلهة المدينة على حدّ ما أعتقد به في ذلك الوقت) لكل طابق من طوابق الزقورة لون معين، الأسود طلي بالقار والأحمر بالطابوق الأحمر والأبيض طلي بالكلس الأبيض. وبوقت متأخر تبدلت نوعية هذه الألوان بمواد أخرى، قسمت الجدران إلى مستطيلات عمودية كما هو في المعابد السابقة.

وبالإضافة إلى المعبد الذي شيد في قمة الزقورة هناك معبد آخر شيد في الأسفل. (فارس 1980: 38).

ومن الجدير بالذكر أنّ الزقورات البابلية وصلت إلى سبعة طوابق على قمتها معبد صغير وكذلك الزقورات الآشورية. ويرى كثير من الباحثين أنّ الزقورات هي أصل الأهرامات المصرية وخصوصاً الهرم المبكر المدرج (هرم زوسر). ويحتمل أنّ عمارة الزقورات السومرية انتقلت على يد مهندسين معماريين إلى مصر ثم تطورت الزقورة من معبد إلى قبر للفرعون. ولكن هناك فروقاً واضحة بين الزقورات السومرية والأهرامات المصرية نوضحها في هذا الجدول المبسط:

ت	الفرق	الزقورات	الأهرامات
1	الموقع	تقع داخل المدينة كمعبد، وفي أعلاها غرفة الإله ويمكن الصعود إليه بدرج	تقع خارج المدينة في الصحراء أو في مدينة الموتى ولا يمكن الصعود إليه.
2	علاقتها بالآلهة	معابد الآلهة وتسمى باسمها (نانا، إنكي) ويدخلها الناس ويصعدون لها وتجرى فيها احتفالات الزواج المقدس.	مدافن للملوك الفراعنة باعتبارهم أبناء إله الشمس (رع)، وبعيدة عن الشعب ولا يدخلون إليها.
3	علاقتها بالمدينة	عنصر أساس من المدينة فهي تقع في مركز المدينة ومسوّرة بسور ويقع قربها قصر الملك وبيوت رجال الدين ومقر الحكم.	خارج المدينة وغير مسوّرة بسور ولا يقع قربها أيّ مبنى حكومي.
4	زمن بنائها	أقدم من الأهرامات، ظهرت أولاً على مصطبة واحدة ثم تطورت إلى ثلاثة ثم إلى سبعة وهي الأصل المعماريّ للأهرامات، واكتملت بصيغتها المعمارية خلال ألف سنة.	ظهرت بعد الزقورات وكان الهرم المدرج (زوسر) قد تطور عن الزقورة واكتملت بصيغتها المعمارية خلال قرن واحد من الزمن.
5	الفكرة الدينية وراء نشوئها	إنها رباط السماء والأرض، وهي المكان الأرضي الذي ترتاح فيه الآلهة فهي مكان للقاء الإنسان بآلهته.	إنها تشبه مثلثات الضوء الساقطة من الشمس على شكل أشعة فهي من الإله (رع) أو أنها تشبه الجبل الكوني الذي ظهر أول شيء من المياه الأولى في بداية الخليقة.

6	استعمالاتها الأخرى	استعملت كمراصد فلكية لرصد النجوم والكواكب السيّارة.	ربما استعمل بعضها لأغراض فلكية.

جدول يوضح الفرق بين الزقورات السومرية والأهرامات المصرية

2. النحت السومري

أولاً: النحت السومري المجسم

النحت السومري القديم نماذجه كثيرة وهي:

1. قناع سيدة أوروك وقناع سومري مميز: وهي منحوتة لوجه امرأة تشبه قناعاً مرمريًّا وتظهر ملامحه واضحة. أما القناع الثاني فيأتي من زمن لاحق هو 2700 ق. م.



قناع سيدة أوروك (ارتفاعه 20سم)

مرحلة جمدت نصر حوالي 3000ق. م (المتحف العراقي، بغداد)

وجه سومري منحوت بعناية فائقة يعود لحوالي 2700 ق. م

http://www. pinterest. com/pin/545217098610965747/

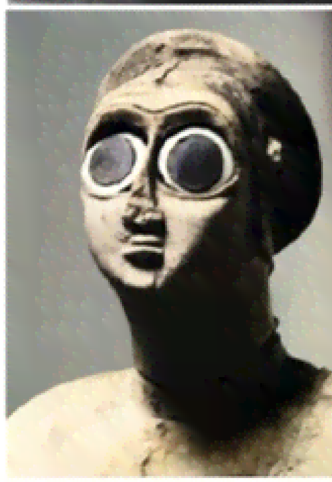
لبوة غوينول: The Guennol Lioness لبوة واقفة على قوائمها الخلفية مجسمة العضلات تجمع بين السمات الحيوانية والإنسانية، وقد اقتلعت من اللوحة الأمامية شبه المنحرفة للقيثارة السومرية الكبيرة والشهيرة من «قبر الملك» في أور (حوالي 2650-2550 قبل الميلاد)، اكتشفها عالم الآثار البريطاني السير ليونارد وولي في أوائل القرن العشرين في أور في العراق الحالي. وتمّت إعارة التمثال إلى متحف بروكلين للفنون حتى تمّ شراؤها في مزاد علني من قبل جامع آثار إنجليزي بثمن 57. 2 مليون دولار. للتمثال أهميته التاريخية فهو يعود إلى فجر أول حضارة بشرية أو ما قبلها بقليل. وهو خامس أغلى عشرة تماثيل في العالم. والتمثال منحوت من حجر كلسي يبلغ أكثر من 8 سم طول القامة.

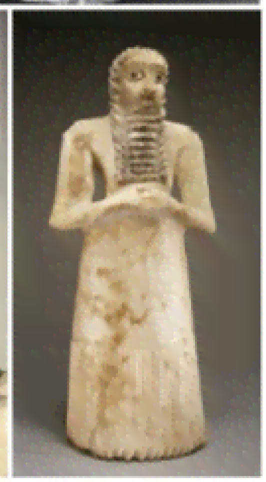
وهو بالقدر الذي يجسد ببراعة تفاصيل جسد اللبونة يرمز أيضاً للتحدي وللقدرة على الوصول إلى السلطة عبر العالم المادي وذلك عن طريق الجمع بين الصفات الجسدية والطموح الفائق في رفعة الرأس وشموخه.



2. تماثيل مدينة أشنونا: التي تمثل الإله (آبو) إله الخضار وزوجته يحيط به مجموعة من الكهان. وتتميز وجوه الآلهة بالعينين الواسعتين، وتتميز لحية الإله آبو بالتدرجات مع جدائله. ووقفتها مهيبة، أما الكهان فكلهم حليقو الرؤوس ويضعون أيديهم مكتوفة على صدورهم دلالة الخشوع والصلاة والوقار. وقد استوحى النحات السومري شكل الأسطوانة والمخروط في عمل تمثاله فالجزء العلوي مستمد من شكل المخروط قمته الرأس وقاعدته المرفقين. أما الجزء الأسفل فمستوحى من الأسطوانة أو من مخروط أرفع.







تماثيل مدينة أشنونا

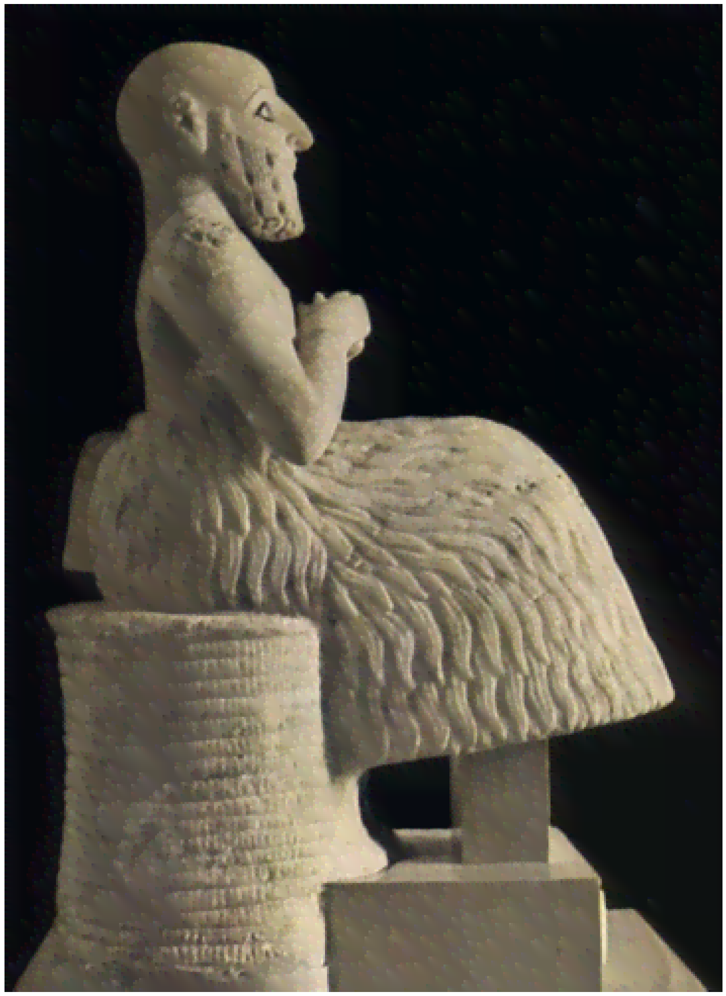
https://www. blendspace. com/lessons/aep16-mxTeDW9g/mesopotamia-s-religion-by-lana

رأس زوجة الإله آبو ضمن المجموعة السابقة (تلاحظ العيون الكبيرة الخاصة بالآلهة)

رجل دين من أشنونا 2500ق. م تمثال من المرمر والجبس والحجر الجيري الأسود

http://witcombe. sbc. edu/ARTHneareast. html#AncNearEast

3. منحوتات ماري: وتمثلها مجموعة من التماثيل لـ (إبخ إيل) الجالس والذي تظهر فيه تفاصيل الزي من خصل الصوف ويظهر هذا الرجل وهو يضمّ يديه تعبداً. والتمثال الشهير الآخر هو تمثال المغنية (أور نانشه) العاملة في معبد عشتار والذي يظهر فيه الاهتمام واضحاً بدراسة الجسد البشريّ وتقاطيع الوجه ورسم التعابير، وأغلب هذه التماثيل جالسة وتظهر فيها تفاصيل الأزياء.



تمثال من الحجر لرجل من مدينة (ماري) (المتحف العراقي)

com/thread/122 .http://enenuru. proboards

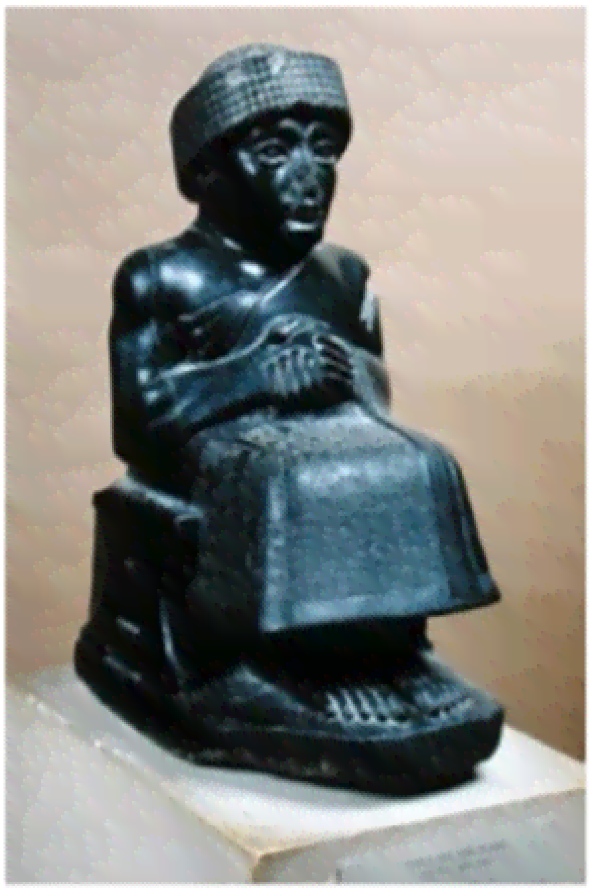


تمثال لرجل سومري مع زوجته في حدود 2600 ق. م مصنوع من الجبس وقد عثر عليه تحت أرضية معبد في نيبور، قياساته 3. 5 إنج من الأسفل وعيونهم مصنوعة من قشر اللازورد.

http://www. mitchellteachers. net/WorldHistory/MrMEarlyHumansProject/MrMSumerianCivilizationAchievements. html

النحت السومري الحديث: وتمثله مجموعة الأمير جوديا وزوجته وهو حاكم مدينة لجش السومرية، وكلها منحوتة من حجر الديورانت الأسود، وكل هذه التماثيل الواقفة والجالسة تمثل الحاكم في مظهر الخشوع أمام الآلهة، وهي تعكس بجلاء شخصية هذا الحاكم العظيم وتظهر فيها

الدقة والمهارة من خلال تجسيد العضلات وثنايا ثوب الملك وخطوط أمواج المياه التي تظهر من الكأس الفوّارة (الأمواج اليمنى تمثل دجلة والأمواج اليسرى تمثل الفرات) وتظهر عمامة الرأس المميزة لجوديا وتحاضن الكفين. ومما يميز هذه التماثيل الكتابة التي تظهر في بعضها على كتف أو طرف الثوب وتحمل أحياناً تفاصيل أعماله. وبنفس الوقار والصفات يظهر تمثال زوجة جوديا.





تمثال الأمير جوديا من حجر الديورانت 2150 - 2100 ق. م، مدينة لجش (جرسو، حاليًّا تلّو)

http://www. myartprints. co. uk/a/mesopotamian/gudea-prince-of-lagash-st. html

تمثال الملك أورنمو 2010 ق. م

http://www. talariaenterprises. com/product_lists/mesopotamian. html

ثانياً: النحت السومري البارز

يتميز النحت السومري البارز بأنه:

ينحت على سطرين أو ثلاثة وكأنه يحكي قصة متسلسلة.

ذات ثقب في وسط اللوحة لتعليقها. ومن نماذجه لوحة تشييد المعبد من خفاجه وهي جامدة واستدارة الأجسام ضعيفة.

	
لوحة تشييد المعبد	لوحة الكاهن والإله ننجرسو الذي يقبض على أسدين وفي اللوحة تشكيل لبقرة جاثية والسطر الأخير زخرفة لولبية الشكل.

1. لوحة الملك أورنانشه (ملك لجش) وهو يحمل في السطر الأول سلّة البناء ليبني معبداً، وفي السطر الثاني يحمل كأساً محتفلاً مع أولاده ببناء المعبد.



أورنانشه ملك لجش محاطاً بأبنائه وحاشيته

http://www. cumorah. com/index. php?target=view_other_articles&story_id=3&cat_id=3

1. لوحة ننسون أم كلكامش ويظهر في هذه اللوحة طراز جميل من النحت البارز حيث يظهر ثوب ننسون على شكل قطع مخططة أو محززة وكذلك شعر رأسها ورقبتها.



نحت بارز لننسون وهي أم كلكامش

أما النحت السومري البارز في العصر الحديث (سلالة أور الثالثة) فقد تطوّر إلى نوع من النحت الملكي الذي يخلد أعمالهم مثل لوحة أعمال أورنمّو حيث المواضيع مستقلة، ففي السطر الأول يسكب الملك الماء المقدس في حضرة الإله (ننار) إله القمر حيث يظهر الإله جالساً وهو يحمل رموز

البناء (العصا والحبل) ويمسك بيده اليسرى الفأس وله تاج مقرن وهو رمز الآلهة في منحوتات وادي الرافدين وتظهر تنورة الإله مكونةً من عدة طبقات. أما الملك فواقف وهو يلبس عمامة مدورة، والسطـور الأخرى تحتوي على الملك وهو يقف أمام إله القمر... اتخذت أعمال النحت السومري البارز طـابع الحريـة وشاعت في عهدهم الأعمال التي تحملُ نقوشاً تذكارية تعبر عن الانتصارات في الحروب.



لوحة أعمال أورنمّو

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

النحت السومري الغائر (النقوش)

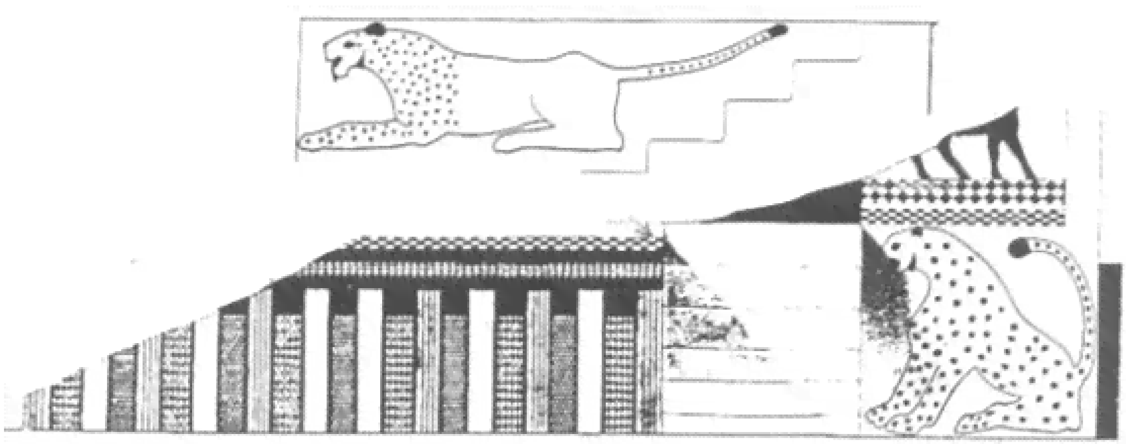
وهي النقوش التي كانت ترسم على الألواح الطينية والحجرية وقد عثر على مجموعة منها تصور أحداثاً أسطورية مثل النقش المثقوب الذي يصوّر بسطرين كاهناً يقدم إلى الإله إنليل إبريق الشراب وفي السطر الأسفل يبدو كاهنان يسوقان ماعزين هدية لمعبد ذلك الإله.



نقش الإله إنليل

3. الرسم (التصوير) السومري

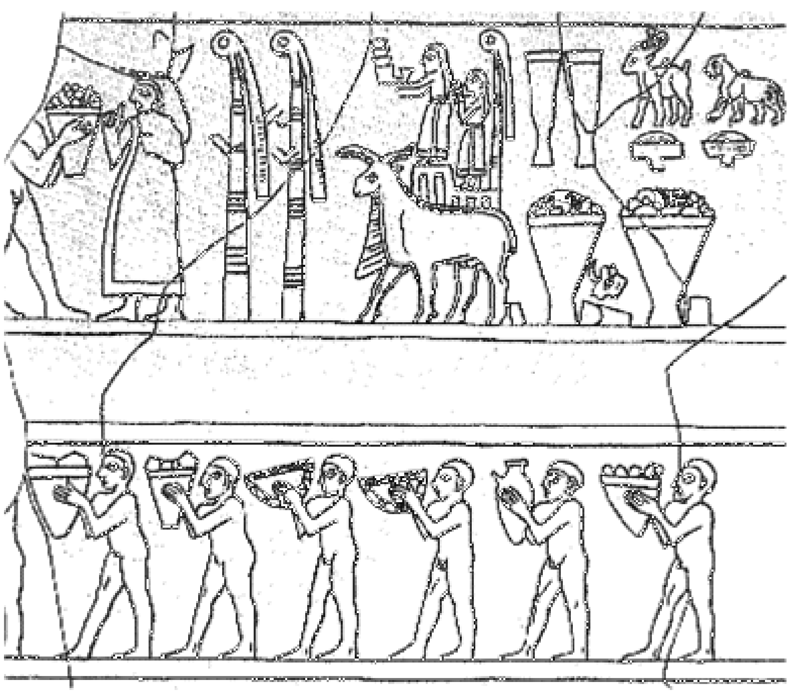
تظهر الرسوم مبكرة في معبد (تل العقير Tell Uqair) (80 كم جنوب بغداد) حوالي 3000ق. م وهي عبارة عن نمرين على جدار المعبد.



.Lloyd & Safar, JNES 2, 1943, pl. X

http://langkjer. dk/origin/1-02. Htm

النموذج المهم للرسم السومري هو ما نقش على الإناء النذريّ لمدينة أوروك في حدود 3100 ق. م



رسومات الإناء النذريّ / أوروك 3100 ق. م

http://aurnabarc. wordpress. com/2011/03/26/art-and-architecture-of-ancient-sumerian-civilization/

وأشهر مثال للتصوير السومري هو ما يعرف بـ (راية أو لوحة أور) أو (الراية السومرية) وتسمى أيضاً (لوحة الحرب والسلام). وهي قطعة بارعة ظهرت في العصر السومري منحوتة من العاج والأصداف المثبتة على سطح مغطى بمادة القار. الوجه الأول لهذه اللوحة يظهر الحرب حيث الجيش والعربات الحربية تتقدم في طريقها إلى محاربة الأعداء. وهي مكونة من ثلاثة سطور الأول السير نحو ميدان المعركة والثاني التهيؤ للقتال والثالث العربات وهي تدوس قتلى الأعداء.

أما الوجه الثاني فيظهر السلم حيث يحتفل المنتصرون. ويجلس الملك والقادة على المقاعد وتستعرض أمامهم الغنائم ويشربون الأنخاب. السطر الأول للاحتفال والثاني لاستعراض الغنائم والحيوانات الراجلة والثالث لاستعراض الغنائم المحمولة على الأكتاف.

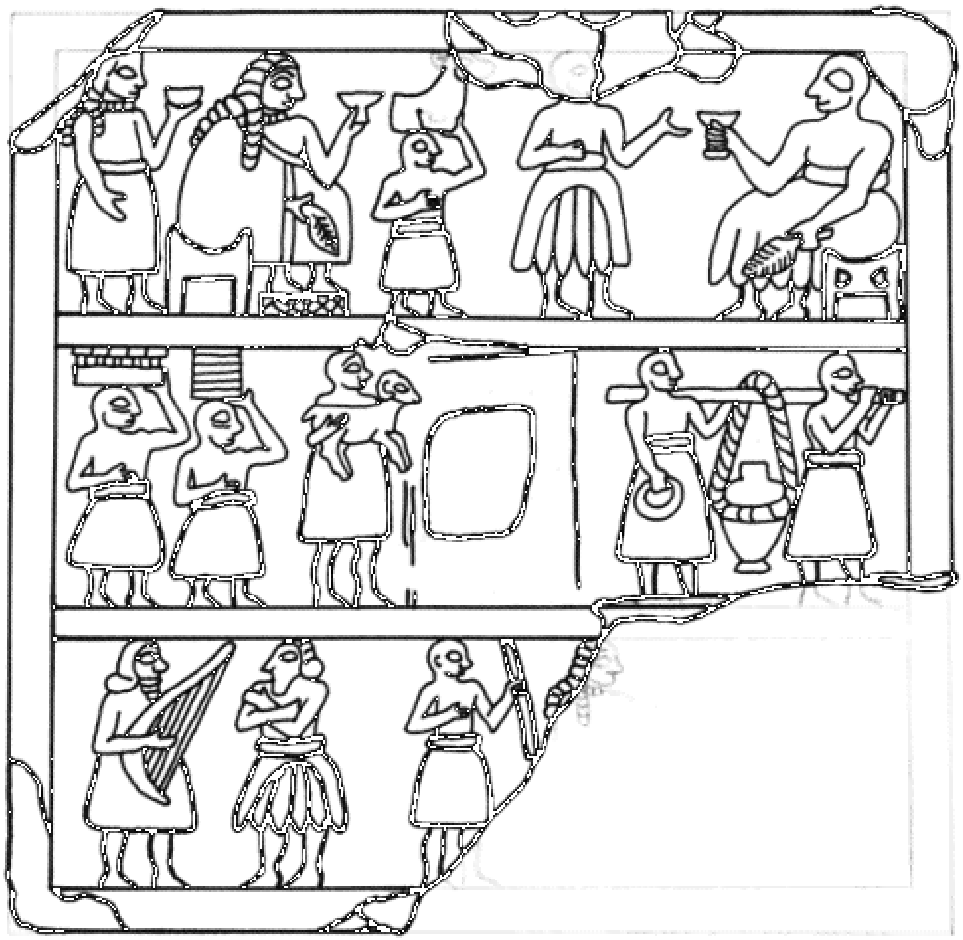
أما النموذج الآخر للتصوير السومري فهو لوحة القيثارة السومرية التي تظهر الصندوق الخشبي نحت لحية الثور على شكل ثلاثة سطور الأعلى يمثل بطلاً (ربما كان كلكامش) وهو يحتضن ثورين يقفان على رجليهما الخلفية ويظهران بوجه رجل ملتحٍ. والصورة الوسطى تظهر الأسد والكلب وهما يقدمان الأطعمة والأشربة والصورة السفلى تمثل الرجل العقرب وهذه الصورة ذات طابع أسطوري.

وهناك من أور أيضاً ثلاث لوحات صغيرة على العليا لجديين بينهما شجرة والوسطى لأسدين يفترسان جديًّا والسفلى لأسد يفترس جدياً. ويمثل هذا اللوح (لوح بلاطة داخلية من منزل سومري).



لوحة القيثارة السومرية العليا والوسطى، لوحة بلاطة داخلية
من منزل سومري النصف الأول من الألف الثالث ق. م تظهر بثلاثة رسومات حيوانية

مأدبة مرسومة على حائط تظهر بثلاثة سطور: في السطر الأعلى تظهر امرأة في الجهة اليمنى ترفع كأسها لرجل في الجهة اليمنى وهناك من يقدم لهما كؤوس الشراب، وفي السطر الأوسط يظهر مشهدان لحمل المتاع والحيوان، وفي السطر الأسفل يظهر مشهد موسيقي. وهذه اللوحة الجدارية تعود لحوالي 2400-2350 ق. م



لوحة المأدبة

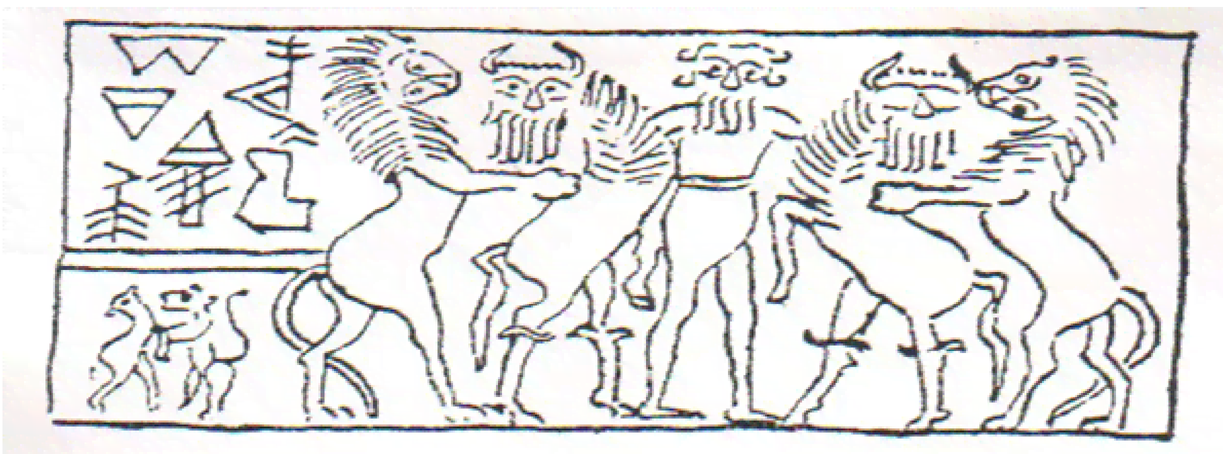
http://www. matrifocus. com/SAM06/spotlight. Htm

4. الفنون الصغرى (التطبيقية)

1 - الأختام الأسطوانية

هي أسطوانات صغيرة من الحجر الأبيض أو الأسود، وأحياناً متوسطة الحجم، تنقش بالنقش البارز بصورة معكوسة وتستعمل كأختام، إذا مررت على الطين فإنها تنتج صوراً محفورة مكررة مثل شريط سينمائي. أغلب موضوعاتها دينية ومليئة بالأشكال الآدمية والحيوانية الغريبة والأسطورية مثل الثيران الملتحية المنتصبة القامة التي يتوسطها رجال بوجوه أمامية رغم أنّ الوقفة أمامية ومناظر لصيد الحيوانات وكلكامش يتوسط الأسود والثيران وغيرها.





الأعلى: صيد الحيوانات

الأسفل: كلكامش يتوسط الأسود والثيران



الإله ننكشزيدا يقدم حاكم لجش إلى الإله إنكي / ختم أسطواني



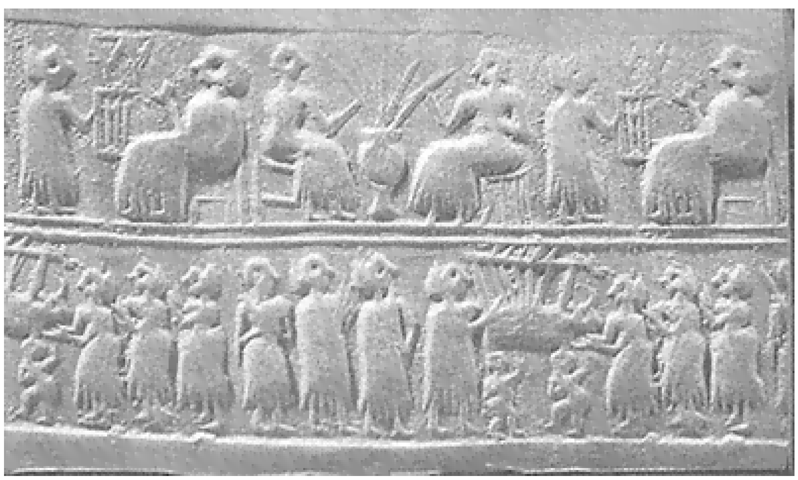
أختام مسطحة

http://lexicorient. com/e. o/sumer. Htm

الأختام الأسطوانية:

Cylindrical seals

هي أسطوانات حجرية صغيرة منحوتة بالشكل المعكوس، تمّ استخدامها لإحداث طباعة صحيحة على الطين الرطب. معظمها مصنوعة من الحجر الجيري أو الأحجار شبه الكريمة مثل العقيق أو اللازورد وبعضها مصنوع من النحاس أو البرونز أو الذهب أو العاج أو العظام. وكانت تستخدم لإثبات الملكية أو الهوية. وهي أعمال فنية دقيقة وحساسة، محفورة بطريقة مرهفة بشخصيات صغيرة من الآلهة والوحوش والرجال، وعادة ما تتعلق بأسطورة أو مأدبة أو عمل بطولي، وقد شكلت مرجعاً مهمًّا من مرجعيات الأساطير والتأريخ.



ختم شبعاد (بو آبي)

2800 ق. م

html .http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques



منظر صيد

2250 ق. م

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html



ملكة السماء (إنانا)ورموزها المبكرة

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html



حرب الآلهة

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html



دموزي (ختم في مقبرة أور)

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html



الراعي بين حيواناته

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. Html

2. البرونزيات: مثل لوحة إلهة الريح (أمدوجد) في النحت السومري البارز.

3. النحاسيات: من النحاسيات السومرية تمثال لمصارعين يحملان وعاءين على رؤوسهما تظهر فيه البراعة الفنية من خلال حركة المصارعين واندماج الوعاءين وتمثال من النحاس لرجل يصلي عثر عليه في خفاجه. وهناك تمثال من أوروك 3300 - 3100 ق. م.



تمثال نحاسي لإله أو كاهن من النحاس 3300-3100ق. م من أوروك الرابعة

تمثال نحاسي لجوديا من لجش وهو يضع حجر الأساس لمعبد 2100 ق. م

http://blog. beardtoken. com/post/25583365694/myhistoryblog-a-sumerian-copper-figure-of-a

4. الفضيّات: كانت الفضيات قليلة فمثلاً من سومر هناك لجام فرس (يوضع في الفم) مكون من معدن الألكتروم وهو (نحاس + فضة).

5. الذهبيات: حفلت مقبرة أور السومرية بعشرات الأنواع من الحلي الذهبية على شكل قلائد وأساور وتيجان، ولعلّ أشهرها تاج الملكة شبعاد (بو آبي) المكون من ثلاث زهرات جميلة وكذلك القيثارة السومرية المكونة من (11) وتراً وفيها رأس الثور من الذهبية ولحيته من حجر اللازورد.

وقد ظهرت رؤوس الثيران الذهبية منفردة أم مرتبطة بالقيثارات، وكانت كلها إما من الذهب أو من الذهب واللازورد فهنا نجد، مرة أخرى شكلاً متقناً لفن حيواني بكامل قوة تعبيره مثلما هو الحال بالنسبة إلى الكبش الذي يقف على طرفيه الخلفيتين ويريح طرفيه الأماميتين على شجرة مزهرة (عثر عليها في مقابر أور). فهنا استعمل الفنان أنواعاً مختلفة من المواد، فإلى جانب الذهب

وحجر اللازورد توجد الفضة والصدف والعقيق الأحمر فتعدد الألوان الحاصل يضيف إلى سحر النتاج لكنه لم ييسر تفسيره (12).



السطح الأمامي لجسم القيثارة الخشبي وفيه زخارف حيوانية من الصدف لوحدات هندسية

القيثارة السومرية: أحد عشر وتراً



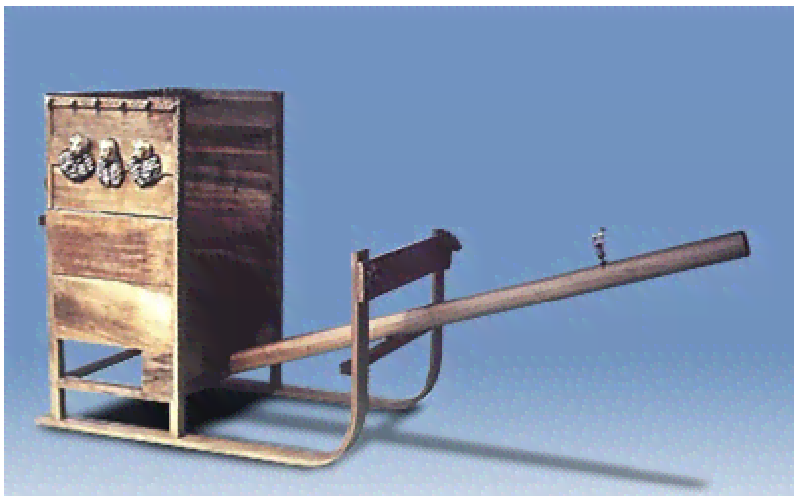
الإله زو من الذهب مع أجنحة من اللازورد

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread963192/pg1

6. العاجيات: أسد من العاج



7. الديكور: زلاجة من مقبرة أور



زلاجة أو زحافة مزينة عثر عليها في قبر ملكة أور (بو آبي)

http://sumerianshakespeare. com/106901. Html



جزء من ديكور عربة يظهر فيها نحت حمار من المعدن

صولجان ملكي مصنوع من قشرة ذهبية ولازورد من مقبرة أور

ونختم حديثنا عن الفن السومري بقطعة فريدة تمثل لوحة نذرية مخصصة للإله دموزي مقدمة من قبل الملك لوكال زاكيزي. وتجمع القطعة جمال وفرادة النقش والتصميم معاً.

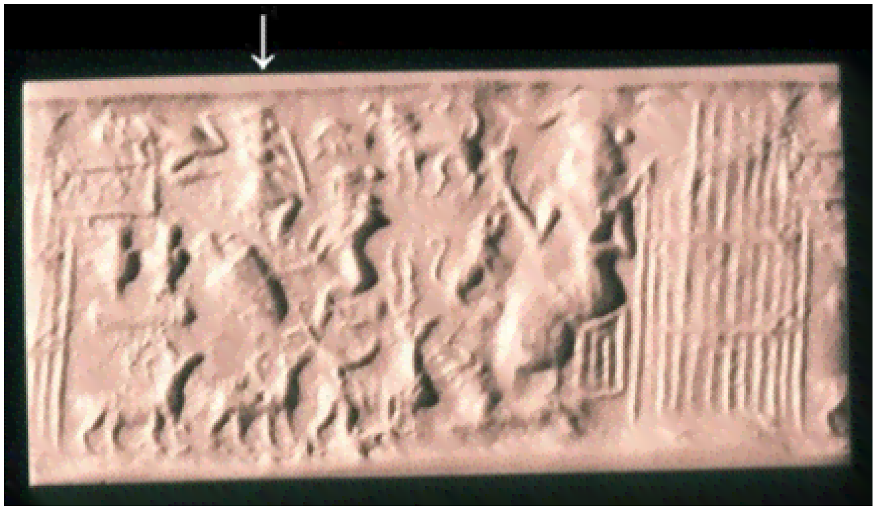


لوحة نذرية مخصصة للإله دموزي من قبل لوكال زاكيزي

http://sumerianshakespeare. com/748301/903801. Html

ثانياً: فنون الموسيقى والغناء

أول ظهور للموسيقى السومرية في المكتشفات الآثارية كان في مشاهد موسيقية مطبوعة على أختام أسطوانية يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات الذي أعقب عصر جمدت نصر الأول في حدود 2900 قبل الميلاد وكانت بأربعة أوتار مشدودة بشكل متوازٍ على ظهر الحيوان.



ختم أسطواني سومري 2400-2200 ق. م يظهر حفلة موسيقية

http://www. clintgoss. com/flutopedia. com/img/BM_102417_Highlighted_lg. jpg

كان اكتشاف مقبرة أور السومرية (2450 ق. م) حاسماً عندما ظهرت مجموعة من القيثارات فيها وبدا وكأن حاشية الملك كانت تعزف ألحاناً متقنةً تشير إلى الدخول في عالم الموت... كانت القيثارة السومرية مؤلفة من أحد عشر وتراً مكونة من الذراع الوترية والصندوق المزين برأس ثور ملتحٍ بلحية من الذهب واللازورد ولوح مطعم بالصدف والقيثارة تعود لحاشية الملك مسكلام دوك والملكة (بو آبي) (شبعاد سابقاً).

كان السومريون يعتقدون أنهم إذا عزفوا للآلهة وغنّوا لها فإنها سترضى عنهم وسيهدأ غضبها. وكان السومريون أول من دوّن الموسيقى بنوتات وأول من اهتمّ بالنظرية الموسيقية.



امرأة سومرية تعزف على الناي(2600-2500) ق. م متحف المتروبوليتان

http://www. clintgoss. com/flutopedia. com/mesopotamian_flutes. Htm

اعتمد السلّم الموسيقى السومري على أساس النظام الرياضي السومري الستيني الذي ربط بين النغمات ورموزها المسمارية بالآلهة وأعدادها الرمزية. والجدول الآتي يبين ذلك الربط في السلّم الموسيقي السباعي الذي يستوجب درجة إضافية ليكون ثمانيًّا من أجل إعادة التكرار، وهذه الدرجة الثامنة هي الأوكتاف وتمثلها الإلهة عشتار بأشعتها الثمانية حيث تسلسلها السادس في السلّم الموسيقي.

الإله	دلالته	عدده الرمزي	عدده الرمزي مقسوماً على 60	رقم الأوكتاف
آن	السماء	60	1 = 60/60	الأوكتاف (الديوان الأول)
إنليل	الهواء	50	6/5 = 60/50	الأوكتاف (الديوان الأول)
إنكي	الماء	40	3/2 = 60/40	الأوكتاف (الديوان الأول)
سين	القمر	30	½ = 60/30	الأوكتاف (الديوان الأول)
أوتو	الشمس	20	3/1 = 60/20	الأوكتاف (الديوان الثاني)
إنانا	الزهرة	15	¼ = 60/15	الأوكتاف (الديوان الثاني)
نركال	العالم الأسفل	12	5/1 = 60/12	3/2 من الأوكتاف
مردوخ	المشتري	10	6/1 = 60/10	3/2 م ن الأوكتاف

وهذا يعني أنّ الموسيقى السومرية ذات مدى صوتي واسع مكوّن من أوكتافين وثلثي الأوكتاف.

كان السلم الموسيقي السومري سباعيًّا وهو نظام فلكي ويناظر أيام الأسبوع ورغم أنّ الإله إنكي كان هو إله الموسيقى إلاّ أنّ إنانا إلهة الحب والجمال كانت هي المسيطرة على الموسيقى ولها قصيدة شهيرة تقول فيها على لسان كاهنتها (أنا الوتر الأول... أنا الوتر الأخير) وهذا يعكس اقترانها بالإله آن والإله الأخير معاً.

وترى (نارايا ناميثون) رئيسة المجلس الدولي للموسيقى أنّ النظام الموسيقي الأقدم الذي نعرفه هو النظام السومري. حيث كانت الموسيقى السومرية مرافقة للطقوس الدينية وقد ظهرت وثائق موسيقية كثيرة تدل على نظام موسيقي متقن. وكانت الموسيقى السومرية موسيقى طقوس دينية في الأساس. وكانت أيضاً وسيلة من وسائل الرعاة لجذب الإلهة إنانا ومناداة كوكب الحب (الزهرة) وهو كوكبها وإنزالها إلى الأرض وتخديرها واللعب معها. حتى إذا ما أفاقت فتكت ذئابها بقطعانهم.

كانت (نايات) الرعاة تغني قبيل الفجر والغروب لإنانا أو عشتار. ثم دخلت الموسيقى في بلاط القصور من خلال كهنة الكالا (الموسيقى الدينية) وكهنة النار (الموسيقى الدنيوية) وكان الملك السومري (شولجي) يتفاخر بأنه مغنٍ وعازف. أما بنات وحفيدات الملوك السومريين والأكديين فكنّ يعزفن الموسيقى بانتظام. وكان الموسيقي يحظى باحترام الجميع لأنه تميز في المدارس السومرية وقد أصبح أحد كبار الموسيقيين المغني السومري (نام خاني) حاكم منطقة لجش خلفاً للحاكم الخالد الذكر (جودّيا) الذي ذاع صيته في التاريخ.

يرى السومريون أنّ الآلهة تضع أقدار الناس في الموسيقى كما لو أنّ لكل إنسان مخلوق شفرةً موسيقية تتحكم بحياته وهي من صنع الآلهة، حيث تقول هذه الأبيات السومرية ما يشير لذلك:

«اضربي في البوق

واعزفي على الوتر

سأرى في ذلك الطريق

وأشاهد المشيئة المطلقة

إن إرادة الآلهة كتبت قدري

وشاهدتُ في عزفها حياتي القادمة»

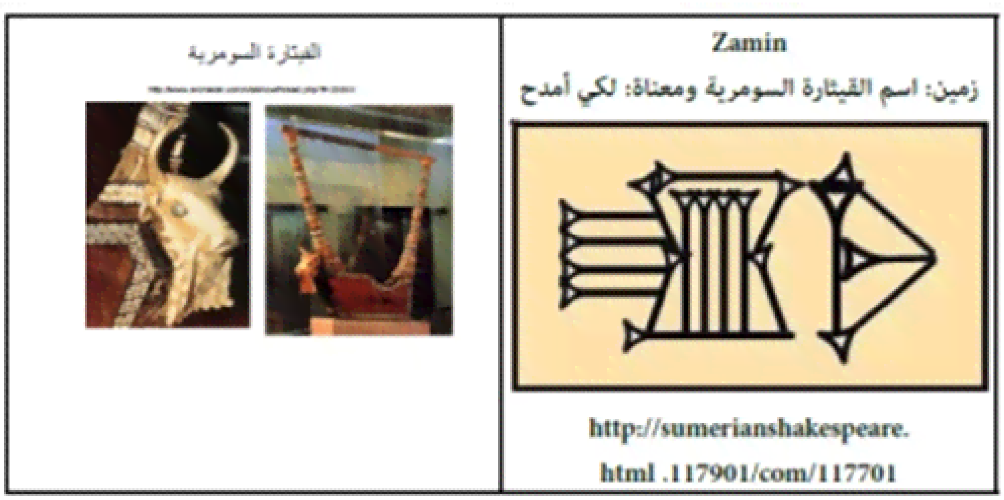
وإذا تأملنا هذه الأبيات وتأملنا الموت الجماعي في مقبرة أور مع القيثارات السومرية فستخطر في بالنا مباشرة بأن الحياة تبدأ بالموسيقى وتنتهي بها. بل إن حياة الإنسان هي مقطوعة موسيقية تعزفها الآلهة.

كان هذا الشعب السومري يفكر بهذه الطريقة الراقية قبل خمسة آلاف سنة، في حين إنها لم تخطر في بال أروع المبدعين في القرن الحادي والعشرين من جميع الأمم.

وهذا بالضبط ما نريد قوله. وهو أنّ الموسيقى السومرية، بلا أدنى شك، كانت متطورة تماماً... ولكن من أين نعثر على موسيقاها التي بددها الزمن في طياته.

نعم... هناك سلّم موسيقي سومري وهناك أعمال موسيقية كبيرة مدونة، ربما كانت جملٌ من هنا وهناك لا تفي بالغرض الآن لمعرفة ماذا كانت عليه هذه الموسيقى أو لإعادة عزفها.

ارتبطت الموسيقى السومرية بالإله إنكي الذي هو إله الإبداع والفنون مثلما هو إله الماء والحياة والأرض. وفي عصر فجر السلالات ظهرت في معبد ننجرسو فرق موسيقية وغنائية كبيرة ولعل أكمل وأنضج الآلات الموسيقية السومرية هي القيثارة (الكنّارة) حيث هناك أنواع كثرة لها تصنف حسب المعدن الذي يغلف خشبها مثل (القيثارة الذهبية المحفوظة في المتحف العراقي، القيثارة الفضية المحفوظة في المتحف البريطاني وغيرها) وتصنف أيضاً حسب أوتارها فهناك قيثارة الـ(الأحد عشر وتراً التي عثر عليها في مقبرة أور وأنواع أخرى) وهناك آلة (بالاك) وهي القيثارة (هارب) وهناك القيثارة المنحنية التي تشبه القوس والقيثارة المثلثة التي تشبه المثلث. وارتبطت القيثارة بالإله آبو الذي كان رمزه الثور والذي يظهر في أغلب القيثارات في مقدمة الصندوق الخشبي للقيثارة وله لحية من الذهب وعيناه مرصعتان باللؤلؤ أو اللازورد. وتسمى القيثارة باللغة السومرية (زَامِن) أي (لكي أمدح) والقصد منها لكي أمدح الآلهة.



ويمكن تصنيف الآلات الموسيقية السومرية حسب التصنيف السومري الذي يعتمد على المادة التي تُصنعُ منها الآلة وهو كما يلي:

1. الآلات الخشبية: وتوضع أمام أسمائها العلامة الدالة على الخشب (gis)
2. الآلات الجلدية: وتوضع أمام أسمائها العلامة الدالة على الجلد (Kus)

3. الآلات القصبية: وتوضع أمام أسمائها العلامة الدالة على القصب (Gi)

4. الآلات النحاسية: وتوضع أمام أسمائها العلامة الدالة على النحاس(urduu)

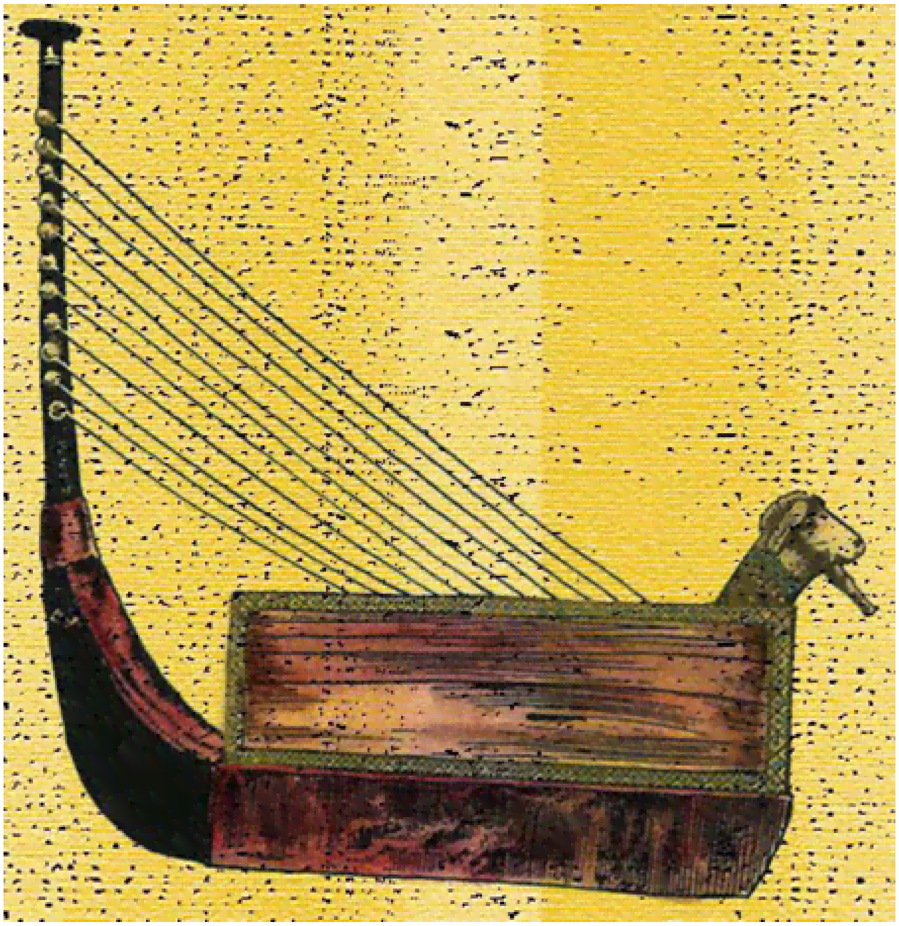
5. الآلات البرونزية: وتوضع أمام أسمائها العلامة الدالة على البرونز (Zabar)

لكننا يمكن أن نصنّف هذه الآلات الموسيقية السومرية تصنيفاً حديثاً يعتمد على نوع صوتها ومصدره وكما يلي:

1. الآلات الوترية (بالاك): وهي آلات الجّنك (كلمة فارسية) تقابلها في الإنجليزية القيثارة (هارب Harp)، ومصدرها الأول هو سومر حيث ظهرت في حدود 3000 ق. م، وهناك أنواع منها هي:

أ - البالاك المقدس الذي يتصل فيه عمود الأوتار بالصندوق الصوتي بطريقة منحنية

- البالات الزاويّ (المثلث) الذي يتصل فيه العمود بالصندوق بطريقة حادة (قائمة)



قيثارة أور الخشبية: أحد عشر وتراً

ب. الكنّارة التي تشبه القيثارة وتسمى بالإنجليزية (lyre) وقد ظهرت أول مرة في نهاية عصر جمدت نصر. وأشهر أمثلتها القيثارة الذهبية من أور ذات الرأس الثوريّ الذهبي. وأقرب اسم معاصر لها هو (السمسمية) ذات الصندوق المستطيل أما إذا كان الصندوق دائريّ فتسمى (الطنبورة).

ج. العود الذي ظهر في نهاية العصر السومري وشاع في العصور البابلية بصورة أكبر وأوضح، وبعضهم يراه آلة بابلية حصراً.

2. الآلات الهوائية:

أ. الصافورات: وأهم الآلات الهوائية في سومر هي (الصافورات) التي هي على شكل أنابيب عظمية أو فخارية أو قصبة.

ب. الناي: عثر عليه في مقبرة أور الملكية وهو فضيّ.

ج. الناي المزدوج: ويعود للعصر السومري الحديث وتصنع من القصب.

ح. البوق: وهي من النحاس وصلت لنا من فجر السلالات الثاني (2600 - 2500) ق. م مصورة على الألواح.

د. القرن: ربما ظهرت بعد سومر في عصر إيسن ولارسا.

3. الآلات الإيقاعية:

أ. الطبل: ظهر الطبل في آثار منقوشة من المقبرة الملكية وفي مسلة بدرة السومرية، وهناك دمى طينية من أوروك لحاملي الطبل.

ب. الدف: ظهر في فجر السلالات الأول.

4. الآلات القرعية:

مثل الصنوج (سلالة أور الثالثة) والخرفاشات والأجراس والمضارب الرنّانة والصلاصل وغيرها.

تسمى الموسيقى السومرية عموماً (زمّار) وتسمى الأغاني (سر) ويعني الشعر، ومعها ظهرت اصطلاحات (زمّارو) و(شير) وأخذها العبريون (زمراه وهي المزامير) و(شيرو) وهو الشعر والأغاني

وتنقسم الموسيقى السومرية إلى:

1. موسيقى المدائح: وهي مدائح الآلهة والملوك وتعتمد على مبدأ تكرار شطر أو بيت غنائي في الأداء الموسيقي الغنائي.

2. موسيقى المراثي: وهي موسيقى المناحات والعزاء والتي كان يؤدى بعضها بلغة النساء (إيميسال).

وعلى أساس هذا التقسيم، تقريباً، يصنّف الموسيقيون عموماً إلى:

1. موسيقيو الكالا: وهم كهنة التراتيل والنواح والمراثي.

2. موسيقيو النار: وهم كهنة المدائح والألحان السارة.

3. موسيقيو الملك: وهم الموسيقيون الذين يعملون في البلاط وينقسمون بدورهم إلى (موسيقيو الحزن كالا لوكال، موسيقيو الفرح نار لوكال).

كان هناك سلّم موسيقي سومري، لكننا نفتقر إلى النوتات المدونة، وكان هناك مقامات موسيقية سومرية لا نعرف عنها شيئاً الآن.

وكان الملوك يفتخرون بمعرفتهم وممارستهم للموسيقى مثل الملك السومري شولجي الذي كان رياضيًّا أيضاً.

ثالثاً: فن والأزياء والمكياج والحلي

1. الأزياء السومرية

في البداية ارتدى الرعاة الملابس المصنوعة من جلد الغنم أو جلد الماعز وربما كانت غنية بالفراء من الداخل، ثم كانت ألياف الملابس الأكثر أهمية في الحياة السومرية من الصوف المأخوذ من الأغنام وفي وقت لاحق أصبحت الملابس مصنوعة من قماش الصوف المنسوجة على الأنوال.

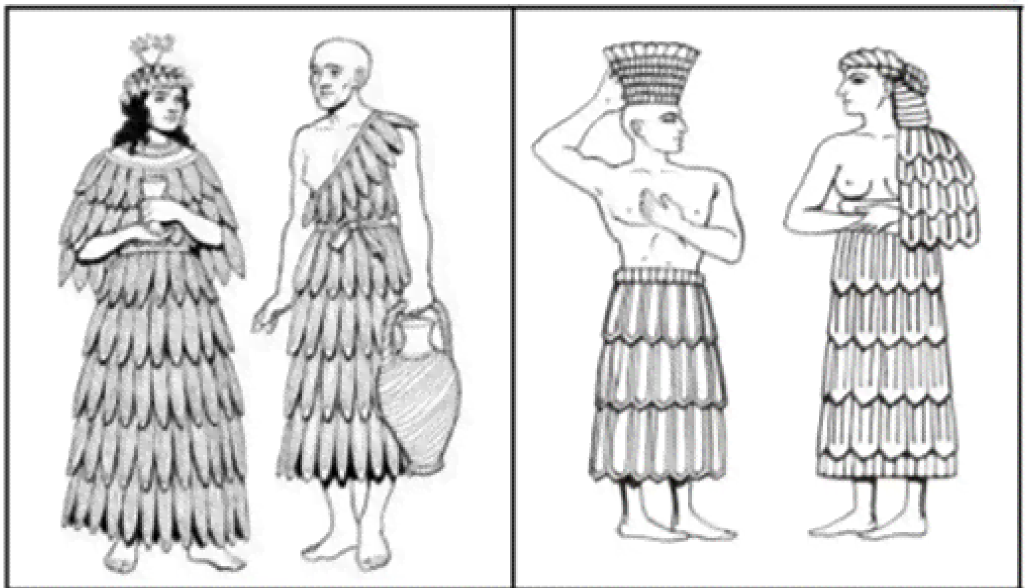
تطور لباس الرجل السومري من حزام وسطي إلى تنورة قصيرة تغطي الخصر والفخذين، ولبسته المرأة أيضاً والكهنة وظهر على أجساد الآلهة أحياناً. أما الكهنة العراة فقد كان عريهم مرتبطاً بأداء طقوس دينية معينة فكان ذلك يستدعي عري الرأس أيضاً وحلق شعره نهائيًّا.

ثم ظهرت الملابس المهدّبة (المهدّبات) التي كانت تقليداً لصوف الأغنام على شكل تنورات. ثم ظهرت المثنيات التي تغطي الكتف والذراع اليسرى بينما تكون الذراع اليمنى عارية، بحيث يغطي الثوب الجسم كاملاً. ثم ظهرت أنواع أخرى من الثياب المفتوحة عموديًّا من الأمام والعارية الكتف الأيمن.

الستر **Tunics** ثوب طويل يرتديه الجميع، يمتد من الكتفين إلى الكاحل يشبه ما نسميه حالياً بـ(الدشداشة). لبسه الناس الأثرياء على شكل قطعة قماش مستطيلة طويلة تغطي جميع أنحاء الجسم، مع هامش مقصص أو مشرشب. الشال Candys قماش مستطيل مهدب الحواف يلبس فوق الكتفين، أو يلف في الوسط.	

Kaunakes كوناكس الكونّاكس السومري (Konnakes) هو جلد خروف مع فرائه الذي يكون على شكل وريقات مدبّبة مختلفة الأحجام وهو لباس تقشفي يدل على البساطة والزهد. وهو تنورة تتكون من عدة طبقات من جلد الغنم، مع حزام وحوافٍ مدببة، وكان يرتديها الكهنة والملوك وكبار الموظفين فضلاً عن عامة النساء، كانت هي أشبه بالزيّ المميز للسومريين، وكانت بعض التنانير قصيرة وخصوصاً تنانير العمال والجنود. ويظهر هنا الكاتب دودو وهو يصنع الألواح الطينية في مكتبته ويلبس الكوناكس.	

تنقسم مظاهر الآلهة والحكّام والأفراد إلى قسمين أو تقليعتين «الأولى عبارة عن قطعة قماش كبيرة غير مخيّطة (شال) تلفّ الجسم بحيث تغطيه بأجمعه ما عدا الرقبة والكتف الأيسر واليد التي تترك حرية الحركة لها، أما التقليعة الثانية فتتميز بكونها عبارة عن ثوب أو رداء يكون عريضاً أو منتفخاً. ولقد ظلّ استخدام مثل هذا الرداء أو الإزار الفضفاض من قبل السومريين مع تنويع في زينته ومواده الأولية حتى نهايات العهد البابلي القديم مع استمرار اتخاذه إلى ما بعد هذه الفترة بالنسبة لملابس الآلهة». (نخبة من الباحثين العراقيين: الجادر ج14: 1985: 330).



طراز الكوناكس السومري لامرأة ورجل | الزي السومري التقليدي في حدود 2500 ق. م

وكانت الثياب مزدانة بورود من الذهب والفضة وبنجوم ودوائر ومربعات وأشكال هندسية كثيرة «وتذكر النصوص ملبوساً سومريًّا كان مخصصاً لسيدة مدينة الوركاء أنه كان مجمَّلا بـ 703 قطعةً من نجمات من الذهب و688 حلية أخرى». (نخبة من الباحثين العراقيين: ج4، الجادر 1985: 335).

وهناك الأحزمة القماشية والجلدية الرفيعة والثخينة والمزينة أحياناً. وكان الكتان مادة الثياب الرئيسة في أول حضارة السومريين وهي مادة ملابس الكهنة في الغالب، ثم تنوعت مادة الملابس فظهر الملابس الصوفية ولم يعرفوا الملابس الحريرية والقطنية. وكانت ألوان الملابس الغالبة هي الأزرق والأخضر والرمادي والبيضاء والسوداء وكان اللون الأحمر مستعملاً للإثارة ولطرد الأرواح الشريرة.

وكانت ألبسة الرأس السومرية تتمثل بالنسبة للرجال بالعمامة التي تظهر على رأس جوديا، أما المرأة المتزوجة فتلبس شالاً يغطي رأسها ولا تلبسه المرأة العادية أو البغي المقدسة. وكانت أغطية رأس الملوك والملكات فاخرة ومزدانة بالذهب. أما شعر الرأس عند النساء فيكون متموجاً ومزيناً بعمامة مدورة تشبه العصّابة السميكة.

«وفي عهد ابن جوديا وهو أورننكرصو الذي حكم في نفس المدينة لكش، يلاحظ اختلاف زينة الرأس للحكام لتصبح عبارة عن شكل الطاقية (العرقجين) السميك القماش المزخرف بوحدات تقرب من شكل الحلزون مكررة أيضاً على كل قطعة القماش الملفوفة على الرأس». (نخبة من الباحثين العراقيين: ج4: الجادر 1985: 357)

أما الأحذية السومرية فتكون مدببة من الأمام ومعقوفة إلى الأعلى قليلاً وهو ما كان يلبسه كلكامش في قدميه. وتختلف أزياء وأحذية الرجال والنساء حسب مهنهم ومراتبهم الاجتماعية.



الكوناكس السومري: التنورة، والستر: الثوب السومري الطويل للفتيات

http://di-ta. com/fashion-in-ancient-sumerian/ancient_sumerian_gals_by_scargut_the_gutless/

http://marybawa. com/ancient/sumer/sumer2. html

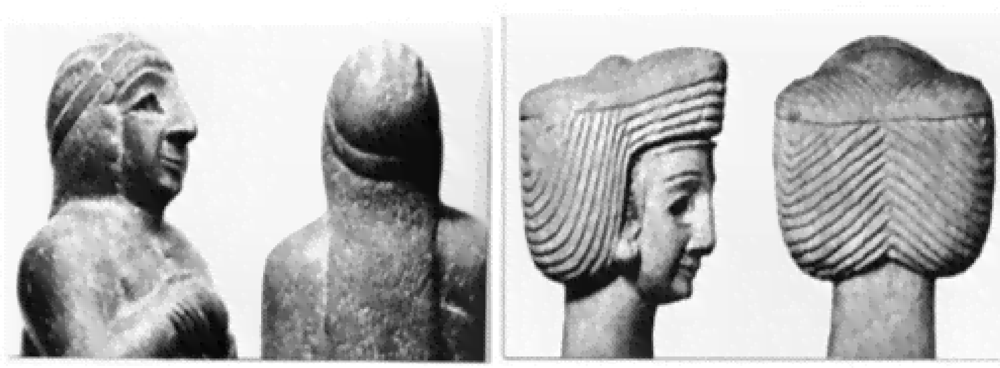


الزي النسائي والرجالي السومري التقليدي

2. المكياج والزينة



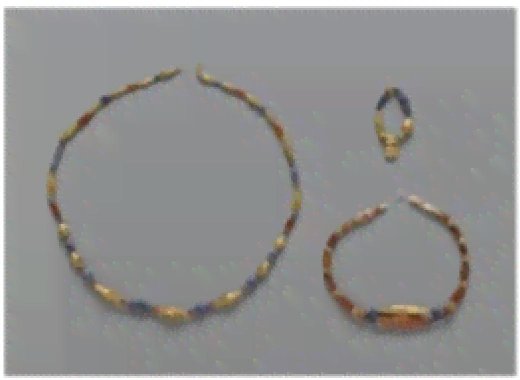
التسريحات وغطاء الرأس

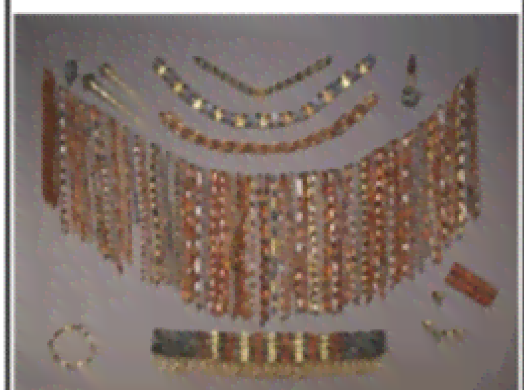
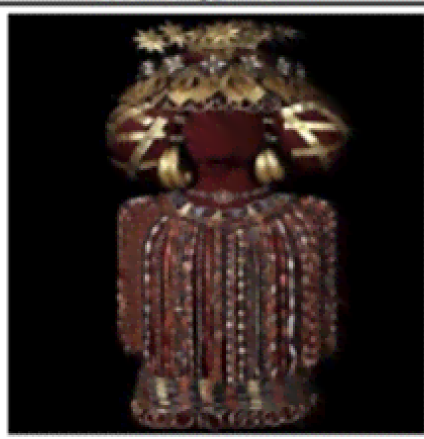


3. الحلي السومرية

تركت لنا مقبرة أور إرثاً جيداً من الحليّ السومرية التي تشمل القلائد والأساور والدبابيس والأقراط ومشبكات الشعر. وكانت الخيوط أحياناً من الذهب والفضة. أما الحلي فكانت على شكل الزهور والنجوم وغيرها وكانت من الزجاج أو العاج أو الأحجار الكريمة أو اللازورد.

كانت القلائد النسائية متناسقة ومتناظرة وتستخدم فيها أنواع الأحجار كالعقيق الأحمر والعقيق السليماني (الأسود مع قليل من الأبيض). وفيما يلي شواهد كثيرة من أنواع الحلي في هذه الأشكال والصور.

	
قلائد سومرية	خرز ذهبية مع اللازورد مع العقيق المحفور
	
تمثال حيواني وقلادة ذهب وعقيق، قلادة الأذن، وعصابات الذراع، عصابة ذهبية للجبين، وختم أسطواني	مجوهرات متنوعة من الذهب والعقيق الأحمر، واللازورد. من مدينة أور (2600 - 2500) ق. م
	
أساور من الذهب واللازورد والعقيق	جزء من عقال مشكّل أوراق الذهب

	
إكليل ملكي لطفل واثنين من المعلقات (الدلأيات)	مصوغة سومرية حلقية من حوالي 3000 ق. م
	
خرز مثلثة من الذهب واللازورد تشكل سواراً	تفاصيل من إكليل الطفل الملكي؛ مصنوعة من الفضة، والعقيق، واللازورد.
	
الرأس المطرز للملكة بو أبي، وحزام، والمجوهرات	زينة الملكة بو آبي من أور 2600 ق. م

الحليّ السومرية

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

http://www. pinterest. com/tibettenzin/iraqmesopotamiababylonassyrian-and-the-sumerian

رابعاً: فن الأثاث والزخارف

1. الأثاث والديكور

اعتمدت صناعة الأثاث على الخشب (كش عند السومريين وأبسو عند الأكديين، أما النجار (نجّار بالسومرية) فقد كانت مهنته صناعة الأثاث والأبواب والسدود، وكان يستعمل المثاقب والفؤوس والزوايا والمناشير.

وكان خشب الأرز هو المفضل عند السومريين، وتستورد أغلب الأخشاب من خارج سومر وبشكل خاص من بلاد الشام وعيلام.

الكرسي (كوسّو Kussu) كان على أنواع مختلفة منها المزودة بمسند خلفي ومنها التي بدون مساند وكان بعضها من الخشب والآخر من القصب وبعضها على شكل مقاعد على شكل حرف (X)، وكانت أعظم الكراسي هي عروش الحكام والملوك فقد كانت مصنوعة بإتقان ومزينة بالحلي وخشبها منحوت برموز حيوانية ونباتية ومجردة دالة.

وكانت الأثاث المنزلية الأخرى تشمل الأسرّة وصناديق الملابس والأغراض. ولم يبقَ الكثير من الأثاث السومرية فقد أتلف أغلبها الزمن، ولذلك نعتمد في معرفتها على الصور التي تظهر أحياناً لها في الأختام الأسطوانية وفي المنحوتات والألواح.

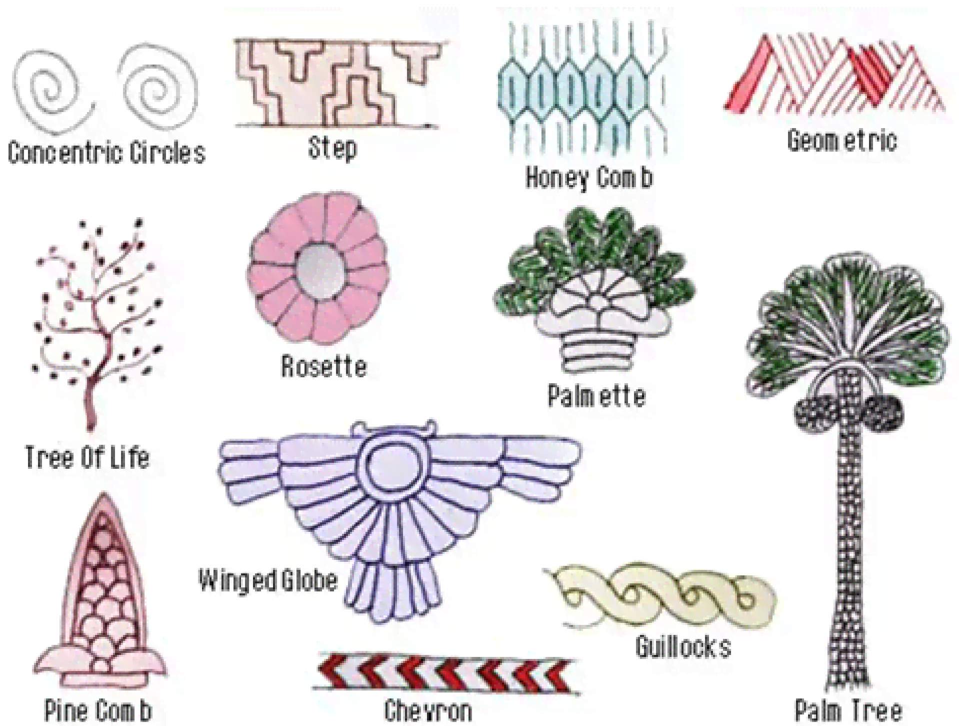


مجموعة من أدوات وديكور القصر السومري

http://www. historyandcivilization. com/Picture-Gallery---The-Royal-Graves-of-Ur. Html

2. الزخارف

استخدام السومريون العديد من الأنماط الزخرفية والزخارف على الأواني الخاصة بهم والملابس الجاهزة والمنازل. بعض هذه هي: شيفرون، شجرة الحياة، خطوة الحافز، Guillocks (ضفائر) قرص العسل باين تمشيط دوائر متحدة المركز ريدات مجنح العالم، الأشكال الهندسية أنماط الحيوان وكان السومريون أول من ارتدى هامش الشراشيب على ملابسهم.



زخارف سومرية

خامساً: المسرح الديني السومري

1. دراما أم مسرح... في وادي الرافدين؟

إذا أمكن تقسيم الآراء التي تدور حول وجود أو عدم وجود مسرح في وادي الرافدين سبق المسرح الإغريقي المعروف في القرن السادس قبل الميلاد، فنحنُ نميل إلى عدم وجود مسرح في وادي الرافدين، بل في كل الحضارات القديمة التي سبقت حضارة الإغريق الكلاسيكية... ونميل إلى تسمية كل تلك النشاطات الطقسية التي يدور الجدل حولها باعتبارها مسرحاً بـ (الدراما) وليس المسرح. بل ويمكننا أن نسميها بالـ(دراما ما قبل المسرح) أو (الممهدة للمسرح) ولكننا يمكن أن

نعدّها مسرحاً دينيًّا ليس للمتعة أو التعامل الجمالي، بل هو طقس ديني لا ينفصل عن الدين، بينما المسرح في نشأته ينفصل عن الدين ويتشكل مع فنون الدنيا.

ولعل هناك من يلومنا على هذا الإفراط في الحذر باعتبار أنّ المسرح الديني كان موجوداً في حاضنة الطقوس الدينية الشرقية القديمة فلماذا ننكر وجوده؟

وهنا لا بدّ لي من أن أقول بأن (المسرح) فن دنيوي وليس ديني... ولم يكن مسرحاً إلّا لأنه ولد من رحم الدين إلى فضاء الدنيا. ولو أنه بقي هناك لتفسخ في تلك الطقوس الدينية وذاب، ولكن عظمة المسرح أنه تخلص من الدين ليزين الدنيا ويتزين بها.

وفي رأيي إن هذا مبدأ عام، فكل الفنون والآداب والعلوم والفكر نمت مثل بذور في رحم الأديان ثم ولدت في فضاء الدنيا وتكونت ونمت وانشطرت وتوالدت وما زالت.

إن كل النشاطات الدرامية للإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السادس قبل الميلاد في أثينا كانت كلها مرحلة (ما قبل المسرح) أو الدراما البدائية (الأولية). أما المرحلة من القرن السادس قبل الميلاد في أثينا وحتى منتصف القرن العشرين فهي مرحلة (المسرح) أو الدراما المتطورة، ومنذ منتصف القرن العشرين وحتى يومنا هذا ظهر نمط جديد من المسرح، الدنيوي أيضاً، وسينضج خلال مرحلة طويلة قادمة ضمن مرحلة يمكن أن نسميها (ما بعد المسرح) أو (الدراما المتعددة).

عرف الإنسان القديم العمل ثم الدين ثم الفن، وكان أول الفنون هو النحت والرسم ثم عرف الدراما بشكلها البدائي من خلال الطقوس الدينية. وقد سادت في عصور ما قبل التاريخ أول أشكال الدراما الدينية من خلال محاكاة الطبيعة ثم محاكاة الموت. وعندما حلّت العصور التاريخية القديمة ظهرت الأسطورة المقترنة بالطقوس فتطورت الدراما البدائية ثم وجدت الدراما أوضح أشكالها في الأعياد الدينية، وخصوصاً في أعياد رأس السنة. ويمكننا رصد تطور الدراما البدائية في الأشكال الدرامية الآتية:

1. دراما المحاكاة
2. دراما الشامان

3. الدراما الطوطمية

4. دراما العبور (التدشين) Inatiation

5. دراما الأساطير

6. دراما رأس السنة (الدراما الاحتفالية) Ezen Drama

حفل وادي الرافدين بنوع خصب جدًّا من الدراما الدينية والتي بدأت بالتطور بعد العصر النيوليتي (الحجريّ الحديث) بدراما الزواج المقدّس التي كانت تظهر في احتفالات الإلهة الأم التي كانت تمثلها زعيمة الفلاحين مثل كاهنة عليا للخصب، حيث كانت تختار زوجها عن طريق المصارعة بين الرجال الأقوياء المخصبين ثم تتزوج في عرس درامي أقواهم، ويرافق ذلك غناء وموسيقى.

ومع ظهور عصر الكالكوليت (الحجريّ النحاسي) وبداية سيادة الرجل في المجتمع تحولت المصارعة الدينية إلى رياضة دنيوية وظهرت دراما استنزال المطر على يد النساء الراقصات بشعورهن الطويلة. وزعيم القوم هو الكاهن الأعلى الذي يوجه دراما الزواج المقدس.

ومن هذا الزواج المقدس ولد في العصور التاريخية ما يعرف بعيد رأس السنة الذي عرفه السومريون بـ(زكمك الأول والثاني) وعند البابليين بـ(أكيتو). وبذلك احتضن العيد النشاطات الدرامية كلّها تقريباً.

1. زكمك الأول والثاني

أدرك السومريون، من خلال مراقبتهم لطول الليل والنهار، أنهما يتساويان مرتين في السنة، المرة الأولى في 21 آذار والمرة الثانية في 21 أيلول ويقل طول الليل بعد 21 آذار ويزداد النهار، بينما يزداد طول الليل بعد 21 أيلول ويقل النهار، ولذلك جعلوا عيد رأس السنة السومرية في 21 آذار (ويسمى شهر آذار عند السومريين شيكوركو) وأسموه عيد (زكَمك الأول) الذي يعني عيد الولادة والتجدد وهو عيد الاعتدال الربيعي حيث يصادف الحصاد ونشاط ولادة الحيوانات وانتعاش الرغبات الجنسية عند الإنسان، ولذلك أصبح أسطوريًّا عيد بعث وولادة دموزي وزواجه من الإلهة إنانا في زواج مقدس يقوم به الملك والكاهنة العليا رمزيًّا بين المعبد والقصر.

أما في 21 أيلول (ويسمى شهر أيلول عند السومريين أكيتي) فيحصل الاعتدال الخريفي حيث يكون عيد (زكَمك الثاني) الذي يعني الموت والبذار (دفن البذور) وموت دموزي ونزول إنانا ودموزي إلى العالم الأسفل ومواكب العزاء الجماعي.

ويتضح من ذلك أنّ السنة السومرية منقسمة إلى قسمين الأول ربيعي يبدأ في 21 آذار بعيد زكَمك الأول ويستمر ستة أشهر والثاني خريفي يبدأ في 21 أيلول بعيد زكَمك الثاني ويستمر ستة أشهر. وتكتمل السنة بهذين القسمين. وقد أصبح هذا الناموس الذي وضعه السومريون عن وعي وترصد للطبيعة أساساً بُنيت عليه أعياد رأس السنة في العالم القديم كلّه بشكل خاص.

وبتقدم الزمن أصبح السومريون يطلقون على هذا العيد اسم (أكيتو) الذي كان عيداً منفصلاً عندهم يعتني بطقوس استنزال المطر وتنصيب الملك. وأخذت الترانيم الرافدينية أخذت شكلها المسرحي الطقسي في احتفالات رأس السنة السومرية والبابلية (زكمك وأكيتو).



عيد رأس السنة السومري

ظهرت في وادي الرافدين طقوس رأس السنة مبكراً كنوع من العود الأبدي والتكرار الميثولوجي لموت عالم قديم وولادة عالم جديد. ونرى أنّ احتفالات عيد رأس السنة الرافدينية كانت هي رحم المسرح الديني الحقيقي الذي لم يتطور إلى مسرح دنيوي إلّا بوجهه الشعبي العام.

كانت أسطورة التكرار الأبدي والنماذج البدئية قد أَسست منذ عصور ما قبل التاريخ ق.م بعد مجيء السومريين والمصريين والبابليين على أسس ميثولوجية معروفة، وكان ميكانزم العود الأبدي يجري على شكل طقوس وأعياد رأس السنة وغيرها من الأعياد الدورية.

يتضمن استعادة الزمن الميطيقي، بالإضافة إلى التطابق مع النماذج البدئية والالتحام مع رموز الأسطورة، طرداً للأخطاء والشياطين والظلام والخطايا والأمراض ولكل ما هو سلبي: ففي هذه الاستعادة تتمّ عملية تطهير السنة الجديدة من الشرور المحيط بها القادمة من تاريخية السنة الماضية. وهو ما يجعلنا نتصور أهمية الطقوس التي يُقضى بموجبها على غولة الماضي وثعبانه.

العود الأبدي، إذن، هو التكرار الدائم للظاهرة وما يرافقها من طقوس وشعائر تؤكد هذا التكرار وتوضِّحه وتحتفي به أملاً في الخلاص أو العودة إلى زمن أسطوريّ لا يمارس فيه الزمن التاريخي فاعلية قسرية في حياة الإنسان الهارب من هذا الزمن التاريخي الدنيوي والملتجئ إلى الزمن الأسطوريّ الديني.

العود الأبدي زمن ساكن مطلق قياساً إلى التاريخ الذي هو زمن دنيوي تحركه الصيرورة «إن إلغاء الزمن الدنيوي والزج بالإنسان في زمن ميطيقي لا يحدثان إلّا في أوقاتٍ ذات صفةٍ جوهرية، أي في الأوقات التي يكون فيها الإنسان هو نفسه حقًّا: في الولادة، الاحتفالات، القنص، الصيد، الحرب، العمل... إلخ». (إلياد 1987: 72).

يرتبط العود الأبدي بمفهوم نهاية دورة زمنية وبداية أخرى وهو ما يؤكده(مرسيا إلياد) الذي يراه قائماً على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية الكونية ويدخل في إطار نظامٍ أوسع هو نظام التطهيرات الدورية والنظافة، والصوم، والاعتراف بالذنب... إلخ عند نهاية الموسم، وتجديد الحياة دوريًّا. فهذه الضرورة من التجديد الدوريّ الذي يفترض خلقاً جديداً أي تكراراً كوسموغونيًّا (تكرار فعل ولادة كونية)، هذا المفهوم من الخلق الدوري، أي تجديد الزمان دوريًّا يطرح علينا مشكلة إبطال التاريخ. (إلياد1987: 100).

وقد اعتاد سكان وادي الرافدين القدماء النظر إلى يوم 21 آذار كأقدم عيد لأنه يمثل عيد رأس السنة السومري منذ أكثر من خمسة آلاف سنة وهو في حقيقته نوع من طقوس العود الأبدي التي

تمثل أعياد رأس السنة نموذجاً فريداً لها. ويشكل نمطاً فريداً من مسرح الترانيم ومسرح الاحتفالات وبعمق روحيّ وطقسيّ نادرٍ، ولا بدّ من دراسته بدقة لكشف جذور الترانيم الدرامية الأولى.

2. طقس الحزن الجماعي

يبدو أنّ الجذور العميقة لاحتفالات الخريف المشؤوم كانت مرتبطة بموت دموزي، وكان هذا يدلّ على أنّ النصف الثاني من السنة سيصبح مجدباً وستغيب عنه أسباب الخصب، وأهم أسباب الخصب هو دموزي الذي سيموت ويدفن ويذهب إلى العالم الأسفل. وبذلك يفترق عن زوجته وحبيبته إنانا وتنقطع العلاقة الجنسية بينهما فتنقطع العلاقات الجنسية في الكون محله وتبتعد المرأة عن زوجها والثور عن البقرة، ومما يدل على ذلك دفن البذور في الأرض أي البذار حيث توضع مادة الخصب الزراعي تحت التراب. ولذلك كان هذا الطقس يبدأ في أيلول وكان مخصصاً لندب دموزي والبكاء واللطم عليه، مثلما كان النصف الأول مخصصاً لبعثه وزواجه من إنانا وحياتهم الجنسية الباذخة...

كانت احتفالات العزاء تجري في الصيف وتستمر شهراً كاملاً (في شهر تموز الذي ربما يقع بعد شهرين من توقيته الحالي) وكانت الاحتفالات كما يلي:

في 2 تموز يبدأ البكاء والنواح على موت دموزي ويستمر أسبوعين

في 16 و17 تموز تظهر مواكب العزاء وهي تحمل المشاعل

في 28، 29، 30 تموز دفن طقسي لدمى تمثل الإله دموزي

وهناك مجموعة من الليتورجيات التي تعطينا صورة واضحة عن موت ودفن دموزي وصلت بصيغتها الكاملة.

تصف الافتتاحية الخراب والدمار اللذين حلّا بالمعبد والمدينة والناس بسبب انتصار قوى العالم الأسفل على تموز. ثم يصف المتن الدعوة إلى إقامة الحداد العام، وتقوم عشتار التي تأخذ دور زوجة وأخت وأم تموز بمناشدة الكهّان والناس لأن يشتركوا معها في النواح على تموز. ويذكر النص أنّ هذا النواح هو «صدى- كلمة أو صرخة كان أطلقها تموز نفسه من العالم الأسفل، ولهذه الكلمة قوة سحرية وهي تجلب الدمار ولا يبطل مفعولها إلّا أن يفعل ذلك تموز نفسه، أما النواح نفسه الذي

يقوم على التجاوب أو التناوب فيصف الخراب الذي حلّ بالمعبد والدمار الذي نزل بالبلاد والسكان والأرزاق، بسبب العاصفة الهوجاء الناشئة من غارات قوى العالم الأسفل، «نفخه الرهيب» وهي عبارة كثيراً ما تتكرر في المناحات، ويرد في النواح وصف تفصيلي دقيق لحزن الإله الأسير المصفّد بالأغلال في العالم الأسفل (الأرض القفراء) وقد استغرق في نومة سحرية متمدداً على أعشاب يابسة أحرقتها شدة القيظ، ثم تمضي المناحة في وصف أحزان عشتار فهي كالزوجة التي غاب عنها زوجها، والأم التي ثكلت ابنها والبقرة التي فقدت عجلها والمعزى جديها والنعجة حملها». (هوك 1987: 60)

3. مرثية أور

ظهرت مرثية أور متميزة بين هذه المراثي بسبب طبيعتها الدرامية المتقدمة، وعدّها بعض الباحثين أول نصٍّ مسرحيّ في التاريخ بسبب احتواء النص على بعض التعليمات المسرحية حول حركة وأوضاع وطبيعة الممثلين الذين أنيط بهم شغل الأدوار الخاصة بالشخصيات، فضلاً عن وجود كورس ومجموعات تمثيلية، وهو ما جعلهم يربطونها بالنص الإغريقي الأول للمسرح. وتشكل (مرثية أور) نموذجاً لهذا المسرح وهذه مقاطع منها:

النشيد الأول:

(المؤدّون: رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة)

رئيس المجموعة:

من حظيرته ولّى وغاب، في حرمه

تنفخ الريح.

الثور، من حظيرته ولّى وغاب؛

في حرمه تنفخ الريح.

سيد كل البلاد، ولّى وغاب؛

في حرمه تعصف الريح

الإله (مو – أول- ليل) من معبده في نفـّر

ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح

سيدة كيش، ولّت وغابت؛ في حرمها

تنفخ الريح.

الإلهة جاشان – ماج، من معبدها في كيش،

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

مولاة إيسن ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة سيدة أرض إيسن، من معبدها

إي –كال- ماج ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح.

سيدة أرض أوروك، ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة جاشان – آنا من معبدها في أوروك

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح. (الشواف 1997: 386 - 387)

4. مرثية نفـّر

تتألف مرثية خراب نفـّر من (12) مقطعاً شعريًّا وهي قدر بكائها على نفـّر فإنها تحيي تحريرها من قبل الملك إشمي داجان:

«لماذا نسي الإله جدرانه الآجرية، وترك حمامه الهادل يهجر أبراجه؟ لماذا أدار ظهره للبيوت ذات الموسيقى العذبة؟ لماذا هجر ورمى بأنظمة وعناصر الـ(مي) وكأنها لم تكن مقدسة؟ وطقوسه الطاهرة وكأنها لم تكن لتهدي؟ كل البلاد». (الشواف 1997: 372).

وتكاد مرثية سومر تشكل أهم هذه المراثي لسعتها وشمولها ولأنها ألفت في ضوء بنية مسرحية واضحة حيث يظهر الكورس السومري الذي يناظر في وظيفته الكورس الإغريقي وظهور الملاحظات الإخراجية مع النص واستعمال لهجات متعددة للغناء والحوار.

«أيتها المدينة، كان لك اسم، ولكنه تهدم مع خرابكِ

أيتها المدينة، كانت جدرانك قائمة.

لكنك أبدتِ مع بلادكِ

يا مدينتي، مثل نعجة أمينة،

تمّ تمزيقكِ مع حملانكِ

يا أور، مثل عنزة أمينة

تمّت إبادتكِ مع جدياتكِ

أيتها المدينة، أصيبت طقوسك

قوة العدوّ وزهوه

وإلى قوانين العدوّ، حوّلت قوانينك». (الشواف 1997: 393 - 425)

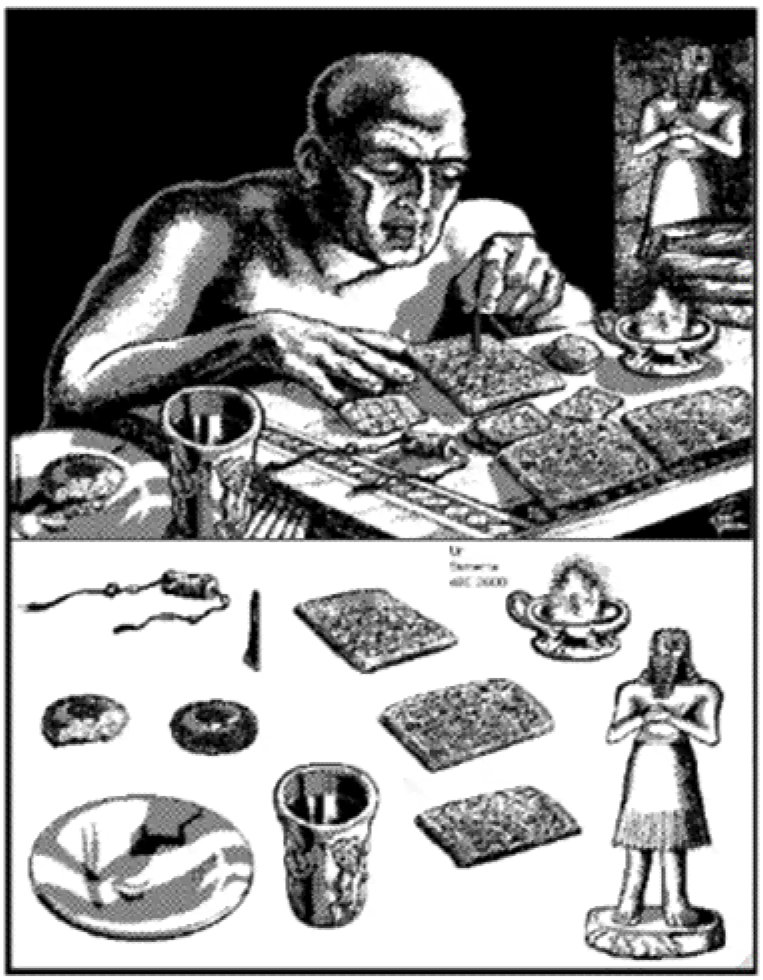
هذه المراثي، وخصوصاً مرثية أور، تعطي مؤشرات كثيرة، من خلال نصوص التعليمات التي فيها للكورس والأفراد، بأنها كانت تمثل كمسرحيات، وحتى لو اتفقنا مع هذه النتيجة فلا بدّ من أن نقول إن المكان الذي كانت تمثل فيه المرثية هو المعبد وليس المسرح المنفصل عن المعبد والذي يجلس فيه النظّارة وهم يمارسون الطقوس الدينية وليس وهم يشاهدون ويندمجون مع عمل يعمل على

تطهيرهم بفعل جمالي واجتماعي، وهو ما سيحصل في القرن السادس قبل الميلاد في أثينا مع المسرحيات الأولى لأسخيلوس وليس مع النصوص التي يكتبها الكهنة لأتباع دينهم في طقس محدد.

ولا شك أننا نرى صلة عميقة الجذور بين سومر وأثينا، لكن الطريق الذي ستقطعه هذه الصلة سيكون ملتوياً وطويلاً وسيستغرق زمناً يعادل عمر حضارة سومر ذاتها وبذلك سيكون لزاماً علينا انتظار 1500 سنة أخرى.

الفصل الثالث عشر
المظهر الأخلاقي والمعايير والتقييم الحضاري

Moral (Ethics), Standardizations& Evaluation aspect



http://tricivenola.

wordpress. com/2013/02/19/rocking-the-cradle-of-civilization-drawing-on-the-hasankeyf-train/

المبحث الأول: الأخلاق وعلم الأخلاق

هذا المكوّن هو بمثابة بيضة القبّان التي توازن بين المكوّنات المادية السبعة والمكونات الثقافية السبعة، وهو الذي يضبط توازن الحضارة الداخلي والخارجي، وهناك فرع من الأخلاق يبحث في أخلاقيات الحضارة (علم أخلاق الحضارة) يعرّفنا بأخلاق كلّ حضارة.

تعرف بعض المعاجم الأخلاق على أنها «معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزّه عنها، وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة». (سعيد 2004: 23).

المعجم الفلسفي يعرّف الأخلاق بأنها «علم السلوك وموضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقيتها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك». (الحفني 2000: 31).

ولا شك أننا سنتناول الأخلاق النسبية وليس الأخلاق المطلقة، فيما يخص السومريين لأننا سندرس طبيعتها في زمانٍ ومكانٍ محددين، وهذا هو ما يحدد الأخلاق النسبية عموماً.

أولاً: الأخلاق

هذا المكوّن هو بمثابة نقطة تعادل الميزان التي توازن بين المكوّنات المادية السبعة والمكونات الثقافية السبعة للحضارة، وهو الذي يضبط توازن الحضارة الداخلي والخارجي، وهناك فرع من الأخلاق يبحث في أخلاقيات الحضارة (علم أخلاق الحضارة) يعرّفنا بأخلاق كلّ حضارة.

مقدمات تعريفية:

الأخلاق Ethics: هي طريقة تصرف الناس ومعرفة ما ينبغي كسلوك صحيح يتسبب في الخير والحياة الجيدة والسعيدة. والكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (أثوس Ethose) – أي العرف أو العادة – والإثيكس تشير عادة إلى الأخلاق النظرية وأحكام القيم وهو (فلسفة الأخلاق)، وله علم افتراضي (غير موجود) إيثاكولوجي Ethicology وهو علم الأخلاق النظرية.

وإن من يتأمل الصلة بين الأخلاق والدين يجد أنه لا يمكن حصرها في وجه واحد، بل لها وجوه عدة (تاريخية، أو نفسية أو اجتماعية أو معرفية) أي وجود مبادئ، ومعايير أولى، تنزل منزلة الأصول التي تتفرع أو تتأسس عليها، سواهما وقد تكون علاقة كيانية (وجودية) علة وجودها، مشرع إلهي أو إنساني يضمن نفعاً للأفراد والجماعات. (عبد الرحمن 2000: 30).

الأخلاق العملية Morals: وهي أخلاق الأوامر والنواهي أي الحلال والحرام (التابو). وتعبر عن الأخلاق العملية في المجتمع.

لا بدّ، أولاً، من تعريف الأخلاق، ولذلك سنُدرج مجموعة من التعريفات المهمة وهي:

المرجع	تعريف الأخلاق	ت
Sedley 1987: 366	وهي:Moralis من Moralityفي اللاتينية: (الطريقة والشخصية والسلوك الصحيح) هو التمييز بين النوايا والقرارات والإجراءات بين تلك التي تتميز بأنها مناسبة وتلك غير المناسبة	1
سعيد 2004: 23	معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزّه عنها، وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة.	2
دراز 1953: 7	ليفي بريل: إن ميولنا الحسنة أو القبيحة التي نجيء بها إلى هذا العالم عند ولادتنا، هي طبيعتنا. فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة، هي ليست من عملنا، أو على الأقل ليست من عملنا الاختياريّ	3
Stanford Encyclopedia of	مجموعة من المعايير أو المبادئ المستمدة من مدونة قواعد سلوك من فلسفة أو دين أو ثقافة معينة، أو يمكن أن تستمد من	4

2014 Philosophy	معيار يعتقد الشخص أنه يجب أن يكون عالميًّا.	
دراز 1953: 7	هيوم: إن شعورنا بالحرية ليس إلّا وهماً خدّاعا.	5
ألبرت شفايتزر: اضمحلال واستعادة الحضارة. الحضارة والأخلاق(1923)	شفايتزر: الحضارة ترتبط أساساً بالاستعدادات الذهنية لدى الأفراد والأمم... أما العناصر الفنية والسياسية والاجتماعية فإنها، في هذا السياق، لا تعود تتخذ أهمية أولى، بل تصبح ذات أهمية ثانوية، شأنها في هذا شأن كل ضروب التقدم التقني والعلمي، التي ستكون دون فائدة إن لم يكن البعد الأخلاقي رائدها.	6

ويمكننا، أيضاً، تعريف الأخلاق من خلال الحقول المعرفية التي تعطي من منظورها وجهات نظرٍ مختلفة ومتباينة انطلاقاً من معطياتها.

تعريف الأخلاق من خلال حقول معرفية مختلفة

المرجع	تعريف الأخلاق من خلال حقول معرفية	الحقل المعرفي	ت
موسوعة لالند الفلسفية 2012: 839	مجموعة من القواعد السلوكية معتبرة صالحة بلا شرط	الفلسفة	1
Bzdok, D. et al. 2012: 783–96.	التفكير الأخلاقي يرتبط برؤية الأشياء من وجهات نظر الأشخاص الآخرين واستيعاب مشاعر الآخرين. تقدم هذه النتائج دليلاً على أنّ الشبكة العصبية التي تقوم عليها القرارات الأخلاقية ربما تكون عالمية النطاق (أي، قد لا تكون هناك أشياء مثل «الوحدة الأخلاقية» في الدماغ البشري) وقد تكون قابلة للانفصال في النظم الفرعية المعرفية والعاطفية.	علم الأعصاب	2
الحفني 2000:31	موضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقّيها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك.	علم السلوك	3
Gilligan and Kohlberg: Ethics,	علم النفس الأخلاقي الحديث، يعتبر الأخلاق تتغير من خلال تنمية الشخصية. قام عدد من علماء	علم النفس	4

		النفس بإنتاج نظريات حول تطور الأخلاق، والتي تمر عادة بمراحل من الأخلاق المختلفة. لورنس كولبرج وجان بياجيه وإيليوت توربيل لديهم مقاربات معرفية للتطور في التطور الأخلاقي. لهؤلاء المنظرين أشكال الأخلاق في سلسلة من المراحل أو المجالات البناءة	Vol. 98, No. 3 pp. ,(1988 ,.(Apr 91–472
5	علم الإنسان	النسبية الأخلاقية حيث الفضائل الأخلاقية صحيحة أو خطأ فقط في سياق وجهة نظر معينة (على سبيل المثال، المجتمع الثقافي). بمعنى آخر، ما هو مقبول أخلاقيًّا في ثقافة ما قد يكون من المحرمات في ثقافة أخرى. يزعمون أيضاً أنه لا يمكن إثبات أيّ فضيلة أخلاقية بشكل صحيح أو خطأ	The Internet of Encyclopedia (Philosophy (IEP https://www. iep. utm. edu/moral-SH2g#/re
6	علم الاجتماع	الإنسان الذي يعيش في مجتمعٍ معينٍ لا بدّ من أن يعكس المبادئ الأخلاقية والعادات السائدة في مجتمعه والضمير الأخلاقي عند الإنسان يتقيد كثيراً بما يسود في المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد. ولذلك فإن الإنسان يحكم على الأفعال والتصرفات لا من خلال ضميره فحسب، بل من خلال ضمير المجتمع.	بدوي: مقدمة كتاب الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، 2000: أ
7	علم السياسة	الأخلاق هي الإجابة عن سؤال «كيف يجب أن نعيش» على المستوى الفردي، ويمكن اعتبار السياسة على أنها تتناول السؤال نفسه على المستوى الاجتماعي، على الرغم من أنّ المجال السياسي يثير مشاكل وتحديات إضافية.	Weber, Eric .Thomas. 2011
8	الحضارة	احترام كل مظهر من مظاهر الحياة سواءً منها الشخصية أو الروحية تجاه الكون، الحضارة تنهار حين تضعف الأخلاق فيها.	ألبرت شفايتزر: اضمحلال واستعادة الحضارة. الحضارة والأخلاق(1923)

Rachels, (2011). Childress, James F. Macquarrie, (ed) (1986) John	الدين والأخلاق ليسا مترادفين. الأخلاق لا تعتمد على الدين، على الرغم من أنّ البعض يعتبرها «افتراضاً تلقائيًّا تقريبيًّا». ووفقاً لمعجم ويستمنستر للأخلاقيات المسيحية، يجب تعريف الدين والأخلاق بشكل مختلف وليس لهما صلات تعريفية بعضهما مع بعض. من حيث المبدأ تعتبر الأخلاق ونظام القيم الدينية نوعين متميزين من أنظمة القيم أو أدلة العمل.	الدين	9

ثانياً: علم الأخلاق

تعريف علم الأخلاق

علم الأخلاق Denontology: وهو العلم الذي يعتني بموضوعة الأخلاق من جوانب الخطأ والصواب ويركز على جوانب فضيلة الأخلاق، وهو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (ديون Deon) التي تعني (الالتزام أو الواجب). وأول من استخدمها هو س. د. برود (C. D. Broad) عام 1930 واعتبرها علماً وليس فلسفة.

يعرف وليام ليل علم الأخلاق بأنه علم معياريّ (كالمنطق والجمال والأخلاق) وهي علوم تختلف عن العلوم الوصفية أو الوضعية في أنها لا تقتصر على الوصف وإنما تتجاوز الوصف إلى الحكم. ويرى أنّ الأخلاق «علم معياريّ للسلوك، والسلوك اسم جمعي للأفعال الاختيارية. وهذا الاختيار وتلك الحرية هما ما يميز سلوك الإنسان من غيره من أفراد الحيوان. ومن ثم فإن الأفعال الاختيارية تشتمل على كل أفعال المشيئة أو الإرادة، وتشتمل كذلك على الأفعال اللاإرادية والاعتيادية». (ليل 2000: 27).

فالإنسان كائن أخلاقي، في المقام الأول أي إنّه مسؤول عن أفعاله ومصيره وعن تحقيق الكمال الممكن، لطاقاته، وملكاته مؤهل للتمييز بين الخير، والشر، وهو يقيم الوقائع التي تجري من حوله في ضوء الغايات التي ينشدها، وهذا الكمال هو الذي يتعلق به وجدان كل إنسان، باعتباره قيمة تفرض نفسها على عقلنا المعياري. (الكتاني 2011: 14).

ت	تعريف علم الأخلاق	المرجع
1	البحث عن المبادئ وترتيبها واستنباطها والكشف عن أهميتها للحياة الأخلاقية، مع بيان الواجبات التي يلتزم بها الإنسان.	أرسطوطاليس 1924: 8
2	العلم الذي يبحث في القواعد التي ينبغي توفرها في السلوك الأخلاقي.	هويدي 1989: 63
3	شوبنهاور: يولد الناس أخياراً أو أشراراً، كما يولد الحمل وديعاً، والنمر مفترساً، وليس لعلم الأخلاق إلّا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم كما يصف التأريخ الطبيعي حياة الحيوان	دراز 1953: 6
4	أحد العلوم المعيارية الذي يهتمّ بدراسة أخلاق الإنسان	نصّار 1982: 17 - 18
5	نسق معرفي لمجموعة وقائع جزئية مترابطة تدور حول أخلاق الإنسان والحكم عليها باستخدام المعايير الأخلاقية التي تميز بين الفعل الصائب والفعل الخطأ	نصار1982: 36 - 40
6	علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغي.	أمين 1985: 2

قد يكون علم الأخلاق، في بعض الأحيان، متسقاً مع العبادة الأخلاقية (الاعتقاد بأن بعض الإجراءات خطأ بغضّ النظر عن العواقب المترتبة عليها)، ولكن ليس بالضرورة. على سبيل المثال، جادل إيمانويل كانط بأنه من الخطأ دائماً الكذب، حتى لو كان القاتل يسأل عن مكان وجود ضحية محتملة. ولكن البعض الآخر، مثل د. روس روس (1877 - 1971)، يرى أنّ عواقب عمل مثل الكذب قد تجعل في بعض الأحيان الكذب الشيء الصحيح للقيام وهذا ما يؤكد نسبية الأخلاق.

ويرى وليام ليل، أنّ هناك ستة من الأنساق الأخلاقية وهي: (ليل 2000: 35)

1. العلم الوضعي للأخلاق: وهو الذي يصف المعايير الأخلاقية للناس في المناطق المختلفة وطبقاً لتنوع سنوات العمر.

2. العلم المعياريّ للأخلاق: وهو الذي يقرر صحة المعايير الأخلاقية.

3. الفلسفة الأخلاقية: وهي تبحث صحة تلك المعايير من خلال موضعها في إطار كلّي عام.

4. علم الأخلاق التطبيقي: وهو يطبق المعايير الأخلاقية الصحيحة على حالات عينية جزئية.

5. التهذيب الأخلاقي: وهو يستهدف تحسين السلوك وتشذيبه.

6. فن مزاولة الحياة الصالحة.

رغم وجود اتجاهات لجعل علم الأخلاق علماً وضعيًّا قياسيًّا منضبطاً بقوانين ومعايير ثابتة، لكنه يظهر لنا من خلال مجمل تعريفاته التقليدية العامة بأنه علم معياريّ «أي يدرس ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني فيضع بذلك قوانين الأفعال الإنسانية ومثلها أو المبادئ العليا لها، وكان هذا هو الاتجاه التقليدي «المعتمد بين جمهرة الأخلاقيين فهم هذا العلم وتحديد منهجه. ولكن مدرسة من علماء الاجتماع في فرنسا قد اتجهت بالأخلاق في نهاية القرن الغابر ومطلع القرن الراهن اتجاهاً اجتماعيًّا صورت فيه علم الأخلاق فرعاً من علم الاجتماع موضوعاً ومنهجاً». (انظر سدجويك 1949: 10).

ولا شك أننا سنتناول الأخلاق النسبية، وليس الأخلاق المطلقة، فيما يخص السومريين لأننا سندرس طبيعتها في زمانٍ ومكانٍ محددين، وهذا هو ما يحدد الأخلاق النسبية عموماً.

المبحث الثاني: الأخلاق والدين والمجتمع

أولاً: الأخلاق والدين

لم يكن الدين هو مصدر الأخلاق، فالأخلاق مواضعات اجتماعية قبل كلّ شيء، ثم كان لا بدّ للأديان من أن تتدخل وتحاول احتواء الأخلاق، لكن الأخلاق بقيت في يد المجتمع وما يراه مناسباً لتوازنه.

كما أنّ الأخلاق نسبية وليست مطلقة، فهي تخضع لزمنٍ ومكانٍ معينين، وهذا بحدّ ذاته يكشف ضعف مرجعيتها الثيولوجية والدينية، ولكن الدين يحاول أن يعطيها طابعه بسبب نزعته الشمولية.

ورغم أنّ الأخلاق في بلاد سومر كانت رهينة بيد ملوك وكهنة البلاد واعاضد المصالح الدينية والسياسية، لكن السومريين رسموا صورة أخلاقية شاملة عميقة لعلاقتهم ببعضهم وبالطبيعة والآلهة. لكنهم من ناحية أخرى كانوا يعكسون تصوراتهم الأخلاقية في قصص وصفات الآلهة، وهذا يعني أنهم أسبغوا على الآلهة أخلاقهم في الأساطير التي دونوها.

«كانت الآلهة، أيضاً، كما ذكر الحكماء السومريون، يفضلون ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على مبادئ الأخلاق. ونجد جميع الآلهة العظام، تقريباً، قد مجّدوا في التراتيل السومرية بصفتهم محبين للخير والعدل وللصدق والاستقامة. والواقع أنهم خصّصوا عدة آلهةٍ بالإشراف على النظام الأخلاقي بكونه وظيفتهم الأساسية، كإله الشمس (أوتو). وذكرت في النصوص، بين حينٍ وآخر، إلهة خاصة بمدينة (لجش) هي (نانشه) (على أنها خصصت نفسها لرعاية الصدق والعدل والرحمة. ولكن لم يتسنَّ لنا إلّا الآن فقط أن ندرك مبلغ الدور المهم الذي كانت تقوم به تلك الآلهة في دائرة السلوك والأخلاق عند البشر». (كريمر د. ت: 193).

كان إله الشمس (أوتو) إله العدل والأخلاق بشكل عام بحكم ما يبينه من ضوء ووضوح واستقامة في أشعته، وكانت نانشه إله الكتابة تمثل هذا الدور بعده لما تمثله من الكتابة من إظهار للحقيقة وحفظها من خلال التدوين وكذلك يمثل نبو ذلك. وفي جميع الأحوال كانت هذه الآلهة صدى لرغبات الإنسان في الاستقامة والحاجة للأخلاق وليس العكس.

شرحنا في كتابنا (الديانة السومرية) تفاصيل دقيقة عن طبيعة الأخلاق السومرية، وعن الأعراف الأخلاقية التي أورثتها للسومريين والتي ألهمت الساميين في العراق ثم ألهمت شعوب الأرض القديمة كلّها.

كانت وصايا شروباك، في حدود 2600 ق. م، هي المدونة الأخلاقية الأولى التي جاءت بالنواهي المخالفة للخلق الإنساني (لا تلعب مع امرأة شابة متزوجة فقد يكون الافتراء خطيراً. لا تحدد حقلاً على طريق، لا تحفر بئراً في حقلك، ستؤذي به الناس، لا تقتل، لا تسرق... إلخ).

انظر (Biggs1974, Lambert 1996, Beaulieu2007: 4)

ارتبطت الأخلاق السومرية بالدين من ناحية، وبالضمير الشخصي من ناحية أخرى، فقد كان السومريون عموماً، يشعرون بالخوف من الانحراف عن المثل الإلهية التي كانت هي المُثل العليا، وكانوا يجدون في السلوك السويّ منهجاً عامًّا يتناسب مع طبيعة الإنسان، وقد جاءت القوانين السومرية لتعبر عن هذا الميل عموماً.

كان السومريون يرون أنّ الإنسان مسيّر لا مخيّر، لأنهم يؤمنون بقوة سيطرة الآلهة على مصيرهم، ولذلك تعلقوا «بحب الخير والصدق، والقانون والنظام، والعدالة والحرية، والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يمقتون الشر والكذب والزور وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصي والضلال والصرامة وتحجر القلب. وكان حكامهم وملوكهم يتباهون دائماً بأنهم أقاموا القانون والنظام في البلاد، وحموا الضعيف من القوي، والفقير من الغنيّ، ومحوا الشرّ والظلم والعنف». (كريمر د. ت: 192).

كان الإلهان (أوتو: إله الشمس) و(نانشه: إلهة الأخلاق وتفسير الأحلام والطالع) مسؤولين عن الأخلاق بالدرجة الأساسية. كانت نانشه تعتني بالأرملة وتنشد العدالة للفقراء وتؤوي الضعفاء المظلومين في حضنها، كما تقول الترتيلة السومرية عنها.

وكانت تقوم بحساب السومريين في عيد رأس السنة، وتقف إلى جانبها الإلهة ندابا وهي إلهة الكتابة والحسابات، وفي هذه المقطوعة تصف الأشرار الذين وقع سخطها عليهم:

«من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له... (؟)

من تخطّى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود،

من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشرّ...،

من بدّل الوزن الكبير بالوزن الصغير،

من بدّل الكيل الكبير بالكيل الصغير،

من أكل ما ليس له ولم يقل (أكلته)...،

من شرب ما ليس له ولم يقل (شربته)

من قال لآكلنّ ما حُرّم

ومن قال لأشربن ما حُرّم». (كريمر د. ت: 195).

ثانياً: الأخلاق والمجتمع

كان المجتمع السومري هو من يزن الأخلاق ويقيمها وفقاً لمعاييره ولمعايير نظرته المتوازنة للحياة والطبيعة، وكان يعتبر أنّ الشر موجود فينا وعلى الأخلاق كبح جماح هذا الشر دائماً.

كان السومري يرى في احترام الوالدين وإطاعة كلامهما وخصوصاً الأم نوعاً من الاستقامة الأخلاقية فالمثل الذي يردده هو (أطع كلام أمك كأنه أمر إلهي). وكانوا يحاولون وضع سلوك نسبي للموضوع الواحد (نحن محكومون بالموت... فلنبذّر. علينا أن نعيش طويلاً... فلنوفّر).

كان المجتمع هو الذي يمنح التوازن للأخلاق بحكم تعامله الواقعي الذي يخدم حياته. ولنتأمل هذا النص المدوّن باللغتين السومرية والأكدية والذي يرفض الأخلاق الرديئة:

«من ينام مع (يلقح) زوجة رجلٍ فذنبهُ عظيم

من يقسم بأنه سيعمل أعمالاً رديئة، من يشتم

من يصف عائلته (إخوته) بكلمات شائنة،

من يظلم التابع،

من يسلم الضعيف إلى القويّ...

يستحق الملامة (؟)». (ساكز 1979: 485).

الأخلاق والدولة والشرائع: ساعدت الدولة على نشر الأخلاق بوضع القوانين الضابطة لها، ولا شك أنّ شعب سومر انفرد بريادته في هذا المجال. فقد ظهر ما يقرب من خمس مدونات قانونية تتضمن ضوابط أخلاقية عالية، ذكرناها في مكانها في هذا الكتاب.

المبحث الثالث: المعايير الأخلاقية للحضارة السومرية

تعتبر معايير وقياس الحضارات من أصعب الأمور وأعقدها، وهي تتطلب الدقة والموضوعية وعدم الانطلاق من خلفيات أيديولوجية أو دينية أو عرقية، ولا بدّ من الحياد والدقة والموضوعية. ولذلك يتطلب الأمر موازنة علمية مرهفة». على أنّ تقويم الحضارة أمر عظيم الصعوبة، وهذه الصعوبة تتمثل في أمرين: أولهما أننا لكي نقدر الحضارة ينبغي علينا أن نُلمّ إلماماً كبيراً بظواهر تنتمي إلى مجالات مختلفة كل الاختلاف، وأن نعمل على تحقيق التوازن بين هذه الظواهر المختلفة. والحق أنّ تحقيق هذا التوازن أمر يصعب الوصول إليه، إن لم يكن مستحيلاً؛ فلنفرض أننا بإزاء مرحلتين من مراحل الحضارة تتميز إحداهما بتفوق في ميدان الفكر والعلم النظري، وتخلف في ميدان التطبيق العملي لهذه المعلومات النظرية، وتتميَّز الأخرى بعكس ذلك؛ أي بتفوقها في النواحي العملية على النظرية، فكيف نصدر حكمنا على هاتين المرحلتين؟ وكيف نفاضل بينهما؟ لا شك في أنّ من الضروريّ في هذه الحالة أن نتأمل مختلف الظواهر الحضارية في مجموعها على نحوٍ تركيبي، ولكننا سنضطر عندئذٍ إلى تغليب نواحٍ معينة. وهنا قد يختلف الباحثون فيما بينهم اختلافاً شديداً فيؤكد بعضهم، مثلاً، أنّ تفوّق اليونان في الميدان النظريّ جعل مرحلتهم الحضارية أرقى من المرحلة المصرية القديمة، بينما يؤكد البعض الآخر أنّ مستوى الفنون العملية الذي بلغته حضارة قدماء المصريين، وخاصة إذا صاحبَه إدراك لتقدمهم الزمني على اليونان، يجعلنا نصدر حكمنا في صالحهم». (زكريا 2017: 31).

ويمكننا، إجمالاً، وضع معايير تساعدنا على التقييم والمعايرة وهي ما يلي:

1. المعيار الحدسي 2. المعيار الوضعي 3. المعيار القانوني 4. المعيار النفسي 5. معيار اللذة 6. المعيار التطوريّ 7. معيار الكمال 8. معيار القيمة 9. معيار الفضيلة 10. أسلوب الحياة

المعايير هي قواعد تنظيم سلوك الفرد والجماعة، يعرف المعجم الفلسفي المختصر الحدس على أنه مناقض للعقل وقريب من الإحساس الغريزي، فهو نوع من الإشراق أو الوحي، وهو قريب من الإدراك اللاشعوريّ لطبيعة الأشياء، أي إنّه إدراك مباشر لا يحتاج إلى عملية استدلالية. وهو بعكس المعيار الوضعي الذي يُخضع الأمور لاستدلال عقليّ وهو يرى أنّ الخير، مثلاً، هو «مجرد اصطلاح تعارف عليه الناس في زمانٍ معينٍ ومكانٍ معينٍ ومحدد. وهو يتغير بتغير هؤلاء الناس، بل يتغير إذا تغير مستوى الفهم والتفكير عند الناس في عصرٍ واحدٍ. وبهذا رفض الوضعيون التسليم بوجود علمٍ للأخلاق يكون معياريًّا (يبحث فيما ينبغي أن يكون) وبهذا انتقل موضوع الأخلاقية من دراسة السلوك الإنساني بما هو كذلك إلى بحث في سلوك الإنسان الذي يعيش في جماعةٍ معينةٍ تحيا في زمانٍ معينٍ ومكانٍ محددٍ، وتحولت غايته من وضع مثلٍ عليا للسلوك الإنساني إلى وصف لهذا السلوك لدى الأفراد والجماعات البشرية، ومن أعلام هذا الاتجاه أوجست كونت وإميل دوركهايم وليفي برول وغيرهم». (إمام 1985: 45 - 46).

لا شك أنّ السومريين استلهموا الأخلاق بحدسهم المتوازن والمتواضع والمتواشج مع الطبيعة والفطرة، ولا شك أنّ دراسة هذا المعيار الحدسي تتمّ من خلال المعيار الوضعي لزمن محدد ومكانٍ محدد. فقد كان السومريون أقرب إلى الفطرة الأخلاقية السليمة التي كانت ترى بحدسها الخير وتميزه عن الشر، وكان كل تأريخهم وتراثهم يقول بهذا، فهم أبناء الطبيعة الخصبة والتكاثر وحب البقاء والتوازن مع ما يحيط بهم.

من اليسير فحص ومعايرة الأخلاق التي قامت عليها الحضارة السومرية، فهناك نصوص وأحداث توفر لنا ذلك وتجعلنا قادرين على اشتقاق القوانين الأخلاقية وعلى فحصها ومعايرتها.

1. لا بدّ أولاً من التمييز بين مستويات التطور الأخلاقي في المجتمع السومري. «هناك ثلاثة مستويات، هي مستوى الغريزة حيث يكون السلوك صائباً حين يتوافق مع الحاجات والميول الفطرية، وهناك مستوى العادة حين تتوافق عادات الفرد مع تقاليد المجتمع كله، وهناك مستوى الضمير حين يكون هناك استحسان وقبول الضمير وغير ذلك إذا رفضه الضمير». (انظر ليل 2000: 65).

ولا شك أنّ هذه المستويات تداخلت في بناء الأخلاق السومرية لكن مستوى العادة كان شائعاً بحكم التوازن الذي أشاعته آليات نموّ الحضارة السومرية، فقد انتقل من المستوى البدائي للغريزة، ولا شك أنه وصل عبر نخبته الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى مستوى الضمير.

الحضارة السومرية أنتجت الشرائع والقوانين لكي تثبّت مستوى العادة وتجعله سارياً بقوةٍ، فيتحول، مع الزمن، إلى مستوى الضمير. وهذا إجراء عظيم جعل هذه الحضارة المؤسسة للحضارات الأولى في مقام رفيع.

2. لا شك أنّ الدين السومري كان أحد أكبر مصادر الأخلاق السومرية، وتكون معايرة الأخلاق هذه من خلال الدين السومري في مكانها، فالآلهة هم المثل الأخلاقية العليا والشياطين هم انحدار الأخلاق لحضيضها. لكن الآلهة السومرية كانت مشوبةً بالكثير من الأخطاء الأخلاقية، وهو ما يعكس الطبيعة العملية للأخلاق الدينية فهي، في النهاية، مأخوذة من الإنسان وسلوكه المتباين.

وفي كل الأحوال تتأسس الأخلاق على نظام القيم وليس على النظام المعرفي. ويكمن جذر القيم في الاهتمام بما يفيد الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ويجري تمييزها وفقاً للثلاثية المعروفة بـ(الحق، والخير، والجمال) وهكذا نصل إلى نتيجة مهمة وهي أنه بالرغم من أهمية الدين السومري في نشأة الأخلاق في المجتمع السومري لكن منظومة القيم تنهل من حاجة المجتمع السومري ونفع وضرر بعض اعتباراته الدنيوية منهلاً واسعاً، ولذلك تكون منظومة القيم، الدينية والدنيوية، هي التي أسست الحضارة السومرية وشكّلت نظرة المجتمع للحياة وتصوره للعيش فيها.

3. أخلاق المدينة كانت هي التي تحكم المجتمع السومري ولا وجود لأخلاق البداوة، في حين كانت أخلاق الريف خاضعة للمدينة التي هي مركز الحكم. كان الدين في سومر يعني دار القضاء، لأنه مصدر الشرائع ولأنه ابن النظام المديني الذي كان قد ابتدأ في وادي الرافدين منذ أريدو في الألف السادس قبل الميلاد وكان الإله إنكي إله الحكمة والمعرفة المصدر العميق الأول للشرائع لكن التطور الثيولوجي، في سومر، جعل الإله إنليل هو مصدرها، ثم تولى الإله (أوتو) أو (شمش) إله الشمس المسؤولية عن العدالة والقضاء.

ربما يكون المصدر الأساسي للحضارة السومرية نبذها للطابع البدوي للعيش ورفضها الكامل للبداوة وتحصنها ضدها، فقد رفضت قيمها واستبدلتها بقيم حضارية جديدة تعتمد على

القانون والأدب والفن والحكمة والدين المنظم. وكان حذرها من تسلل القيم البدوية في محله تماماً، فقد تسربت هذه القيم وحاول أهل البداوة من أكديين وأموريين اقتحام حواضر الحضارة السومرية وتمكنوا مرتين من إسقاطها.

4. السومريون يمجّدون السلام ويعتبرونه الأساس الأخلاقي للعلاقة بين المدن السومرية في نظام دول المدينة، وبين سومر وجيرانها، ولذلك نراهم يسعون نحو تنظيم هذه العلاقات عن طريق سن القوانين والمعاهدات والحوار، لا يلجؤون للعنف ولا يعتبرونه الحلّ الصحيح في علاقاتهم الخارجية والداخلية.

5. التوازن بين الجانبين الديني والدنيوي في حضارتهم وعدم التطرف في أحدهما وجعل الحياة مكاناً للدنيا والدين معاً، فقد كان تصورهم عن ما بعد الموت خالياً من تصورات الفردوس والجحيم والعقاب والثواب... وكانت أغلب تصوراتهم الدينية صدًى لحياتهم الدنيوية رغم أنهم رفعوا التصورات الدينية لمستوى المثال الذي يسعون إليه.

6. الاكتفاء ومحاربة الجشع المادي وعدم استعمال القوة (إلّا نادراً) في حل الخصومات والنزاعات، فقد استمر النزاع بين دولتي لجش وأوما حول المياه أجيالاً طويلة لمئات السنين وكان يُحلّ دائماً بالمفاوضات والسلم، حتى جاء لوكال زاكيزي من أوما واحتل لجش كخطوة أولى لبناء دولة سومرية واحدة في وادي الرافدين تمتد من شماله إلى جنوبه وقد نجح في ذلك وكان، للأسف، أول من نهج منهج القسوة والقوة، ولذلك كان آخر ملوك العصر السومري القديم الذي انتهى على يد سرجون الأكدي الذي أسر لوكال زاكيزي واحتل دولته كلها، بمنهج العنف والتوسع، وبدأ العصر الأكدي.

هذا مثال ناصع على أنّ العنف لم يكن سبيلاً من سبل السومريين لحل مشاكل الجشع والنزاعات.

7. كان السومري على علاقة مباشرة مع الآلهة ولم يكن بحاجة إلى وسطاء روحيين، وكان عمل رجال الدين هو تنظيم الحياة الدينية ولم يكونوا مثل الأنبياء أو الأولياء كما في الشعوب الأخرى، ولذلك يجد السومري نفسه قريباً من تمثل أخلاق الآلهة وعدالتها وهو ما جعل الدين السومري حاضنة للأخلاق العامة.

8. كان الدين السومري الذي تسيطر عليه قيم الأخلاق والاعتدال، مصدر العلوم الأولى الطبيعية والإنسانية كالخيمياء والفلك والتنجيم والرياضيات، وقد شرحناها مطولاً ولمسنا فيها نبرة التأسيس الرصين العميق. ومن الصعب مطالبة أول حضارة بشرية بأن تكون علومها دنيوية صرفة رغم الفصل الواضح، في الحضارة السومرية، بين العلوم الملتصقة بالدين كالتنجيم والخيمياء، والعلوم المتصلة بالدنيا كالفلك والكيمياء. وفي كل الأحوال كانت هناك موازنة خفيّة نادرة يمكن أن نقول إن الأخلاق بمفهومها الشامل كانت سبباً في موازنتها العميقة.

9. امتثل السومريون لما تأمرهم الآلهة به من خير، ولذلك تجنبوا الشرّ وسعوا نحو الإصلاح وخدمة بعضهم «لقد تعلق السومريون، كما يؤخذ مما كتبوه ودوّنوه، بحب الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يمقتون الشرّ والكذب والزور وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصي والضلال وتحجر القلب. وكان حكامهم وملوكهم يتباهون، دائماً، بأنهم أقاموا القانون والنظام في البلاد وحموا الضعيف من القوي، والفقير من الغني، ومحوا الشر والظلم والعنف». (كريمر 1956: 192)

10. الآلهة أيضاً هي مصدر الشر وليس الشياطين فقط فقد خلقت نواميس الحضارة (مي) التي تحتوي على عناصر الكذب والعداء والرثاء والخوف. وقد نتساءل لماذا فعلت الآلهة ذلك، ونرى أنّ الجواب على ذلك يكون بالعودة إلى خلق الإنسان الذي لم يكن كاملاً، بل تخترقه الأمراض وتعتري جسمه النقوصات، وهذا يعني أنّ الشر موجود مع الخير في خلقهم لكي لا يخلقوا عالماً أرضيًّا كاملاً منزهاً مثل عالمهم، وأن أفضل طريق للإنسان هو التمسك بالفضيلة وعدم الشكوى والتساؤل عن مصدر الشرور والخطايا، ولذلك فإن السبيل الصحيح الذي كان على (أيوب) السومري أن يسلكه هو ألّا يتساءل ولا يحاجج ويتشكى إذا ما حلّت به بلايا لا مبرر لها في الظاهر. فما عليه إزاء ذلك إلّا أن يتضرع ويندب ويعترف بخطاياه وذنوبه التي لم يكن منها بد. ولكن هل يستجيب له الآلهة، وهو العبد الفاني الوحيد العاجز، إذا ما تضرع واستغاث في صلاة صادقة منبعثة من القلب؟ إن هذا غير مضمون كما كان يبدو للحكماء والسومريين، لأن الآلهة كانوا، في نظرهم، مثل الحكام من البشر الفانين في جميع العالم مشغولين بأمور وشؤون ينبغي التفرغ لها، لأنها أهم وأخطر...». (كريمر 1956: 197).

ما الحلّ إذن؟ وكيف يتصرف الإنسان؟

لم يلجأ السومريون إلى رجل الدين أو الكاهن الأعلى أو الملك، بل ابتكروا فكرة (الإله الشخصي) الذي كان بمثابة الملاك الحارس له ولأسرته، وهو الأب الإلهي للإنسان والذي ولده، وله كان يشكو ويصلي ويتضرع لكي يحل مشاكله ويجد الخلاص.

أسلوب الحياة السومرية:

كانت الحياة السومرية العامة تتسم بالبساطة والتناغم مع مكونات البيئة الطبيعية، فالبيوت السومرية بدأت من أشكال الأكواخ الفلاحية التي كانت في تصميمها الأرضي هندسية الأشكال على هيئة مربع أو مستطيل أو دائرة، كان الفلاح السومري يغرس أعواده حول محيطها ثم يجمع نهاياتها العليا حتى تلتقي بعضها ببعض فيربطها وتتشكل منها القبة والعقد والقوس، وهي أشكال معمارية أولى بدأت بها العمارة. الأثرياء بنوا قصوراً مرتفعة الجدران ومبنية من الآجر، وذات لوالب ومقرنصات ومثلثات ونوافذ.

كانت ملابسه من الصوف المنسوج على شكل قطع متراكبة تسمى الكوناكس، وكانت مقتنيات الذهب راقية الصنع، ورغم بساطة المظهر لكن حرصه على لمسات الزينة والألوان كان أمراً شائعاً.

عاشت النساء المترفات من الطبقة الحاكمة حياة مترفة وراقية «فالأدهان والأصباغ والجواهر من أظهر العاديات في المقابر السومرية. وقد كشف الأستاذ «وولي» في قبر الملكة «شوب ـ آد» عن مدهنة صغيرة من دهن أزرق مشرَّب بالخضرة، وعلى دبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد، كما عُثر أيضاً على مثبنة عليها قشرة من الذهب المخرّم، وقد وُجِدت في هذه المثبنة التي لا يزيد حجمها على حجم الخنصر ملعقة صغيرة لعلها كانت تستخدم في أخذ الصبغة الحمراء من المدهنة. وكان فيها أيضاً عصا معدنية يستعان بها على ملوسة الجلد، وملقط لعله كان يُستخدم لتزجيج الحاجبين أو لنزع ما ليس مرغوباً فيه من الشعر، وكانت خواتم الملكة مصنوعة من أسلاك الذهب وكان أحدها مطعماً بفصوص من اللازورد، وكان عقدها من الذهب المنقوش واللازورد، وما أصدق المثل القائل إنه لا جديد تحت الشمس وإن الفرق بين المرأة الأولى والمرأة الأخيرة ليتسع له سم الخياط». (ديورانت 2001: 33).

كانت حياة الناس مشغولة بالعمل المتواصل لتوفي الحدّ المعقول من العيش الجيد، فبين حرفٍ وفلاحة وبيع وشراء ومقايضة مرّت الحياة هادئة لكنها، دون قصد، أنشأت البدايات الأولى في كل شيء تقريباً.



مشاهد من الحياة اليومية في سومر

المبحث الرابع: التقييم العام للحضارة السومرية

كانت الحضارة السومرية مؤسسة للحضارات البشرية قاطبة، فهي حضارة التأسيس الأولى التي كان قدرها أن ترتبط بالكتابة، لأول مرة، فتظهر وكأنها التي دوّنت وأسست نواميس الحضارة الأولى التي سارت عليها الحضارات التي جاءت بعدها.

لكن هذه الحضارة حملت جدلها الخاص والمتمثل بصراع الأضداد الذي عاشته من داخلها أولاً، والذي لعب دوراً مزدوجاً في تطور وانتعاش هذه الحضارة من جهة، وفي إنهاك قواها من جهةٍ أخرى، وبالرغم من أنّ هذا الصراع نشأ أساساً من مكونها الداخلي وظروف التطور الطبيعي لحضارة بِكر، لكن العالم الخارجي لعب، هو الآخر، دوراً مهمًّا في ظهوره وتنشيطه. لقد حفلت كلّ مظاهر الحضارة السومرية بتجاذب شديد بين ضدّين في كلّ منها، وكان هذان الضدان يلعبان دوراً أساسيًّا في إظهار خصوصيتها من جهة، وفي إنهاك استمراريتها الحضارية من جهة أخرى حين لا تتوفر الحكمة في إدارة وقيادة هذه الحضارة، وسنستعرض ذلك في مظاهر الحضارة السومرية كما يلي:

1. قوى الصراع السياسي:

بدأت الحضارة السومرية بنظام دولة المدينة، حيث كانت كل مدينة سومرية عبارة عن دولة صغيرة لها حاكم مستقل ومؤسسات دينية واجتماعية وثقافية خاصة بها، ويربط بين هذه المدن رابطا الدين واللغة، فالمدن كلّها تدين بالدين السومري الذي يعتبر الإله إنليل هو الإله القومي للسومريين جميعاً، ولذلك صارت مدينة هذا الإله وهي نُفّر (نيبور) بمثابة العاصمة الدينية التي يحجّ إليها السومريون من كل المدن والقرى. وهذا لا ينفي وجود إله خاص بكل مدينة. أما اللغة،

فالسومريون جميعاً يتحدثون لغة سومرية واحدة برغم وجود لهجات مختلفة ذات طبيعة مهنية أو طبقية أو تاريخية.

عاشت هذه المدن بسلام وأمان فيما بينها على مدى أكثر من ألف سنة تقريباً وكان هذا النظام كفيلاً بهذا الأمان وهذا السلام.

في حدود 2400 ق. م نشأ ظرف جديد على أثر خلاف مستعر طويل على قنوات ماء الأنهار استمر عدة قرون بين مدينتي أوما ولجش، فقام حاكم أوما (لوكال زاكيزي)، في نهاية المطاف، بالاستيلاء على لجش ثم استولى على بقية المدن السومرية وأنهى بذلك النظام الكونفدرالي (المديني) وأنشأ دولة مركزية واحدة مقرها أوما ثم أوروك. وسمى نفسه ملك البلاد (لوكال كلاما)، وقد عُدّ هذا العمل الذي قام به تغييراً لنظام دولة المدينة نحو نظام الدولة الواحدة، وقد صاحب هذا التغيير ما يدعمه ويؤسس له، عنف وقهر واستعباد وحدّ للحريات في الكثير من المدن السومرية، ولم يمضِ ربع قرن حتى قام رجل آخر ليس من السومريين، بل من الساميين (السوبريين) وهو سرجون الأكدي بضربة قاضية للملك لوكال زاكيزي واستولى على كلّ مملكته دفعة واحدة وأسمى نفسه ملك (سومر وأكد) ثم توسع وأسس إمبراطورية خرجت عن نطاق وادي الرافدين وحينها لقّب نفسه (ملك الجهات الأربع) المرادفة لكلمة إمبراطور لاحقاً.

وحين عاد السومريون بعد سقوط الإمبراطورية الأكدية ظهر نظام إمبراطوريّ سومري، أي إن السومريين ورثوا النظام الإمبراطوريّ الأكدي. وهكذا أصبحنا، تاريخيًّا، أمام ثلاثة أنظمة سومرية للحكم هي (المدينة، الدولة، الإمبراطورية). وكان ذلك مدعاة للاضطراب أكثر منه للازدهار لأن السومريين كانوا ضد نزعتي المركزية والتوسع اللتين صاحبتا نشوء الدولة والإمبراطورية وأشد ميلاً لنزعة استقلال المدن بعضها عن بعض وحكمها ذاتيًّا، خصوصاً أنّ العالم كان، حينها، ما زال يعيش بسلامٍ وأمان.

هذا التناقض بين دولة المدينة والدولة الواحدة ثم الإمبراطورية أضعف الحياة السومرية وجعلها عرضة للتفتت في المستقبل، وهو ما حصل حيث كانت الأقوام المحيطة بسومر من (عيلاميين وأموريين) متوثبين للانقضاض عليها وافتراسها.

التناقض الآخر حصل داخل المؤسسة الحاكمة بدءاً من شخصية الملك التي نزحت من المؤسسة الدينية والمعبد، فقد كان ملوك سومر الأوائل رجال دين ورعين ومليئين بالتقوى والزهد والقيم المثالية، فالكاهن الأكبر (أين) هو الذي أسس دولة المدينة الدينية أولاً ثم أصبح الملك الكاهن (باتيزي) هو رأس دولة المدينة وانفصلت الدولة عن المعبد تدريجيًّا حتى جاء طور الـ(إنسي) وهو الأمير الحاكم في دولة المدينة، ثم ظهر الـ(لوكال) وهو ملك الدولة/ المدينة. ومع الملوكية انفتحت شخصية الملك على شهوات المُلك والتملك وسادت غريزة دنيوية مضادة للغريزة الدينية، ورغم أننا شهدنا ملوكاً وأمراء من الطراز الخلقي الرفيع مثل أوروكاجينا وجوديا، لكننا شهدنا بالمقابل طامحين نزّاعين نحو التملك والسلطة مثل لوكال زاكيزي وأورنمّو. وهكذا ظلت الدولة السومرية تحمل هذين النقيضين لكنها لم تصل حدًّا غاشماً للتسلط والتملك، بل عمل هذا الشرخ على إضعاف السلطة كما يشهد بذلك آخر ملك سومري وهو (أبي سين) الذي لم تتح له فرص السيطرة على مطامع الأمراء والقادة الذين معه فانفرط عقد الدولة وصارت نهباً لهم ولأعدائهم.

صراع الأَضداد الآخر بين محاور أساسية في بلاد سومر مثل لجش وكيش وأور وأوروك التي بدت وكأنها تتزعم أربعة أقاليم أساسية تحشدت معها بنسبةٍ أو بأخرى بقية المدن. فقد أقصت نيبور لجش وأسرها الحاكمة من الملوكية واعتبرتها غير شرعية رغم أنّ لجش تمثل واحدة من أكثر الصفحات إشراقاً في سومر وتراثها. وكذلك تصرفت كيش كدولة ساميّة سوبرية (رغم لغتها وكتابتها السومرية) لكنها كانت تعزف وحدها نشيدها الشمسي البدويّ الجذور. وكذلك أور كان لها الشأن الكبير في فجر السلالات ثم أصبحت لاحقاً عاصمة سومر كلها. أما أوروك فهي مسرح البطولة السومرية والمدينة التي تبلورت فيها عقائد السماء والخصب معاً وكان لها أكبر الأثر في تاريخ سومر.

هذا التوتر الإقليمي كان مصحوباً بتوتر ديني واضح أيضاً بين آلهةٍ وكهنةٍ متنافسين. ويمكننا في الجانب السياسي، أخيراً، رصد تناقض آخر في الجيش السومري الذي لم يكن احترافيًّا، بل كان يعتمد على الفلاحين والعمال كأفراد فيه وقت نشوب النزاعات فقط، ولذلك لم يكن هناك جيش سومري موحد ودائم يحمي هذه البلاد والمدن من هجومات الطامعين بها، وهو ما أضعف سومر وحضارتها.

2. قوى الصراع الاجتماعي:

انقسمت الطبقات الاجتماعية للمجتمع السومري إلى ثلاثة أساسية وانقسم كلّ منها إلى اثنين، واتضح من خلال نظام الطبقات الثلاثي أنّ هناك الطبقة المالكة والحاكمة والطبقة الوسطى وطبقة الفقراء، وقد قاد الجدل بين هذه الطبقات إلى نتائج مهمة أثرت في تاريخ سومر كلّها، فضلاً عن الجدل بين مكوّنات كلّ طبقة، حيث ظهر الاحتكاك واضحاً في الطبقة العليا بين مكوناتها من الأسرة المالكة ورجال الدين والحكام والأمراء والقادة، وكانت مصالح هؤلاء تزداد تعاظماً وتنوعاً وتدافعاً. وحصل هذا بين مكوني الطبقة الوسطى من الأحرار والتابعين (موشكينو) الذين كانوا يشكلون أغلبية الشعب السومري، وكانت الطبقة الدنيا من الفقراء هي الأقل احتكاكاً (العبيد والأرقاء) بسبب ضعف مكانتهم الاقتصادية.

هناك صراع آخر كان ظاهراً بين المدينة والريف في سومر، فقد ظهرت المدينة حاملة لمشعل الحضارة السومرية وراسمةً بأعمالها وحرفها وتكوينها الحياة الحضارية الجديدة لشعب كان كلّه مزارعاً وكانت القرى أماكنه الأولى، لكن المدينة التي أصبحت مقرًّا للسلطتين السياسية والدينية تقدمت على الأرياف، ورغم ذلك فقد كان الفلاحون السومريون هم أساس الحياة الاقتصادية والعسكرية في سومر ولم يكن بالإمكان إهمالهم، فكانوا يتمتعون ببعض الحقوق لكن حق تملكهم للأرض الزراعية كان ضعيفاً فقد كانت العبودية هي السائدة رغم وجود بعض المظاهر الديمقراطية المبكرة.

كان مجلس المواطنين العام (أونكين) مكوَّنا من مجلسين للشيوخ والشباب وكان لمجلس الشباب الرأي النافذ الأقوى، وهذه ثنائية صراعٍ جديدة، رغم أنّ الملك ومؤسسته وأسرته كانوا يوضعون أحياناً بمواجهة الشعب كله، وهو ما حصل للملك (لوكالندا) وزوجته حين تطرفا في كسبهما الاقتصادي غير المشروع فثار الشعب عليهما ووضع من خلال (الأونكين) الحكيم أوركاجينا كملك للجش فقام بإصلاحاته المعروفة.

تمتعت المرأة السومرية بالحقوق الجيدة رغم أنّ ماضي المرأة في وادي الرافدين قبل التاريخ كان استثنائيًّا. فقد كانت المرأة سيدة شعبها في النيوليت لكنها ما زالت تحمل بعض حقوقها المهمة، وكانت الآلهة الأنثوية ترمز لهذه القوة وتحميها رغم الانكسارات التي نلمحها هنا وهناك في بعضها.

إن صراع المرأة من أجل حياة أفضل كان واضحاً في المجتمع السومري، لكن هذا الصراع كان يتجه، بقوة، نحو حرمانها من حقوقها مع تغلغل ونفوذ الشعوب السامية المحيطة بسومر والمتوغلة بين شعبها، فهي الأقوام التي نفّذت الانقلاب الذكوريّ ودعّمته، بمرور الوقت، وكانت حقوق المرأة في تنازل واضح كلما ازداد نفوذها. والحقيقة أنّ البداوة وقلة التحضر كانت وراء ذلك ولم يطل الأمر المرأة، بل طال المجتع كله.

كانت الشرائع السومرية متوازنة وتميل إلى إنصاف المرأة والضعفاء وتضع حدًّا للمجرمين والمتجاوزين على حقوق غيرهم، وكانت تحمل نزعة إنسانية في قوانين العقاب فقد اعتمدت، في أغلبها، على الغرامة المالية والمادية ولم تعتمد على قانون (العين بالعين والسن بالسن) التي اعتمدتها بعدها الشعوب السامية في وادي الرافدين كالبابليين وكما وردت في قانون حمورابي مثلاً.

ورغم أنّ هناك ما يقرب من خمس شرائع سومرية لكننا نعتقد أنّ هناك أكثر من هذا العدد، ورغم ذلك فهو عدد كبير قياساً إلى ذلك الزمن وما عاصرهم من شعوبٍ أخرى. فالقانون صناعة سومرية أصيلة أصبح العمود الأساس لحضارتهم ونظّم لهم حياتهم وقد أخذوا به تماماً كما يوضح ذلك الكثير من الرقم الطينية التي هي عبارة عن مستندات وعقود ووصولات تستند إلى فقرات قانونية واضحة.

3. تناقضات وصراعات المظهر الاقتصادي:

كانت المجموعات القوية التي امتلكت الأراضي السومرية الزراعية مبكراً قد صنفت، من خلال الألواح المكتوبة التي وصلتنا، تلك الأراضي بأن وضعت أمامها علامة (كي) وتعني (الأرض التي تخترقها القنوات)، أي الأرض المسقية، وقد تحولت هذه المجموعات إلى كيانات ثم إلى مدنٍ مختلفة.

وقد تمّ تدريجيًّا إخضاع العبيد من قبل الرجال الأحرار الأقوياء اقتصاديًّا وحربيًّا وتكوّنت من خلال هؤلاء مجتمعات راقية هي (مجتمعات النبلاء) التي سرعان ما شكّلت الدولة التي تمتلك العبيد. كانت الطبقات الاجتماعية والاقتصادية ما زالت لم تتشكل بعد.

ولم تنفّذ الدولة هذا الأمر إلّا من خلال المعبد الذي قضى بأن الأرض هي (أرض الرب) ولا يجوز لأحد امتلاكها إلّا المعبد الذي هو (مكان الرب). ولما كان التواطؤ قائماً بين القصر والمعبد

فقد جرى سريان الاقتصاد بينهما بمرونةٍ عالية على حساب العبيد والأرقاء الذين كان يحرّم عليهم امتلاك أية قطعة أرض.

«كان الأرقاء المملوكين لأصحاب الأراضي في بلاد سومر يطلق عليهم بصفة مميزة اسم (إيكي- نودو) أي الأشخاص الذين لا يرفعون أبصارهم أمام أسيادهم دون شك». (جماعة من العلماء السوفيت، ستروف 1976: 32)

كان يتمّ تشبيه العبيد بالمواشي من حيث العدد فيقولون (رؤوس: ساغ) أي عدد من العبيد وكانوا يوشمون بعلامات خاصة. وقد تحولت ملكيتهم وملكية الأرض تدريجيًّا من المعبد إلى الدولة، بل إلى الحكّام مباشرة.

«تحت حكم آخر ممثلي سلالة أور – نانشي لم تعد المزارع الكبرى المركزة التي كانت تعود قبلاً إلى المعبد ملكاً تامًّا للحاكم ولأفراد أسرته فحسب، بل كانت تعتبر بصفة رسمية أيضاً من ثروات الحاكم. ولم يعد اسم الإله يذكر في السجلات الإدارية في حين أصبح الحاكم وزوجته وأفراد أسرته يعرفون الآن باسم المالكين المباشرين للأرض وللأشخاص العاملين في المزرعة. وطبقاً لذلك لم تعد مهمة الإشراف على الفعاليات الاقتصادية في المعبد من وظائف الكاهن الذي كان الرئيس الإداريّ لمزرعة المعبد، وإنما أصبحت من مسؤولية المشرف (نوباندا)، أو الموظفين الذين يعيّنهم الحاكم بصفةٍ خاصة». (جماعة من العلماء السوفييت، تيومينيف 1976: 114 - 115).

منذ حوالي عام 2400 ق. م واجه السومريون مجموعة من العوامل التي أضعفت المستوى الزراعي والاقتصادي لهم وهي:

1. الملوحة: بدأت الملوحة بالظهور في أراضي دلتا الرافدين الجنوبية، فقد ظهرت الأملاح في التربة بسبب ترسب أملاح السقي من الأنهار كل عام في الأرض المزروعة، وتأثر أولاً محصول الحنطة بشدة وانخفضت معدلات إنتاجه، وبدرجة أقل تأثر الشعير بعده، وقد تبدلت معدلات إنتاج كليهما بصورة واضحة بعد ذلك الوقت. فقد أظهرت السجلات الاقتصادية وصول معدل إنتاج الحنطة إلى السدس بعد أن كان يحتل معدل النصف من إنتاج مجمل الحبوب المهمة، وحل الشعير محله.

كان السومريون يسمون الملح الأبيض الذي اجتاح أراضيهم بـ(مُن) وبالبابلية (طبتم). أما الملح الأسود الذي هو السبخ فكانوا يسمونه (نيمُر) وبالبابلية (إدرانّم).

أوضحت سجلات عام 2400 قبل الميلاد حول مدينة جرسو السومرية أنّ معدل إنتاجية الحقول من الحبوب قد وصل إلى حوالي 270 باوند / أكر (75 كغم /دونم) وهي نسبة مقبولة حتى وفق المعايير الحالية، لكنها انخفضت عام 2100 قبل الميلاد لتصل إلى 160 باوند / أكر (45 كغم / دونم)، أما في العام1700 قبل الميلاد فلم تتجاوز الإنتاجية 90 باوند / أكر (25 كغم /دونم).

وقد أدّت هذه التحولات الخطيرة إلى تحول معظم المدن السومرية القديمة إلى قرى بسبب هجر سكانها لها ونزوحهم إلى مدن أخرى ذات ريع زراعي أكبر وحياة حرفية أفضل.

وحين أراد الفلاحون معالجة مشكلة الملوحة في الأرض الزراعية الواقعة على نهر الفرات من خلال حفر القنوات بين نهري دجلة والفرات أصبحت الأمور أفضل نسبيًّا لوقت قصير ثم سرعان ما عادت الملوحة بسرعة أكبر بسبب امتصاص الأرض للمياه من جهة وتبخرها من جهة أخرى وطغيان الأملاح على سطح الأرض، وهو ما أدّى إلى تدمير محصول الشعير الذي كان يقاوم نسبيًّا الملوحة القليلة.

وهكذا استفحلت مشكلة الملوحة في السهل الرسوبي وهجرة الأراضي الزراعية القديمة التي كانت تسقى بمياه دجلة والفرات ولجأ الفلاحون إلى أرض بكر لم تسقَ سابقاً لضمان عدم وجود أملاح الأنهار فيها.

ومع ذلك ظلت المشكلة تتفاقم أكثر وهو السبب المباشر المهم في انتقال الحضارة من جنوب الرافدين إلى وسطه (بابل) ثم أعلاه (آشور).

2. الريّ: تحولت قنوات الريّ الطويلة إلى أماكن لتجمع الغرين ونشوء طبقات من الطين التي تمنع الريّ المنساب وتعرقل نموّ الزراعة.

أصبحت نظم الريّ السومرية، مع تقادم الزمن، نظماً قديمة لم تعد تصلح بتقنياتها وأدواتها القديمة للحاجات المتوسعة والجديدة في نظام الريّ، وهكذا كان الريّ في العراق القديم، بعد سقوط بابل، آيلاً إلى الانهيار الشامل لولا وجود تحسينات طفيفة فيه هنا وهناك.

3. إدارة الدولة للأراضي الزراعية: مثّل التنافس بين المعبد والقصر نموذجاً لفكرة الإقطاع الزراعي المزدوج الذي قيد المواطنين وجعلهم يدورون بين رحى الدين والسياسة.

بقدر ما كانت بلاد سومر زراعية من الطراز الأول لكنها كانت تخلو من الصخور والمعادن والأحجار والأخشاب الضرورية جدًّا في العمران الحضريّ، ولذلك كانت تستورده من المدن والمناطق التي حولها، فقد كانت تقايضه بمنتجاتها الزراعية وصناعاتها الحرفية. ومن هنا جاء انتشار الحضارة السومرية إلى ما حولها. فضلاً عن ما قام به لوكال زاكيزي أو ملوك سلالة أور الثالثة من توسع عسكريّ خارج بلاد النهرين.

نجد لزاماً علينا هنا أن نصحح المغالطة الكبرى التي نفت عن العالم القديم كلّه لغاية الليديين في آسيا الصغرى ونسبت إليهم اختراع العملة النقدية، فقد وجدنا ما يشير بوضوح إلى العملة السومرية بمختلف أشكالها وقيمها كالشيقل والمن وهي عملات فضية ذات وزن معين، بل ومنقوشة برسوم محددة، فضلاً عن الأنواع الأخرى للعملة. ولا شك أنّ التقايض كان يتمّ بهذه العملة ومن خلالها رغم وجود المقايضة المباشرة أيضاً، فالشرائع السومرية تشير بوضوح إلى غرامات مالية بقدر محدد من الشيقل والمن من الفضة، وهي عملات سومرية. فالعملة والمقايضة هنا أيضاً مفردتان متضادتان لعبتا دوراً هامًّا في اقتصاد سومر.

كل هذه الأضداد المتصارعة لعبت دوراً في دفع المجتمع وحضارته من ناحية وفي التسليم بانتصار الأطراف السلبية حين يكون وضع هذه الحضارة، سياسيًّا، في حالة تردٍّ وخراب. وبالقدر الذي لعبت فيه العناصر الإيجابية (تراجع العبودية)، الخصوبة، الريّ، العملة، التجارة) الدور الهام في عظمة الحضارة السومرية وارتفاع شأنها، فقد لعبت العناصر السلبية الدور الهام أيضاً في زوالها وهبوطها، وهذه هي سنّة الحضارات القديمة كلها.

4. الأضداد الدينية:

لا بدّ من القول إن الحضارة السومرية أسست لنمط الحضارات القديمة نوعاً محدداً هو ما نطلق عليه بالحضارات القومية الدينية أو حضارات الأديان القومية، فقد حفل التاريخ بالكثير من هذه الحضارات التي امتدت من أول حضارة قديمة هي الحضارة السومرية إلى آخر حضارة قديمة

هي الحضارة الرومانية، وقد ظهر بينهما الكثير من حضارات الشرق والغرب القديمة بهذا الطابع (القومي الديني).

المقصود بالحضارة الدينية قوميًّا هو أنّ هناك ديناً محدداً هو الذي جمع حوله شعباً محدداً آمن به وترسخ ذلك مع وجود لغةٍ محددة وثقافة محددة تضافرت كلها لتكوّن تلك الحضارة. وكان الإله القومي للحضارة هو الرمز الذي تجتمع حوله كل هذه العناصر.

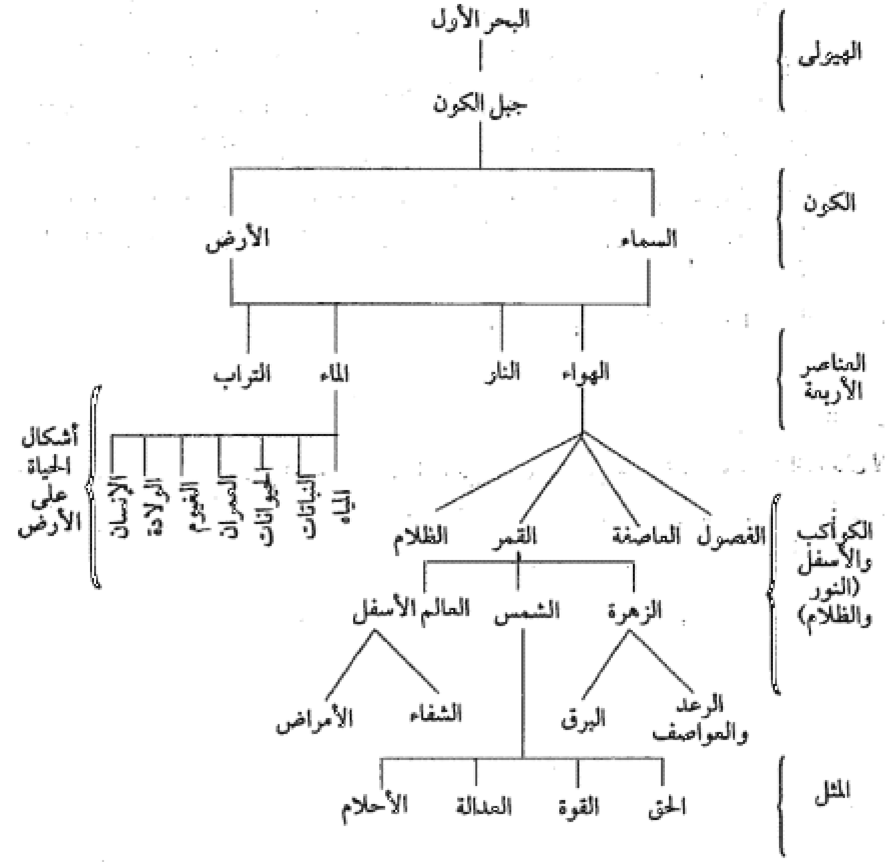
كان الإله (إنليل) هو الإله القومي للحضارة السومرية ويتضح من النصوص الدينية أنه كان (إله الهواء) وهو الإله الخالق للعالم، لكن الأساطير السومرية لا تجرؤ أن تنفي دور الإله (إنكي) إله الماء في خلق الإنسان وكأنها بذلك تشير إلى ماضٍ، ربما لشعب آخر، كان فيه الإله إنكي هو الإله القومي.

قد يبدو هذا صحيحاً لكنه ليس بهذا الشكل، فالإله إنكي هو الاسم السومري لإله الماء والأرض (إيا) السامي الذي نرى أنه كان الإله القومي لحضارة سابقة على سومر كانت عاصمتها هي (أريدو) حيث عبده أقوام ساميون منذ حوالي 5000 ق. م.

ومع ذلك يظهر التنافس واضحاً بين الإلهين (إنليل) و(إنكي) ويظهر واضحاً، أيضاً، ذلك الجهد الذي بذله كهنة إنليل لتعزيز دوره في نيبور وبقية سومر كلها.

الأساطير السومرية، من وجهة نظرنا، هي مخزن العقائد الدينية السومرية وهي التي ترتبط بالطقوس والشعائر السومرية بقوة، وهي أيضاً تمثل النضج الوجداني الأهم لشعب سومر وهو يصوغ حكايات الآلهة النازحة نحوه منذ عصور النيوليت القديمة.

كانت الآلهة السومرية تعبيراً عن مظاهر الطبيعة فهي غارقة في مادة الطبيعة وتعكس حقيقتها هذا الأمر، ولو أننا حوّلنا جدول أنساب الآلهة السومرية من أسمائها المعروفة إلى مداليلها ومعانيها الوظيفية لتكوّن لدينا تسلسل فريد عن التطور الطبيعي والحيوي للطبيعة ولشاهدنا بوضوح العمق الفيزيائي والبايولوجي لها، وهو ما نراه واضحاً في هذا المخطط الذي وضعناه لهذا الغرض على ضوء شجرة الآلهة السومرية التي ذكرناها وقت مناقشتنا لميثولوجيا سومر:



العمق الفيزيائي والبايولوجي لبانثيون الآلهة السومرية وشجرتها

الهيولى الأولى أنتجت الكون الذي كان غير مميز إلى سماء وأرض، ثم ظهر الهواء الذي فصل بين الأرض والسماء ونتج عن ذلك أيضاً ظهور المياه على الأرض باعتبارها المادة الذكورية السماوية.

وبذلك ظهرت العناصر الأربعة (الهواء والنار والتراب والماء) من السماء والأرض وسيطر على الكون بشكل أساس عنصر الهواء ومعه النار ونتج عنه عوالم الكواكب والظلام.

أما الأرض فسيطر عليها عنصر الماء الذي ظهرت منه أشكال الحياة بمختلف ألوانها النباتية والحيوانية والبشرية ثم ظهرت أدوات ونواميس العمران على الأرض.

إن ما تدفع به الطبيعة من كوراث وفيضانات وزلازل وعواصف وأمراض سببها سلالة إنليل وإن ما تحاول أن تصلحه الطبيعة وتحييه وتصد الكوارث عنه صار من حصة سلالة إنكي.

ولا نشك اليوم أنّ صراع إنليل وإنكي هو ذاته صراع قابيل وهابيل الذي دوّنه كتبة التوراة وهم في بابل.

إذا صحّ تقسيمنا للدين كجامع لشطرين كبيرين هما (الميثولوجيا والإسكاتولوجيا) حيث تهتمّ الميثولوجيا أساساً بأساطير الخليقة والعمران وتهتمّ الإسكاتولوجيا بأساطير الخراب والموت (النهاية)، فلا شك أنّ السومريين قدموا نموذجاً فذّاً في هذين الحقلين. لكنّ ميلهم كان واضحاً للميثولوجيا وأساطير الخليقة، بينما اهتمّ المصريون بالإسكاتولوجيا وأساطير الموت.

حاول السومريون البحث عن الخلود في الحياة قبل الموت واعترفوا بفشلهم باستثناء حالة واحدة جعلت من زيو سدرا (أوتونابشتم أو أترحاسس بالأكدية) خالداً ونفوه إلى جزيرة دلمون باعتبارها الجنّة الإلهية.

أما المصريون فقد بحثوا عن الخلود بعد الموت ولم يعترفوا بفشلهم (رغم أنّ المومياءات كانت ترقد متعفنة متيبسةً في قبورهم) وأنشؤوا نظاماً آخرويًّا كاملاً يحكم فيه الفرعون أيضاً شعبه الميت/ الحي في العالم الآخر.

وبين هواجس الميثولوجيا والإسكاتولوجيا عاش السومريون وهم يرسمون ماضي العالم (العود الأبدي) ومستقبله (الإسكاتولوجي)، وكانوا أكثر واقعيةً من الكثير من الشعوب في التعامل مع العالم الفيزيقي الذي هم فيه رغم الهالة الميتافيزيقية التي أحاطوه بها من أجل استيعاب وتحمّل ثقله وأبعاده اللانهائية.

كان الدين السومري مهتمًّا بالخصب بسبب من طبيعة سومر الزراعية ونشوء عبادة دموزي وإنانا الداعية إلى الخصب والتكاثر، وكان هذا هو مسرى العبادة الشعبية للناس فيها بشكل عام، لكن الكهنة والسلطة كان لها مسرًى آخر تمثّل في عبادة إنليل (إله الهواء) والسلطة والقوة ومثلت هذه العبادة الوجه الرسمي للدين.

ولأن عبادة دموزي تمتد بجذورها إلى عبادة الإله إنكي (إله الماء) فقد ظهر هذا النبض واضحاً في العبادة الشعبية، وهكذا وجدنا أنّ هناك صراعاً خفيًّا بين إلهي الماء والهواء (إنكي وإنليل) وبين اتجاهين شعبي ورسمي في الديانة السومرية.

ومع ازدياد توسع السلطة السومرية أصبح الميل قويًّا باتجاه إنليل، لكن أور العاصمة السياسية الجديدة أرادت نقل المحور الديني لها من نيبور المحتفية بإنليل، ولذلك جعلت أور من الإله (نانا، سوين) إله القمر ابن إنليل هو أساس العبادة السومرية الجديد كنوع من التوافق بين التيارين المائي والهوائي في عقائدهما، لأن الإله (نانا) كان يعطي انطباعاً خصيباً أفضل من الابن الآخر لإنليل وهو (ننورتا)، وكذلك يمثل القمر أباً لإنانا (الحب والجنس) و(أوتو) الشمس.

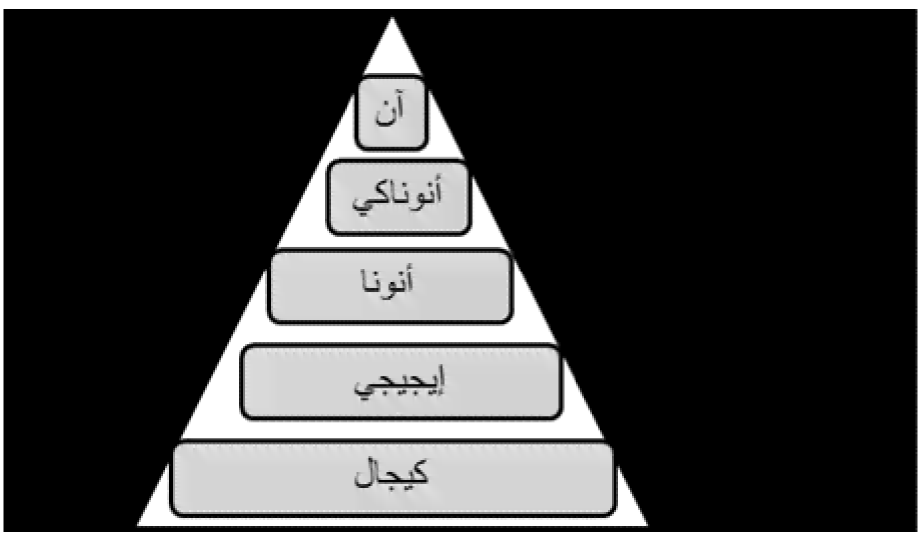
كل هذه التجاذبات كانت صدًى للصراع الشمسي القمريّ في العبادة السومرية والتي تمتد لجذور ما قبل تاريخية (نيوليت/ كالكوليت) في وادي الرافدين. وتعطينا الديانة السومرية انطباعاً آخر في غاية الأهمية حول العلاقة بين نزعات التعدد والتفريد والتوحيد فيها، فبالرغم من التعدد الإلهي الغالب عليها، لكن مركزية إنليل أو إنكي تعطي انطباعاً بالتفريد (وهو إعلاء شأن إله على بقية الآلهة) وهو ما سيؤسس لمردوخ في البابلية وآشور في الآشورية. ولكن التوحيد يتجلى هو الآخر في عبادة الإله (آن) إله السماء الذي هو بمثابة أب لكل من (إنليل وإنكي)، بل هو أب للآلهة الثلاثة الأخرى وهو يمثل الجذر الأبوي الناريّ للعناصر الثلاثة فهو بمثابة إله النار السماوية قياساً إلى (إنليل، إنكي، كي) وهي (الهواء، الماء، التراب). وهذا في حدّ ذاته يمثل بذرة لاهوتية هامة جدًّا للعبادات الثنوية التي ستظهر في محيط الرافدين وخصوصاً عند الفرس والزرادشتية، لأن مضاد (آن) هو الظلام والعالم الأسفل وهكذا تكون الديانة السومرية قد حملت بذرة الصراع بين النور والظلام. ليس هذا فقط، بل إن (آن) الذي نشير له بالرمز الشعاعي الثماني الذي هو رمز أيّ إله (دنجر) كان لا بدّ وضعه أمام اسم أيّ إله آخر فكأنه كان يعبّر عن فكرة الألوهية كلّها.

العدد الرمزي للإله (آن) هو (60) ويمثل بعلامة مسمار واحد عمودي، في الكتابة المسمارية () لكن العدد الرمزي للإنسان هو واحد (1) ويمثل بعلامة مسمار واحد عمودي أيضاً () أصغر حجماً. وقد نستنتج من هذا أنّ الإله موجود في الإنسان كطاقة روحية لا حدود لها. ونجد مصداقيةً لتفسيرنا هذا في المثل السومري الذي يقول عن المريض (إلهه تركَ جسده... إلهته تخلت عنه)، وهذا يعني أنّ الإله داخل وخارج الإنسان، في الوقت نفسه، وهو ما ستمثله التيارات الغنوصية التي ترى أنّ العرفان هو معرفة الإله الذي في داخلنا أي التأمل في أصل الروح ذات المصدر الإلهي... وهو مبدأ الغنوصية الأول.

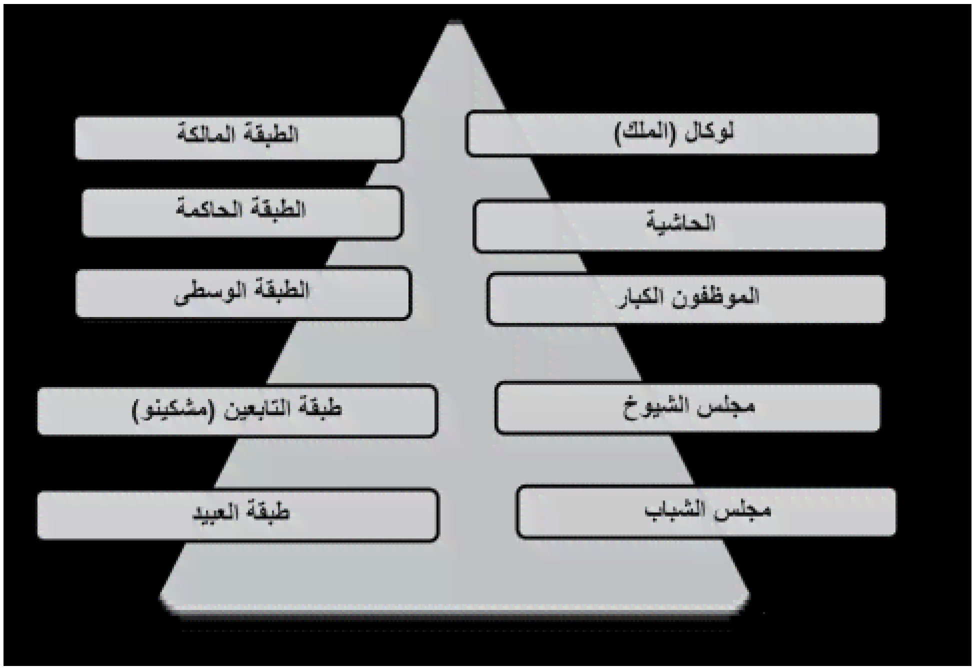
إن التسلسل الهرمي الذي يبدأ من أعلى الآلهة بالإله (آن) يتدرج إلى آلهة الأنوناكي السبعة ثم آلهة الـ(أنونا) الخمسين ثم آلهة الإيجيجي (وهي الآلهة الصغيرة في الأرض) ثم إلى آلهة العالم الأسفل (كيجال).

هذه المراتب الإلهية لعبت دوراً كبيراً في بنية الدين، بل وفي بنية التكوين السياسي والاجتماعي، فهي تناظر البنية السياسية والطبقية للمجتمع السومري والمكونة من خمس طبقات أيضاً تبدو وكأنها تشبه الطبقات الخمس للآلهة في وظائفها وتكوينها.

ولا شك أنّ الصراع بين الآلهة لعب دوراً مهمًّا في تعدد اتجاهات الدين السومري وزيادة توجهه نحو المركزية، وهو ما حصل في الطبقات الاجتماعية التي اتجهت نحو المزيد من مركزية الحكم وترسيخ العبودية رغم ما نلحظه من مكتسبات اجتماعية تجسدها الشرائع والأحداث التاريخية.



التدرج الهرمي للآلهة السومرية



تناظر التدرج الهرمي السياسي والاجتماعي في سومر مع التدرج الهرمي للآلهة السومرية أعلاه

تبدو متلازمة الخصب والقحط واضحة في الفكر الديني السومري فهي بالقدر الذي تربط طرفيها المتناقضين تارةً لكنها تجعل منهما قوة متماسكةً في الجانب الحضاريّ الذي تتغلب فيه قوى الإبداع والخير والسلام على قوى الجمود والشر والحرب، وبذلك يشيع الخصب في المجتمع كانعكاسٍ للخصب الكوني الذي كان محور الفكر السومري.

وحدة الإخصاب الكوني في الفكر السومري

يمتاز التراث السومري، الروحي منه والمادي، بتجانس عميق في بنيته ونسيجه بسبب عفوية هذا التراث وتمثله لأعمق ما في خلجات الإنسان من رغبات وتطلعات وأسئلة ونوازع. وبسبب التصاقه الحميم بالطبيعة، وهذا متأتٍّ من أنّ الحضارة السومرية هي أول حضارة كبيرة أتت بعد اكتشاف الزراعة وزيادة ارتباط الإنسان بظواهرها (الماء، الهواء، المطر، التربة، النبات، الحيوان... إلخ) ونظرة بسيطة للأساطير والآلهة السومرية يوضّح ما ذهبنا إليه إذ تكاد جميع الآلهة السومرية تماثل الطبيعة أو تشتق منها، وفي الوقت نفسه ترمز لشيء معنوي أو روحي وهو ما

عنيناه بالتجانس أو الإيقاع المرهف والدقيق بين الجانبين الروحي والمادي وتلازمهما في أعمق صورة.

إن الكون السومري كون طبيعي مادي يسوده تجانس روحي عميق حيث نرى أنّ الآلهة عندما تغضب عليه فإنها تغضب على كل ما فيه ويسود التوتر أو الدمار جميع موجوداته، أي إنّها ترتبك جميعها وتصبح نوعاً من اللغط الكوني بعد أن كانت نوعاً من الإيقاع الكوني. ولننظر في هذه المقطوعة السومرية التي تصف ما حلّ بسومر نتيجة غضب الآلهة عليها:

«أن تدمر المدائن، وتدمر البيوت

أن تدمر الإصطبلات، وتباد حظائر الغنم

أن لا تقف ثيران (سومر) بعد الآن في إصطبلاتها

أن لا ترتع أغنامها بعد الآن في حظائرها

أن تجري أنهارها بماءٍ مرّ

أن تنبت حقولها المحروثة أعشاباً ضارة

أن لا تعنى الأم بأولادها

أن لا يقول الأب (آه يا زوجتي)

أن لا تبتهج الزوجة الشابة في حضن رجلها

أن لا يصبح الولد الصغير قويًّا (على) ركبته

أن لا تشدو المربية أغنيتها

أن تنبت كل ضفاف دجلة والفرات نباتاً يورث الأرض

أن لا يطأ أحدٌ الطرقات، ولا يسعى أحد إلى الدروب

أن تتحول مدائنها وقراها الوطيدة الأساس خراباً

أن تسلم رؤوس أهلها إلى السلاح

أن لا تحرث حقولها، ولا تغرس بذرة في ثراها

أن لا تعطي حظائرها قشدة جبناً ولا تسمّد أرضها

أن لا يدور الراعي قصب (شوكو) في حظيرة الغنم المباركة

أن لا تدوي همهمة خضة اللبن في حظيرة الغنم

أن لا يقل عدد الماشية الكبيرة والصغيرة في السهوب

ويأتي جميع المخلوقات الحيّة إلى نهايتها

أن لا تزرع المخلوقات من ذوات الأربع سماداً في تربة سومرجان

أن تنبت السباخ قصباً مريض الرأس، ويأتي إلى نهايته بالنتن

أن لا ينبت شيء في الكروم والبساتين وأن تتلف جميعها

هكذا قدّر آن إنليل وننخرساج». (كريمر 1986: 71).

وهكذا نرى أنّ الآلهة عندما تخلت عن سومر حصل اضطراب في جميع أركانها ووظائفها... وتعطلت الحياة والإخصاب فيها، فالطبيعة أصبحت مجدبة والزرع لا ينمو والحيوانات لا تتكاثر والإنسان كذلك. ويمكننا أن نعكس الأمر ونرى كيف أنّ سبب هذا الإيقاع الكوني للعالم وموجوداته هو من صنع الآلهة وبسببها فهي الموسيقى الكونية التي تتخلل الأشياء وتحدث فيها الانسجام، وسيكون الخصب والبناء والنماء أبجديات سلم هذه الموسيقى، كما نرى في هذه الترنيمة المرفوعة للإله إنليل:

«بدون إنليل، الجبل العظيم،

لا المدائن شيدت، ولا المقار أسست

لا الإصطبلات شيدت، ولا حظائر الغنم أقيمت

ولا الأنهار، مياهها العالية، جلبت الفيض

ولا البحر أعطانا مختاراً كنوزه الوفيرة

ولا سمك البحر وضع بيضه في الأحواض

ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الأرض الرحيبة

لا الغيوم المحملة بالغيث في السماء فتحت أفواهها

ولا الحقول والمروج امتلأت بالحبّ الكثير

ولا الأعشاب والحشائش في السهوب نبتت

ولا أشجار (الجبل) الكبيرة في البستان حملت ثمارها

ولا البقرة ولدت حملها في الحظيرة

ولا الجموع الغفيرة من بني البشر اضطجعت آمنة

ولا البهيمة من ذوات الأربع ولدت صغارها

ولا رغبت في التناسل». (كريمر 1986: 81).

في هذين النموذجين يمكننا أن نرى متلازمات الدمار والقحط في مواجهة متلازمات الخصب والإعمار أو كما تسمى (الصيانة والتدمير) وعلى جميع المستويات الطبيعية (كالمياه والأرض) والزراعة (الحقول والبساتين) والحيوان (الاصطبلات والحظائر) والبشر (الأم وأولادها والزوجة وزوجها) وينتقل الوصف بينها دون عناء فهي جميعاً تمثل دمار الحياة وخرابها أو إخصابها وإعمارها.

ويحق لنا أن نتساءل من أين يأتي هذا الإخصاب؟

(الماء، الزرع، الحيوان، الإنسان). ما هو تحديداً هذا الإخصاب؟

هل هو مادي أم معنوي؟ ومن أين يأتي وكيف يشيع في الكون ويعطيه الانسجام؟

نرى أنّ سرّ الإخصاب تحول من عصر لعصر ولم يكن واحداً في جميع العصور. فقد كان سرّ الإخصاب عند اكتشاف الزراعة في العصر الحجريّ الحديث هو الأرض أو التراب، ولذلك كانت الإلهة الكبرى الوحيدة هي الإلهة الأم.

أما في العصر الحجريّ المعدني (الكالكوليت) فقد كان الانتباه إلى السماء كإله ذكر مقابل الإلهة الأنثى، ولذلك كان الإله آن إله السماء هو سرّ الإخصاب وكانت قوة السماء هي السبب في ذلك، وكان المطر بمثابة (مني السماء). وفي العصر الحجريّ المعدني إبان حصول الانقلاب الذكوريّ أصبح المطر النازل من السماء والذي يحمله الهواء هو سرّ الإخصاب فصار الهواء هو المحرك للغيوم التي تمطر وتحولت الأنظار إلى إله الهواء إنليل.

وما إن تمكن الإنسان من السيطرة على الإرواء بهندسة الريّ حتى صار الماء بحد ذاته هو سبب الإخصاب وصار الإله إنكي مسؤولاً عن ذلك. ثم ورث دموزي (ابن إنكي) صفة الإخصاب عن أبيه وصار يمثل قوة الإخصاب المندفعة في النباتات والنخيل والأرحام وأثداء الأمهات وهكذا.

لكنّ الحضارة السومرية اهتدت لفكرة خاصة وغريبة عندما أوكلت لإنليل سرّ الإخصاب وهي أنّ إنليل لا يلقح مثل (آن) الأشياء بالمطر، بل بـ (الكلمة) فهو يخلق المخلوقات بـ(الكلمة) التي هي بمثابة (مني إنليل). ولنقرأ هذا المقطع من قصيدة سومرية:

«تقارب السماء... فيكون الفيض

من السماء يصدر الفيض إلى الأرض

تلامس السماء... فتكون الوفرة

من الأرض تصدر براعم الخصب

حكمتك – الزرع، كلمتك هي الحبوب

كلمتكَ – هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد». (كريمر 1986: 81).

(كلمة إنليل) إذن هي سرّ هذا الإخصاب، وهذه (الكلمة) تقابل (الماء) و(حياة) جميع البلاد. فالكلمة إذن هي الحياة بمعنى أنّ الكلمة هي الإخصاب. وفي قصيدة أخرى عن إنكي (إله الماء

والحكمة) نقرأ هذا المقطع:

«عندما رفع الأب إنكي (عينه) على نهر الفرات

وقف بخيلاء كالثور الهائج

رفع قضيبه، وقذف المني

فملأ دجلة بالماء الرقراق

البقرة البرية تخور من أجل صغارها في المراعي

العقرب غزت الإسطبل.

استسلم له دجلة كما لثور هائج

رفع قضيبه ومعه هدية الزفاف

جاء بالفرح إلى دجلة مثل ثور بريّ كبير عند الإخصاب

الماء الذي جاء به ماء رقراق، نبيذه حلو المذاق

الحبوب التي جاء بها حبوبه الغنية، يأكلها الناس

ملأ إيكور بيت إنليل بالمقتنيات

بـ(إنكي) إنليل يبتهج وتُسرّ نيبور». (كريمر 1986: 82).

وفي هذه القصيدة اختلف الأمر وأصبحت قوة الإخصاب هي (مني إنكي) وهذا المني يضعه الإله إنكي في مياه دجلة والفرات. أصبح إذن هناك أمران: قوة الإخصاب في (كلمة) الإله إنليل و(مني) إنكي، وهذا يعني أنّ قوة الإخصاب في (كلمة ومني) الآلهة. وهنا تتحد القوة الروحية المعنوية (الكلمة) بالقوة المادية الجنسية (المني) أي إن روح الإله وبذرته شيء واحد، أو إن بذرته التي تحمل روحه هي التي تجعل الكون مخصباً متفتحاً ويسري فيه هذا النغم الحيّ العميق للحياة.

الإخصاب إذن مصدره إلهي... وتصبح هذه النتيجة هي المصدر أو الخلفية التي تصدر عنها فكرة تلازم الإخصاب الجنسي والزراعي في سومر ثم تلازم طقوسهما الذي سنراه على أوضح ما يكون في طقس الزواج المقدس.

تكاد الديانة السومرية في الكثير من جوانبها تكون ديانة طبيعية رغم مكنونها الروحي. فالسومريون «من الجانب الروحي قد طوروا ونظموا علماً كونيًّا (كوسمولوجياً) ولاهوتيًّا (ثيولوجيًّا) ينطوي على درجة عالية من الإيمان العقلي والأداء العاطفي العميق، مما جعل من تلك العقيدة والدغماطيقا الأساسيتين لكثير من بلدان الشرق الأدنى القديم. من هذه الوثائق أمكننا أن نعلم أنّ السومريين كانوا يؤمنون بأن العالم قد خلقه ويدير شؤونه آلهة يعملون مجتمعين برئاسة أربعة من الآلهة الخالقة هي آلهة السماء والأرض والهواء والبحر... أي الآلهة المكلفة بالعناصر الرئيسة الأربعة التي يتألف منها الكون». (كريمر 1986: 88).

5. الأضداد الثقافية:

كان التوافق مذهلاً بين اللغة السومرية والكتابة السومرية، فقد كانت اللغة السومرية لغةً مقطعية وكذلك نشأت الكتابة السومرية (المسمارية) على شكلها مقطعية وهو ما يفسر استحالة نشوء الكتابة الأبجدية في وادي الرافدين مبكراً أو كأول شكل للكتابة، لأن السومريين عكسوا طبيعة لغتهم في كتابتهم، لكن ذلك شكّل صعوبةً بالغةً لمن أتوا بعدهم من الساميين فتبنوا المسمارية المقطعية في الكتابة لتدوين لغتهم الأبجدية، وهو ما ساهم في صعوبة التعبير وتقييد الفكر، ولم يُصر إلى حلّ حقيقي إلّا مع ظهور الكتابة الآرامية في وادي الرافدين والتي أصبحت تدريجيًّا الكتابة السائدة، وخصوصاً بعد سقوط بابل عام 539 ق. م حيث انتعشت الآرامية لغةً وكتابة ليس في وادي الرافدين فقط، بل في كل العالم الشرقي القديم باعتبارها أداة تفاهم بين الشعوب آنذاك.

رغم أنّ الكتابة السومرية أدّت ما عليها إلّا أنها كانت صعبة التدوين بالنسبة لعامة الناس لكن هذا لم يمنع شعوباً كثيرة حولها للأخذ بها كالعيلاميين والحيثيين، بل وصلت إلى الصين وكان لها أثر في تشكيل الكتابة الصينية.

دوّن السومريون أساطيرهم وديانتهم وأخبارهم وأدبهم بالكتابة المسمارية وأسسوا لهذه الحقول ووضعوا أجناس أدبهم التي صارت أجناس العالم القديم الأدبية، وكان الأدب الديني (كالا)

أكثر اتسَّاعا من الأدب الدنيوي (نار)، فالأساطير كانت أكثر تطوراً من مقابلتها الدنيوية أي الملاحم. فلم تصلنا ملاحم كبرى مثل ملحمة كلكامش التي ستصاغ مع العصر البابلي القديم بدايةً، بل وصلتنا قصص وسير بعض الملوك السومريين. أما الأدب الحواريّ فقد كان أنضج من الأدب الطقسي وكذلك طغت على الأدب الغنائي ثم الأخلاقي مسحة دينية.

كان الأدب الدنيوي ما زال أسيراً للنزعة الدينية وهذا أمرٌ طبيعي لأن النوعين الديني والدنيوي كانا بيد الكهنة رغم نزعتيهما المختلفتين.

هذا التضاد بينهما أنتج ألواناً وأنواعاً وأجناساً أدبية راقية ستكون بذرة الآداب لشعوب العالم القديم، لكن هذا لا يخفي نبرة الصراع بين الدين والدنيا في الأدب وهو ما سيتضح بوضوح في العصور اللاحقة.

الأدب الحواريّ السومري لم ينتج مسرحاً كما حصل مع الإغريق لأن الجو الديني السومري كان عالياً وما زال الطريق إلى المسرح طويلاً، فالطقوس الدرامية المصاحبة للشعائر الدينية مثل احتفالات رأس السنة لم تتحول بعد إلى تقليد مسرحي ينمو داخل المجتمع المدني. حتى الأدب الغنائي ما زال بعيداً عن تناول أغوار الذات والعاطفة الخاصة لأن كل ذلك ما زال له علاقة بالآلهة وبما هو موضوعي.

كانت الحكمة تنمو عبر القصص والأمثال والوصايا ونصوص السخرية وفكاهة الحيوان ولم تتحول الحكمة إلى فن (حب الحكمة) ونعني بها (الفلسفة) التي دشنّها الإغريق بأفضل صورها، وسبب هذا في رأينا متأتٍّ من أنّ هيمنة الأساطير كانت ما زالت قوية بحيث لم ينفصل منها نظرٌ عقليّ متماسك يؤدي إلى التأمل خارج الخوارق وأسماء الآلهة.

ميزة الفكر السومري عبر نصوص الأدب والحكمة كانت هي الواقعية والتناول المرتبط بالطبيعة، ولم نصل بعد إلى أنظمة فكرية كبرى خارج الدين فنحن مع أول حضارة كانت تتلمس، بالكاد، طريقها تحت أجنحة الظلام الموروثة من عصور ما قبل التاريخ.

6. الأضداد الفنية:

لعلّ الفن، وبشكل خاص الفن التشكيلي، هو الذي يؤشر بقوة هشاشة البقاء المادي لآثار سومر، رغم روحها الخالدة العالية الغاية. لا نختلف اليوم أنّ أعظم اختراع سومري كان هو ألواح الطين في الكتابة التي ظلت باقيةً إلى يومنا هذا وستبقى، فلو كان السومريون قد كتبوا على الخشب أو الجلد أو حتى المعدن أو الورق لزال تراثهم نهائيًّا بسبب تقادم الزمن وتآكل هذه المواد بسبب مناخ العراق وعدم دفنهم لتراثهم في المقابر كما حصل في وادي النيل، لكنهم كتبوا على الطين (كما يقول إدوارد كييرا) وكان هذا أعظم ما فعلوه.

الطين هو الذي أنقذ كتاباتهم وبعض تراثهم الفني، لكن الفن كان يحتاج مواد أخرى كالحجر والصخر والألوان والمعادن، وقد وضعوا فنهم في هذه المواد رغم قلّته. الطين يشتغل بامتياز مع الكتابة لكنه أقل من ذلك مع الفن.

انهارت عمارة السومريين الطينية ولم يبقَ منها إلّا شواخص قليلة، ودُرست البيوت والقصور والمعابد لأنها من الطين. التضاد كان واضحاً بين العمارة التي تحتاج إلى القوة والصلابة والعلوّ وبين الطين الذي ينهار ويندثر بسرعة ويتساوى مع التراب (أصله)... ولذلك ضاعت شواهق سومر الدينية والمدنية.

هذا التضاد بين العمارة والنحت من جهة والطين من جهة لم يكن في صالح الحضارة السومرية، خصوصاً أنها لم تعتنِ، إلّا فيما ندر، بحفظ الآثار في القبور (كما جرى في الحضارة المصرية).

ربما كانت الأختام الأسطوانية واحدة من أعظم اختراعات السومريين لأنها تحتاج القليل من الصخر الصلد والكثير من الطين لكي تنطبع عليه صور ما تحويه. فهي حلٌّ مناسبٌ لبيئتهم وهذا ما يدلل على عبقرية إنجازهم هذا.

الرسم هو الآخر كان ضعيفاً جدًّا وربما هو أضعف حلقات الفن السومري لأنه كان يحتاج إلى الألوان والجدران والعدد الأخرى، ولذلك لم يصلنا الكثير منه وبقيت (راية أور) أو (ثابت أور) أهم معلمٍ للرسم التشكيلي السومري.

كلّ هذه التضادات أنتجت جدلاً مبدعاً عالياً من ناحيةٍ وهبوطاً بطيئاً نحو الأزمة التي أدّت بالحضارة السومرية إلى طريق شبه مسدود، وهو ما جعل الأقوام التي أحاطت بهم تتعلم لاحقاً نوعاً

آخر من التوازن الحضاري. لكن الحضارة السومرية انفردت بأنها التي صنعت كلّ البذور وقدمت للبشرية أثمن ما ملكت: الكتابة والخصب والجمال والتوازن والإيمان.

المبحث الخامس: المنجزات المتفردة للحضارة السومرية
(الاختراعات والاكتشافات التي تنفرد بها وسبقت بها غيرها)

لا شك أنّ سومر اخترعت أغلب مقومات الحضارة الرئيسة في كل المجالات بحكم قدمها العريق، ولا شك أنّ هناك مفردات كثيرة قامت الحضارات الأخرى باختراعها، وقد مرّ بنا الكثير من المنجزات الأصيلة التي انفردت الحضارة السومرية بإنجازها، سنوجزها أهمها، مجتمعة هنا، ولكن شروحها المفصلّة موجودة في تضاعيف الكتاب يرجى العودة لها ومعرفة الكثير عنها:

1. الكتابة والنصوص الأولى في تأريخ البشرية:

كانت الكتابة هي المفصل والوسيلة التي انتقلت بها عصور ما قبل التأريخ إلى العصور التأريخية، فقد تمّ تطوير الكتابة المسمارية بين 3500 و3000 قبل الميلاد وتحديداً في 3200 ق. م في أوروك، من قبل السومريين. كان هذا النمط من الكتابة على شكل إسفين (مسمار). تمّ استخدام القلم القصبي المثلث الرأس لإنتاج شخصيات وتصويرات مختلفة على قطع أو ألواحٍ من طين الناعم الذي كان يُفخر بعد الكتابة عليه. وكانت بداية الكتابة صورية بسيطة ثم بدأت تظهر النصوص القصيرة الاقتصادية منها بشكل خاص، أما أول النصوص الأدبية والدينية فقد ظهرت في حدود 2600 ق. م.

واستمر استخدام ذلك من قبل أحفاد السومريين مثل البابليين والآشوريين والأكديين بأسلوب الكتابة المسمارية من أجل الاحتفاظ بالسجلات المعبدية والملكية. لقد بدأ السومريون باستخدام مسمارية تصويرية معروفة باسم بروتو- مسمارية التي أصبحت فيما بعد أكثر تعقيداً. وكانت الرموز المستخدمة كثيرة للغاية في بداية الكتابة، وبحلول عام 3000 قبل الميلاد، أصبحت تمثيلاتها أكثر بساطة. وأصبحت العلامات تنقل فكرة الكلمات بدلاً من طبيعتها الإشارية. كان هناك أيضاً

انخفاض في عدد الأحرف من 1000 إلى 600. وبهذا التخفيض، أصبح الأسلوب أكثر لفظية. في الكتابة المسمارية القديمة، كان اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، وبالتدريج تمّ إدخال قلم ذي إسفين والذي أعطى ضربات أوضح. استخدم الناس النص لأكثر من ثلاثة آلاف من السنين حتى استبدله شكل أبجدي مع الأوغاريتيين ثم الفينيقيين بشكل خاص.

2. النظام الستيني في الرياضيات وتطبيقاته في نظام الوقت والفلك:

كان السومريون أول من قام بتطوير مفهوم العد والأعداد وكتبوا لها رموزاً رياضية، وقد استخدموا الأعداد بتطوير مفهوم الوقت، وقسموا الوحدات الزمنية إلى 60 جزءاً، مما أدى في النهاية إلى 60 ثانية و60 دقيقة. وقاموا بتقسيم اليوم إلى 12 ساعة مضاعفة (24 ساعة)، واليوم يبدأ عندهم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم اللاحق. ورقم 12 هو ضعف الرقم 6، أي إن اليوم ينقسم إلى أربع وحدات متصلة اثنتان منها لليل واثنتان للنهار.

ساعد النظام الستيني على تطوير مفاهيم مثل الدائرة بزاوية 360 درجة و12 شهراً. وكان النظام العُشريّ مستخدماً أيضاً ضمن النظام الستيني، لكنه تطور وساد في زمن البابليين وأصبح النظام الستيني مقتصراً على الوقت والفلك والتنجيم.

أما الصفر فقد كان السومريون والبابليون لا يضعون له علامة، بل يتركون مكانه فارغاً وهو ما أضاع عليهم فرصة اختراع الصفر الذي قامت به الحضارة الهندية.

3. القوانين السومرية:

برع السومريون بوضع أول القوانين التي تنظم الحياة الاجتماعية في سومر، كانت قوانين أورنيمينا السومري من سلالة لجش هي أقدم القوانين والإصلاحات ثم جاءت قوانين أورنمّو التي دونت قوانين العقوبات وتحديد الجرائم، وكانت ذات نزعة إنسانية، ظهر ما يقرب من ست مدونات قانونية باللغة السومرية قبل ظهور قانون حمورابي البابلي.

4. نظام المَلَكية في سومر:

لا شك أنّ أول نظام ملكي كان في مدينة أريدو، وأول ملكٍ في أريدو كان (ألولم) ثم (ألالجار)، وهما اللذان تحولا إلى (آدم) و(شيث) في التوراة عبر طريقة ملتوية لوضعهما كرأس

سلالة البشرية الأولى التي ظهرت على الأرض، واستمرت الملكية في خمس مدن من خلال عشرة ملوكٍ، وكان أغلب الملوك يحملون أسماء سومرية قبل الطوفان.

أما بعد الطوفان فقد أطلق السومريون على بلادهم «أرض ذوي الرؤوس السوداء». وكان هؤلاء الأشخاص ذوو الرؤوس السوداء مسؤولين عن تطوير أول نظام حكم ملكي. فبعد أن كان الكهنة يحكمون الدول السومرية ظهر الملوك الذين يجمعون الصفتين الدينية والدنيوية، ثم ظهر الملوك المدنيون فقط والذين واصلوا حكم سومر حتى نهايتها. وقام جميع هؤلاء بتخصيص الحقول للناس بعد مسح الأرض وتوزيع الحصاد عليها. كما حكموا على النزاعات، ونظموا طقوساً دينية مهمة، وإدارة التجارة، وقادوا الجيش. رأى السومريون أنّ سلطة الملوك يجب أن تستند إلى الانتقاء الإلهي في بداية الأمر. وفي وقت لاحق بدؤوا يعتقدون أنّ الملك نفسه كان قوة إلهية يجب أن تعبد لكنه لم يتحول إلى إله إلّا في حدود ضيقة.

5. التخطيط الحضري:

بدأ سكان بلاد ما بين النهرين مفهوم التحضر والتخطيط الحضري، ولذا يطلق عليها، في كثير من الأحيان (مهد الحضارة). Civilization A Cradle of

فقد وضعت بلاد ما بين النهرين مفهوم التحضر. لأول مرة في التاريخ، فبعد اكتشاف الزراعة بدأ البشر في الاستقرار في البيوت وصار من الممكن إطعام المزيد من الناس والحيوانات التي تعيش في مكان واحد، وتعلم الناس المهن والتجارة، ونشأت المدن خلافاً للقرى، وتمّ تطوير مفهوم الضرائب.

صارت مدن سومر أولى مدن العالم التي تمّ بناؤها بالطوب (الطابوق الطيني) المجفف بالشمس. ثم بدأ التوسع الحضريّ في بلاد ما بين النهرين في فترة أوروك (3300 - 3100 قبل الميلاد)، وتمّ تنفيذ أكبر مستوطنة في تاريخ البشرية على الإطلاق، آنذاك، وبُنيت المباني الضخمة المبنية من الطوب حوالي 3200 قبل الميلاد. كانت أغلب المدن محاطة بأسوار ضخمة.

6. الأسلحة النحاسية والبرونزية:

وفقاً للسجلات القديمة، كان الشعب السومري هو الذي استخدم الأسلحة النحاسية لأول مرة، وقاموا باختراع الرماح والسيوف والسدود وآلات السقي والنواعير الرافعات. كانت المناجل شائعة الاستخدام في المعركة، ثم صنعت السيوف إلى جانب الرماح والفؤوس. وطوروا اختراع العجلة وصنعوا العربات العسكرية التي تجرها الحمير والبغال. ثم طوّر السومريون الصناعات البرونزية واستخدموها في صناعة الأسلحة والشؤون الحربية عموماً.

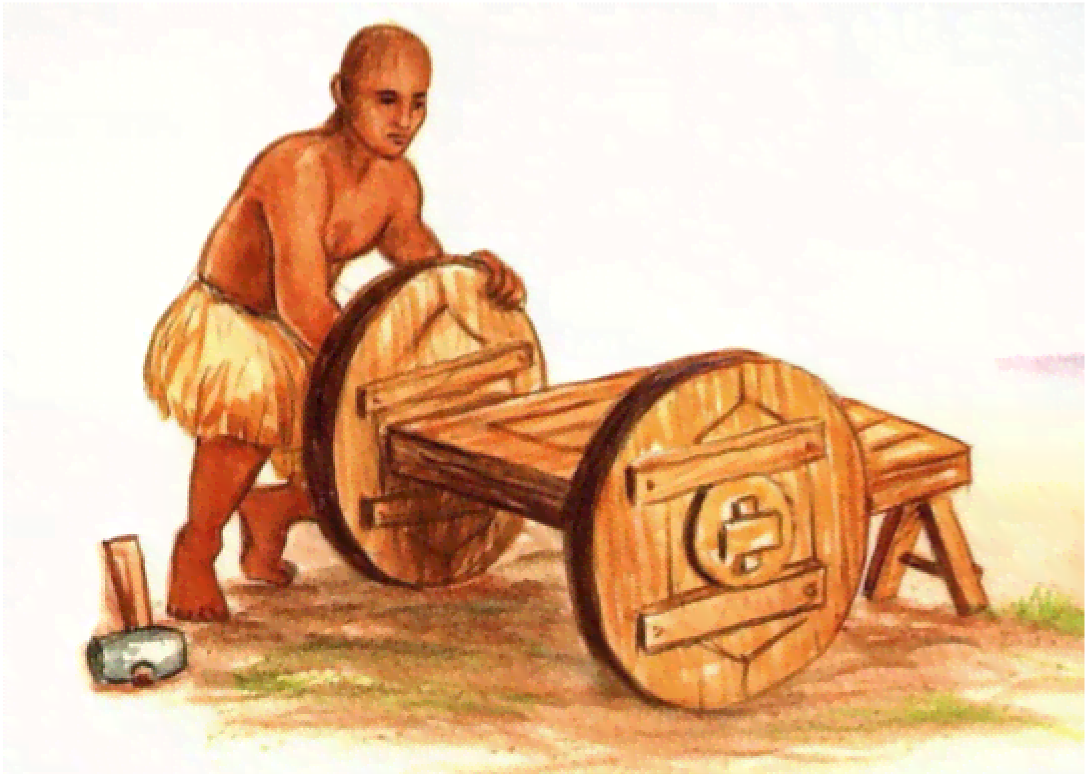
7. هندسة الريّ: Irrigation Engineering

بعد أن قام الفلاحون السومريون بزراعة القمح والشعير والخيار وغيرها من الأطعمة والخضروات المختلفة واخترعوا المجرفة والمحراث، قاموا بتدجين مياه الأنهار عن طريق الريّ وهندسته فأقامو السدود والخزّانات والجسور المائية وشق القنوات وجعلوا نهري دجلة والفرات وفروعهما وروافدهما وسيلة أسهل للزراعة وتطويعها. تعلم سكان بلاد ما بين النهرين التحكم في تدفق المياه من النهر واستخدموه لريّ المحاصيل. خلال موسم النمو الرئيس، تمّ تنظيم تدفق المياه بشكل صحيح. ووضعوا القوانين التي تُنظّم استعمال المياه وكمياتها وسمح لكل مزارع بكمية معينة من المياه التي تمّ تحويلها من قناة إلى خندق الريّ.

8. العجلات والعربات: and trolleys Wheels

اخترع العبيديون، قبل السومريين، العجلة والسفينة والشراع - ولم يتمّ استخدام تلك العجلة الأولى في النقل. بل استخدمت كعجلة لصناعة الفخار، وكان يُعتقد أنها كانت موجودة في حوالي عام 3500 قبل الميلاد. ثم استخدمت العجلة كشكل من وسائل النقل للأثرياء فقط، وكانت تستخدم أيضاً في الريّ وصناعة الفخار والطحن. ثم استخدمت العربات التي تجرها الحمير والبغال في الحروب.

بمرور الوقت، كانت المركبة أول وسيلة للنقل الشخصي، وقد استخدمت لسنوات في الحروب والرياضة والاستخدام العام. كان هيكل المركبات الأولى من الخشب الخفيف مع حافة الخشب. ظهرت أول عربة في حوالي عام 3200 قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين، وتمّ تبنيها من قبل كل حضارة تقريباً إلى أن ظهرت المواصلات الآلية. تمّ استخدام العربات بشكل أساسي للنقل الشخصي بواسطة الملوك والأثرياء.



بداية تطويع العجلة في المركبات البدائية

9. المراكب الشراعية Ancient Sailboat

اخترع العبيديون المراكب والأشرعة وكانت بدائية ومحدودة، لكن السومريين جعلوا من هذا الاختراع واقعاً عمليًّا منتشراً وطبيعيًّا، فقد كان النقل البريّ صعباً ويستغرق وقتاً طويلاً. فأدرك السومريون أنّ النقل عبر الأنهار والبحار سيكون أسهل بكثير وأكثر راحة. فطوروا القارب الأول واستخدموه كوسيلة نقل. وكانت المراكب الشراعية الأولى مصممة تصميماً بسيطاً وبدائيًّا وتساعد في التجارة وتستخدم في البداية لعبور الأنهار ولصيد الأسماك واستكشاف مناطق أخرى.

10. الخارطة: Map

تمّ اكتشاف أقدم خريطة في سومر لمدينة نيبور حوالي عام 2300 قبل الميلاد. الخرائط القديمة المستخدمة كانت عبارة عن رسومات بسيطة على ألواح من الطين. توضح إحدى الخرائط الطينية المكتشفة تغطي مساحة صغيرة وكانت تستخدم، في الغالب، كخريطة لمدينة للحملات العسكرية، والصيد، والتجارة.

11. الأختام الأسطوانية:

اختراعها كان فريداً من نوعه في الألف الرابع قبل الميلاد، ثم تطورت واستمرت وأصبحت تستعمل في أغراض مهمة كثيرة. أهمها أنها بمثابة الهوية للشخص، فكان الختم يحفر بثقب عبر الحجر بحيث يمكن ارتداؤه كقلادة أو دبوس. وغالباً ما كانت الأختام الأسطوانية مغطاة بغطاء معدني لحفظها. وكانت تمثل مالكها، وبدت من الوثائق المهمة، واستخدمت كتميمة واقية.

استخدم الكثير من الناس الأختام الأسطوانية: التجار، الجنود، الكتبة، الكهنة، الحرفيون، الطهاة، الخدم، الملوك وحتى العبيد الذين قاموا بأعمال تجارية لأصحابها. كانت تستخدم للتوقيع على صفقات تجارية، ولإظهار ملكية البضائع، ولتوقيع المعاهدات والخطابات وعقود الزواج. وكان لها استخدام سحري، حيث استخدم رجل ختمه كتعويذة أو تميمة للحماية. غالباً ما كانت الأختام المصنوعة من الأحجار شبه الكريمة أو الأحجار الكريمة تنقل هذا الاستخدام الوقائي السحري.



12. الفلك والتنجيم والوقت: Astronomy and Astrology& Time

نرى أنّ بداية مراقبة السماء كان في بدايته من أجل ضبط أوقات الزراعة والتقويم، أي إنّها كانت بدايات فلكية، وقد تطورت من تشخيص وضع الشمس والقمر ككوكبين يدوران حول

الأرض، التي هي مركز الكون عندهم، ثم اكتشفوا الكواكب السيارة الصغيرة الحجم في رؤيتها بالعين البشرية قياساً إلى الشمس والقمر وهي (عطارد، الزُّهرة، المريخ، المشتري، زحل). وطوروا مراقبتهم للنجوم، وكانوا يرمزون للنجمة بشكل شعاعيّ سداسي، وحين يريدون وصف مجموعة من النجوم يضعون عدداً من الدوائر الصغيرة حسب عدد النجوم وقربها النجمة السداسية دلالة على أنّ هذه مجموعة نجمية أقرب إلى الثبات في مكانها. فمثلاً الثريا مجموعة من سبع نجوم لامعة يرمز لها بسبع دوائر وقربها نجمة سداسية.

قاموا بتحديد حركة السماء والشمس والنجوم والقمر، وكانوا يستخدمون للتنبؤ بالأحداث السماوية مثل الكسوف. واستخدموا الرموز الفلكية للتنبؤ بالمعارك المستقبلية وثروات الدول المدينة. بدأ شهرهم مع غروب الشمس والهلال الأول للقمر الجديد. شوهد هذا لمدة 18 ساعة بعد 36 ساعة عندما اختفى الهلال القديم. كان الهلال أنحف بكل أشكاله.

كانوا أيضاً أول من وضع التقويم القمري. استخدمت مراحل القمر لحساب 12 شهراً من السنة. كان للسومريون موسمان في عامهم. الأول كان الصيف الذي بدأ بالاعتدال الربيعي والآخر كان الشتاء الذي بدأ مع الاعتدال الخريفي. تمّ تنفيذ طقوس الزواج المقدس في اليوم الأول من العام الجديد. بإضافة شهر إضافي كل أربع سنوات، تمكنوا من تحديد «سنة الفصول» التي كانت مختلفة عن السنوات الثلاث الأخرى.

تمّ ظهر التنجيم خلال الفترة السومرية عندما كان للحوادث اليومية معنى روحي. كان يعتقد أنّ كل شيء جيد أو سيّئ حدث لسبب ما. وأن للكواكب والنجوم والتجمعات النجمية دوراً في التأثير على حياة ومصائر الأفراد والملوك والمجتمعات والدول.

لاحظ المنجمون القدماء موقع الكواكب ونصحوا الناس في المناصب الاجتماعية أو السياسية العالية وفقاً لهذه الملاحظات. وظهرت الأساطير التنجيمية، وتمّ تحديد شكل هذه التجمعات بطريقة تقربها من أشكال معينة كالدلو والميزان والجوزاء التوأم والأسد... إلخ. وهذا هو الذي ساهم في نشوء الأبراج وأخذت به شعوب وحضارات كثيرة وما زال إلى يومنا هذا. لقد تمّ استخدام الأبراج في الأنشطة اليومية. ثم الاعتماد عليها للاحتفال بموسم حصاد أو بذر المحاصيل.

13. المدارس:

بعد اختراع الكتابة ظهرت الحاجة لوجود أماكن لتعليمها فكانت المدارس التي نشأت أول الأمر في المعابد المرتبطة بالكاهن. وكان التعليم للعائلات الغنية. ركز السومريون فقط على دراسة قواعد الكتابة. وكان الطلبة من الذكور. وجاء الجزء الأكبر من الطلاب من الأسر الأكثر ثراء. كان الطالب الجيد يجازى بالثناء، وكان غير الجيد يعاقب بجلد أو بضربٍ بالعصا.

كانت المدرسة تسمى (إيدبّا) أي (بيت الألواح) أول نظام تعليمي رسمي معروف (المدارس). وكان الطالب يقضي سنوات عديدة لتعلم اللغة المكتوبة (المسمارية) ونظام الأرقام وطرق ووسائل الكاتب والنظام الستيني في الرياضيات، ثم أصبحت الكتابة مهنة من المهن المهمة والرفيعة الشأن، وكانت ضرورية في التعاملات الاقتصادية والإدارية، ولحاجات المعابد والقصور.

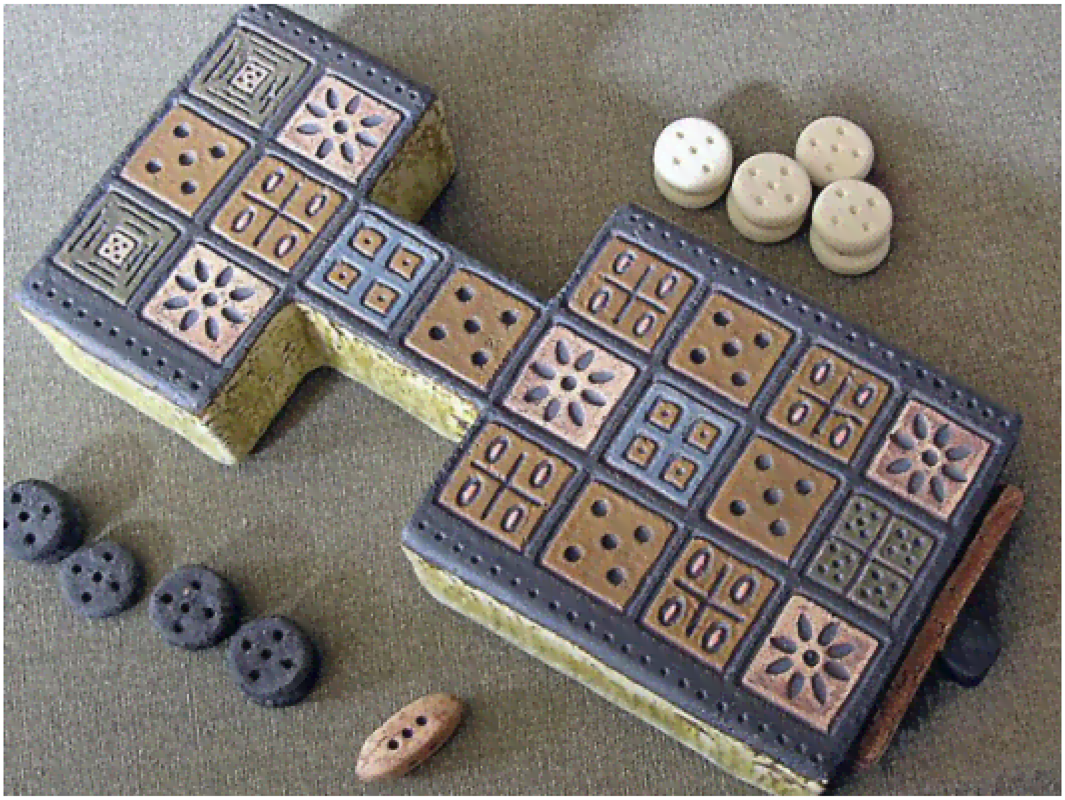
14. الصابون:

ذكر السومريون استعمالهم للصابون على الألواح الطينية التي يرجع تاريخها إلى حوالي 2500 قبل الميلاد، حيث تحدثوا عن استخدام الصابون في غسل الصوف. وقد استخدم السومريون ملاطاً من الرماد والماء لإزالة الشحوم من الصوف والقماش الخام حتى يمكن صبغه. طهر الكهنة والسومريون المعبدون أنفسهم قبل الطقوس المقدسة، وفي غياب الصابون، ربما استخدموا الرماد والماء. وقد أدركوا أنّ القليل من الشحوم قد حسن أداء القلويات، فشرعوا في صنع محاليل الصابون مباشرة عن طريق غلي الدهون والزيوت في القلويات قبل استخدامه للتنظيف. تمّ العثور على إرشادات محددة لصنع أنواع مختلفة من محلول الصابون على ألواحٍ مسمارية حين وصفوا الصابون المصنوع من الماء والقلويات وزيت الكاسيا.

15. اللعبة الملكية في أور (لعبة العشرين مربع، لعبة الطاولة أو الطاولي): The Royal Game of Ur

والتي تعود لزمن يتراوح ما بين (2600 - 2400)ق. م تمّ العثور على بقاياها من قبل السير ليونارد وولي في مقابر أور الملكية وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني في لندن.

يستخدم في اللعبة نرد ذو أربعة وجوه وأقراص صغيرة بلونين مختلفين للاعبين متقابلين، وكل قرص مثقوب بخمس نقاط.



فهرس المراجع

المراجع العربية

1. الأحمد سامي سعيد: الطب العراقي القديم مجلة سومر، المجلد 30، مديرية الآثار العامة، بغداد (1974).

2. الأحمد، سامي سعيد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1988).

3. الأحمد، سامي سعيد: السومريون، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد(1990).

4. اذزارد، وجماعته: قاموس الآلهة الأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة. مكتبة سومر، حلب – السلمانية (1987).

5. أرسطو طاليس: كتاب علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة(1343هـ -1924م).

6. إمام، عبد الفتاح إمام: فلسفة الأخلاق، دار الثقافة، القاهرة (1985).

7. أمين، أحمد: كتاب الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (1985).

8. إلياد، مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق للطباعة والنشر. مطابع الشام، دمشق، (1986، 1987).

9. إلياد، مرسيا: المقدس والمدنس. ترجمة عبد الهادي عباس. دار دمشق للطباعة والنشر. دمشق(1988).

10. باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1، دار الوراق للنشر المتحدة، لندن (2009).

11. بدوي، السيد محمد: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (2000).

12. بشور د. وديع: الميثولوجيا السورية (أساطير أرام)، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر بيروت (1981).

13. بشور، وديع: سومر وأكاد، د. ن، دمشق (1981).

14. بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين. ترجمة د. وليد الجادر. جامعة بغداد. بغداد(1970).

15. بوتيرو، جان: بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة – ترجمة الأب ألبير أبونا مراجعة د. وليد الجادر، دائرة الشؤون والثقافة العامة، بغداد. (1990).

16. بيبي جيوفري: البحث عن دلمون. ترجمة أحمد عبيدلي، دلمون للنشر نيقوسيا. قبرص (1982).

17. آل تاجر علي محمد علي: الرؤية التشكيلية المعاصرة لملحمة الخليقة البابلية (رسالة ماجستير) كلية الفنون الجميلة. جامعة بغداد (1991).

18. جماعة من علماء الآثار السوفييت: العراق القديم (دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية) ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية، بغداد (1976).

19. الجميلي، عامر عبد الله: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق (2005).

20. حبى، سليم ملحم: منهل الشرائع، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. (د. ت).

21. الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة (2000).

22. حنون نائل: عقائد ما بعد الموت، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1986).

23. حنون، نائل: حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، دار الزمان، دمشق (2007).

24. الحوراني يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم، دار النهار للنشر بيروت (1978).

25. الدباغ، تقي ووليد الجادر: عصور قبل التاريخ. مطبعة جامعة بغداد، بغداد (1983).

26. دراز، محمد عبد الله: كلمات في مبادئ علم الأخلاق، المطبعة العالمية، القاهرة (1953).

27. ديورانت، ول: قصة الحضارة، المجلد الأول (2)، ترجمة د. زكي نجيب محمود، ومحمد بدران، (2001).

28. الراوي، فاروق ناصر: حضارة العراق ج2، ف8 المبحث 3 (الرياضيات والفلك)، دار الحرية للطباعة، بغداد (1985).

29. رشيد، فوزي: نصوص إدارية من العصر السومري الحديث، مجلة سومر، المجلد 24، دائرة الآثار العامة، بغداد (1968).

30. رشيد، د. فوزي: من هم السومريون؟ مجلة آفاق عربية. السنة السادسة. العدد (12) آب بغداد (1981).

31. رشيد فوزي: المعتقدات الدينية، المبحث الأول، الفصل الخامس من كتاب حضاره العراق ج1 بغداد(1985).

32. رشيد د. فوزي: فضل البابليين في علم الفلك، دراسات الفلك عند العرب، ج1، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي(1987).

33. رشيد، فوزي: قواعد اللغة السومرية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق(2009).

34. رشيد، عبد الوهاب حميد: حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق (2004).

35. رزوق، رزوق فرج: حقائق الاستشهاد، دار الرشيد للنشر، بغداد (1982).

36. روثن ماركريت: علوم البابليين، تعريب وإيضاحات د. يوسف حبى دار الرشيد للنشر، بغداد(1980).

37. زكريا، فؤاد: الإنسان والحضارة، مؤسسة هنداوي، لندن (2017).

38. زيدان، عبد الكريم: الوجيز في أصول الفقه، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد (1964).

39. ساكز، هاري: عظمة بابل. ترجمة د. عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل. الموصل(1979).

40. ساكَز، هاري. و. ف: الحياة اليومية في العراق القديم، ترجمة كاظم سعد الدين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد (2010).

41. سدجويك، هـ: المجمل في تاريخ علم الأخلاق، ترجمة توفيق الطّويل، ترجمة عبد الحليم محمود، الجزء الأوّل، د. ن، القاهرة (1949).

42. سفر، فؤاد: مسلة من بدرة، مجلة سومر، المجلد 27، العدد 1-2، دائرة الآثار العامة، بغداد (1971).

43. سعيد، جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس(2004).

44. سمكوغ، برزج: الشركس في فجر التاريخ، منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (1995).

45. السواح، فراس: لغز عشتار، دار علاء الدين للتوزيع، ط 5 دمشق(1993).

46. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الأول أناشيد الحب السومرية، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت (1996).

47. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثاني الآلهة والبشر، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1997).

48. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثالث (الموت والبعث والحياة الأبدية)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1999).

49. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الرابع (الحضارة والسلطة)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(2001).

50. الشوك، علي: من روائع الشعر السومري، منشورات الجمل، ألمانيا (1982).

51. عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم العصر التأريخي في العراق القديم، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة (1997).

52. عبد الرحمن، طه: سؤال الأخلاق مساهمة في نقد الأخلاق الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت (2000).

53. عبد الرحمن، يونس: عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين (رسالة ماجستير) كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة بغداد(1975).

54. عقراوي، ثلما سيان: المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين. وزارة الثقافة والفنون. بغداد(1978).

55. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، أوند دانش للطباعة والنشر، ط1، د. م (2006).

56. علي. فاضل عبد الواحد:عشتار ومأساة تموز. منشورات وزارة الإعلام. بغداد(1973).

57. علي، فاضل عبد الواحد: أقدم حرب للتحرير عرفها التأريخ، مجلة سومر، العدد 20، مجلد 30 مديرية الآثار العامة، بغداد (1974)

58. علي، فاضل عبد الواحد: طرق العرافة في النصوص المسمارية. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد 25، بغداد(1979).

59. علي، فاضل عبد الواحد: من ألواح سومر إلى التوراة، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1989).

60. فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (1980).

61. الغانمي، سعيد: حراثة المفاهيم، منشورات الجمل، بغداد – بيروت(2010).

62. فالكنشتاين، أ: ترتيلة أريدو، مجلة سومر ج2 م7، مديرية الآثار العامة، بغداد(1951).

63. الكتاني، محمد: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ط-2، دار أبي رقراق، الدار البيضاء (2011).

64. كجه جي، صباح أسطيفان: الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، د. ن، د. م (2002).

65. كريمر، صموئيل نوح: السومريون، ترجمة د. فيصل الوائلي، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت (د. ت / أ) (1973).

66. كريمر، صموئيل: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ومكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي، بغداد، القاهرة(د. ت / ب).

67. كريمر صموئيل نوح: الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، نشر جمعية المترجمين العراقيين بغداد(1971).

68. كريمر، صموئيل نوح: طقوس الجنس المقدس عند السومريين. إنانا ودموزي، ترجمة نهاد خياطة. العربي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق(1986).

69. كريمر صموئيل نوح: الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، نشر جمعية المترجمين العراقيين بغداد (1971).

70. كوب، كاتي ووايت، هارولد جولد: إبداعات النار، ترجمة د. فتح الله الشيخ، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة (266)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت(2001).

71. لالند، أندريه: الموسوعة الفلسفية، الأخلاق، ترجمة خليل أحمد، ط2، منشورات عويدات، باريس (2012).

72. لوكاس، كريستوفر: حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، منشورات دار الجاحظ، وزارة الثقافة والإعلام، الموسوعة الصغيرة (61)، يغداد، آذار (1980).

73. ليل، وليام: مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق دكتور علي عبد المعطي محمد، الناشر المعارف، الإسكندرية (2000).

74. الماجدي، خزعل 1992أ: عاد والسومريون، مجلة ألف باء العدد 1258 في بغداد 4/11/1992.

75. الماجدي، خزعل 1992 ب: حول رموز القرآن الكريم، جريدة الجمهورية، بغداد، العدد 8334 في 11/8/ 1992.

76. الماجدي، خزعل: بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين). منشورات الأهلية للنشر والتوزيع. عمان(1998).

77. الماجدي، خزعل: متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس). منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (1998).

78. الماجدي، خزعل: الدين السومري. منشورات دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان(1998).

79. الماجدي، خزعل: العَود الأبدي (العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ)، الدار العربية للموسوعات، بيروت (2011).

80. مارغرون، جان كلود: السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان العيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق (1999).

81. مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، دار علاء الدين، ط2، دمشق (1993).

82. مورتغات، أنطوان: تموز، ترجمة د. توفيق سليمان، دار المجد، دمشق (1985).

83. هوك س. هـ: ديانة بابل وآشور، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1987).

84. الوردي، بهاء الدين: حول رموز القرآن الكريم، الدار البيضاء (1983).

85. وولي، السير ليوناردو: وادي الرافدين مهد الحضارة، ترجمة أحمد عبد الباقي، مكتبة دار المثنى، بغداد (د. ت).

86. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، الأجزاء 2و3 و4، دار الجيل، بيروت (1985).

87. الندوي، د. محمد إسماعيل: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح، د. ت (بيروت).

88. ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (1978).

89. نصار، محمد عبد الستار: دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت (1982).

90. النعيمي، راجحة خضر: أعياد رأس السنة البابلية، مجلة سومر، المجلد 47، الدائرة العامة للآثار، بغداد (1990).

91. هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ط9، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (1989).

92. يونغ، كارل غوستاف: الإنسان ورموزه، ترجمة سمير علي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1984).

93. يونغ، كافن: العودة إلى الأهوار، ترجمة د. حسن الجنابي، منشورات المدى، دمشق (1998).

المراجع الأجنبية

Badiny, F. J., ed.: The Sumerian Wonder, School of Oriental1. Studies, University of Salvador, Buenos Aires,(1974).

Baqir, Taha,: The Ishnuna law that was found in Baghdad in the2. area of Tell Harmal in 1945, was studied by and published in Sumer Jnl Vol 4, (1948).

Ball,C. J & litt ,M. A. D: Chiness and Sumerians. Oxford3.
University Press,Humphry Milford. London (1913).

Beaulieu, Paul-Alain: «The most significant piece of wisdom4.
literature in Sumerian», in Richard J. Clifford, ed., Wisdom Literature in Mesopotamia and Israel, 2007:4.

Bzdok, Danilo et al.: Parsing the neural correlates of moral5.
cognition: ALE meta-analysis on morality, theory of mind, and empathy. Brain Struct Funct, 2011». Brain Structure and Function. 217 (4): 783–96. Doi:10. 1007/s00429-012-0380-y. PMC 3445793. PMID 22270812.

Biggs, Robert D.: «Inscriptions from Tell Abū Ṣalābīkh».6.
Oriental Institute Publications. University of Chicago Press. (1974).

Bladwin, John. D, PreHistoric Nations, by, New York: Harper &7.
Brothers, (1869).

Cheikh, Anta Diop, The African Origin of Civilization, Chicago:8.
Lawrence Hill Books,(1974).

HALL, H. R.: The Ancient History of the Near East, Methuen &9.
CO. LTD, LONDON(1913).

Childress, (ed) James F. ; Macquarrie, (ed) John (1986). The10.
Westminster Dictionary of Christian Ethics. Philadelphia: The Westminster Press. P. 401. ISBN 978-0-664-20940-7.

Churchward, Albert: Signs & Symbols of Primordial Man,11.
Brooklyn:A&B Books Publishers,

Gelb, A.: Sumerians and Akkadians in Their Ethno-Linguirtic12.
relationship», ACSA, Genere (1960)

Jacobson, Thorkild: The sumarian king list,Chicago(1939).13.

G-D,The Sumerian Swindle (How The Jews Betrayed Mankind)14.
,vol. 1, Bamboo Delight Company (2010).

Gilligan and Kohlberg: «Implications for Moral Theory»15.
Author(s):

Lawrence A. Blum Source: Ethics, Vol. 98, No. 3 (Apr., 1988),16.
pp. 472–91.

Helaine ,Selin: Encyclopaedia of17.
the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures.
Editors (Ed.) The second edition(2008).

Jacobson Thorkild 1970: «Toword The Image of tammuz and18.
other essays on Mesopotamian history and culture ,edited by William L.
moran Harvard university massochausetts

Kramer S. N: The Sumerians, Chicago(1963/1964).19.

Lambert W. G.: Instructions of Shuruppak, Babylonian Wisdom20.
Literature. (Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana) Includes on-line English
translation of the text(1996).)

Landesberger: «Die Anfaenge Der Zirilisation in21.
Mesopotamien», Journal of The Faculty of Longaages, History and
Geography of The University of Ankara, II,(1944)

Langon S. H: «Sumerian Liturgies and psalm, ed.22.
Philadelphia(1919).

Langdon S. H: «Encyclopadia of Religion and Ethics (ERE).23.
New York(1958).

Parot ,andre:Sumerian Art,United Nations Educational and24.
Cuitural Orgnization ,New York (1970).

Plessner,Hermes:Encyclopaedia of islam. vol. 3 New edition.25.
Bril,EJ. Ledien. luzac. London. (1960).

Rachels, (ed) James; Rachels, (ed) Stuart: The Elements of26.
Moral Philosophy (7 ed.). New York: McGraw-Hill. ISBN 978-0-078-03824-2. (2011).

Reiner Erica: «Surpu A Cllection of Sumerian and Akkadian in27.
cantations». ed Graz,(1958).

Van Dijk J. J. A: «La Sagesse sumero Accadienn». ed Leiden E.28.
J. Brill(1953).

Waddel L. A:Sumerian origins of egyption civilzation, London29.
(1930).

Walker,chritopher:Episodes in the history of Babylonian.30.
Asranomy. society for mesopamian studies. Toranto. (1982).

Weber, Eric Thomas... Morality, Leadership, and Public Policy31.
(London: Continuum). (2011).

Wells,H. G, A Short History of the World, New York:32. MacMillan,(1922).

Wooly C. Leonard: «Excavation at Ur». London(1963).33.

Wooly C. Leonard: «Ur of the chaldess: New York (1965).34.

المراجع الشبكية(الإنترنيت)

http://www. stim. com/Stim-x/10. 1/origins/origins. htm

http://www. ishtartv. com/en/viewarticle,35322. html#sthash. iccBCkvZ. dpuf

(sumeriancuneiformdictionary

etcsl. orint. ox. ac. uk

ترجمة: فضل خلف جبر article. asp?id=49375/http://www. alnoor. se

Joop van der Miel, Archaeologyconspiracies. com.

موقع الدكتور أبو الصوف: العراق في تاريخ الاقتباس في 1 / 4 / 2019.

http://www. iraqinhistory. Com